ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين و المستشرقين

٥٠٠ سؤال وجواب فى الرد على أهل الكتاب

للداعية الإسلامى

الشيخ / محمد ياسين

قدم له

أ د/ عبد المهدى عبد القادر

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر





١- رسولكم تزوج بطفلة عمرها تسع سنوات فهل هذا رسول؟
٢- نبيكم أول من خالف الشريعة في الزواج بأربع فتزوج تسع .
٣- لماذا تقولون لا إله إلا الله أليس من المحتمل وجود آلهة أخرى ؟
٤- يقول قرآنكم ((إن الله وملائكته يصلون على النبي) فهل الله يصلي؟
٥- ((ألم- المص- حم- عسق- كهيعص)) طلاسم وألغاز في قرآنكم لا معنى لها.
٦- المسلمون ليسوا على الهداية بدليل طلبهم لها في كل صلاة {أهدنا الصراط المستقيم}.
٧- النسخ في القرآن عندكم معناه عدم صلاحيته في التطبيق فهل الله رجع في كلامه فنسخه؟
٨- يقول قرآنكم (فألقاها فإذا هي حية تسعى) (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين)
- ما هذا التخبط أهي حية أم ثعبان؟.
٩- قرآنكم يقول (للذكر مثل حظ الأنثيين) أليس هذا ظلم للمرأة؟
١٠- العلم يكذب قول نبيكم (النساء ناقصات عقل ودين) فالجامعات تعج بالبنات المتفوقات.
١١- هل عيسى توفاه الله كما في سورة آل عمران أم رفعه كما في سورة النساء؟

الناشر
مكتبة الإيمان

ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين

٥٠٠ سؤال وجواب في الرد على أهل الكتاب

قدم له

د / عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

د / محمد عمارة   د / محمود شعبان إبراهيم

تأليف

الداعية الإسلامي

محمد ياسين

الناشر
مكتبة الجامعة الازهرية
٤شارع احمد سوكارنو
ت. ف :٣٣٤٥٢٣٠٢

توزيع
مكتبة تريم الحديثة
اليمن- حضر موت
ت : ٤١٧١٣٠ـ ٥

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٦٥٤٨/٢٠٠٧
ISBN: 977-449-026-2

الناشـــر

مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع

٤ شارع أحمد سوكارنو - العجوزة - فاكس : ٣٣٠٤٤٨٤١
هاتف : ٣٣٤٥٢٣٠٢ - محمول : ٠١٠١٧١٩٧٩٥

elemanliblary @yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

د / عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.. وبعد:

ففي وقت كثر فيه كلام أعداء الإسلام على الإسلام، وتطاولهم فى إثارة الشبهات على العقيدة والقرآن والسنَّة وأمور الإسلام عموماً فى هذا الوقت يظهر فيه هذا الكتاب، يرد على شبهات المتطاولين على الإسلام، يوضح الحق، وينير السبيل، يسعد بذلك صدور المؤمنين، ويأخذ بيد أعداء الإسلام إلى الحق إن كانت صورة الإسلام قد شوهها أمامهم آخرون.

إنه كتاب يوضح الحق، وهذا يفيد أهل الحق وأعداء الحق، فأهل الحق يزدادون تمسكاً بدينهم، وأعداء الحق يتضح الحق أمامهم، ونسأل لهم الهداية والتوفيق.

إننا معشر المسلمين - على الرغم من تطاول الأمم الأخرى علينا - إلا أننا فى دائرة الحق ندعوا بعضنا وغيرنا إلى الحق والخير، نناشد العالم هلموا إلى ما يسعدنا جميعاً، هلموا إلى التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

لسنا نقتل أحداً، ولا نسيء لأحد، ولا نفسد فى الأرض، ولا نهدم البنيان، ولا ندمر العمران، لا نلوث الهواء، ولا نسمم الماء، ولا نمنع أسباب الحياة عن أحد، على طول التاريخ خيراً ورحمة على أنفسنا وعلى الكون كله.

ومن باب حرصنا على الحق لم نَعِب ديناً من الأديان، ولما تطاول الغير علينا مازِدْنا أن دافعنا عن ديننا.

وهذا الكتاب (ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين) نموذج من ردودنا، فبأسلوب غاية فى الوضوح، وغاية فى الإيجاز أجاب المؤلف عن كثير من شبهات أعداء الإسلام، منها ما هو حول العقيدة، وما هو حول القرآن، وما هو حول الإسلام،

وما هو حول الرسول ﷺ، وأجاب عما زعمه أعداء الإسلام من تناقض القرآن مع نفسه، وما زعموه من تناقض القرآن مع السنَّة، وما أثاروه من شبهات حول سور القرآن.

لقد أجاب عن خمسمائة شبهة، واعتمد فى الجواب على مصادر أصلية فى التفسير واللغة والفقه والعقيدة والسيرة والدعوة، كما أنه اعتمد على بعض نصوص من كتبهم هو أدرى بذلك مني.

وعلى الرغم من أكاذيب مفترى هذه الشبهات وبشاعة باطلهم إلا أن المؤلف لم يكتب كلمة تطاول على دينهم، بل ولا على أشخاصهم. وظل ملتزماً بأخلاق الإسلام.

إنه لم يقابل غباء بغباء، ولا باطلاً بباطل، وإنما جَلّى الحق وأبان الصدق، مؤصلاً معلوماته، ذاكراً مصادره.

أسأل الله أن يجعل هذا فى ميزان حسناته، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن ينفع من قرأه من المسلمين وغيرهم، اللهم آمين.

أد/عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى

أستاذ ورئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر

٢٤رجب ١٤٢٨هجرية

٧أغسطس٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

د / محمد عمارة

الحمد لله جعل العلماء ورثة الأنبياء، ورثوا العلم ليعلموه الخلق، ويأخذوا بأيديهم إلى طريق الهدى والحق، وجعل هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها، وضمن بحوله وقوته بقاء هذا الدين غضاً قوياً ببقاء طائفة على الحق، متمسكين به، يهدون من ضل إلى الهدى، ويبصرون من العمى، ويرشدون من الغواية، ويعلمون من الجهل، يحيون سنة النبي ﷺ ويدافعون عنها ما بقيت فيهم جارحة، يردون شبه المبطلين، ويدحضون حجج المقلدين المزورين، حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك.

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بالجلال بكمال الجمال، والمتفرد بتصريف الأحوال، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق الخلق من تراب.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله ﷺ فتح الله به أعيناً عمياً، وقلوبا غلفاً، وآذانا صُمًّا، أقام الله به الدين، وأذلّ به الشرك والمشركين، وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد:

فقد قال ربنا سبحانه: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:١٢٠] واليهود والنصارى لتحريفهم الكتب التى نزلت على أنبيائهم، ولم تعد لديهم حجة، ولا شيء يستندون إليه، أخذوا يطعنون فى القرآن، ويوجهون إليه السهام، كما أخذوا يطعنون فى بعض أحكام الإسلام، ويظنون أنهم بذلك يستطيعون تغيير الصورة المعهودة لهذا الدين فى قلوب أتباعه، وهيهات.. فإن الدين محفوظ بحفظ ربه، وقد وعد بنصرة أهله، كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ} [الصافات:١٧١-١٧٣] وقد رأينا ذلك واضحا

وضوح الشمس على مدار التاريخ، فلا صمود لدعوة، ولا ديانة، ولا قوة، حُجَّة أمام جنود الإسلام، وها هو كتاب جديد يدحض افتراءات النصارى، ويقمع شبهاتهم التى يدندنون حولها، هذا كتاب الأخ الشيخ (محمد ياسين) تناول فيه الرد على شبهاتهم بأسلوب مبسط يفهمه العامَّة قبل الخاصة، وقد بذل فيه جهداً مشكوراً لتوضيح المشكل والغامض فى بعض المفتريات، وقد أحسن فى عرضه للجواب على كل شبهة، إذ كان يأتى بنصوص من الكتاب المقدس لليهود والنصارى، ليرد الشبهة بالحجة، والمكتبة الإسلامية الزاخرة العامة محتاجة لذلك الكتاب، والمسلم والكافر، والطائع والعاصى، كلهم بحاجة لمطالعته، ونحن إذ نكتب هذه التقدمة لهذا الكتاب نتقدم بخالص الشكر للأخ محمد ياسين، لهذا الجهد المشكور فى دفع شبهات النصارى، والله تعالى نسأل أن يوفقه للمزيد، وأن يهبه غُنْمَه، ويتجاوز له برحمته عن غُرْمِه، وأن ينفع به من قرأ وطالع، وأن يهدينا سواء الصراط.

وكتبها د. محمد أحمد عمارة

حدائق المعادى

فى ٣ جمادى أول ١٤٢٨ هجرية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

د / محمود شعبان ابراهيم

إن الحمد لله، نسعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.. أما بعد:

فلقد قال ربنا فى أُخرَيات سورة يوسف: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى} [١٠٨] فها هنا أخى فى الله.. يطلب ربنا من حبيبه ﷺ أن يقول للمشركين والدنيا كلها: هذه طريقتى - أى الدعوة إلى الله وإلى التوحيد - طريقى ومنهجى وغايتى، أدعو إلى الله ولله على بصيرة، أى على علم وفهم وتبصُّر وتيَقُّن أنا ومن اتبعنى، أى أن الدعوة إلى الله وظيفة رسول الله ﷺ ومن اتبعه. وربنا عز وجل يقول: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ [آل عمران:١١٠] فالأمة أخذت الخيرية بسبب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لِذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يتلو هذه الآية فى موسم الحج، ثم يقول: يا معشر المسلمين.. من أراد الانتساب لهذه الأمة فليؤدِّ الشرط، وهو الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والإيمان بالله. والملاحَظ أن الآية قدمت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الإيمان بالله، فأيهما أسبق؟ معلوم أنك تؤمن، ثم تدعو إلى الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، هذا هو الأصل، لكن الآية قدمت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لبيان أهميتهما، ولبيان أنهما موصِّلان للإيمان. فالشرك أعظم منكر، والإيمان أعظم معروف، فأنت تأمر بالمعروف.. أى تدعو إلى الإيمان، وتنهى عن المنكر.. أى تنهى عن الشرك. فالأمر بالمعروف دعوة إلى الإيمان بالله، وكأن الإيمان بلا أمر بالمعروف ولا نهى عن منكر ينقص ويضعف، وهما وظيفة الأنبياء، ولولاهما ما وُجِدَ مؤمن بالله، لذا قدمهما. وخير دعوة إلى الله هى الذبُّ عن دين الله، فى زمان الهجوم على ثوابت

الإسلام من أعداء الإسلام، بل ومن بعض المنتسبين للإسلام، وهنا - أى فى هذا الزمان - لابد أن ييسّر الله لهذه الأمة آل العلم الذين يُنْفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويبصّرون بكتاب الله آل العمى، ويدلونهم على الهدى، وأسأل الله أن يكون صاحب هذا الكتاب منهم، ولما كان ذلك كذلك انتدب أخونا الشيخ (محمد بن ياسين) نفسه للدفاع عن دين الله، وعن كتاب الله، فألّف كتابه الماتع (ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين) وأهداه لى لمراجعته لحسن ظنه بى، والله يعلم أننى ليس كما ظن، فقرأته وتعلمت وأفدتُ منه، وإن كنت علقت على بعض الأشياء، وظنى فيه أنه قد انتبه لها. والكتاب يمتاز بسهولته، وطبيعة الشيخ فيه، فالرجل سهل بسيط، وكذلك كتابه، بل إنك تجد أنفاس الشيخ ونبضات قلبه رقراقة واضحة بين السطور، ويكفيه أنه يسّر كلام أهل العلم، من أمثال (الرازى) وغيره للناشئة من طلبة العلم، بل وللعامة أيضاً. والله أسأل أن يجزيه على ما قدم للإسلام والمسلمين، وأن يكافئه بقدر جهده وتعبه، وأن يجعل هذا الجهد فى ميزان الحسنات، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله أسأل أن يرزقنا وإياه البصيرة التى اشترطها ربنا فى الداعية إلى الله، لنكون أهلاً للدعوة إليه، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه، ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمود شعبان إبراهيم

أبو معاذ

أبراج الزهراء.. عين شمس.. ٢٠٠٧/٥/٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

لقد قمت بهذا العمل وأنا أعلم تماماً أنني لست أديباً، ولا كاتباً صاحب قلم معروف، ولا عالماً متخصصاً من علماء الأزهر الشريف، ولكن مَن حملني على هذا هم الإخوة الغيورون على دينهم، وذلك بعدما قمت بالتصدي – أنا وبعض إخواني من العلماء والدُّعاة – للحملة الشرسة التي قام بها أعداء الإسلام للتشكيك في الدين الحنيف، وعلى وجه الخصوص القرآن العظيم، كتاب الله الذي {لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢] وعلى شخص الرسول الأعظم ﷺ وإن كان الهجوم على هذه الشخصية العظيمة قد تعودنا عليه من حين لآخر، حيث نسمع بعض التعليقات التي يَعرِف قائلها أنه حاقد وكاذب، ولكن ما الذي يمنع الخفافيش أن تخرج إذا جَنَّ الظلام؟ وما يمنع الأفاعي والعقارب أن تظهر إذا شعرت بالأمان؟ والسبب في ذلك هو ترك المسلمين لدينهم الذي هو عصمة أمرهم، وسبب عزهم في الدنيا والآخرة.

وكان التصدِّي الذي قمت به عَبْر دروس في المساجد للرد على هذه الحملة التشكيكية – ولا أقول التنصيرية – لأنهم جربوا التنصير على مر القرون فلم ينجحوا إلا قليلاً، أما المستهدف هذه المرة فهي الفئة المثقفة، ولكن لماذا الفئة المثقفة بالذات؟ لأنها تعلمت تعليماً علمانياً لا يُحِلُّ حلالاً ولا يحرِّم حراماً، فليست عندهم مناعة دينية تعصمهم من الشكوك وتحميهم من الكفران، ولا فهم صحيح للغة العربية وأساليبها وبلاغتها، فهم يقرأون القرآن أو الحديث ولا يفهمون مراد الله ولا مراد رسول الله ﷺ فيسهل وقوعهم في فخ التناقض الظاهري للنصوص، أو التصادم مع العلم الحديث، ويا ليت الشاب المثقف يسأل العلماء إذا عُرِضت عليه الشبهات، ولكن للأسف أنه يقرأ الشبهة أو يسمعها فيتأثر بها ويؤثر على غيره، وهذا هو مطلوب أعداء الدين. وقد كان التنصير سابقاً – ولا يزال – يرتع في غيابات الفقر والجهل والمرض في بعض الدول الأفريقية والآسيوية، وكأن التنصير كالبعوض لا يعيش إلا فوق البرك والمستنقعات الآسنة، ولكن المفاجأة هنا للحقل الإسلامي أن المثقفين هم فقط المستهدفون، والذي شجع على ذلك سقوط بغداد في

القرن الواحد والعشرين، وقيام الدول الصليبية برسم خريطة للاستيلاء على بلاد الإسلام الواحدة تلو الأخرى، وتسميتها (الشرق الأوسط الكبير) وقد سقطت بغداد فى أيديهم وسط تخاذل وتواطؤ حكام العرب والمسلمين الذين فتحوا بلادهم على مصراعيها لسقوط العراق خيانة وغدراً وخِسَّة ومهانة، وصمت العالم أجمع صمت المقابر إلا بعض صيحات استنكار من بعض المسلمين المخلصين، وعندها تذكرت قول رسول الله ﷺ: **"يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قِلَّة يومئذ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت"** [صحيح الجامع:٨١٨٣] وها نحن نرى صِدْق الرسول الأعظم واقعاً يتكلم على الأرض، فبعد سقوط بغداد بسهولة مريبة، ذهبت أحلام العدو الصليبى كل مذهب، وتصوروا أن خطة القضاء على الإسلام باتت وشيكة، وأنها أسرع مما قُدِّرَ لها (٢٥سنة) بل إن الأمر أسهل من ذلك، هى تقريباً بضع سنين - كما يظنون - ويتم القضاء المبرم على بلاد الإسلام تماماً، والمدهش والعجيب أن هذه الخطط تذاع على مرأى ومسمع من العرب والمسلمين، ولكن لا حراك كما قال الشاعر:

لقد أسمعتَ إذ ناديتَ حياً ولكن لا حياةَ لمن تنادى

وقد تم التمهيد لذلك بتغيير المناهج الدراسية، والكتب الدينية والتاريخية فى جميع البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وتغيير الخطاب الدينى، مع التركيز على عدم ذكر آيات الجهاد والعداوة لأهل الكتاب، ومحاولة طمس اللغة العربية الفصيحة، لغة العلم والقرآن والإسلام، وتشجيع الملحدين، ومنحهم الجوائز على مؤلفاتهم، كما أعطت انجلترا سلمان رشدى جائزة على كتابه الذى سخر فيه من القرآن الكريم، وسَمّاه (آيات شيطانية) ومنحته لقب (فارس) على تأليفه لهذا الكتاب. بل إن الأكثر خطراً من ذلك أنهم ألَّفوا كتاباً ساقطاً وسَمّوه (الفرقان) ووزعوه على السفارات الموالية لهم هكذا جهاراً نهاراً، وبكل تبجح، تمهيداً للاجتياح الكاسح لبلاد الإسلام.

وفى هذه الفترة اشتدت الحملات التشكيكية المسعورة ضد الإسلام، إذن.. فماذا أفعل وأنا رجل داعية لا أملك إلا لسانى، وحتى هذا اللسان فإنه مُقيَّد، أو - إذا صحَّ التعبير -

فإنه مُشفِّر، وليس مسموحاً لى ولا لغيرى أن نتكلم إلا فى أشياء محدودة، كالقبر والجنة والنار والمواعظ وقصص الأنبياء، وإلا- فإن أقل شىء أن أُحْرَم من الدروس والخطب، وهذا ما يريده أعداء الدين بى وبإخوانى من العلماء والدُعاة، إذن.. فالمطلوب منى أن أنزل البحر بدون مجداف، أو أن أعوم دون أن أبتل، والله حسبى ونعم الوكيل، فبدأت - بحمد الله - فى جمع الأسئلة التى يطرحونها على المسلمين لتشكيكهم فى دينهم، وبدأت أدفع هذه الشبهات فى حلقات سجلها كثير من الإخوة على اسطوانات (سيديهات) ولاقت قبولاً واسعاً بحمد الله تعالى، وهذا القبول ليس لشخصى، ولكن لأنه حديث الساعة، فما كان فيها من خير فمن الله، وما كان فيها من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء. والأسئلة المطروحة منها ما هو جدير بالإجابة يلتفت إليه، ومنها ما هو تافه متهتك، وكان علىَّ أن أجيب على جميع الأسئلة حتى لا يقال: إن هناك أسئلة لم نجد لها إجابة. وأعترف أننى لست باحثاً مدققاً، ولا متخصصاً مُجيداً، ولكن سندى الوحيد هو ربى جل فى علاه، عليه توكلت وإليه أنيب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]

ولا أخفى على القارئ أن الذى شجعنى وجعلنى أتحمس لهذا العمل هم الإخوة المجاهدون فى العراق الذين بددوا ظلام الخوف من قلوب المسلمين - حتى الحكام منهم وإن أخفوا ذلك - بعد أن طرحوا أكبر قوة فى العالم على الأرض، وذبحوها أمام أعين الدنيا كما تذبح النعاج، ولقد رأى العالم أجمع أن المؤمنين المجاهدين الذين لا يملكون من السلاح إلا القليل، ومن العتاد إلا اليسير، يذيقون العدو الصليبى صاحب الآلة الحربية الرهيبة أصناف العذاب، وهو مَن هو، صاحب الأنياب الذرية والمخالب النووية، حتى إن هذا العدو المتغطرس يصرخ كل يوم من آلام الهزيمة والقتل، ويريد أن يخرج من هذه المجزرة المخزية التى اعترف بها عقلاؤهم، ومع ذلك لم تُقْنِع أمريكا عن قتال المسلمين بعدما ذاقت مرارة الهزيمة، أمام أعين العالم فى العراق وأفغانستان، فهروباً من مواجهة المسلمين على الأرض، لجأت إلى الحرب بالوكالة، فأوعزت إلى الحكومة الصليبية فى أثيوبيا بقتال الحكومة الإسلامية فى الصومال (المحاكم الشرعية) بعدما تولت المحاكم الشرعية - بانتخابات حرة نزيهة - مقاليد الحكم فى الصومال، فتحركت أفاعى الحقد

وعقارب الضغينة فى قلوب الصليبيين على هؤلاء المسلمين. وحتى كتابة هذه السطور تقوم أمريكا بالقصف الجوى الوحشى للمدنيين العُزَّل فى الصومال، بالحجة السخيفة المعروفة بمحاربة الإرهاب. مع مراعاة أنهم لا يستطيعون من الآن فصاعداً قتال المسلمين على الأرض وجهاً لوجه، لأنهم جربوه فكانت الهزيمة النكراء حليفتهم فى كل وقت وحين، فلجأوا أخيراً إلى الفتنة والوقيعة بين المسلمين، حتى يتجنبوا الخسائر البشرية المروِّعة، وأشهد أنهم نجحوا بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى فى الفتنة والوقيعة بين السُّنة والشيعة فى العراق، وبين طوائف لبنان، وبين حماس وفتح فى فلسطين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ولقد رأيت العجب العجاب أثناء تحضير الإجابات على هذه الشبهات، وكأنى أنظر إلى السائل المشكك فى دينى على أنه لص غبى لم يجد إلا المصباح المنير ليسرقه ويختبئ به فى الظلام، كما تقول النكتة المصرية: (حرامى سرق كُلُوب منوَّر واختبأ به فى الظلام) أو كالذى يكره البخور فقام بإحراقه، فما كان منه إلا أنه أفاح رائحته وأظهر عطره، وتذكرت قول ربى تبارك وتعالى: {وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ} [البقرة:٢١٦] ولعل هذا يكون دافعاً لشبابنا على تعلم دينه، والذود عن حياضه، وعدم إعطاء الفرصة لعَدوِّه للنيل منه، فديننا أعظم دين، وكل ما يحوم حوله من شبهات فهى أباطيل وافتراءات لا أساس لها من الصحة. والله أسأل أن يثبت قلوبنا وقلوب المسلمين على دينه، وأن يهدى خلقه من الإنس والجن إلى توحيده، والعمل بكتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.. آمين.

ملاحظات:

لا يحق لأى مسلم يقرأ ما جاء فى هذا الكتاب من نصوص (الكتاب المقدس) أن يسخر من أهل الكتاب، أو يستهزئ بهم، أو يعيِّرهم بما ورد فيه من ألفاظ أو عبارات غريبة، لأن هذا لا يليق بالمسلم العفيف اللسان، ولأن الله جل وعلا أمرنا أن نجادلهم بالحسنى، وذلك فى قوله تبارك وتعالى: {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ} [العنكبوت:٤٦] ولأننا لا نريد أن ندفع الشبهات عن ديننا فقط، ولكن لنرغبهم فيه بذكر محاسنه، وإقامة الحجة عليهم بالحوار الهادف المهذب البنَّاء، وليس

كما يحدث - ممن لا حظ لهم من العلم - من الشتم والسب، وخصوصاً فى غرف المحادثة الجماعية (البالتوك) على شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت).

يقول ربنا تبارك وتعالى {وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} [البقرة:٢٣٧] وامتثالاً لأمره سبحانه وتعالى وددتُ أن أعرِّف القارئ بأن معظم الإجابات على الشبهات المتعلقة بالقرآن الكريم نقلتها من تفسير الإمام الرازى، وتفسير الشيخ الشعراوى (رحمهما الله) مع بعض التصرُّف فى بعض الأحيان. أما إعراب الآيات فنقلت بعضها من تفسير الشيخ الشعراوى، والبعض الآخر من الدكتور عبد العظيم المطعنى من كتاب (حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين) أما الإجابات الخاصة بتدوين القرآن فمن كتاب (دراسات فى علوم القرآن) للدكتور محمد بكر إسماعيل. ويرجع الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - فى الاستشهاد بنصوص من (الكتاب المقدس) إلى مطويَّات ومُذَكِّرات حصلتُ عليها من مركز التنوير الإسلامى، وهو مركز متخصص فى تثقيف الشباب للدفاع عن الشبهات، وعنوانه (١٤٥ شارع مصر والسودان بحدائق القبة) وله موقع على الإنترنت يسمى (شبكة بلدى) (www.baladynet.net)

بعض الإجابات لها اختلاف عن الإجابات التى فى الاسطوانات المسجَّلة، إما بالزيادة أو بالنقصان، فمن أراد أن يسمع الإجابة بالتفصيل فليرجع إلى الأسطوانات والشرائط التى تحمل عنوان الكتاب نفسه، والتى تباع بشركة (تسجيلات النور الإسلامية) لصاحبها الأستاذ حامد الطحَّان، وعنوانها (٧ شارع عبد العزيز، عمارة الزيَّات) وليرجع إلى إدارة قناة الأمَّة الفضائية، وعنوانها نفس عنوان مركز التنوير الإسلامى.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يوردنا - وكل من ساعد فى إخراج هذا الكتاب ونشره - على حوض النبى المصطفى ﷺ وأن يدخلنا الجنة بغير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب، وأن يظلنا فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله الراجى عفوه ورضاه

محمد ياسين

شبهات باطلة حول العقيدة

س١– أنتم يا معشر المسلمين تعتقدون أنه لا إله إلا الله، أليس من المحتمل وجود آلهة أخرى؟

ج١– الله سبحانه وتعالى شهد على نفسه أنه لا إله إلا هو وأنه الخالق لكل شيء و لم ينازعه منازع فتثبت له الدعوى، فهل وجدتم أو سمعتم فى التاريخ كله من ادَّعى أنه خلق السموات والأرض ولو كان أطغى الطغاة؟ فمثلاً – {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} – لو أن هناك أحداً ادَّعى ملكية أرض وكتب عليها اسمه و لم ينازعه أحد عشرات السنين فتثبت له الدعوى، أو لو كنا فى مكان ووجدنا حافظة نقود وأعلنَّا عنها فجاء شخص وأعطى أوصافها وقال إنها له، و لم يَدَّعِ أحد غيره ملكيتها فتسلم له الدعوى. فإذا كان هناك آلهة أخرى لِمَ لم تعلن عن نفسها وتكذب دعواه؟ قد يقول قائل: ربما لم يعلموا، وهذا عذر أقبح من ذنب، لأن الجهالة تستحيل على الآلهة، وإذا قيل: إنها علمت ولكنها خافت من هذا الإله، وهذا أيضاً مُحال لأن الآلهة لا تخاف، إذ لو خافت منه فلا تستحق أن تكون آلهة {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء:٤٢-٤٣] ولو أن هناك آلهة أخرى – كما يدعى المشركون – لفسد نظام الكون، ولَمَا أصبح بهذا التناسق البديع بين النواميس والعناصر والأجناس كلها، ولَوَجدنا مثلاً إله الشمس له نظام يتعارض مع إله المطر أو إله الزرع أو إله الريح أو القمر.. وهكذا {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:٢٢] {مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون:٩١]، والله أعلم.

س٢– لقد قلتم إنه لو كان مع الله آلهة أخرى لفسد نظام الكون ولم يكن بهذا الإحكام البديع، أليس من المحتمل أن يكون هناك آلهة لها أكوان أخرى غير كون إلهكم؟

ج٢– الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه الكريم: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ} [الزمر:٦٢] فلو أن هناك أكواناً أخرى لكانت تُسَمَّى (شيئاً) فيكون الله عز وجل خالقها هى أيضاً،

وحيث إنه لم يعترض عليه أحد، ويقول له: (إنك لم تخلق كل شيء، بل أنا خلقت كذا وأنت خلقت كذا) فتثبت له الدعوى، والله أعلم.

س٣- إن هذا الكون جاء مصادفة من انفجار كوني رهيب من صنع الطبيعة، ونحن لا نؤمن إلا بالمشاهد المحسوس وإلهكم ليس كذلك، وإذا كان موجوداً فلِمَ لا يرينا نفسه؟

ج٣- هذا السؤال لا يصح من عاقل، فهل يوجد أى شيء فى الكون بدون واجد؟ وهل المصادفة تصنع قانوناً محكماً؟ وإذا كانت الطبيعة هى التى خلقت هذا الكون فمن أين جاءت بمكوناته؟ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور:٣٥] هل لو حدثك إنسان أنه رأى سفينة محملة بالبضائع تكونت مصادفة بغير صانع، وسارت فى البحر بغير قائد.. أكنت تصدقه؟ هل لو طرحت إناء كبيراً من الزجاج على الأرض فانكسر هل يُكوِّن أكواباً صغيرة؟ هل لو سكبت عدة ألوان على ورقة أتكوِّن منظراً بديعاً؟ فما ظنك بهذا الكون المحكم البديع الذى يسير كل شيء فيه بنظام تام لو اختل لدُمِّرت الحياة بأكملها {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر:٤١] إنك لو سافرت إلى الصحراء بمفردك ونمت بعض الوقت لتستريح ثم استيقظت وأنت جائع فوجدت مائدة عليها طعام وشراب، هل ستمد يدك لتأكل قبل أن تتساءل فى نفسك من أحضر هذا الطعام؟ فكيف بالكون كله الذى أُعِدَّ لاستقبالك قبل أن تولد، شمسه وقمره ونجومه وأرضه وسماؤه... إلخ، وكل شيء فيه له نظامه وقانونه الذى لا يخرج عنه، ألا يوجد لهذه الأشياء خالق؟ وهل هذه القوانين المحكمة صنعتها المصادفة؟ إننا نؤمن بوجود الكهرباء.. ولكن هل نراها؟ هب أننا فى مكان ما، والمصابيح مضاءة وأجهزة التكييف أو المراوح تعمل، ثم سأل سائل هل توجد كهرباء؟ ماذا سيكون جواب الحاضرين؟ أمجنون أنت؟ ألا ترى الإضاءة والمراوح وكذا وكذا؟ فقال أين توجد هذه الكهرباء؟ فقلنا له إنها فى هذه الأسلاك المغطّاة، فذهب ليعرى الأسلاك، هل يرى شيئاً؟ ولو وضع يده ليلمسها ماذا يحدث له؟ إننا نعلم ما أحدثه استخدام الإلكترونيات من ثورة علمية هائلة لم يسبق لها مثيل فى عالم الأقمار الصناعية والحاسبات الإلكترونية والاتصالات الهاتفية والشبكة

العنكبوتية (الإنترنت)... إلخ، فهل نرى الإلكترونات؟ هل نرى الجاذبية الأرضية؟ هل نرى المغناطيسية؟ هل نرى أشعة إكس أو الليزر أو الموجات فوق الصوتية؟ أم أننا استدللنا على هذه الأشياء كلها بتأثيرها؟ إن رجل الصحراء الأمّى البسيط الذى لم يتلقَّ العلم على يد أساتذة الجامعات ولا المعاهد العلمية قال بفطرته السليمة: (إن البعرة تدل على البعير، والقدم تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟) إن حواسنا التى خلقها الله لنا ليست مُعَدَّة لإدراك كل المخلوقات، فكيف بإدراك من خلقها؟ سبحانه {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣] قال رسول الله ﷺ: **"إن الله تعالى لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفضُ القسطَ ويرفعه، ويُرفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"** [صحيح مسلم] وفى رواية أخرى **"حجابه النار"**

إن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حينما طلب رؤية الله عز وجل قال الله له: {لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا} [الأعراف:١٤٣] ثم إنكم تطلبون رؤية الله عز وجل فلو رأيتموه كيف يكون الاختبار إذن؟ إن الإيمان بالغيب من صُلب عقيدة المؤمنين، فإذا كان كل شىء مُشاهد فما فائدة الإيمان؟ فهل يقول أحدٌ أنا مؤمن بوجود الشمس أو القمر أو الليل والنهار؟ إن رؤية الله عز وجل نعيم عظيم، بل هى أعظم من نعيم الجنة، فهل يستحقها المشرك والكافر والفاسق والفاجر؟ {كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:١٥] إنها قاصرة على أهل الجنة، يتنعمون بها على قدر منازلهم، فأعلاهم منزلة من يرى الله سبحانه وتعالى بُكرَة وعَشيًا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣] اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهكَ الكريم والشوق إلى لقائك فى غير ضَرَّاء مُضرَّة ولا فتنة مُضلَّة، اللهم زيِّنا بزينةِ الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.. اللهم آمين، والله أعلم.

س٤- كيف تثبتون أن لفظ الجلالة (الله) دليل على وجود الله؟

ج٤- التسمية لا تكون إلا بعد وجود الْمُسمَّى، فنحن نقول (الشمس) لأنها موجودة وكذلك القمر والجبال والبحار... إلخ، فهل وجدتم اسماً لشىء غير موجود؟ فمثلاً: هل

كان اسم التليفزيون معروفاً قبل وجوده، أو الراديو أو غيرهما؟ وفى كل اللغات توجد كلمة تدل على (الله) وتعظّمه الفِطَرُ السليمة. والكفر نفسه دليل على الإيمان، لأن الكفر معناه (التغطية) فماذا يغطّون؟ هل يغطون شيئاً غير موجود؟ بل الله سبحانه وتعالى هو واجدُ الوجود وخالق كل موجود. ولفظ الجلالة (الله) ليس فقط دليلاً على وجود الله عز وجل، بل هو دليل على صدق رسالة سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [مريم:٦٥] أى أنه سبحانه وتعالى لا يوجد من يُسمَّى باسمه (الله) فهو عَلَمَ على ذاتهِ سبحانه وتعالى وحده لا يشاركه فيه أحد، ونحن نتحدى العالم بأسْرِهِ أن يدلنا على أى مخلوق اسمه (الله) ونتحداه أن يتجرأ أى أحد - كائناً من كان - على أن يسمى أى شىء بهذا الاسم، والله أعلم.

س٥- تقولون إن كل شىء من خلْق الله، فمن خلَق الله؟

ج٥- هذا السؤال لا يُطرح من الملحدين فقط، ولكن الشيطان يوسوس به لبعض المؤمنين، فإذا وجد أحدكم ذلك من نفسه فلا يحزن طالما أنه غير راضٍ عن هذه الوسوسة، وليعلم أنها من كيد الشيطان، وليستعذ بالله منه، لأن الشيطان لا يوسوس للكفرة ولا لأهل الخمّارات والمراقص والمخدرات، لأنهم جنوده وليسوا فى حاجة لتلك الوسوسة، فقد استراح من ناحيتهم، أما المؤمنون فهم الذين أتعبوه، فلا يزال يوسوس لهم، ويشككهم فى ربهم، وفى دينهم لعله يجد سبيلاً لإغوائهم، قال رسول الله ﷺ: **"إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول: من خلَقَ السماء؟ فيقول: الله، فيقول: من خلَقَ الأرض؟ فيقول: الله، فيقول: من خلَقَ الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنتُ باللهِ ورسولهِ"** [صحيح الجامع:١٦٥٦] وقال: **"يوشكُ الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلْق فمن خلَقَ الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا {ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} ثم لِيَتْفُل عن يسارهِ ثلاثاً وليستعذ من الشيطان"** [صحيح الجامع:٨١٨٢] وقد جاء جماعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: **"وقد وجدتموه؟"** قالوا: نعم، قال: **"ذاك صريحُ الإيمان"** [صحيح مسلم] وليس معنى هذا أن الوسوسة صريح الإيمان، لا- إن من لم يجد فى صدره حرجاً منها ورَضِيَ بها فهو كالمنافق الذى يُبطِنُ الكفرَ ويُظهرُ الإيمان، وهو مسئولٌ عنها،

فقد قال الله عز وجل: {يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق:٩-١٠] وقال: {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ} [العاديات:٩-١١] ولكن معناه أن استعظام هذه الوسوسة، وعدم قبولها، والتحرُّج منها، وعدم النطق بها، هو صريح الإيمان، لأن غير المؤمن يقولها علانية بغير خوف من الله كما ورد فى السؤال. ونقول لهؤلاء: لو افترضنا - جدلاً - أن أحداً خَلَقَ الله، فستقولون: من خلقه هو أيضاً؟ ثم آخر ثم آخر... إلى متى؟ إلى ما لا نهاية؟ فلابد أن يدرك العاقل وجود خالق لم يخلقه أحد، أوّلٌ ليس قبله شيء، وهذا فى عقيدتنا هو الله سبحانه وتعالى، الذي خلق كل شيء ولم يخلقه شيء {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ} [الإخلاص:٣-٤]، والله أعلم.

س٦- لماذا يتكلم الله عن نفسه تارة بصيغة المفرد وتارة بصيغة الجمع؟ فهل هو واحد أم أكثر؟

ج٦- الله سبحانه وتعالى يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع للعظمة، أو لوجود وسائط كالملائكة، مثل جبريل عليه السلام {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ} [الحجر:٩] {لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ} [البقرة:٩٩] {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ} [الحديد:٢٥] ومثل ملك المطر والرياح والرعد والبرق... إلخ {وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ} [ق:٩] وغيرها فى معناها كثير، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن طبيباً أجرى عملية جراحية لمريض ثم قال: أنا الذى أجريتها، لكان صادقاً، وكذلك لو قال: نحن أجرينا العملية، لكان صادقاً، لأنه فى المرة الأولى قصد نفسه، وفى الثانية قصد أن هناك فريقاً من الأطباء المساعدين أجْرَوْا معه العملية، أما الله سبحانه وتعالى فلا يحتاج معونة أحد، ولكنها وسائط من خلقه جل وعلا، وتعمل بإذنه. أمَّا فى التوحيد خاصَّةً فيتكلم ربنا سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة المفرد، لأن التوحيد لابد أن يكون واضحاً وضوح الشمس، حتى لا يلتبس أمره على أحد، وذلك مثل قوله تعالى: {إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠} [طه:١٤] {فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} [محمد:١٩] {قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد:٣٠] {قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الملك:٢٩] {يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ} [النحل:٢] {وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟

إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ} [النحل:٥١]، والله أعلم.

س٧- يقول القرآن: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ} [الأحزاب:٥٦] {هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} [الأحزاب:٤٣] فهل الله يصلي؟

ج٧- الصلاة فى الأصل (الدعاء) وهى صِلَة بين العبد وربه، فتكون من العبد الضعيف الفقير لله رب العالمين عبوديةً وذلاً وانكساراً، أمَّا من الله عز وجل فليست بالطبع ركوعاً وسجوداً كصلاتنا (حاشا لله سبحانه وتعالى) قال الله تعالى آمراً رسوله ﷺ: {خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ} [التوبة:١٠٣] فهل كان الرسول ﷺ يركع لهم ويسجد؟ أم كان يدعو لهم؟ فما بالكم بالله سبحانه وتعالى؟ إنما صِلَة من الغَنِى الْمُغنى القادر المقتدر الوهاب الرزاق، فهى ثناء من الله على عبده فى الملأ الأعلى وهداية وفضل ورحمة وبركة ... إلخ، ولنضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو وصل الفقير غنياً فماذا يريد منه؟ إنه يريد أن يأخذ منه مالاً أو هبةً أو عطاءً أو أى منفعة، ولكن لو وصل الغنى فقيراً فماذا يريد منه؟ إنه يريد أن يعطيه وأن يمنحه وأن يفيض عليه. والصلاة من الملائكة دعاء، فهم يدعون للرسول ﷺ {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ} [الأحزاب:٥٦] ويدعون للمؤمنين كما أخبر الله عز وجل عنهم فى قوله: {هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ} [الأحزاب:٤٣] ودعاؤهم للمؤمنين مثل ما ورد فى سورتى (غافر) و(الشورى). وصلاتنا على الرسول ﷺ هى أيضاً دعاء، كما أمرنا أن نسأل له الوسيلة والفضيلة بعد سماع الأذان، وأن نصلي عليه حيثما وَرَدَ ذِكْرُه، والله أعلم.

س٨- أنتم تحرِّمون عبادة الأصنام ثم تعبدون الأحجار، ألا ترون أنكم تطوفون حول أحجار تسمونها الكعبة؟ وتقبِّلون حجراً تسمونه الحجر الأسود؟ إذن فأنتم وثنيُّون من طراز آخر.

ج٨- نحن لا نعبد الكعبة ولكننا نعبد رب الكعبة، فهل وجد هؤلاء الحاقدون أحداً من المسلمين يدعو الكعبة أن ترزقه أو تشفيه أو تهديه... إلخ؟ إن الكعبة لا تستمد قدسيتها من الأحجار، ولكن من الله {وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ} [الحج:٢٩] ولو أننا نعبد الأحجار

لعبدنا أى حجر، ولكننا نعظم حجراً بأمر الله ونهين حجراً آخر بأمر الله، بدليل أننا نرمى الأحجار فى جمرة العقبة الكبرى والوسطى والصغرى، فالتعظيم لصاحب الأمر والنهى سبحانه وتعالى. ولقد أُمِرنا بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله جل وعلا، والكعبة أعظمها.. لماذا؟ لأن المساجد وضعت بأمر الله فى المكان الذى اخترناه، أما الكعبة فوضعت بأمر الله فى المكان الذى اختاره الله، فأيهما يكون أكثر تعظيماً؟. إن من رحمة الله بنا أن جعلها قبلتنا، ولولا ذلك لاختلفنا فيما بيننا، واختلفت عباداتنا، فكُلٌ يتجه حسب هواه. وأجيبونى يا من تدَّعون عبادتنا لها.. حين نقف فى المحراب ونركع ونسجد.. هل نعبده؟ إننا نقف فيه متوجهين للكعبة، سواء كان المحراب من حجر أو رخام أو خشب أو غيره، ونحن نعظم الحجر الأسود بتعظيم الله له، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حين قبَّله: والله إنى لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبّلتك. وسبحان الله.. إن الحجر الأسود آية من آيات الله جل وعلا، لأنه الحجر الوحيد الذى لا تنمو عليه أى ميكروبات أو فطريات، ولولا ذلك (بفضل الله) لانتقلت الأمراض المعدية بين ملايين البشر الذين يقبّلونه، كيف لا.. وهو من أحجار الجنة؟! قال رسول الله ﷺ: **"لولا ما مَسَّ الحجر من أنجاسِ الجاهلية ما مَسَّهُ ذو عاهة إلا شُفِيَ، وما على الأرض شىء من الجنة غيره"** [صحيح الجامع:٥٣٣٤] وقال: **"إن الرُكن والمقام ياقوتتان من ياقوتِ الجنة طمسَ الله تعالى نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب"** [صحيح الجامع:١٦٣٣] وهناك آية أخرى من آيات الله عز وجل، وهى أن اتجاه طوافنا حول الكعبة هو نفس اتجاه دوران الأرض والكواكب الأخرى حول الشمس، وهو نفس اتجاه دوران المجرات حول مراكزها، وهو نفس اتجاه دوران الإلكترونات حول النواة فى الذرَّة، والذى يوصَف بأنه عكس اتجاه عقرب الساعة.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس (سِفْر الخروج، الإصحاح٢٥) و(سِفْر يشوع، الإصحاح٣) و(سِفْر صموئيل الأول، الإصحاح٤) وغيرها من الأسفار، أن سيدنا موسى والأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - كانوا يعظمون (تابوت العهد) ويبخرونه، ويستنصرون به، ويدورون به فى المدينة، مثل ما جاء فى النَّص التالى، وغيره من النصوص: **فدار تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة. ثم دخلوا المَحِلَّة وباتوا فى المحلة فبكَّر يشوع فى الغد**

وحمل الكهنة تابوت الرب والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيراً وضاربون بالأبواق والمتجردون سائرون أمامهم والساقة سائرة وراء تابوت الرب. كانوا يسيرون ويضربون بالأبواق. وداروا بالمدينة فى اليوم الثانى مرة واحدة ثم رجعوا الى المحلة. هكذا فعلوا ستة أيام. وكان فى اليوم السابع أنهم بكّروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات. فى ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات. وكان فى المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها مُحرَّماً للرب. (يشوع٦: ١١-١٧)

وجاء فيه أن يشوع النبى عظَّم حجراً لأنه سمع كلام الله، وسيشهد على قومه: **وكتب يشوع هذا الكلام فى سِفر شريعة الله. وأخذ حجراً كبيراً ونَصَبَه هناك تحت البلوُّطة التى عند مَقْدس الرب. ثم قال يشوع لجميع الشعب. إن هذا الحجَر يكون شاهداً علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذى كلَّمنا به فيكون شاهداً عليكم لِئلا تجحدوا إلهكم.** (يشوع٢٤: ٢٦-٢٧) واليهود - للآن - يعظّمون حائط المبْكَى (وهو المسَمَّى عندنا بحائط البراق) ويرتلون عنده التوراة.

والنصارى يقبِّلون الصور والتماثيل التى يزعمون أنها للمسيح والعذراء، ومنهم من يسجد لهذه الصور والتماثيل لكى ينالوا منها البركة (على حَدِّ زعمهم) ويقولون إن تكريمها تكريم لله. ويعظمون الصليب، ويضعونه على جِبَاهِهِم، ويقبِّلونه، ويعتبرونه رمزاً لصَلْب المسيح (بزعمهم) مع أن المنطق يقتضى كراهيتهم للصليب أشد الكراهة. فمثلاً: لو أن ابن أحد منهم ذُبِحَ بسكِّين، هل كان أبوه يعظم السكِّين ويحبها، ويقول إنها رمز لذبح ابنى؟ أم إنه يكرهها، بل وتكون أبغض شىء إليه؟ فلو أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - صُلِبَ (كما يَدَّعون) لكان حَرِيّاً بهم أن يكون الصليب أبغض شىء إليهم، بدلاً من تعظيمه وإجلاله.

كما أنهم يتبرَّكون بفطيرة، يعملونها من الدقيق والزيت والماء، ثم يخبزونها، ويعملون لها طقوسًا معينة، ثم يأكلونها، ويشرب معها قليلاً من الخمر، ويقولون: إن مَن أكل من هذه الفطيرة، وشرب من هذا الخمر، فكأنما أكل لحم المسيح، وشرب دمه، فتسري فيه بركته!!

وقد جاء فى الكتاب المقدس - أيضاً - فى (تكوين٢٨: ١٠-٢٢) أن سيدنا يعقوب — على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان ذاهباً إلى (حاران) ليختبئ عند خاله (لابان) بعدما سرق من أخيه عيسو النبوة (بزعمهم) (قصة سرقة النبوة وهروبه من أخيه وردت فى الرد على الشبهة رقم ١٤٥) وفى الطريق وضع تحت رأسه حجراً ونام، فرأى رؤيا فهِمَ منها أن الله فى هذا المكان، فقام وأخذ الحجر وأقامه عموداً وصبَّ على رأسه زيتاً، وسمى هذا المكان (بيت إيل) أى بيت الله. وفى أسفار أخرى أنه سمى العمود الذى أقامه (المِصفاة) والمكان نفسه (بيت إيل) وكانوا بعد ذلك يطوفون حول هذا الحجر: **وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته. وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور فى بيت إيل والجلجال والمِصفاة ويقضى لإسرائيل فى جميع هذه المواقع.** (صموئيل الأول٧: ١٥-١٦)، والله أعلم.

س٩- إن الثبات فى نواميس الكون لا يعنى القدرة الكاملة لله لأنها لا تتغير، فهى رتابة وميكانيكية ثابتة، أما كمال القدرة وطلاقتها فهى فى الخروج عن هذه الميكانيكية، أما بقاء الثابت فى ثباته والساكن على سكونه فقد يعطى الدليل على دقّة القدرة وإبداع الخالق، ولكنه لا يعطى الدليل على القدرة على الخروج عن النظام الذى خلقه، وكأن الصنعة قد حكمته.

ج٩- الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، ولكنه سبحانه له الحكمة التامة فى كل شىء، فقد وضع نواميس للكون لا تتحمل التغيير، وهذا من كمال قدرته، وإلا- لفسد الكون ولوقع الضرر على جميع المخلوقات، ومنها الإنسان {وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ} [المؤمنون:٧١] فلو بعدت الشمس - مثلاً - عن الأرض لتحولت إلى كرة من الجليد ولدمرت جميع مظاهر الحياة، ولو اقتربت منها لأحرقت كل ما عليها، وغيرها الكثير من النواميس التى لو تغيرت لأحدثت خللاً رهيباً فى الكون، فهى ثابتة منذ ملايين السنين، لم يصبها عطب، ولم تحتجْ إلى راحة أو صيانة، فالشمس - مثلاً - مخلوقة منذ ملايين السنين ولم تتعطل يوماً لحين إصلاحها، أو تركيب قطع غيار لها، أو غير ذلك، فى حين أن أدق ماكينة من صنع البشر لابد أن تتعطل، وتتآكل أجزاؤها، وتحتاج لقطع غيار وتشحيم وصيانة، أما الكون فلم

يتعطل نظامه منذ خلقه الله سبحانه وتعالى، وما يطلبه الملحدون من خرق النواميس فهو عبث وتدمير للكون، وليس طلاقة قدرة، ولو حدث لقالوا: إن الكون تحكمه آلهة متعددة، وإن كل إله يغيّر ما يفعله الآخر {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:٢٢] إن النواميس التى خلقها الله جل وعلا لا تحكمه، أما البشر فتحكمهم قوانين صنعتهم، فلو ذهبت إلى خياط وأعطيته متراً من القماش وقلت له: اعمل لى بدلة وصديرى وبالطو.. لقال لك: لا أستطيع لأن الصنعة تحكمنى، أو قلت لنجار: اعمل لى غرفة نوم وسفرة وصالوناً وكذا وكذا من لوح خشبى.. لقال لك: لا أستطيع لأن قانون الصنعة يحكمنى، أما الله سبحانه وتعالى فلا تحكمه صنعته، فرغم ما جعله من هذا التناسق البديع والتوازن والثبات فى الكون، فقد خرق بعض نواميسه فى بعض الأحيان ولكن بحكمة، وبغير أن يفسد نظام الكون، ومن أمثلة ذلك ما حدث من سلب خاصية الإحراق من النار وإنجاء سيدنا إبراهيم منها، وإخراج الناقة العشراء من الصخرة لسيدنا صالح، وخلق سيدنا آدم بغير أب ولا أم، وخلق السيدة حواء بغير أم، وخلق سيدنا عيسى بغير أب، وتليين الحديد لسيدنا داود، وتسخير الرياح وتسييل النحاس لسيدنا سليمان، وقلب العصا إلى ثعبان وفلق البحر لسيدنا موسى، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى، وغير ذلك من المعجزات التى أيد الله بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفى المُشاهد من واقعنا أمثلة أخرى على خرق النواميس، ففى بنى آدم - مثلاً - معروف أن الذرية تأتى من اتصال الذكر بالأنثى، ولكن أحياناً يكون الزوج سليماً والزوجة سليمة ليس بهما أى معوّقات عن الإنجاب، وكل فحوصاتهما الطبية سليمة، ولكن يقدر الله جل وعلا ألا يُنجبا، حتى أنهما لو افترقا وتزوج كل واحد منهما لأنجب {لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى:٤٩-٥٠] وفى هذا حجة على الملاحدة الذين يقولون: إن كل شيء يسير بقانون لا يخرج عنه، فلو كان قولهم صحيحاً لَمَا وُجِد عقم على الإطلاق إلا بما يعترفون به من حالات مرضية، ولكن هذه الآية تتحدى البشرية باستمرار وجود حالات عقم مهما بلغت من تطور علمى فى اكتشاف وعلاج الأمراض، والمواليد التى لم تولد بنفس الصفات الخِلْقية لعامة البشر، والتى

يقولون عنها إنها (عيب خِلقى) هى أيضاً من خرق النواميس، ولكن هذه التسمية خطأ، فلا يصح من مسلم أن يقولها على أيَّة حال، حتى لو قالها أكبر أساتذة الطب، لأنه فى هذه الحالة ينسب العيب للصانع وليس للمصنوع، فلو أتيتنى مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - بكرسى له ثلاثة أرجل كلما جلست عليه وقعت، أيكون العيب فى الكرسى أم الذى صنعه؟ ولكن الله سبحانه ليس فى خلقه عيب {ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ} [السجدة:٧] {صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ} [النمل:٨٨] {إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩] {لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين:٤] ولكنه تغيير ربانى لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، سواء علمناها نحن أم لم نعلمها، فالأفضل فى هذه الأحوال أن نقول: مرض خِلْقى، أو كلمة تشابهها. ويقال إن سيدنا يونس - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعدما أمر الله الحوت أن يلقيه على الشاطئ.. وجد أطفالاً يلعبون، ووجد طفلاً جالساً حزيناً لا يلعب معهم، وعندما حقق فيه النظر وجده أعمى، فدعا الله أن يردّ إليه بصره، فاستجاب لدعوته وردّ بصره، ولكن ماذا حدث؟ كان أول شىء فعله هذا الطفل بعد أن ارتد إليه بصره أن رمى سيدنا يونس بالحجارة، وحرض الأطفال الآخرين أن يفعلوا مثله، فدعا الله أن يعميه كما كان لأنه مفسد فى الأرض، هذه القصة لم نتأكد من صحتها، ولكن ذكرناها للاستئناس، وأنه لابد من وجود حكمة فى تغيير خِلْقة بعض البشر عن الآخرين، ونحن فى عالم للكفر فيه قدم وساق، فلو كانت كل الأطفال تولد بصفات خِلْقية ثابتة لتطاول الجاحدون وقالوا: إن الذى يخلق ليس بوسعه أن يغير خِلْقته. وهناك الكثير والكثير من خرق النواميس حتى لا نظن أننا قد ملكنا الدنيا بالأسباب، وأن كل شىء ثابت ولن يتغير، فيصيبنا الأمان من مكر الله وعدم التوكل عليه، بل التوكل على الأسباب وحدها.

ونذكر من أمثلة خرق النواميس: بعض المناطق المعروفة بهطول الأمطار الغزيرة وبالشلالات التى تمد البلدان الأخرى بالمياه - مثل بعض منابع النيل فى أفريقيا - تأتى عليها فترة لا تمطر قطرة واحدة، حتى يكاد الحرث والنسل يهلك من شدة العطش، ولا يستطيع الإنسان بكل ما أوتى من علم أن يتنبأ بوقت الجفاف، أو يأخذ حذره فيعد لذلك عدته. فلو كانت الأسباب وحدها هى المسيِّرَة لهذا الكون لَمَا انقطعت هذه الأمطار عن تلك المناطق. وعلى العكس من ذلك قد تهطل الأمطار على مناطق صحراوية جافة لم

تعهد المطر قط، أو يأتى المطر فى الحر (كما يحدث عندنا فى بعض الأحيان) ولذلك قال رسول الله ﷺ إثر سماء كانت من الليل (أى فى صبيحة ليلة ممطرة): **"هل تدرون ماذا قال ربُّكم الليلة؟ قال الله: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب"** [متفق عليه] وأحيانا تأتى ليالٍ باردة فى الصيف وليالٍ حارة فى الشتاء.

وفى عالم الحيوان تجد صَبيّاً لا يتجاوز عمره بضعة أعوام يسحب جملاً أو ثوراً كبيراً لو وقع على سيارة لحطمها. وفى الهند تجد الطفلة الصغيرة تركب فوق ظهر الفيل الضخم دون أن تخاف منه، أو تمسك بزمامه وتضربه وتجعله يعمل فى الحقل حيث شاءت، مَن الذى سخر لنا هذه الكائنات العملاقة التى لو ثارت لَمّا وقف فى طريقها أحد؟ إنه القادر على كل شيء الذى لا يعجزه شيء. ولا يظن أحد أن هذا ذكاءٌ من ابن آدم أو مهارة، فإنه يعجز عن السيطرة على ما هو أضعف منها بكثير، فلا يستطيع أن يسيطر على ثعبان أو فأر أو ذئب أو ثعلب.. إلخ، ويَحَار فى السيطرة على ذبابة أو بعوضة أو برغوث أو بقّة تقلقه.

وفى عالم النبات.. تجد الفلاح يبذر الحبوب ويسقيها بالماء ويفعل كل ما كان يفعله من قبل، ثم تأتى آفة أو صاعقة على هذا الزرع فتهلكه دون أن يعرف لها أى سبب ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢] ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩-٢٠] أو يخرج النبات ولكنه أردأ بكثير مما كان متوقعاً ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨] فى حين أن هناك مناطق أخرى جدباء يخرج النبات فيها بإذن ربها دون بذر ولا حرث، مثل بعض الجبال الصخرية والمناطق الصحراوية، حتى إن البعض يسمى هذا النبات (زرع شيطانى) ولكن هذه التسمية خطأ.. لأن كل شيء بأمر الله جل وعلا، فالأرض والمطر والرياح والزرع وكل شيء لا يفعل بذاته ولكن بقدرة الله، حتى لا نتوكل على الأسباب وننسى الخالق سبحانه وتعالى.

وفى الجماد نرى ما يطرأ على الكرة الأرضية من زلازل وبراكين وانزلاقات أرضية وأعاصير وغير ذلك، والله سبحانه وتعالى لا يخلق هذه الأشياء عبثاً ولكنها بذنوب العباد، ففى الزلزال الذى حدث فى مصر عام ٩٢ ارتعدت قلوب الكثير من العباد وعادوا إلى ربهم، وفى اليوم الذى غامَت فيه السماء نَهاراً حتى أظلمت الدنيا تماماً وكأنه الليل، أصاب الكثيرَ من سكان القاهرة الرعبُ والفزع، وظنوا أن القيامة قد قامت، أليس هذا خرقاً للنواميس؟ وسبحان الله.. تجد الإنسان الذى بلغ من العلم ما بلغ لا يستطيع أن يتنبأ بوقوع الزلازل ولا يُقدِّر شدتها بمقياس (ريختر) إلا بعد حدوثها، فى حين أن الذى يشعر بقرب وقوعها بعض الحيوانات، وخاصة الفِئران والكلاب والحمير، فتراها تهرب فى اتجاه بعيد عن مصدرها، حتى إن الحيوانات المحبوسة فى الأقفاص يصيبها حالة من الهياج لأنها مقيدة لا تستطيع الفرار، وقد بدأوا فى عمل أبحاث باستخدام الفِئران فى المناطق التى تكثر فيها الزلازل كمحاولة للتنبؤ بوقوعها، وفى هذه الزلازل تحدث الأعاجيب، ففى حين أن المرء لا يقاوم العطش أكثر من ثلاثة أيام وبعدها يموت، فقد وجدوا فى الزلزال الذى حدث فى إيران امرأة عجوزاً تحت الأنقاض بعد عشرة أيام وهى ما زالت على قيد الحياة بدون ماء ولا غذاء.

وفى عالم البحار تكون الرياح أحياناً هادئة والأمواج غير عالية، وفجأة ينقلب كل شيء رأساً على عقب ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢]

ومن طلاقة قدرة الله جل وعلا أن يقصم الجبابرة كما فعل بفرعون وأمثاله، وأن ينصر المستضعفين كما فعل ببنى إسرائيل وأمثالهم، وما زالت طلاقة قدرة الله عز وجل ماثلة أمامنا حيناً بعد حين إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها، والله أعلم.

س١٠- إن الشرك عندكم أشد من القتل والسرقة والزنى والسحر والإبادة الجماعية والتطهير العرقى وكل الكبائر، وأن المشرك لا يغفر الله له أبداً، فلماذا كل هذا الغُلُوّ فى تحريم الشرك؟

ج١٠- إن كل ما ذُكِرَ فى السؤال من المعاصى أو لم يُذكَر فهو ظلم، والظلم أسوأ ما فى الوجود، وهو نوعان: إمَّا أن يكون ظلماً للنفس بتضييع حقها وتفويت حظها وتعريضها للعقاب، وإمَّا ظلماً متعديّاً للغير، إما بالاعتداء عليه بغير حق، أو تضييع حقه، أو أخذ حقه وإعطائه لغيره. فالذى يشرب الخمر - مثلاً - أو البانجو أو الدخان فقد ظلم نفسه لأنه عرَّضها فى الدنيا للفساد وفى الآخرة للعذاب، وكان بوسعه أن يطيع الله سبحانه وتعالى فتأخذ نفسه حقها من نعيم الآخرة زيادة إلى سلامتها فى العاجلة، حتى لو أن معصيته ليس فيها هلاك لنفسه فى الدنيا - بل قد يكون فيها متعة - فهذه المتعة ستزول عنه قريباً ويبقى وبالها عليه فى الآخرة، كما تقول الحكمة: رُبَّ لذةِ ساعة أورَثَت ذلاً طول العمر، وكما يُقال: ذهبت لذتها وبقيت حسرتها. أما الظلم المتعدى للغير فهو كالقتل والسرقة والسحر وغير ذلك. والظالم لغيره قد جمع بين ظلمين، لأنه قد ظلم نفسه أيضاً بمعصيته لله جل وعلا. وأعظم الظلم هو الشرك بالله سبحانه وتعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣] {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢] أى لم يلبسوا إيمانهم بشرك، فكلما زاد الظلم زادت عقوبته، ولذلك كانت عقوبة الشرك أشد عقوبة. ولكن لماذا كان الشرك ظلماً؟ لأنك صرفت حق الله عليك فى العبادة إلى غيره، ولأنك أشركت مع الله ما لا ينفعك ولا يضرك، وجعلت له نداً من خلقه، إمَّا صنماً أو حجراً أو شجراً أو شمساً أو قمراً... إلخ. وليس معنى هذا أن المشرك ظلم الله - حاشا وكلا - فجميع الخلق والكون كله فقير إليه، وهو سبحانه الغنى عمَّا سواه {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [البقرة:٥٧] قال رسول الله ﷺ: **"قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشركَ فيه معى غيرى تركتُه وشِركَه"** [صحيح الجامع:٤٣١٣] إن الشرك لا يطيقه أحد من البشر، فكيف بالله جل وعلا؟ حتى إن الإنسان يقول إذا تدخل فى شأنه أحد: (هو انت شريكى) ولا يلجأ أحد إلى الشركة إلا لضعفه أو فقره، والذين يشتركون فى عمل المشاريع كالشركات والمبانى والمصانع وغيرها، فهذا إمَّا لفقرهم وإمَّا لنقص خبرتهم، فيحتاجون لمساهمة غيرهم بالمال أو بالخبرة. ولو أن الذى يقوم بعمل مشروع ومعه المال الكافى والوقت والجهد والخبرة لَمَا أشرك معه أحداً. فكل

الإشراك علامة ضعف، لأنه يحدد تصرفاتك وقدراتك. والشرك لا يحبه أى إنسان، فلو قلت مثلاً لأحد: ستسكن فى مترل كبير على النيل وإيجاره قليل، ولكن سيشترك معك أحد فى غرفة واحدة أو فى دورة المياه، لقال لك (لا- ده يغور الشرك ولو فى اللبن) أو لو أن أحداً عرض عليك مبلغاً كبيراً من المال وأنت فى حاجة إليه لفقر ألَمَّ بك، ولكنه اشترط عليك أن يشاركك فى تربية أولادك.. أكنت ترضى؟ فالإنسان يرفض الشرك بجميع أنواعه إلا مضطراً، ويحب أن يستقل بماله وقراره وشأنه كله، أفينسبه لله جل وعلا؟ فى حين أنه لا يستغنى أحد بالملكية والقوة والقدرة عن الشريك استغناءً مطلقاً إلا الله عز وجل. وبالشرك تكون قد وضعت الشيء فى غير محله، وبذلك تكون قد فسدت وأفسدت، فهل يصلح مثلاً أن يذهب المريض للنجار؟ أو يذهب من يريد بناء مترل للجزار؟ فحين تعطى الأمر لغير مستحقه فإن ذلك يعود بالوبال على الأمة والدنيا كلها، قال رسول الله ﷺ: **"إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"** [صحيح الجامع:٨٢٦] وذلك كَتَوْلِيَة المرأة قاضية أو حاكمة لدولة أو رئاسة وزراء، أو تأمين الخائن على الخزائن، أو تَوْلِيَة الجاهل على العالم، والسفيه على العاقل.. إلخ. ثم هناك شيء آخر فيمن يشرك بالله أحداً سواه.. من الذين يعبدون الشمس أو القمر أو النجوم أو النار أو البقر أو غير ذلك من الآلهة المزعومة، هل هذه الآلهه تعى وتفهم؟ هل عندها منهج؟ هل تأمرهم وتنهاهم؟ هل ترضى عمَّن عبدها فتثيبه، وتغضب على من كفر بها فتعاقبه؟ ربما يقول مجادل: إن بعضهم يعى ويعقل، وينهى ويأمر ويثيب ويعاقب، مثل فرعون والنمرود، فنقول له كما قال سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ} [البقرة:٢٥٨] إنك عندما تستمد منهجك من غير الله – كمن يستمدون منهجهم من الشرق والغرب المنحرف، ومن عقولهم القاصرة – فإنك تفسد فى الأرض وتهلك الحرث والنسل، كما وأن الإبادة الجماعية لا يقوم بها إلا الكافرون والمشركون {لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} [التوبة:١٠] ومن يقرأ كتاب الزحف الأحمر للشيخ الغزالى – رحمه الله – يعلم ما فعله الملاحدة الروس فى المسلمين، فقد قتلوا فى يوم واحد تسعين ألف نسمة. ولمقارنة منهجهم الظالم بمنهج الإسلام العادل، نجد الله عز وجل يقول: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

مَأْمَنَهُ} [التوبة:٦] وكذلك فإن اختلاف المعبودين يحدث اختلافاً بين العابدين، فلابد أن يكون هناك سلطان واحد وقضاء واحد وأوامر واحدة ونواهٍ واحدة حتى يستقيم أمر العباد. وقد ذكرنا عقوبة الشرك فى الكتاب المقدس فى الرد على الشبهة رقم (٨٠) ونضيف هاهنا:

وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو الرب عن إسرائيل. فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور (عدد٢٥: ٣-٥)، والله أعلم.

س١١- يقول القرآن: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء:٩٢] {وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب:٢٥] {وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء:٩٩] وآيات أخرى كثيرة تصف الله بأنه {كان} فهل كان بهذه الصفات ثم ذهبت عنه؟

ج١١- لنسأل أولاً: ما هو الزمن؟ الزمن هو تعاقب الليل والنهار والشهور والسنين، وهو ناتج عن دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس، ودوران القمر حول الأرض، فدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس ينتج عنه تعاقب الليل والنهار، فينتج عن ذلك تعاقب الأيام، لأن الأرض تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة، فيكون نصفها المواجه للشمس نهاراً، والآخر ليلاً، ثم ينعكس الأمر. أما دوران القمر حول الأرض فينتج عنه تعاقب الشهور والسنين. فأين كانت هذه الأشياء قبل خلق السموات والأرض؟ فقبل وجودها كان لا يوجد زمان ولا مكان، والله سبحانه وتعالى كان حيث لا زمان ولا مكان، وهو الذى خلق الزمان والمكان. فالأزمنة عند الله سبحانه وتعالى كلها كأنها ماضية (وكما قلنا ليس معنى أنها ماضية أن عنده تغير أزمنة) فالله سبحانه وتعالى لا يتغير، ولا تتغير صفاته، فكلمة {كان} تعنى الدوام، أى أنها صفات ملازمة له منذ الأزل، وستبقى كائنة إلى الأبد. أما نحن فعندنا ماضٍ وحاضر ومستقبل، فنحن وجميع الكائنات نتغير بتغير الأزمنة، أما الله سبحانه وتعالى فهو الذى يُغيّر ولا يتغير، والله أعلم.

س١٢- طالما أن الله يعلم أهل الجنة وأهل النار فلِمَ لم يجعلهم فيها دون أن يخلقهم فى الدنيا ويوفر عليهم كل هذا العناء من أمراض ومصائب وحروب وكوارث وغير ذلك؟

ج١٢- لقد أراد الله بخلق آدم وذريته الخلافة فى الأرض، وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة:٣٠] {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] وأرسل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - لعباده حتى لا يكون لأحد على الله حجة فى معصية {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء:١٦٥] فلو أنه سبحانه وتعالى جعل أهل النار فيها مباشرة دون أن يخلقهم فى الدنيا لقالوا: لقد ظُلمنا ولم نُختَبر، ولو أننا اختُبرنا لكُنا مؤمنين، من قال إننا كفرنا أو عملنا كذا وكذا؟ وكذلك أهل الجنة لو رأوا من فوقهم من أهل الغُرَفِ لقالوا: لو أننا اختُبرنا لفعلنا مثلهم أو أكثر منهم، ولتهجدنا بالليل ولتصدقنا ولجاهدنا ولعملنا كذا وكذا أكثر مما كُتبَ لنا، ولَكُنا معهم فى منازلهم. إن البشر من طبيعتهم الجحود والنُّكران إلا مَن رَحِمَهُ الله، وقد ورد فى القرآن الكريم محاولة الكافرين الكذب على ربهم وإنكار أعمالهم، والحال أنهم مخلوقون، فكيف بهم لو لم يُخلَقوا؟، والله أعلم.

س١٣- القرآن يقرر أن المشركين والكافرين خالدون فى جهنم، وأنتم تقولون إن الله حَكَم عدل، فكيف يعذبهم كل هذا العذاب مع أنهم لم يشركوا أو يكفروا إلا لعدة سنوات؟

ج١٣- لو أردتَ أن تعلم أن أحداً أصيب بمرض السكر هل تحلل كل دمه أم تكفى عينة صغيرة؟ فهؤلاء الكفرة والمشركون - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - يعلم الله أنهم لو عاشوا مئات السنين لعاشوا على الكفر، حتى إنهم لو دخلوا النار ثم عادوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ} [الأنعام:٢٨] كما نرى المجرمين يقضون سنوات طويلة فى السجن والإهانة والتعذيب، وفَوْر خروجهم يعودون لما كانوا عليه من الإجرام. وكان المفروض أن تسأل أيضاً عن أهل الجنة لماذا يمتَّعُون إلى الأبد وقد عاشوا سنوات قليلة، ولكن - للأسف - أن كثيراً من الناس لا يذكرون إلا ما يؤذيهم، فتجدهم يتساءلون لماذا يفعل الله بى كذا وكذا.. من الأشياء التى لا تعجبهم، أما نِعَمه عليهم فيسكتون عنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، والله أعلم.

س١٤- يقول القرآن: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النساء:٨٧] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا} [النساء:١٢٢] لماذا تصرون على أن الله لا يكذب؟

ج١٤- أتظنوننا ننسب الصفات الذميمة لربنا؟ فلا أقلتنا أرضه ولا أظلتنا سماؤه لو نسبنا له ما ينافى تتريهه وكماله. إن الكذب نقيصة وخَصلة ذميمة، إذا وصف بها إنسان كانت فى حقه عيباً، أيوصف بها الله جل وعلا؟ حاشا لله سبحانه وتعالى {سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء:٤٣] ونريد أن نسأل: لِمَ يكذب الإنسان؟ يكذب لدفع ضر أو لجلب منفعة، فإذا عمل شيئاً ضاراً أنكر وقال لم أعمله.. مخافة العقاب، أو يكذب لجلب منفعة.. كأن يوجد شيء لا يُعرَف صاحبه فيدَّعى أنه له، أما الله عز وجل فهو الغنى عن العالمين، فلا يخاف من أحد ولا يرجو منفعة من أحد، بل هو القاهر فوق عباده والكل فقير محتاج إليه، قال سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى: **"إنكم لن تبلغوا ضُرّى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى"** [صحيح مسلم]

وقد جاء فى الكتاب المقدس وصف لله تبارك وتعالى بصفات لا يرضاها المرء لنفسه فضلاً عن خالقه جل وعلا، وقد ذكرنا بعض هذه الصفات فى الرد على الشبهة رقم (١٩) ونذكر هاهنا البعض الآخر:

وكانت الحيَّة أحيَل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله. فقالت للمراة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحيَّة من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهيَّة للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رَجُلَها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعَلِما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر (تكوين٣: ١-٧)

فى هذا النَّص يزعمون أن الله سبحانه وتعالى يكذب والحيَّة أصدق منه، لأن آدم وحواء أكلا من الشجرة فانفتحت أعينهما ولم يموتا.

لأن جهالة الله أحكم من الناس. وضعف الله أقوى من الناس (الرسالة الأولى إلى كورنثوس١: ٢٥)

افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ. (مزمور٥٠: ٢٢) (يزعمون أن قائل هذا هو الله جل وعلا)

يزعمون أن سيدنا أيوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وصف الله سبحانه وتعالى بقوله: **هُوَذا يهدم فلا يبنى. يغلق على إنسان فلا يفتح. يمنع المياه فتيبس. يُطلقها فتقلب الأرض. عنده العز والفهم. له المُضِل والمُضَل. يذهب بالمشيرين أسرى ويُحَمِّق القضاة. يُحل مناطق الملوك ويشد أحقاءهم بوثاق. يذهب بالكهنة أسرى ويَقلب الأقوياء. يقطع كلام الأمناء وينزع ذوق الشيوخ. يُلقى هواناً على الشرفاء ويُرخى منطقة الأشداء. يكشف العمائق من الظلام ويخرج ظل الموت إلى النور. يُكثر الأمم ثم يبيدها. يُوسّع للأمم ثم يجليها. ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ويُضلهم فى تيه بلا طريق. يتلمسون فى الظلام وليس نور ويُرَنِّحهم مثل السكران** (أيوب١٢: ١٤-٢٥) وبقوله: **دفعنى الله إلى الظالم وفى أيدى الأشرار طرحنى. كنت مستريحاً فزعزعنى وأمسك بقفاى فحطمنى ونصبنى له غَرَضاً. أحاطت بى رُمَاتة. شَقَّ كُلْيتى ولم يشفق. سَفَكَ مرارتى على الأرض. يقتحمنى اقتحاماً على اقتحام. يعدو علىَّ كجبار.** (أيوب١٦: ١١-١٤) وبقوله: **فاعلموا إذاً أن الله قد عَوَّجَنى ولفَّ علىَّ أُحبُولته.** (أيوب١٩: ٦)، والله أعلم.

س١٥- إن القرآن يأمرنا أن نؤمن بالمسيح قولاً واحداً جازماً {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ} [النساء:١٥٩] أما نبيكم فهو شاك فى أمر نفسه، بدليل قوله: {وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ} [سبا:٢٤] أفنتبع من هو شاك فى أمره أم الذى ليس فيه شك؟

ج١٥- قال العلماء: إن معنى الآية الأولى له احتمالان، إمَّا أن كل نصرانى يعلمُ عند موته بأن عيسى عبد الله ورسوله، فيتبين له أنه كان على الباطل فى عبادته إياه، لأن الحقائق تتكشف عند الموت، ويعلم الإنسان ما هو صائر إليه من جنة أو نار، وإمَّا أن يكون الضمير عائداً على سيدنا عيسى نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وذلك بعدما ينزل فى آخر الزمان ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، فيعلم أهل الكتاب فى زمانه أنه عبد الله ورسوله، وليس إلهاً كما يزعمون. أما قوله تعالى: {وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ} فهى أدب فى الحوار وليس شكاً، كما أمرنا تعالى فى قوله: {وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ}

[العنكبوت:٤٦] كما تختلف أنت وصاحبك فى أمر ما - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - فتقول له: لا يمكن أن نكون نحن الاثنان على حق، فلابد أن أحدنا على الحق والآخر على الباطل، فهل أنت شاكٌ فى نفسك أم أنك تحاوره بالأدب ليتفكر ويقارن بين الأمرين ليختار أصحهما؟ وهل هذا أفضل فى الإتيان بالنتيجة المرجُوَّة أم فَرْض رأيك عليه؟ ومن زيادة الأدب فى الحوار ما جاء فى الآية التى تليها، وهى قوله تعالى: {قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} فهل ما كان عليه الرسول ﷺ من الدعوة إلى التوحيد الخالص ومكارم الأخلاق إجراماً؟ وهل المجرم يقول عن نفسه إنه مجرم؟ وصدق رسول الله ﷺ: **"إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق"** [مسند أحمد، صحيح الجامع:٢٣٤٩]، والله أعلم.

س١٦- إن القرآن يقرُّ بأن المسيح كان يحيى الموتى، ولم يُثبت ذلك لأى نبى ولا لنبيكم، ولا يقدر على ذلك إلا الله بنص قرآنكم {قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [يس:٧٩] أى أن الذى يحيى هو الذى خلق أول مرة، فطالما أن المسيح كان يحيى الموتى.. إذن يكون هو الذى خلق، وتكون الحجة قامت عليكم بربوبيته.

ج١٦- إن القرآن لم يثبت إحياء الموتى للمسيح إلا وقد قرنه بإذن الله {وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ} [آل عمران:٤٩] {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى} [المائدة:١١٠] ولم يكن دأب المسيح أن يحيى الموتى بكثرة كما تظنون، إن الذين أحياهم لم يتجاوزوا ثلاث حالات على الأكثر، وقد ماتوا بعدما أحياهم مباشرة، ولم يستأنفوا حياتهم كسائر الأحياء، وقد وهبه الله سبحانه وتعالى هذه المعجزة لإثبات نبوته، كما كان المرسلون - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يؤيَّدون بالمعجزات كدليل على صدقهم ليؤمن بهم أقوامهم. وقد كان الطب هو العلم السائد فى زمن المسيح، فآتاهم الله بما يعجزهم فى مجال تخصصهم. ولم يكن إحياء الموتى قاصراً على المسيح وحده، فقد أثبت الكتاب المقدس هذه المعجزة لإيليا واليشع وحزقيال، ولم يزعم أى واحد منهم أنه إله، وإليكم بعض ما ورد بهذا الشأن:

وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبقَ فيه نسمة. فقالت لإليا مالى ولك يا رجل. هل جئتَ إلىَّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى. فقال لها

أعطينى ابنك. وأخذه من حضنها وصعد به أعلى العَلِيَّة التى كان مقيماً بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهى أيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأتَ بإماتتك ابنها. فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل به من العَلِيَّة إلى البيت ودفعه لأمه. وقال إيليا انظرى. ابنك حَيّ. فقالت المرأة لإليا هذا الوقت علمتُ أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق. (الملوك الأول١٧: ١٧-٢٤)

ودخل اليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسد الولد. ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه. (الملوك الثانى٤: ٣٢-٣٥)

ليس هذا فحسب، بل إن الكتاب المقدس أثبت إحياء الموتى لعظام اليشع بعد موته، فقال:

ومات اليشع فدفنوه. وكان غُزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه. (الملوك الثانى١٣: ٢٠-٢١)

وأثبت الكتاب المقدس إحياء جيش بكامله لحزقيال، فقال:

كانت علىَّ يد الرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاماً. وأمَرّنى عليها من حولها وإذا هى كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هى يابسة جداً. فقال لى يا ابن آدم أتحيا هذه العظام. فقلتُ يا سيد الرب أنتَ تعلم. فقال لى تنبأ على هذه العظام وقُل لها. أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام. ها أنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون. وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب. فتنبأتُ كما أُمِرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه.

ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق ولبس فيها الروح. فقال لى تنبأ للروح تنبّأ يا ابن آدم وقُل للروح هكذا قال السيد الرب هلمَّ يا روح من الرياح الأربع وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبّأتُ كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً. (حزقيال٣٧: ١-١٠)

وقد قال العلماء: إن معجزة انقلاب العصا إلى ثعبان لسيدنا موسى أعظم من معجزة إحياء الموتى، لأن إحياء الموتى لم يغير من طبيعة البشر، أما العصا فقد تغيرت حالتها من جماد إلى حيوان، وكذلك معجزة شق البحر لسيدنا موسى، وإخراج الناقة العشراء من الصخر لسيدنا صالح، وخلق سيدنا آدم بغير أب ولا أم، وخلق السيدة حواء بغير أم، فكل هذه المعجزات لا يقدر عليها إلا الله، و لم يَدَّعِ أحدٌ ممن أوتوها أنه هو الله. ولو كان القرآن أثبت الربوبية للمسيح - كما تدَّعون - لَمَا حكم على من عبدوه بالكفر {لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:١٧]

ثم إن المسيح نفسه لم يقل إنه الله، بل إنه تبرأ ممن ينسبون له الألوهية، وأقرَّ بأن ما يفعله من معجزات فهى من الله سبحانه وتعالى، وها هى بعض الأدلة التى ذكرها الكتاب المقدس:

ليس كل من يقول لى يار ب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يا رب أليس باسمك تنبأ وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أُصَرِّح لهم إنى لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم (متى٧: ٢١-٢٣)

وسأله رئيس قائلاً أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرِث الحياة الأبدية. فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله. (لوقا١٨: ١٨-١٩)

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله. (يوحنا٨: ٤٠)

لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية. فما أتكلم به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم (يوحنا١٢: ٤٩-٥٠)

أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى (يوحنا٥: ٣٠)

أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصرى قد تبرهن من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم. (أعمال الرسل٢: ٢٢)

والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته. (يوحنا٥: ٣٧)

ومتى أُخضِعَ له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس١٥: ٢٨)

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده. (متى٢٤: ٣٦) كيف يكون إلهاً وهو لا يعلم متى يوم القيامة؟

ولم يزعم أحد من تلاميذه أنه الله، واقرأوا إن شئتم:

فقال لهما وما هى. فقالا المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. (لوقا٢٤: ١٩-٢٠)

فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل (متى٢١: ١١)

فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. (يوحنا٦: ١٤)

وقد أمر بتوحيد الربوبية والألوهية فى كثير من المواطن، منها:

فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. (مرقس١٢: ٢٩)

لأنه الله واحد وليس آخر سواه. (مرقس١٢: ٣٢)

ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. (متى٧: ٢١)

وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلتَه. (يوحنا١٧: ٣)

ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات. (متى٢٣: ٩)

وفى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح وقال أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض (لوقا١٠: ٢١)

أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى. إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى. (يوحنا٧: ١٦-١٧)

وفى حديثه مع مريم المجدلية: **قال لها يسوع لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلاهكم.** (يوحنا٢٠: ١٧) نلاحظ أنه قال لها "اذهبى إلى إخوتى" فكيف يكون إلهاً ثم يصف أتباعه بأنهم إخوته؟

وحين أمره إبليس أن يسجد له: **قال له يسوع اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.** (متى٤: ١٠) فلو كان إبليس يعلم أنه الله أو ابن الله فكيف يطلب منه السجود له؟

والقارئ لكتابكم المقدس يجد أن كلمة (الرب) تعنى (المعلِّم): **فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان. فقالا ربى الذى تفسيره يا معلِّم أين تمكث.** (يوحنا١: ٣٨)

وحتى كلمة (إله) فليست خاصة به، بدليل: **فقال الرب لموسى انظر. أنا جعلتك إلهاً لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيّك.** (خروج٧: ١) **أنا قلت إنكم آلهة وبنو العَلىُّ كلكم.** (مزمور٨٢: ٦) **أجابهم يسوع أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلتُ إنكم آلهة.** (يوحنا١٠: ٣٤)

ونحن نتحدى أى إنسان أن يأتينا بنص فى الكتاب المقدس يقول إن المسيح عليه السلام قال لهم (أنا الله) أو قالوا له (يا الله) وحتى لو حدث ذلك فقد ورد عندهم إطلاق لفظ الجلالة (الله) على الملاك وعلى القاضى (أى أنه يحكم بحكم الله) كما جاء فى النصوص التالية: **فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران. فسقطا على وجهيهما إلى الأرض. ولم يَعُد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته. حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب. فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا قد رأينا الله.** (قضاة١٣: ٢٠-٢٢) **وإن لم يوجد السارق يُقدَّم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى مِلْك صاحبه. فى كل دعوى جناية من جهة ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو مفقود ما يُقال إن هذا هو تقدم إلى الله دعواهما. فالذى يحكم**

الله بذنبه يعوض صاحبه باثنين. (خروج٢٢: ٨-٩) **الله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى.** (مزمور٨٢: ١) (فى وسط الآلهة) أى فى وسط عِلْيَة القوم.

أما كلمة (أنا والآب واحد) فلم يختص بها المسيح عليه السلام وحده، بدليل قوله: **ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى. وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فىَّ ليكونوا مكمّلين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى.** (يوحنا١٧: ٢١-٢٣) **ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح.** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٦: ١٥) **لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.** (رسالة بولس إلى أفسس٥: ٣٠) **فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فىَّ وأنا فيكم.** (يوحنا١٤: ٢٠) **وأما من التصق بالرب فهو روح واحد.** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٦: ١٧) **لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم.** (متى١٠: ٢٠)

وأما ما ورد من سجود الناس له فى بعض الأناجيل فليس دليلاً على ألوهيته، فقد كان ذلك مباحاً فى الشرائع التى سبقت الإسلام، مثل ما حدث مع سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقد أثبت الكتاب المقدس هذا لغير المسيح عليه السلام، مثل ما حدث مع اليشع عندما أحيى الصبى بإذن الله، فسجدت له أمه: **فدعاها ولما دخلت إليه قال احملى ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت** (الملوك الثانى٤: ٣٦-٣٧) ومثل سجود سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأمه: **فدخلت بثشبع إلى الملك سليمان لتكلمه عن أدونيا. فقام الملك للقائها وسجد لها** (الملوك الأول٢: ١٩) (بثشبع) هى أم سيدنا سليمان بحسب ما جاء فى الكتاب المقدس.

وقد جاء وصف المسيح - عليه السلام - بأنه (ابن الإنسان) فى مواضع كثيرة جداً من الكتاب المقدس، منها: **لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ.** (متى١٢: ٤٠)

أما الروح القدس فشىء والمسيح شىء آخر، بدليل قوله: **ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له. وأما من قال على الروح القدس فلن يُغفر له لا فى هذا العالم ولا فى**

الآتى. (متى١٢: ٢٢) ولا يظن أحد ان الروح القدس خاص به وحده، بدليل: **فحَلَّ عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم** (صموئيل الأول١: ١٠) **وحَلَّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً.** (صموئيل الأول١٦: ١٣) **وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردىء من قِبَل الرب.** (صموئيل الأول١٦: ١٤) **وروحك القدوس لا تنزعه منى.** (مزمور٥١: ١١) **والله العارف القلوب شهد لهم مُعطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً. ولم يميّز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم.** (أعمال الرسل١٥: ٨-٩) **أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشترِيتُم بثمن. فمجّدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى الله** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٦: ١٩-٢٠) رجاء الانتباه لعبارة (التى هى الله)

وحتى كلمة (المسيح) فلم يختص بها المسيح عليه السلام وحده، فقد أطلقها الكتاب المقدس على أنبياء غيره: **فقال له داود كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب. ثم دعا داود واحداً من الغلمان وقال تقدم. أوقع به. فضربه فمات. فقال له داود دمك على رأسك لأن فمك شهد عليك قائلاً أنا قتلت مسيح الرب** (صموئيل الثانى١: ١٤-١٦) **فهذه هى كلمات داود الأخيرة. وحى داود بن يَسّى ووحى الرجل القائم فى العُلا مسيح إله يعقوب ومُرنّم إسرائيل الحُلْو.** (صموئيل الثانى٢٣: ١) **والآن قُمْ أيها الرب الإله إلى راحَتِكَ أنت وتابوت عِزّك... أيها الرب الإله لا ترد وجه مسيحك. اذكر مراحم داود عبدك** (أخبار الأيام الثانى٦: ٤١-٤٢)

وقد جاءت فى الكتاب المقدس صفات عن المسيح لا تليق بالربوبية أو الألوهية مطلقاً، من كونه كان جنيناً فى بطن أمه، ثم وُلِدَ ورضع واختتن.. إلى غير ذلك من الصفات التى لا تليق إلا بالبشر، وقد ذكرنا بعضاً من هذه الصفات فى الرد على الشبهة رقم (١٢٣) ونورد هاهنا بعض الصفات الأخرى:

فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تُدعَى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حُبلى. وبينما هما هناك تَمَّت أيامها لتَلد. فولدت ابنها البكر وقمَّطته وأضجعته فى المِذوَد إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل (لوقا٢: ٤-٧)

وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما (لوقا١١: ٢٧)

ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سُمِّىَ يسوع كما تَسمَّى من الملاك قبل أن حُبِلَ به فى البطن (لوقا٢: ٢١)

وكان الصبى ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح. (لوقا٢: ٤٠-٤١)

وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لوقا٢: ٥٢)

أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً (يوحنا٥: ٣٠)

فى الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع (متى٢١: ١٨)

بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان. (يوحنا١٩: ٢٨)

وكانت هناك بير يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البير. (يوحنا٤: ٦)

وكان هو فى المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له يا معلم أما يهمك أننا نهلك. (مرقس٤: ٣٨)

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ. من هو الذى ضربك. (لوقا٢٢: ٦٣-٦٤)

أإِلَه يُضرَب ولا يعرف حتى من يضربه؟!

أما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. (يوحنا١٩: ٣٣)

فهل الإله يجوع ويعطش ويتعب وينام ويموت؟ {سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤٣]، والله أعلم.

س١٧- هل الله يحتاج إلى القَسَم لتصدقه الناس، أو ليؤكد كلامه وهو أصدق القائلين؟ فعندكم فى القرآن أنه أقسم بالفجر، والشمس وضحاها، والقمر، وغير ذلك من المخلوقات.

ج١٧- إن كل الأشياء التى أقسم الله بها لها أهمية كبيرة فى حياة الناس، فكأن القسم

بها تنبيه على فضلها، ومن حق الله سبحانه وتعالى أن يقسم بما يشاء على ما يشاء، أما نحن فليس لنا أن نحلف إلا بالله، قال رسول الله ﷺ: **"من حلف بغير الله فقد أشرك"** [أبو داود والترمذى وأحمد، صحيح الجامع:٦٢٠٤] وعلى السائل أن يعود للكتاب المقدس فيقرأ: **لم يسمعوا لقول الرب الذين حلف الرب لهم إنه لا يريهم الأرض التى حلف الرب لآبائهم** (يشوع٥: ٦) **حلف الرب بيمينه وبذراع عزّته** (إشعياء٦٢: ٨) **فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه** (متى٢٣: ٢٠-٢٢) **أقسم الرب ولن يندم** (مزمور١١٠: ٤) **وقال بذاتى أقسمتُ يقول الرب** (تكوين٢٢: ١٦)، والله أعلم.

س١٨- يقول القرآن: {وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ} [التحريم:١٢] ويقول: {وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء:٩١] أليس هذا اعترافاً من القرآن بأن عيسى ابن الله لأنه نفخة من روحه؟

ج١٨- حين نقول: إن المساجد بيوت الله، فهل معنى ذلك أن الله يسكن فيها؟ وحين قال الله سبحانه وتعالى: {نَاقَةَ ٱللَّهِ} [الشمس:١٣] فهل هى {نَاقَةَ ٱللَّهِ} بهذا المعنى الساذج؟ ولو كان مفهوم الآية كما تقولون (فرضاً) لكان سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هو ابن الله أيضاً، لأن الله سبحانه وتعالى قال عنه: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى} [ص:٧٢] {ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ} [السجدة:٩] إن التعبير بهذا الأسلوب يُسمَّى فى اللغة (المجاز) كما قال الله عن سيدنا جبريل عليه السلام: إنه روح القدس {وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ} [البقرة:٨٧] وقال عن القرآن: {رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى:٥٢] إن روح الشىء هى التى تعطيه حيويته وتجعله يختلف عن الشىء الميت الذى ليس فيه حياة، فسيدنا جبريل (روح) لأن الله جعله يحى العباد بالوحى الذى أرسله به، والقرآن (روح) لأن به الحياة الحقيقية للإنسان، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال:٢٤] فقول الله سبحانه وتعالى عن سيدنا عيسى: {مِن رُّوحِنَا} أى (روح من عندنا)

ثم إن الذين يدّعون أن سيدنا عيسى ابن الله مخطئون بنص كتابهم، فقد قال عن نفسه إنه (إنسان) و(ابن الإنسان) كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٦) أمّا قوله عن

الله سبحانه وتعالى (أبي) فلا يعنى بها ما ذهبوا إليه من الأبوَّة الحقيقية، ولكنه قالها على سبيل المجاز، أى أنه شبَّه رحمة الله بعباده برحمة الأب بابنه، بدليل قول الكتاب المقدس:

والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك (إشعياء٦٤: ٨)

إنى أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. (يوحنا٢٠: ١٧)

احترزوا من أن تصنعوا صدقاتكم قدّام الناس لكى ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات. (متى٦: ١-٢)

لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه (متى٦: ٨)

انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يُقَوِّتها. (متى٦: ٢٦)

فقالوا له إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله. فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قِبَل الله وأتيت. لأنى لم آتِ من نفسى بل ذاك أرسلنى. (يوحنا٨: ٤١-٤٢)

وأما كلمة (ابن الله) فليس معناها البنوَّة الحقيقية، ولكن معناها (المؤمن بالله) وإلا- فلماذا قالها المسيح - عليه السلام - على أتباعه فى كثير من المواضع، ومنها قوله: **طوبى للأتقياء القلب. لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعى السلام. لأنهم أبناء الله يُدْعَوْن.** (متى٥: ٨-٩) **وأما الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه.** (يوحنا١: ١٢) **انظروا أيّة نصيحة أعطانا الآب حتى نُدعَى أولاد الله. من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه. أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله** (رسالة يوحنا الأولى٣: ١-٢) وقالها الكتاب المقدس عن أنبياء غيره، مثل قوله عن سيدنا يعقوب (إسرائيل): **فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. إسرائيل ابنى البكر.** (خروج٤: ٢٢) **لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوتُ ابنى.** (هوشع١١: ١) وعن سيدنا سليمان: **وقال لى إن سليمان ابنك هو يبنى بيتى ودياري لأنى اخترته لى ابناً وأنا أكون له أباً وأثبت مملكته إلى الأبد** (أخبار الملوك الأول١٨: ٦-٧) وعن سيدنا آدم: **آدم ابن الله** (لوقا٣: ٣٨) وعن سيدنا داود: **أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً.** (صموئيل الثانى٧: ١٤) وكذلك (كلمة الله) ليست خاصة به، بدليل: **نحن نعلم أن موسى كلمة الله** (يوحنا٩: ٢٩)

فهل بعد هذا تكابرون وتقولون إنه ابن الله؟ {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا} [مريم:٨٨-٩٤]، والله أعلم.

س١٩- لقد أثبت محمد لله يداً فى قوله: {يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح:١٠] **وأثبت له عيناً فى قوله:** {وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ} [طه:٣٩] **وأثبت له قدماً فى قوله:** "لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول {هَلْ مِن مَّزِيدٍ} حتى يضع فيها رب العزة قدمه، فيتروى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط وعزّتك وكرمك، ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خَلقاً آخر فيسكنهم فى فضول الجنة" [صحيح مسلم] **فهل هذه الصفات تتناسب مع تعظيمكم لله؟ ثم إن محمداً قد نسى فقال:** {وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} [القصص:٨٨] **إن معنى ذلك أن عين الله ويده وقدمه سيهلكون ولا يبقى إلا وجهه، فكيف يكون إلهاً إذن؟**

ج١٩- إن تعظيم الله سبحانه وتعالى فى الإسلام ليس له مثيل ولا نظير فى أى مِلّة أو نِحْلَة وُجِدَت على وجه الأرض، ولا داعى لسرد الأدلة على ذلك لأنها كثيرة ومعلومة. وسنبدأ بعون الله بالرد على الشبهة، ثم نذكر بعض ما نسبتموه للرب فى كتابكم المقدس:

إن الله عز وجل ليس مُركّباً من أجزاء كما تظنون، تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً، فمن جملة معانى اسم الله (الصمد) أنه ليس مركباً من أجزاء، وليس معنى ذلك أننا ننكر أو نكذب بالآيات أو الأحاديث التى تكلمت عن عين الله أو يده أو قدمه أو غير ذلك، ولكن مذهب أهل السنّة والجماعة فى مثل هذه الأمور أن يؤمنوا بها ويُمَرروها كما هى، بغير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما سُئِلَ الإمام مالك - رحمه الله - عن قول الله تعالى: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ} فقال: الاستواء معلوم، والكَيْف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وكما قال العلماء: كل ما خَطَرَ ببالك فهو هالك والله خلاف ذلك. فحين قال سبحانه وتعالى: {كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ} أى أن كل شيء هالك إلا ذاته سبحانه وتعالى، فكلمة الوجه تُطلَقُ ويُرادُ بها الكل، ويسمى هذا فى البلاغة

(المجاز المرسل) كما قال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ} [البقرة:١٥٠] فهل يجوز للإنسان أن يولّى وجهه شطر المسجد الحرام أثناء الصلاة وجسده متوجّه لغيره؟ وبمعنى آخر: هل يجوز أن يلوى المرء عنقه أثناء الصلاة فيجعل وجهه تجاه الكعبة واتجاه جسده إلى اليمين أو اليسار أو الخلف؟ ولكن لماذا قيل: {فَوَلِّ وَجْهَكَ} و{فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ}؟ إن هذا يثبت ما قلناه من أن الوجه يُطلَق ويُراد به الكل، ولكنه خُصِّصَ بالذكر لأنه أشرف شيء فى خِلْقَة الإنسان، كما يقال: فلان أقبل علينا بوجهه. ثم إن {كُلَّ شَىْءٍ} التى تسألون عنها قد ورد مثلها فى قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف:٢٥] ومعلوم أن الريح التى سخرها الله على قوم هود لم تدمر كل ما فى السماوات والأرض بما فيهما وما بينهما من شمس وقمر ونجوم.. إلخ، ولكنها دمرت كل شيء خاص بقوم هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فكذلك الآية التى نحن بصددها فهى تتحدث عن تدمير كل شيء من المخلوقات، ولا تتحدث عن الخالق سبحانه وتعالى.

والآن تعالوا بنا نستعرض بعض صفات الرب فى الكتاب المقدس وأستغفر الله لذكرها:

الرب يُصَفّر للذباب والنحل والناس: **ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يصفّر للذباب الذى فى أقصى ترع مصر وللنحل الذى فى أرض آشور فتأتى وتحل جميعها فى الأودية الخربة وفى شقوق الصخور وفى كل غاب الشوك وفى كل المراعى.** (إشعياء٧: ١٨-١٩) **فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفّر لهم من أقصى الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعاً.** (إشعياء٥: ٢٦) **أصفّر لهم وأجمعهم لأنى قد فديتهم ويكثرون كما كثروا.** (زكريا١٠: ٨)

الرب يبكى ويصرخ ويولول، ويمشى حافياً وعرياناً: **لتذرف عيناى دموعاً ليلاً ونهاراً ولا تَكُفّا** (إرميا١٤: ١٧) **من أجل ذلك أنوح وأولول. أمشى حافياً وعرياناً. أصنعُ نحيباً كبنات آوى ونوحاً كَرِعَال النعام.** (ميخا١: ٨) والدليل على أن هذا كلام الرب (بزعمهم) ما جاء فى أول السِّفْر: **قول الرب الذى صار إلى ميخا المورشتى... إلخ.**

الرب حلاق: **فى ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مُستأجَرَة فى عبر النهر بملك أشور الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية أيضاً.** (إشعياء٧: ٢٠) والدليل على أن (السيد) تعنى

عندهم (الرب) ما جاء فى الإصحاح نفسه: **هكذا يقول السيد الرب** (العدد٧) **ولكن يعطيكم السيد نفسه آية.** (العدد١٤)

الرب يصفّق: **يقول السيد الرب فهأنذا قد صفّقت بكفّى** (حزقيال٢٢: ١٢-١٣) **وأنا أيضاً أصفّق كفّى على كفّى وأسكّن غضبى. أنا الرب تكلمتُ** (حزقيال٢١: ١٧)

الرب يسهر: **ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والإهلاك والأذى كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب.** (إرمياء٣١: ٢٨)

الرب يندم: **فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه** (الخروج٣٢: ١٤) **والرب ندم لأنه ملّك شاوُل على إسرائيل** (صموئيل الأول١٥: ٣٥)

الرب يبكى وتَرِن أحشاؤه: **لذلك أبكى بكاء يعزير على كرمة سبمة أرويكما بدموعى يا حشبون وألعالة... لذلك ترِن أحشائى كعود من أجل موآب وبطنى من أجل قير حارس... هذا هو الكلام الذى كلم به الرب موآب منذ زمان.** (إشعياء١٦: ٩-١٣)

يشبهون معبودهم بالخروف، فى حين أنهم يقولون عن الإنسان إنه أفضل من الخروف: **هؤلاء سيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك** (رؤيا يوحنا١٧: ١٤) **فقال لى واحد من الشيوخ لا تبكِ. هُوَذا قد غلب الأسد الذى من سِبط يهوذا أصل داود ليفتح السِّفْر ويفُك ختومه السبعة ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض. فأتى وآخذ السِّفْر من يمين الجالس على العرش. ولَمّا آخذ السِّفْر خرَّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخوراً هى صلوات القديسين. وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مُستحِق أنتَ أن تأخذ السِّفْر وتفتح ختومه لأنك ذُبِحتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلَهنا ملوكاً وكَهنة فسنملك على الأرض. ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم مُستحِق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما**

على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة. للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين. وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين. والشيوخ الأربعة والعشرون خروا وسجدوا للحى إلى أبد الآبدين (رؤيا يوحنا٥: ٥-١٤) ثم جاء إلى واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات المملوّة من السبع الضربات الأخيرة وتكلم معى قائلاً هَلمَّ فأُريكَ العروس امرأة الخروف... وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر... ولم أرَ فيها هيكلاً لأن الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها... ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين فى سِفْر حياة الخروف (رؤيا يوحنا٢١: ٩-٢٧) وأرانى نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلّور خارجاً من عرش الله والخروف. فى وسط سوقها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتى عشرة ثمرة وتعطى كل شهر ثمرها. وورق الشجرة لشفاء الأمم. ولا تكون لعنة ما فى ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه. (رؤيا يوحنا٢٢: ١-٣) لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عُرْس الخروف قد جاء وامرأته هيّأت نفسها... وقال لى اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرْس الخروف. (رؤيا يوحنا١٩: ٧-٩) فالإنسان كم هو أفضل من الخروف. (متى١٢: ١٢)

الرب تعب من خلق السموات والأرض فى ستة أيام، فاستراح فى اليوم السابع: وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل. فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً (تكوين٢: ٢-٣)

الرب لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة، ولم يعرف مكانه لأنه اختبأ منه: وسَمِعاً صوت الربّ الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التى جعلتها معى

هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. (تكوين٣: ٨-١٢)

الرب خاف من آدم أن يأكل من شجرة الحياة فيحيا مثله إلى الأبد، فطرده من الجنة ووضع عليها حراسة حتى لا يدخلها: **وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة** (تكوين٣: ٢٢-٢٤)

الرب حزن لأنه خلق الإنسان، فأغرقه بالطوفان أيام سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ثم ندم وقرر ألا يغرقه مرة أخرى، ووضع لنفسه علامة فى السماء وهى (قوس قزح) حتى إذا أراد أن يهلكه يذكّره هذا القوس بميثاقه ألا يفعل: **فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض. وتأسّف فى قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السماء. لأنى حزنتُ أنى عملتهم.** (تكوين٦: ٦-٧) **وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد مُحرَقات على المذبح. فتنسّم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصوّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حى كما فعلت.** (تكوين٨: ٢٠-٢١) أى أن سيدنا نوحاً بنى لله مذبَحاً، وشوى له فى هذا المذبح كل ما جمعه من الحيوانات والطيور الطاهرة، فأعجبته رائحة الشّواء، وقرر ألا يغرقهم مرة أخرى: **وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً. وها أنا مُقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التى معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التى معكم من جميع الخارجين من الفُلك حتى كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضاً بمياه الطوفان. ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض. وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس فى السحاب أنى أذكُر ميثاقى الذى بينى**

وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد. فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذى جسد. فمتى كانت القوس فى السحاب أُبْصِرُها لأذكُر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض. وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذى أنا أقمته بينى وبين كل ذى جسد على الأرض (تكوين٩: ٨-١٧)

الرب له صفات كصفات الحيوانات: الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمماً مضايقيه ويقضِم عظامهم ويحطم سهامه. جَثَمَ كأسد رَبَضَ كَلَبْوَة (عدد٢٤: ٨) وأنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواى لست تعرف ولا مخلّص غيرى. أنا عرفتك فى البرية فى أرض العطش. لما رَعَوا شبعوا. شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسونى فأكون لهم كأسد. أرصد على الطريق كنمِر. أصدمهم كَدُبَّة مثكل وأشقُّ شغاف قلبهم وآكُلُهُم هناك كلبْوَة. يمزقهم وحش البرية (هوشع١٣: ٤-٨) فأنا لأفرايم كالعَث ولبيت يهوذا كالسوس (هوشع٥: ١٢) لأنى لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد فإنى أنا أفترسُ وأمضى آخذ ولا مُنقذ. أذهب وأرجع إلى مكانى حتى يُجَازوا ويطلبوا وجهى. فى ضيقهم يُبكرُّون إلىَّ (هوشع٥: ١٤-١٥) هَلُمَّ نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا. (هوشع٦: ١) وأنت فتنبأ عليهم بكل هذا الكلام وقل لهم. الرب من العلاء يزمجر ومن مسكن قدسه يطلق صوته يزئر زئيراً على مسكنه بهتاف كالدائسين يصرخ ضد كل سكان الأرض. (إرمياء٢٥: ٣٠)

الرب غار من خلقه لأنهم بنوا مدينة وبُرجاً وتفاهموا مع بعضهم بلسان واحد، فنزل إليهم ودمر مدينتهم، وبلبل ألسنتهم، فلذلك تعددت لغاتهم حتى لا يفهم بعضهم بعضاً: وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة. وحدث فى ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة فى أرض شِنعار وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض هَلُمَّ نصنع لِبناً ونشويه شيّاً. فكان لهم اللبِن مكان الحجر وكان لهم الْحُمَرُ مكان الطين. وقالوا هَلُمَّ نبنِ لأنفسنا مدينة وبُرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هَلُمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.

فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفُّوا عن بنيان المدينة. لذلك دُعِيَ اسمها بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض (تكوين١١: ١-٩) أين هذا من قول ربنا تبارك وتعالى {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ} [الروم:٢٢]؟

الرب يظهر ليعقوب على هيئة إنسان ويتشاجر معه، ويكاد يعقوب يغلبه لولا أنه كسر فخذه، و لم يتركه يعقوب حتى باركه: فبقي يعقوب وحده. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذه. فانخلع حُق فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركنى. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لا يُدعَى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدتَ مع الله والناس وقَدَرْتَ. وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. قائلاً لأنى نظرتُ الله وجهاً لوجه ونجِّيتُ نفسي. وأشرقت له الشمس إذ عَبَرَ فنوئيل وهو يَخمَع على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عِرق النَّسا الذى على حُق الفخذ إلى هذا اليوم. لأنه ضرب حُق فخذ يعقوب على عِرق النَّسا (تكوين٣٢: ٢٤-٣٢)

الرب وملائكته يظهرون لإبراهيم ويأكلون عنده: وظهر له الرب عند بلوطات مَمْرَا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليُؤخَذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة. فآخذ كِسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون. لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً. اعجنى واصنعى خبز مَلَّة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدَّامهم. وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا (تكوين١٨: ١-٨)

الرب يأمر بالزنى: أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك

امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب. فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابناً. (هوشع١: ٢-٣)

الرب يأمر بالسرقة: ثم قال الرب لموسى... تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امراة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب. وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين. (خروج١١: ١-٣) بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين (خروج٣: ٢٢) وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً. وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين (خروج١٢: ٣٥-٣٦)

الرب يتشفّى: من أجل ذلك حى أنا يقول السيد الرب من أجل أنك قد نجست مقدسى بكل مكرهاتك وبكل أرجاسك فأنا أيضاً أجُز ولا تشفق عينى وأنا أيضاً لا أعفو. ثلثك يموت بالوباء وبالجوع يفنون فى وسطك وثلث يسقط بالسيف من حولك وثلث أذرّيه فى كل ريح وأستلُّ سيفاً وراءهم. وإذا تم غضبى وأحللتُ سخطى عليهم وتشفّيت يعلمون أنى أنا الرب (حزقيال٥: ١١-١٣)

الرب يتملّق ويلاطف: لكن هَأنذا أتملّقُها وأذهب بها إلى البرية وألاطفها (هوشع٢: ١٤)

الرب ضعيف البصر لا يستطيع أن يرى من فوق، بل لابد أن ينزل ليتأكد: فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. (تكوين١١: ٥) وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيّتهم قد عظمت جداً. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى. وإلا فأعلم. (تكوين١٨: ٢٠-٢١)

الرب يأمر بوضع علامة على بيوت اليهود، حتى إذا رآها لا يدمرهم مع من يدمرهم من المصريين: ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعبُر عنكم. فلا يكون عليكم ضَرْبَة للهلاك حين أضرب أرض مصر. (خروج١٢: ١٣) فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح. وخذوا باقة زوفاً واغمسوها فى الدم الذى فى الطّست ومسُّوا العتبة

العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطّست. وأنتم لا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين. فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبُر الرب عن الباب ولا يَدَعُ المهلك يدخل بيوتكم ليضرب. فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد. (خروج١٢: ٢١-٢٤)

الرب لا يعرف أن صوت المياه اسمه (خرير) وليس (هدير) ويتضجَّر من أصوات الشعوب: **آه ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة.** (إشعياء١٧: ١٢)

الرب يُصاب بالتُّخمة: **لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمتُ من مُحرَقات كِباش وشحم مُسَمَّنات.** (إشعياء١: ١١)

الرب يعاقب بكشف العورة: **لكى تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا أجرِّدها عريانة وأُوقفها كيوم ولادتها** (هوشع٢: ٢-٣) **والآن أكشف عورتها أمام عيون محبّيها ولا ينقذها أحد من يدى.** (هوشع٢: ١٠)

الرب يخطب ويتزوج وينجب: **ويكون فى ذلك اليوم يقول الرب أنكِ تدعينى رَجُلى ولا تدعينى بعدُ بَعلى.** (هوشع٢: ١٦) **وأخطُبكِ لنفسى إلى الأبد وأخطبكِ لنفسى بالعدل والحق والإحسان والمراحم. أخطبكِ لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب.** (هوشع٢: ١٩-٢٠) **أخذتِ بنيكِ وبناتكِ الذين وَلَدْتِهِمْ لى** (حزقيال١٦: ٢٠) **كانتا لى وولدتا بنين وبنات** (حزقيال٢٣: ٤) والغريب أنهم يدافعون عن هذا وأمثاله مما نُسِبَ لله سبحانه وتعالى من الزواج والخِطْبَة والإنجاب بأن هذا تشبيه لعلاقة الله بالأمم والناس بعلاقة الزوج بزوجته، أى أنها تعبيرات مجازية وليست حقيقية. ونقول لهم: ألا كان الأولى أن يكون التشبيه بعلاقة الأب بابنه بدلاً من ذكر هذه الألفاظ الجنسية الصارخة (كما ورد فى نشيد الأنشاد وحزقيال: الإصحاح١٦، والإصحاح٢٣) وخاصة أنكم أطلقتم كلمة (أبناء الله) فى كثير من المواضع فى كتابكم المقدس، وتعنون بها (المؤمنون بالله)؟ ومن هذه المواضع: **أبناء الله الحى** (هوشع١: ١٠) ومواضع أخرى كثيرة كالتى ذكرناها فى الرد على الشبهة رقم (١٨) ولا يُفهَم من كلامى جواز تشبيه العلاقة بين الله وخلقه بعلاقة الأب بابنه، فسبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولكن هذا من باب المماراة فحسب.

وفيما يلى صفات أخرى للرب وردت فى الكتاب المقدس أيضاً:

لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طُرُقكم طُرُقى يقول الرب. (إشعياء٥٥: ٨)

مصارعات الله قد صارعت أختى وغلبت. (تكوين٣٠: ٨)

لأن إلهنا نار آكلة (الرسالة إلى العبرانيين١٢: ٢٩)

فاستيقظ الرب كنائم كجبار مُعَيِّط من الخمر. (مزمور٧٨: ٦٥)

فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة (عدد١٢، ٥)

اسكتوا يا كل البشر قُدّام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه (زكريا٢: ١٣)

ويكون لك وتد مع عدّتك لتحفر به عندما تجلس خارجاً وترجع وتغطى برازك. لأن الرب إلهك سائر فى وسط محلتك... فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك قذر شيء فيرجع عنك (تثنية٢٣: ١٣-١٤)

حجبوا عيونهم عن سُبُوتى فتدنستُ فى وسطهم. (حزقيال٢٢: ٢٦)

فى سنة وفاة عُزيّا الملك رأيتُ السيّد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. (إشعياء٦: ١) (السيّد) معناها الرب.

الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صَمَتُّ منذ الدهر سَكَتُّ تَجَلَّدتُ. كالوالدة أصيح. أنفُخُ وأنخُرُ معاً. أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعلُ الأنهار يبساً وأنشّفُ الآجام (إشعياء٤٢: ١٣-١٥)

فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى دخل أذنيه. فارتجت الأرض وارتعشت. أسُسُ السماوات ارتعدت وارتجت لأنه غضب. صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكَلَت. جمر اشتعلت منه. طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على كَرُوب وطار وَرُئِىَ على أجنحة الريح. (صموئيل الثانى٢٢: ٧-١١) الكروب معناها عندهم أنثى الملائكة.

هوذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار آكلة. ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة. لغربلة الأمم بغربال السوء... ويُسمِعُ الرب جلال صوته ويُرى نزول ذراعه بِهَيَجَان غضب ولهيب نار آكلة نوء

وسيل وحجارة برد... نفخة الرب كنهر كبريت توقدها (إشعياء٣٠: ٢٧-٣٣)، والله أعلم.

س٢٠- أنتم تقولون: {إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهل يستطيع أن يخلق إلهاً مثله؟

ج٢٠- لو خلق الله ما تطلبون لكان هذا المخلوق ليس إلهاً، لأن الإله يَخلُق ولا يُخلَق، والله أعلم.

س٢١- ما هى فائدة التوحيد للمسلمين؟ وما هو الخير الذى يعود عليكم منه وحالكم كما تعلمون الآن من الذلة والهوان؟ ألا يكفي الاعتراف بأن للكون خالقاً؟

ج٢١- إن هذا الكلام كفر وإلحاد، إذ كيف يعترف الإنسان بأن له خالقاً ثم لا يعبده؟ إن توحيد الألوهية يريح البشرية، فالذى له أرباب متفرقون كالعامل الذى له مجموعة من الرؤساء، أو الجندى الذى يخدم مجموعة من الضباط، كلّ له أوامره التى تختلف عن الآخر، فتراه حائراً بينهم لا يدرى من يُرضى؟ فلاناً أم فلاناً أم فلاناً؟ فالأوامر متعددة، والنواهي متخبطة، أما الموحد فقلبه مستريح، وعقله مستريح، وفكره غير مشتت، ونفسيته غير مضطربة، لأن الخالق واحد، والرزاق واحد، ومدبر الأمر واحد، والمشرِّع واحد، والآمر واحد، والناهى واحد.. إلخ. قال تعالى: {ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر:٢٩] وقال: {ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ} [يوسف:٣٩] فالخير كل الخير فى توحيد الله، والشر كل الشر فى الشرك بالله، أما الخير الدنيوى للتوحيد فكثير، فهو يجمع شمل المسلمين على كتاب واحد ورسول واحد (ﷺ) وَقِبْلَة واحدة.. إلخ، وإذا حققوه فى أنفسهم وأهليهم وكل معاملاتهم ففيه عزتهم وكرامتهم ونصرهم، أما الخير الأخروى فهو نجاتنا من النار ودخولنا الجنة، قال رسول الله ﷺ: **"يا مُعاذ! هل تدرى حقَّ الله على عباده وما حقُّ العبادِ على الله؟ فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقَّ العبادِ على الله أن لا يعذب من لا يشركُ بهِ شيئاً"** [صحيح البخارى] أما حالنا فهو لا يخفى علينا، وهذا من تفريط بعضنا - بل معظمنا - فى حق ربنا، أما لو رجعنا إلى ربنا، واتبعنا هدى نبينا ﷺ فسيصلح الله حالنا، ويُمَكِّن لنا كما مَكَّن لأسلافنا، كما قال تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ} [النور:٥٥] وقد تكلمنا من قبل على موضوع الشرك، وتكلمنا أيضاً على موضوع التخلف والفقر والمرض الذى أصاب المسلمين، والهزيمة التى لحقت بهم فهى من ترك الصلاة، والتبرج، وسب الدين، وأكل الربا، وشرب الخمور، وإشاعة الفاحشة، وغير ذلك كثير مما لا يخفى على أحد، ومن أكبر أسبابها الركون إلى الدنيا وترك الجهاد فى سبيل الله، قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ} [التوبة: ٢٤] وقال: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة:٣٨] وقال رسول الله ﷺ: **"يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكَلَة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قِلَّة يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، يجعل الوَهْن فى قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت"** [صحيح الجامع:٨١٨٣] وقال: **"إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"** [صحيح الجامع:٤٢٣] وقد حدث ما قاله الرسول ﷺ بالحرف الواحد، فَهَا نحن قد أصبحنا أذلة، وتكالبت علينا الأمم من كل صوب وحدب، ولم يصبح لنا وزن بين الأمم، حتى إن اليهود قالوا عنا فى فترة الستينيات: (يفطروا فول ويتغدوا كرة ويتعشوا أم كلثوم) وعندهم حق، فقد تخاذل المسلمون ونكصوا عن الجهاد ولم يُعدُّوا له عُدَّته كما أمرهم الله عز وجل فى قوله: {وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠] ولم يقتصر الأمر على تخاذلهم عن الجهاد بأنفسهم، بل إنهم قد تخاذلوا عن بذل أموالهم فى سبيل الله لنصرة إخوانهم المستضعفين فى كل مكان، ولم يعد لهم شاغل إلا السعى على أرزاقهم، وتضييع أوقاتهم فى مشاهدة الكرة والأغانى والأفلام والمسلسلات والمسرحيات، والتفنن فى أنواع الأطعمة والملابس والمفروشات..

إلخ، لدرجة أنهم ينفقون آلاف الجنيهات فى تزيين منازلهم، بل ودورات مياههم، ولا ينفقونها فى سبيل الله، ويعرفون كل شىء فى الدنيا إلا دينهم، وأصبح اهتمام شباب الأمة - الذين هم أملها فى جهاد أعدائها - هو المشى مع البنات، والانشغال بالكرة، ومعرفة أسماء اللاعبين العرب والأجانب، حتى الاحتياطى منهم، ومن سيفوز بكأس العالم، وما هى الدولة التى تقام بها الأوليمبيات، ولا يعلمون شيئاً عن دينهم، ويقلدون الأجانب فى لبسهم وكلامهم وتسريحة شعرهم وفى كل أحوالهم، ولا يقلدون نبيهم ﷺ، وترى المساجد خاوية أثناء إذاعة مباريات الكرة، وخاوية فى صلاة الفجر إلا القليل، وغير ذلك مما يطول شرحه، ولا فائدة من ذكره، إلا قليلاً من الموحدين المخلصين الذين لا يضرهم من خالفهم، وهم الذين بشرنا بهم نبينا محمد ﷺ فى قوله: **"لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمرِ الله قاهرينَ لعدوهم لا يضرهم مَن خالفَهُم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك"** [صحيح مسلم]

إن الدين أصله التوحيد، ومن هذا التوحيد تنبثق الشريعة، وهى ما شرعه الله من التحليل والتحريم والأوامر والنواهى، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر.. إلخ، ويترتب على هذه الشريعة نظام يشمل جميع نواحى الحياة، وكى تظهر هذه الشريعة فلابد لها من تطبيق فى حياة الناس، ولابد لها من رجال يذودون عن حياضها، أم أن الدين سينتصر بغير رجال؟ ولو أن ديننا عبارة عن كهنوت فقط (أى عبادة) لعاوننا أشد أعدائنا على عبادة ربنا، وربما بنوا لنا المساجد ودور العبادة على أفخم طراز وأبهاه، ولكنهم يحاربوننا لأنهم يعلمون أن ديننا يشمل جميع نواحى الحياة، وأخطر ما فى ذلك عليهم هو الحكم بما أنزل الله، فإن ذلك سيعطل مصالحهم السياسية والاقتصادية والفكرية.. إلخ، فإنه يحرم الربا.. فماذا تفعل بنوكهم؟ الخمر حرام.. فماذا يفعلون فى حوانيتهم ومصانع خمورهم؟ الزنى وكل ما يؤدى إليه من الفواحش حرام.. فماذا يفعلون بإعلامهم الهابط الذى يشجع على ارتكاب الفواحش من أفلام جنسية ومسلسلات ومسرحيات، ومؤلفات هابطة، وأغانٍ ماجنة وموسيقى صاخبة؟ لا اختلاط بين الرجال والنساء.. فأين تذهب منتجعاتهم السياحية؟ لا تبرج..فماذا تفعل بيوت أزيائهم ومعارضهم؟

إن الدين صرح شامخ لا بد له من نظام، ومن رجال أشدّاء يحمون هذا النظام، فهل

هناك مبنى عملاق ليس له نظام؟ أو ليس له بواب أو حارس؟ وهذا النظام يشمل (بالإضافة لما سبق): غض البصر، صدق الحديث، حسن الجوار، عدم التطفيف فى الكيل والميزان، بر الوالدين، صلة الأرحام، الوفاء بالعهود، عدم شهادة الزور.. إلخ. والكلام فى هذا الأمر يحتاج لمجلدات، ولكن المقام لا يتسع لذلك، أمّا هُمْ فدينهم كهنوت: **أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله** (متى٢٢: ٢٢)

والسائل قد أجاب على نفسه فى سؤاله، فهو يقول: وحالكم كما تعلمون الآن، أى إنه الآن وليس فى ماضى الزمان، لأنه يعلم ماذا كان يفعل أسلافنا الكرام حين كان المسلمون مسلمين حقاً، وكان الإسلام هو أكبر همهم، فدانت لهم الدنيا بأسرها، ولم يستطع أحد أن يتعدى على حرماتهم، أما الآن فهم مُسَلِّمُون (أى مُسَلِّمين أنفسهم وأرضهم وأموالهم لأعدائهم) ونحن نعلم ما فعله الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ حين بعث إلى هرقل عظيم الروم يهدده ويقول له: والله لأُنسينَّك وساوس الشيطان بخالد (أى خالد بن الوليد ﷺ) ووالله لأرسِلنَّ لك رجالاً يحبون الموت كما تحبون الحياة. وقد زلزل أعظم امبراطوريتين فى التاريخ، وهما الرومانية والفارسية، وانتشرت فى عهده الفتوحات الإسلامية، والانتصارات العظيمة التى سجلها التاريخ على صفحات مشرقة بجهاد هؤلاء الأبطال الأتقياء المخلصين، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، والله أعلم.

س٢٢- يقول نبيكم إن كل رسول يذكر ذنبه يوم القيامة، ويعتذر عن الشفاعة العظمى، ويوصى الناس أن يذهبوا للذى بعده، حتى يصلوا إلى عيسى فلا يذكر ذنباً، أما نبيكم فقد قال الله له: {وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ} [غافر:٥٥] فطالما أن عيسى لم يذنب فقد قامت الحجة عليكم بأنه الرب، لأن الرب عندكم مُنزَّه من كل عيب.

ج٢٢- هل كل من لا يذنب يصير إلهاً؟ إذن لأصبح الأطفال آلهة لأنهم لا يذنبون، وكذلك المجانين، والذين فقدوا وعيهم، قال رسول الله ﷺ: **"رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يَبرَأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم"** [صحيح الجامع: ٣٥١٢] فإذا صح استدلالكم بحديث الشفاعة العظمى.. فلماذا أحالهم سيدنا عيسى إلى نبينا ﷺ؟ ولو كان إلهاً لماذا طلب منه الناس الشفاعة ولم يطلبوا منه المغفرة؟ وكيف يكون إلهاً وهو يقف مع الناس فى المحشر، بل ويقول نفسى نفسى؟ ولماذا

لم يدل سيدنا آدم البشر عليه مباشرة، ألم يكن يعلمه؟ إن المسيح نفسه لم يدَّعِ الألوهية، وقد ذكرنا بعض الأدلة على ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٦) ثم إنكم قد نسبتم إليه الخطايا ولعنتموه فى كتابكم، فكيف تعبدوه وقد لعنتموه؟

حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه (متى٣: ١٣)

ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. (لوقا٣: ٢١) مع أنه لا يعتمد عندكم إلا المذنب، بدليل:

أنا أعمدكم بماء التوبة (متى٣: ١١)

واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم (متى٣: ٦)

فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يَكْرِز بعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. (لوقا٣: ٣) وإلى الآن تعَمِّدون كل من دخل فى دينكم لتنقوه من الخطايا بزعمكم.

المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّقَ على خشبة. (رسالة بولس إلى غلاطية٣: ١٣)، والله أعلم.

س٢٣- إن المسلمين لا يوحدون ربهم، فحين يحلفون يثلِّثون ويقولون: (والله العظيم ثلاثة) أى أنه ليس إله واحد بل ثلاثة.

ج٢٣- إن هذا من أتفه الأسئلة الطفولية. إن ما يقوله المسلمون عبارة عن تأكيد للقسم، وكأنهم يقولون: نقسم بالله ثم نقسم بالله ثم نقسم بالله. ولكنهم يختصرون فيقولون (نقسم بالله ثلاثاً) أى ثلاث مرات وليس ثلاثة آلهة، والله أعلم.

س٢٤- يذكر القرآن فى سورة (الفيل) أن الله أهلك جيش أبرهة لأنه أراد أن يهدم الكعبة، مع أن كفار قريش قد ملأوا الكعبة بالأصنام من قديم الدهر، ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب الكعبة، فكيف يسلط الله العذاب على من قصد تخريب الجدران ولم يسلطه على من قصد تخريب الإيمان؟

ج٢٤- لقد كان مُقدَّراً فى علم الله سبحانه وتعالى منذ الأزل أنه سيبعث رسولاً يدعو إلى التوحيد، ويطهر الكعبة من هذه الأوثان، وكان مُقدَّراً أيضاً أن هذا النبى ﷺ سيُرسَل لقومه خاصة وللناس عامَّة، فلو أهلكهم الله بذنوبهم فلِمَن كان سيُبعَث نبيهم ﷺ؟، والله أعلم.

س٢٥- لله عندكم تسعة وتسعون اسماً ليس فيها اسم المحبَّة كما عندنا!

ج٢٥- إن الذين يقولون: (الله محبَّة) ويتغنَّون بها ليل نهار، يخفون - أو لا يعلمون - أن كتابهم المقدس قال: **لأن إلهنا نار آكلة** (الرسالة إلى العبرانيين١٢: ٢٩) كما أنهم لا يذكرون ما جاء فى كتابهم المقدس من العقوبات التى يُنْزِلها الله بمن عصاه، والتى تتعارض مع قولهم: (الله محبَّة) وسنذكر نصّاً واحداً كمثال على هذه العقوبات، ولكننا سنؤجل ذكره بعد الرد على الشبهة إن شاء الله تعالى.

إن من أسماء الله الحسنى ما يدل على المحبة، والحنان، والرأفة، والرحمة، واللُّطف، والحِلم، والعفو، والمغفرة، وغير ذلك من صفات الجمال والكمال، ومن هذه الأسماء: اسمه سبحانه وتعالى (الودود) قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: **{وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ}** [البروج:١٤] إن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - وغَيْرَه قالوا: (الودود) هو (الحبيب). وبالإضافة لما قاله ﷺ فإن (الودود) هو الذى يتودد إلى خلقه بنعمه عليهم لعلهم يُسْلِمُون، فقد قال سبحانه وتعالى بعد سَرْد العديد من نعمه على عباده: **{كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ}** [النحل:٨١]

ولكن مَن الذين يحبهم الله تعالى؟ إن الإجابة على هذا تتمثل فى بضع آيات من كتابه الكريم، وأحاديث رسوله البشير النذير ﷺ، نذكر من الآيات: **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}** [البقرة:١٩٥] **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة:٢٢٢] **{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [آل عمران:١٤٦] **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ}** [آل عمران:١٥٩] **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ}** [المائدة:٤٢] **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ}** [التوبة:٤] **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ}** [الصف:٤] ونذكر من الأحاديث: **"إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه، ويُعين عليه ما لا يُعين على العنف"** [صحيح الجامع:١٧٧٠] **"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"** [صحيح الجامع:١٨٨٠] **"إن الله يحب معالى الأخلاق، ويكره سَفسافها"** [صحيح الجامع:١٨٨٩] وقد وردت صفات أخرى فى الكتاب والسنَّة للذين يحبهم الله تعالى، وكلها صفات تدور حول طاعة الله ورسوله ﷺ.

والآن نورد بعض العقوبات التى وردت فى الكتاب المقدس كما وعدناكم:

ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه

التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك. ملعوناً تكون فى المدينة وملعوناً تكون فى الحقل. ملعونة تكون سَلَّتُكَ ومِعْجَنُكَ. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك. ملعوناً تكون فى دخولك وملعوناً تكون فى خروجك. يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجْر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتنى. يُلصِقُ بكَ الرب الوَبَأ حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها. يضربك الرب بالسُّل والْحُمَّى والبُرَداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبِعُك حتى تفنيك... ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك. يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك. فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم... وتكون جُثَّتُكَ طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس من يزعجها. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكَّة حتى لا تستطيع الشفاء. يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب. فتتلمس فى الظُّهر كما يتلمس الأعمى فى الظلام ولا تنجح فى طرقك بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام وليس مُخَلِّص. تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها. تبنى بيتاً ولا تسكن فيه. تغرس كرماً ولا تستغله. يُذبَح ثوْرك أمام عينيك ولا تأكل منه. يُغتَصب حمارك من أمام وجهك ولا يرجع إليك. تُدفَع غنمك إلى أعدائك وليس لك مُخَلِّص. يُسَلَّم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكِلان وليس فى يدك طائلة. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام. وتكون مجنوناً من منظر عينيك الذى تنظر. يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك...بنين وبنات تلد ولا يكونون لك لأنهم إلى السَّبْىّ يذهبون... وتأتى عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التى أوصاك بها... من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شىء تُستَعبَد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك فى جوع وعطش وعُرْى وعَوَز كل شىء. فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك. يجلب الرب عليك أمَّة من بعيد من أقصاء الأرض... فتأكل

ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك ولا تُبْقِى لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك. وتحاصرك فى جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التى أنت تثق بها فى كل أرضك. تحاصرك فى جميع أبوابك فى كل أرضك التى يعطيك الرب إلهك. فتأكل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك. (تثنية٢٨: ١٥-٥٣) وهناك عقوبات أخرى مثل ما ورد فى الرد على الشبهة رقم (٢٣٦) وغيرها، والله أعلم.

* * *

شبهات مغرضة حول القرآن

س٢٦- تقولون إن القرآن أنزل من عند الله لأنه تحدى العرب البارعين فى اللغة، أليس من المحتمل أن يكون محمد شاعراً موهوباً كمن سبقه من الشعراء كالنابغة والزهير وغيرهما؟

ج٢٦- لقد أجمع علماء النفس والاجتماع والسلوكيات وسائر العلوم الإنسانية أن الموهبة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتأخر إلى سن الأربعين، فلابد أن تنضح على صاحبها منذ الصغر، كما نشاهد طفلاً عنده حب الزعامة يقوم بتقسيم زملائه إلى فريقين ليلعبوا بالكرة، ويختار أفراد كِلا الفريقين وحارس المرمى وكذا وكذا.. وهم يطيعونه، وليس شرطاً أن يكون أكبرهم سناً أو أقواهم أو أذكاهم، ولكن شخصيته قيادية. أو نجد طفلاً محباً للمصارعة والكاراتيه فيصارع أصدقاءه ويلعب معهم الكاراتيه، حتى أنه يحاول ضرب إخوته الكبار بالطريقة نفسها. ونجد طفلة تتقمص شخصية المدَرِّسة، وتعطى أوامر لصديقاتها، وتضرب التى لا تطيعها. أو طفلاً عنده حب القرآن أو الخطابة، فتراه يقلد المشايخ ويسجل صوته، أو يضع أمامه ميكروفوناً ليقلد شيخ المسجد وهو يخطب. أو طفلاً محباً للرسم أو الزخرفة أو الاختراعات... إلخ. وكلما ازدادوا فى العمر ازداد إتقانهم لما يحبونه، والموهبة لابد أن تُصقَل وتخضع للتجربة والخطأ، والرسول ﷺ لم يُعلَم عنه أنه قال شعراً قط، ولا مدح أحداً ولا هَجَا أحداً، ولكنه كان يُعرَف بالرجل الْمُتَحَنِّف، أى المائل عن الشرك إلى التوحيد (كان هناك بقية قليلة من الموحدين أتباع سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وكان المشركون يقولون إن محمداً قد عشق ربه، ويتعجبون لماذا يترك عبادة الأوثان ويترك متاع الدنيا وهم غارقون فيه، ولماذا يترك زوجته الجميلة الغنية وأولاده، وينقطع فى غار حِراء للتفكر فى خلق الله.

ربما يُقال إن موهبة الشعر كانت عنده منذ الصغر ولكنه لم يظهرها إلا بعد سن الأربعين، فهل كان يضمن أن يعيش لسن الأربعين؟ كما أن الشاعر لا يستطيع أن يصبر على نفسه ويكتم موهبته أمام ما يلاقيه من الأحداث، والرسول ﷺ وُلِدَ يتيماً فلم يَرَ أباه، وماتت أمه وهو ابن ست سنين، ومات جده وهو ابن ثمان سنين، وعاش مع عمه الفقير،

ورعى الغنم وهو صغير، أمَعَ كل هذه الأحداث يستطيع شاعر أن يصبر على نفسه؟ ويكفى فى الرد على هذه الفرية قول الله عز وجل: {قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [يونس:١٦] و{وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ} [العنكبوت:٤٨] ولنا سؤال: هل هناك دجال يرفض الكمال؟ فإن القرآن كمال فكيف لا ينسبه إليه إلا إذا كان رسولاً صادقاً، وخاصة أنه أعجز الفصحاء والبُلغاء من أبناء عصره، وكان يمكنه أن يتفاخر عليهم؟ إننا نجد الكثير ممن يقتبس الرسالات مثل رسالات الماجستير والدكتوراه والمقالات والمؤلفات من غيره، وينسبها لنفسه لينال بها شهادة أو منصباً أو غيره. ولو كان الرسول ﷺ هو الذى ألّف القرآن فلِمَ لم يُطِع المشركين ويغير بعض آياته ليكسب وُدَّهم أو ليغدقوا عليه الأموال؟ ولِمَ لم يرفع ذِكرَ أهله ويتفاخر بهم كما كان يفعل الشعراء من قبله، وقد كانت قبيلته أشرف القبائل؟ ولِمَ ذكر الآيات التى تعاتبه مثل ما ورد فى سورة (عبس) وغيرها؟ ولِمَ لم يحل مشكلة حادثة الإفك بين يوم وليلة؟ وما الذى جعله ينتظر شهراً كاملاً فى هذه المحنة بسبب ما قيل عن زوجته الشريفة العفيفة رضى الله عنها؟ إن الرسول ﷺ لم يتكلف شيئاً من عنده، ولم يغير ولم يبدل {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس:١٥] ثم إن القرآن ليس شعراً، فإنه لا يخضع لقوافى الشعر وبُحُوره، كما أن الشعراء لهم أحوال نفسية متقلبة كسائر البشر، ويظهر ذلك فى شعرهم، فتراه متناقضاً حسب أحوالهم ومصالحهم، أما القرآن الكريم فليس به أى تناقض {لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢] {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢] فأى كاتب أو أديب أو شاعر تجد مؤلفاته بها اختلافات كثيرة حسب حالته النفسية أو أهوائه أو مصالحه، وغالباً لا تجد الشعراء إلا مبالغين فى أقوالهم، غير ملتزمين الصدق فى أشعارهم، كما قيل عن الشعر: (إن أعذَبَه أكذَبُه) يقول ربنا تبارك وتعالى: {وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٤-٢٢٧] والعرب كانوا أعلم الناس بالشعر، ولهم قصائد ومُعلَّقات تُدرَّسُ إلى يومنا هذا، و لم يقولوا عن القرآن إنه شعر إلا جحوداً وصداً عن سبيل الله، كما روى ابن جرير عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة قال لأبى جهل (حين طلب منه أن يقول فى القرآن قولاً منكراً): فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برَجَزِه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه لَيَعْلُو وما يُعلَى عليه (بقية القصة يُرجَع إليها فى تفسير سورة المدثر) ومعروف أن لكل صاحب قلم أسلوباً خاصاً، كالشعراء والأدباء والكتّاب والصحفيين، لدرجة أنك لو قرأت كتاباً أو مقالاً أو شعراً لحكمت عليه بأنه أسلوب فلان وكأنه بَصمته، أمَّا الرسول ﷺ فقد جاء بثلاثة أساليب: القرآن والحديث والحديث القدسى، وكل أسلوب مختلف عن الآخر، أمَّا لو أن أحداً من الكتاب أو غيرهم حاول تغيير أسلوبه فبعد فترة تجد أن الأساليب توحدت فى أسلوب واحد، وكأنك وضعت عدة ألوان مع بعضها فتكون النتيجة أنها أصبحت لوناً جديداً واحداً.

ثم لو كان الرسول ﷺ أراد من تلقاء نفسه أن يصحح ما كان عليه قومه من عبادة أصنام لا تنفع ولا تضر، وهو يرى بفطرته أن خالق هذا الكون أعظم من هذا بكثير، أليس كان أول خطاب يوجهه لهم: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً؟ وهل يوجد إنسان له فكر متحضر عن قومه يريد تغيير ما هم عليه.. ثم يكون أول ما يبدأ به قول {إقرأ} وهو أصلاً لا يقرأ؟ ولو أن الرسول ﷺ ألّفه - كما يقولون - لنسىَ بعضه، كما يُقال: إن كنت كذوباً فكن ذكوراً، وكالمثل الذى يقول (الكذب مالوش رجلين) أى أن الذى يكذب ينسى ما قاله بعد فترة ويقول شيئاً غيره، فثبوته على قول واحد على مدار ثلاثة وعشرين عاماً يدل على صدقه. وهناك شئ آخر: إن أى واحد منا إذا خطب فى الناس وقيل له أعدْ ما قلته بالحرف الواحد فلن يستطيع ولو كان أكثر الناس ذكاءً، فلابد أن ينسى شيئاً أو يزيد أو ينقص. ونحن لابد أن نراجع القرآن باستمرار، وإلا- لتفلّت منا، أما الرسول ﷺ فكان يحفظه عن ظهر قلب مع أنه لا يستطيع القراءة، إلا أنه كان يراجعه مع جبريل عليه السلام مرة واحدة فى رمضان من كل عام، إلا رمضان الأخير فقد راجعه عليه

مرتين. فعدم نسيان الرسول ﷺ يدل على أن هناك قوة قادرة تثبّت القرآن فى صدره {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ} [الأعلى:٦] وكان الرسول ﷺ من حبه فى القرآن يخشى ألا يحفظه، فكان يردد خلف جبريل عليه السلام فنهاه الله عن ذلك فى قوله تبارك وتعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة:١٦-١٩] إن الرسول ﷺ ليس فقط لم يكن شاعراً، بل إنه كان لا يحفظ أى بيت من الشعر، حتى إنه أراد مرة أن يقول بيتاً من الشعر فأخطأ، فضحك أبو بكر رضي الله عنه وقال: سبحان الله! ثم قرأ قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ} [يس:٦٩]، والله أعلم.

س٢٧- أنتم تقولون إن نبيكم لم يؤلف القرآن لأنه لم تظهر عليه موهبة الشعر منذ الصغر، أليس من المحتمل أن يكون قد تعلمه من غيره؟

ج٢٧- إن الرسول ﷺ معلوم عنه أنه كان أمّيا لا يعرف القراءة والكتابة، وبفرض أنه كان يعرف.. فلماذا لم يكتب كل شىء يتلقنه؟ فلم يكن فى مكة المكرمة غير المشركين، وعدد قليل جداً من النصارى، كأمثال ورقة بن نوفل - الذى أسلم فيما بعد رضي الله عنه - فلو كان الرسول ﷺ تعلم من النصارى فلِمَ دعا إلى التوحيد ولم يَدعُ إلى التثليث مثلهم؟ ولِمَ ذمهم وحكم عليهم بالكفر {لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ} [المائدة:١٧] أو على الأقل.. لماذا لم يوافقهم فى قضية صلب المسيح عليه السلام؟ أكان هذا يضر دعوته فى شىء؟ إن الذى يتعلم من أحد يخشى أن يخالفه فيما يمليه عليه حتى لا يكُف عن تعليمه.. أليس كذلك؟ ربما يقول قائل: ربما خالفهم بعدما تعلم منهم، فنقول له: لو حدث هذا لفضحه معلمه ليثبت للناس كذبه، ولقال للناس: أنا الذى علمته، فهل قال هذا أحد؟ وهل لديكم أى دليل على ذلك؟ ربما يقول مُجادل: ليس شرطاً أن يكون قد تعلمه من النصارى، فربما تعلمه من اليهود، فنقول له: بفرض أنه كان يوجد بمكة يهود - مع أن هذا مخالف للتاريخ - فلِمَ لم يَسُب السيدة مريم مثلهم؟ ولِمَ ذمَّهُم فى آيات كثيرة؟

إن هذه الشبهة قديمة من أيام الرسول ﷺ فقد اتهمه المشركون بأنه تعلم القرآن من رجل أعجمى من بلاد الروم، فرد الله عليهم بقوله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا

يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣] فكيف يُعَلِّم الأعجمى العربى؟ هل يصلح أن نأتى برجل أجنبى ليعلمنا اللغة العربية والفصاحة والبلاغة وهو لا يجيدها، بل يتكلم - كما نقول - كلام مكسر؟ وهل هذا يقوله عاقل؟ والذين يقولون إن القرآن من تأليف بحيرا الراهب، نسألهم: فلماذا لم ينسبه بحيرا لنفسه؟ ولماذا لم يواجهه يهود المدينة بهذا الأمر ويفضحونه بين القبائل؟ وهل كان لبحيرا أن يذكر أسلافه من اليهود بسوء كما ذكرهم القرآن؟، والله أعلم.

س٢٨- كيف تقولون إن القرآن لكل الناس، وإنه مُعجِز لهم، مع أن أغلبهم لا يعرفون اللغة العربية ولا الفصاحة ولا البلاغة؟

ج٢٨- إن القرآن الكريم نزل على نبى عربى ﷺ فى بيئة عربية، فكان لابد أن يكون معجزاً لأهل عصره حتى يؤمنوا به، والإعجاز فى كل الديانات كان فى الجانب الذى تفوَّق فيه أهل ذلك العصر، مثل عصا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - واليد وشَقّ البحر وغيره، لأن قومه كانوا متفوقين فى السحر، فجاءهم بما لا يقدرون عليه. وكذلك سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أرسل إلى قوم جُل تقدمهم وحضارتهم فى الطب، فجاء بما يعجزهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله. وهكذا كل رسول - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كان يأتى بمعجزة حِسِّية من جنس ما تفوق فيه قومه ليؤمن بها من شاهدها، لأن كل رسالة كانت للقوم الذين أرسل فيهم خاصة، وكانت المعجزة هى التى تؤيد منهج الرسالة، كناقة سيدنا صالح، وإنجاء سيدنا إبراهيم من النار - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - أما رسالة سيدنا محمد ﷺ فهى رسالة عالمية، لأنها الرسالة الخاتمة، وهو الرسول الخاتم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب:٤٠] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨] فكان لابد أن يأتى بمعجزة تصلح لكل زمان ومكان، لأنه لو أتى بمعجزة حِسِّية فقط لكان الذى شاهدها هو الذى يؤمن بها، أما من جاء بعده فلا يلزمه الإيمان بها، فأين عصا موسى، وإبراء عيسى للأكمه والأبرص، وناقة صالح؟ إن كل هذه المعجزات أصبحت مجرد أخبار تتناقل عبر التاريخ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى ذكرها فى كتابه الكريم لما لزمنا تصديقها. أما سيدنا

محمد ﷺ فمعجزته القرآن، وهو منهجه فى آن واحد، فالقرآن ليس معجزاً فى الفصاحة والبلاغة فحسب، بل إنه معجز فى منهجه الذى لا يضاهيه أى منهج فى أى رسالة. ومن مظاهر إعجازه فى المنهج على سبيل المثال لا الحصر:

أنه وازن بين الروح والمادة، فاليهود ماديُّون يصعب عليهم التصديق بالغيبيات، كما قال الله عنهم: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة:٥٥] {وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ} [الأعراف:١٣٨] وكما صنعوا من الذهب {عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ} ليعبدوه، والنصارى يميلون للتخيلات والروحانيات والغيبيات {وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد:٢٧] أما الإسلام فهو دين الوسطية، فالقرآن يدعو إلى التفكر فى خلق الله وحبه وذكره والشوق إلى الجنة والخوف من النار، ويدعو أيضاً إلى عمارة الأرض والسعى لطلب الرزق، والآيات فى كِلا الأمرين كثيرة ومعلومة.

القرآن حافظ على حياة الإنسان بتحريم الانتحار {وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ} [النساء:٢٩] وتحريم كل ما هو ضار {وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ} [الأعراف:١٥٧] وتحريم الاعتداء على الناس بغير حق بأى صورة من الصور {وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ} [البقرة:١٩٠] وشرع القصاص للحفاظ على الأرواح والأبدان {وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ} [البقرة:١٧٩] وحرم ظلم الناس لمجرد بغضهم {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟} [المائدة:٢] {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟} [المائدة:٨] وحافظ على العقل بتحريم الخمر، ويندرج تحت تحريمه تحريم كل مُسكِر ومُفتِّر (كما ورد فى سنن أبى داود ومُسنَد أحمد) وحافظ على الأموال بتشريع قطع يد السارق، وتحريم الربا والميسر والغلول، وغير ذلك من أنواع الكسب المحرم {قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ} [المائدة:١٠٠] وأمر بأداء الأمانات إلى أهلها {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا} [النساء:٥٨] لدرجة الاهتمام بكتابة الدَّين والإشهاد عليه، سواء كان صغيراً او كبيراً {وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ} [البقرة:٢٨٢] وأمر بإخراج الزكاة للفقراء والمساكين وغيرهم من المحتاجين، وحرم

شهادة الزور، وأمر بقول الحق ولو على النفس أوالوالدين والأقربين {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ} [النساء:١٣٥] وأمر بمكارم الأخلاق {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ} [النحل:٩٠] وأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى اليتيم والفقير والمسكين، والجار والصاحب والمملوك، وابن السبيل والأسير {وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ} [النساء:٢٦] {وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان:٨] وحرم الاعتداء على الأعراض بتحريم الزنى وتحريم فعل قوم لوط، ووضع العقاب الرادع لمن يقترفهما، وتشريع الحجاب وغض البصر، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف:٣٣] لدرجة تحريم ترقيق صوت المرأة على مسمع من غير محارمها {فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ} [الأحزاب:٣٢] وأمر بالإصلاح بين الناس {لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ} [النساء:١١٤] وأمر باحترامهم، وعدم تتبع عوراتهم، بتحريم السخرية، والهمز واللمز، والتنابز بالألقاب، وسوء الظن والتجسس والغيبة (كما ورد فى سورتى الْحُجُرات والْهُمَزَة) وحافظ على أسرار البيوت بتشريع الاستئذان قبل دخولها {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا} [النور:٢٧] وأمر بالاستئذان فى الدخول على الأبوين داخل البيوت (سورة النور) وأمر بالعدل بين الناس، وإن كان الحق مع غير المسلم {وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ} [النساء:٥٨] (وهناك قصة تُظهر عدل الإسلام وردت فى سورة النساء فى الآيات من ١٠٥ إلى ١١٣ فليرجع إلى تفسيرها من يشاء) وأمر بحفظ العهود مع الناس ومع الدول الأخرى، طالما أنها عهود مبنية على غير معصية {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل:٩١] وتوعَّد من ينقض العهود لمجرد {أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ} [النحل:٩٢] أى أن تكون أمة أغنى من الأمة التى عاهدناها، أو أكثر منها نفعاً {وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ

بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل:٩٤] وحافظ على أرواح الْمُعاهَدِين من غير المسلمين، وفرض الدِّيَة على المسلم لو قتل الْمُعاهَد غير المسلم، ولو كان بغير قصد (راجع تفسير النَّسَفِي لقوله تعالى: {وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} [النساء:٩٢]) واهتم بصحة الإنسان، فأمَرَه بالأكل من الطيبات {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا} [البقرة:١٦٨] وحرم عليه ما يضره كالميتة والدم ولحم الخنزير، واهتم بجميع شئون الحياة الاجتماعية والأُسَرية من أحكام زواج وطلاق وخُلْع ونفقة ومهر ورَضاع وميراث.. إلخ. ولو تكلمنا عن الإعجاز فى المنهج لَمَا انتهينا، ولكن هذا ما تيسر فى هذه العُجَالة.

ثم إن القرآن معجز لجميع الأجيال المتعاقبة إلى أن تقوم الساعة {سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ} [فصلت:٥٣] وسنذكر إن شاء الله بعضاً من إعجازه على سبيل المثال لا الحصر، فالقرآن الكريم عطاءاته لا تنتهى:

القرآن مزِّق حجاب النفس، كما قال عن اليهود: {سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا} [البقرة:١٤٢] فهذه الآية نزلت قبل أن يقولوا، وكان من الممكن ألا يقولوها ليكذِّبوه، وخاصة أنهم حين يقولونها سيعلم الناس مَن المقصود بالسفهاء، فمثلاً: لو قلت لمجموعة من الناس: سيقول المجرم كذا، فهل سينطق أحد بما قلت؟ بالطبع لا.. لأنه سيُعرَف أنه المجرم، وهذا يدل على أن القرآن الكريم منزل من عند رب العالمين الذى قهرهم فلم يستطيعوا كتمان ما فى نفوسهم. والقرآن حكم على أبى لهب بأنه لن يؤمن أبداً، فقال: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد:١-٣] فلو كان القرآن من عند غير الله لقال أبو لهب - ولو على سبيل التحدى - إن محمداً قد قال لكم إنى سأموت كافراً، وها أنا أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.. فهل قالها؟ إنه لم ينطق بها فحسب، بل زاد فى عداوته للرسول ﷺ. وآيات أخرى مزَّقت حجاب النفس، مثل: {وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ} [المجادلة:٨] {يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ} [التوبة:٦٤] {قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ} [الحجرات:١٤] {إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ} [المنافقون:١]

القرآن مزّق حجاب الماضى، مثل: {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} [آل عمران:٤٤] {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} [القصص:٤٤] {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} [القصص:٤٦] {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} [يوسف:١٠٢]

القرآن مزّق حجاب المستقبل، مثل قوله: {غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [الروم:٢-٣] ما الذى كان يدعو سيدنا محمداً ﷺ للخوض فى الكلام عن معركة لم تأتِ بعد؟ أليس كان من الممكن أن ينهدم الدين بأكمله لو لم تحدث، أو حدثت وكانت النتيجة عكس ما قال؟ إن هذه الآية ليست إعجازاً بتمزيق حجاب المستقبل فحسب، وهو أن تغلب الرومُ الفرسَ، ولكن بها إعجازاً آخر أثبتته الأبحاث الحديثة فى قوله تعالى: {أَدْنَى ٱلْأَرْضِ} وهو أن أكثر المناطق انخفاضاً على وجه الأرض هى منطقة البحر الميت التى حدثت عندها المعركة، فهى منخفضة عن مستوى سطح البحر بمقدار أربعمائة متر، وكانوا يفهمونها فى الماضى على أنها أقرب الأرض إلى مكة المكرمة، وكِلا المعنيين صحيح.

القرآن به من الإعجاز العلمى ما لا يتسع المجال لذِكره، ويُرجع إليه فى مصادره، ولكننا نكتفى بذكر بعضه، وبالله التوفيق:

أثبت العلم أنه لا توجد حياة على أى كوكب غير الأرض لعدم وجود الماء، وهذا ما ذكره الله عز وجل فى قوله: {وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء:٣٠]

أثبت العلم أن الأرض كروية، وقد قال الله عز وجل: {يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ} [الزمر:٥] وقال: {وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا} [ق:٧] قال العلماء: إن كلمة {مَدَدْنَٰهَا} تثبت أن الأرض كروية.. كيف؟ إن أى شكل هندسى مُجسَّم، سواء كان مكعَّباً أو متوازى مستطيلات أو غير ذلك، لابد أن تكون له حافة، فلو أن الأرض على أى شكل غير الكروى، لكانت لها حافة تتهاوى بعدها الأجساد.

قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:٥٦] أثبت العلم الحديث

أن أطراف الأعصاب فى الجلد، وبعد اختراق الجلد لا يشعر الإنسان بالألم – وخصوصاً الحرارة والبرودة – والدليل على ذلك أن الذى يأخذ حقنة لا يشعر إلا بألم دخولها فى جلده، وكثير من العمليات لا يشعر الإنسان بعدها إلا بألم الخياطة التى تكون فى الجلد، ولا أقول: إن الإحساس منعدم نهائياً فى الأعضاء الداخلية، ولكنه أقل بكثير.

قال تعالى: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ} [القيامة:٣٧-٣٩] وقد أثبت العلم أن الحيوان المنوى هو الذى يحدد جنس الجنين – بإذن الله – ذكراً كان أم أنثى.

القرآن تحدى بخلق الحياة والموت، أما الحياة فهناك آيات كثيرة، منها مثلاً: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج:٧٣] هل وُجِدَ على وجه الأرض إلى الآن من استطاع أن يخلق ذبابة أو ما دونها؟ أو هل يستطيع أن يسترجع ما سلبته منه الذبابة ولو أخضعها لأحدث التحاليل المجهرية؟ أتدرون لماذا؟ لأن الذبابة قبل أن تمتص أى مادة تفرز عليها لعابها الذى يحولها إلى مادة سكرية، ثم تمتصها فلا يوجد للمادة الأصلية أى أثر.. سبحان الله! أما التحدى بالموت فهناك أيضاً آيات كثيرة، مثل {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء:٧٨] وهذا تحدٍّ للعالم أجمع إلى يوم القيامة – مهما بلغت علومه وحضارته – أن يمنع الموت عن أى كائن حى.

أثبت العلم الحديث ما ذكره القرآن الكريم فى سورة (المؤمنون) عن خلق الإنسان من {نُطْفَةً} وهى ماء الرجل، ثم {عَلَقَةً} وهى البويضة المخصَّبة التى انقسمت إلى خلايا كثيرة حتى أصبحت على شكل كرة، ثم تعلقت تعلقاً شديداً بجدار الرحم، ثم {مُضْغَةً} وهى قطعة لحمية صغيرة تبدو وكأنها ممضوغة بالأسنان كقطعة اللبَان، ثم تكون {عِظَامًا} ثم تكسى العظام باللحم (العضلات) وقد اعترف بذلك أشهر أساتذة علم الأجنَّة، وهو البروفسور (كيث إل مور) الأستاذ بجامعة تورينتو بكندا، فى كتابه الذى اشترك فيه مع مجموعة من علماء الأجنة العالميين، ودعا فيه إلى إعادة تقسيم وتسمية مراحل تكوين

الجنين لتكون مطابقة لما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأنهما أدق فى الوصف وأسهل على طالب العلم من الوصف الحالى، والكتاب اسمه:

(Human development as described in Quran and Sunnah)

أثبت العلم الحديث أن الكون فى اتساع مستمر، وهذا يؤيده قول ربنا تبارك وتعالى: {وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات:٤٧] وأثبت أن جميع قيعان البحار والمحيطات مُسجَّرة بالنيران، فلا الماء يطفئ النار ولا النار تبخر الماء، وهذا يؤيده قول الله جل وعلا: {وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ} [الطور:٦]

يقول الله سبحانه وتعالى: {وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ} [الطارق:١١-١٢] وقد أثبت العلم أن الكرة الأرضية مغلّفة بغلاف جوى يفصل بينها وبين العالم الخارجى بطبقة (الأوزون) وهذه الطبقة ترجع معظم الأشعة الضارة المنبعثة من الشمس حتى لا تصيب الإنسان، وكذلك فإنها ترجع الأبخرة المتصاعدة من المحيطات والبحار على هيئة مطر، وترجع الموجات الصوتية وغير ذلك من المواد المنبعثة من الأرض، ولولا أن الله جعلها هكذا لتبخرت مياه البحار والمحيطات ولَمَا انتفع بها الإنسان، ولَمَا استطعنا أن نسمع أصواتنا أو نستقبل الموجات الإذاعية والمرئية. كما أثبت العلم أن قيعان البحار والمحيطات بها صدوع وتشققات تتلاحم مع بعضها البعض لتكوِّن شبكة من الصدوع حول الكرة الأرضية، وكأنها صدع واحد تفرعت منه الصدوع الأخرى.

وكان من آخر الأبحاث العلمية ما تقدمت به طبيبة منتقبة، فى المؤتمر الثامن للإعجاز العلمى فى القرآن والسنَّة، والذى أقيم فى دولة الكويت فى الفترة من (٢٣-٢٦) نوفمبر لعام ٢٠٠٦ ميلادية، وهذه الطبيبة قد لَفتَ انتباهها قول الله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ} [النحل:٨١] ولاحظت أن الله سبحانه وتعالى قال: {تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ} ولم يقل (تقيكم البرد) فبحثت على شبكة الإنترنت وغيرها من المصادر العلمية، فوجدت أن الأبحاث الأمريكية قد أثبتت أن التعرض للشمس لمدة طويلة له تأثير ضار جداً على جلد الإنسان، فضلاً عمّا يسببه من ضربات الشمس المعروفة، والتى تتسبب فى موت الآلاف من البشر كل عام، وقد نصحوا الناس المعرَّضين للشمس لمدة طويلة بتغطية أجسادهم كلها ما عدا الوجه والكفين، وبشرط أن تكون هذه الملابس فضفاضة حتى تقيهم تأثير

الشمس على جلودهم، وحتى الوجه والكفين اقترحوا تغطيتها لمن يعملون فى الصحراء، لأنهم أثبتوا أن التعرض للأشعة فوق البنفسجية لمدة طويلة يصيب الجلد بالسرطان (ميلانوما) وأن واحداً من كل خمسة أمريكيين معرض للإصابة بهذا المرض، والله أعلم.

س٢٩- تزعمون أن كتب التوراة والإنجيل مُحَرَّفة، مع أن القرآن يقرر أنها منزلة من عند الله، فلِمَ سمح الله بتحريفها - على حد قولكم - ولم يسمح بتحريف القرآن كما تزعمون؟

ج٢٩- أولاً: إن قولنا عن هذه الكتب إنها محرفة ليس زعماً ولكنه حقيقة، وقد أوردنا بعضاً من الأدلة على تحريفها من الكتاب المقدس فى الرد على الشبهة رقم (٤٨) ولا أدل على تحريفها من أنها نسبت ردىء الصفات والأخلاق لله رب العالمين، ولأنبيائه ورسله صلوات ربى وسلامه عليهم أجمعين.

ثانياً: إن الله عز وجل أنزل الكتب السابقة، وأخذ العهد على المؤمنين بحفظها، كما ورد فى الآية الكريمة: {بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ} [المائدة:٤٤] فنقضوا العهد مع ربهم وحرفوها، فأعقبتها كتب أخرى تبين الحق، واستُحفظَ عليها أيضاً المؤمنون، لكنهم حرفوها، والدليل على ذلك ليس من عندنا فقط، بل من كتابهم المقدس إذ يقول: **أما أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله. فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء.** (رسالة بولس إلى رومية٣: ٢-٣) **أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حَرَّفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا.** (إرمياء٢٣: ٣٦) **كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حوّلها قلم الكتبة الكاذب.** (إرمياء٨: ٨) **ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون من يبصرنا ومن يعرفنا. يا لتحريفكم.** (إشعياء١٥-١٦) أمَّا القرآن الكريم فلو حُرِّفَ فماذا يأتى بعده ليصحح أخطاءه؟ إنه الكتاب الخاتم ولن ينزل الله من بعده كتاباً، ولن يبعث من بعده رسولاً إلى أن تقوم الساعة، فكان لابد ألا يَكِل الله حفظه للمخلوقين فيحرفوه كما حرفوا ما قبله، ولكن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه، لأنه سيكون منهاجاً للعالمين إلى يوم الدين {لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤٢]، والله أعلم.

س٣٠- لِمَ لم يفسر رسولكم القرآن مع أن من هم أقل منه بكثير يفسرونه؟ ألم يكن محمد أَوْلى بتفسيره من علمائكم؟

ج٣٠- الرسول ﷺ فسر آيات الأحكام كآيات الصلاة، فلم يذكر الله عز وجل كيفيتها وكم مرة نصلى، وما عدد ركعات كل فرض، فبينها لنا رسول الله ﷺ وكذلك الصيام والزكاة والحج.. إلخ. أما لو فسر كل القرآن فيكون قد قَصَرَه على مفهوم واحد، ولَجَمُدَ على هذا المعنى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن القرآن عطاءاته لا تنتهى، وهو صالح لكل العصور، والعلم الحديث أثبت أشياء ذكرها القرآن لو ذكرت على عهد الرسول ﷺ لصدمت العقول ولَمَا فهمها أحد، قال الله عز وجل: {سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ} [فصلت:٥٣] {فِى ٱلْـَٔافَاقِ} أى فى أرجاء الكون، مثل قضية انشقاق القمر، فقد ذكر العالم الإسلامى الأستاذ الدكتور (زغلول النجار) أنه كان يلقى محاضرة فى جامعة ببريطانيا عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم، فقام أحد الحاضرين وسأله عن انشقاق القمر الذى ذكره القرآن، فرد عليه بأنها آية حدثت فى عهد رسول الله ﷺ ونحن مطالبون بالإيمان بها، فقام أحد المسلمين البريطانيين واسمه (داود موسى بيتكوك) الذى يرأس الحزب الإسلامى البريطانى، وقال: إن هذه الآية كانت سبباً فى إسلامه، فقد كان يشاهد برنامجاً على قناة (بى بى سى) يسائل فيها مقدم البرنامج ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين على إنفاق أكثر من مائة ألف مليون دولار لإنزال رجل على سطح القمر، والعالم يَعُج بالفقر والتخلف والمرض، فقالوا إنهم قد اكتشفوا اكتشافاً خطيراً يستحق هذا الإنفاق وأضعافه، وهو أنهم وجدوا منطقة من الصخور المتحولة على هيئة حزام ممتد على سطح القمر، وقد وضعوا أجهزة رصد الزلازل فأعطتهم هذه الصورة: أن هذه الصخور ممتدة من ظاهره لباطنه لظاهره من الناحية الأخرى (أى نافذة فى جسم القمر كله) مما يدل على أنه انشق فى يوم من الأيام ثم التحم، سبحان الله! {ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ} [القمر:١] فالقرآن الكريم به أسرار عجيبة يقرؤه الرجل البسيط فيفهمه على قدر علمه، ويقرؤه العَالِم المتخصص فيفهمه على ضوء الاكتشافات العلمية، مثل الآية الكريمة: {يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ} [الزمر:٥] كانت تُفهَمُ فى الماضى على أنها تعاقب الليل والنهار المعروف، أمَّا فى

العصر الحديث فقد فهمناها على أن الأرض كروية، ومثل الآية الكريمة: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبأ:٣] كانت الذرَّة تُفهَمُ فى الماضى على أنها النملة الصغيرة أو الهباءة (أى الجسم الصغير الذى يبدو فى شعاع الشمس) وبعد تطور العلم فهمها العَالِم الحديث على أنها الذرَّة، والأصغر منها هو انشطارها... وهكذا، فالقرآن الكريم بحر من الخير لا ساحل له ولا منتهى لعطائه، والله أعلم.

س٣١- تقولون إن القرآن نزل من عند الله، ورغم هذا تقولون إن بعض آياته نُسِخَت وجاءت آيات أخرى بدلاً منها، إن هذا معناه البَدَاء، وهو أن الحكم يتزل وبعد تطبيقه يتضح عدم صلاحيته وقصوره فى مواجهة الواقع فيُغيَّر بحكم آخر، وهذا مُحال على الله، ولماذا لم يُنسَخ شرعكم كما نُسِخَت الشرائع الأخرى كما تقولون؟

ج٣١- إن البَدَاء مُحال على الله سبحانه وتعالى، وهو من عقائد الشيعة الباطلة، ومعناه أن الله يأمر بشيء ثم يبدو له شيء آخر أصلح منه فيأمر به، وهذا من صفات البشر التى لا تليق بالله، لأنه سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ولكن تبديل الآيات أو الأحكام بغيرها يسمى (النسخ) والنسخ ليس خاصاً بالقرآن وحده، بل إن بعض أحكام التوراة والإنجيل نُسِخَت بأحكام أخرى، وسيأتى ذكر بعضها بعد الإجابة على الشبهة إن شاء الله تعالى.

نقول وبالله التوفيق: ليس هناك نسخ فى العقائد، قال رسول الله ﷺ: **"خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"** [صحيح الجامع:٣٢٧٤] وهذه لا يمكن نسخها، كذلك أخبار يوم القيامة والبعث والنشور والجنة والنار وقصص الأنبياء.. إلخ، لا تُنسَخ لأنها أمور ثابتة لا تتغير. والنسخ معناه الإزالة، وهو أمر ضرورى ومرحلى، فكل زمن له أحكام توافقه، ثم يأتى الزمن الذى يليه فيحتاج لأحكام أخرى، كما يمر الإنسان بمراحل مختلفة من حياته يحتاج فى كل مرحلة إلى ما لا يحتاجه فى المراحل الأخرى، فالطفل غير الشاب غير الكهل.. إلخ. فالله سبحانه وتعالى نسخ شريعة إبراهيم بشريعة موسى، ونسخ بعض شريعة موسى بشريعة عيسى، ونسخ شريعة عيسى بشريعة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين. والنسخ لا يكون إلا فى التكاليف.. إفعل ولا تفعل، أشياء تُحَلل وأخرى تُحَرَّم، أشياء تزيد وأخرى تنقص {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ} [البقرة:١٠٦] والناس تحكمها عادات وتقاليد وبيئات، والمجتمع المشرك كان يَئِن بالأمراض، ولتغيير تلك العادات ومعالجة تلك الأمراض كان لابد من التدرج فى التشريع، كالذى يأخذ الدواء على جرعات، ولو أخذه كله مرة واحدة لمات، وكذلك فإنه من حين لآخر يُغيِّرُ له نوع العلاج ليناسب ما جَدَّ من أحواله. فمثلاً: تحريم الخمر جاء على مراحل متعددة، فقد كانوا يشربون الخمر شُربهم للماء، وكانت لهم فيها أشعار، فلو حُرِّمَت عليهم فجأة لكان هذا صعباً على نفوسهم، فمن المعلوم لدى الأطباء أن المدمن لشىء يصعب عليه أن يفارقه فجأة، لأن هذا يصيبه باضطرابات عصبية ونفسية، فلابد له من التدرج فى تركه، أمَّا الأجيال التى جاءت بعدهم فليس لهم تدرج فى هذا الأمر لأن أسلافهم منعوها فلم تبقَ فى خَلَفِهم. ومن جهة أخرى فإن تحريمها فجأة كان سيضر باقتصادهم، وتخيلوا لو أن جميع محلات بيع الخمور أُغلِقَت فجأة.. فمن أين يرتزق أصحابها؟ أما تحريمها بالتدريج فقد جعل الإقبال عليها يقل بالتدريج، حتى يتسنَّى للمتاجرين فيها أن يبحثوا عن مصادر أخرى ليرتزقوا منها. وكذلك آيات الصبر على أذى الكفار كانت فى أول البعثة، حيث المؤمنون قِلَّة مستضعفة لا تستطيع المواجهة، أما بعد أن قويت شوكتهم، وأصبحت لهم دولة، أذن الله لهم فى القتال {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج:٣٩-٤٠] ولو ظلت آيات الصفح والعفو عن المشركين لم تنسخ، لأُجهِضَ الإسلام، ولَوئِدَت دولته منذ نشأتها، فلابد للحق من قوة تحميه، قال الله عز وجل: {وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا} [الحج:٤٠] ومن الآيات التى نُسخت حكماً وبقيت تلاوة، قوله تعالى: {وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا} [النساء:١٦] و{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ} [النساء:٤٣] وآيات أخرى نُسِخت تلاوة وبقيت حكماً، مثل {الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة} أى المحصنون إذا زنوا فلابد أن يُرجَموا، وهذه الآيات التى نسخت تلاوة وبقيت حكماً هى التى نُسِيَت، أى فى قوله تعالى {أَوْ نُنسِهَا} وليس كل ما نُسِخَ نعلم حكمته، ولكننا نسلِّم بأن الله سبحانه وتعالى له الحكمة التامة فى ذلك وغيره،

فهو سبحانه يفعل ما يشاء {إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج:١٨] قد يقول قائل {بِخَيْرٍ مِّنْهَآ} مقبولة ولكن ما فائدة {مِثْلِهَا}؟ فنقول وبالله التوفيق: إن هذا مثل آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ} [البقرة:١٤٤] فالعبرة ليست بالاتجاه يميناً أو يساراً {وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ} [البقرة١١٥] ولكن العبرة هى تعظيم أمر الله جل وعلا، مثل سجود الملائكة لآدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فليس هذا تعظيماً لآدم، ولكنه تعظيماً لأمر الآمر، وهو الله جل وعلا. وتحويل القبلة كان اختباراً إيمانياً {وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ} [البقرة:١٤٣] فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو قال أب لابنه: قم من على هذا الكرسى واجلس على الآخر، فالوضعان بالنسبة للابن سواء، ولكن الأب يريد أن يختبر طاعة ابنه له، وانقياده لأوامره.

أما لماذا لم يُنسَخْ شرعنا؟ لأنه فى علم الله القديم أن هذا الشرع الأخير يصلح لجميع الأجيال المتعاقبة إلى يوم القيامة، ولن تأتى أحوال تستدعى تشريعاً آخر، وكأن البشرية قد بلغت سن الرشد، كما يُكَلَّفُ أحدنا حين يبلغ سن الرشد، ولا تتغير عليه الأحكام بعد ذلك. قد يقول قائل: قد جدَّت على البشرية أحوال كثيرة غير التى كانت على أيام الرسول ﷺ، ونقول له: إنها تقاس على أحكام أخرى مشابهة لها، والفقهاء - بارك الله فيهم - عندهم الإجابة على كل سؤال، فعلى سبيل المثال: شرب الدخان يُحكَم عليه بحديث الرسول ﷺ: "لا ضَرَرَ ولا ضِرار" [مسند أحمد وسنن ابن ماجه، صحيح الجامع:٧٥١٧] والحشيش والبانجو والأفيون وغيرها يحكم عليها بحكم الخمر، لأن الخمر تُخمِّرُ العقل.. أى تغطيه، وقد سُمِّىَ الخِمارُ خماراً لأنه يغطى الرأس. التلفاز والطبق (الدِّش) والحاسب الآلى والشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يُحكَم عليها بما قيل فى الشِّعر: إن حلاله حلال وحرامه حرام، ويحكم عليها أيضاً بالآية الكريمة: {وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ} [المائدة:٢] وأشياء أخرى كثيرة يُحكَمُ عليها بما يناسبها.

والآن نذكر لكم بعض ما نُسِخَ من الكتاب المقدس:

وتأكل كعكاً من الشعير. على الْخُرْء الذى يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم.

وقال الرب. هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم. فقلت آه يا سيد الرب ها نفسى لم تتنجس ومن صباى إلى الآن لم آكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمى لحم نجس. فقال لى انظر. قد جعلت لك خثى البقر بدل خُرْء الإنسان فتصنع خبزك عليه. (حزقيال٤: ١٢-١٥) فى هذا النّص يزعمون أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه (حزقيال) بعمل الكعك على خُرْء الإنسان (أى برازه) فلما اعترض خفف عنه وأمره أن يخبزه على خثىّ البقر.

يقولون إن الله أمر نبيه (إيليا) أن يدمر مَلِك إسرائيل (أخآب) وأن يترك دمه لتلحسه الكلاب، فلما عَلِمَ أخآب تاب، فعفا عنه وجعل العقوبة على ابنه، ورغم ذلك قُتِلَ ولحست الكلاب دمه، وكأن الله سبحانه وتعالى قد رجع فى كلامه، وها هو ملخص قصته: **فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً قم انزل للقاء أخآب ملك إسرائيل... هكذا قال الرب. فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً... هَأنذا أجلبُ عليك شراً وأبيدُ نسلك... من مات لأخآب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء... ولما سمع أخآب هذا الكلام شق ثيابه وجعل مِسحاً على جسده وصام واضطجع بالمِسح ومشى بسكوت. فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً هل رأيت كيف اتضع أخآب أمامى. فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلبُ الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه أجلبُ الشر على بيته** (الملوك الأول٢١: ١٧-٣٩) أما قصة قتله ففى الإصحاح الذى بعده، وها هى نهايتها: **وإن رجلاً نزع فى قوسه غير متعمد وضرب ملك إسرائيل... وأوقف الملك فى مركبته مقابل أرام ومات عند المساء وجرى دم الجرح إلى حِضن المركبة... وغُسلَت المركبة فى بركة السامرة فلحست الكلاب دمه... فاضطجع أخاب مع آبائه ومَلَكَ أخزيا ابنه عِوَضاً عنه** (الملوك الأول٢٢: ٣٤-٤٠) ومعنى (فاضطجع أخآب مع آبائه) أى دُفِنَ معهم.

فى النّص التالى يأمر الرب بإهلاك أورشليم، ثم يندم (بزعمهم) ويأمر المَلَك بالكفّ عن إهلاكها: **وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لإهلاكها وفيما هو يُهلِكُ رأى الرَّبُّ فندم على الشر وقال للملاك المُهلِك كفى الآن رُدَّ يدك.** (أخبار الأيام الأول٢١: ١٥)

نسخ العهد الجديد بعض أحكام العهد القديم مثل الطلاق، فقد كان مباحاً للرجل أن

يطلق امرأته، وكان مباحاً لها أن تتزوج بعد طلاقها، بدليل قوله: **إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست.** (تثنية٢٤: ١-٤) ثم جاء العهد الجديد فحرم الطلاق إلا بسبب الزنى، وحرم زواج المطلقة، وحكم عليه بأنه زنى، فقال: **وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلّة الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى** (متى٥: ٣١-٣٢) **قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق. قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذنَ لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. والذى يتزوج بمطلقة يزنى.** (متى١٩: ٧-٩) نلاحظ أن النّص الأخير أقرَّ بالنسخ مرتين، مرة فى شريعة موسى، ومرة فى شريعة عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لأنهم لما سألوه وقالوا له إن موسى أحل الطلاق، رد عليهم بأن موسى فعل ذلك لأجل قساوة قلوبهم (ولكن من البدء لم يكن هكذا)

حرم العهد القديم أشياءً كثيرة جداً واعتبرها نجسة، منها أنواع كثيرة فى (سِفر اللاويين، الإصحاح١١) وبعضها قد ذُكِرَ فى الرد على الشبهة رقم (٦٠) ثم جاء العهد الجديد فأحلها، بدليل قوله: **إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شىء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس.** (رسالة بولس إلى رومية١٤: ١٤) **كل شىء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم** (رسالة بولس إلى تيطس١: ١٥) **كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذى يأكل بعثرة.** (الرسالة إلى رومية١٤: ٢٠)

كان تعظيم السبت حكماً أبدياً فى العهد القديم، لدرجة أن من عمل فيه أدنى عمل يُقتل. **وكلم الرب موسى قائلاً. وأنت تكلم بنى إسرائيل قائلاً سُبُوتى تحفظونها. لأنه علامة بينى وبينكم فى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب الذى يقدسكم. فتحفظون السبت**

لأنه مقدس لكم. من دنَّسَه يُقتل قتلاً. إن كل من صنع فيه عملاً تُقطع تلك النفس من بين شعبها. ستة أيام يُصنع عمل. وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب. كل من صنع عملاً فى يوم السبت يُقتل قتلاً. فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهداً أبدياً. هو بينى وبين بنى إسرائيل علامة إلى الأبد. لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس. (خروج٣١: ١٢-١٧) ثم جاء المسيح - عليه السلام - فنقض السبت، ولذلك أراد اليهود أن يقتلوه: ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا فى سبت. فأجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم يَنقُض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله (يوحنا٥: ١٦-١٨) فقال قوم من الفريسيين هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت. (يوحنا٩: ١٦)

كان الختان حكماً أبدياً لليهود، فيقول العهد القديم: وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى. أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون فى لحم غُرلتكم. فيكون علامة عهد بينى وبينكم. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم. وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك. يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك. فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذى لا يُختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدى (تكوين١٧: ٩-١٤) واستمر فيهم هذا الأمر إلى أن اختتن المسيح عليه السلام نفسه: ولما تمت ثمانية ايام ليختتنوا الصبى سُمِّىَ يسوع (لوقا٢: ٢١) ثم جاء بولس بعد ذلك فنسخ الختان بقوله: ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً. لكن أشهد أيضاً لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس. قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس. سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر. لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة. (رسالة بولس إلى غلاطية٥: ٢-٦) غير أنه كما قسم الله لكل واحد كما دعا الرب كل واحد هكذا

ليسلك وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس. دُعِىَ أحد وهو مختون فلا يَصِر أغلف. دُعِىَ أحد فى الغرلة فلا يختتن. ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً بل حفظ وصايا الله. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ١٧-١٩) إن كلمة (دُعِىَ أحد فى الغرلة فلا يختتن) مفهومة، ولكن كيف نفهم (دُعِىَ أحد وهو مختون فلا يَصِر أغلف)؟

نسخ جميع أحكام التوراة إلا أربعة: **لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عمَّا ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعمّاً تفعلون. وكونوا معافين** (أعمال الرسل١٥: ٢٨-٢٩) ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن جميع أحكام التوراة تم نسخها، يقول بولس: **مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى. لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بِر فالمسيح إذاً مات بلا سبب** (رسالة بولس إلى غلاطية٢: ٢٠-٢١) **لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به. ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالايمان يحيا. ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذى يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا** (رسالة بولس إلى غلاطية٣: ٩-١٣) إن معنى كلام (بولس) فى الفقرة الأولى أن الناموس (أى شريعة سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام) إن كان له بِر (أى إن كان سبباً فى البر) فيكون المسيح قد صُلِبَ بغير فائدة، أى أن صَلْبه لم يَعُد عليهم بفائدة فى تخفيف أحكام الناموس عليهم. ومعنى كلامه فى الفقرة الثانية أن المسيح (بزعمهم) صُلِبَ وجُعِلَ لعنة ليخلصهم من لعنة الناموس، لأنه بالإيمان يصبح الإنسان باراً لا بالناموس. وهنا يتضح الفرق بيننا وبينهم، فهم يزعمون أن بالإيمان وحده ينجو الإنسان، بل إنهم وصفوا الشريعة (الناموس) بأنها لعنة، أما نحن فلا نقول إن الإيمان وحده يكفى، بل لابد أن يقترن بالعمل الصالح: وهذا ما نص عليه القرآن الكريم فى أكثر من موضع. ومن يرجع إلى الكتاب المقدس فسيجد أشياءً أخرى كثيرة نُسِخَت غير التى ذكرناها، ومنها على سبيل المثال ما جاء فى (إنجيل متى، الإصحاح٥) من تكرار قول المسيح – عليه

السلام - قد سمعتم إنه قيل كذا وأنا أقول كذا، والله أعلم.

س٣٢- لماذا لم يُدَوَّن القرآن فى مصحف واحد فى عهد نبيكم، أو حتى يُجمع بين لوحين؟

ج٣٢- لم يجمع القرآن فى عهد رسول الله ﷺ فى مصحف واحد لعدة اعتبارات، أهمها:

١) احتمال نزول آيات ناسخة لآيات سابقة.

٢) استمرار نزول الوحى على رسول الله ﷺ ولا يعرف أين ستوضع الآيات الجديدة.

٣) كان القرآن فى صدر النبى ﷺ وفى صدور كتبة الوحى، وفى صدور كثير من الصحابة ﷻ ومع ذلك كان القرآن مكتوباً على الرِّقاع والأكتاف واللخاف والعسب، وكان كله مجموعاً فى بيت رسول الله ﷺ.

ونقول للسائل: إن التوراة والإنجيل لم تتم كتابتهما فى عهد رسوليهما على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، فقد جاء فى (ص٣) من (الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣) ما نصه: كانت أول لائحة وُضِعَت فى سبيل قانونية العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة فى أيام عزرا حوالى ٤٠٠ ق.م ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعياء وإرمياء وحوالى سنة ٩٠ ق.م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان فى بلدة (يمنية) الواقعة فى (فلسطين) وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار... إلخ.

إن معنى هذا الكلام أن أسفار (العهد القديم) الموجودة الآن لم تكن موجودة بكاملها عند أول كتابتها، كما أن أول كتابة لها كانت سنة (٤٠٠ ق.م) أى بعد موت سيدنا موسى بمئات السنين، والدليل على ذلك أنها ذكرت عهد الملوك فقالت: **وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبنى إسرائيل.** (تكوين٣٦: ٣١) وعهد الملوك فى بنى إسرائيل بدأ بعد موت سيدنا موسى بأربعة قرون. والدليل الأقوى على أن التوراة لم تُكتب فى زمن سيدنا موسى أنها تحدثت عن موته، فمن كتبها إذن بعده؟

فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه فى الجواء

فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات موآب ثلاثين يوماً. فكملت أيام بكاء مناحة موسى (تثنية٣٤: ٥-٨)

كما أن الإنجيل (العهد الجديد) لم تتم كتابته هو أيضاً فى عهد المسيح عليه السلام، والدليل على ذلك وجود أربعة أناجيل مختلفة ليس فيها (إنجيل المسيح) وكلها تذكُره بصيغة الغائب، مثل: ذهب.. جاء.. قال... إلخ، ولم يتم الاتفاق على كونها مقدسة - هى وبقية رسائل الكتاب المقدس - إلا فى القرن الرابع، وبالتحديد فى عام ٣٢٥ بإقرار من (مجمع نيقيَّة)، والله أعلم.

س٣٣- إن جمع القرآن فى خلافة أبى بكرلم يكن منضبطاً ولا موثوقاً فيه نظراً لموت كثير من الحفظة، وهذا هو الجمع الأول الذى عليه الاعتماد.

ج٣٣- إن الجمع فى خلافة أبى بكر كان بناءً على اقتراح من عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - بعد أن استحر القتل فى حفظة القرآن الكريم، خصوصاً بعد معركة اليمامة (حرب الردة) التى قُتِلَ فيها سبعون حافظاً لكتاب الله، فخاف عمر على القرآن وأشار على أبى بكر بأن يجمعه فى مصحف واحد، ورفض أبو بكر فى أول الأمر واعتبره بدعة، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولكن تحت إلحاح عمر، وبعد مشاورات تم اختيار الصحابى الجليل زيد بن ثابت ﷺ لهذا الأمر الصعب، ورغم أنه كان من الحفظة المهرة إلا أنه قال: والله لو كلفونى بنقل جبل لكان أهون علىَّ من جمع القرآن. وكان زيد معروفاً بأنه قد حضر العرضة الأخيرة للقرآن سماعاً من فم الرسول ﷺ، بالإضافة إلى ورعه وتقواه، فتم جمع القرآن فى عهد أبى بكر فى مصحف واحد، وقد نال جَمْعَهُ استحسان ورضا جميع الصحابة ﷺ حتى قيل: إن أعظم الناس أجراً فى المصاحف هو أبو بكر، لأنه أول من جمعه بين لوحين.

كيفية جمع القرآن فى عهد أبى بكر:

١) تم جمع كل الوثائق الخطيَّة التى كتبت فى عهد رسول الله ﷺ من فمه الشريف من كُتَّاب الوحى.

٢) إحضار كل الحَفَظَة المهَرَة بالقرآن الذين حضروا العرضة الأخيرة، وكانوا سبعة،

خصوصاً زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبى بن كعب، تحت إمرة زيد بن ثابت (رضى الله عنهم أجمعين)

٣) لم تكتب آية من آيات القرآن إلا إذا كانت مدونة فى الرقاع، أو سعف النخيل، أو الأكتاف، على عهد رسول الله ﷺ، ويشهد لها جمع من الحفظة، وأقل الجمع رجلان من الحفظة، ولا تقبل شهادة الرجل الواحد مع أن التدوين يؤيده، إلا آية واحدة لم يجدوا لها إلا شاهداً واحداً هو خُزَيمة بن ثابت ﷺ وقد قبلوا شهادته وحده لأن الرسول ﷺ قال عنه: "من شَهِدَ له خُزَيمة أو شهد عليه فَحَسْبُه" [المعجم الكبير للطبرانى] "فحسبه" أى يكفيه، والله أعلم.

س٣٤- إن جمع القرآن فى عهد عثمان حذف منه أشياء كثيرة من صلب القرآن، بدليل أنه أحرق كثيراً من المصاحف المخالفة له.

ج٣٤- أحرق عثمان ﷺ المصاحف المخالفة لمصحفه لعدة أسباب:

١) كان بها بعض العبارات التفسيرية، سواء فى آخر الآية أو فوقها أو تحتها، مما قد يُظَن بعد ذلك أنها من القرآن، وهى فى الحقيقة تفسيرات، وهذه العبارات التفسيرية لم تكن واحدة، ولكن اختلفت باختلاف الكُتّاب.

٢) كان بهذه المصاحف قراءات غير صحيحة، وآيات نسخت تلاوة وما زالت عندهم فى هذه المصاحف.

٣) الطريقة التى كتبت بها المصاحف لا تحتمل وجود الألسن السبعة، بل أكثرها كان يعبر عن لسان واحد لقبيلة واحدة.

٤) اختلاف الطرق الإملائية فى هذه المصاحف، وهذا ما تداركه عثمان، فوحَّد الخط على يد رجل واحد هو سعيد بن العاص ﷺ حتى تصبح النُّسَخ كلها بخط واحد كأنها نُسَخ ضوئية لمصحف واحد، وهو المعروف بمصحف عثمان.

والأهم من هذا كله أن أصحاب المصاحف مثل أُبَىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود وعلى بن أبى طالب لم يعترض منهم أحد، وأجمعوا على صحة ما فعله عثمان، وتمت عملية الإحراق أمام الكبراء من أصحاب النبى ﷺ حتى لما حدثت الفتنة بعد مقتل عثمان، وقال بعض الروافض إنه حرق المصاحف، قال لهم على بن أبى طالب: اتقوا الله أيها

الناس، والله ما فعل عثمان ذلك إلا بمشورتنا وحضورنا وموافقتنا جميعاً لم يَشِذّ منا أحد.

كيفية جمع القرآن فى عهد عثمان ﷺ (وقد كان من المهَرَة بالقرآن، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة):

فزع حذيفة بن اليمان ﷺ حينما رأى اختلاف الناس وتعصبهم لبعض القراءات، إلى حد الافتخار بقراءة على أخرى، ونظراً لفتوح بعض البلدان الأعجمية بدأت تظهر قراءات مليئة بالأخطاء لدخول ألسنة غير عربية على قراءة القرآن، فظهر كثير من اللحن فى قراءته، فتوجَّه إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أن يدرك الأمة قبل أن تضيع لغة القرآن بين الناس، وتحدث فُرقة كفُرقة أهل الكتاب على كتابهم، فتم اختيار نخبة من أصحاب رسول الله ﷺ لجمع القرآن فى مصحف واحد تجتمع الناس عليه، ويحمل فى الوقت نفسه صلاحية الأحرف السبعة التى نزل بها. والمعلوم أن الأحرف السبعة غير القراءات السبعة، وكانت النخبة التى كوَّنها عثمان من الحفظة المهرة الذين حضروا العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ وتلوها عليه، وأقرَّهم عليها، ومن هؤلاء الحفظة زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم أجمعين. وقد كان هؤلاء من كتبة الوحى، وكانوا حافظين للقرآن بالسماع المباشر من فم الرسول ﷺ، وكان زيد بن ثابت له السبْق فى خلافة أبى بكر الصديق فى الجمع الأول للقرآن، وكانت النسخة الأولى المعروفة بالبَكْرية (نسبة لأبى بكر) فى بيت أم المؤمنين حفصة - رضى الله عنها - بعدما تركها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان قد أخذها بعد موت أبى بكر بعد الجمع الأول الذى تمت الإشارة إليه، فاستأذن عثمان ﷺ فى أخذ هذه النسخة باعتبارها العمدة فى القراءات والأصيلة، لأنها كتبت من فم الرسول ﷺ، ثم أعادها إليها بعد أن نسخ المصاحف التى أرسل بها إلى الأمصار الإسلامية، وتم نسخ القرآن بطريقة تحفظ الألسن السبعة، والتى عُرِفَت بالرسم العثمانى، وكانت بخط الصحابى الجليل سعيد بن العاص ﷺ وكانت حوالى ثمانى نسخ، احتفظ عثمان لنفسه بنسخة، وأرسل الباقى إلى الأمصار الإسلامية، وكان عملاً فخيماً عظيماً نال إعجاب كل الصحابة، وكان هذا فى العام الخامس والعشرين من الهجرة، وكان جمع أبى بكر فى عام ١٢ هجرية بعد حروب الردة، وكانت النسخة العثمانية من الدقة بمكان، حتى إن أحد المؤرخين

المستشرقين واسمه (موير) قال: إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد حتى وصل إلينا الآن دون أى تحريف. وللآن القرآن الموجود فى كل الدنيا هو قرآن واحد، والواقع يؤيد صدق الآية الكريمة: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩]، والله أعلم.

س٣٥- إن القرآن قد مُلئ بالإضافات التى لم تكن فى مصحف عثمان، وقد تم ذلك بعد موته.

ج٣٥- إن الإضافات التى يزعم أعداء الإسلام أنها أضيفت لمصحف عثمان ﷺ هى النقط والضبط وعلامات الوقف، ثم إنها:

أولاً: لا تمس رسم الكلمة من قريب أو بعيد، ولا تغير من هيكل الرسم العثمانى للكلمات، بل هى إيضاحات خارجة عن أصل الكلمة.

ثانياً: إن هذه الإضافات المزعومة عبارة عن علامات لخدمة النص القرآنى، وهى وسائل إيضاح اصطلاحية متفق عليها تعين قارئ القرآن على تلاوة متقنة، وليست منزلة من عند الله، ولو جُرِّدَ المصحف منها ما نقص كلام الله شيئاً، وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو كتاب الله، فهى إذن ليست إضافة أو تبديلاً أو تحريفاً أُدخِلَ على كتاب الله فأضاع معالمه.

فالنَقْط مثلاً: هو وضع النقط فوق الحروف أو تحتها مثل النون والباء والتاء والياء.

أما الضبط فهو وضع الحركات الأربع: الضمة والفتحة والكسرة والسكون حسب النطق الصوتى للكلمة، حسبما تقتضيه قواعد النحو.

أما علامات الوقف: فهى كالنقط والضبط توضع فوق نهاية الكلمة التى يجوز الوقف عليها، أو وصلها بما بعدها.

وقبل إضافة النقط إلى الحروف أو الضبط أو الوقف كان السماع يقوم مقامها، لأن الحفظة لم يكونوا فى حاجة إلى هذه الوسائل، أما غير الحفاظ - وهم الأكثرية من المسلمين - ففى حاجة ماسَّة إلى هذه الإيضاحات، وإن هذا الضبط والتنقيط والتوقيف تم فى عهد جماعة من كبار التابعين، وأول من نقَّط المصحف أبو الأسود الدؤلى، وناصر بن عاصم الليثى، ويحيى بن يعمر، والخليل بن أحمد. وكان هذا العمل العظيم من السنن

الحسنة التى أجازها كبار التابعين، لأن فيه تيسيراً على قُرَّاء كتاب الله، والله أعلم.

س٣٦- كيف تقطعون بصحة نقل القرآن، مع أن الذين كانوا يحفظونه كله حوالى سبعة من الصحابة؟

ج٣٦- كان القرآن فى صدر النبى ﷺ وكان مدوَّناً - كما قلنا - فى الرقاع والأكتاف والعسب، وكانت حظوظ أصحاب النبى ﷺ من القرآن متفاوتة، فمنهم من يحفظ أوله، ومنهم من يحفظ وسطه، ومنهم من يحفظ آخره، وبذلك يكون القرآن كله مع الصحابة ﷺ وقد كان هناك حفظة آخرون غير السبعة الذين تتحدثون عنهم، أما هؤلاء السبعة فقد عرضوه على الرسول ﷺ فأقرَّهم عليه قبل موته، ثم جاءت الجَمْعة البكرية، ثم الجَمْعة العثمانية التى أقرها وأجمع عليها كل أصحاب النبى ﷺ.

ونقول للسائل: هل تضمن صحة نقل ما جاء فى كتابك المقدس؟ فإن قلت: (نعم) سألناك وماذا يعنى قول (لوقا) فى أول إنجيله: **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور الْمُتَيقَّنة عندنا كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البَدْء مُعاينين وخُدَّاماً للكلمة رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به** (لوقا١: ١-٤)؟ إن معنى كلام (لوقا) أنه كان هناك كثيرون قبله ألَّفوا قصصاً من عندهم، ونسبوها (للكلمة) أى الوحى الأصلى وهو الإنجيل، فأين صحة النقل إذن؟

كما أن بولس الرسول يقول: **إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا إنجيل المسيح.** (الرسالة إلى غلاطية١: ٦-٨) إن بولس يُقرُّ بأن هناك ما يُسمَّى بإنجيل المسيح، فأين هذا الإنجيل؟، والله أعلم.

س٣٧- تقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف، ومرة تقولون إن عندكم سبع قراءات، ومرة تقولون إن هناك قراءات شاذة غير السبعة.

ج٣٧- إن القراءات السبع ليس المقصود بها الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، كما قال رسول الله ﷺ: **"أُمِرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرُف كُلُّها شافٍ كافٍ"** [صحيح الجامع:١٣٧٤] وهذا من تيسير الله عز وجل على أمة الإسلام، لأن قبائل الحجاز العربية لها

لهجات مختلفة، مثل القُرَشية، والتميمية، والهُذَلية، والثقيفية، والغِفارية، والأسَدية، وغيرها، فمثلاً: قوله تعالى: {وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا} [البقرة:٢٥٩] فقد صحت قراءة أخرى متواترة {ننشرها} وقوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً} قرأها أنس ﷺ {وأصوب قيلا} فقال له البعض: يا أبا حمزة إنما هى {وَأَقْوَمُ} فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد. أما القراءات السبع قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وقال مكى بن أبى طالب: هذه القراءات التى يُقرأ بها اليوم وصحَّت روايتها عن الأئمة هى جزء من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن.

ومن حكمة تعدد القراءات التعرف من خلالها على حكم الصحيح، وحسم مادة الخلاف عند التعارض فى أقوال الفقهاء، أو ترجيح بعضها على بعض، فإن الفقيه يلجأ فى تصويب رأيه إلى وجوه القراءات، لعلمه أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، ولقد وضع العلماء الأقدمون ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة التى هى وحى من عند الله، وتلك الضوابط هى:

١) صحة السنَد الذى يؤكد سماع القراءة من رسول الله ﷺ.

٢) موافقة القراءة لرسم المصحف العثمانى الذى أجمعت عليه الأمة.

٣) أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية.

٤) أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قِيَم الإسلام ومقاصده الأصول والفروع.

وعملاً بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة. فإن سأل سائل فقال: فما الذى يُقبَل من القرآن فيُقرَأ به؟ وما الذى يُقبَل ولا يُقرَأ به؟ فالجواب: أن جميع ما رُوِىَ فى القرآن على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم يقرأ به اليوم، وهو ما اجتمعت فيه الشروط الأربعة المتقدمة.

القسم الثانى: ما صحَّ نقله عن الآحاد، وصح وجهه فى العربية، وخالف لفظه خط المصحف، هذا يقبل ولا يقرأ به.

القسم الثالث: هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له فى العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف، والله أعلم.

س٣٨- لماذا تعددت المصاحف فى عهد عثمان حتى وصلت إلى سبعة فى الأقطار الإسلامية؟

ج٣٨- إن هذه المصاحف السبعة هى نسخ لم تتعدد، وهى تشبه الآن التصوير الضوئى، لأنها كانت بخط رجل واحد هو سعيد بن العاص ﷺ، وهذا المصحف هو المعروف بمصحف عثمان.

وقد ذكرنا فى الشبهة رقم (٣٢) أن الأناجيل الأربع الموجودة الآن تم الاتفاق على أنها مقدسة فى عام (٣٢٥) بعد ميلاد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -فى مجمع نيقيَّة، وقد تم اختيار هذه الأناجيل حين ذاك من بين أكثر من سبعين إنجيل، ولم يتم ذلك الاختيار وِفْق منهج علمى تمَّ على أساسه قبول ما قُبِلَ ورَدّ ما رُدَّ ، وإنما كان الضابط فى ذلك ما ظنَّه رعاة المجمع من عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبنَّوْه من القول بألوهية المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وأنه ابن الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وبالطبع فلم يكن هذا القول ليَحْظى بموافقة كل المؤتمرين، فقد عارضه جمع عظيم منهم، إلا أن قوة سيف الرومان حسمت الخلاف لصالح من ذهب إلى القول بألوهية المسيح عليه السلام، وجعلت من المخالفين مبتدعة ومهرطقين، علماً بأنهم الأكثرية، وفيهم عدد من الموحِّدين الذين نادوا بوحدانية الله لا شريك له، وأن المسيح - عليه السلام - عبد الله ورسوله. وهكذا قضت قوة الرومان على هؤلاء المخالفين - وخاصة الموحِّدين منهم - بالملاحقة والتشريد والتعذيب، فلم ينتشر مذهبهم، بل اضمحل مع مرور الوقت حتى أضحى اليوم - فيما يظهر - من غير أتْباع، والله أعلم.

س٣٩- إن الشيعة يقولون إن عثمان حذف من القرآن شيئاً يتعلق بعلىّ بن أبى طالب، وبعضهم يذكر سورة باسم (سورة النورين) كانت مما نزل وحذفها عثمان عند جمع المصحف، وهذا يعتبر تعديلاً فى النصوص الموحَى بها، فكيف تقولون إن القرآن لم يُمَس وأنه متطابق فى المصاحف كلها؟

ج٣٩- إن الذين قالوا ذلك ليسوا من الشيعة، بل من الدخلاء على التشيع، ولا وجود لهم الآن فى العالم كله، فقد انقرضوا، ومما يدفع هذه الفرية عن عثمان ﷺ أن التشيع فى خلافته كان شيئاً لا يُذكَر، وكان على يد (عبد الله بن سبأ) اليهودى الحاقد على

الإسلام. أما التشيع فلم يظهر إلا بعد حادثة التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - ومعنى هذا أن غَمْط حق علىّ بن أبى طالب لم يكن له وجود فى عهد عثمان، فما الذى كان يحمل عثمان على غمط حقه؟ ولنفترض أن ذلك قد حدث.. فهل من المتصوَّر أن حفاظ القرآن من الصحابة كانوا سيتركونه يعبث بكتاب الله؟ وقد قلنا قبل ذلك إن علياً قد أثنى على ما قام به عثمان من جمع القرآن، وكذلك كل الصحابة فى خلافة عثمان، وإلى يومنا هذا فإن المصحف المتداول فى العالم الإسلامى كله - بما فيه فِرَق الشيعة - هو المصحف العثمانى.

واسمع إلى رأى الشيعة الإمامية - وهم أهم فِرَق الشيعة - كما ورد فى كتاب أبى جعفر (الأم): (إن اعتقادنا فى جملة القرآن الذى أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد ﷺ هو كل ما تحويه دفَّتا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو١١٤ سورة، أما عندنا نحن الشيعة فسورتا الضحى والشرح تكوِّنان سورة واحدة، وكذلك سورتا الفيل وقريش، وأيضاً سورتا الأنفال والتوبة، أما ما ينسب إلينا من أن القرآن أكثر من ذلك فهو كاذب) فماذا يقول خصوم القرآن بعد هذا البيان؟ وماذا يقولون عن كتابهم المقدس الذى قال:

كما أمر موسى عبدُ الربِّ بنى إسرائيل. كما هو مكتوب فى سِفر توراة موسى. (يشوع٨: ٣١) **فتشددوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سِفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يميناً أو شمالاً.** (يشوع٢٣: ٦) **وكتب يشوع هذا الكلام فى سِفر شريعة الله.** (يشوع٢٤: ٢٦) فأين هذه الأسفار الثلاثة؟ ألا يدلّ ذلك على أن التوراة التى بين أيديكم ليست التوراة الحقيقية التى أُنزِلت على سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ وإلا.. فما معنى (سِفر توراة موسى) و(سِفر شريعة موسى) و(سِفر شريعة الله)؟ ثم إنكم متفقون معنا على أن الكتاب المقدس الموجود الآن هو ترجمة للتوراة والإنجيل، سواء كانت هذه الترجمة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية... إلخ، فأين إذن النُّسَخ الأصلية؟ ولِمَ جعلتم التراجم مقدَّسة، وأطلقتم عليها عبارة (الكتاب المقدس)؟ ألا كان المفروض أن تسمونه (ترجمة الكتاب المقدس) وخصوصاً أن هذه التراجم مختلفة مع بعضها البعض؟، والله أعلم.

س٤٠- إن بعض المصاحف تختلف فى عدد سور القرآن من ١١٢ إلى ١١٦، وكذلك تختلف المصاحف فى عدد آيات القرآن، وفى عدد كلماته وحروفه، فكيف تقولون إن تعدد المصاحف عندكم على صورة واحدة، وإن كل مصحف تكرار لما عداه من المصاحف؟

ج٤٠- إن الاختلاف بين مصاحف السنّة والشيعة فى تعداد السور فقط، فإنهم (كما ذكرنا فى السؤال السابق) يدمجون بعض السور مع بعض بما لا يزيد فى كتاب الله ولا ينقص، فإذا اعتبروا سورتى الأنفال والتوبة سورة واحدة، والضحى والشرح سورة واحدة، والفيل وقريش سورة واحدة، فإن هذا لا يزيد فى كتاب الله كلمة، ولا ينقص منه كلمة. أما عدد الآيات فقد قام بعض الشيعة بقسمة بعض الآيات إلى آيتين، وهذا أيضاً لا ينقص ولا يزيد فى كتاب الله شيئاً. وأما الأحرف، فهناك أحرف أُدغمَت مثل (إن ما) كتبت (إمَّا) وهكذا لم يزد فى القرآن حرف ولم ينقص، والله أعلم.

س٤١- كثير من سور القرآن افتُتِحَت بكلمات عبارة عن طلاسم لا تُفهم ولا يُفهم ما المراد منها، ولا يُرى منها فصاحة ولا بلاغة، مثل {الٓمٓ} {الٓر} {كٓهيعٓصٓ} {حمٓ ۝ عٓسٓقٓ} {طسٓمٓ} وغيرها.

ج٤١- أولاً: هذه أحرف مقطّعة وليست كلمات كما يقول المدَّعى. ثانياً: لو أن هذه طلاسم أو ألغاز أو كلام عاطل لا معنى له - كما يقولون - لكان أول من تصدى لها أساطين الكلام من المشركين الذين كانوا يلعبون بالكلام كما يلعب الصبى بالكرة، ولاشتهر عنهم اعتراضهم الشديد على هذه الأحرف، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث على الإطلاق.

ثالثاً: إن بُلغاء العرب كانوا يعلمون أن وراء هذه الأحرف مُراداً، وأنها تعنى عند بعضهم أرقاماً لبقاء هذا القرآن، وقد قيل فى هذه الحروف تفسيرات كثيرة، من أفضلها أن الله عز وجل يتحدى العرب بهذه الأحرف التى نزل بها القرآن، والتى يتكلمون بها، بمعنى: أن الخامة واحدة، فعليهم أن يأتوا بمثله، طالما فى أيديهم نفس الخامة، وقد تحداهم الله بذلك فى قوله: {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨] ثم إن هذه الأحرف إذا جمعتها

وحذفت منها المتكرر تعطيك هذه العبارة (نص حكيم قاطع له سر) كما ذكره الإمام الزمخشرى. وقد قال أيضاً: إن هذه الأحرف هى نصف الأحرف الأبجدية الثمانية والعشرين، وهى تمثل الأساس فى الأحرف الأبجدية المنطوق بها. وإذا نظرت فى هذه الأربعة عشر حرفاً لوجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، وبيان ذلك أن فيها نصف الحروف المهموسة، والمجهورة، والشديدة، والرخوة، والمُطبَقة، والمنفتحة، والمستعلية، والمنخفضة.

ونقول لمن يعتبر هذه الحروف ليست وحياً من عند الله، مع أنها ليس فيها ما يناقض ذلك: هل كل ما جاء فى الكتاب المقدس وحى من عند الله؟ وهل كل ما ذكرناه فى الرد على شبهات أخرى من ألفاظ جنسية صارخة، وسَبّ للأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — وغير ذلك من قصص الخيانة والسَّب والشتم والعنف وحى من عند الله؟ وهل القُبْلَة المقدَّسة والسلامات التى ذكرناها فى الرد على الشبهة رقم (٦١) وحى من عند الله؟ أضف إلى ذلك أن فى سِفْر (الملوك الأول) إصحاحان كاملان - وهما السادس والسابع - فى وصف الهيكل وطوله وعرضه وسُمكه وارتفاعه، وعدد غرفاته ونوافذه وأبوابه ومراحيضه، وتفاصيل أخرى كثيرة يقول الكتاب المقدس إنها المواصفات التى يريدها الرب لمسكنه الأبدى: **وكان كلام الرب إلى سليمان قائلاً هذا البيت الذى أنت بانيه إن سلكتَ فى فرائضى وعملتَ أحكامى وحفظتَ كل وصاياى للسلوك بها فإنى أقيمُ معك كلامى الذى تكلمتُ به إلى داود أبيك. وأسكنُ فى وسط بنى إسرائيل ولا أتركُ شعبى إسرائيل** (الملوك الأول٦: ١١-١٣) وقد ذكرنا بعض مواصفات الهيكل فى الرد على الشبهة رقم (٨٨)

وفى سِفْر (أخبار الأيام الأول) عدة إصحاحات (من الأول إلى التاسع) كلها أنساب سيدنا آدم وأحفاده، وسيدنا إبراهيم وذريته (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام) وفى (عزرا٢: ١-٦٧) قائمة بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم، وأعداد كل عائلة، بالإضافة لأعداد حميرهم وجمالهم، وقوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سِبط، وعدد كل جيش (انظر سِفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح٢٣) و(الإصحاح٢٧) و(الإصحاح٣٤) وفى سِفر (الخروج) يأمر الرب سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بصناعة

التابوت والمسكَن بمواصفات دقيقة تستمر ١٣ صفحة، تبدأ من الإصحاح٢٥ إلى الإصحاح٣٠، وفى سِفْر (الخروج) الإصحاح (٢٨) تفصيل مُطوَّل لحياكة الملابس المقدسة لسيدنا هارون وأولاده، من جُبَّة ورداء وقميص وعمامة وسراويل... إلخ، وغير ذلك الكثير والكثير، فمن أراد المزيد فليرجع إلى الكتاب المقدس، والله أعلم.

س٤٢- أنتم تقولون إن الأحرف المقطعة فى أوائل السور يأتى الحديث بعدها عن القرآن، ولكن هناك خمس سور بدأت بأحرف مقطعة ولم يأتِ بعدها ذكر للقرآن، وهى مريم والروم والعنكبوت والشورى والقلم.

ج٤٢- لم تَخلُ سورة من هذه السور من وجه من وجوه الإعجاز، فسورة (مريم) جاء فيها ذكر ولادة سيدنا عيسى بلا أب، ومن قبله مجيء سيدنا يحيى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - من أب طاعن فى السن، وامرأة عجوز عاقر. وسورة (الروم) جاء فيها البشارة بنصر الروم على الفرس {غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ} [٢-٤] وسورة (العنكبوت) ذُكِرَ فيها من الإعجاز العلمى قوله تعالى: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ} [٤١] وقد تكلمنا عنها فى الرد على الشبهة رقم (٤٣٠) وسورة (الشورى) فيها إعجاز علمى فى قوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ} [٣٣] وقد ذكرناه فى الرد على الشبهة رقم (٤٤٨) وسورة (القلم) جاء فيها الكلام عن الوليد بن المغيرة، وأنه {زَنِيمٍ} أى أنه ابن زنى والعياذ بالله. ولا يعنى ما ذكرناه من الإعجاز فى هذه السور أنها خلت من ضروب الإعجاز الأخرى، ولكن ما ذكرناه هو أبرز ما فيها من الإعجاز، والله أعلم.

س٤٣- هناك سورتان أثبتهما أُبَىّ بن كعب فى مصحفه ولم يأتِ ذكرهما فى بقية المصاحف، وهما سورتا (الحفد) و(الخلع) فكيف تقولون إن الله قد حفظه من النقص والزيادة والتحريف؟

ج٤٣- يزعم السائل أن هناك سورتين حُذِفتا من القرآن الكريم، وهما سورتا الحفد والخلع، وكانتا عند أبى بن كعب ﷺ، ونصّهما (اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله، نشكرك ولا

نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخاف عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق) ونقول لهذا السائل وأمثاله: إنك لن تستطيع أن تثبت صحة هذا القول، وبفرض صحته فإن ما ورد فى مصحف أبى بن كعب ﷺ ليس من القرآن، ولكنه دعاء كان يَقنُت به فى الصلاة، وقد وضعه على هامش المصحف، كما كان يكتب بعضهم فى مصحفه تفسيراً لآية معينة حتى لا ينساها، كما كتب أحدهم (صلاة العصر) أمام قوله تعالى: {حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ} [البقرة:٢٣٨] ولو كتب سيدنا أُبى هذا الكلام على أنه قرآن لأخبر عنه سيدنا زيد بن ثابت - رضى الله عنهما - حتى يكتبه فى نصوص القرآن حين كان يجمعه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. وقد كان الصحابة ﷺ يفعلون هذا بمصاحفهم لنُدْرة أدوات الكتابة عندهم، ولأنها كانت مصاحفهم الخاصة بهم دون غيرهم، وقد أمِنوا على أنفسهم أن يحدث لهم لَبْس فى هذا الأمر، لأنهم كانوا يعلمون جيداً ما هو من القرآن أو غيره.

وقد استشهد الكتاب المقدس بأسفار لا وجود لها، فقال على سبيل المثال: **لذلك يُقال فى كتاب حروب الرب واهب فى سوفة وودية أرنون** (عدد٢١: ١٤)

فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً فى سِفر ياشر. فوقفت الشمس فِى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل. (يشوع١٠: ١٣)

وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أمَا هى مكتوبة فى سِفر أمور سليمان. (الملوك الأول١١: ٤١)

وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة أمَا هى مكتوبة فى أخبار ناثان النبى وفى نبوّة أخيَّا الشيلونى وفى رؤى يعدو الرائى على يربعام بن نباط. (أخبار الأيام الثانى٩: ٢٩)

وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هى مكتوبة فى سِفر صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى (أخبار الأيام الأول٢٩: ٢٩)

فأين كتاب حروب الرب، وسِفر ياشر، وسِفر أمور سليمان، وأخبار ناثان النبى، ونبوَّة أخيَّا الشيلونى، ورؤى يعدو الرائى، وسِفر صموئيل الرائى، وأخبار جاد الرائى؟

وجاء فى الكتاب المقدس أيضاً:

وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة. لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً (متى٢: ٢٣) إن هذ معناه أنه يستشهد بما قيل فى سفر (الأنبياء) الذى لا وجود له، لأنه لو كان يقصد أن الأنبياء قالوا عنه: (إنه سيدعى ناصرياً) لقال: لكى يتم ما قال الأنبياء، أو: لكى يتم ما قاله الأنبياء، والله أعلم.

س٤٤- كثيراً ما يذكر القرآن أن الله {يُحْيِ وَيُمِيتُ} مع أن الإماتة سهلة، فلِمَ لم يكتفِ بقول: {يُحْيِ}؟

ج٤٤- يظن السائل أن الموت سهل، وأنه بمقدور الإنسان، فيظن أن إطلاق الرصاص، أو السكّين، أو السُّم، أو غير ذلك يميت الإنسان، كلا- إن هذا ليس إماتة ولكنه قتل، ومعناه هدم للبنية بمؤثر خارج عنها، كما فعل النمرود بن كنعان عندما حاور سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} [البقرة:٢٥٨] فماذا فعل النمرود؟ أتى برجل برىء فقتله، وأتى بآخر محكوم عليه بالإعدام فعفا عنه، فهل هذه إماتة؟ إنه قتل، أما الإماتة فهى خروج الروح بدون مؤثر خارج عن الجسد. ونحن نتحدى العالم أجمع أن يأتينا بأكبر عالم متخصص يستطيع أن يميت إنساناً بدون تسليط أى شىء عليه - كالإشعاع مثلاً - ولكن يأمره أن يموت فيموت، أو يوجّه إرادته له بالموت، أما الله سبحانه وتعالى فيميت بسبب وبغير سبب، فمثلاً: تجد مصاباً بمرض عُضال يقف الطب أمامه عاجزاً، ويُحكَم عليه بأنه سيموت حتماً، ثم تجده يعيش لسنوات عديدة، ليس به إلا التنفس، والأكل المطحون يعطى له بخرطوم عن طريق الأنف (الرايل) ويصاب بقرح الفراش، حتى يتمنى الناس له الموت، لدرجة أنهم أحدثوا لهذه الظاهرة اسماً، وهو (الموت الإكلينيكى) أو (السكتة الدماغية) كما حدث لشارون هذه الأيام، وتجد آخر يتمتع بصحة وافرة، وشباب وحيوية ثم يموت فجأة، لا لسبب إلا لأن الله هو الذى {يُحْيِ وَيُمِيتُ}، والله أعلم.

س٤٥- لماذا تخص الآيات التى تتكلم عن بر الوالدين الأم بالذكر دون الأب؟

ج٤٥- إن معظم الآيات التى أمرت ببر الوالدين ذكرتهما معاً، مثل قوله تعالى: {وَقَضَىٰ

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا} [الإسراء:٢٣] وقوله: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت:٨] وقوله: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا} [الأحقاف:١٥] ثم إن دور الأم فى حياة الإنسان أعظم بكثير من دور الأب، فهى التى تتحمل متاعب الحمل والولادة والرضاعة، كما قال الله عز وجل: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ} [لقمان:١٤] وقال: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف:١٥] أما الرجل فحمله خفاً (السائل المنوى) ووضعه شهوة. ومعلوم أن أضعف فترة فى حياة الإنسان والتى يحتاج فيها إلى رعاية ليل نهار هى السنوات الأولى من عمره، وهذه الفترة لا يتذكرها أحد، فهل أحد منا يتذكر حين كان فى بطن أمه، أو حين كانت ترضعه، وتسهر على خدمته؟ أما الأب فرعايته لولده - عادة - تكون بعد ثلاث سنوات أو أربع، فالطفل يجد أباه هو الذى يشترى له طعامه وشرابه وملابسه، وهو الذى يأتيه باللعب والحلوى وكل شيء، وهذه الفترة يتذكرها الإنسان جيداً، وينسى دور أمه، وما لاقته من متاعب، فالله عز وجل يذكرنا بدور أمهاتنا كى نبرّهنّ ولا ننسى فضلهنّ، كما قال رسول الله ﷺ حينما سُئِلَ عن أَوْلى الناس بحسن الصُّحبة: "أمُّكَ ثم أمُّكَ ثم أمُّكَ ثم أبوكَ ثم أدناكَ أدناكَ" [صحيح مسلم]، والله أعلم.

س٤٦- كيف تقولون إن القرآن لكل العالم، وهو يقول: {لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام:٩٢] و{أُمَّ ٱلْقُرَىٰ} عندكم هى مكة، فيكون ما حولها بضع قرى وليس كل العالم؟

ج٤٦- لقد ثبت علمياً أن مكة المكرمة تتوسط اليابسة زماناً ومكاناً (وليس الكرة الأرضية كلها، لأن خمس الأرض يابس والباقى ماء) قال الأستاذ الدكتور زغلول النجار عن صديقه الدكتور حسين كمال الدين - رحمه الله - الذى كان أستاذاً فى هندسة القاهرة، ومن أعظم علماء المساحة: إنه كان يجرى دراسة بواسطة الحاسب الآلى لتحديد اتجاه القبْلة فى مختلف بقاع الأرض، فأثبت أن مكة المكرمة هى وسط اليابسة، بمعنى أننا لو رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فهذه الدائرة تحيط باليابسة كافة، فاقترح أن يعيد إسقاط الخرائط الجغرافية والجيولوجية وغيرها باعتبار أن خط طول مكة هو خط طول الأساس، لماذا؟ لأن خط طول جرينتش الذى فرضه الإنجليز على العالم بحد السيف، بحكم أنهم

كانوا القوَّة العُظمى، واعتبروه خط طول الأساس (خط الصفر) فيه انحراف مغناطيسى، فإن كل موقع له شمال حقيقى وشمال مغناطيسى، الشمال الحقيقى هو الاتجاه العمودى على اتجاه شروق الشمس، والشمال المغناطيسى هو الذى تحدده الإبرة الممغنطة، سواء بواسطة بوصلة أو غيرها، ولذلك يضعون على كل خارطة شمالاً حقيقياً وشمالاً مغناطيسياً، والزاوية بينهما تسمى زاوية الانحراف المغناطيسى، وهى عند خط طول جرينتش تزيد على ثلاث وعشرين درجة، وعند خط طول مكة تساوى صفراً، فلو وُضِعَ خط مكة خط طول الأساس ينتظم شكل العالم وينتظم شكل الخرائط. وأضاف الدكتور زغلول النجار أن مكة تتوسط اليابسة زماناً أيضاً، لأن العلماء يتكلمون عن خط طول الصفر الزمنى، فوجدوا أحد عشر خطاً عن يمينها وأحد عشر عن يسارها، والله أعلم.

س٤٧- إن نزول القرآن على مدار ثلاثة وعشرين عاماً أمر مريب، فهو الكتاب الوحيد الذى استغرق نزوله هذا الزمن، فالتوراة أنزلت على موسى دفعة واحدة، والإنجيل نزل على عيسى مرة واحدة، وهذا مما يثير الشك حول القرآن أنه من تأليف محمد، لأن تأليف الكتب يستغرق وقتا طويلاً، بعكس الكتب المنزلة من عند الله فإنها لا تحتاج لزمن.

ج٤٧- لقد أجبنا من قبل - بتوفيق الله جل وعلا - على زعم تأليف القرآن، فى الشبهة رقم (٢٦) أما كونه لم ينزل مرة واحدة فإن هذا السؤال ليس بجديد، فهو منذ عهد رسول الله ﷺ {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً} [الفرقان:٣٢] وقد رد الله عليهم فى الآية نفسها بقوله سبحانه وتعالى: {كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا} إن الآية الكريمة قد بينت أن نزول القرآن منجَّماً كان لتثبيت قلب الرسول ﷺ فكلما ضاق صدره بتكذيب المشركين له نزلت عليه الآيات تصبِّره وتثبِّته، وتقص عليه قصص إخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وما فعله معهم أقوامهم. فنزوله مرة واحدة لم يكن ليعجز الله عز وجل، فقد أنزله جملة واحدة ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض منجَّماً حسب الأحداث، كما قال ذلك عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - فى تفسير (ابن كثير) وغيره.

وتنزيل القرآن لم يكن لتثبيت الرسول ﷺ فحسب، بل كان أيضاً لتثبيت الصحابة ﷺ فكلما حدث أمر وأرادوا معرفة حكم الشرع فيه جاءهم الوحى من عند الله غضاً طرياً يبين لهم ما هم عنه سائلون، وما هم فيه مختلفون، ولذلك كثيراً ما نجد فى القرآن قوله: {يَسْـَٔلُونَكَ} أو {يَسْتَفْتُونَكَ} وعند ظهور أى مشكلة ويشتاق المجتمع كله لمعرفة الحق فيها تنزل الآيات بتوضيحه، لتروى ظمأهم وتشفى غليلهم، فتثبت الإجابة فى صدورهم، ولا يستطيعون نسيانها، وبذلك تكون العلاقة بين الناس وربهم ورسولهم علاقة حيوية مستمرة، لا علاقة فاترة باردة، وهذا كما يقولون: (الطَّرْق على الحديد وهو ساخن) فحين تكون عطشاناً وليس عندك ماء فإنك تشتاق إليه، فإذا جاءك على ظمأ شعرت بقيمته وقيمة من أعطاه لك أكثر مما لو كان عندك منذ البداية {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} ولذلك كان بعض الصحابة ﷺ - مثل عبد الله بن مسعود - يعلم كل آية لماذا ومتى وأين نزلت. فلو نزل القرآن جملة واحدة ثم عَرَضَ لهم أمر لَمَا ذهبوا إلى الرسول ﷺ ليسألوه، ولَمَا حدث اختبار للمسلمين فى كثير من المواقف، وكأنك أعطيت الإجابة جاهزة للطالب الذى تريد اختباره بجانب ورقة الأسئلة، فأين الاختبار إذن؟ ثم إن القوم الذين أرسل فيهم الرسول ﷺ كانوا أميين يصعب عليهم قراءة القرآن، فيضطرون لسؤال غيرهم، أما التلقِّى من الرسول ﷺ مباشرة فقد كان أقوى لهم فى معرفة كلام ربهم، وتثبيته فى صدورهم، وارتباطهم بنبيهم، فما أجمله من شعور.. شعور ارتباط الإنسان بربه، لدرجة أن الصحابة ﷺ كانوا يبكون بعد موت النبى ﷺ لانقطاع الوحى، كما حدث مع السيدة بركة الحبشية وأبى بكر وعمر. وتخيلوا معى كم كانت فرحة السيدة خولة بنت ثعلبة حين ذهبت للرسول ﷺ لتسأله عن ظِهار زوجها منها، وهى تشتكى وتبكى، ثم ينزل الوحى ليجيب عن سؤالها ويفرِّج كربها؟ (راجع تفسير سورة المجادلة).

ولنضرب لكم بعض الأمثلة التى توضح حتمية نزول القرآن متفرقاً حسب الأحداث: فى حادثة الإفك - مثلاً - ظل الرسول ﷺ والمسلمون شهراً كاملاً فى هذه المحنة وهذا البلاء العظيم، ولا يدرون ماذا يفعلون فيما يردده المنافقون عن السيدة عائشة رضى الله عنها، فلو كانت براءتها معلومة منذ البداية لَمَا حصل اختبار للرسول ﷺ والمؤمنين، ولَمَا استفاد المجتمع المسلم من هذه التجربة، ولكن انقطاع الوحى شهراً كاملاً جعلهم

يتشوَّفون لبيان هذا الأمر والفصل فيه، فلما نزل الوحى شفى غليلهم وروى ظمأهم، وعلموا جيداً ما هو المفروض عليهم فى مثل هذا الموقف، وغير ذلك من الآداب التى نزلت فى سورة (النور) بسببه. وعندما تخلَّف المؤمنون الثلاثة عن غزوة تبوك، وأمر النبى ﷺ المسلمين بهجرهم إلى أن يقضى الله فى أمرهم، فلو كان القرآن نزل جملة واحدة لعلموا أن الله قد غفر لهم، فلم يكن لِهَجْرِ المسلمين لهم أىُّ طعم، ولَمَا تضرعوا لله كل هذا التضرع، ولَمَا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت (كما ذكرت قصتهم فى سورة التوبة) وكذلك الغزوات.. فلو علموا - مثلاً - أنهم سينتصرون فى غزوة بدر لاطمأنت قلوبهم ولَمَا توكلوا على الله وتضرعوا إليه مثل ما كان منهم حينها. وكذلك غزوة أحد.. كيف كان حالهم لو علموا مصيرها مسبقاً؟ أو لو علموا بما سيحدث فى غزوة حنين؟ {لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة٢٥-٢٧] وأشياء أخرى كثيرة يقصر المقام عن ذكرها، مثل تحويل القبلة، والإسراء والمعراج، وفتح مكة.. إلخ. وهى فى مجملها تعنى أن القرآن كان سيفقد روحه وتجدده وتفاعله مع الأحداث، وتكون العلاقة بين الأرض والسماء مرة واحدة وانتهت. فمن فى واقعنا تعرِض له مشكلة ثم يرجو الله أن ينزل حكمها، ويشتاق لذلك ليريح قلبه، ويفرج همه؟ إن أى إنسان تعرِض له مشكلة إما أن يذهب ليسأل عنها العلماء، أو يجتهد فى البحث عنها بنفسه، فلا يجد فى ذلك حلاوة استجابة الله له، وتنزيل الوحى من أجله. أما الصحابة ﷺ فقد كانت تنزل عليهم الآيات تبشرهم وتثبتهم وتبين لهم، وكلما ألَمَّت بهم محنة أو ضيَّق المشركون عليهم نزلت عليهم الآيات تبشرهم بالجنات، وتدعوهم إلى التفكر فى خلق الله وذكره والتضرع إليه، فيزدادون إيماناً مع إيمانهم {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:١٢٤]

ثم أخبرونى يا من تثيرون هذه الشبهة.. ماذا كان الحال لو علم الكفار أن الرسول ﷺ سيهاجر؟ وماذا كانت تعنى {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ

ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؟ [التوبة:٤٠] ثم إن نزول القرآن منجَّماً يدل على أنه من عند الله.. وليس العكس، فلو كان من عند سيدنا محمد - كما تقولون - لَمَا تأخر فى إجابة الكفار حين سألوه عن أصحاب الكهف حتى يأتيه الوحى، ولَمَا تأخر فى الرد على كثير من الأسئلة التى طُرِحَت عليه، والله أعلم.

س٤٨- إن القرآن يشيد بالحواريين ويشيد بالتوراة والإنجيل، ويثبت أنه ليس بهما أى تحريف، فيقول: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:٢٧] ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٣] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٦] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:٤٧]

ج٤٨- أما إشادة القرآن الكريم بالحواريين أتباع سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلأنهم كانوا على الحق، أى أنهم عبدوا الله وحده و لم يشركوا به شيئاً، وآمنوا أن عيسى عبد الله ورسوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة:١١١] وأمَّا إشادته بالتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السابقة فهى خاصة بالكتب المنزلة من عند الله جل وعلا قبل أن يتم تحريفها، ولكنه مع إشادته بها أقر بأنه مهيمن عليها، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] فهو مصدِّق لما جاء فيها، ولكنه مهيمن عليها. أى أنه يُقِرّ بعض أحكامها وينسخ البعض الآخر، فما أقرّه آمنا به وكان شرعاً لنا، وما نسخه آمنا به ولكنه ليس شرعاً لنا. ولا يخفى على أحد أن النسخ غير التحريف، فقد نصَّ القرآن على تحريف أهل الكتاب لكتبهم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨] أما قول الله جل وعلا: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ فلا يدل على عدم التحريف، لأن التحريف لم يكن شاملاً لكل نصوص التوراة والإنجيل، بدليل أن أوصاف النبى ﷺ كانت عندهم و لم تُحرَّف ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وإلى الآن

ليس كل ما بأيديهم محرَّف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا} الآية" [صحيح البخارى] لأننا ربما صدقنا كاذباً أو كذبنا صادقاً، فالأفضل عدم التصديق وعدم التكذيب إلا ما فيه عندنا نص من الكتاب أو السنَّة. والدليل على أن كتبهم محرفة ما نشاهده من تعدد كتبهم واختلافها فيما بينها، فهناك مثلاً: إنجيل يوحنا ومتى ومرقس ولوقا وغير ذلك من الأناجيل، أما نحن فليس عندنا قرآن أبي بكر أو عمر أو عثمان أو على.. إلخ. وقد شهد كتابهم نفسه على تحريفه، وإليكم بعض الأدلة:

فإنه إن كان صِدْق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدَانُ أنا بَعدُ كخاطئ. (رسالة بولس إلى رومية٣: ٧)

مُبْطلين كلام الله بتقليدكم الذى سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون. (مرقس٧: ١٣)

ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة (رسالة بطرس الثانية٢: ١)

فقال الرب لى. بالكذب يتنبأ الأنبياء بإسمى. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعَرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم. (إرميا١٤: ١٤)

صار فى الأرض دهش وقشعريرة. الأنبياء يتنبأون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم وشعبى هكذا أحب. وماذا تعملون فى آخرتها. (إرمياه: ٣١)

لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مُولَع بالربح ومن النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. (إرميا٦: ١٣)

اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى. (رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس٢: ٨) (نلاحظ كلمة: بحسب إنجيلى)

وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه. (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس٩: ٢٣)

وأنبياؤها قد طيَّنوا لهم بالطفال رائين باطلاً وعارفين لهم كذباً قائلين هكذا قال السيد الرب والرب لم يتكلم. (حزقيال٢٢: ٢٨) فهذه وغيرها شواهد على تحريف كتبهم، والله أعلم.

س٤٩- يُقرُّ القرآن بأن آدم عصى ربه، وأن إبليس عصى ربه، فلماذا تاب الله على آدم ولم يتب على إبليس؟ مع أن إبليس كان مُحِقاً فى أن النار أفضل من الطين؟ ثم لماذا يأمره بالسجود لعبد مثله ولا يأمره بالسجود له؟

ج٤٩- إن معصية سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم تكن كمعصية إبليس، فإن معصية آدم لم تكن عن كِبْر أو جحود، فهى كمعصية من يغلبه هواه على فعل أمر ما، مع علمه بتقصيره فى حق مولاه. ثم إن آدم ندم عليها وتاب منها {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} [البقرة:٣٧] {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [الأعراف:٢٣] أمَّا إبليس فقد استكبر عن امتثال أمر الله {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} [البقرة:٣٤] ومن رحمة الله جل وعلا أن سأله عن عدم سجوده (وهو أعلم به) ولم يلعنه ويطرده من رحمته فور معصيته، ولكنه لم يندم ولم يتب، بل رد بسوء أدب مع خالقه جل وعلا {قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} [الأعراف:١٢] {قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر:٣٣] فهناك فرق بين المعصيتين. فمثلاً: لو أن امرأة لم تحتجب، مع علمها بأن الحجاب فريضة من الله، وأنها مقصرة فى حقه سبحانه وتعالى، فهذه يُرجَى لها الخير، ولا تخرج من الملة بمعصيتها، أمَّا لو تكبرت على امتثال أمر ربها، واستهزأت بفريضته، ولم تعترف بها، فإنها تكون فى هذه الحالة قد كفرت، لأنها ردت الأمر على الآمر، ولم تقتنع به كما فعل إبليس (وهذه خطورة قول إحداهن: أنا غير مقتنعة بالحجاب) فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن لك ولدين، أمرتهما بأمر فلم يمتثلا له، ولكن أحدهما اعتذر لك، وبكى من خشيتك، ووعدك بعدم عصيان أمرك مرة أخرى، فَرَقَّ له قلبك وعفوت عنه، أمَّا الولد الآخر فقد تبجح ورد عليك بسوء أدب، واستهزأ بأمرك، فهل يستدر عطفك وتعفو عنه كأخيه؟ ثم من قال إن النار أفضل من الطين؟ إن هذا قياساً على حد تصور إبليس، وإلا- فكلاهما له خصائصه التى خلقها الله سبحانه وتعالى. والذى قال هذه المقولة شيطان مثل إبليس، لأنه أدخل القياس العقلى مع الأمر الشرعى، فلا يجوز بأى حال من الأحوال أن يرجح الإنسان هواه على أمر مولاه، أو يقترح شيئاً غير الذى أمره الله به، فمثلاً: لو قال إنسان

إن عدد ركعات الفجر أو المغرب قليلة لا تليق بالعبودية لله، ثم زاد من عنده ركعة أو أكثر، فهل يقبل منه؟ أو قال إن قطع يد السارق أمر عنيف وفيه شدة، ولكن الأفضل أن نحبسه لمدة معينة حسب حالته، فهل يكون هذا الإنسان مسلماً؟ إنه بذلك قد كفر لاعتراضه على أمر الله، والتحاكم لغير شرعه.

أمّا أمر إبليس بالسجود لآدم، فإن هذا ليس تعظيماً لآدم، بل تعظيم للآمر وهو الله سبحانه وتعالى، فحين يأمرنا الله جل وعلا ببرّ والدينا - وإن كانا كافرين - فهل هذا تعظيم لهما؟ إنهما من أهل النار، ولكن برهما تعظيم لخالقهما سبحانه وتعالى، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أنك مدحت جهازاً مثل الكمبيوتر فى كفاءته وكذا وكذا، فإنك فى هذه الحالة لم تمدحه، ولكنك مدحت صانعه الذى جعله بهذا الإتقان. فالسجود لآدم إنما هو فى الحقيقة سجود لله جل وعلا، وليس سجود عبادة لآدم، فليس لآدم فضل على الملائكة حتى يعظموه، إنما التعظيم لله سبحانه وتعالى. ولقد قال الشيخ الشعراوى رَحِمَهُ الله: إن الملائكة التى سجدت لآدم هى الملائكة الموكّلة بخدمته، كالْحَفَظَة، وكاتبى الأعمال، والملائكة الموكّلة بالأرحام والمطر والرياح... إلخ، وليس كل الملائكة، بدليل قوله تعالى: {أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ} [ص:٧٥] أى أن {ٱلْعَالِينَ} - على حَدِّ قوله - هم الملائكة الذين لم يشملهم الأمر بالسجود، كحَمَلَة العرش وجبريل، وغيرهم من الملائكة سلام الله عليهم أجمعين، والله أعلم.

س٥٠- كيف تقولون إن الأنبياء معصومون، وتعيبون علينا ذكر أخطائهم، مع أن القرآن يُقرُّ بأن لهم ذنوباً؟ فقد قال: {وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ} [محمد:١٩] وقال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح:٢]وقال: {وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ} [الشعراء:٨٢] وقال {رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ} [نوح:٢٨] وهكذا جاء الاستغفار فى القرآن من إبراهيم وداود وغيرهما من الأنبياء، وهذا يؤيد ما جاء فى الكتاب المقدس من أن الأنبياء غير معصومين.

ج٥٠- كيف تزعمون أن القرآن يُقرّ بأن لهم ذنوباً بالمعنى الذى تقصدونه؟ إن قولكم هذا ليس طعناً فيهم، بل فى الذى أرسلهم جل وعلا، وكأنه سبحانه وتعالى لم يحسن اختيارهم، وهو سبحانه الذى قال: {ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ} [الأنعام:١٢٤] وقال:

{ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ} [الحج:٧٥] إن الذنوب عبارة عن كبائر وصغائر، وأول الكبائر هو الشرك بالله، ثم عقوق الوالدين، ثم ذنوب أخرى مثل الربا والقتل والسرقة والزنى وشرب الخمر والميسر والكذب والتولّي يوم الزَّحف وقذف المحصنات واليمين الغموس... إلخ. وهناك صغائر مثل النظر المحرم، ولمس الأجنبيات باليد... إلى غير ذلك. فالأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - معافون من الذنوب جميعها، صغيرها وكبيرها. أما استغفارهم فهو إمّا من تصرفات عملوها بطبيعتهم بغير وحى من الله، وهذه التصرفات ليست حراماً، ولكنها لم تصادف مراد الله جل وعلا. وإمّا استغفاراً من حالة إيمانية أو تعبدية أقل مما هم عليه فى سائر أحوالهم، قال رسول الله ﷺ: "إنه لَيُغان على قلبى، وإنى لأستغفرُ الله فى اليوم مائة مرة" [صحيح مسلم] قال العلماء: إن إيمان النبى ﷺ وعبوديته لربه فى ازدياد مستمر، فهو يستغفر فى كل مرة من الحالة التى قبلها، أى الحالة التى كانت أقل إيماناً من حالته لحظة استغفاره. والحالة الثالثة من استغفار الأنبياء أنه استغفار عبودية، لأن الاستغفار تكليف من الله لجميع خلقه.. حتى المعصومين منهم، وهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وسنذكر بعض الأمثلة على تصرف الأنبياء بطبيعتهم بغير وحى، وبالله التوفيق:

عفو النبى ﷺ عن المنافقين المتخلفين عن الخروج معه فى غزوة تبوك {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ} [التوبة:٤٣].

أخذ الفديَة من المشركين مقابل الأسرى فى غزوة بدر {مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ} [الأنفال:٦٧].

استغفار النبى ﷺ لعمه أبى طالب وقد مات مشركاً {مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ} [التوبة:١١٣].

عبوس النبى ﷺ عندما دخل عليه عبد الله بن أم مكتوم ﷺ وعنده كبار القوم يحاول أن يدعوهم إلى الله عز وجل، مع أن عبد الله كان أعمى لا يرى عبوس النبى ﷺ ولم يعبس النبى فى وجهه تأففاً منه، ولكن حرصاً على هداية الجالسين معه {عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ} [عبس:١-٢].

تحريم النبى ﷺ على نفسه أكل العسل، لأنه عندما أكله عند السيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - ثم دخل على السيدة عائشة والسيدة حفصة - رضى الله عنهما - قالتا له: أكلت مغافير؟ إنا نجد منك رائحة مغافير (وهو الصمغ) وقد قالتا له ذلك لغيرتهما من السيدة زينب، فأقسم ألا يأكله بعد ذلك، فعاتبه ربه وقال له: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التحريم:١].

سؤال سيدنا نوح ربه أن ينجى ولده من الغرق، وقد كان ولده مشركاً {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [هود:٤٥] وسيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدعُ لولده إلا لأنه فهم من قول الله جل وعلا: {ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ} [هود:٤٠] أن ابنه من أهله، ولكن الله سبحانه وتعالى كان له مُراد آخر من قوله: {وَأَهْلَكَ} أى أهله فى الإيمان وليس فى النسب {قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [هود:٤٦-٤٧].

دعاء سيدنا نوح على قومه {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا} [نوح:٢٦].

خروج سيدنا يونس - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - من بين أظهر قومه - غضباً عليهم - بغير إذن من الله جل وعلا {وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأنبياء:٨٧] فما كان ينبغى له أن يخرج من بين أظهرهم إلا بإذن الله، كما فعل ذلك رسول الله ﷺ فى الهجرة، فإنه لم يخرج من مكة إلى المدينة مهاجراً إلا بإذن ربه جل وعلا.

قتل سيدنا موسى للقبطى الذى تشاجر مع رجل من قومه، مع أن سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن يقصد قتله {فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} [القصص:١٥] ولم يكن حينها رسولاً، ولكنه اعتبر ذلك ذنباً، واستغفر ربه {قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ} [القصص:١٦].

كذب سيدنا إبراهيم على قومه محاورتهم، فلم يكن كذبه - على نبينا وعليه الصلاة

والسلام - كذب معصية، ولكنه كان لمحاولة إقناعهم بوحدانية الله جل وعلا (كما ورد فى سورتى الأنعام والأنبياء).

استماع سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - للمتخاصمين وحكمه بينهما {وَهَلْ أَتَنكَ نَبَؤُا ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ} [ص:٢١] إلى نهاية القصة، ثم استغفاره {وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص:٢٤] وقد قال العلماء: إنه استغفر ربه لأنه سمع من أحد المتخاصمين و لم يسمع من الآخر. وقيل: لأنه حكم بينهما فى يوم انقطاعه لعبادة ربه، و لم يكن يوم القضاء بين الناس. وقيل: لأنه ظن بهم السوء وأنهم جاءوا ليقتلوه، لأنه كان يجلس منفرداً، وقد تسوَّروا عليه الجدار {فَفَزِعَ مِنْهُمْ} [ص:٢٢] أمَّا ما قيل من أن هذا مَثَل ضُرِبَ لما فعله مع أحد جنوده واسمه (أوريا) حين رأى امرأته فأعجبته، فأمره أن يطلقها ليتزوجها، فإن هذا من الإسرائيليات المكذوبة عليه، فإن الأنبياء معصومون لا يصدر منهم مثل هذه التصرفات الوضيعة الخسيسة، وقد ذكرنا ملخص القصة المكذوبة عليه فى الكتاب المقدس فى الرد على الشبهة رقم (١٠٩).

مما سبق وغيره يتضح أن استغفار الأنبياء والمرسلين لم يكن عن ذنوب حقيقية، ولكنها كانت نِسبِيَّة، فمثلاً: لو أن طالباً اعتاد أن ينجح كل عام بدرجة ١٠٠% ثم نجح بدرجة ٩٥% فإن هذا يحزنه، لأنه نزل عن مستواه، أما لو كان ينجح كل عام بدرجة ٦٠% ثم نجح بدرجة ٩٠% فإن هذا يسعده ويكون شرفاً فى حقه. وقد جاء فى الحديث التالى عن رسول الله ﷺ ذكر بعض ذنوب الأنبياء، حيث قال: **"أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مِمَّ ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يُسمِعُهُم الداعى ويُنفِذُهُم البصر، وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبونا، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصَيْتُه، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً**

فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمَّاك الله {عبداً شكوراً} اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفساً لم أُومَرْ بقتلها، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمت الناس فى المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد، فيأتونى فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطَلِقُ فآتى تحت العرش فأقَعُ ساجداً لربى، ثم يفتح الله علىَّ ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك سَلْ تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع، فأرفعُ رأسى فأقول: يا رب أمَّتى أمَّتى، فيقال: يا محمد أدخِل الجنة من أمَّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفسى بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لَكَمَا بين مكة وهَجَر، أو كما بين مكة وبُصرَى" [صحيح الجامع:١٤٦٦] والثلاث كذبات اللاتى يقصدهن سيدنا إبراهيم اثنتان منهما كانتا لمحاورة قومه (كما ذكرنا من قبل) والثالثة حينما ذهب إلى مصر، وكانت معه زوجته،

فقال لهم إنها اخته، لأنه خاف إن علموا أنها زوجته أن يقتلوه ليأخذوها منه لشدة جمالها، ومع أنه كان يقصد أنها أخته فى الله، ولكن لشدة خوفه من الله جل وعلا اعتبرها كذباً.

فيا من سألتم هذا السؤال، وزعمتم أن القرآن يُقِرّ بعدم عصمة الأنبياء مثل الكتاب المقدس.. فهل ما ذكرناه من ذنوبهم (وهى ليست ذنوباً على الحقيقة) يتوافق مع مانسبتموه إليهم من فظائع الذنوب مثل الزنى والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك مما ذُكِرَ فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب؟ ﴿سُبۡحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهۡتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾، والله أعلم.

س٥١- يصف القرآن الإنسان تارة بأنه حمار، وتارة بأنه كلب، وتارة بأنه كالأنعام، وذلك فى الآيات التالية: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة:٥] ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ [الأعراف:١٧٦] ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] وكذلك يشبّه رسولكم الإنسان بالكلب فى قوله: "الخوارج كلاب النار" [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع:٣٣٤٧] فأين تكريم الإنسان إذن؟

ج٥١- إن كل الآيات التى ذكرت هذه العبارات لم تصف إنساناً بعينه، ولكنها شبهت أنواعاً من البشر يجمع بينهم قاسم مشترك - وهو الكفر بالله جل وعلا - بأنواع من الحيوانات، والله سبحانه وتعالى أعلم بعباده وصفاهم، وما يوافق بعضها بعضاً. ولماذا تتعجبون؟ فإن الكافر بالله أحطُّ من الحيوان، لأن الحيوان يعرف ربه ويسبح بحمده ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤] وعلى سبيل المثال.. فقد ذكر لنا القرآن ما قاله الهدهد لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٥-٢٦] فالآية الأولى فى السؤال تخص بالذكر اليهود الذين لم يعملوا بما أنزل إليهم فى التوراة، فكانوا مثل الحمار الذى يحمل على ظهره كتباً قيّمة، ولكنه لا يعرف قيمتها، ولا يفقه ما فيها، وهى ليست خاصة باليهود، وإن نزلت بسببهم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلو فعل المسلمون فعلتهم لكانوا مثلهم. والآية الثانية تصف من جحد الحق رغم علمه بأنه الحق، فبعدما آتاه الله آياته انتكس وكفر بها لِعَرَض من الحياة الدنيا، فكان مثله كمثل الكلب الذى يلهث فى جميع

الأحوال، سواء طارَدتَّه أم تركتَه. قال العلماء: إنه مثل للكافر الذى لا يهتدى سواء دعوته أم لم تدعُهُ، فجاء تشبيهه بأحط شيء من أحوال الحيوانات، لأن جميع الحيوانات تلهث من الفرار والجرى، أما فى حالة الراحة والسكون فلا تلهث، بخلاف الكلب الذى يلهث فى الحالتين. وقد شُبِّهَ الكافر به لأن الإيمان هو الذى يُطَمْئِن قلب الإنسان فيستريح ويسكن، وبدونه فلا راحة لقلبه ولا سكون على أى حال {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:٦] أما الآية الأخيرة فهى وصف عام للكافرين بأنهم كالأنعام التى لا تفقه ماترى وتسمع. أما حديث الرسول ﷺ فإنه لا يخص أحداً بعينه، ولكنه يتكلم عن الخوارج عامة، وهم الذين يُكفِّرُون المسلمين بمعاصيهم، ويُقنِّطونهم من رحمة الله تعالى، فكان جزاؤهم من جنس صنيعهم، فكما كانوا ينبحون على المؤمنين ويخيفونهم بأفكارهم الضالة، فهم ينبحون ويخيفون من يستحق النباح والتخويف فعلاً، وهم أهل النار والعياذ بالله. ولم يَرِدْ عنه ﷺ قط أنه شتم أو سب أحداً بعينه، بل إنه نهى عن الشتم والسب - مُطلَقاً - فى أكثر من حديث، على نقيض ما جاء فى كتابكم المقدس، واقرأوا إن شئتم:

أيها الْجُهّال والعُميان (متى٢٣: ١٩)

لا تعطوا القدس للكلاب. ولا تطرحوا درركم قدّام الخنازير. (متى٧: ٦)

أيها الحيّات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم. (متى٢٣: ٢٣)

فقال له الله يا غبى (لوقا١٢: ٢٠)

أولاد اللعنة. (رسالة بطرس الثانية٢: ١٤)

أما الرجل ففارغ عديم الفهم وكَجَحش الفرا يولد الإنسان (أيوب١١: ١٢)

الإنسان الرمّة وابن آدم الدود. (أيوب٢٥: ٦)

أنتم الآن أيها الفريسيون تنقُّون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخُبثاً. يا أغبياء أليس الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضاً. (لوقا١١: ٣٩-٤٠)

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيّات وبُسطاء كالحمام. (متى١٠: ١٦)

قد أصابهم ما فى المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة (رسالة بطرس الثانية٢: ٢٢)

يا ابن المتعوِّجة المتمردة أما علمتَ أنك قد اخترتَ ابن يَسَّى لخِزْيك وخِزْى عَورة أمِّك. (صموئيل الأول٢٠: ٣٠)

فتتعثر فى النهار ويتعثر أيضاً النبى معك فى الليل وأنا أخْرِبُ أمَّك. (هوشع٤: ٥)، والله أعلم.

س٥٢- يتناقض القرآن مع العلم تناقضاً واضحاً، فيزعم أن القلب هو الذى يعقل، فيقول: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأعراف:١٧٩] ويقول: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} [الحج:٤٦] مع أن العلم يثبت أن الإنسان يعقل بمخه وليس بقلبه، فالقلب ليس إلا مضخة للدم، وليس للتفكير أو التعقل.

ج٥٢- لماذا تتعجبون من هذا وقد جاء فى كتابكم المقدس ما هو أشد منه.. ألا وهو ختان القلب، ولا ندرى كيف يكون هذا الختان؟

وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان. (رسالة بولس إلى رومية٢: ٢٩)

إن القلب بالنسبة للمخ كغرفة التحكم، أو غرفة العمليات، فالمخ يفكر ويطرح مُعطياته على القلب، والقلب هو الذى يقرر نتيجة هذا التفكير، ويختلف هذا القرار بين الأفراد على حسب ما فى قلوبهم من الإيمان أو عدمه، كغرفة عمليات قائدها طيِّب، وأخرى قائدها شرِّير، والإنسان مهما بلغ فلن يحيط بكل شيء من علم الله سبحانه وتعالى {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة:٢٥٥] والأطباء أنفسهم يعترفون بأن أغوار الإنسان وأسراره لم يُكتشف منها إلا القليل، وخصوصاً المخ.. يقولون عنه إنه كالقارَّة المظلمة، رغم كل ما اكتشفوه من تركيبه التشريحى، ووظائفه الحيوية. وفى الواقع شاهد على أن القلب يشعر بالأفراح والآلام والأحزان وغير ذلك، فمن ينكر أن قلبه ينشرح لأشياء وينقبض لغيرها؟ حتى إنهم ليقولون: قلبى مطمئن أو مستريح لكذا، قلبى منقبض من كذا، قلبى يقول لى كذا، هذا قلبه أبيض، وهذا قلبه أسود، هذا يتكلم من قلبه، ما خرج من القلب دخل إلى القلب، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان.. إلخ. فأخبرونى بربكم ما معنى هذا الكلام لو كان القلب بمجرد مضخة للدم كما تقولون؟

فالمؤمن يطمئن قلبه بما يرضى الله، وينقبض لما يغضبه {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ} [الزمر:٢٣] على خلاف الكافر أو المنافق أو الفاسق الذى ينشرح صدره لما يغضب الله، وينقبض لما يرضيه {وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر:٤٥]

ولنضرب مثلاً للفرق بين القلوب: يعلم شخصان بوجود امرأة عجوز غنية، تعيش بمفردها، ولا يخدمها أحد، هذه القضية مفهومها واحد، ومُعطياها واحدة، لا يلتبس فهمها على أحد، ولكن الشخصين اللذين عرضت عليهما هذه القصة كان أحدهما مؤمناً والآخر سارقاً، فَرَقَّ لها قلب المؤمن، وسعى فى المجىء لها بمن يخدمها، أما الآخر فطمع فيها وقرر أن يسرقها، لماذا؟ لأن المؤمن صالحٌ قلبه، وأما السارق ففاسدٌ قلبه، قال رسول الله ﷺ: "إن الحلالُ بَيِّنٌ وإن الحرامُ بَيِّنٌ وبينهما مُشتَبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشُّبُهات استبرأ لعِرضه ودِينه، ومن وقع فى الشُّبُهات وقع فى الحرام، كالراعى يَرعىَ حول الحِمَىَ يُوشكُ أنَ يرتعَ فيه، ألا وإن لكل ملك حمَى، ألا وإن حِمَى الله مَحَارِمُهُ، ألا وإن فى الجسدِ مُضغةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّهُ، ألا وهى القلبُ" [صحيح مسلم] فصلاح الإنسان أو فساده مَنوط بصلاح قلبه أو فساده. وهناك مثال آخر: يعلم شخصان - أحدهما مؤمن والآخر فاسق - بمكان أحد المجاهدين المختبئين من العدو، وقد رصد هذا العدو جائزة مالية كبيرة لمن يدله على هذا المجاهد، هل يلتبس فهم هذه القضية على الصغير فضلاً عن الكبير؟ وهل يلتبس فهمها على الأمِّى فضلاً عن المتعلم؟ إن مفهومها واحد، ولكن الفرق فى صلاح القلب أو فساده، فقلب المؤمن يوجِّهُهُ إلى التستُّر عليه، وأما قلب الفاسق فيوجِّهُهُ إلى إبلاغ العدو عنه، أما المخ فهو الذى يفكر فى وسيلة التستر عليه أو الإبلاغ عنه، وكأن القلب قد أعطى إشارة معينة للمخ ليتصرف بموجبها. وهناك أمثلة كثيرة فى حياة كل واحد منا يستدل بها على صلاح القلب أو فساده، سواء بالنسبة له أو لغيره.

ونريد ان نسألكم أيها العِلمانيون الماديون، يا من لا تعترفون إلا بما أثبته العلم.. ألم يُقِرّ العالم أجمع بأن القلب يحب ويكره؟ وهل يختلف على ذلك اثنان؟ فهل أثبت العلم أن

القلب به خلايا معينة أو صمامات تحب وتكره؟ إن غاية ما أثبته العلم هو اضطراب ضرباته بالزيادة أو النقصان حسب الحالة النفسية للإنسان، أما كيف يحب أو يكره فلم يصل إليه العلم إلى الآن.

وقد جاء برنامج (عن كَثَب) على قناة (الجزيرة) يوم الأربعاء الموافق العاشر من يناير لعام٢٠٠٧، فتحدَّث عن بعض مرضى القلب الذين أُجريَت لهم جراحة زرع قلوب من أناس ماتوا فى حوادث أو غيرها، فوجدوا أن هؤلاء المرضى قد تغيرت بعض أنماط حياقم واهتماماقم وأنشطتهم وفقاً لما كان عليه أصحاب تلك القلوب الأصليون، مع العلم بأن هؤلاء المرضى لا علم لهم بمن أخذوا منهم تلك القلوب، لأن هذا الأمر يخضع لسريَّة تامة (حتى لا يظن ظانّ أنها حالة نفسية اعترقم) ومن أمثلة ما حدث من هذا التغيير أنهم وجدوا رجلاً لم يَحْظَ بقدر كبير من التعليم، لأنه خرج من المدارس فى سن مبكرة، ويعمل أعمالاً مهنية، ولم يكتب فى حياته شعراً ولا نثراً، ولا حتى رسالة، ثم أصبح بعد زراعة القلب يحب الشعر ويؤلفه ويكتبه، وأصبح عاطفياً نحو امرأته أكثر مما كان، وبعد الاستقصاء عن صاحب القلب الأصلى علم أنه كان عاطفياً وشاعراً. وحالة أخرى هى امرأة كانت رقيقة تخاف من المشاكل، لدرجة أنها كانت تترك لزوجها الغرفة إذا شاهد مباريات كرة القدم فى التلفاز، ثم بعد أن نقلوا إليها قلب رجل مُلاكِم أصبحت عنيفة، وتشاهد المباريات، وتَصيحُ معها، وتُشيرُ بيديها، وتَسُب كالرجال. وآخر كان لا يهتم بالرياضة، ثم أصبح بعد نقل القلب يحبها ويتسلق الجبال، لأن صاحب القلب كان يعشق الرياضة ويهوى المخاطر. وآخرون أصبحوا يحبون أكلات لم يكونوا يحبونها قبل زراعة القلوب لهم، وهذا كله دفع العلماء أن يُعمِلوا فكرهم وأبحاثهم ليعرفوا ما سر هذا التغيير فى حياة هؤلاء الأشخاص، فوجدوا أن القلب به شبكات عصبية، وخلايا دماغية، وموجات مغناطيسية قوية، وأنه يسيطر على المخ، ويرسل إليه إشارات ويتلقى منه إشارات أخرى، ولكن التى يرسلها أكبر بكثير مما يستقبلها، وأنه هو الذى يُوَجِّه سلوك الإنسان، ويتحكم فى تصرفاته، وأنه يحتفظ بجزء كبير من ذاكرته، وأن له علاقة بذكائه وتفكيره، فسبحان من قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]

وقد جاء فى الكتاب المقدس ما يؤيِّد ما نحن بصدده، إذ يقول:

وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذاك ينجس الإنسان. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هى التى تنجس الإنسان. (متى١٥: ١٨-٢٠)

لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. (مرقس٧: ٢١-٢٢)، والله أعلم.

س٥٣- إن رِدَّة عبد الله بن أبى السرح تدل على أن القرآن اجتهاد بشرى، لأنه كان يكتب القرآن لمحمد فأكمل من عنده آية فوجدها مثل ما قالها له محمد، فعلم أنه من تأليفه، وارتد لهذا السبب.

ج٥٣- إن عبد الله بن أبى السرح ﷺ كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ وذات مرة كان الرسول ﷺ يُملى عليه قول الله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ} [المؤمنون:١٢-١٤] فأُعجبَ عبد الله بهذا الكلام، فقال: {فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ} فأمره الرسول ﷺ أن يكتبها كما قالها، لأنها هكذا نزلت، فشكَّ عبد الله فى القرآن، وظن أنه من عند سيدنا محمد ﷺ فارتد عن الإسلام، وفرَّ إلى مكة، وقد كان الرسول ﷺ يعلم نهاية الآية قبل أن ينطق بها عبد الله، فلم يأخذها منه، ولكنها وافقت قوله، وقد حدث مثل هذا الأمر مع عمر بن الخطاب ﷺ فى عدة مواقف، ولكنه لم يرتد كما ارتد عبد الله. فمثلاً: عندما استشار الرسول ﷺ أبا بكر وعمر فى أُسارى بدر، فأشار عليه أبو بكر ﷺ بقبول الفِديَة، وأشار عليه عمر بقتلهم، فوافق القرآن قول عمر ﷺ ووافقه فى فرض الحجاب على النساء، وعلى القول الفصل فى تحريم الخمر، وقد كان كُتّاب الوحى سبعة، والصحابة بالآلاف، ولم يرتد منهم أحد، فليس معنى موافقة القرآن لقول عبد الله أن القرآن من تأليف سيدنا محمد ﷺ فإن الإنسان بفطرته يعلم كثيراً من الحلال والحرام بغير وحى من السماء، كما نرى ذلك فى بعض البلدان الشيوعية أو البوذية التى تحرم القتل والزنى والسرقة وغير ذلك من المنكرات. ثم إن عبد الله رجع إلى الإسلام بعد فتح مكة، وحَسُنَ إسلامه، واستعمله

أبو بكر وعمر بعد موت الرسول ﷺ، والله أعلم.

س٥٤- هل كفر عمر بن الخطاب حين أقسم أن هناك آية للرجم يُعمَلُ بها، ولم تُكتَب فى المصحف، لأن هناك غَنَمَة أكلت صحيفة من صُحُف القرآن - كما جاء فى الحديث الذى روته عائشة - أم أن القرآن أخطأ حين قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}؟

ج٥٤- إن عمر بن الخطاب ﷺ لم يكفر - وحاشاه - حين قال ما معناه: (لولا أن يقال إنى زدتُ فى المصحف لكتبتُ آية الرجم على هامشه) ولم يخطئ القرآن حين قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩] إن آية الرجم التى يقصدها عمر هى {الشيخ والشيخة إذا زنَيا فارجموهما البتَّة} وقد كانت من الآيات التى نُسِخَت تلاوة وبَقِيَت حُكماً (كما أشرنا إلى ذلك فى الشبهة رقم ٣١) وقد عمل الرسول ﷺ بهذه الآية، وعمل بها من بعده الخلفاء الراشدون ﷺ ومَن بعدَهم من السلف الصالح، وقد قال عمر قولته هذه خشية أن يُترَكَ العمل بها، فأراد أن يكتبها على الهامش ليُذكِّر الناس بها، ولم يُرِد أن يكتبها فى صُلب نصوص القرآن لعلمه بنسخها، وإلا- فلماذا لم يُشِر على زيد بن ثابت ﷺ أن يكتبها فى المصحف، وهو الذى أشار على أبى بكر بتدوين القرآن فى مصحف واحد عندما قتل سبعون من الحفظة فى حرب الردة؟ وفى بادئ الأمر رفض أبو بكر الفكرة، لأن الرسول ﷺ لم يفعلها، ولكن مع إلحاح عمر عليه قبلها، وأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن وجعله فى مصحف واحد، وكان زيد لا يقبل أى آية إلا إذا شهد بها اثنان على الأقل من الصحابة ﷺ، فلم يثبت قط أن عمر بن الخطاب عرض هذه الآية عليه، بغض النظر هل كان زيد سيجد شاهداً عليها أم لا. وبفرض أن الداجن أكلت ما فى الصحيفة، وكان فيها آية الرجم، فهل هذا يعنى أنها كانت الصحيفة الوحيدة التى لا مثيل لها فى بيوت الصحابة ﷺ؟ لقد كان القرآن فى صدورهم، ومدوَّن على العاسيب وسعف النخيل والأكتاف والرقاع، وبهذا كان القرآن محفوظاً فى الصدور والسطور، وما فى الصدور كان أقوى مما فى السطور، فهل كان عمر هو الوحيد الذى يعلم هذه الآية؟ لقد كانوا يعلمونها، ولكنهم كانوا يعلمون بنسخها وبقاء حكمها (موضوع الداجن التى أكلت الصحيفة تم الرد عليه فى الشبهة رقم (٦٢) ولله الحمد والمنَّة)، والله أعلم.

س٥٥- إن القرآن يعترف بأن اليهود والنصارى على حق، فيقول: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:٦٢] ويقول: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة:٦٩]

ج٥٥- إن أرجح الأقوال فى الصابئين أنهم عُبّادُ النجوم، فهل من يعبد النجوم يؤمن بالله واليوم الآخر؟ وهل له منهج ليعمل صالحاً؟ إن معنى الآيات الكريمة - بمنتهى البساطة - هو فتح باب التوبة لكل هؤلاء أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ ويعملوا صالحاً. فلم يَرِد فى القرآن الكريم كله ذكر {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} إلا بمعنى الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، والعمل الصالح هو ما وافق هديه ﷺ، حتى لو أن أحد المسلمين عمل عملاً يظن أنه صالح ولكنه لم يوافق هديه ﷺ فلن يقبل منه، كأن يصلى العشاء خمس ركعات، أو يحج فى شهر رجب، أو يصوم إلى العصر.. إلخ. قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:٣١] فشرط قبول أى عمل أن يكون موافقاً لهدى النبى ﷺ وأن يكون خالصاً لوجه الله الكريم {فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} [الكهف:١١٠] {عَمَلًا صَٰلِحًا} هو ما وافق هدى النبى ﷺ {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا} هو الإخلاص لله فى هذا العمل، قال رسول الله ﷺ: **"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ"** [صحيح الجامع:٦٣٩٨] "فهو رد" أى مردود عليه غير مقبول. وقد مر عمر بن الخطاب ؓ على حَبر من أحبار اليهود فوجده على حاله من الهزال والشحوب مما أصابه من كثرة العبادة، فبكى عليه وتلا قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية:٢-٤] لأن كل عبادته لن تنفعه، طالما أنه لم يؤمن بالرسول ﷺ. وقد ضربنا لذلك مثلاً بالطالب الذى عنده امتحان لغة عربية، وظَلَّ يذاكر طوال العام مادة أخرى كالكيمياء أو غيرها، هل ينجح فى الاختبار؟ أو المسافر الذى تعب واجتهد فى إصلاح سيارته، ثم اتجه بها إلى طريق خاطئ، وهو يظن أنه سيوصله لغايته، ولكن هيهات هيهات، لقد ضلَّ الطريق منذ البداية، فأنَّى له الوصول فى النهاية؟، والله أعلم.

س٥٦- أنتم تقولون إن القرآن نزل {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء:١٩٥] مع أنه قد ورد به كثير من الكلمات العبرية والآشورية والفارسية والحبشية وغير ذلك، مثل {ٱلْأَرَآئِكِ} {قَسْوَرَةٍ} {إِسْتَبْرَقٍ} {أَبَارِيقَ} {قَمْطَرِيرًا}.{سِجِّيلٍ} {حَصْحَصَ} {ٱلْإِنجِيلَ} .. إلخ.

ج٥٦- هناك كلمات لا تُترجم إلى أى لغة، مثل الأسماء.. كعبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد، وحسن، وعلى.. إلخ. فحين نستمع لنشرة الأخبار باللغة الإنجليزية أو الفرنسية نجدهم ينطقون الأسماء كما هى (بغض النظر عن عدم استطاعتهم لنطق بعض الحروف مثل العين) فهل سمع أحد منا من يقول عن شخص اسمه (سعيد) إن اسمه (هابى) أو شخص اسمه (الأسد) إن اسمه (ليون)؟ ونحن أيضاً حين ننطق أسماءهم ننطقها كما هى، رغم صعوبة بعضها وغرابته. فهناك كلمات أُدخِلَت على اللغة العربية فصارت كأنها منها، مثل سندوتش، راديو، تليفون، تليفزيون، كمبيوتر.. إلخ. وهناك بعض الكلمات فى القرآن لم تكن من اللغة العربية الأصلية، ولكنها أصبحت منها لكثرة استعمالها، ولكن مع هذا لا تجد جُملة واحدة فى القرآن بلغة غير العربية. إذن فهى كلمات فقط وليست جُمَلاً، فلا يعنى وجود هذه الكلمات أن القرآن غير عربى. فمثلاً: لو دخلنا مسجداً به آلاف المصريين، وبينهم اثنان أو ثلاثة ليسوا مصريين، ثم قلنا إن هذا المسجد ملىء بالمصريين، هل نكون كاذبين؟ وهل وجود اثنين أو ثلاثة من غيرهم ينفى الصفة عنهم؟ ثم إن الكفار أنفسهم لم يعترضوا على مجىء هذه الألفاظ فى القرآن، وهم أعلم الناس باللغة العربية، وقد كانوا يتمنون أن يجدوا فيه أى خطأ ليقدحوا فى نبوته ﷺ فهل أنتم أعلمَ منهم؟، والله أعلم.

س٥٧- إن قصة آدم مع إبليس جاءت فى سبع سور، إن هذه إطالة مملّة، وكذلك قصص الأنبياء مع أقوامهم جاءت فى عدة سور، أمَا كان يكفى أن تكون هذه القصص فى سورة أو سورتين؟

ج٥٧- إن هذا ليس تكراراً، فالذى يقرأ هذه الآيات يدرك عدم مطابقتها الحرفية لبعضها، فقد جاءت فى عدة مواضع بصور مختلفة لتخدم الغرض الذى ذُكِرت له، فهنا مشاهد لم تُذكَر فى تلك، وإيضاحات هناك لم تذكر هنا، أحياناً تَرِد باختصار، وأحياناً

بإسهاب.. وهكذا. فمثلاً - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - لو أن هناك حدثاً هائلاً وقع فى مكان ما، وتمّ تصويره بكاميرات الفيديو أو التصوير الفوتوغرافى لعرضها على المشاهدين، فهل يلتقطون له منظراً واحداً، أم أنهم يلتقطون له عدة مناظر من عدة جوانب حتى يعلم المشاهد من مجموع صُوَره حقيقة ما حدث فيه؟ إذا كان هذا يحدث فى أمور الدنيا، وهى مهما كانت فلن تبلغ أهمية صراع الإنسان مع الشيطان، ونهاية هذا الصراع بالكفر أو الإيمان. صحيح أن الله قادر على أن يعرض جميع مُلابَسات القصة فى سورة واحدة، ولكن لابد من تكرارها لأهميتها، فإن قضية معصية الإنسان للرحمن وطاعته للشيطان فى منتهى الخطورة، بل هى أخطر القضايا فى حياة الإنسان، فهى قضية صراعه مع الشيطان، وهذا الصراع نهايته إمّا إلى جنة أو إلى نار، فهى مسألة ليست هينة ولا بسيطة، فلابد من التنبيه عليها مرات عديدة حتى نأخذ منها حذرنا ونعد لها عدتنا. ومثال آخر - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - لو قلت لابنك: ذاكر لأن الامتحان سيكون صعباً، ثم تركته طوال العام حتى جاء الامتحان فوجده فى منتهى الصعوبة، ألا يعاتبك أنك لم تحذره كما ينبغى؟ ألا يقول لك: لقد قلت لى مرة واحدة إن الامتحان سيكون صعباً، ولكنى نسيت أو لم أتوقع أنه بهذه الصعوبة؟ أو لو أن هناك منطقة محذوراً السير فيها لخطورتها على حياة الإنسان، فهل تضع الحكومة يافطة واحدة تشير إلى مكانها؟ إنها تضع عدة إشارات وجنوداً ومتاريس وأضواء وإنذارات بعدم الاقتراب. ولو أن هناك أسلاكاً كهربائية عارية فى الشارع، والتى نسميها (كوفريه) فإنك تحذر ابنك منها كلما نزل إلى الشارع، ولا تكتفى بتحذيره مرة واحدة. وقد رأينا كيف كان تحذير الدولة من أكل الدجاج خوفاً من الإصابة بأنفلونزا الطيور، رغم أن نسبة الإصابة بها حوالى نصف فى المليون، فما بالكم بالإصابة بالنار فى جهنم وبئس المصير؟ ألا نحتاج التحذير مراراً وتكراراً؟ وأمّا قصص بقية الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - فقد تكررت لأنها تخدم نفس القضية، وتصُب فى نفس الموضوع، وهو الإيمان وما يترتب عليه من خيْرَى الدنيا والآخرة، أو الكفر وما يترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة.

ومن يرجع إلى الكتاب المقدس - بعهديه القديم والحديث - يجد به من التكرار ما لا حصر له، لدرجة تكرار بعض الإصحاحات بكاملها، أو مع تغيير بسيط، فهناك تطابق

كلمة بكلمة، وحرف بحرف، وشولة بشولة، بين (الملوك الثانى١٩: ١-١٢) مع (إشعياء٣٧: ١-١٢) فهل نسى الله سبحانه وتعالى أنه أنزل هذا الإصحاح فأنزله مرة أخرى؟ وهل يوجد فى القرآن سورة تكررت مرتين؟ وقد جاء هذا التكرار فى إصحاحات أخرى مع تغيير بسيط، مثل (أخبار الأيام الأول: الإصحاح١٧) مع (صموئيل الثانى: الإصحاح٧) و(أخبار الأيام الأول: الإصحاح١٨) مع (صموئيل الثانى: الإصحاح٨) و(أخبار الأيام الأول: الإصحاح١٩) مع (صموئيل الثانى: الإصحاح١٠) وغير ذلك كثير وكثير، والله أعلم.

س٥٨- تقولون إن الجذع حَنَّ لفراق رسولكم عندما تركه وخطب على المنبر بعد أن كان يخطب عليه، ويقول رسولكم عن جبل أحد: "أُحُد جبل يحبنا ونحبه" [صحيح البخارى] وتزعمون أن الجمل اشتكى له من صاحبه الذى كان يضربه ويجوّعه، وغير ذلك من القصص والروايات، حتى إن القرآن نفسه يزعم أن النمل والهدهد يتكلمون، بل ويزعم أن هناك دابة ستظهر فى آخر الزمان وتكلم الناس {وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل:٨٢]

ج٥٨- إن هذا كله ليس زعماً ولكنه حق، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل أى شىء من مخلوقاته يتكلم، ولكن ليس شرطاً أن نفهم هذا الكلام، وإلا- فأخبرونى كيف تتفاهم المخلوقات مع بعضها البعض؟ لقد أثبت العلم - بما لا يدع مجالاً للشك - أن هناك طريقة أو لغة تتفاهم بها المخلوقات، وهذا مُشاهد ومحسوس فى واقعنا، حتى إن الإنسان ليتعجب من آيات الله سبحانه وتعالى فى خلقه، فهذه النحلة التى تكتشف أفضل أنواع الرحيق ثم تدل بقية النحل على طريقه، أليست هذه لغة؟ وإذا وضعت كمية من السكر على مكان نظيف تماماً وليس به أى نملة، ثم تركته بعض الوقت لوجدت عدداً كبيراً من النمل قد التف حوله، فمن أين جاء كل هذا النمل إلا أن تكون واحدة منه قد بحثت عن رزقها، فلما وجدته دلّت عليه أخواتها؟ وغير ذلك الكثير مما يضيق المكان عن ذكره، حتى إن بعض النباتات تموت بعد موت من كان يرعاها، حتى لو تولاها بعده أحد غيره {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام:٣٨] ويوم القيامة ستنطق الأيدى والأرجل والألسن والأسماع والأبصار لتشهد على صاحبها {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور:٢٤] {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت:٢١]

إن الله سبحانه وتعالى فهَّمَ سيدنا سليمان لغة النمل والهدهد وغير ذلك من المخلوقات، وهذا وغيره مما حدث معه أو مع الرسول ﷺ فإنه من باب المعجزات التى أيَّدَ الله بها رسله صلواته وسلامه عليهم أجمعين. أما الدابة التى ستخرج فى آخر الزمان فسيفهم عنها كل من سمعها بقدرة الله سبحانه وتعالى {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ولقد جاء فى كتابكم المقدس حوار بين الأشجار، وأن الحجارة تصرخ:

وأخبروا يوثام فذهب ووقف على رأس جبل جرزيم ورفع صوته ونادى وقال لهم. اسمعوا لى يا أهل شكيم يسمع لكم الله. مرّة ذهبت الأشجار لتمسح عليها ملكاً. فقالت للزيتونة املكى علينا. فقالت لها الزيتونة أأترك دُهنى الذى به يُكَرِّمُون بى الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار. ثم قالت الأشجار للتينة تعالى أنتِ واملكى علينا. فقالت لها التينة أأترك حلاوتى وثمرى الطيب وأذهب لكى أملك على الأشجار. فقالت الأشجار للكرمة تعالى أنت واملكى علينا. فقالت لها الكرمة أأترك مسطارى الذى يُفرِّح الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار. ثم قالت جميع الأشجار للعوسج تعالَ أنت واملك علينا. فقال العوسج للأشجار إن كنتم بالحق تمسحوننى عليكم ملكاً فتعالوا واحتموا تحت ظلى. وإلا فتخرج نار من العوسج وتأكل أرز لبنان. (قضاة٩: ٧-١٥)

فاجاب وقال لهم أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ (لوقا١٩: ٤)، والله أعلم.

س٥٩- أنتم تحرّمون الميتة مع أن الله هو الذى قتلها، وتحلُّون وتأكلون ما تذبحون بأيديكم، مع أن يد الله أطهر من أيديكم، فلماذا تأكلون ما قتلتموه ولا تأكلون ما قتله الله؟ ثم إن الذبح طريقة بشعة.. ألا توجد طريقة أهون من ذلك؟

ج٥٩- لقد توارث المشركون هذا السؤال جيلاً بعد جيل منذ عهد الرسول ﷺ فحكم الله على من أطاعهم بالشرك {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}

[الأنعام:١٢١] أى أن من أطاعهم فى تحليل المِيتَة فقد أشرك بالله، لأن التحليل والتحريم ليس لأحد غيره. إن المِيتَة لا يصح أن يُقال إن الله قتلها، ولكنه أماتها، ولعلمه بضررها فقد حرم علينا أكلها، قال تعالى: **{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ}** [الأعراف:٥٤] فالذى خلقها هو الذى أمر بذبحها، فهو سبحانه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر **{وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ}** [الأعراف:١٥٧] وقد أثبت العلم الحديث أن الميتة مليئة بالأمراض الفتاكة، فقد أجْرَوْا تجارب علمية كثيرة على الحيوانات والطيور المذبوحة وغير المذبوحة، فوجدوا أن الدم المحبوس فى الميتة تنمو فيه الجراثيم بشكل رهيب، على خلاف ما يحدث فى المذبوحة. وقد أجرى فريق من الأطباء السوريين تجارب على الذبائح التى ذُكِرَ اسم الله عليها، والتى لم يُذكَر اسم الله عليها، وقسموها قسمين: لحم مُكبَّر عليه، ولحم غير مُكبَّر عليه، ووضعوهما فى نفس الظروف، وعلى نفس المزارع، فوجدوا أن اللحم المكبَّر عليه خالٍ من الجراثيم، فى حين أن الآخر مليء بها، فجزاهم الله خيراً. وقد أمرنا نبى الرحمة ﷺ بإحسان ذبح البهيمة، فقال: **"إن الله كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ، وليُحِدَّ أحدكم شفرَتَهُ وليُرِح ذبيحتَهُ"** [صحيح مسلم]

ثم إن كتابكم المقدس لم يأمر بذبح البهيمة فحسب، بل أمر برجمها، وكسر عنقها، رغم أنها لا تعقل: **وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يُرجَم الثور ولا يؤكل لحمه.** (خروج٢١: ٢٨)

ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة. وإن لم تفده فتكسر عنقه. (خروج١٣: ١٣)

وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعِجْلة إلى وادٍ دائم السيلان لم يُحرَث فيه ولم يُزرَع ويكسرون عنق العِجْلة فى الوادى. (تثنية٢١: ٤)

ولقد حرم الله المِيتَة فى كل الديانات لضررها، حتى إن كتابكم المقدس لم يحرمها فقط، بل حرم مَسَّها وحملها، فقال: **وإذا مات واحد من البهائم التى هى طعام لكم فمن مَسَّ جثته يكون نجساً إلى المساء. ومن أكل من جثته يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. ومن حمل جثته يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء** (لاويين١١: ٣٩-٤٠)، والله أعلم.

س٦٠- يحرِّم القرآن لحم الخنزير مع أنه ليس من أكَلَة اللحوم كالأسد والنمر

والقطط والكلاب وغيرها، فلماذا يحرم القرآن ما لم يحرمه الكتاب المقدس؟ مع أنه قال: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ}؟ [المائدة: ٤٨] أى أنه يصدّق ما جاء فى التوراة والإنجيل.

ج٦٠- يبدو أن السائل تعمد ألا يذكر الآية كلها حيث تقول: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} أى أن القرآن يصدّق ما جاء فى الكتب الأصلية قبل تحريفها، ولكنه مهيمن عليها، أى أنه يُقرّ بعض ما فيها من أحكام، وينسخ البعض الآخر. ويبدو أنه لا علم له بما جاء فى كتابه المقدس الذى لم يحرم عليه الخنزير فحسب، بل حرم عليه الجمل والأرنب والبط والأوز وغيرها.. إذ يقول:

شعب يغيظنى بوجهى دائماً... يأكل لحم الخنزير وفى آنيته مَرَق لحوم نجسة... هؤلاء دُخان فى أنفى نار مُتّقدة كل النهار... لا أسكتُ بل أجازى. أجازى فى حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معاً قال الرب الذين بخروا على الجبال وعَيَّرُونى على الآكام فأكيلُ عملهم الأول فى حِضنهم (إشعياء٦٥: ٣-٧) هذا الكلام ينسبونه لله جل وعلا!!

وكلّم الرب موسى وهارون قائلاً لهما كَلّما بنى إسرائيل قائلين. هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض. كل ما شَقَّ ظلفاً وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف. الجمل. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً. فهو نجس لكم. والوبر. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والأرنب. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم. والخنزير. لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر. فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا. إنها نجسة لكم (لاوين١١: ١-٨) والبط والأوز داخلان فى التحريم، لأنهما لم يَشُقّا ظلفاً حسب القاعدة المذكورة فى هذه الفقرة. وهناك محرّمات أخرى فى (سِفر اللاويين: الإصحاح١١) وغيره من الأسفار.

ولم يكتفِ الكتاب المقدس بتحريم هذه الأشياء، بل حكم بنجاستها ونجاسة كل من مسَّها أو وقعت عليه جثتها، وكسر الآنية وهدم الأبنية التى وقعت عليها جثتها: **لكن سائر دبيب الطير الذى له أربع أرجل فهو مكروه لكم. من هذه تتنجسون. كل من**

مس جثتها يكون نجساً إلى المساء وكل من حمل من جثتها يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. وجميع البهائم التى لها ظلف ولكن لا تشقه شقاً أو لا تجتر فهى نجسة لكم. كل من مسها يكون نجساً. وكل ما يمشى على كفوفه من جميع الحيوانات الماشية على أربع فهو نجس لكم. كل من مس جثتها يكون نجساً إلى المساء. ومن حمل جثتها يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء... كل من مسها بعد موتها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما وقع عليه واحد منها بعد موتها يكون نجساً. من كل متاع خشب أو ثوب أو جلد أو بَلاس. كل متاع يُعمَل به عمل يُلقى فى الماء ويكون نجساً إلى المساء ثم يطهر. وكل متاع خزف وقع فيه منها فكل ما فيه يتنجس وأما هو فتكسرونه... وكل ما وقع عليه واحدة من جثتها يكون نجساً التنور والموقدة يُهدمان. إنها نجسة وتكون نجسة لكم.
(لاويين١١: ٢٣-٣٥)

إن دائرة الحلال أوسع بكثير من دائرة الحرام، حتى إنه لم يأتِ نص واحد فى القرآن الكريم يذكر الأشياء التى أحلها، ولكنه ذكر المحرمات لأنها قليلة ومعدودة، فالأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما دل النص على تحريمه، ونحن لا نناقش الله سبحانه وتعالى فى أوامره ونواهيه، فهو الإله ونحن العبيد، ومن يناقش الله فى أوامره ونواهيه فكأنما جعل نفسه نِدّاً لله سبحانه وتعالى. وقد أثبت العلماء أن الخنازير هى سبب انتشار مرض انفلونزا الطيور، لأنهم يقومون فى أوربا بتربية الخنازير بجانب الطيور، وهذا المرض كان يأتى للطيور فيهلكها، ولكنه كان لا ينتقل للإنسان، وأغلب الظن أنه هو الذى كانت تسميه النساء (الفِرّة) ولكن تربية الخنازير بجانبها جعلت هذا الفيروس ينتقل للخنازير، ثم يعود إليها بعد أن تحوَّر فى جسد الخنازير وأصبح صالحاً للانتقال إلى الإنسان، وتسبب له فى هذا المرض المدمر. هذا فضلاً عمَّا يسببه أكل لحم الخنزير من أمراض خطيرة، لكونه يأكل من النجاسات والميتة والقمامة، وغير ذلك من الأشياء المقززة، مثل الفئران الميِّتة والحيَّة، حتى أنه يأكل الشاش والضمادات المستخدمة فى علاج تقيّحات الجروح إذا ما وُجِدَ بجوار قمامة المستشفيات. ومن الأمراض التى يسببها أكل لحم الخنزير:

أولاً: أمراض باطنية مثل ضغط الدم، والذبحة الصدرية، وتصلُّب الشرايين، والجلطات، وذلك نتيجة الكوليسترول الناتج من تحلل لحم الخنزير بعد تناوله، ودهون الخنزير تترسب

فى جسم الإنسان نتيجة صعوبة استحلاها فى الأمعاء، فلا تتحول إلى دُهْن بشرى كأى دُهْن فى أى لحم آخر، بل تتحول إلى دُهن خنزيرى، ولا مَفَرّ من ترسب هذه الدهون الخطيرة حتى لو أُكِلَ لحم الخنزير مشوياً، لأن علماء الطب البيطرى أثبتوا أن الدهن يتواجد فى داخل الخلايا العضلية.

ثانياً: التهاب المفاصل.. خاصة بين الفقرات، ومشاكل فى الأوتار والأربطة والغضاريف والعظام، وذلك لاحتواء لحم الخنزير على نسبة عالية من الكبريت، وهذا العنصر تؤثّر كثرته فى مدى امتصاص الأنسجة الضامَّة للماء، فتكتسب شكلاً كيسياً اسفنجياً، فتتراكم المواد المخاطية فى الأوتار والأربطة العضلية مُحْدِثة بعض الأمراض والآلام.

ثالثاً: بعض الأمراض الوبائية مثل: الدودة الشريطية العوساء، الدودة الشّعرية الحلزونية، الدودة الكبدية، والبلهارسيا اليابانية، طفيل داء النوم الأفريقى، الزُّحار الزقى، ميكروب المكوَّر السّبْحى، فيروس الكريب، الْحُمرة الخنزيرية... إلخ.

ونحن نمتثل لأمر الله جل وعلا بغض النظر عن الأمراض والأعراض الناتجة عن تناوله، فالمسلم مُسَلِّم أمره لله، يأتمر بأمره، وينتهى عن نهيه، بغض النظر أَعَلِمَ حكمته أم لم يعلمها، والله أعلم.

س٦١- يقول القرآن: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ} [يونس:٤٧] ويقول: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}[فاطر:٢٤] ويقول: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم:٤] أى إن لكل أمة رسول منها وإليها، فلو صح هذا الكلام لكان لكل دول العالم رسل وأنبياء، إذن فمن هم أنبياء ورسل دول وقارات العالم مثل أوربا واستراليا والهند والصين واليابان وكل بلاد العالم القديم؟

ج٦١- لقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}** [غافر:٧٨] أى أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر جميع الرسل فى القرآن، ولكنه ذكر الرسل الذين أراد أن نستفيد من سيرتهم مع أممهم، ونستفيد من حياتهم وبيئاتهم، وتعود قصصهم بالنفع على الرسول ﷺ وأمته، أما بقية الرسل فلم يُذكروا لحكمة يعلمها الله، ربما لأن قصصهم ستكون بمثابة علم لا ينفع وجهل لا يضر،

وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع [صحيح مسلم] فليست المسألة مسألة حشو للمصحف بغير فائدة.

وقد جاء فى الكتاب المقدس قصص وحَشْو كثير لا طائل من ورائه، مثل:

وصعد معهم لفيفٌ كثير أيضاً مع غنم وبَقر مَوَاشٍ وافرة جداً. وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز مَلّة فطيراً إذ كان لم يختمر. (خروج١٢: ٣٨-٣٩)

فبادرت أبيجايل وأخذت مئتى رغيف خبز وزقّى خمر وخمسة خرفان مهيَّأة وخمس كيلات من الفريك ومئتى عنقود من الزبيب ومئتى قرص من التين ووضعتها على الحمير وقالت لغلمانها اعبروا قُدَّامي هَأنذا جائية وراءكم. ولم تخبر رَجُلَها نابال. (صموئيل الأول٢٥: ١٩)

سلّم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس. أراستس بقى فى كورنثوس. وأما تروفيمس فتركته فى ميليتس مريضاً. بادر أن تجىء قبل الشتاء. يسلّم عليك أفبولس وبوديس ولينس وكلافدية والأخوة جميعاً. (رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس٤: ١٩-٢١)

أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تُقبِّلُوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم. لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً سلّموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع. اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم. وعلى الكنيسة التى فى بيتهما. سلّموا على أبينتوس حبيبى الذى هو باكورة أخائية للمسيح. سلّموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً. سلّموا على أندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا فى المسيح قبلى. سلّموا على أمبلياس حبيبى فى الرب. سلّموا على أوربانوس العامل معنا فى المسيح وعلى أستاخيس حبيبى. سلّموا على أبلس المزكى فى المسيح. سلّموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس. سلّموا على هيروديون نسيبى. سلّموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين فى الرب. سلّموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب. سلّموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب. سلّموا على روفس المختار فى الرب وعلى أمه أمى. سلّموا على أسينكريتس فليغون هرماس بتروباس

وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم. سلّموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم. سلّموا بعضكم على بعض بقُبلة مقدسة. كنائس المسيح تسلّم عليكم... يسلّم عليكم تيموثاوس العامل معى ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائى. أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلّم عليكم فى الرب. يسلّم عليكم غايس مضيفى ومضيف الكنيسة كلها. يسلّم عليكم أراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ. (رسالة بولس إلى رومية١٦: ١-٢٤) فهل هذه السلامات وحى من عند الله؟ وهل الله سبحانه وتعالى يأمر الرجال والنساء أن يُقبّلوا بعضهم بعضاً بقُبْلَة مُقدَّسة؟ وإذا كان تريتيوس هو الذى كتب هذه الرسالة (أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة) فما الفائدة من ذكرها؟ وما الذى جعلها مقدسة؟

بادر أن تجيء إلىَّ سريعاً لأن ديماس قد تركنى إذ أحبَّ العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى وكريسكيس إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية. لوقا وحده معى. خُذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة. أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس. الرداء الذى تركته فى ترواس عند كاربس أحضره متى جئتَ والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق.

(رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس٤: ٩-١٣)

حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتى إلى نيكوبوليس لأنى عزمت أن أُشتّى هناك. (رسالة بولس إلى تيطس٣: ١٢) هل قوله لصديقه إنه يريد أن يُشتّى ينفعكم بشىء؟ وهل تعتبرون هذا مُقَدَّساً، أو أنه وحى من عند الله؟، والله أعلم.

س٦٢- ورد فى سنن ابن ماجه، والدارقطنى، والطبرانى فى معجمه، أن عائشة زوجة نبيكم قالت: (لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت فى صحيفة تحت سريرى، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجِن فأكلها) إن معنى هذا أن بعض آيات القرآن لم تُكتب فى المصحف الذى بين أيديكم لأن الداجن (وهى الشاة أو المعز أو الدواجن) أكلته.

ج٦٢- نقول وبالله التوفيق: لوكان فى حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - يوم أن روته ما يشكك فى سلامة الوحى الإلهى المكتوب بين أيدينا اليوم لكان حَرِيّاً بأعداء الإسلام يومها أن يتلقفوا قولها ليشنعوا على القرآن وأنه ليس كاملاً، وخصوصاً أن

كثيراً منهم قد ارتد عن الإسلام بعد موت الرسول ﷺ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ولو كانت صحيفة أم المؤمنين - رضى الله عنها - هى المرجع الوحيد لهاتين الآيتين ما قبلهما الصحابة ﷺ بعد أن وضعوا لقبول آيات ربهم شروطاً تليق بمقام قرآنهم يعجز أن يصمد أمامها أى كتاب على وجه البسيطة. وإن كانت الصحف التى احتفظ بها بعض الصحابة ﷺ قد أمر سيدنا عثمان بجمعها فإن ذلك لم يكن لمراجعة الوحى عليها، إنما كان لضمان سلامة ما سوف يتناقله المسلمون من بعدهم، فلم يكن المكتوب فى الصحيفة أصدق مما حفظته صدور الصحابة، وما كانت الصحف المتناثرة بين أيدى صحابة رسول الله ﷺ بأدق مما يتلونه بألسنتهم، ويتعبدون به فى ذكرهم، وفى صلواتهم خلف رسول الله ﷺ أو فى بيوتهم. ومن المهم أن نفهم دلالة لفظ (صحيفة) الذى ورد فى حديث أم المؤمنين - رضى الله عنها - فهو لا يشير لمصحف مطبوع - مثلاً - كالذى بين أيدى المسلمين اليوم، ولا يُتَصَوَّر أنه كان مجلّداً من أوراق البردى، أو رُزمة من سعف النخيل، أو كمية من جلود المعز مما كان يستخدم فى الكتابة. كما أنه لا يُتَخَيَّل أن هذه الصحيفة كانت تحتوى على سورة البقرة - مثلاً - أو عشر من قصار السور، بل ولا أن تحتوى الصحيفة الواحدة على أكثر من آية، أو آيتين، أو ثلاث، أو عشر على أكثر تقدير. وقد جاء لفظ (صحيفة) فى الحديث الشريف بصيغة (المفرد) ولم يَرِد بلفظ (صُحُف) بصيغة الجمع، مما يدل على أنها قطعة واحدة مما كانوا يكتبون عليه، ولو كانت هذه الصحيفة مما تتعبد به أم المؤمنين - رضى الله عنها - ما كان موضعها تحت السرير، بل يكون موضعها فى متناول اليد، إذ لايوضع تحت السرير غير الذى يمكن إيداعه أو الاحتفاظ به على سبيل الترك مدة طويلة، لا على سبيل الاستخدام، وقد كان هذا دأب جَدَّاتنا إلى عهد قريب بنا، فكان أسفل السرير هو أفضل الأماكن لحفظ الأشياء الثمينة والغالية والعزيزة على النفس. ولا يختلف اثنان فى أن الذى كان مكتوباً فى صحيفة أم المؤمنين - رضى الله عنها - كان موجوداً مضبوطاً ومجوَّداً ومُحْكماً بنصِّه فى صدور الصحابة ﷺ وكان يتردد على ألسنتهم، وكانوا يقرأونه على بعضهم البعض. كما كان مثله مكتوباً فى عشرات الصحف الأخرى التى جمعها صحابة رسول الله ﷺ ووضعوها كلها بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وبين يَدَى من وُكِّلَ إليهم مهمّة جمع هذا الكتاب العظيم. أما القضية الأشد

أهمية فهى الْحُكمان اللذان أشار إليهما الحديث الشريف، وهما: آيتا الرجم ورضاعة الكبير عشراً، وهما مما لا نجده فى المصحف الذى بين أيدينا اليوم، فإن ذكر عائشة - رضى الله عنها - للحُكمَين لا يصلح وحده أن يكون حجة على إجماع اثنى عشر ألفاً من المسلمين الذين كانوا شهوداً على جمع كتاب الله سبحانه وتعالى. ونفهم من ذلك أن الآيتين كانتا من التنزيل الحكيم مِصداقاً لقول أم المؤمنين - رضى الله عنها - وأنهما مما نُسِخَ من آيات الله، مع بقاء حكم إحداهما، وهى آية الرجم. وقد ذكرنا بعض الحِكَم من النسخ فى الرد على الشبهة رقم (٣١) وتكلمنا عن أنواعه الثلاثة، فَصَحَّ أن الآيات التى أكلتها الشاة لو أُمِرَ رسول الله ﷺ بتبليغها لبلَّغها، ولو بلَّغها لَحُفِظَت، ولو حُفِظَت ما ضرَّها موته كما لم يضر موته ما بلَّغه من القرآن، وإن كان لم يبلِّغه أو بلَّغه ولكن لم يأمر بكتابته فى القرآن فهو منسوخ بتبيين من الله تعالى، فلا يحل أن يضاف إلى القرآن. ومن قواعد علم القراءات أن القرآن لا يعتبر قرآناً إلا إذا كانت ركيزته التلقين والتوقيف والتلقِّى والمشافهة، وكانت دعامته الرواية والنقل والسماع، ولا شىء وراء ذلك من رَسْم أو كتابة. والله أعلم.

س٦٣- يذكر القرآن أشياءً تافهة مثل البصل والعدس والقثّاء فى قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} [البقرة:٦١] ويذكر حيوانات مثل البقر والإبل والغنم، ويذكر حشرات مثل البعوض والعنكبوت والنمل والنحل، وغير ذلك مما لا يليق بكلام الله، بل ويسمى بعض السوَر بأسماء هذه الحيوانات والحشرات.

ج٦٣- إن ذكر هذه الأشياء لا نكارة فيه، إذ أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلقها، وهو الذى ذكرها فى كتابه، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، وذِكْرها فى كتابه الكريم لم يأتِ عبثاً، ولا لمجرد قصص لا فائدة فيه، بل كلٌّ منها يخدم معنىً معيناً. وتسمية السُّوَر كان لتَمْييزها من بعضها، ولذلك كانت السورة تُسَمَّى بما يميزها عن غيرها بذكر ما جاء فيها وحدها دون غيرها، فمثلاً: سورة (البقره) سُمِّيت هكذا لوُرُود قصة البقرة فيها دون غيرها، وليس تعظيماً للبقرة، أو أن قصتها أعظم ما ورد فى السورة، وكذلك سور (النحل) و(النمل) و(العنكبوت) لوُرُود ذكر هذه الحشرات فيها وحدها.

وقد جاء فى الكتاب المقدس ذكر حيوانات وحشرات كثيرة، وأنواع من الأطعمة وطريقة طهيها، وطريقة حِياكة بعض الملابس (سِفر الخروج، الإصحاح ٢٨) وغير ذلك مما يطول شرحه، ونكتفى هنا بذكر بعض النصوص:

أنضِجِ اللحمَ تَبِّلْهُ تتبيلاً (حزقيال٢٤: ١٠)

فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس. (تكوين٢٥: ٣٤)

وغسَّل الأحشاء والأكارع وأوقدها فوق المحرقة على المذبح. (لاويين٩: ١٤)

تاجَرُوا فى سوقك بِحنطة منيت وحلاوى وعسلٍ وزيت وبَلَسَان. (حزقيال٢٧: ١٧)

فناولوه جزءاً من سَمَك مشوى وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قُدَّامهم (لوقا٢٤: ٤٢-٤٣)

قد تذكَّرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجّاناً والقثاء والبطيخ والكُرَّاث والبصل والثوم. (عدد١١: ٥)

منها اللَّبْوَة والأسد الأفعى والثعبان السام الطَّيَّار (إشعياء٣٠: ٦)

اللَّيْث هالكٌ لعدم الفريسة وأشبالُ اللَّبْوَة تبددت (أيوب٤: ١١)

ويل لكَم أيها الكتبة والفريسييون المراؤون لأنكم تعشّرون النعنع والشبَث والكمُّون... أيها القادة العُميان الذين يُصَفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل (متى٢٣: ٢٣-٢٤)

وكلم الرب موسى قائلاً. كلّم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تَقْدِمَة. من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتى. وهذه هى التقدمة التى تأخذونها منهم. ذهب وفضة ونحاس وأسمانجونى وأرجُوان وقرمز وبُوص وشعر مِعْزَى وجُلود كِباش مُحَمَّرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصُّدرة. فيصنعون لى مَقدِسا لأسكنَ فى وسطهم. (خروج١٥: ١-٨)

وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت ورِقاق فطير مدهونة بزيت. من دقيق حِنطة تصنعها. وتجعلها فى سَلّة واحدة وتقدمها فى السَلّة مع الثوْر والكبشين (خروج٢٩: ٢-٣)

وكان كلام الرب له قائلاً... وقد أمرتُ الغِربان أن تعولك هناك... وكانت الغِربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساء (الملوك الأول١٧: ٢-٦)

وكان للمرأة عِجْل مُسَمَّن فى البيت فأسرعت وذبحته وأخذت دقيقاً وعجنته وخبزت فطيراً ثم قدمته أمام شاول وأمام عَبْدَيْهِ فأكلوا. وقاموا وذهبوا فى تلك الليلة (صموئيل الأول٢٨: ٢٤-٢٥)

واضرب مثلاً للبيت المتمرِّد وَقُل لهم. هكذا قال السيد الرب. ضَعِ القِدْرَ. ضعها وأيضاً صُبَّ فيها ماء. اجمع إليها قطعها كل قطعة طيبة الفخذ والكتف. املأوها بخيار العظام. خُذ من خيار الغنم وكُومَة العظام تحتها. أغْلِهَا إغلاءً فَتُسْلَق أيضاً عِظامُها فى وسطها (حزقيال٢٤: ٣-٥)

وإذا قرَّب أحد قربان تَقدمَة للرب يكون قربانه من دقيق. ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً. ويأتى بها إلى بنى هَرون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب... وإذا قرَّبت قربان تقدمة مخبوزة فى تنّور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت. وإن كان قُربانك تقدمة على الصاج تكون من دقيق ملتوتة بزيت فطيراً. تفتّها فُتاتاً وتسكب عليها زيتاً. إنها تقدمة وإن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت تعمله... ويوقد على المذبح وقود رائحة سرور للرب... ولا تُخْلِ تقدمتك من ملحِ عهد إلهك... وإن قربت تقدمة باكورات للرب ففريكاً مشويّاً بالنار جريشاً سويقاً تقرب تقدمة باكوراتك. وتجعل عليها زيتاً وتضع عليها لباناً. إنها تقدمة. فيوقد الكاهن تذكارها من جريشها وزيتها مع جميع لبانها وقوداً للرب (لاويين: الإصحاح الثانى)

وهذه تكرهونها من الطيور. لا تؤكل إنها مكروهة. النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه وكل غراب على أجناسه والنعامة والظليم والساف والباز على أجناسه والبوم والغواص والكركي والبجع والقوق والرخم واللقلق والببغا على أجناسه والهدهد والخفاش... هذا منه تأكلون. الجراد على أجناسه والدبا على أجناسه والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسه... وهذا هو النجس لكم من

الدبيب الذى يدب على الأرض. ابن عرس والفأر والضب على أجناسه والحرذون والوَرَل والوزغة والعظاية والحرباء. هذه هى النجسة لكم من كل الدبيب. كل من مسها بعد موتها يكون نجساً إلى المساء. (لاويين١١: ١٣-٣١)، والله أعلم.

* * *

شبهات ظالمة حول الإسلام

س٦٤- لماذا سمح الإسلام للرجل بتعدد الزوجات، رغم أن هذا يضر بالمرأة؟ ولماذا لم يسمح للمرأة بتعدد الأزواج؟ أليست هذه عنصرية ظالمة؟

ج٦٤- لقد جاء الإسلام والتعدد موجود، وليس محدوداً بعدد معيَّن، بل كما يشاء الرجل، ولو مائة امرأة، ففى هذه الحالة أيكون الإسلام عدد أم حدد؟ وبعد نزول آية التعدد فى سورة (النساء) أمر الرسول ﷺ من كان معه أكثر من أربع أن يطلق الزيادة، أى أن تنفيذ الأمر - بلغتنا الحديثة - كان بأثر رجعى، وفى هذه الحالة يبيح الإسلام للمطلقات أن يتزوجن، على نقيض ما جاء فى الكتاب المقدس:

فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها. وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى (مرقس١٠: ١١-١٢)

إن التعدد فى الإسلام ليس فرضاً، ولكنه مباح، وله من الحِكَم ما لا يُعَد، فمن المعلوم أن عدد الذكور فى كل المخلوقات - أو معظمها - أقل بكثير من عدد الإناث، ليس فى بنى الإنسان فقط، بل فى المملكة الحيوانية وغيرها، كما هو مُشاهد - مثلاً - بين الدجاج، فتجد أن المائة بيضة يخرج منها تقريباً خمسة أو ستة ديوك والباقى إناث، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى، فلو كان العكس لحدثت كارثة، ولتضارب الذكور على الإناث، ولَخُطِفَت النساء من أزواجهن فى الشوارع. ومعلوم أيضاً أن عدد الوفيات بين الرجال أكثر من النساء لتعرضهم للأمراض والحوادث الناجمة عن الأعمال الشاقة التى يقومون بها دون النساء، مثل العمل فى المناجم، وحفر الآبار، وأفران الحديد والصلب، وكسح الألغام، والتعامل مع الكهرباء عالية القوة، والغوص فى أعماق البحار، والطيران وغير ذلك. وفى حالات الحروب تحصد العديد من الرجال، فيزداد عدد النساء، كما حدث بعد الحرب العالمية الثانية، عندما ازداد عدد النساء فى ألمانيا زيادة رهيبة، وأصبحت النساء بغير أزواج، فكنَّ يسافرنَ فى العطلة الأسبوعية لإشباع رغباتهنَّ فى الدول الأخرى، وتداخلت الأعراق والأنساب، وكثُر اللقطاء بصورة لا مثيل لها، حتى إنهم قدَّروا بحوالى خمسين مليوناً فى أرجاء أوربَّا الشرقية والغربية، فلو أنهم كانوا يدينون بالإسلام لَمَا لجأوا إلى الزنى، ولَمَا اختلطت أنسابهم، ولَمَا ظهر اللقطاء وأطفال الشوارع الذين لا يعرفون

آباءهم. وهذا فى حد ذاته رد على السؤال الثانى.. وهو لماذا لم يُبِح الإسلام للنساء التعدد كما سمح للرجال؟ فلو سمح لهن بذلك.. فكيف يعرف كل طفل أباه؟ بالإضافة إلى أسباب أخرى كثيرة، فإن هذا الأمر تأباه الفطر السليمة، ليس من جانب الرجال فحسب، بل من جانب النساء أيضاً. ودعونا نتساءل.. لو أن هذا الأمر حدث ماذا ستكون النتيجة؟ كيف يعرف كل زوج أبناءه؟ سيحدث حتماً اختلاط فى الأنساب، وتنازُع على الأبناء، فكل زوج يريد الولد الأجمل والأذكى والأقوى، وهذا يريد الذكور، وآخر يريد الإناث...وهكذا. ومعلوم أن الذكر الواحد بإمكانه تلقيح عدد كبير من الإناث، وبهذا يزداد النسل، بعكس النساء، لو حملت إحداهنَّ فإن خصوبتها تُعَطَّل طوال مدة حملها، وربما مدة الرضاعة أيضاً. وبالإضافة لما سبق.. فقد أثبتت التحاليل والفحوص الطبية أن معاشرة المرأة لأكثر من رجل يعرضها لأمراض كثيرة، أهمها سرطان عنق الرحم، وهو من أخطر السرطانات. وقد أثبتت أحدث الفحوص والدراسات العلمية أن مَنِيّ الرجل له بصمة داخل رحم الأنثى لا تتركه إلا بعد ثلاث حيضات، كيف هذا؟ يقولون إن أول حيضة يسقط معها ما يعادل ثلث البصمة تقريباً، والحيضة الثانية كذلك، والحيضة الثالثة كذلك، سبحان الله {وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ} [البقرة:٢٢٨] وقد فسر العلماء الثلاثة قروء بثلاث حيضات، أو ثلاث طُهرات. أما الْمُتَوفَّى عنها زوجها فيقولون إن حالة الاكتئاب التى تمر بها تجعل البصمة لا تزول إلا بعد ١١٨ يوماً {وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة:٢٣٤]

ومن حِكَم التعدد أيضاً حالات مرض الزوجة أو عقمها، أو وجود عذر يمنعها من المعاشرة الزوجية لمدة طويلة لا يطيقها الزوج، فبعض النساء تستمر دورتهن الشهرية أياماً كثيرة، وبعضهن يُمنَعن من المعاشرة الزوجية أثناء الحمل، مثل حالات الإجهاض الْمُنذِر، وكذلك أيام النفاس. ومن الأسباب أيضاً وجود أرامل (وهن كثيرات لِمَا ذكرناه من كثرة الوفيات بين الرجال) ومطلقات ليس لهن عائل، ويتامى لا يجدون من يقوم على رعايتهم. ولا يقول أحد إنه يكفى رعاية كل هؤلاء بمساعدتهم مادياً، فإن المال ليس كل شىء، فالمرأة تحتاج لمن يعفها، وخصوصاً لو طُلِّقَت أو مات عنها زوجها وهى فى سن

مبكرة، وكذلك فإن الأطفال يحتاجون للتربية والتوجيه والقيام على مصالحهم، وهذا لا تكفى فيه المرأة وحدها. وكذلك وجود بنات عوانس تجاوزنَّ سن الزواج.. مَن لهن؟ أيتركنَ للضياع والانحراف؟ أليس لهن الحق كبقية النسوة؟ ونقول للمستغربين قلباً وقالباً (أى الذين يعشقون الغرب بِقَضِّه وقضيضة): إن التعدد ضرورة احتماعية، وقد كان منتشراً فى أوربًا إلى عهد الملك (شارل مان) كما جاء فى مقال الكاتب المصرى (محمد التابعى) فى مجلة (آخر ساعة) الصادرة بتاريخ ٣يونيو١٩٤٥، إذ كان هذا الملك متزوجاً بعدة نساء، وبعد ذلك جاء أمر من القساوسة بمنع التعدد، فأصبح مباحاً للرجل أن يتخذ أكثر من عشيقة فى الحرام، ولا يتزوج على امرأته فى الحلال، لدرجة أنهم حين ظهر مرض الإيدز وأرادوا عمل دراسات على الرجال الذين لم يعاشروا إلا زوجاتهم لمدة خمس سنين، لم يجدوا ولا رجلاً واحداً! وفى تركيا عندما أنهى (مصطفى كمال أتاتورك) الخلافة الإسلامية، وجعلها علمانية، وألغى التعدد (عليه من الله ما يستحقه) انتشر الزواج العرفى والزنى وكثر اللقطاء مثلما حدث فى أوربًا.

ولقد ورد التعدد فى الكتاب المقدس فى أكثر من موضع، وإليكم بعض الأدلة:

إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. (تثنية٢١: ١٥)

ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته (تكوين٣٦: ٦)

فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم قائلات نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا. لِيُدْعَ فقط اسمك علينا. انزع عارنا (إشعياء٣: العددالأخير)

وعندهم أن سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام- تزوج راحيل واختها ليئة ابنتى خاله لابان (تكوين٢٩: ٢١-٣٠) وتزوج أخوه عيسو مَحْلَة بنت إسماعيل بن إبراهيم على نسائه (تكوين٢٧: ٩)، والله أعلم.

س٦٥- لماذا يبيح الإسلام الطلاق؟

ج٦٥- إن العلاقة الزوجية فى الإسلام تقوم على المودَّة والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١] ولكن إذا فُقِدَت هذه المودة والرحمة، وَحَلَّت

مكانها الشحناء والبغضاء، فماذا يكون الحل؟ هل يبقى الاثنان مرتبطَيْن ببعضهما رغم أنفهما، وكأنهما قد حُكِمَ عليهما بالسجن مدى الحياة؟ إن الإسلام لا يحث على الطلاق، ولكنه يبيحه للضرورة، عندما تستحيل الحياة بين الزوجين، قال رسول الله ﷺ: **"أبغضُ الحلالِ إلى الله الطلاق"** [سنن أبي داود وابن ماجة، والسنن الكبرى للبيهقي] وقد وضع الإسلام للزواج ضوابط شرعية، لو اتبعها المسلمون لكان الطلاق نادراً. ومن هذه الضوابط أنه حث على الارتباط بين الزوجين على أساس الدين، قال رسول الله ﷺ: **" تُنكَحُ المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك"** [متفق عليه] وقال: **"إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"** [صحيح الجامع:٢٧٠] وأمر الله الرجال بحسن المعاشرة، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] وأمر النساء أيضاً بحسن المعاشرة، فقال: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤] ورغَّب الرجال في عدم التسرع في الطلاق، فقال: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] وقد شرع خطوات للإصلاح يتخذها الأزواج قبل أن يصل الأمر بهم إلى الطلاق، ومن هذه الخطوات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤] فأول خطوة للإصلاح هي وعظ الزوج لزوجته، وتخويفها من عقاب الله، وهذه الخطوة كافية لمن تتقي الله جل وعلا، فإن لم تنزجر بالوعظ لجأ إلى الخطوة التي تليها، وهي أن يهجرها في المضجع، وهذا الهجر كناية عن عدم الجماع، ويُلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي أن الزوج لا يترك بيته، بل يهجرها وهو مقيم معها. ومما يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: **"حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طَعِم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّح، ولا يهجر إلا في البيت"** [صحيح الجامع:٣١٤٩] قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – وغيْرَه: الهجر هو ألا يجامعها، ويضاجعها على فراشها، ويولِّيها ظهره (تفسير ابن كثير) فإن استقامت، ورجعت عن معصيتها له فَبِها ونِعْمَتْ، وإلا– فالخطوة الثالثة، وهي الضرب غير المُبَرِّح، قال رسول الله ﷺ: **"فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُوطِئن فُرُشكم أحداً**

تكرهونه، فإن فعلنَ فاضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف" [صحيح مسلم] وقد قال العلماء: يضربها ضرباً لا يُسيل دماً، ولا يكسر عظماً، ولا يترك أثراً، كأن يضربها بالثوب ونَحْوِه (أى مثله) والسواك ونحوه. وقد توعَّد الله الرجال إذا تمادوا فى إيذاء نسائهن بقوله: {فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} [النساء:٣٤] وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه لم يضرب امرأة قط، ولا خادماً، ولا شيئاً، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، كما جاء ذلك فى (صحيح مسلم) من قول السيدة عائشة رضى الله عنها. وعندما اشتكت النساء لزوجاته - رضى الله عنهن - من ضرب أزواجهن لهن، قال: "لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير كلهن تشكو زوجها من الضرب، وايم الله لا تجدون أولئك خياركم" [صحيح الجامع:٥١٣٧]، وإذا فعل الزوج كل هذه الأشياء، وعالج بكل هذه الأدوية، ولم تنجع فى نُشوز زوجته، يأتى الحل قبل الأخير، وهو الذى ورد فى قوله جل وعلا: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} [النساء:٣٥] فإن لم تفلح كل هذه الحلول لم يكن بُدّ من الطلاق {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ} [النساء:١٣٠] وهنا يعطى الإسلام للرجال فرصتين ليراجعوا زوجاتهم، ولم يجعلها طلقة واحدة أو اثنتين وينتهى الأمر، بل جعل الطلاق ثلاث مرات. وفى كُلّ من الطلقتين الأُولَيَيْن تمكث المرأة فى بيت زوجها، وتؤاكله وتشاربه، وتتزين له، إلا أنه لا يجامعها إلا إذا راجعها، ومن العلماء من قال: إن جامعها فقد راجعها. وهنا نُذكِّر بأمر هام جداً لا يفطن له كثير من المسلمين، حيث أنهم يخرجون المرأة من بيت زوجها بعد الطلقة الأولى والثانية، وهذا مخالف لشرع الله جل وعلا، فسبحانه له الحكمة فى بقائها فى بيت زوجها، لعله يَحِنّ إليها، وتَحِنّ إليه، ويصلح الله بينهما، ويزيل العداوة من قلبيهما، قال تعالى: {لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا} [الطلاق:١] وقد أباح الله للزوج والزوجة أن يتصالحا على أمر مُعَيَّن حتى لا يطلقها، فبعض الرجال تكون له أكثر من زوجة، وليس بوسعه أن يعدل بينهما - أو بينهن - فيقرر أن يطلق واحدة، ففى هذه الحالة يتصالحا - مثلاً - على ألا يُسوِّى بينهما فى النفقة أو المبيت، بشرط أن يكون ذلك برضاها، وبغير إعضال لها، حتى لا ينهدم ذلك البيت المسلم، ويتشرد الأطفال إن كان

بينهما أطفال، يقول الله تبارك وتعالى: {**وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ**} [النساء:١٢٨] ولم يُعطِ الإسلام الحق للرجل دون المرأة فى الطلاق، فلها الحق أن تنخلع من زوجها إن كان يؤذيها، أو لا يقوم بحقها. ولكن - رغم إباحة الطلاق والخُلْع - فقد حَثَّ الإسلام كُلاً من الزوجين على الصبر واحتمال الأذى، ورد السيئة بالحسنة، لدرجة أنه أَحَلَّ الكذب بينهما فى أمور العاطفة، حتى تدوم العِشرة، وينصلح حال الأسرة.

وقد كان الطلاق مباحاً فى العهد القديم (التوراة) ثم جاء العهد الجديد (الإنجيل) فنسخه، كما ذكرنا ذلك فى الإجابة على الشبهة رقم (٣١) ثم جرت محاولات فى بعض تشريعات أوربية حديثة لتبيح الطلاق مرة أخرى، لِمَا رَأَوْه من فوائده، تماماً كما شعروا بفوائد تعدد الزوجات، والله أعلم.

س٦٦- لماذا لم يُبِح الإسلام للمرأة طلاق زوجها من باب المساواة كما أباح للرجل؟

ج٦٦- إن الآية نفسها التى أباحت للرجل طلاق زوجته أباحت لها الخُلع، قال تعالى: {**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ**} [البقرة:٢٢٩] وقد حدث فى عهد الرسول ﷺ أن ذهبت إليه امرأة ثابت بن قيس، وقالت له: ثابت بن قيس ما أَعْتِبُ عليه فى خُلُق ولا دين، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام، (أى كفر العشير وليس الكفر بالله) فقال لها: "**أتَرُدِّينَ عليه حديقَتَهُ؟**" (لأنه كان قد أعطاها لها مهراً) قالت: نعم، فقال له الرسول ﷺ: "**اقْبل الحديقة وطلِّقها تطليقة**" [صحيح البخارى] ولكن لا يُفهَم من هذا أن المرأة تنخلع من زوجها بغير سبب، قال رسول الله ﷺ: "**المختلعات هن المنافقات**" [صحيح الجامع:٦٦٨١] ويوضحه الحديث الذى بعده، وهو: "**أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**" [صحيح الجامع:٢٧٠٦] فالمرأة إذا طلبت الطلاق بسبب شرعى.. كأن يكون زوجها ضرَّاباً أو شتَّاماً أو لا ينفق عليها...إلخ، فلا تكون منافقة. والإسلام يبيح للمطلقة أن تتزوج بعد انقضاء عدتها، أما الكتاب المقدس فلا يبيح لها أن تتزوج، بل ويحكم عليها

وعلى من تزوجها بالزنى، فيقول: **كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى. وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى** (لوقا١٦: ١٨) **فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها. وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى** (مرقس١٠: ١١-١٢) **من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى** (متى٥: ٣١-٣٢) ونحن نتساءل: ماذا تفعل المطلقات وخصوصاً لو كنَّ صغيرات؟ وما ذنبها لو طلقها زوجها بغير سبب.. أتترك للضياع أم تكون فى ذمة رجل يعفها، وينفق عليها، ويقوم على مصالحها؟ وما ذنب الرجل أن يقيم طوال عمره مع امرأة تنغص حياته طالما أنها لا تزنى؟ وما ذنبها هى أيضاً أن تبقى مع رجل ينغص حياتها ولا يعطيها حقها؟، والله أعلم.

س٦٧- للذكر مثل حظ الأنثيين عندكم فى الميراث، هل هذا العدل الذى تدَّعونه؟

ج٦٧- إن نصيب المرأة عندنا فى الميراث إكرام لها، لأن المرأة فى الإسلام ليس عليها أى نفقات - ولو على نفسها - سواء كانت أمًا أو زوجة أو بنتاً أو أختاً، ففى جميع الحالات يُلزَم وليّها بالنفقة عليها، حتى لو كانت غنية، أما الرجل فعليه كل النفقات، من مهر وإعداد المسكن وتجهيزه، وكفالة أسرته وأولاده وكل شىء. أما ما يحدث من مشاركة أهل الزوجة فى جهاز ابنتهم فهو محمود، لأنه من باب التعاون على الخير، ولكنه ليس مُلزِماً لهم، قال الله عز وجل: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء:٤] أى (مهراً واجباً بطيب نفس) فالمهر حق للمرأة تفعل به ما تشاء، وليست مُلزَمة بمشاركة زوجها أو أهلها فى نفقات زواجها، وليس لأحد من أوليائها حق فى أخذ مهرها، ولو كان أباً أو أخاً أو عمّاً أو جدّاً، فالمرأة فى الإسلام لها ذِمّة مالية مستقلة، وليس لأحد وصاية عليها، ولكن لها أن تتصدق على زوجها الفقير بمحض إرادتها، ويكون لها فى هذه الحالة أجران.. أجر الصدقة وأجر الصِّلَة، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، أما زوجها فلا يحل له أن يتصدق عليها لأنه مُلزَم بالنفقة عليها، وأن يطعمها مما يطعم، وأن يكسوها كما يكتسى، فلا يخص نفسه بالطيّب من الطعام والشراب والملبس دونها، ولو كانت غنية، أما هى فلا يلزمها ذلك، بل لها أن تخص نفسها بما شاءت. ولو طلقها فلها مؤخر الصداق (إن كانت لم تأخذه) ونفقة مطلقة، ونفقة متعة، بالإضافة لما تأخذه من أثاث بيت الزوجية الذى اشتراه لها زوجها، وهو ما يسميه العامَّة (القائمة) ثم إذا أراد طليقها أن يتزوج، فعليه من

جديد أن يتحمل المهر والسكن والأثاث وغير ذلك للزوجة الأخرى. والمرأة كانت فى الجاهلية لا تَرِث، بل كانت تُوَرَّث كأى متاع، فكانت إذا مات عنها زوجها، يأتى والده أو أخوه أو أى رجل من عَصَبَته - حتى لو كان ابن المتوَفَّى - فيُلقى عليها ثوبه، فتكون ملكاً له بذلك، ثم جاء الإسلام فحرم هذه العادة القبيحة، فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء:١٩] وفى بعض القرى - إلى اليوم - لا يُوَرِّثون المرأة، لأنهم يقولون إن مالها سيذهب لزوجها، وهذا حرام قطعاً، وإن استحَلَّهُ أحد (أى اعتقد أنه حلال) يصبح بذلك كافراً.

وبالإضافة لما سبق.. فإن الرجل مكلَّف بطلب العلم والجهاد فى سبيل الله أكثر من المرأة، وهذا مما يجعله أشد احتياجاً للمال.

ثم إن الذين ينكرون علينا تفضيل الذكر على الأنثى فى الميراث يفضلون الذكر على الأنثى منذ ولادته، بل ويجعلون الأنثى نفسها تُوَرَّث فضلاً عن أن تَرِث، فيقول كتابهم المقدس:

وكلَّم الرب موسى قائلاً كلِّم بنى إسرائيل قائلاً. إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام... وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين (لاويين١٢: ١-٥)

إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تَصِر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لِئَلا يُمحَىَ اسمه من إسرائيل (تثنية٢٥: ٥-٦)، والله أعلم.

س٦٨- لماذا أقرَّ الإسلام تجارة الرقيق؟ وهل يرضى الله للإنسان الْمُكرَّم أن يكون سلعة تُباع وتُشترى؟ وإذا كان لا يرضى فلِمَ لم ينص القرآن على تحريمها؟ وكيف يبيح للرجل أن يطأ ملك يمينه مع أنها ليست زوجته؟

ج٦٨- إن الإسلام لم يبتدع الرِّق، فقد كان سائداً لقرون طويلة بين أبناء الديانات المختلفة، وبين غير ذَوِى الأديان، وكان استخدام الرقيق يتم بصورة وحشية غير آدمية، وكانوا يُعَرَّضُون للقَمعِ والذل والإهانة، ويُضربون كالبهائم بالسوط (الكرباج) لا لشىء إلا لمجرد لذة السيادة، ويتم استخدامهم فى الأعمال الشاقة والمهينة، فى شدة الحر والبرد،

وهم مقيدون بالحديد حتى لا يهربوا، وليس لهم أدنى حق حتى فى الشكوى، وكان يُنظر لهم على أنهم أشياء ليسوا كبقية البشر، خُلقوا ليُستعبَدوا. فعلى سبيل المثال: كان الهنود المجوس يعتبرونهم خُلقوا من قَدَم الإله، ولابد أن يُذلُّوا ويُحتَقروا، ويعملوا الأعمال الشاقة المهينة، ويُعذبوا عسى أن تُنسَخ أرواحهم بعد مماتهم على هيئة البشر! وكان الأمر فى بلاد الفرس مثل ذلك. وفى العصر الرومانى كانوا يغيرون على البلاد الفقيرة لينهبوا خيراتها، ويستعبدوا أهلها (كما يحدث فى عصرنا الحاضر) ويسوموهم سوء العذاب، ويحرقوهم بالنار، حتى إنهم كانوا يجبرونهم على مبارزات بالسهام والنبال مع بعضهم ومع الوحوش، لا لشيء إلا لمتعة السّادة برؤية دماء هؤلاء العبيد المساكين، ولا يجدون فى أنفسهم أى شفقة عليهم، حتى لو تمزقت أجسادهم فى هذه المبارزات. بل كان السادة - وربما الإمبراطور نفسه - يحضرون هذه المهرجانات، ويضحكون ويصفقون لمن يقضى على خصمه، ولا دِيَة لهم، ولا ينتصر لهم أحد أو يسمع شكواهم، وكأنهم كلاب قتلتها الضوارى وانتهى الأمر. وورثهم الأوربيون من بعدهم، فكانوا يغيرون على البلاد الأفريقية، ويخطفون الرجال والنساء والأطفال، ويقوم القراصنة بنقلهم فى سُفن البضائع مُكَدَّسين فى مكان ضيق مظلم كريه الرائحة، لا يُسمَح لهم حتى بالمسافة التى تكون فى الحظيرة بين بقرة وبقرة، يبولون ويتغوطون على بعضهم بعضاً، مع الحشرات والفئران، دون أدنى مراعاة لآدميتهم، بل كان التعامل معهم أحط وأحقر من معاملة البهيمة، وشاهد على ذلك مسلسل (جذور) الذى أنتجوه بأنفسهم ليكون شاهداً على ظلمهم أمام الأجيال المتعاقبة. وكان الرجل الأبيض يستعبد الرجل الأسود، ويرى أن من حقه أن يفعل فيه ما يشاء، يسفك دمه، وينهب أرضه، ويهتك عِرضه، ليحيا حياة المُنعَّمين المترفين، ولو على حساب الآخرين، فكان - وما زال - ينطبق عليهم قول القائل: قَتْلُ رجلٍ أبيض فى غابةٍ شيء لا يُغتَفر، وقتل شعب بأكمله أمرٌ فيه نظر!

وما زالت التفرقة العنصرية شاهدة على ماضيهم الأسود. ومن العجيب أن هؤلاء الظلمة المحتلين الذين سفكوا الدماء، وهتكوا الأعراض، وسلبوا الأموال، هم الذين يثيرون الشكوك حول الإسلام، كالأعمى الذى ينفخ بفمه تجاه الشمس ليطفئ نورها! وينسون - أو يتناسون - أن دينهم لم يحرم عليهم تجارة العبيد، ليس هذا فحسب، بل أمرهم

بضربهم، وأباح لهم بيع بناتهم، وها هي بعض الأدلة من كتابهم المقدس:

ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدَّم سريعاً واتكئ. بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمنى حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت. فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أُمِرَ به. لا أظن. (لوقا١٧: ٧-٩)

إذا اشتريتَ عبداً عبرانياً فستّ سنين يخدم وفى السابعة يخرج حُرّاً مجاناً. إن دخل وحده فوحده يخرج. إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه. إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده. ولكن إن قال العبد أحب سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حراً يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب. فيخدمه إلى الأبد. (خروج٢١: ٢-٦)

أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورِعْدَة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح. (رسالة بولس إلى أفسس٦: ٥)

وإذا باع رجل ابنته أَمَة (خروج٢١: ٧)

وأما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرَبُ كثيراً. (لوقا١٢: ٤٧)

ونقول لهؤلاء الحاقدين: إن المشركين فى الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا لا يختلفون عن أسلافهم فى قمع العبيد، وإذلالهم، وتعذيبهم، وكانوا يغيرون على القبائل، ويخطفون الرجال والنساء والأطفال لبيعهم فى سوق النخاسة، وعندما جاء الإسلام لم يُحَرِّم الرِّق، لأن هؤلاء العبيد كانوا رءوس أموال لأصحابهم، ولنتخيل لو جاء أى نظام جديد يَحرِم الناس من أملاكهم.. ماذا يكون رد فعلهم؟ إن هذا سيصد الكثيرين عن الإيمان به واتِّباعه، وخاصة فى بادئ الأمر قبل أن تقبله العقول وترضاه النفوس. ولو حُرِّمَ الرِّق.. فكيف كان يُعامَل أسرى الحروب؟ أيعامَلون مثل معاملتهم فى وقتنا الحاضر، فيُسجنون ويُعَذبون ويُهانون كما حدث فى سجن (أبو غريب) بالعراق ومُعتقل جوانتانامو، أم ينعمون بحياة آدمية مطمئنة، فى بيوت نظيفة، يأكلون ويشربون ويلبسون مثل أصحابها؟ ثم إن أخذ الأسرى من العدو فى الحروب واسترقاقهم هو معاملة بالمثل، ولكن بشروط معينة يُرجع إليها فى كتب الفقه، وقد جعل لهم الإسلام حقوقاً تكفل لهم العيش الكريم مع

إخوانهم، وجعلهم مُكَرَّمين، لهم حقوق كسائر البشر، وحرم ظلمهم أو الاعتداء عليهم بأى وسيلة، وأمر مُلاكَهم بألا يكلفوهم ما لا يطيقون من الأعمال الشاقة، وإذا كلفوهم أن يعينوهم، قال رسول الله ﷺ: **"إن إخوانكم خَوَلُكُم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يَدِه فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم"** [صحيح البخارى] سبحان الله! هل هناك خُلُق أفضل من هذا؟ لقد جعلهم الرسول ﷺ إخواناً لمن هم تحت أيديهم، و"خَوَلُكُم" معناها الذين يتخولون مصالحكم، كما نقول بلغتنا (خُولى الجنينة) أى الذى يتعهد البستان برعايته وإصلاحه. وتخيلوا معى كم تساوى كلمة "إخوانكم"؟ وكيف كان رفعها لمعنويات هؤلاء الخدم، بعد أن كانوا يعاملون على أنهم أشياء محتقرة ذليلة؟ وكيف وصَّى بإطعامهم وكسوتهم، بعد أن كانوا لا يأكلون إلا الردىء من الطعام، ولا يلبسون إلا المهلهل من الثياب، يفترشون التراب، ويلتحفون بالسحاب. إن الخدم فى عصرنا الحاضر ليَتَمنّون أن تكون لهم مثل هذه الحقوق التى لم يحصلوا عليها فى ظل ما يدّعونه من مراعاة حقوق الإنسان فى العالم المتحضر.

ومن إكرام الإسلام لهم قول رسول الله ﷺ: **"لا يقولنَّ أحدكم عبدى وأَمَتِى، كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله، ولكن لِيَقُل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى"** [صحيح مسلم] وقوله: **"من ضرب غلاماً له حَدّاً لم يأتِه أو لَطَمَه فإن كفارته أن يعتقه"** [صحيح مسلم] فهل بعد هذا حفظ للحقوق؟ لقد جعل مجرد ضربهم أو لطمهم سبباً لعتقهم، وهذا إذا كان بغير ذنب، وهو معنى "له حَدّاً لم يأتِه" وهذا العتق كفارة لذنبه، لينجيه من عذاب الله يوم القيامة، وليس مُلزماً له فى الدنيا إلا عند الإمام مالك (والله أعلم) ولطم الوجه - عموماً - نهى عنه الرسول ﷺ، حتى إنه نهى عن ضرب البهيمة فى وجهها، فقال: **"أما بلغكم أنّى لعنتُ من وَسَمَ البهيمةَ فى وجهها أو ضربها فى وجهها"** [صحيح الجامع:١٣٢٦] سبحان الله! هل علم العالم أجمع فى قديمه أو حديثه أرفع من هذا الْخُلُق؟ أو رفقاً بالحيوان أعظم من هذا؟! فالذى رفق بالحيوان هو أجدر بأن يرفق بالإنسان. فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

لقد حرم الإسلام قتل العبيد، أو الاعتداء عليهم بغير حق، سواء كان بضربهم. أو

جَدْع أنوفهم، أو إخصائهم، وقد كان ذلك منتشراً فى الجاهلية قبل ظهور الإسلام، ليصبحوا غير قادرين على المعاشرة الزوجية، لأنهم كانوا يدخلون على نسائهم فى غيابهم، ليقوموا بخدمتهن، قال رسول الله ﷺ: **"من خَصَى عبده خصيناه"** [سنن النسائى] وقال: **"من قتل عبده قتلناه، ومن جَدَعَ عبده جَدَعناه"** [سنن أبى داود والترمذى] أين هذا مما جاء فى الكتاب المقدس الذى يبيح للسيِّد أن يضرب عبده ضرباً مُبَرِّحاً ولا يُنتَقم منه، طالما أن العبد لم يَمُتْ خلال يوم أو يومين، لأنه اشتراه بماله؟ وها هو الدليل: **وإذا ضرب إنسان عبده أو أمَتَه بالعصا فمات تحت يده يُنتَقمُ منه. لكن إن بقىَ يوماً أو يومين لا يُنتَقم منه لأنه ماله.** (خروج٢١: ٢٠-٢١) إن معنى ذلك أن العبد إذا مات من الضرب بعد اليوم الثانى فلا يُنتقَم من سيِّده! أين هذا من تكريم العبيد فى الإسلام؟ وهل هناك تكريم عرفته البشرية أكبر من أن يتزوج الحر الأمَة، وأن تتزوج الحرة العبد؟ إن الناس يستنكفون من زواج الخادم والخادمة، بل ويستنكفون من زواج من هم دونهم فى الجاه والمنصب والتعليم.. إلخ، فما بالكم بالعبد والأمَة؟ ولكن الله الرحيم اللطيف بعباده شرع ذلك للمؤمنين، فقال فى كتابه الكريم: **{وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ}** [البقرة:٢٢٠] وفى الآية نفسها **{وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}** لأن تفاضل الناس عند الله بالتقوى **{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات:١٣] وقال تعالى: **{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}** [النساء:٢٥] **{بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ}** تماماً كالحرة، فالحرة لا يَصِحُّ زواجها بغير إذن وليِّها، لقول رسول الله ﷺ: **"لا نكاحَ إلا بوَلِىّ"** [صحيح البخارى] وبالفعل حدث هذا عندما تزوج زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ من السيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - وهى الشريفة القرشية بنت عمة رسول الله ﷺ، و لم يذكر الله عز وجل أحداً من الصحابة ﷺ باسمه إلا زيداً، فقال: **{فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا}** [الأحزاب:٣٧] وأمَّرَهُ الرسول ﷺ فى غزوة مؤتة على المهاجرين والأنصار، واستشهد فيها ﷺ، وأمَّرَ ابنه أسامة ﷺ وهو ابن سبع عشرة سنة على الجيش، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد بن الوليد، وغيرهم من الصحابة الأجلاء ﷺ. قال ﷺ:

"كلكم بنو آدم وآدم خُلِقَ من تراب، لَيَنتَهِيَنَّ قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونَنَّ أهون على الله من الْجُعلان" [صحيح الجامع:٤٥٦٨] ("الْجُعلان" معناه الْخُنفسَاء) وقال لسيدنا بلال ﷺ: "يا بلال! بِمَ سبقتنى إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قط إلا سمعتُ خشخشتكَ أمامى، إنى دخلتُ البارحة الجنة فسمعتُ خشخشتكَ أمامى" [صحيح الجامع:٧٨٩٤] وقال: "إن الجنة لتشتاقُ إلى ثلاثة: علىّ وعمّار وسَلْمان" [سنن الترمذى، صحيح الجامع:١٥٩٨] وعمّار وسلمان - رضى الله عنهما - كانا عبدين مملوكين. ورُوِىَ أن أبا بكر ﷺ حينما أعتق بلالاً قال له: يا سيدى، فقال له: لا تقل سيدى، إنما أنا أخوك. وورد أن عمر بن الخطاب ﷺ قال حين ذاك: سيّدُنا وأعتق سيّدَنا. وقد توارثت الأجيال تعظيمهم جيلاً بعد جيل، فلا يُذكَر بلال الحبشى إلا ويُقال سيدنا، وكذلك عمّار بن ياسر، وصُهَيب الرومى، وسلمان الفارسى، وغيرهم، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين، اللهم اجعلنا معهم يوم الدين.

ولم يكتفِ الإسلام بكل هذا التكريم، بل عمل على تخفيف منابع الرِّق، فحرَّم بيع الأحرار، وحث على عتق الرِّقاب، وجعله قُربَى لله سبحانه وتعالى، مثل: {وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ} [البلد:١٢-١٣] فكان أول من امتثل لأمر الله سبحانه وتعالى هو الرسول ﷺ بأن أعتق جميع من عنده من العبيد، وبعده أبو بكر الذى أنفق ماله فى تحريرهم، ليرحمهم من التعذيب الذى كانوا يلاقونه على أيدى الكفار ليفتنوهم عن دينهم. وقد جعل الله عز وجل عتقهم تكفيراً للذنوب، فعلى سبيل المثال: القتل الخطأ، كفارة اليمين، الظِّهار، الجماع فى نهار رمضان.. إلخ. وجعل لعتقهم نصيباً من زكاة المال {وَفِى ٱلرِّقَابِ} [التوبة:٦٠] وحث على تحريرهم بالمكاتبة، فقال: {وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ} [النور:٣٣] والْمُكَاتَبَة هى أن يطلب العبد من سيده أن يحرره مقابل مبلغ من المال، بحيث يتركه يعمل ويسدده له على أقساط، وإذا عمل عند سيده فى هذه الفترة يكون عمله بأجر، وأمر الله سيده (أو غيره من المسلمين) بإعطائه نصيباً من المال لإعانته على هذا الأمر، قال ﷺ: "لا يَسألُ الرجلُ مولاه من فضل هو عنده فيمنعه إيّاه إلا دُعِىَ له يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعاً أقرع" [صحيح الجامع:٧٧٠٩] أرأيتم ما هو عقاب من

منع وليه فضل ما عنده؟ أن يُمَثَّلَ لهُ ثعباناً ضخم الهيئة، يُسمَّى (الشجاع الأقرع) والعياذ بالله. وإذا رفض سيده أن يكاتبه فله أن يشتكيه للقاضى، ويلزمه القاضى بقبول المكاتبة، بشرط أن يكون هذا العبد موثوقاً فى أمانته وصدقه، لضمان حق وليّه. وقد كان رسول الله ﷺ يفك أسرى المشركين مقابل تعليمهم المسلمين القراءة والكتابة، فكان شرط فكاك الواحد منهم أن يعلم عشرة من المسلمين. ويكفى أن آخر وصية للرسول ﷺ قبل موته كانت بالعبيد، إذ قال: "**الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم**" [سنن ابن ماجه ومسند أحمد، صحيح الجامع:٣٨٧٣]

أما وَطْء الرجل أمَتَه، فإن هذا احترام لحقها وليس إهانة، فإنها كانت قبل الإسلام ليست ملكاً لسيدها وحده، بل لابنه، وأبيه، ولمن شاء أن يقدمها له من الضيوف، فحرم الله إجبارهن على البغاء، فقال: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النور:٣٣] وهى امرأة، ولها متطلباتها كبقية النساء، وإذا تُرِكَت بغير زوج.. فمن يُعِفُّها إذن؟ أتُترَك لتكون عُرضة لمطمع الفسقة والفجرة من الرجال؟ إن هذا يعرّضها للأمراض، فضلاً عن إشاعة الفساد فى البلاد. ولها تكريم آخر.. أنها إذا ولدت ولداً تصير حرة، وبعض العلماء قال والبنت أيضاً. أما إذا خطبها أحد – سواء كان حراً أو عبداً – فلا مانع من ذلك، بشرط أن يكون بإذن وليها، وفى هذه الحالة تحرم على وليها، لأنها أصبحت زوجة لرجل غيره.

وقد أباح الكتاب المقدس أخذ السبايا، ووطء الإماء، وهذه بعض الأدلة:

فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات. (عدد٣١: ١٧-١٨) أى أنهم يقتلون الذكور من الأطفال، أمَّا الإناث من الأطفال فلا يُقتَلْنَ طالما أنهنَّ عفيفات، ولكن يُؤخَذْنَ كاسيرات.

إذا خرجتَ لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيتَ منهم سبياً ورأيت فى السَّبْى امرأة جميلة الصورة والتصقتَ بها واتخذتها لك زوجة فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلّم أظفارها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمها شهراً من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة. (تثنية٢١: ١٠-١٤)

فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها. وقالت ليعقوب هب لى بنين. فحمى غضب يعقوب على راحيل وقال أَلَعَلّى مكان الله الذى منع عنك ثمرة البطن. فقالت هوذا جاريتى بلهة. ادخل عليها فتلد على ركبتى وأُرزَق أنا أيضاً منها بنين. فأعطته بلهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب (تكوين٣٠: ١-٤)

وأما بنو السراوى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حى (تكوين٢٥: ٦)، والله أعلم

س٦٩- إن تحريم الربا فى الإسلام يصيب الاقتصاد العالمى بالشلل التام.

ج٦٩- سنورد لكم بعض أقوالكم لتكون حجة عليكم:

لقد جاء فى كتابكم المقدس ما نصه: **إن أقرضتَ فضة لشعبى الفقير الذى عندك فلا تكن له كالمرابى. لا تضعوا عليه ربا** (خروج٢٢: ٢٥) ولكن هذا التحريم - للأسف - خاص بأبناء دينكم، بدليل: **لا تُقرِض أخاك برباً ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء ما مما يُقرَض بربا. للأجنبى تُقرِض بربا ولكن لأخيك لا تُقرِض بربا لكى يباركك الرب إلهك** (تثنية٢٣: ١٩-٢٠)

إن رجل الاقتصاد الأول وهو العالِم الألمانى (شاخت) وضع نظرية سنة ١٩٥٠ قال فيها: (إن الربا ليتسبب فى مصائب عالمية، وإن الربا ليضر بالاقتصاد العالمى، وإنه ليزيد الفقير فقراً والغنِىَّ غِنىً) وكذلك فإن مؤسس علم الاقتصاد العالمى، وهو رجل بريطانى اسمه (كينز) قال: (إن العالم ليحلم بأن يدور رأس المال مرتين ونصف المرة كل سنة، وعندها تتحقق الرفاهية لكل الشعوب) أى أن رأس المال يعاد استثماره كل أربعة أشهر، إن هذا معناه هو مقدار الزكاة. ويقول أيضاً: (حين تصل قيمة الفوائد إلى الصفر يشيع النماء والرخاء فى العالم كله) معنى هذا هو عدم الربا. وقد لجأت الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة للإقراض بدون فوائد لتشجيع الاستثمار فى المجتمع الأمريكى.

إن الربا هو الذى يضر بالاقتصاد العالمى، وليس تحريمه كما يدَّعى المغرضون، فلنفترض أنك اقترضت مليون جنيه لعمل مشروع، ثم ربحت عشرين بالمائة أو أقل فى نهاية العام، وفى الوقت نفسه كانت قيمة الأرباح المطلوب منك سدادها هى أيضاً عشرين بالمائة، فكم يكون ربحك حينها؟ إن هذا المشروع عند رجال الاقتصاد لا يساوى نشاطه، فتضطر

لغلق المصانع وتسريح العمالة، أو تزداد ديونك عاماً بعد عام، إلى أن يتم استيلاء الجهة المُقرِضة على ممتلكاتك أو وضعك فى السجن، فهل هذا يؤدى إلى نمو الاقتصاد، والقضاء على البطالة، وتشغيل الأيدى العاملة؟ فى حين أنك لو قمت بهذا المشروع من مالك الخاص، أو اقترضت قرضا حسناً بغير فوائد، لكان ربحك خالصاً لك، كما أن فى هذا استمراراً للإنتاج، وازدهاراً للاقتصاد، وقضاءً على البطالة - أو الحدّ منها - ورفعاً لمستوى المعيشة.. إلخ. ربما يتعجب البعض ويقول: من الذى يقرض قرضاً حسناً فى هذا الزمان؟ إنه بذلك يكون قد عطل ماله، ولم يَعُد عليه بأى نفع دنيوى؟ فنقول له: ليس شرطاً أن يكون قرضاً، ولكنه يشارك فى المشروع، ويتفق مع شريكه - أو شركائه - على نسبة معينة من الربح أو الخسارة، بحيث لا تكون الفائدة ثابتة، حتى لا يقع فى الحرام، فربما خسر المقترض، أو ربح أرباحاً طائلة، فيكون بذلك قد ظلم نفسه، أو ظلم شريكه.

والذى يسدد أرباحه كفوائد للديون.. ماذا يفعل؟ إنه - كما قلنا - إمَّا أن يغلق مصانعه، وينهى مشروعه، ويسرِّح عمالته، وإمَّا أن تتراكم عليه ديونه، وفى هذه الحالة قد يلجأ إلى حِيَل تضر بمجتمعه ليسدد ديونه، ولنفترض أنه يبيع سلعاً استهلاكية، فلو باعها بسعرها فى السوق لَخَسِرَ، ولو باعها بثمن أغلى ليحقق قيمة الربح المرجوَّة لسداد ديونه بفوائدها لكسدت سلعته، فماذا يفعل؟ إنه يلجأ إلى ما يسمى بالحِيَل النَّكِدَة، كأن يغش البضاعة، فيقدم للمجتمع سلعاً مغشوشة تضر بالمستهلك، وإن لم يستطع غشها - كالملابس الجاهزة مثلاً - فإنه يلجأ إلى استغلال المرأة لاستقطاب الزبائن - كما يحدث فى أوربا - نساء يرقصن ويغنين من أجل ترويج السلعة وبيعها بسعر أغلى، أو يشغل عنده المتبرجات تبرجاً صارخاً، وفى هذه الحالة أيضاً يضر بالمستهلك، لأنه يبيع له بسعر عالٍ - فضلاً عن ضرره فى دينه - فيخفض مستوى المعيشة، لأن المستهلك فى هذه الحالة لا يستطيع شراء كل ما يحتاجه من السلع لارتفاع سعرها.

والذين يبيحون الفوائد (الربا) يقولون إن العقد شريعة المتعاقدين، وإن كِلا الطرفين (الدائن والمدين) راضيان عن هذا العقد. ونقول لهم: إن هناك مُشرِّعاً أعلى، وهو الله سبحانه وتعالى. وقاعدة (العقد شريعة المتعاقدين) لا تصلح إلا فى العقود الحلال، وإلا- لأصبحت عقود الزنى حلالاً بالتراضى أيضاً. والربا عقوده باطلة قانونياً، وليس شرعياً

فقط، فالمفروض أن القانون يحمى الطرفين: المقرض والمقترض، أما عقود الربا فإنها تحمى المقرض فقط، لأنها تبيح له أن يأخذ كل الضمانات التى يريدها من المقترض، مثل الحجز على متاع بيته أوكذا أوكذا، ولا يضمن للمقترض أى حق. والذين يقولون إن البنوك لا تخسر، وإقراضها للناس بالفوائد يعتبر مثل البيع، فإن قولهم هذا مثل قول الكافرين أيام الرسول ﷺ: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ} [البقرة:٢٧٥] وكان المفروض أن يقولوا (إنما الربا مثل البيع) ولكنهم بدأوا بالبيع لتشبيهه بالربا فى جلب الزيادة للمال.

ومن قال: إن البنوك لا تخسر؟ إن هناك الكثير من البنوك العالمية التى تخسر بالمليارات، وتغلق أبوابها، وتسرِّح عمالَتها، بل وتستدين، وشركات عالمية تخسر وتعلن إفلاسها، فطالما أنك دخلت فى التجارة فإنك معرض للربح والخسارة. وهناك سؤال: ما الفرق بين البيع والربا؟ إنك فى البيع تبيع السلعة بنقود، أما الربا فإنك تبيع نقوداً بنقود، والنقود ليست سلعة، ولو أصبحت النقود سلعاً لتحولت السلع إلى نقود، وهنا يسقط التقايض وتسقط المنافع العامة، فلابد وحتماً أن تكون التعاملات المصرفية البنكية على أن رصيدها من الفوائد صفر. ومن حِكَم تحريم الربا ألا يدور رأس المال بين الأغنياء فقط {كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ} [الحشر:٧] {دُولَة} معناها التداول، فإن رءوس الأموال فى العالم - عادة - تدور دورة أفقية مع الأغنياء فقط مثل (المروحة) ولكن الإسلام يريد أن يدور المال دورة رأسية مثل (الساقية) حتى لا يحرم الفقير، ينزل المال من الغنى على الفقير، ويصعد من الفقير إلى الغنى، فالغنى يشغّل الفقراء، والفقراء يستثمرون مال الغنى، ويعطونه الربح.

إن الربا - كما قال شاخت - يزيد الغَنِىّ غِنَىً ويزيد الفقير فقراً، لأن الغنى تتضاعف أمواله بالربا، أما الفقير فإنه ينشغل بسداد ديونه وفوائدها فيزداد فقراً على فقر، ويضطر إلى الحرام. فالتعاسة التى أصابت الاقتصاد العالمى سببها أكل الربا، وحين حرَّمه الإسلام لم يترك الناس يتخبطون فى البحث عن البديل، ولكنه حث على الصدقة والقرض الحسن، وجعل أجره أعلى من أجر الصدقة، ووعد من صبر على المُعسِر بجزيل الأجر والثواب، وفى هذا تكافل اجتماعى كبير ليس له فى العالم نظير، والله أعلم.

س٧٠- تقولون إن الاغتسال والوضوء بالماء للطهارة، فإذا فقدتم الماء تيممتم بالتراب، فهل وضع التراب على الوجه طهارة أم قذارة؟

ج٧٠- نعم.. نحن نقول إن الاغتسال والوضوء طهارة، ولكن من قال لكم إن الطهارة هى النظافة؟ إن الطهارة هى رفع الحدث الأكبر بالاغتسال، ورفع الحدث الأصغر بالوضوء، والتيمم يحل محل الاثنين فى حالات معينة، فربما كان الإنسان طاهراً ويستطيع أن يصلى، مع أن جسده متسخ أو ملابسه، بشرط ألا يكون متسخاً بنجاسة (بغض النظر عن أنه لا يليق بالمسلم) فى حين أن غيره ربما يكون نظيف البدن، نظيف الثياب، متعطراً، ولكنه لا يستطيع أن يصلى، لأنه لم يتطهر من الحدث الأكبر أو الأصغر. إن الوضوء أمر تعبُّدِى اختاره الله لنا لنتهيّأ للوقوف بين يديه، ويَسَّر علينا أن نستبدله عند فقده بشىء آخر يحل محله، ونحن عبيده يأمرنا بما يشاء، وينهانا عما يشاء، وما علينا إلا الطاعة، سواء علمنا حكمته أم لم نعلم، فلو أننا أطعناه فيما نعلم حكمته، وتركنا غيره، فأين الإيمان والتسليم إذن؟ وهناك شىء آخر: إن الإنسان خلق من طين، وهو عبارة عن ماء وتراب، فإذا فقد الماء فإنه يلجأ للشق الآخر. ونحن حين نتيمم لا نضع كمية كبيرة من التراب على وجوهنا، أو ندخله فى عيوننا وأنوفنا وأفواهنا كما تظنون، ولكن يكفى أن نضرب الأرض بكفوفنا، ثم ننفضها كما كان يفعل رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة:٦] فهو مجرد غبار، أو أى شىء طاهر صعد على وجه الأرض - وإن لم يكن به تراب - مثل الجبال الصخرية أو الرخام أو غيرها.

والآن نذكر لكم بعض ما جاء فى كتابكم المقدس لتقارنوا بينه وبين التيمم:

فقال لى انظر. قد جعلتُ لك خثِي البقر بدل خُرْء الإنسان فتصنع خُبزك عليه.

(حزقيال٤: ١٥)

هَأنذا انتهر لكم الزرع وأمُدُّ الفَرْث على وجوهكم فَرْث أعيادكم فتنزعُون معه.

(ملاخى٢: ٣)، والله أعلم.

س٧١- كيف تقولون إن النساء ناقصات عقل، وقد تفوقن فى علوم شتى، ووصلن إلى أعلى الشهادات، حتى إن المرأة أصبحت طبيبة ومهندسة وأستاذة جامعية، وربما

تفوقت على الرجل فى بعض المجالات؟

ج٧١- نقول وبالله التوفيق: نعم.. إن النساء كما تقولون قد تفوقن فى مجالات شتى من العلوم والفنون، ولكن من قال لكم إن العقل هو الذكاء أو التفوق؟ إن الرسول ﷺ حين قال للنساء: **"ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ منكنَّ"** فسَّر لهنَّ ذلك بقوله: **"أليسَ شَهَادةُ المرأةِ مثلَ نصفِ شَهَادةِ الرجلِ.. فذلك من نُقصانِ عقلها، أليسَ إذا حاضت لم تُصَلِّ ولَم تَصُم... فذلك من نقصان دينها"** [صحيح البخارى] فلم يقل الرسول ﷺ إنهن ناقصات ذكاء أو مهارة أو فطنة.. إلخ، ولكن قال: "ناقصات عقل" والعقل معناه الربط والتحكم، كما جاء فى الحديث الشريف: **"اعقلها وتوكَّل"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:١٠٦٨] وذلك حينما سأله رجل عن ناقته هل يُطْلقُها ويتوكل، أم يعقلها (أى يربطها) ويتوكل، فالعقال هو الرباط الذى يربطون به الناقة حتى لا تفر، والعقل هو الذى يتحكم فى الإنسان فيضبط تصرفاته ويحجزه عما يضره، فلا ينساق وراء عواطفه، ويجعله يتصرف بحكمة ولو فى أحلك المواقف وأخطر الظروف. ومعلوم أن هذا أقوى عند الرجال، فعند حدوث أى خطر - كحادثة طريق أو حريق - تجد النساء لا يستطعن السيطرة على أنفسهن، ويصرخن ويُغشَى عليهن، أما الرجال فهم الذين يسارعون فى إنقاذ المصابين، والاتصال بالإسعاف، والنجدة... إلخ. إن التفوق العلمى مَلَكَة وهِبَة من عند الله للرجال والنساء، ولكن المرأة لا تتحمل المواجهات الساخنة، مهما بلغت من الدرجات العلمية، ولو كانت أستاذة جامعية، فلو سمعت صوت لص، أو رأت فأراً - ولا أقول ثعباناً - ماذا تفعل؟ إنها تصرخ وتنادى أى رجل - ولو البَوّاب الذى لا يعرف القراءة والكتابة - لينقذها مما هى فيه. إن عاطفة المرأة تغلب عقلها، ولذلك لا ينبغى أن تكون قاضية، لأنها لو أتاها مجرم - ولو كان سارقاً أو قاتلاً - وبكى لها واشتكى لعفَت عنه، ولضيّعت حقوق العباد، ولو أنه مدحها لَرَقَّ إليه قلبها. وكذلك فإنها بطبيعتها الضعيفة الرقيقة التى خلقها الله عليها لا تستطيع القيام بالأعمال الشاقة، والأعمال الخطرة، لأنها لا تحسن التصرف فيها، فلا نجدها - مثلاً - فى فِرَق الإسعاف، أو قوات المطافئ، أو قوات الصاعقة، والمظلات، والإبرار الجوى ... إلخ. وفى هذا أيضاً رد على السؤال الذى يُطرح منذ عشرات السنين، وتمتلئ به وسائل الإعلام

المقروءة والمسموعة والمرئية عن مساواة الرجل بالمرأة، فالذين ينادون بتحرير المرأة - كما يقولون - هم أعداء لها، وإلا- فممَّ يحررونها؟ أهىَ أسيرة؟ إنهم يريدون تحريرها من حيائها وحجابها وعفتها، فتختلط بالرجال، وتشاركهم فى كل مجال، مع أن طبيعة المرأة وخِلقتها تختلف تماماً عن الرجل، كما قال الله عز وجل: {وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ} [آل عمران:٣٦] وهم يظلمونها، ويحملونها ما لا تطيق من الأعمال التى لا يقدر عليها إلا الرجال. وعدم قدرتها ليس عيباً فى حقها، ويكفيها شرفاً أن جعلها الله رقيقة، عطوفة، رحيمة، حتى تراعى زوجها وأولادها، وتقوم على شئون بيتها، فهم لا يريدون أن يعترفوا أن لها قدرات محدودة، لضعف بدنها وقدرة تحملها، فبالإضافة لما سبق لا نجدها جرّاحة مخ وأعصاب - مثلاً - أو جرّاحة قلب مفتوح، أو غوّاصة فى البحار، أو عاملة فى المناجم والآبار، وأعمال الحفر والمِعمار... إلخ. فالذى خلقها أعلم بها {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الملك:١٤] حتى إنه سبحانه وتعالى خفف عنها بعض العبادات أيام حيضها ونفاسها، فإنها تكون فى تلك الأوقات أضعف نفسياً وبَدنيّاً، وألزَم الرجال بالنفقة عليها، لأنهم أقدر على السعى فى كسب لقمة العيش منها، فسبحان {ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه:٥٠]

إن المرأة فى الكتاب المقدس شر، ولا يحل لها أن تتكلم فى الكنيسة، ولا أن تذهب إليها لتتعلم، وإذا جاءها حيض أو استحاضة فهى نجسة، وكل ما تلمسه نجس، وكل من يلمسها نجس، بل إنها تعتبر مذنبة ولابد أن تكفر عن خطيئتها، أين هذا من قول رسولنا ﷺ: **"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"** [متفق عليه] وقوله: **"إن المؤمن لا ينجس"** [متفق عليه] و"المؤمن" يشمل المؤمن والمؤمنة. فالمرأة عندنا ليست نجسة، وإن كانت حائضاً أو نُفَسَاء. وقد كان ﷺ ينام فى حِجْر السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهى حائض، ويقرأ القرآن. وأين هذا من معارضة امرأة لسيدنا عمر ﷺ حين كان يخطب على المنبر فنهى عن الغُلُوّ فى المهر، فقامت من بين المصليات - وعلى مسمع من الرجال - وذكّرته بقول الله تعالى: {وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا} [النساء:٢٠] فقال قولته المشهورة: (أخطأ عمر وأصابت امرأة) وحتى لا نطيل عليكم فى سرد أدلة تكريم المرأة فى الإسلام، ننتقل إلى بعض - وليس كل - ما جاء فى الكتاب المقدس بشأن النساء:

وكانت امرأة جالسة فى وسط الإيفة. فقال هذه هى الشر. (زكرياه: ٧-٨)

ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل. (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس١١: ٣)

وقال للمرأة تكثيراً أكثّر أتعاب حَبَلِك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رَجُلِك يكون اشتياقك وهو يَسُودُ عليك. (تكوين٣: ١٦)

لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهنَّ أن يتكلمنَ بل يخضعنَ كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن كنَّ يُرِدنَ أن يتعلمنَ شيئاً فليسألنَ رجالهنَّ فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة. (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس١٤: ٣٤-٣٥)

لتتعلم المرأة بسكوت فى كل خضوع. ولكن لستُ آذنُ للمرأة أن تُعَلِّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت. لأن آدم جُبِلَ أولاً ثم حواء. وآدم لم يَغوِ لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدِّى. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثَبَتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقُّل (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس٢: ١١-١٥) فى هذا النَّص نجد أن اللوم يقع على السيدة حواء - رضى الله عنها - ولم يقع على سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعكس القرآن الذى أثبت المعصية لآدم، وإن كانت حواء ساعدته عليها، فقال: {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ} [طه:١٢١] ونجد فى النَّص - أيضاً - عدم السماح للمرأة أن تُعَلِّم، بل تتعلم فقط.. وفى سكوت. ونجد أن الذى يخلِّصها من خطيئة السيدة حواء هو أن تنجب أولاداً مؤمنين، أما إذا لم تنجب فلا ندرى ماذا يحدث لها؟

أما نجاستها أيام حيضها واستحاضتها، ونجاسة كل من مسها ومسته.. فهو فى الرد على الشبهة رقم (٢٧٨) ونكتفى هنا بذكر كونها مخطئة أيام حيضها واستحاضتها:

وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر. وفى اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخى حمام وتأتى بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع. فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خَطِيَّة والآخر مُحرَقَة ويكفِّر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها. فتعزلان بنى إسرائيل عن نجاستهم لئلا يموتوا فى نجاستهم بتنجيسهم مسكنى الذى فى وسطهم (لاويين١٥: ٢٨-٣١) سبحان الله! هل تفعل المرأة هذا كلما جاءها الحيض؟ أين هذا مما حدث مع السيدة عائشة - رضى الله عنها - حين طلب منها

الرسول ﷺ أن تناوله ثوباً وهو فى المسجد (لأن حجرتها كانت تُطِل عليه) فاعتذرت له بأنها حائض، فقال لها: "**إن حيضتك ليست فى يدك**" [صحيح مسلم]؟ وأين هذا من قوله ﷺ للحائض: "**إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى وأَهِلِّى بالحج واقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت ولا تصلى**" [صحيح الجامع:٢٢٥٤]؟ لقد سمح لها الرسول ﷺ بالقيام بجميع أعمال الحج إلا الطواف والصلاة، ويكفيها الاغتسال لتتطهر من حيضها، فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، والله أعلم.

س٧٢- إن انتشار الفقر والمرض والتخلف فى بلاد المسلمين له ارتباط وثيق بالدين، بدليل رقى البلاد الغربية وتفوقها.

ج٧٢- يعلم الناقد أن رُقِى الدول الغربية لم يقم على تعاليم دينها، وقد أشرنا إلى ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٩٧) وإلا- فهناك دول أفريقية كثيرة متخلفة مع اعتناقها للمسيحية. ويعلم أيضاً أن الحضارة الغربية ما قامت إلا على الحضارة الإسلامية، وعلى سرقة عقول الشعوب، وامتصاص دمائهم، ونهب ثرواتهم باحتلال بلادهم. وسنذكر - إن شاء الله - بعض نصوص الكتاب المقدس ونترك القارئ المنصِف يقارن بين ما جاء فيه وبين ما جاء به الإسلام.

إن ما أصاب المسلمين من مرض وتخلف وفقر - وهو ما يسمى بالثالوث المدمر - فهو من بُعدهم عن تعاليم دينهم، وليس لالتزامهم به، وإننا لنتحدى أن يأتينا أى إنسان بآية أو حديث فيه صَدّ عن العلم أو العمل، أو فيه ما يؤدى إلى الفقر والمرض. إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة من أى شىء إلا العلم، فقال جل فى علاه: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا} [طه:١١٤] وكانت أول آية أنزلت عليه ﷺ هى: {ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥] إن الله سبحانه وتعالى لا يذكر شيئاً فى كتابه يَمُنّ به على عباده إلا إذا كان له أهمية عظيمة، فَذِكْر القلم لم يأتِ عبثاً، فإنه أساس تدوين كل العلوم، وما وصلت إليه البشرية اليوم من العلوم فهو مبنى على ما سبقه من العلوم المدونة، وكل جيل يطوِّر ما وصل إليه آباؤه وأجداده من قبله، ثم الجيل الذى بعده... وهكذا، كل جيل يبدأ من حيث انتهى الآخرون. والآيات والأحاديث التى تحث على العلم والعمل كثيرة جداً،

نذكر من الآيات على سبيل المثال: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} [العنكبوت:٢٠] {وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف:١٠٥] {وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات:٢١] {أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ} [الأعراف:١٨٥] {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:١٥] {وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة:١١] وغير ذلك كثير، لدرجة أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم التجارة أثناء الحج فقال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} [البقرة:١٩٨] أما الأحاديث التي تحث على العلم فنذكر منها على سبيل المثال أيضاً: "طلبُ العلم فريضة على كل مسلم" [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع:٣٩١٤] قوله ﷺ: "على كل مسلم" يشمل المسلمة (كما هو معلوم من الآيات والأحاديث التي تأتي بلفظ المذكَّر في حين أنها للجنسين) و"من سلك طريقاً يطلبُ فيه علماً سَلكَ الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالِم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا دِرهماً إنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر" [صحيح الجامع:٦٢٩٧] وهناك أحاديث أخرى تحث على طلب العلم. وقد مر بنا أن الرسول ﷺ كان يفك أسْرَ المشركين مقابل تعليم المؤمنين القراءة والكتابة.

وأما الأحاديث التي تحث على العمل فنذكر منها: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسيلَة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها" [صحيح الجامع:١٤٢٤] "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكِلَ منه له صدقة، وما سُرِقَ منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يَرزَؤُهُ أحد إلا كان له صدقة" [صحيح مسلم] قوله: "يرزؤه" أي يُصاب فيه، لأن (الرُّزْء) هو المصيبة. وقال ﷺ عن الخارج لطلب الرزق: "إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرينِ فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعِفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومُفاخَرَة فهو في

سبيل الشيطان" [صحيح الجامع:١٤٢٨] **"لأن يأخذ أحدكم حَبْله فيأتى الجبل فيجيء بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيَكُفّ الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"** [صحيح الجامع:٥٠٤١] وغير ذلك أحاديث كثيرة. وبفرض عدم وجود أدلة على الترغيب فى العلم والعمل، فإن الأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يَرِدْ الدليل على تحريمه، فكيف والأدلة كثيرة لا يحصيها العَدّ؟

أما الفقر الذى أصاب كثيراً من المسلمين، فإن السبب فى ذلك أن الأغنياء بخلوا بما عندهم، ولم يمتثلوا لأمر ربهم فى إخراج زكاة أموالهم، فما جاع الفقراء إلا بتُخْمَة الأغنياء، والآيات والأحاديث التى تحث على الزكاة والصدقة لا تحتاج لبيان فى هذا الموضع، لأنها معلومة لدى الكبير والصغير، والله سبحانه وتعالى قد أثْرَى الأمة الإسلامية بالموارد التى تُدِر عليها المال الوفير، مثل آبار البترول، والمعادن المختلفة، والأراضى الزراعية الخصبة، ولكن هذه الأموال لم تستخدم على الوجه الذى يريده الله عز وجل - إلا القليل منها - وشاهد على ذلك دول الخليج التى فتح الله لها كنوز الذهب الأسود، فلو أنهم اتقوا الله فيما جعلهم مستخلفين فيه لَمَا جاع مسلم على وجه الأرض، ولَمَا رأينا المجاعات فى الصومال والنيجر وغيرهما من بلاد المسلمين، قال رسول الله ﷺ: **"من كان معه فضل ظهر فليَعُد به على من لا ظَهْر له، ومن كان له فضل من زادٍ فليَعُد به على من لا زادَ له"**[صحيح مسلم] ثم إن هناك سبباً قوياً لفقر المسلمين، وهو التقسيم الاستعمارى لبلادهم، حتى أصبحت كل دولة مغلقة على نفسها، وخيرها ليس إلا لأهلها، أو من يعملون فيها، أما لو كانت هناك خلافة إسلامية لأصبحت جميع الشعوب التى تدين بالإسلام تحت إمرَة حاكم واحد هو (الخليفة) ولأصبحت موارد الدولة الموَّحدة وخيراتها ينال منها القريب والبعيد من أبناء المسلمين، ولتوافرت فرص العمل لهم جميعاً، ولَمَا تكدست الأموال عند بعضهم دون البعض، ولَسَاد التضامن والتكافل والرخاء نتيجة تعاونهم واتحادهم.

أما الأمراض فإن الإسلام قد جعل الوقاية منها بعدة أسباب، منها النظافة، وهى عامل مهم جداً فى الوقاية منها ومنع انتشارها، فليس هناك ديانة ولا مِلّة ولا نِحْلَة ولا منهج سماوى أو وضعى يحث على النظافة كما حث عليها الإسلام. إن أول شرط فى دخول الإسلام - قبل النطق بالشهادتين - هو الاغتسال، ونحن نتحداكم أن تأتونا بأى منهج

سماوى يُلزِم الإنسان بغسل وجهه ويديه ورجليه فى اليوم خمس مرات، وأن يستبرئ من بوله وغائطه، وأن يغتسل مرة على الأقل كل أسبوع، وبعد الحدث الأكبر مثل الجنابة والحيض والنفاس. إن الكثير من الكفار - رغم ما أوتوا من علم ومال وجمال - لا يتطهرون من البول والغائط كما يتطهر المسلمون، لأنهم يتنظفون بالورق الذى لا يزيل أثر البول والغائط كما يزيله الماء. ونحن نجد الذين يحافظون على الوضوء ليس لأقدامهم رائحة، فى حين أن غيرهم يتعاطون العقاقير لعلاج ما بين أصابعهم من الفطريات والرائحة الكريهة لعدم نظافتها، حتى إن الزوجة لتأنف من زوجها، والزوج ليأنف من زوجته. وكذلك فإن المسلم الذى يحافظ على وضوئه لا تجد لفَمِه رائحة كريهة، لكثرة السِّواك والمضمضة والخِلّة.

إن أنظف إنسان فى الوجود هو الرسول ﷺ الذى **"كان إذا أراد الحاجة أبعَد"** [صحيح الجامع:٤٦٥١] أى أنه إذا أراد أن يتبول أو يتغوط بَعُدَ عن الناس بُعداً كبيراً. وكان لا يُرَى له أثر بول أو غائط، وكان يلبس الثياب البيض، ويدهن شعره ويمتشّط ويتعطر، ويستاك عند كل وضوء، وأحياناً بغير وضوء، و**"كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فِيهِ وخفَّض بها صوته"** [صحيح الجامع:٤٧٥٥] وقد نهى عن التنفس فى الإناء، فقال: **"إذا شَرِبَ أحدكم فلا يتنفس فى الإناء، فإذا أراد أن يعود فليُنَحِّ الإناء، ثم ليَعُد إن كان يريده"** [صحيح الجامع:٦٢٤] و**"نهى أن يُنفَخ فى الطعام والشراب"** [صحيح الجامع:٦٠٢٨] و**"نهى عن الشرب من فِيِّ السِّقاء"** [صحيح الجامع:٦٨٨٩] "السِّقاء" هى قِربَة الماء، و"فِيّ السِّقاء" أى فمها. وكان من سنّته غسل اليدين قبل الطعام وبعده، وهو الذى قال: **"إذا نام أحدكم وفى يده ريح غَمْر فلم يغسل يده فأصابه شىء فلا يلومنَّ إلا نفسه"** [صحيح الجامع:٨٠٣] "ريح غَمْر" معناها رائحة اللحم أو دسمه، لأنه يجلب إليه الحشرات والهَوام، ويسبب له الأمراض. ونهى ﷺ عن التبُّول فى الماء الراكد، فقال: **"لا يَبُولَنَّ أحدكم فى الماء الراكد"** [صحيح الجامع:٧٥٩٦] وهذا يمنع أمراضاً كثيرة مثل البلهارسيا وغيرها. ونهى عن التبُّول أو التبرُّز فى ظِل الناس، فقال: **"اتقوا الملاعن الثلاث: أن يقعد أحدكم فى ظِلّ يُستَظل فيه، أو فى طريق، أو فى نقع ماء"** [صحيح الجامع:١١٣] "يقعد" أى يقعد للتبرُّز، "فى ظِلّ" يشمل الحائط، أو الشجرة، أو أى شىء يستظل به الناس من حر الشمس، "نقع

الماء" معناه الماء الراكد مثل البرك والمستنقعات. وهو الذى علم البشرية استخدام نبات الخِلّة لإخراج الطعام من بين الأسنان والأضراس، حتى لا يتحلل ويتعفن، ويصيب اللثة والأسنان بالأمراض. ونهى عن ترك الشعر بدون تنظيف، وأمر بتهذيبه، وقال: **"من كان له شعر فليكرمه"** [صحيح الجامع:٦٤٩٣] كلمة "شعر" تعنى شعر الرأس واللحية، وإكرامه يكون بتنظيفه، ودهانه، وترجيله. وكان يأمر بغسل الأيْدى بعد الاستيقاظ من النوم، فقال: **"إذا قام أحدكم من النوم فأراد أن يتوضأ فلا يُدخِل يده فى الإناء حتى يغسلها، فإنه لا يدرى أين باتت يده، ولا على ما وضعها"** [صحيح الجامع:٧١٨] ومعلوم أن بعض الديدان – مثل الدودة الدبُّوسية – لها دورة كاملة داخل جسم الإنسان، فهى تضع بيضها حول فتحة الشرج، ولذلك يصاب الإنسان بحَكّة.. وخصوصاً أثناء نومه، فإذا وضع يده على فتحة الشرج ثم لم يغسل يديه قبل الطعام.. فإن هذا البيض يدخل عن طريق فمه، ويكمل دورته داخل جسمه، ويصيبه مرة أخرى. وأمر ﷺ بالاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر فى زمن لا يزيد على أربعين يوماً، والاغتسال يوماً على الأقل فى الأسبوع – وهو يوم الجمعة – وقال: **"عَشْر من الفِطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البَراجِم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء"** [صحيح مسلم] قال مُصعَبُ (أحد راوة الحديث): ونسيتُ العاشرةَ إلا أن تكون المضمضة. "البَراجِم" هى الجلد الذى به ثَنيات، مثل الذى على عُقَلِ الأصابع، لأن الأوساخ تتجمع فيها. وقال ﷺ: **"إذا تنخّم أحدكم وهو فى المسجد فليغيِّب نخامته، لا تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه"** [صحيح الجامع:٤٣٩] وهناك سُنن أخرى وأحاديث كثيرة يُرجَعُ إليها فى كتب الفقه والسيرة.

ومن أسباب الوقاية من الأمراض أيضاً: تقليل الطعام، وعدم الشبع، فإن الكثير من الأمراض سببها امتلاء المعدة، قال ﷺ: **"ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنٍ، بِحَسْبِ ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلْبَه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٥٦٧٤] هذا بالإضافة إلى النهى عن تعاطى ما يضر من الطعام والشراب أو أى شىء، بقوله ﷺ: **"لا ضرر ولا ضِرار"** [صحيح الجامع:٧٥١٧] وأمر بالتداوى من الأمراض، فقال: **"يا عباد الله تداوَوْا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء**

غير داء واحد: الهِرَم" [صحيح الجامع:٧٩٣٤] "الهِرَم" معناه الشيخوخة. وقال: "لكل داء دواء، فإذا أصاب دواءٌ الداءَ بَرِئَ بإذن الله تعالى" [صحيح الجامع:٥١٦٤] ووصف علاجاً لأمراض كثيرة ليس هنا مجال ذكرها.

والآن نسرد عليكم بعض ما جاء فى الكتاب المقدس:

أنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس. غسل الأباريق والكؤوس وأموراً أُخَرَ كثيرة مثل هذه تفعلون. (مرقس٧: ٨)

ثم سأله الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلُك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون بأيدٍ غير مغسولة. فأجاب وقال لهم حسناً تنبأ إشعياء عنكم أنتم المُرائين كما هو مكتوب. (مرقس٧: ٥-٦)

وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجِّس الإنسان (متى١٥: ٢٠)

فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لى تلميذاً (لوقا١٤: ٣٣)

وحقلك لا تزرع صنفين ولا يكن عليك ثوب مُصنَّف من صنفين. (لاويين١٩: ١٩)

ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله. لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله. (لوقا١٨: ٢٤-٢٥)

لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحبَّ أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعَظُّم المشيئة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمشى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (رسالة يوحنا الأولى١٢: ١٥-١٧)

لا يقدر خادم أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (لوقا١٦: ١٣)

ادخلوا من الباب الضيِّق. لأنه واسع الباب ورحْب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيَق الباب وأكرَب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه (متى٧: ١٣-١٤)

وقال لتلاميذه من أجل هذا أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما

تلبسون. الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأمَّلوا الغربان. أنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مَخدَع ولا مخزن والله يُقيتها. كَمْ أنتم بالحرِىِّ أفضل من الطيور. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامَته ذراعاً واحدة. فإن كنتم لا تقدرون ولا على الأصغر فلماذا تهتمون بالبواقى. تأملوا الزنابق كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزِل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان العُشْب الذى يوجد اليوم فى الحقل ويُطرَح غداً فى التنُّور يُلْبِسُهُ الله هكذا فَكَمْ بالحرِىِّ يُلْبِسُكم أنتم يا قليلى الإيمان. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا. فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم. وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه. بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تُزاد لكم لا تَخَف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت. بيعوا ما لكم واعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفد فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سُوس (لوقا١٢: ٢٢-٣٣)

لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم. ولا مِزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً. (متى١٠: ٩-١٠)

وأخيراً ننصحكم بقراءة الإصحاحين (١٣و١٤) من سِفْر (اللاويين) لتعلموا ما جاء فى كتابكم المقدس عن المصاب بالبَرَص أو القَرَع (سقوط الشعر) وأنه نَجِس وآثم، ولابد من ذهابه للكاهن للكشف عليه، وتحديد نوع البَرَص أو القَرَع، ثم الطقوس المطلوبة لتطهيره، والأشياء التى يقربها إلى الله - بزعمكم - حتى يتطهر. ولتعلموا ما جاء فيهما عن البَرَص الذى يصيب الثوب وجدران البيت، واعتبار الثوب والبيت نجسَيْن، ولابد من تطهيرهما، بل والتكفير عن البيت من هذا البَرَص، لأننا لا نستطيع سرد هذين الإصحاحين لطولهما، ولكن نكتفى بنقل بعض فقراتهما، وبالله التوفيق:

فهو إنسان أبرص. إنه نجس فيحكم الكاهن بنجاسته. إن ضربته فى رأسه. والأبرص الذى فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفاً ويغطى شاربيه ويُنادَى نجس نجس. كل الأيام التى تكون الضربة فيه يكون نجساً. إنه نجس. يقيم وحده. خارج الْمَحلَّة يكون مُقامُه

يأمرُ الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيّان طاهران وخشب أرز وقرمز

وزوفاً. ويأمرُ الكاهن أن يُذبَح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى. أما العصفور الحى فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحى فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى وينضح على المتطهر من البَرَص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحىّ على وجه الصحراء

ويكفِّر عنه الكاهن أمام الرب. ثم يعمل الكاهن ذبيحة الخطيَّة ويكفِّر عن المتطهر من نجاسته. ثم يذبح الْمُحرَقَة ويُصعد الكاهن الْمُحرَقَة والتَّقدمَة على المذبح ويكفِّر عنه الكاهن فيطهر لكن إن كان فقيراً ولا تنال يده يأخذ خروفاً واحداً ذبيحة إثم لترديد تكفيراً عنه وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت لتقدمَة ولُج زيت ويمامتين أو فَرْخَىّ حمام كما تنال يده فيكون الواحد ذبيحة خَطيَّة والآخر مُحْرَقَة. ويأتى بهما فى اليوم الثامن لطهره إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب

وينضح الكاهن بأصبعه اليمنى من الزيت الذى فى كفه اليسرى سبع مرات أمام الرب. ويجعل الكاهن من الزيت الذى فى كفه على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى على موضع دم ذبيحة الإثم. والفاضل من الزيت الذى فى كَفّ الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيراً عنه أمام الرب

إذا كانت الضربة قد امتدت فى الثوب فى السَّدَى أو اللُّحمَة أو فى الجلد من كل ما يُصنع من جلد للعمل فالضربة بَرَص مُفسد. إنها نجسة فيحرق الثوب

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً متى جئتم إلى أرض كنعان التى أعطيكم مُلكاً وجعلتُ ضربَة بَرَص فى بيت فى أرض مُلككُم. يأتى الذى له البيت ويخبر الكاهن قائلاً قد ظهر لى شبْه ضربة فى البيت. فيأمر الكاهن أن يفرغوا البيت قبل دخول الكاهن ليرى الضربة لئلا يتنجس كل ما فى البيت

ويغلق البيت سبعة أيام. فإذا رجع الكاهن فى اليوم السابع ورأى وإذا الضربة قد امتدت فى حيطان البيت يأمر الكاهن أن يقلعوا الحجارة التى فيها الضربة ويطرحوها خارج المدينة فى مكان نجس. ويُقشَّر البيت من داخل حواليه ويطرحون التراب الذى يقشّرونه خارج المدينة فى مكان نجس. ويأخذون حجارة أخرى ويدخلونها فى مكان الحجارة ويأخذ تراباً آخر ويُطيِّن البيت. فإن رجعت الضربة وأفرَخَت فى البيت بعد

قَلْع الحجارة وقشر البيت وتطيينه وأتى الكاهن ورأى وإذا الضربة قد امتدت فى البيت فهى بَرَص مفسد فى البيت. إنه نجس. فيهدم البيت حجارته وأخشابه وكل تراب البيت ويخرجها إلى خارج المدينة إلى مكان نجس. ومن دخل إلى البيت فى كل أيام انغلاقه يكون نجساً إلى المساء. ومن نام فى البيت يغسل ثيابه ومن أكل فى البيت يغسل ثيابه.

فيأخذ لتطهير البيت عصفورين وخشب أرز وقِرمزاً وزوفاً. ويذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حيّ ويأخذ خشب الأرز والزوفا والقرمز والعصفور الحيّ ويغمسها فى دم العصفور المذبوح وفى الماء الحيّ وينضح البيت سبع مرات ويُطهِّر البيت بدم العصفور

ويكفِّر عن البيت فيطهُر

هذه هى الشريعة لكل ضربة من البَرَص وللقَرَع ولبرص الثوب والبيت وللناتئ وللقوباء وللمُعَة للتعليم فى يوم النجاسة ويوم الطهارة. هذه شريعة البَرَص

هذا قليل من كثير مما جاء فى الكتاب المقدس، والله أعلم.

س٧٣- إن الإسلام يحارب الفقراء بأبشع الصور بحيث لو سرق الفقير الجوعان رغيفاً من الخبز طبِّق عليه حد السرقة وقُطعت يده، وإذا جاع وسرق رغيفاً آخر قُطعِت يده الثانية، حتى لو كان سيطعم أولاده الصغار، ما هذه الوحشية يا أيها المسلمون؟

ج٧٣- إن حد السرقة فى الإسلام ليس فى الرغيف كما تقولون، إن حد السرقة لا يطبق إلا فى ربع دينار من الذهب، وبشرط أن يكون فى حِرْز، قال رسول الله ﷺ: **"لا تُقطَع يد السارق إلا فى ربع دينار فصاعداً"** [صحيح مسلم] والدينار يساوى أربعة جرامات وربعاً، فلو قلنا - بالتقدير الحالى - إن الجرام يساوى مائة جنيه، فيكون الدينار بأكثر من أربعمائة جنيه (٤٢٥) وربع الدينار يساوى أكثر من مائة جنيه، ورغيف الخبز الذى تتكلمون عنه يساوى خمسة قروش أو عشرة قروش، أى أنه لا يساوى بالنسبة لحد السرقة واحداً إلى ١٠٠٠، تنقص أو تزيد قليلاً حسب سعر الذهب والخبز. فالإسلام لا يعاقب بحد السرقة فى أقل من ربع دينار ذهب ولو كان كسر حِرْزاً، يعنى أننا لا نقطع -

كما تقولون - يد من سرق رغيفاً، ولا حتى من سرق بطة، أو دجاجة مشوية، فأين هى الوحشية؟ وفى المجاعات لا نقطع يد من سرق ليطعم نفسه أو أولاده، ولو سرق كبشاً. أما عندكم فإن السارق إذا ضُبِطَ وهو يحاول سرقة ثور أو شاة فضُرِبَ حتى مات فلا دِيَةَ له، وها هو كتابكم المقدس يقول: **إذا سرق إنسان ثوراً أو شاة فذبحه أو باعه يعوّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم. إن وجد السارق وهو ينقب فضُرِبَ ومات فليس له دم** (خروج٢٢: ١-٢)

فلابد إذن فى قطع اليد من ثلاثة شروط، الأول: أن يكون مقدار السرقة يساوى ربع دينار أو أكثر، فلو سرق بالقيمة الحالية تسعة وتسعين جنيهاً لا تقطع يده. الثانى: لابد أن يكون المال أو المتاع الذى سرقه فى حِرْز، أى فى شىء مغلق عليه، مثل أن يكسر دُرْجاً، أو باب شقة، أو خزانة. فلو خطف السارق شيئاً من أحد يسير فى الشارع - مثلاً - لا تقطع يده، ولو كان الشىء المسروق أكبر من ربع دينار، أما لو هدده بالسلاح وأخذ ماله، فإن هذا يسمى غصباً، ويطبق عليه حد الحِرابة، وهو أشد من قطع اليد، حتى يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، فلابد أن تكون العقوبة رادعة لمن تُسوِّل له نفسه الاعتداء على خلق الله. الثالث: أن يصل الأمر إلى الحاكم، فلو سرق أحد من حِرْز - ولو ١٠٠٠ جنيه أو أكثر - ثم جاء أهله واعتذروا لصاحب المال، وتذللوا له أن يترك ولدهم، ولا يرفع أمره إلى الحاكم، فعفا عنه، أو تصالحوا على شىء مقابل ألا يبلّغ عنه، فلا تقطع يده، قال رسول الله ﷺ: **"تعافُوا الحدودَ فيما بينكم فما بلغنى من حَدّ فقد وجب"** [سنن أبى داود والنسائى، صحيح الجامع:٢٩٥٤] ومعنى هذا الحديث الشريف أن الناس إذا تسامحوا فيما بينهم فى حقوقهم فلا تطبق عليهم الحدود، أما لو بلغ الأمر إلى الحاكم فقد وجب عليه تطبيق الحد. ولو سرق أحد من حِرْز، فكسر خزينة - مثلاً - وسرق مائة ألف جنيه، ورُفِعَ أمره إلى الحاكم، واعترف بسرقته، ولكنه اعتذر عن سرقته بأنه عَمِلَ عند هذا الرجل، ولم يعطه أجره الذى يساوى أكثر من المبلغ الذى سرقه، وأتى بشهود فشهدوا له بما قال، فلا تقطع يده. ولو سرق فقير لشدة حاجته واضطراره - مثلاً - إلى إجراء عملية فيها إنقاذ لحياته، أو لحياة ولده، ولا يجد من يساعده، فلا تقطع يده. وقطع اليد فيه حفاظ على أموال الناس، فكما أنه يحذرك من سرقة غيرك، ففى الوقت نفسه يحذر جميع

الناس أن يسرقوا منك. والدول التى تطبق حد السرقة - مثل السعودية - يعيش الناس فيها آمنين على أموالهم، ومن يَمُنّ الله عليه بالحج أو العمرة يرى أصحاب المحلات يتركونها مفتوحة، ويذهبون إلى الصلاة وهم آمنون، فمن يضحى بيده ولو أعطيته كنوز الأرض؟ وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل معنى هذا أن كل من سرق ولم تنطبق عليه شروط إقامة الحد لا يُعاقَب؟ إذن لاحترف السرقة خلق كثيرون! ونقول لهم: إن هذه الأحوال فيها التعزير، وهو ما يحدده القاضى - أو من ينوب عنه - من عقوبة، مثل الضرب، أو السجن، أو النَّفْى، كل بحسب حاله.

والذين يتهموننا بالوحشية فى قطع يد السارق عندهم ما هو أشد من ذلك، فقد جاء فى كتابهم المقدس:

إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلّص رُجُلَها من يد ضاربه ومدّت يدها وأمسكت بعورتِه فاقطع يدها ولا تشفق عينك (تثنية٢٥: ١١) وجاء فيه أيضاً: **فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خيراً لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان. وإن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم النار ولك عينان.** (متى١٨: ٨-١٠)، والله أعلم.

س٧٤- لماذا تصرون على ارتداء المرأة للحجاب، مع أن هذا لا يعنى تدينها، ولا يضمن لها السلامة الخُلُقية، بدليل أن المرأة العربية فى الجاهلية كانت محتجبة، وهناك كثير من النساء يرتدين الحجاب وهن غير متدينات، بل ويأتين الفاحشة، فما قيمته إذن؟

ج٧٤- ما رأيكم فى الصورة الفوتوغرافية التى تقولون إنها صورة السيدة مريم رضى الله عنها؟ وما رأيكم فى أمّكم (تريزا) التى تحبونها وتوقرونها، وتقولون إنها قامت بأعمال خيرية كثيرة للفقراء فى الهند وغيرها، ثم توفّيت فى فترة التسعينيات بعدما تجاوزت الثمانين عاماً؟ هل كانتا ترتديان الحجاب أم لا؟ فإذا كنتم تؤمنون بهما وتحبونهما وقد كانتا محجبتين، فلماذا تنكرون الحجاب علينا؟ ثم إن هناك أدلّة كثيرة فى كتابكم المقدس - ليس على الحجاب فقط - بل على النقاب أيضاً، حتى إنه قد حكم على التى ترفض الحجاب

بقص شعرها، واقرأوا إن شئتم:

وأما كل امرأة تصلّى أو تتنبأ ورأسها غير مُغطّى فتُشين رأسها لأنها والمحلوقة شىء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليُقَصُّ شعرها. وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغطّ. (الرسالة الأولى إلى كورنثوس١١: ٥-٦)

احكموا فى أنفسكم. هل يليق بالمرأة أن تصلّى إلى الله وهى غير مُغطّاة. (الرسالة الأولى إلى كورنثوس١١: ١٣)

ها أنتِ جميلة يا حبيبتى ها أنتِ جميلة عيناكِ حمامتان من تحت نقابكِ. (نشيد الأنشاد٤: ١)

خدّك كفلقة رمّانة تحت نقابك. (نشيد الأنشاد٤: ٣)

إن الحجاب له قيمة عظيمة، فكما أنه حماية للمرأة من الاغتصاب والمعاكسات.. فهو حماية للرجال من الفتنة فى دينهم، وإشاعة الفساد فى المجتمع، فليس شرطاً أن التى ترتديه تكون متدينة، بل إنه يُفرَض حتى على النساء الكافرات فى بلاد المسلمين، لأنها لو ابتذلت وتكشّفت لكانت مثيرة للغرائز والشهوات، وفتنة للشباب المسلم، فنقول لها لكِ حرية العقيدة، ولكن لا تؤذينا فى ديننا. فالشاب الذى لا يجد ما يعف به نفسه من الحلال ماذا يفعل؟ إمّا أن يحاول الوصول إليها، وحينها يكون معرَّضاً لعقوبة الدنيا والآخرة، أو يكبت شهوته، فيصاب بالعقد النفسية. والرجل المتزوج من امرأة دميمة حين يرى الجميلة يسخط على قَدَر الله، ويتحسر، ويبغض امرأته، وينظر إليها نظرة احتقار، وربما طلّقها أو أساء معاملتها، أو حاول الوصول لغيرها، أما لو غطت المرأة مفاتنها فلن تثير أحداً، ولن يتعرض لها أحد، لأنه لا يدرى أهِىَ صغيرة أم كبيرة، أهى جميلة أم قبيحة، أهى بيضاء أم سمراء.. إلخ. ولو فرضنا أن سلوكها الشخصى غير منضبط فإن هذا لا يضر إلا القليل، أما التى تخرج من بيتها متبرجة – وإن كانت عفيفة – فكم تفتن من الرجال؟ وكم نظرة زنى تتعرض لها؟ وكم صدّت عن سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ: **"كُتِبَ على ابنِ آدمَ نصيبُهُ من الزنى مُدرِكٌ ذلك لا مَحالةَ فالعينانِ زناهُما النظر، والأُذنان زناهُما الاستماع، واللسانُ زناهُ الكلام، واليدُ زناها البَطْش، والرجلُ زناها الْخُطَى، والقلب يهوى ويتمنى، ويُصَدِّقُ ذلكَ الفرجُ ويُكَذّبُه"** [صحيح مسلم] وما كثرة حوادث الاغتصاب إلا من كثرة تبذُّل النساء وعُريهن، حتى إن الله عز وجل حينما تكلم عن الزنى ذكر المرأة

أولاً لأنها السبب، فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] وإلا- فأخبرونا عن أى امرأة مختمرة أو منتقبة اغتُصِبَت (والعياذ بالله). إن من أهمية الحجاب التى لا يُستهانُ بها أنه يحجز من ترتديه — إلى حد كبير — عن فعل المنكرات، لأنها تستحى — فى كثير من الأحيان — من بعض الأفعال التى لا تليق بحجابها، كالشرطى الذى يرتدى بَذْلَة عَمله تجده لا يتصرف كتصرفه لو خلعها. ويكفى الحجاب شرفاً أن الله سبحانه وتعالى وَجَّه الأمر به لزوجات النبى ﷺ وبناته أولاً، ثم لنساء المؤمنين من بعده، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩] فالعفاف لا يغنى عن الحجاب، فاعتبروا يا أُولِى الألباب.

والذين يقولون: إن الحجاب تخلُّف وعَوْدَة للوراء، نقول لهم: أهُوَ حجاب للعقل أم للبدن؟ وهل التحضّر والرُّقِى والثقافة فى التعرِّى؟ وهل الحجاب منع النساء أن يتفوقنَ؟ إن الناظر لصور المتفوقات فى الثانوية العامة فى الصحف والمجلات يجد أن كلهن - أو أكثرهن - محجبات، فلماذا لم يمنعهن الحجاب من التفوق؟ ولو ارتدت الحجاب أى امرأة ممن تفتخرون بعلمهن وثقافتهن فهل يطير العلم من رأسها؟ ولو ارتدت الحجاب أى وزيرة أو أستاذة جامعية - أو حتى رئيسة دولة - فهل تصبح أُمِّية أو متخلِّفة؟ وهل كل المتبرجات مثقفات؟ إنهن بالملايين فى الدول المتخلفة - مثل بعض البلاد الأفريقية - فأين هى ثقافتهن؟ وحين فتح المسلمون البلاد، ودانَت لهم المشارق والمغارب هل كانت نساؤهم متبرجات؟، والله أعلم.

س٧٥- إن عدم الاختلاط عندكم أصاب الشباب والشابات بالكبت والعقد النفسية، فلماذا لا تبيحون الجنس كما هو عندنا فى الدول الأوربية؟

ج٧٥- إن قائل هذا القول لا دراية له بالنفس البشرية، والشاهد من واقعنا أن الذى يطلق لنفسه العنان فى إشباع رغباته الجنسية، يأتى عليه بعد فترة شعور بالألم النفسى، والحسرة، وعدم الاستقرار، وينظر لمن عَفَّ نفسه بالحلال وأصبحت له أسرة وأطفال نظرة غِبطَة، ويتمنى أن لو كان مكانه، وكذلك المرأة التى لا تبالى بأى قيود شرعية أو غير شرعية، تشعر هى الأخرى بعد فترة بالتمزق النفسى، وتتمنى أن لو كان لها زوج وأطفال

من الحلال، هذا لأن الإنسان كما هو محتاج لإشباع جسده فهو محتاج لإشباع روحه، وإشباع روحه لا يأتى إلا بالتقرب إلى من خَلَقَها، والدليل على ذلك أن أكبر نسبة انتحار فى العالم توجد فى الدول الأوربية حيث الرُّقِى المادى، والانحلال الجنسى، وكل وسائل الترف والنعيم، ولكن نفوسهم خَواء. وسَلُوا قائل هذا القول: هل استقرت الأمور بعد أن أطلقتم الحريات حتى لا يكاد يتأكد أحد من معرفة أبيه؟ وهل الانحلال عندكم أدَّى إلى إشباع جنسى واستراحت النفوس؟ إنهم لم يكتفوا بالمتاح لهم من النساء فلجأوا إلى الاغتصاب، حتى وصل الاغتصاب فى أوربا وأمريكا إلى أعلى النسب العالمية، ولم يردعهم رادع، رغم قسوة القوانين التى وصلت فى بعض البلدان إلى الإعدام، ولقد أصيبوا بالأمراض النفسية والشذوذ الجنسى، لدرجة أنهم أباحوا ما يسمى بزواج المِثلَيْن (أى زواج الذكرين وزواج الأنثيين) حتى إن القساوسة فى أمريكا وأوربا يقومون بعقد هذا الزواج فى كنائسهم! هذا فضلاً عما أصيبوا به من الأمراض الفتّاكة المهلكة كالزهرى، والسيلان، وسرطان عنق الرحم، وكان آخرها مرض الإيدز الذى تتكلف أبحاثه مليارات الدولارات، ورغم هذا فهو فى زيادة مطردة. وظهور الأمراض الجديدة التى تتسبب فيها الفاحشة أخبر عنه رسول الله ﷺ حيث قال: **"يا معشر المهاجرين، خِصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقِصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما كان فى أيديهم، وما لم تحكم أئمَّتهم بكتاب الله عز وجل ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"** [سنن ابن ماجه، صحيح الجامع:٧٩٧٨] هذا بالإضافة إلى التفكك الأسَرِى، وكثرة أطفال الشوارع واللُّقطاء. إن الاختلاط هو سبب المصائب وسبب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، نار وبنزين، نسمح للفتى والفتاة فى أوْج شهوتهما أن يختلطا ببعضهما بحجة الزمالة، أو القرابة، أو ما شابه ذلك، ونقول إنهما مثل الإخوة، وقد تربّيا مع بعضهما! ثم نعض على أصابعنا حين يحدث ما لا تُحمَد عُقباه. لقد قدَّروا حالات الأطفال الذين لا يعترف بهم آباؤهم فى

بلادنا بنحو أربعة عشر ألفاً. إن التبرج والاختلاط هو الذى يأتى بالكبت والعقد النفسية، عَرْض السلعة ومَنْع الشراء، أضَع أمامك الطعام وأنت جوعان، ثم أقول لك: إياك إياك أن تمد إليه يدك! فهل يُقِرّ ذلك عاقل؟ إن بعض الدول الإسلامية التى حذت حَذْو الغرب، وسمحت بالاختلاط بين الشباب والشابات، كثرت فيها الفواحش والزواج العرفى، والأب آخر من يعلم، لقد قدَّروا عدد حالات الزواج العرفى فى بلادنا بنحو ٦ ملايين، أكثرها بين طلبة المدارس والجامعات، وهو ليس بنكاح، ولكنه سفاح، قال رسول الله ﷺ: **"لا نكاح إلا بولِىّ"** [صحيح البخارى] وقال: **"أيما امرأة نُكِحَت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل"** [صحيح الجامع:٢٧٠٩] فلابد من موافقة ولى الزوجة (وهو أبوها أو من يحل محله) والإشهار، قال رسول الله ﷺ: **"فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصَّوْت فى النكاح"** [سنن النسائى وابن ماجه، صحيح الجامع:٤٢٠٦] ولا يُفهم من الحديث الشريف أن "الصَّوْت" يُقصَدُ به الزغاريد، أو الأغانى الماجنة، أو الموسيقى، ولكنه الضرب بالدُّف فقط، والأغانى العفيفة، بدون تميّع، أو اختلاط بين الرجال والنساء، قال رسول الله ﷺ: **"صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة ورنّة عند مصيبة"** [صحيح الجامع:٣٨٠١].

إن الإسلام حارب الرذيلة، وحمى المجتمع منها بفرض الحجاب، وغض البصر، وتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة، والخضوع بالقول، وكل ما من شأنه إثارة الغرائز والشهوات، وشجع على الزواج وتعدده، حتى لا تبقى عوانس، أو مطلقات، أو أرامل بغير زوج، لأن عدد الرجال فى أى دولة فى العالم أقل من عدد النساء، وحث على عدم الغُلُو فى المهر والنفقة حتى لا يكون عائقاً للحلال، مُشجِّعاً على الحرام، قال الله عز وجل: **{وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ}** [النور:٣٢] {ٱلْأَيَـٰمَىٰ} جمع أيِّم، ويطلق على الرجل والمرأة، فيقال (رجل أيِّم) أى بغير زوجة، و(امرأة أيِّم) أى بغير زوج، وقال الرسول ﷺ: **"يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء"** [صحيح مسلم] "وِجاء" أى وقاية، أما إن بقيت بعد ذلك حالات خيانة فهى نادرة، وتعبر عن فطرة ملتوية غير سليمة، والله أعلم.

س٧٦- إن عقوبة الزانى الْمُحصَن عندكم هى الرجم بالحجارة حتى الموت، وعقوبة غير الْمُحصَن مائة جلدة، فما هذه البشاعة رغم رضا الطرفين؟ أليس هذا إهداراً لكرامة الإنسان الذى قهرته شهوته رغماً عنه؟

ج٧٦- أيهما أهدر لكرامة الإنسان.. الزنى أم عقوبته؟ إن الزنى ليس إهداراً لكرامة المرأة وحدها، بل لأهلها، ومن يهمّه أمرها، فلابد أن تكون عقوبته شديدة، حتى لا تكون أعراض الناس عُرضة للمجرمين والمستهترين. وديننا ليس هو الدين الوحيد الذى يفرض هذه العقوبة، فقد جاء فى الكتاب المقدس ما هو أشد، إذ جعل عقوبة الزنى الحرق، أو الرجم بالحجارة حتى الموت، ولو كان الزانى أو الزانية غير مُحصَنَين:

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبِرَ يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كنَّتك. وها هى حُبْلى أيضاً من الزنى. فقال يهوذا أخرجوها فتُحرَق. (تكوين٣٨: ٢٤) (كنَّتك) معناها زوجة ابنك.

وإذا تدنَّست ابنة كاهن بالزنى فقد دنَّست أباها. بالنار تُحْرَق (لاويين٢١: ٩)

أما عندنا فليس هناك فرق بين ابنة العالِم أو غيرها، فلو زنت ابنة العالِم غير الْمُحصنة فحدّها كغيرها، وهو الجَلد فقط، وليس الحرق كما عندهم، أما المحصن فلابد أن تكون عقوبته أشد، لأنه ليس له أدنى عذر فى ارتكاب الفاحشة، قال رسول الله ﷺ: "**إذا رأى أحدكم المرأة التى تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم**" [صحيح ابن حبّان، صحيح الجامع:٥٥٢] وبفرض أن زوجته لا تلبى رغباته - بغض النظر عن السبب - فله أن يتزوج بثانية، وثالثة، ورابعة. أما لو كان الزوج غير قادر على أن يعفّ زوجته، فلها أن تنخلع منه، وتتزوج بغيره، فإن ديننا ليس كالأديان الأخرى التى تحرِّم الطلاق وتعدد الزوجات، ولكنه دين يضع الحلول لكل مشاكل البشر.

وحد الزنى لا يطبق إلا بشروط صعبة قلَّما توجد، فلابد من شهادة أربعة رجال يرون هذا الفعل بوضوح تام، بحيث لو شك واحد منهم رُفِضَت شهادتهم جميعاً، فمن الذى يفعل هذه الفعلة النكراء على مَرْأى من الناس؟ فلو كان متفحشاً لهذا الحد لاستحق هذه العقوبة. إن شهادة رجل أو اثنين أو ثلاثة لا تصلح لإقامة الحد، بل إنهم يُجْلَدُون ثمانين جلدة لو لم يأتوا بالشاهد الرابع، ولو كانوا صادقين {وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ

يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٤] ربما يقول قائل: ربما يراه الناس من حيث لا يدرى، فنقول له: إن ديننا قد نهانا عن التجسس وتتبُّع العورات، وبفرض أن أحداً رأى هذه الفاحشة حال وقوعها، فذهب ليأتى بثلاثة رجال ليشهدوا معه، فهل يسمح له الوقت بذلك؟ ولهذا فإنه لا يطبق غالباً إلا على المعترف بهذا الفعل. إن الزنى - بالإضافة إلى أنه معصية لله ورسوله - هو السبب فى انتشار كثير من الأمراض الفتاكة، كالزهرى، والسيلان، والإيدز، وسرطان عنق الرحم، وغير ذلك، وكذلك فإنه السبب فى وجود اللقطاء الذين يُرمَون فى الشوارع للقطط والكلاب، أو يُرمَون فى الملاجئ، لا يعرفون لهم أباً ولا أُمّاً، فيتعرضون لاحتقار المجتمع، مما يصيبهم بالعقد النفسية، وربما يكبرون وعندهم شهوة الانتقام من الأعراض، ليذيقوا ما ذاقوه لغيرهم. وحد الزنى - سواء الجلد أو الرجم - كفارة لمرتكب هذه الفاحشة، فلا يُعذَّب بها يوم القيامة، فهل عقوبة الدنيا أشد أم عقوبة الآخرة؟ والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ قال عن ماعِز الذى أمر برجمه بعدما اعترف له بالزنى: **"استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمَّة لوسعتهم"** [صحيح مسلم] وقال عن المرأة الغامديَّة التى أمر برجمها بعدما اعترفت له بأنها حامل من الزنى: **"لقد تابت توبة لو قُسِّمَت بينَ سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتهُم، وهل وَجَدْتَ توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله"** [صحيح مسلم] ومن يرجع لقصتها (فى صحيح مسلم) وغيره يعلم أنه ﷺ لم يرجمها بمجرد اعترافها، ولكنه أمرها أن تأتيه بعد ولادتها، ثم أمرها أن تأتيه بعد أن تتم رَضاعة ولدها وتفطمه، وأمر وَلِيَّها بالإحسان إليها، كما أنه أمر بسترها عند رجمها، ثم صلَّى عليها ودُفِنَت، ودفع بابنها لأحد المسلمين ليقوم على رعايته.

أين هذا مما جاء فى الكتاب المقدس من ذبح أبناء الزانية، وكشف عورتها لمُحبِّيها ومُبْغِضيها، وتقطيعها بالسيف بعد رجمها، وحرق بيتها، حيث يقول: **وأعطيتُها زماناً لكى تتوب عن زناها ولم تتب. ها أنا ألقيها والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم. وأولادها أقتلهم بالموت فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلَى والقلوب سأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله.** (رؤيا يوحنا٢: ٢١-٢٣).

هكذا دخلوا على أهولة وعلى أهوليبة المرأتين الزانيتين. والرجال الصديقون هم يحكمون عليهما حكم زانية وحكم سفّاكة الدم لأنهما زانيتان وفي أيديهما دم. لأنه هكذا قال السيد الرب. إني أُصعِدُ عليهما جماعة وأسلّمهما للجور والنهب. وترجمهما الجماعة بالحجارة ويقطعونهما بسيوفهم ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار. فأبطل الرذيلة من الأرض فتتأدّب جميع النساء ولا يفعلنَ مثل رذيلتكما. (حزقيال٢٣: ٤٤-٤٨).

فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أنه قد أُنفِقَ نحاسك وانكشفت عورتك بزناكِ بمحبيكِ... لذلك هأنذا أجمعُ جميع محبّيكِ الذين لذذتِ لهم وكل الذين أحببتِهم مع كل الذين أبغضتِهم فأجمعهم عليكِ من حولك وأكشفُ عورتكِ لهم لينظروا كل عورتكِ... وينزعون عنك ثيابكِ ويأخذون أدوات زينتكِ ويتركونكِ عريانة وعارية. (حزقيال١٦: ٣٥-٣٩) .

لأنه هكذا قال السيد الرب هأنذا أسلّمكِ ليد الذين أبغضتِهم ليد الذين جفتهُم نفسكِ. فيعاملونكِ بالبغضاء ويأخذون كل تعبكِ ويتركونكِ عريانة وعارية فتنكشف عورة زناكِ ورذيلتكِ وزناكِ. (حزقيال٢٣: ٢٨-٢٩).

حاكموا أمّكم حاكموا لأنها ليست امرأتي وأنا لستُ رَجُلها لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا أجرّدها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها وأجعلها كقفر وأصيّرها كأرض يابسة وأميتها بالعطش. ولا أرحمُ أولادها لأنهم أولاد زنى (هوشع٢: ٢-٤).

إن الزاني قد تعدّى كل الحدود، وتخطّى كل العراقيل التي وضعها الشارع في طريق هذه الفاحشة، فهو الذي أورد نفسه المهالك، فإن شرعنا الحنيف لم يحرم الزنى فحسب، بل حرم مقدماته، فحرم الخلوة بين الرجل والمرأة، وأمر بعدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وأمر بغض البصر، وعدم الخضوع بالقول، حتى إنه حرم مصافحة الرجل للمرأة، وحث على الزواج المبكر لمن يملك الباءة، والباءة هي القدرة على الزواج من الناحية الجسدية والمالية، وحث على تيسير المهور حتى يتيسر الحلال، ولا يلجأ أحد إلى الحرام، ومن لم يستطع الزواج أمره الرسول ﷺ بالصوم فإنه له وِجاء (أي وقاية).

ونريد أن نضرب مثلاً لاستحقاق عقوبة الزنى - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - لو أن حاكماً حذر من الدخول إلى مكان معين، وأوعد من دخله بالعقوبة، ولكن من عدل هذا الحاكم أن وضع فى الطريق إلى هذا المكان المحذور إشارات وعراقيل كثيرة تحذر من الاقتراب منه، ولكن البعض لم يهممهم هذا التحذير، فتخطّوا كل هذه العقبات، إلى أن وصلوا إلى هذا المكان، ففى هذه الحالة.. أيستحقون العقوبة أم لا؟

إن المرأة التى وقع عليها الزنى بالإكراه تحت تهديد السلاح لا يُقام عليها الحد فى الإسلام، أما فى الكتاب المقدس فهى مُدَانَة، وتُرجَم بالحجارة حتى الموت، ولو كانت غير مُحصَنَة، وإليكم الدليل على ذلك:

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كِليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل أنه أذلَّ امرأة صاحبه. فتنزع الشر من وسطك (تثنية٢٢: ٢٣-٢٤) ونحن نتساءل: ماذا يكون حالها لو أن مغتصبها هددها بالسلاح فلم تستطع الصراخ؟ أو لو فاجأها بتكميم فمها قبل أن يغتصبها لكى لا تتمكن من الصراخ، أيكون هذا وذاك مما تؤاخذ عليه؟، والله أعلم.

س٧٧- إن حد اللواط عندكم هو أن يُلقَى الفاعل والمفعول به من شاهق مثل برج القاهرة، فهل هناك أبشع من هذه العقوبة؟

ج٧٧- قبل أن نجيب على هذا السؤال نوَدُّ أن نذكِّر المسلمين بأن إطلاق كلمة (اللواط) على الشذوذ الجنسى بين الرجال غير صحيح، لأن هذه الكلمة مأخوذة من اسم سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وهو الذى كان ينهى قومه عن هذا الفعل الشنيع، ولكن الأصح أن يُقال: فعل قوم لوط، أو: الشذوذ الجنسى بين الذكور.

نعم.. نحن نرميهم من شاهق عقوبة لهم، وليكونوا عبرة لغيرهم لأنهم نكّسوا فطرتهم، وخالفوا حكمة الله من التناسل لعمارة الأرض، واستخلاف بنى آدم فيها، فمن أين تأتى الذرية لو كان الرجل يتصل بالرجل، والمرأة تتصل بالمرأة؟ هذا فضلاً عمَّا يتسبب فيه فعل قوم لوط من أمراض خطيرة، كان آخرها وأبشعها مرض الإيدز الذى أجمع العالم كله على أن سببه كان هذا الفعل الشنيع. ومرض الإيدز يُعَدُّ من أخطر الأمراض؛ لأنه يدمر

الجهاز المناعى للإنسان تدميراً كاملاً، فيصبح عُرْضة للإصابة بالأمراض الفتاكة، ولو من أضعف الميكروبات، ويكون مصيره الموت العاجل، وللأسف أنه ينتقل للأبرياء بطرق كثيرة، مثل نقل الدم، والحقن، والحلاقة، والجماع، والولادة.. إلخ. فهل رَمْى اثنين من شاهق - ولو حتى برج إيفل - أبشع أم انتشار الإيدز فى المجتمع؟ إن الإحصائيات العالمية تقول إن المصابين بمرض الإيدز حوالى ٣٨٠ مليوناً، هذا فضلاً عما ذكرناه من انتكاس الفطرة وعدم التناسل. وقد جاء فى الكتاب المقدس إن عقوبة فعل قوم لوط هى القتل، و كذلك عقوبة إتيان البهيمة:

وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجساً. إنهما يُقتلان. دمهما عليهما. (لاويين ٢٠: ١٣)

كل من اضطجع مع بهيمة يُقتَل قتلاً. (خروج٢٢: ١٩)

وإذا جعل رجل مَضْجعهُ مع بهيمة فإنه يُقتَل والبهيمة تميتونها. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لِنزائها تُميتُ المرأةَ والبهيمة. إنهما يُقتَلان. دمهما عليهما. (لاويين٢٠: ١٥-١٦)، والله أعلم.

س٧٨- يقول القرآن: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة:٣٣] إن حد الحِرابة الذى تتكلم عنه الآية يعتبر وحشية، ومغالاة وبشاعة فى العقوبة، تقتلون، وتصلبون، وتقطعون الأيدى والأرجل، ما كل هذه المجازر البشرية؟ ألا توجد عقوبة أقل من ذلك؟ والآن توجد حدود إقليمية للبلاد، وليس بوسع أحد أن يدخلها كما يشاء، فأين يذهبون عند نفيهم؟

ج٧٨- على من يُطبَّق حد الحرابة؟ يطبق على قُطّاع الطرق، لماذا؟ لأنهم {يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا} ولكن كيف يحاربون الله ورسوله؟ لأنهم يحرمون العباد مما أحله الله لهم، وما تقوم عليه معايشهم من التجارة، والتجارة ركن من أكبر أركان المعايش والاقتصاد فى العالم، فهى نقل للسلعة من المنتج إلى المستهلك، وفيها منافع للجميع. فالحِرابة هى ما يفعله قطاع الطرق من سرقة، ونهب، وقتل، وتخويف للآمنين، وهى إفساد

فى الأرض، لأن السلعة إذا لم تنقل إلى المستهلك فإنها تفسد، فمثلاً: لو أن إحدى الدول تعيش على الزراعة، وتصدر محاصيلها الزراعية لدول أخرى، أو دولة منتجة للبترول، وتصدره للآخرين، فلو أن هذه التجارات تعطلت بسبب قطاع الطرق، لحدث ضرر عظيم للناس فى معايشهم، واقتصاد بلادهم.

وحد الحرابة أنواع، ولهذا جاء بالتخيير بكلمة {أو} وليس بحرف (الواو) لأن الحرابة أنواع: فمنها ما يكون للسرقة فقط، مثل ما يفعله البعض ويسمى (التثبيت) أى السرقة تحت تهديد السلاح، فهذا يطبق عليه حد السرقة، مع قطع الرجل من الجهة الأخرى للجسد. ومنها ما هو للسرقة والقتل، وهذا تقطع يده ورجله، ويقتل. ومنها ما هو للسرقة، والقتل وهتك العرض، وهذا تقطع يده وزجله، ويقتل، ثم يصلب، ولا يدفن، حتى يكون عبرة لغيره، فلا يجرؤ على مثل فعله. وفى بعض الولايات الأمريكية - التى تعيب علينا حد الحرابة - تكثر بها الجرائم، لدرجة أن الشرطة تحذر الناس من الخروج من المنازل، والمشى فى الشوارع بعد دخول أول الليل، وإلا- فإنها غير مسئولة عمَّا يحدث من جرائم القتل والنهب والاغتصاب، فلو أنهم طبقوا هذا الحد لَما وُجِدَت هذه الجرائم. والحالة الرابعة هى التخويف فقط، بمعنى أنه يقطع الطريق على الناس ويخوفهم فقط، ولا يسرق، ولا يقتل، ولا يهتك عِرضاً، كما يفعل من نسميهم (الفتوَّات) فى زمننا هذا، لإرهاب الناس منهم، فهذا حده النفى فقط.

أما الشِّق الثانى من السؤال - وهو الخاص بالنفى - فليس شرطاً أن يُنفَى قاطع الطريق إلى دولة أخرى، ولكنه يُعتقل فى مكان بعيد فى دولته نفسها. والشاهد من واقعنا على فاعلية هذه العقوبة.. ما يقوم به بعض الوزراء أو المديرين من نقل الموظفين إلى أماكن بعيدة عن محل سكنهم وأُسَرهم، كمن يُنقلون إلى سيناء، أو السلُّوم، أو منطقة البحر الأحمر، وهم من سكان القاهرة، مع أنهم غير معتقلين، فكيف لو كانوا معتقلين؟

والذين يتظاهرون بالرحمة والشفقة على المجرمين يُنْزِلون أشد العقوبات بالمذنبين، حتى إنهم يعاقبون الْمُبتلَى على بلائه، مع أنه لا ذنب له فيه، فيقول كتابهم المقدس:

وأجعل غيرتى عليكِ فيعاملونكِ بالسخط. يقطعون أنفكِ وأذنيكِ وبقيّتكِ تسقط بالسيف. يأخذون بنيكِ وبناتكِ وتؤكل بقيّتكِ بالنار. (حزقيال٢٣: ٢٥)

ومن سرق إنساناً وباعه أو وُجِدَ فى يده يُقتَلُ قتلاً. (خروج٢١: ١٦)

وإذا اتخذ رجل امرأة وأمَّها فذلك رذيلة. بالنار يحرقونه وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم. (لاويين٢٠: ١٤)

وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامِث وكشف عورتها عَرَّى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها يُقطعان كلاهما من شعبهما. (لاويين٢٠: ١٨)

وإذا كان فى رجل أو امرأة جانّ أو تابعة فإنه يُقتل. بالحجارة يرجمونه. دمه عليه (لاويين٢٠: ٢٧)، والله أعلم.

س٧٩- لماذا فرض الإسلام الجزية على الذين لم يعتنقوه؟ أليس هذا إكراهاً فى الدين؟

ج٧٩- نريد أن نسألكم: الروح أغلى عندكم أم المال؟ إن الإسلام قد فرض على أبنائه الجهاد لرفع رايته، وللدفاع عن الأرض والعِرض، وعافاكم من هذا الحمل الثقيل، أكنتم تختارون أن تكونوا فى صفوف المجاهدين لرفع راية دين غير دينكم؟ لو أن الإسلام دين قهر ووحشية - كما تقولون - لأجبركم على القتال فى صفوفه، ولكنه مِن عَدْلِه لم يجبر أحداً غير أبنائه على رفع رايته، والدفاع عن أرضه، والكافر إذا خُيِّرَ بين القتال والمال لاختار المال، فالمسلم هو الذى يقاتل ويُلاقى الأخطار والأهوال، فهو مُعرَّض للقتل والجرح والأسْر، وكل هذا قد عوفيتم منه مقابل، قدر قليل من المال، كأنه ضريبة دفاع عن النفس.. مثل ما كان الناس فى بلادنا يدفعونه، ويُسمونه (محو آثار العدوان) فنحن ندافع عنك، ونحافظ على روحك ودمك وعِرضك - بأمر الله جل وعلا - مقابل هذا القدر القليل من المال، وتعيش آمناً فى بيتك أنت وأهلك وأولادك. والناس فى عصرنا يتمنون أن يضحوا بأموالهم مقابل الحفاظ على أولادهم، وعدم تعرضهم للمخاطر. وقد كانت الجزية موجودة قبل الإسلام، حتى إن المسيح نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - دفعها:

فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين فى جازر. فسكن الكنعانيون فى وسط أفرايم إلى هذا اليوم وكانوا عبيداً تحت الجزية (يشوع١٦: ١٠)

وكان لما تشدد بنو إسرائيل أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً. (يشوع١٧: ١٣)

فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية. الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف. والإكرام لمن له الإكرام. (الرسالة إلى رومية١٣: ٧)

ولما جاءوا إلى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفى مُعلّمكم الدرهمين. قال بلى. فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمِن بَنيهم أم من الأجانب. قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع فإذاً البنون أحرار. ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر وألقِ صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك (متى١٧: ٢٤-٢٧)

وقبل أن نترك هذه الشبهة نودُّ أن ننبه على أمر خطير.. وهو أن كثيراً من الناس لا يفهمون قول الله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] ويظنون أنهم يعملون ما يشاءون، من ترك الصلاة، أو الزكاة، أو الحجاب، أو غيره. ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ معناها لا إكراه على الدخول فى الدين، أما بعد دخوله فهو مجبر على الصلاة، والزكاة، وغيرهما، وتُكرَه المرأة على الحجاب والعفاف.. وهكذا، فالمسلم لا يُسمَح له أن يحتج بهذه الآية دون فَهْم مُرادها. ولتوضيح هذا الأمر نذكر لكم مثلاً - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - لو أن إنساناً تعاقد مع آخر أن يُسكِنَهُ فى بيته، ودفع له ما طلبه من المال، ثم بعد ذلك نقض العهد، وقال له: أنا قد راجعت نفسى، ولا أريد أن أُسَكّنك فى دارى، ففى هذه الحالة له أن يقاضيه، ويسكن عنده بقوة القانون، لأنه ليس له خيار بعد التعاقد، إنما كان الخيار قبل التعاقد. ومن يقول إن الذين أسلموا هم الفقراء، لأنهم لم يكونوا يستطيعون دفع الجزية، أما الأغنياء الذين دفعوها فظلوا متمسكين بدينهم، وذرياتهم هى الباقية إلى اليوم، نقول لهم: لو أن هناك إكراهاً فى الدين - كما تقولون - لحدث تطهير عِرقى منذ البداية، ولقتلوا آباءكم، وأخذوا جميع أموالهم، بدلاً من هذا القدر البسيط الذى يُسَمَّى الجزية، ولَمَا كان لكم وجود إلى يومنا هذا، فإن وجودكم لَهُوَ من أكبر الأدلة على عدم إكراه آبائكم على الدخول فى الدين. ثم هناك شىء آخر قد تناسيتموه.. وهو أن الذى لا يستطيع دفع الجزية لا يُقهَر عليها، وقد رأى عمر بن الخطاب ﷺ رجلاً يهودياً كبيراً طاعناً فى السن يتسول الناس، فسأله لماذا يفعل هذا، فأجابه أنه لا يستطيع دفع الجزية، لِذا

يتسول ليجمعها، فقال له عمر: أكلناك لحماً ورميناك عظماً! ثم كتب له كتاباً برفع الجزية عنه، وأمر بإعطائه راتبا شهرياً من بيت مال المسلمين. فالجزية لا تفرض على النساء والأطفال والعبيد وذوى العاهات، بل تفرض فقط على الرجل الحر البالغ العاقل القادر على الكسب، والله أعلم.

س٨٠- تقولون إن عندكم حرية عقيدة {فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف:٢٩] ثم تقتلون من يخرج من ملتكم وتسمون ذلك (حد الرِّدَّة) فأين حرية العقيدة إذن؟ فلولا حد الردة هذا لخرج من دينكم الكثير والكثير.

ج٨٠- إن هذا لزَعْم باطل بدليل واقعنا اليوم، فمَعَ عدم تطبيق الحدود (الردة - السرقة - الخمر... إلخ) لا يخرج أحد من الإسلام إلا تحت وطأة الجوع فى بعض الدول الأفريقية الْمُعدَمة مقابل الغذاء، أو قِلَّة ممن لا حَظَّ لهم من العلم وقعوا فى شباك التنصير، لأنهم لم يكن لديهم رصيد إيمانى ولا رصيد علمى يقفون به أمام تيار الشبهات الجارف، والحملة المسعورة للتشكيك فى الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. أما حد الردة فهو لعدم التلاعب بالدين، فالدين ليس مَرْتعاً للهازلين والعابثين يدخلون فيه ثم يخرجون منه. وحرية العقيدة التى تتكلمون عنها مكفولة فى الإسلام ولكن قبل الدخول فيه، فمن حقك أن تفكر ولو ألف مرة، وتراجع نفسك، وتدرس وتسأل، لكن طالما دخلت فيه لا تخرج منه، لأن هذا سيكون فتنة لغيرك من ضعفاء الإيمان، لأنهم سيظنون أنه قد ظهر لك فيه عيب، وإلا- فلِمَ خرجت منه؟ وخاصة لو كنتَ من وُجَهاء القوم الذين يُشار إليهم بالبنان، وهذا الشرط يعرفه الإنسان قبل دخول الإسلام.. فهل هذا يكون تهافتاً على دخول الناس فيه أم صَدّ عنه؟ ولنضرب لذلك مثلاً - مع الفارق العظيم قطعاً - لو أنك ذهبت لخطبة امرأة، فقال لك وليّها: سأزوجها لك بمهر زهيد جداً، ولكن لو طلقتها فستدفع لها ملايين الجنيهات.. هل هذا يشجعك على الزواج منها بسهولة، أم يصدك عنها؟ إنك فى هذه الحالة ستفكر ألف مرة قبل أن تُقدم على زواجها. فحد الردة حماية لكل الناس، لأن الذى يدخل فيه يدخل على بيِّنة، ويعلم أنه لو خرج منه فسوف يُقتَل، حتى لا يتخذ الدين هزواً يسلم اليوم ثم يكفر غداً، ويكفر اليوم ثم يسلم غداً. وحد الردة لا يُطبَّق إلا على المجاهر بها، فنحن لا نتسلق الجدران على أحد لنعلم أهُوَ على دينه

أم ارتد، وحتى المجاهر فإنه لا يقتل بمجرد العلم بردَّته، بل إنه يُستتاب لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر (على خلاف بين العلماء) وإن كانت عنده شُبُهات فنوضحها له، فلو أصرّ بعد ذلك على كفره يُقام عليه الحد. وجميع النُّظُم العالمية تتهم الخارج عن الدولة بالخيانة العُظمى، وعقوبتها القتل، هذا حال الخارج على نظام البشر، فكيف بالخارج على نظام الله جل وعلا؟ وقد جاء فى الكتاب المقدس رجم المرتد عن دينه بالحجارة، وإبادة الشعوب المشركة بكاملها، ليس هذا فحسب.. بل حرق المدن بما فيها من بهائم وغيرها، وها هى بعض الأدلة:

وإذا أغواكَ سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترضَ منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت. لأنه التمس أن يُطوِّحَك عن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. (تثنية١٣: ٦-١٠)

إذا وُجِدَ فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شراً فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء. الشىء الذى لم أوصِ به. وأُخبِرت وسمعت وفحصت جيداً وإذا الأمر صحيح أكيد عُمِلَ ذلك الرجس فى إسرائيل فأخرِج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وارجمه بالحجارة حتى يموت. (تثنية١٧: ٢-٥)

أما إبادة الشعوب المشركة، وحرقها بما فيها، فقد أوردنا الدليل عليه فى الرد على الشبهة رقم (١٧٩).

وجاء فى الكتاب المقدس أيضاً فى (الملوك الأول١٨: ١٧-٤٠) أن النبى إيليا ذبح فى وادى قيشون ٤٥٠ رجلاً من الذين عبدوا البعل، والله أعلم.

س٨١- إن الإسلام انتشر بحد السيف، والآيات القرآنية تحث المسلمين على

الجهاد ونشر الإسلام بالقوة العسكرية.

ج٨١- هذه الشبهة قديمة تتوارثها أجيال الحاقدين على الإسلام جيلاً بعد جيل، فمثلهم كمثل من قال الله فيهم: {أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات:٥٣] وقبل أن نجيب على هذه الفرية، نسأل من يُرَوِّجُها: ما الذى حمل الكثير من الأوربيين على اعتناق الإسلام فى عصرنا الحاضر، مع تفوقهم العلمى على المسلمين؟ هل حملهم أحد على اعتناقه بالقوة؟ أم أنهم أناس هداهم الله عز وجل، واحترموا عقولهم، ولم يتعصبوا تعصباً أعمى لدينهم، وأعملوا فِكْرَهُم فى المقارنة بين الأديان، فوجدوا أن الإسلام هو دين الحق، وكل ما عداه فهو باطل؟ وهل وُجِدَ إنسان على مر الزمان استطاع أن يقهر ما يَقْرُب من ربع سكان العالم على اتِّباعه بالقوة؟ وإن كان الدين قد انتشر بالسيف - كما تقولون - فلِمَ لم يرتدَّ أتباعه بعد ما حلَّ بالمسلمين من ضعف وهوان كما هو معلوم الآن؟ والذين يرددون هذه الشبهة نسوا أو تناسوا ما جاء فى كتابهم المقدس من العنف والقسوة، وها هى بعض الأدلة:

فالآن اذهب واضرب عماليق وحرِّموا كل ماله ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة. طفلاً ورضيعاً. بقراً وغنماً. جملاً وحماراً. (صموئيل الأول١٥: ٣-٤)

وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. (عدد٣١: ٩-١٠)

اعبروا فى المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا. الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي. فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى. (حزقيال٩: ٥-٧)

لا تظنوا أنى جئتُ لألقى سلاماً على الأرض. ما جئتُ لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنى جئتُ لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنَّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. (متى١٠: ٣٤-٣٧)

جئتُ لألقى ناراً على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت. ولى صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل. أتظنون أنى جئتُ لأعطى سلاماً على الأرض. كلا أقول

لكم بل انقساماً. (لوقا١٢: ٤٩-٥١)

ملعون من يعمل عمل الرب برخاء وملعون من يمنع سيفه عن الدم (إرميا٤٨: ١٠)

إن الإسلام بدأ بفرد واحد هو رسول الله ﷺ فأين كان سيفه الذى رفعه على الناس ليسلموا؟ إن رفع السيف يحتاج لعصبة أُولِى قوة تؤازره، فأين كانت هذه العصبة وأقرب الناس إليه قد عاداه وعادى دعوته منذ نشأتها؟ إن الإسلام بدأ غريباً فى مجتمع يعج بالكفر والوثنية، فقوبل بعداوة لا مثيل لها، ولاقى أتباعه فى سبيله العذاب والتنكيل والتشريد، فما الذى كان يحملهم على تحمل كل هذه الصعاب، وأغلبهم فقراء مستضعفون؟ هل كان الرسول ﷺ يجبرهم على الإسلام؟ أم أنهم ذاقوا حلاوة الإيمان فلم يرضوا عنه بديلاً؟ لقد مكثوا فى هذا التعذيب إلى أن أشار عليهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من الأذى، والذين لم يتمكنوا من الهجرة ظلوا فى الضيق والأذى والاضطهاد إلى أن جعل الله لهم من المدينة المنورة فرجاً ومخرجاً، وهذه كانت أول انطلاقة للإسلام خارج بلد الله الحرام، فهل كانت هذه الانطلاقة بالسيف؟ لقد بدأت بإيمان مجموعة من الرجال شرح الله تعالى صدورهم للإسلام، وبايعوا الرسول ﷺ فى موسم الحج على ستة أشياء - وهى التى ذُكِرَت فى سورة الممتحنة - ولذلك سُمِّيت (بيعة النساء) لأنها مثل بيعتهن، ألا وهى:١- ألا يشركوا بالله شيئاً،٢- ألا يسرقوا،٣- ألا يزنوا،٤- ألا يقتلوا أولادهم (كما كان منتشراً فى الجاهلية)٥- ألا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم،٦- ألا يعصوه فى معروف، ثم رجعوا إلى قومهم دُعاة إلى الله، فشرح الله بهم الصدور، وأنار بهم العقول، فى وقت من أصعب الأوقات عليهم، فقد كانت بين الأوس والخزرج عداوات وإحَن وبغضاء وحروب، وكان من أشهرها حرب (بُعَاث) التى استمرت لعشرات السنين لا تنطفئ نارها، ولا يهدأ شررها، وسالت فيها دماؤهم أنهاراً. فحين رأى أهل يثرب أخلاق هؤلاء المؤمنين قد تغيرت.. أسلموا وحَسُنَ إسلامهم، وكان فى إسلامهم حقن لدمائهم، فقد ألَّف الله عز وجل بين قلوبهم ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٦٣] ثم هاجر إليهم الرسول ﷺ بعد أن أخذ العهد عليهم أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأطفالهم (أى يدافعون عنه ضد أى عدوان) وأقام دولة الإسلام على أرضهم التى تبعد عن

موطنه ومحل نشأته بخمسمائة كيلو متر، تقطعها أكباد الإبل فى أكثر من عشرة أيام. ولكن لم يكتفِ أعداؤه من قومه بأنهم أخرجوه من أحب البقاع إليه، وأخرجوا أصحابه ﷺ من ديارهم وأموالهم (أى أنهم كما نقول بلغتنا: تركوا لهم الجمل بما حمل) فبدأوا يكيدون له ولأتباعه ليقتلعوا الدولة الإسلامية من جذورها، فأذنَ الله سبحانه وتعالى له ولأصحابه بالقتال للذود عن حياضهم، ولتأمين أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، لتكون كلمة الله هى العليا، فكان أول ما نزل من آيات القتال: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ} [الحج:٣٩-٤٠] فبيَّن سبحانه وتعالى فى هذه الآيات أنه أذنَ للمؤمنين بالقتال لأنهم {ظُلِمُوا۟} و{أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ} وأنه لولا القتال {لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا} لأن الكثير من الناس لا يهدأ لهم بال، ولا يَقرّ لهم قرار، إلا بالتخريب، وإشاعة الرعب والفزع بين عباد الله الآمنين، والاعتداء على حُرُمات الله وأماكن عبادته، فكان لابد من ردعهم بالقوة حيث لا تنفعهم الموعظة، وبيَّن سبحانه أن التمكين للمؤمنين فى الأرض ليس لغرض دنيوى، أو لحب الاستبداد والسيطرة على العباد، فقال فى الآية التى تليها: {ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ} وليس كما يفعل أعداء الله اليوم، الذين يرفعون شعار الحرية والديمقراطية، ثم يدمرون البلاد ويقتلون العباد، ولا يرحمون مريضاً، ولا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة عجوزاً، بل يُغيرون بكل ما آتاهم الله من قوة على المستضعفين العُزَّل، وبعد هذا يثيرون الشبهات حول الإسلام، ويقولون إنه انتشر بالقوة! لقد كان معظم قتال الرسول ﷺ إما لاسترداد بعض حقوق المسلمين كما حدث فى موقعة بدر، وإما للدفاع عن المدينة المنورة، وتأمين الدولة الإسلامية من اعتداءات قبائل العرب من المشركين الذين تألبوا وتحزبوا واجتمعوا على قتاله، هم وأعوانهم من يهود المدينة، فأمر الله عز وجل بقتالهم: {وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً} [التوبة:٣٦] فجاهد ﷺ هو وصحابته الكرام ﷺ فى سبيل الله حق جهاده إلى أن نصر الله

دينه، ومَكَّنَ له فى أرضه، وأصبحت الدولة الإسلامية لا يلين لها جانب، ولا يستطيع أحد أن ينال من عزها وكرامتها. ومن أبْدَى له الرغبة فى التعايش السلمى، وعدم التعرض له ولأصحابه بالأذى، وعدم مُظاهرة أحد على قتاله، لم يمتنع أن يعقد معهم العهود والمواثيق، حتى لو لم يعلم صدق نيتهم {وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأنفال:٦١] وذلك مثل ما حدث بينه وبين بعض قبائل العرب من المشركين واليهود، وكان أعظمها صُلح الحديبية الذى كان مفتاح انطلاقة للإسلام إلى خارج الجزيرة العربية، ولذلك سماه الله سبحانه وتعالى فتحاً مبيناً {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} [الفتح:١] لأن الرسول ﷺ كان مشغولاً قبل هذا الصلح وأصحابه الكرام ﷺ بكَفّ أذى المشركين عنهم، والدفاع عن دينهم وأرضهم - كما أشرنا من قبل - فبدأ الرسول ﷺ بعد هذا الصلح بإرسال الرسل إلى رؤساء وملوك الدول المجاورة ليعرض عليهم الدخول فى الإسلام بطريقة سِلمية، كان من بينها رسالته إلى هرقل عظيم الروم "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلِم تَسْلَم يُؤتكَ الله أجرك مرتين، فإن توليتَ فإن عليك إثم الأريسيين و{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}" [صحيح البخارى] أما قتال من أجرى معهم الصلح، فإن ذلك كان لنقضهم عهدهم معه، كما قال الله عز وجل: {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [التوبة:١٣] فلو كان الرسول ﷺ يحب حمامات الدم - كما يقولون - لَمَا قبل من أحدٍ صُلحاً، ولأصرَّ على القتال حتى يُسلموا، والشاهد على ذلك أنه عندما فتح مكة قال أحد الصحابة ﷺ: اليوم يوم الملحمة، اليوم أذلَّ الله قريشاً، فقال رسول الله ﷺ: "اليوم يوم المرحمة، اليوم يُعزُّ الله قريشاً" [رواه الأموى فى المغازى] وقصته مع من اضطهدوه وعذبوا أصحابه وحاربوه معروفة، حين قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" [أخرجه البخارى فى المغازى] فلو كان فى طبعه سفك الدماء لانتقم منهم بعد الفتح. وانظروا إلى من يقومون بانقلابات عسكرية للإطاحة بحكامهم.. ماذا يفعلون بمن أطاحوا بهم؟ إنهم لا يكتفون بعزلهم عن حكمهم، بل ويقيمون لهم المشانق والمذابح، لأنهم

بذلك - من وجهة نظرهم - يقطعون رؤوس الفساد التى أذلّت العباد، أما الرسول ﷺ فكان لا يغضب لنفسه قط، إلا أن تُنتَهك حُرُمات الله، ومن يدرس سيرته المطهَّرة يجد الكثير من أمثلة عفوه عمَّن أراد قتله، ولو تكلمنا عن هذا ما انتهينا، ولو كان محباً للقتال لَمَا قال: **"أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، اللهم مُنزِلَ الكتاب ومُجْرِىَ السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم"** [متفق عليه]

إن جملة من قُتِل من المسلمين والمشركين فى جميع الغزوات والسرايا على عهد رسول الله ﷺ ٣٨٦، فى حين أن الصِّرب قتلوا من الكُرْوات خمسمائة ألف فى الحروب الطائفية التى دارت بينهم منذ عشرات السنين، وفى الحملة الصليبية التى شهد التاريخ ببشاعتها قتل الصليبيون مائة ألف من المسلمين واليهود فى أول يوم من حملتهم، وتعقَّبُوا من لجأ إلى بيت المقدس ليحتمى به وذبحوهم بداخله، حتى إن الخيول كادت تسبح فى دماء المسلمين، وغير ذلك الملايين من الذين قتلهم هتلر، وستالين، وموسولينى، وغيرهم من الجبابرة. ولم يَرِد عن الرسول ﷺ قط أنه أجبر أحداً من الأسرى، أو أحداً من الوفود التى كانت تأتيه فى المدينة على الدخول فى الإسلام، حتى إن الله عز وجل أمره أن يعطى الأمان لمن استجار به من المشركين ولو ممن أُمِرَ بقتالهم، حتى يُسْمِعَه كلام الله، ثم يرده إلى أهله ولو لم يُسْلِم {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ} [التوبة:٦] وكان ﷺ يوصى بالأسرى، فامتثل أصحابه ﷺ لأمره حتى أثنى الله عليهم بقوله: {وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان:٨] وكان ﷺ ينهى عن التعرض بأى أذى لمن عاهدهم على الصلح أو دفع الجزية، فقال: **"ألا من ظلم مُعاهَداً أو انتقصه حقه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة"** [سنن أبى داود، صحيح الجامع:٢٦٥٥] وقال: **"من قتل مُعاهَداً لم يَرِح رائحةَ الجنة، وإن ريحَهَا ليوجد من مسيرةِ أربعينَ عاماً"** [صحيح البخارى] فهل عرف التاريخ إحساناً إلى الأسرى، أو وفاءً للعهود مثل هذا؟

وكما انتشر الإسلام فى المدينة المنورة بالدعوة إلى الله بالحسنى، وبالأخلاق الحسنة، فقد انتشر فى معظم البلدان الأسيوية والأفريقية، دون حمل لأى سلاح، ولم يكن إسلام

هذه البلدان ببيعة كبيعة أهل المدينة، ولكن بأخلاق التجار المسلمين، فقد كانت تربط الجزيرة العربية بهذه البلدان تجارات كثيرة كالتى نسميها بلغتنا (استيراد وتصدير) فرأى أهل هذه البلاد أن العرب قد تغيرت أخلاقهم، فبعدما كانوا كذابين غشاشين مماطلين مرابين، أصبحوا أمناء صادقين موفين بالعهود، لا يغشون، ولا يخدعون، ولا يماطلون، بالإضافة إلى السماحة فى البيع والشراء، وحسن المعاملة، وإيثار بعضهم على بعض، فتعجبوا لما حدث لهؤلاء التجار، وتساءلوا عن سر تغيرهم، فعلموا أنه الإسلام، فدخلوا فى دين الله أفواجاً، والدليل على ذلك أكبر الدول الإسلامية.. وهى (إندونسيا) فهل فتحها المسلمون بالحرب؟ فمن ادَّعى ذلك فليقل لنا مَن فَتَحَها؟ ومتى فتحها؟ وليقل لنا - على سبيل المثال - من فتح ماليزيا وطاجيكستان وأوزبكستان؟ أما البلاد الأخرى التى فتحها المسلمون بالجهاد (مثل مصر) فإنهم لم يهجموا على هذه البلاد هجمات بربرية شرسة لأغراض دنيوية كما يحدث فى عصرنا الحاضر (كما فى العراق) ولم يكن لإكراه الناس على الدخول فى الإسلام {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} [يونس:٩٩] ولكن كما قال رِبْعِى بن عامر ﷺ لرُسْتم قائد جيوش الفرس: إن الله ابتعثنا لنُخرِج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعَة الآخرة، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام. فقد كانت هذه الشعوب ترزح تحت وطأة الحكام الجبابرة من الفرس والروم، الذين يحكمون الناس بالحديد والنار، وحين فتح المسلمون هذه البلاد رفعوا الظلم عن العباد، وكفلوا لهم حرية العقيدة، وأمَّنوهم فى ديارهم من بطش أعدائهم، ولم يتعرضوا لأماكن عبادهم، فأحبَّهم الناس لِمَا رأوه من حسن أخلاقهم، ورحمتهم، وعدلهم، وحسن معاملتهم التى لم يعهدوها فى أبناء دينهم، فأسلموا وحَسُنَ إسلامهم.

إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله ﷺ للعالمين {لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ} [الأنعام:١٩] {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧] {لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى:٧] {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [آل عمران:٨٥] فلابد من توصيل دعوته للعالمين، فالإسلام نور، ومن حق كل إنسان أن يصله هذا النور بالْحُجَّة والبيان، لا بالشتم والتجريح كما يفعل أعداؤنا. ولكى تصل الدعوة إلى هذه البلاد فلابد أن يُفسَحَ لها الطريق بغير قتال، ولكن إذا لم يُفسَح لها الطريق،

فلنتصالح مع أهل هذه البلاد (الذين استكبروا عن قبول الدعوة) على دفع الجزية، ولا نتعرض لهم ولا يتعرضون لنا بأى أذى، وهى حق جعله الله عز وجل للمسلمين {قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ} [التوبة:٢٩] وبديهى أن الذى سيدفع الجزية لابد له أولاً أن يعلم لمن ولماذا سيدفعها؟ وهذا فى حد ذاته يجعله يسأل عن هذا الدين الجديد، وبهذا تصل الدعوة إليه، فإن أسلم فبها ونعِمَت، وإن استمر على كفره استمر على دفعها جزاءً لاستكباره على أمر ربه، ومقابل تأمينه من التعرُّض له بأى أذى (ومعلوم أن الجزية لا تفرض على النساء والأطفال والعبيد، وذوى العاهات، أو غير القادرين) فإن أَبَوْا أن يعطونا الجزية فلنقاتل من حال بيننا وبين تبليغ رسالة ربنا، أما من لم يعترض طريقنا فلا سبيل لنا عليه، وبعد إبلاغ الدعوة للناس بالْحُجَّة والبيان لا يُقهَر أحد على الدخول فى الإسلام {لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ} [البقرة:٢٥٦] {وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ} [الكهف:٢٩] ومعنى هذا أننا لا نقاتل غير المحاربين الذين صدونا عن إبلاغ الدعوة بالحسنى، على نقيض ما جاء به الكتاب المقدس حين قال: **حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبَد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك** (تثنية٢٠: ١٠-١٧) ففى هذا النَّص أمْر باستعباد الشعوب التى رضيت بالصلح، أمَّا التى لم ترضَ بالصلح فيُقتَلُ جميع ذكورها - سواء المحاربين منهم أو غير المحاربين - وأمَّا النساء والأطفال والبهائم فيؤخذون كغنائم، وهذا هو الحال فى المدن البعيدة جداً، أمَّا المدن القريبة (وهى الستة أمم المذكورة

فى النَّص) فالحال فيها مختلف، فلا يُقتَلُ ذكورهم وتُسبَى نساءهم، بل يُبادون إبادة جماعية (فلا تستبقِ منهم نسمة ما) هل هذا يُقارَن بما أمرنا به رسولنا ﷺ فى قوله: "اغزوا باسم الله، وفى سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتَ عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم أن يتحولوا من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوْا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفَىْء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبَوْا فسَلْهُم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبَوْا فاستعِن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن تَخفِروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل الحصن فأرادوك أن تُنزِلهم على حكم الله، فلا تُنزِلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا" [صحيح الجامع:١٠٧٨] وقوله حين رأى امرأة مقتولة: "ما كانت هذه لتقاتل" (أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان) وقوله: "تألَّفوا الناس وتأنَّوْا بهم، ولا تُغيِرُوا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل مَدَر أو وَبَر أن تأتونى بهم مسلمين أحبَّ إلىَّ من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم، وتقتلوا رجالهم" (أخرجه ابن منده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ) وقوله: "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تَغُلُّوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين" [ضعيف الجامع:١٣٤٦] وقوله: "ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟ ألا إن خياركم أبناء المشركين، ألا لا تقتلوا ذرية، ألا لا تقتلوا ذرية، كل نسمة تولد على الفطرة فما يزال عليها حتى يُعْرِب عنها لسانها، فأبواها يُهوِّدانها أو يُنصِّرانها" [صحيح الجامع:٥٥٧١] "ألا إن خياركم أبناء المشركين" معناها أن الصحابة ﷺ كانوا من أبناء

المشركين، فربما يهدى الله هؤلاء الأطفال كما هداهم. وقد "**نهى عن النّهبى والْمُثلة**" [صحيح الجامع: ٦٩١٧] وقال لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه لأهل اليمن: "**إنك ستأتى قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**" [صحيح الجامع:٢٢٩٨] ففى هذه الأحاديث وغيرها يتضح منهج الرسول ﷺ فى القتال.. لا غدر- لا غُلول - لا تمثيل بالقتلى (وإن مثّلوا بقتلانا) - لا لقتل الأطفال والنساء والشيوخ - لا للتعذيب - لا للإجهاز على الجرحى - لا للتعرض للعابدين فى صوامعهم - لا لحرق الأشجار، ولا لردم الآبار، ولا لتخريب الديار، لا للظلم والإذلال، لا للقهر والاستغلال... إلخ، حتى إنه ﷺ لم يترك جثث الكفار لتأكلها السباع والهوام، ولكن أمر بدفنها فى القَليب بعد انتصاره عليهم فى موقعة بدر، على عكس ما جاء فى الكتاب المقدس: **هَأنذا أجلبُ عليكَ شراً وأبيدُ نسلكَ... لأجل الإغاظة التى أغظتنى وجعلك إسرائيل يخطئ. وتكلم الرب عن إيزابل أيضاً قائلاً إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل. من مات لآخاب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء.** (الملوك الأول٢١: ٢١-٢٤) وجاء فيه أيضاً التمثيل بالجثث (كما ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم ٨٦، وبالله التوفيق) والدليل على أن المسلمين لم يقهروا أحداً على الدخول فى الدين هو وجود غير المسلمين ببلاد الإسلام إلى عصرنا هذا، وإلا- لكان أجدادهم قُتلوا فلم يبقَ نسلهم.

ونلاحظ مما تقدم أننا لا نفاجئ الناس بالهجوم عليهم، بل نعرض عليهم الإسلام ونعطيهم فرصة ثلاثة أيام، لدرجة أنه قد حدث فى عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ أن قائد الجيوش، واسمه (قُتيبة بن مسلم) فاجأ أهل (سَمَرقند) بالهجوم عليهم، وفتح ديارهم، فاشتكوا إلى الخليفة أنه لم يعطهم الفرصة ليتفكروا فى أمرهم، فأمره الخليفة بالرجوع بجنوده من بلادهم، فلما رأى أهلها ذلك الخُلق العالى، والعدل والإنصاف الذى لا يُتَوَقّع ممن انتصر على قوم، ودخل ديارهم، أسلموا، وأجازوا دخوله لبلادهم طواعية منهم.

إن القاعدة فى الإسلام هى السلام، والحرب هى الاستثناء للضرورة، والضرورة إما أن تكون للدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن المسلم ضد الاعتداء، وهذا ما يسمى بجهاد الدفع (أى الدفاع) قال الله تعالى: {وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ} [البقرة:١٩٠] وقال رسول الله ﷺ: **"من قُتِلَ دونَ ماله فهو شهيد، ومن قُتِلَ دونَ دَمِهِ فهو شهيد، ومن قُتِلَ دونَ دينِه فهو شهيد، ومن قُتِلَ دون أهلِه فهو شهيد"** [صحيح الجامع:٦٤٤٥] أو للدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد فى سبيلها بتعذيب من آمن بها، أو بصدّ من أراد الدخول فيها، أو بمنع الداعى من تبليغها، وهو ما يسمى بجهاد الطلب، قال تعالى: {وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ} [البقرة:١٩١-١٩٤]

والجهاد فى الإسلام إما فرض عَيْن، وذلك أولاً: على من حضر القتال {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} [الأنفال:١٥-١٦] وثانياً: إذا أغارت دولة كافرة على ديار الإسلام، ففى هذه الحالة يكون الجهاد فرضاً على كل مسلم ومسلمة، حتى إن المرأة تخرج للجهاد ولو بغير إذن زوجها، فى حين أنها لا تخرج للحج إلا بإذنه، ويخرج الابن بغير إذن أبيه، والعبد بغير إذن وليّه {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة:٣٨-٣٩] {ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة:٤١] وثالثاً: على من أمره الحاكم المسلم بالجهاد فى سبيل الله، وليس لِحَمِيَّة جاهلية، أو اعتداء على الأبرياء (كما يحدث - للأسف - فى

عصرنا هذا من اعتداء دولة مسلمة على دولة أخرى مسلمة) قال رسول الله ﷺ: "لا ترجعوا بعدى كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض" [متفق عليه] وقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هى العُليا فهو فى سبيل الله" [متفق عليه] وقال: "لا طاعة فى معصية الله، إنما الطاعة فى المعروف" [صحيح مسلم]

وإما أن يكون الجهاد فرض كفاية، إن قام به البعض سقط عن الآخرين، وذلك أولاً: إذا وقع الظلم على أقلية مسلمة تعيش فى البلاد الكافرة، كالتشريد والقتل والاضطهاد، مثل التطهير العرقى الذى حدث فى البوسنة والهرسك منذ عدة سنوات، هنا يهب المسلمون لنصرة إخوانهم، ورفع الظلم عنهم، وتمكينهم من ممارسة عباداتهم وشعائرهم بغير خوف ولا تقييد لحرياتهم {وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء:٧٥] وليس معنى كلمة (فرض كفاية) أن تقوم به أقلية لا يتم بها الغرض من دفع العدوان عن إخوانهم، ولكن بالعدد والإمكانيات التى تتم بها الكفاية. وثانياً هو الجهاد الدَّعوِىّ (وهو غير مسموح به الآن لأن المسلمين مستضعفون) وهو أن يُسمَح لعلماء المسلمين بدعوة غيرهم بالحسنى {قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤] فإن استكبروا عن سماع الحق، فليدفعوا الجزية، وإلا- فالقتال، قال تعالى: {وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة:١٢٢] وقال رسوله ﷺ: "أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" [صحيح مسلم] وهذا الحديث هو عُمْدَة حُجَجَ الكافرين الواهية فى ادِّعائهم على الإسلام بأنه انتشر بالسيف، وهو ما يلتبس أمره أيضاً على كثير من المسلمين. وقبل أن نجيب عن هذا، نود أن نسألكم: هل كان بوسْع الرسول ﷺ أو صحابته الكرام ﷺ أن يتأكدوا من إسلام كل الناس، وأنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، حتى لو حاربوهم؟ إن هذا ليس

بمقدور أى أحد من البشر، مهما بلغت قوته، وكثر أتباعه، ولكن الغرض من الحديث أن الرسول ﷺ أُمِرَ بتبليغ الدعوة للناس، وإن اقتضى الأمر أن يقاتل مَن حالَ بينه وبين تبليغها، وهذا ما ذكرناه من أننا نقاتل من صدنا عن تبليغ رسالة ربنا، ونحب أن نضع ألف خط تحت قول (من صدنا) أمَّا من سالمنا و لم يقف فى طريقنا فلا سبيل لنا عليه ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء:٩٠] إن الرسول ﷺ كان إذا بعث سراياه أمرهم ألا يُغيروا على قوم يسمعون منهم النداء بالصلاة، فهل كان متأكداً أن كل أهل القرية مسلمون، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة؟ أم أن هذا مجرد دليل على أن دعوة الإسلام قد وصلتهم؟

وقبل أن نفارق هذه الشبهة – التى أطلنا الحديث عنها – نقول وبالله التوفيق: إنه من المعلوم فى أى مكان فى العالم أنه لابد من التسلسُل القيادى، فكل هيئة من الهيئات لها رئيس، ومجموع تلك الهيئات تخضع لوزارة معينة، فمثلاً: وزارة الصحة.. تتبعها جميع المراكز الصحية والمستشفيات والإدارات التابعة لها، ولكُلّ من هذه المراكز والمستشفيات والإدارات رئيس أو مدير، وفوق هذا المدير مدير آخر، إلى أن نصعد فى السلم الوظيفى إلى الوزير، أليس كذلك؟ وما نقوله عن وزارة الصحة ينطبق على جميع الوزارات، وكل هذه الوزارات مجتمعة لها رئيس يسمى (رئيس الوزراء) وكذلك كل محافظة لها رئيس أو محافظ، ثم فى النهاية يصل حكم الدولة كلها إلى واحد، وهو رئيس الدولة أو الملك، وكأن التسلسل القيادى يأخذ شكلاً هرمياً، قاعدته مديرون ورؤساء كثيرون، ثم يعلو إلى رؤساء أقل منهم عدداً، ثم يعلو إلى حاكم واحد. ربما يتعجب البعض ويقولون: ما دخل كل هذا بموضوعنا؟ وأقول لكم: إن ما أريد أن أصِل إليه هو: كما أنه لا يصلح أن يحكم أى دولة إلا حاكم واحد، فلابد أن يكون لكل العالم حاكم واحد وهو الله جل وعلا، بل إنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:٨] وإذا كان أى حاكم – ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ – لا يرضيه أن يخرج أحد من رعيّته على حكمه، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟ كيف يخرج أحد من خلقه على حُكمه؟ أترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم، وهو خالقكم، ورازقكم، ومدبر أمركم، ومن بيده محياكم ومماتكم؟ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠] فتوحيد الله وطاعته

حق على عباده، وهو الغنى عنهم، {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر:٧] {أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران:٨٣] قال رسول الله ﷺ: **"يا مُعاذ بن جبل.. هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً"** [صحيح الجامع:٧٩٦٨]، والله أعلم.

س٨٢- لماذا تفتخرون بدينكم وتدعوننا للدخول فيه؟ فإن الدين بالوراثة، فابن اليهودى يكبر ويَشِب على دين أبيه، وكذلك ابن المسيحى، وابن المسلم، فكيف نترك ديننا، وهو دين آبائنا، وندخل فى دين آبائكم؟

ج٨٢- من قال لكم إننا نفتخر عليكم أو على غيركم؟ إن ديننا مِنَّةٌ من الله علينا، ونحن غير متمسكين به لمجرد أنه دين آبائنا، ولكننا مقتنعون به تمام الاقتناع. إن رسول الله ﷺ - وهو خير خلق الله - لم يفتخر بنفسه حين عدَّد نِعَم الله عليه، فقال: **"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول شافع، وأول مُشَفَّع ولا فخر"** [صحيح الجامع:١٤٦٨] فالمسألة ليست قضية تفاخُر، إنها قضية حق وباطل، ونحن نريد لكم الخير باتباع الحق لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، ولا تكونوا كالذين تمسكوا بدين آبائهم، ولم يؤمنوا بأنبيائهم، فتكونوا كالذين قال الله فيهم: {أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ} [المائدة:١٠٤] فإن الحق لا يتجزَّأ، وسبيله واحد هو الإيمان بالله وبجميع أنبيائه ورسله، والإيمان بخاتم المرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أما سُبُل الباطل فهى كثيرة، فنحن ندعوكم للمناظرة الهادئة الهادفة العاقلة المستنيرة المبنية على العلم، وليس على الحَمِيَّة العمياء لمجرد التمسك بدين الآباء، و{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤]، والله أعلم.

س٨٣- إن الذين دخلوا فى الإسلام من مصر كانوا هم الفقراء، لأنهم لم يستطيعوا دفع الجزية، أما الأغنياء الذين استطاعوا أن يدفعوها فلم يدخلوا فيه.

ج٨٣- لو كان الفقراء هم الذين دخلوا فى الإسلام كما تقولون، فلِمَ لم يخرجوا منه بعد ذلك؟ وخاصةً أن عمرو بن العاص ﷺ بعد أن فتحها ترك فيها عدداً قليلاً من الجنود، كان يسهل على المصريين حينها أن ينقلبوا عليهم. وهل كانت الجزية بالقَدْر الذى يعجزهم عن دفعها؟ لقد كانت قيمتها دينارين فى السنة عن الرجل البالغ العاقل مقابل الدفاع عنه، والدينار قيمته أربع جرامات وربع الجرام من الذهب. وبفرض أن البعض كان لا يستطيع دفعها، فإنها فى هذه الحالة تسقط عنه، بل إن عمر بن الخطاب ﷺ أسقطها عن الرجل الكبير الذى وجده يتسول ليجمعها، وأمر له بعطاء من بيت مال المسلمين. وهناك كتاب اسمه (السيف الثقيل) كان فى مصر، ولكنه سُرِقَ أيام نابليون بونابرت، ووُضِعَ بمتحف (اللوفر) فى فرنسا، وهو كتاب مخطوط يحتوى على المناظرات التى تمت بين الصحابة ﷺ والقساوسة المصريين، وقد اقتنع منهم الكثير، ودخلوا فى الإسلام، كما دخل فيه الكثير من أهلها طواعية، لَمّا رأوا سماحته ومعاملة أهله الطيِّبين، وهم الذين حولوا كنائسهم إلى مساجد. فسيدنا عمرو لم يهدمها، ولكنه بنى فى ظهر كل كنيسة مسجداً، وكان لهذه الكنائس أبراج عالية لدَقِّ الأجراس، فحين أسلم أهلها حولوا هذه الأبراج إلى مآذن، وجعلوا لها سلالم ليصعد عليها المؤذن وينادى بالصلاة، فلم تكن المآذن معروفة فى المساجد قبل هذا، وقد حدث الأمر نفسه فى البلاد الأخرى التى دخلها الإسلام. إن الجيش الذى فتح مصر كان قوامه ١٥٥٠٠ مقاتلاً، وكان هذا العدد قليلاً جداً بالنسبة لأهل مصر، الذين كان يُقدَّر تعدادهم بحوالى مليون نسمة أو يزيدون، وبعد فتحها لم يمكث بها إلا القليل، حوالى ألف أو خمسمائة، وهم عبارة عن قوة حاكمة يسمونها الحامية الإسلامية، والباقى ذهب لفتح ليبيا وتونس والمغرب والأراضى المجاورة لها. والصحابة ﷺ كان بينهم وبين المصريين وُدّ ومحبة، لأن بينهم نسباً، فإن السيدة هاجر - رضى الله عنها - أم سيدنا إسماعيل أبى العرب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت مصرية، وكذلك السيدة مارية القبطية - رضى الله عنها - زوج الرسول ﷺ كانت أيضاً مصرية. ولذلك فإن المصريين أكْبَروا الصحابة ﷺ وأحبُّوهم، ودخلوا فى دين الله أفواجاً بسبب هذا النسب، وبسبب المعاملة الطيبة التى وصى بها الرسول ﷺ صحابته حيث قال: "**إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يُسَمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها**

فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمَّة ورَحِماً، فإذا رأيتَ رجلين يختصمان فى موضع لَبِنَة فاخرج منها" [صحيح الجامع:٢٣٠٧] بل إن المصريين انضموا إليهم، وقاتلوا معهم قتالاً مريراً ضد الرومان، لأن الرومان كانوا قد أذلُّوهم، وساموهم سوء العذاب، حتى إنهم اضطهدوا باباواتهم، وهرب كبير الباباوات (بنيامين) إلى وادى النطرون، والذى أمَّنه ورجَّعه هو عمرو بن العاص ﷺ. والجزية لم يبتدعها الإسلام، ولكنها كانت فى الديانات التى قبلنا، وقد ذكرنا بعض ما جاء بشأنها فى الكتاب المقدس فى الرد على الشبهة رقم (٧٩)، والله أعلم.

س٨٤- إن المسلمين ليسوا مصريين، ولكنهم أبناء العرب، بينما أصحاب البلاد الحقيقيون المصريون هم أقباط مصر، فهم أوْلى بها، والمسلمون غرباء عنها.

ج٨٤- غالبية المصريين الذين تسمونهم أقباط مصر أسلموا طواعية - كما ذكرنا فى السؤال السابق - عندما رأوا الفرق بين المسلمين والرومان الذين هم على ملّتهم، فبينما كان الرومان يسومونهم سوء العذاب، جاء الإسلام فرفع الظلم عنهم، وأعطاهم حريتهم، ورأوا أخلاق الصحابة ﷺ وعدلهم، وورعهم، وتقواهم، فآمنوا بدينهم. والكل يعرف قصة الشاب المصرى الذى تسابق مع ابن عمرو بن العاص ﷺ فسبقه، فضربه ابن عمرو، وقال له: أتسبقنى وأنا ابن الأكْرَمَيْن؟ فغضب الولد واشتكى لأبيه، فذهب به إلى عمر بن الخطاب ﷺ واشتكى له، فما كان من عمر إلا أن بعث برسالة عاجلة - من أبلغ ما يكون - إلى عمرو بن العاص، يقول له فيها: من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أمير مصر: يَدُكَ فى الخطاب ورِجلُك فى الرِّكاب، وأْتِنى بوَلَدِك. فذهبا إليه، واستمع لقولهما وقول الشاب المصرى، فقال لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ ثم أمر الشاب المصرى أن يضرب ابن الأمير كما ضربه، بل ويضرب الأمير نفسه على رأسه، وحين تساءل الأمير: لماذا يضربنى وقد أخذ حقه؟ فقال له: لولا أنت ما ضربه. فهذه الحادثة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، وغيرها من صُوَر العدل والرحمة، جعلت الكثير من أهل مصر يدخلون فى دين الله، وحَسُنَ إسلامهم، ولو كان إسلاماً ظاهرياً بالحديد والنار لانقلبوا بعد ذلك، كما انقلب أتباع الشيوعية بعد انقضاض عريشها، فمجموع المسلمين فى مصر معظمهم إذن هم أبناء السلف الذين دخلوا فى دين

الله أفواجاً، وبتزاوج العرب والقبط صاروا وأبناؤهم مزيجاً ونسيجاً مصرياً عربياً مسلماً. ثم إن الإسلام ليس ديناً مَحَلّياً مرتبطاً بالمكان الذى بدأ فيه، بل هو رسالة لجميع الإنس والجن إلى قيام الساعة، فليس محدداً بزمان ولا مكان، وليس له جنسية عربية أو غير عربية، فالمسلمون كلهم إخوان، وإن اختلفت جنسياتهم ولغاتهم، والله أعلم.

س٨٥- لقد قُتِلَ بعض أصحاب محمد وهم أمراء المسلمين، مثل عمر وعثمان وعلى، وأنتم تقولون إنهم صالحون، وعلى درجة كبيرة من الإيمان بالقرآن واتباع هَدْى نبيكم، فلِمَ قُتِلوا إذن؟

ج٨٥- هل معنى أنهم قُتِلوا أنهم غير صالحين؟ لقد زعمتم أن معبودكم قُتِلَ.. فهل كان يستحق القتل؟ أو كان غير صالح؟ ولقد قتلتم الكثير من أنبيائكم، فهل حُرمَة الصحابة ﷺ أشد عندكم من حرمة أنبيائكم؟ وهل كان الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يستحقون القتل؟ لقد أوضح القرآن الكريم فى أكثر من آية أن قتلكم إياهم كان بغير حق، فكذلك قتل هؤلاء الصحابة كان بغير حق، وقد نالوا بذلك الشهادة، ومعلوم أن الذى قتل عمر لم يكن مسلماً، ولكنه كان مجوسياً، والذى قتل علياً كان من الخوارج، أما عثمان فقد كان ضحية فتنة قادها عبد الله بن سبأ اليهودى، والله أعلم.

س٨٦- إن القصاص فى الإسلام يزهق الأرواح، ويملأ المجتمع بالتشوهات، ففى سورة البقرة آية ١٧٨ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ} وفى سورة المائدة آية ٤٥ {وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} فهل رأيتم استهانة بأرواح الناس وأجسادهم مثل هذا؟

ج٨٦- إن اعتراضكم على القصاص لَهُوَ من أشد الظلم، وكان الأجدر بكم أن تطبِّقوه فى مجتمعاتكم، لأن فيه صيانة لأرواحكم ودمائكم وأعراضكم، فهل يرضى سائل

هذا السؤال أن يقتله أحد، أو يقتل أحد أقاربه، ثم لا يُقتَص من القاتل بقتله؟ أم هل يرضى أن يفقأ عينه أحد، ثم يُسجَن لمدة عام أو أكثر، ثم يخرج من السجن، وينعم بعينيه طول حياته؟ أم أنه يتمنى أن لو فُقِئَت عينه مثله؟ إن الذى أشاع الجرائم فى كثير من المجتمعات هو عدم تطبيق حدود الله، فلو أن المجرم علم أنه سيُقتَص منه، ويُفعَل به ما فعل بالناس، لَمَا أقدم على جريمته، ولَمَا أصبحت دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم، نهبة سائغة له، يقتل هذا، ويقطع أُذُن هذا، ويفقأ عين هذا، ثم يدخل السجن يأكل ويشرب وينام، وبعد ذلك يخرج سليم الأعضاء، بعدما أراق دماء الناس، وشوَّه أجسادهم، فهل هذا يقبله عاقل؟ إن بعض المجتمعات المسلمة التى لم تمتثل لأمر ربها، شاعت فيها جرائم التشويه لأقصى درجة، ففى باكستان – على سبيل المثال – شاع ظلم الرجل للمرأة ظلماً شديداً، وأصبح من المألوف عندهم أن الرجل يعاقب المرأة برش ماء النار على وجهها! فلو أنه عوقب بفعلته نفسها لَمَا تجرَّأ على ذلك، ولكنه الظلم {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} وقد جاء فى كتابكم المقدس ما يشابه آية سورة (المائدة) التى وردت فى السؤال:

وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسِناً بسِن ويَداً بيَد ورِجلاً برِجل وكَيّاً بكَيّ وجرحاً بجرح ورَضّاً برَض. (خروج٢١: ٢٣-٢٤)

وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيباً فكما فعل كذلك يُفعَلُ به. كَسْر بكَسْر وعين بعين وسِن بسِن. كما أحدث عيباً فى الإنسان كذلك يُحدَث فيه. (لاويين٢٤: ١٩-٢٠)

وجاء فيه أن جزاء القاتل قتلُه، ليس هذا فحسب.. بل التمثيل بجثته بعد موته:

إذا كان رجلان باغيان يقتلان صديقاً فى بيته على سريره. فالآن أمَا أطلب دمه من أيديكما وأنزعكما من الأرض. وأمر داود الغلمان فقتلوهما وقطعوا أيديهما وأرجلهما وعلقوهما على البركة فى حبرون. (صموئيل الثانى٤: ١١-١٢)

سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفَك دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان. (تكوين٩: ٦-٧)

إن القاتل يُقتَل. (عدد٣٥: ١٦)

ثم إن الإسلام لا يمنع أحداً أن يتنازل عن حقه فى القصاص {فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ

شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} {فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ} أما الكتاب المقدس فلا يبيح العفو عن القاتل المتعمِّد، ولا يبيح أخذ الديَّة منه، بل لابد من قتله: **ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يُقتَل. ولا تأخذوا فدية ليهرب إلى مدينة ملجئه فيرجع ويسكن فى الأرض بعد موت الكاهن. لا تدنسوا الأرض التى أنتم فيها لأن الدم يدنس الأرض. وعن الأرض لا يُكفَّرُ لأجل الدم الذى سُفِكَ فيها إلا بدم سافكه. ولا تنجسوا الأرض التى أنتم مقيمون فيها التى أنا ساكن فى وسطها. إنى أنا الرب ساكن فى وسط بنى إسرائيل** (عدد٣٥: ٣١-٣٤)

ومن عدل الله سبحانه وتعالى أن قضى بأن الذى قتل يُقتل، ولا يُقتل أحد غيره ظلماً وعدواناً، على نقيض ما يحدث فى بعض القرى من أنهم لا يأخذون الثأر من القاتل، بل يأخذونه من البرىء، فإذا كان القاتل غير ذى بال، كأن يكون فقيراً، أو وضيعاً فى قومه، لم يقتصوا منه، ولكن يقتصون ممن هو أعلى منه منزلة وجاهاً، رغم براءته، ولذلك قال الله تعالى: {ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ} وحَدّ القتل فى الإسلام يطبق على من فعله متعمداً، أما قتل الخطأ ففيه الديَة، كأن يخطئ طبيب فى إجراء عملية للمريض فيموت، أو يعطيه جرعة كبيرة من البنج تكون سبباً فى موته، أو حادثة سيارة عن غير قصد، أو غير ذلك. أما فى الكتاب المقدس فإن من قتل خطأ لا يدفع دِيَة لأهل المقتول، ولكنه يهرب من ولى الدم (أى من ولى المقتول) حتى لا يعاقبه: **وكلّم الرب موسى قائلاً. كلّم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان. فتعيّنون لأنفسكم مُدناً تكون مُدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذى قتل نفساً سهواً** (عدد٣٥: ٩-١١)

ولكن إن دفعه بغتة بلا عداوة أو ألقى عليه أداة ما بلا تعمد أو حجراً ما مما يُقتَلُ به بلا رؤية. أسقطه عليه فمات وهو ليس عدواً له ولا طالباً أذيّته تقضى الجماعة بين القاتل وبين وَلِىّ الدم حسب هذه الأحكام. وتُنقِذُ الجماعة القاتل من يد وَلِىّ الدم وتردّه الجماعة إلى مدينة ملجئه التى هرب إليها (عدد٣٥: ٢٢-٢٥) ربما يظن أهل الكتاب أن هروب القاتل غير المتعمِّد، وعدم معاقبته بدفع الدِّيَة لأهله هو الصواب، لأنه فى نظرهم غير مذنب. ونقول لهم: صحيح أنه لم يتعمد، ولكن هذا يفتح الباب للمجرمين

كى يقتلوا من أرادوا قتله، ويتفننون فى طرق القتل حتى تبدو فى التحقيقات وكأنها عن غير قصد، ثم يكذبون ويقولون: لم نقتله متعمدين. وكذلك فإنه يفتح الباب للعابثين والمستهترين ألا يحتاطوا، طالما أنهم لن يُعاقَبوا، كالشباب المتهوِّر الذى يقود السيارات بسرعة رهيبة، أو الذين يطلقون الرصاص فى الأفراح والاحتفالات، وغير ذلك من مظاهر الاستخفاف، وعدم أخذ وسائل الحيْطة والحذَر. ثم إن الدِّيَة التى يأخذها أهل الميت تخفف عنهم مصابهم إلى حد كبير، وخصوصاً لو ترك يتامى، فإن المال الذى يأخذونه يعينهم على أمر معاشهم، والله أعلم.

س٨٧- لقد دافعتم عن حد القصاص وقلتم إنه عدل لأنه معاملة بالمثل، فلِمَ لا يكون القصاص فى الزنى والسَّب والقذف بالمثل أيضاً؟

ج٨٧- إن هذا سؤال خبيث لا يُظن بقائله إلا أنه يحب إشاعة الفاحشة فى المؤمنين. إن الإسلام هو دين العِفَّة والمحافظة على الأعراض، فهو الذى يحض على الفضيلة، ويحارب الرذيلة بكل وسيلة، فهل يعاقب على الفاحشة بفاحشة مثلها، حتى تنتشر فى المجتمع أكثر وأكثر؟ وهل هذا يقبله عاقل، فضلاً عن أن يكون شرعاً؟ وهل لو سَبَّ دينَ الله أحدٌ تكون عقوبته أن يُسَب دينه؟ إن هذا لا يزيد الشرر إلا تطايُراً، كما يقول المثل: (لا يزيد الطين إلا بِلَّة) قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور:١٩] وقد قال العلماء: إن مجرد الكلام عن قصص الفحش والتفحّش - وليس ردّ الفاحشة بفاحشة مثلها - يدخل فى مضمون هذه الآية، أى أن ما يحدث فى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من نشر الفضائح، وأخبار القتل والسرقة، والخيانة الزوجية، داخل فى مضمنون هذه الآية - وللأسف - فإن كثيراً من المسلمين لا يعلمون هذا الأمر، ولا يفطنون له، وتراهم يتناقلون ما سمعوه وما قرأوه من هذه الأخبار المشينة، ولا يدرون أنهم بفعلهم هذا ينشرون الفاحشة بين الناس أكثر وأكثر. وكذلك الذى يذهب للعمل فى بعض البلاد العربية، ثم يعود فيحكى عمّا رآه وسمعه من هذه المعاصى، ولا يعلم - فضلاً عن وقوعه فى أعراض المسلمين - أنه ينشر الفاحشة بين المؤمنين. حتى لو كانت دولة كافرة فلا ينبغى له أن يحكى ما رأى وما سمع فيها، لأنه يفسد قلوب سامعيه وهو لا يشعر. كذلك فإن المعصية

تهون فى أعين الناس بكثرة سماعها، وتجعلهم يظنون أنهم أفضل من غيرهم، فلا يزدادون فى الأعمال الصالحة. أما سماع قصص الصالحين فهى تحث على الاقتداء بهم، واحتقار النفس بالنسبة لهم، مما يبعث على النشاط فى العبادة، والاستكثار من الأعمال الصالحة، قال رسول الله ﷺ: **"لا تسبَّن أحداً، ولا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهُك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبَيْتَ فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار، فإنه من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإنِ امْرُؤٌ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك، فلا تعيِّره بما تعلم فيه، فإنما وبالُ ذلك عَلَيه"** [صحيح الجامع:٧٣٠٩] أرأيتم كيف نهى الرسول ﷺ عن رد الإساءة بإساءة مثلها؟ فكيف بردّ الفاحشة بفاحشة مثلها؟

إن التعامل بالمثل، وردّ الفاحشة بمثلها، هو ما جاء به الكتاب المقدس، حيث قال:

مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون مُلتوياً. (صموئيل الثانى٢٢: ٢٧)

هكذا قال الرب ها أنذا أقيمُ عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالسِّر وأنا أفعل هذا الأمر قُدّام جميع إسرائيل وقُدّام الشمس. (صموئيل الثانى١٢: ١١-١٢)

أتدرون مِن مَن، ولمن هذا الكلام؟ إنه - بزعمهم - من الله سبحانه وتعالى لسيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والدليل على ذلك ماجاء فى الكلام الذى قبله من الإصحاح نفسه، والله أعلم.

س٨٨- تقولون إن دينكم ينهى عن الإسراف والتبذير، مع أنكم أشد الناس تبذيراً وإسرافاً، ألا ترون ما تفعلونه فى الحج من كثرة الذبائح التى تُعَدّ بمئات الألوف، وتركها فى مِنىً لا يستفيد منها أحد من الفقراء، ويكون مصيرها الفساد وانتشار الأمراض، وخصوصاً قبل وجود المجازر الآلية والثلاجات؟

ج٨٨- متى تُذبَح هذه الذبائح؟ إنما تُذبَح يوم النحر.. وهو أول أيام العيد، ثم تليه أيام التشريق الثلاثة التى قال رسول الله ﷺ عنها: **"أيام التشريق أيام أكْل وشُرْب وذِكْر الله"** [مُسند أحمد، صحيح الجامع:٢٦٨٩] فالمسلم مأمور بأن يوسِّع على نفسه وأهله، وعلى فقراء المسلمين فى هذه الأيام المباركة، على قدر استطاعته. ولكن لماذا سُمِّيت هذه الأيام بأيام

التشريق؟ إن إجابة هذا السؤال فى حد ذاتها رد على هذه الشبهة. لقد سُمِّيت بهذا لأن العرب كانوا يذبحون الذبائح فى مِنى، ثم يسلخونها ويقطعونها قطعاً صغيرة، ويرشونها بالملح، ويربطونها ببعضها، ويعلقونها فى اتجاه شروق الشمس، إلى أن يخرج منها الماء تماماً، وتصبح جافة مثل قوالب الطوب، وهذه الطريقة كانت تحفظ اللحم من التعفن، ليستخدموه طوال العام، بعد نقعه فى الماء عند اللزوم، ليزول منه أثر الملح، ويصبح طرياً قابلاً للطهى، وهذه الطريقة من أفضل طرق حفظ اللحم، لأن الملح ليس له أضرار جانبية مثل غيره من المواد الحافظة (وقد بُنيَت على هذه الطريقة فكرة صناعة البسطرمة) أمَّا الآن فتوجد جمعيات وهيئات خيرية تقوم بالإشراف على هذه الذبائح، والاحتفاظ بها فى الثلاجات، ثم تقوم بتوزيعها على فقراء المسلمين فى أنحاء العالم.

ونَوَدّ أن نسألكم: هل تعتبرون هذا إسرافاً، ولا تعتبرون ما جاء فى كتابكم المقدس من استخدام الذهب والجوهرات فى بناء الهيكل، وعمل مراحيضه من النحاس إسرافاً؟

والبيت الذى بناه الملك سليمان للرب طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسُمْكه ثلاثون ذراعاً... وهيَّأ محراباً فى وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب. ولأجل المحراب عشرون ذراعاً طولاً وعشرون ذراعاً عرضاً وعشرون ذراعاً سُمْكاً. وغشّاه بذهب خالِص... وغشّى سليمان من داخل بذهب خالِص. وسدَّ بسلاسل ذهب قُدّام المحراب. وغشّاه بذهب. وجميع البيت غشّاه بذهب إلى تمام كل البيت وكل المذبح الذى للمحراب غشّاه بذهب... وغشّى الكروبين بذهب... وغشّى أرض البيت بذهب من داخل ومن خارج... ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشّاهما بذهب ورصَّع الكروبيم والنخيل بذهب...ونحت كروبيم ونخيلاً وبراعم زهور وغشّاها بذهب... وعمل بيتاً لابنة فرعون التى أخذها سليمان كهذا الرواق. كل هذه من حجارة كريمة... وكان مؤسساً على حجارة كريمة حجارة عظيمة حجارة عشر أذرع وحجارة ثمان أذرع. ومن فوق حجارة كريمة كقياس المنحوتة... وعمل القواعد العشر من نحاس طول القاعدة الواحدة أربع أذرع وعرضها أربع أذرع وارتفاعها ثلاث أذرع... والأكتاف مسبوكة تحت المرحضة... وعمل عشر مراحِض من نحاس تسع كل مرحضة أربعين بثاً.

المرحضة الواحدة أربع أذرع. مرحضة واحدة على القاعدة الواحدة للعشر القواعد... وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب المذبح من ذهب والوجوه والمائدة التى عليها خبز الوجوه من ذهب. والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص والأزهار والسرج والملاقط من ذهب. والطسوس والمقاص والمناضح والصحون والمجامر من ذهب خالص. والوصل لمصاريع البيت الداخلى أى لقدس الأقداس ولأبواب البيت أى الهيكل من ذهب. وأكمل جميع العمل الذى عمله الملك سليمان لبيت الرب. وأدخل سليمان أقداس داود أبيه. الفضة والذهب والآنية وجعلها فى خزائن بيت الرب (مختصر ما جاء فى سفر الملوك الأول، الإصحاح٦و٧)

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى بأمة سيدنا محمد ﷺ أن أباح لهم الأكل من هذه الذبائح وغيرها، أمّا الأمم السابقة فكانت هناك نار تنزل من السماء لتأكل ذبائحهم كعَلامة على قبولها. وفى الكتاب المقدس توجد كلمة (مُحْرَقة) و(مُحْرَقات) عشرات المرَّات، ومنها قوله: ولما انتهى سليمان من الصلاة نزلت النار من السماء وأكلت الْمُحْرَقَة والذبائح وملأ مجد الرب البيت. (أخبار الأيام الثانى٧: ١) وقوله: ثم إن الملك والشعب ذبحوا ذبائح أمام الرب. وذبح الملك سليمان ذبائح من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة وعشرين ألفاً ودشَّن الملك وكل الشعب بيت الله... وقدَّس سليمان وسط الدار التى أمام بيت الرب لأنه قرَّب هناك الْمُحْرَقات وشحم ذبائح السلامة لأن مذبح النحاس الذى عمله سليمان لم يكْفِ لأن يَسَع الْمُحْرَقات والتَّقدِمات والشحم. (أخبار الأيام الثانى٧: ٤-٧)، والله أعلم.

س٨٩- إن الذى أخرج المسلمين من جزيرة العرب هو الجوع والفقر وليس لنشر الدين كما تزعمون.

ج٨٩- سنسلّم معكم جدلاً أنهم خرجوا يبحثون عن الطعام، فلماذا لم يكتفوا بفتح بلاد الشام المليئة بالأنهار والثمار؟ ما الذى اضطرهم أن يفتحوا البلاد الواقعة فى شمال أفريقيا، مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر، وبعض البلاد الأخرى مثل الأندلس، حتى وصلوا إلى مشارف فرنسا؟ وهل الفقير الذى يبحث عن الطعام يعرِّض نفسه للحروب - وهى مظنّة الهلاك - بعدما وجد بُغيته؟ إننا نجد الأغنياء مستعدِّين لدفع آلاف الجنيهات

ليجنِّبوا أنفسهم وأولادهم الدخول فى الحروب التى تحرمهم من رَغَد العيش الذى ينعمون به، ولكن هؤلاء الصحابة ﷺ ما خرجوا إلا لنشر دين الله جل وعلا، والذى يقرأ سِيَرَهم يعلم أهم رغم كل الفتوحات التى مَنَّ الله ها عليهم لم تغرهم الدنيا، ولم تشغلهم عن عبادة رهم، وكانوا كلما انتهوا من فتح بلد استعدوا لفتح بلد آخر، فهل هذا فعل من يبحث عن الطعام؟ ثم إن الجزيرة العربية ظلَّت فقيرة معتمدة فى رزقها - بعد الله سبحانه وتعالى - على موسم الحج، والمعونات التى كانت تأتيها من الدول المجاورة، إلى أن ظهر فيها البترول بفضل من الله ونعمة، فلو كانوا خرجوا للبحث عن المال فلِمَ لم يبعثوا به لأهليهم، وينقذوهم من الفقر كما يفعل من يسافر للعمل فى دول الخليج، أو كما يفعل المستعمر الغربى الذى يسرق أقوات الشعوب وثرواها ويحولها لبلاده؟ إن المستعمر الغربى لم يكتفِ بتحويل الثروات، بل حوَّل الآثار والحيوانات، حتى إن الإنسان نفسه لم يفلت من قبضتهم، فحوَّلوه لبلادهم ليخدمهم، كما حدث فى ترحيل الأفارقة إلى أمريكا وغيرها، ليقوم الرجل الأسود بخدمة الرجل الأبيض، وظلَّ القراصنة المستعمرون يعاملوهم أسوأ معاملة عُرِفَت بالتفرقة العنصرية، التى ما زالوا يعانون من آثارها إلى يومنا هذا. حتى إهم سرقوا العقول الذكية من العالم الثالث بالإغراء المادى - وما زالوا يسرقوها- حتى أصبحوا ينعمون بالثراء الفاحش، ويملكون أكبر حضارة على وجه الأرض. فلو أن المسلمين الأوائل فعلوا فعلتهم لعاش أهل الحجاز فى رغد وسَعَة عيش، ولافتقرت البلاد التى فتحوها، ولكان لهم أعداء كثيرون فى كل مكان من العالم، كما للرجل الأبيض الآن، ولتمتعت الجزيرة العربية بالكراهية التى يتمتع به الغرب، وعلى رأسهم أمريكا، ولكن - ولله الحمد - لم يحدث أى شىء من هذا، بل على العكس من ذلك.. فكَمْ تنازل الحكام العرب الفاتحون لأهالى البلاد المفتوحة عن أموال الجزية، فلم يدفعها إلا القليلون، وكم شُيِّدت الدواوين والأنظمة لتنظيم جمع الخَراج، وتخفيف أموال الجبايات، إن أصاب البلاد المفتوحة جدب وقحط، وكم رغَّب الإسلام فى إكرام الجيران والضيفان، وإشاعة العدل والإحسان، حتى بين أهل البلاد المفتوحة، وأهل الذمَّة والْمُعاهَدين، والله أعلم.

س٩٠- إن انتصار المسلمين على الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية جاء بعد أن أهكتهما الحروب وأصاها الضعف، فاستغل المسلمون الفرصة وقضوا عليهما.

ج٩٠- إن الفترة التى انتصر فيها المسلمون على الروم والفرس لم تكن بينهما فيها حروب، فإن آخر حرب بينهما كانت والرسول ﷺ ما زال فى مكة، أما أول انتصار للمسلمين على الروم فكان فى موقعة (اليرموك) فى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ فكانت المدة بينهما حوالى عشرين عاماً أو أكثر، استعادت فيها كل منهما قوهّا وعددها وعتادها، أما غزوة (مؤتة) فكانت أيام الرسول ﷺ وقد سُمِّيت غزوة رغم أن الرسول ﷺ لم يحضرها لأنه كان يشاهدها ويصفها وهو فى المدينة كما لو أنه رآها رأى العين، و لم تتسم هذه الغزوة بالتكافؤ العددى، فقد كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وكان الروم مائتى ألف، فرجع المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ﷺ بعدما استشهد من الصحابة ﷺ حوالى سبعين، مقابل مائتى قتيل فى صفوف العدو. أما غزوة (تبوك) فلم يحدث فيها أى قتال بين المسلمين والروم، بعدما ذهب إليهم الرسول ﷺ ليقاتلهم، لأنهم اعتدوا على من أسلم منهم بالتعذيب والقتل، وأرادوا مهاجمة المسلمين فى المدينة، فذهب إليهم فى ثلاثين ألف مقاتل، إلى أن وصل إلى تبوك، ومكث بها حوالى عشرين يوماً ينتظرهم، ولكنهم لم يأتوا لحربه، فرجع ﷺ إلى المدينة. وفى موقعة (اليرموك) كان عدد المسلمين ستين ألفاً، مقابل مائتين وأربعين ألف مقاتل من الروم، معهم القساوسة والبطارقة والمطارنة، يرتلون لهم الأناجيل، ويدقون لهم بالنواقيس، ليثبِّتوهم فى المعركة، ورغم ذلك انتصر عليهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، الذى ذهب بعد انتصاره عليهم ليساعد سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما - فى حربه ضد الفرس، فانتصر المسلمون على الفرس والروم فى آن واحد بفضل من الله ونعمة، وليس بضعف الإمبراطوريتين كما تزعمون. والدليل على أنهما لم يصبهما ضعف أن البلاد الواقعة تحت حكمهما لم تنفصل عنهما، فقد كانت كل امبراطورية منهما تحكم مجموعة من البلاد والشعوب، ونحن نشاهد فى عصرنا أن الدول العظمى حين تضعف قوهّا يظهر فيها المتمردون والانفصاليون، وكل أهل بلدة يحاولون الوصول إلى حكم أنفسهم (حكماً ذاتياً) كما حدث عندما انهار الاتحاد السوفييتى، فقد تفرقت بعض البلاد الواقعة تحت سيطرته، وكوّنت جمهوريات مستقلة. ولا يخفى على الأريب مصادر القوة الأخرى غير العددية لجيوش الروم والفرس، فإن هناك الاستقرار فى مواقع بلادهم، وقد يقال: (الأرض تلعب مع أصحابها) فهم كانوا أدرى

بأحوالها من مياه، وتضاريس، وثغور، وطُرُق، وجسور... إلخ من العرب المنقولين إليهما، بعد المعاناة فى الغزوات وشظف العيش، وحروب المرتدين، وموت الرسول القائد ﷺ ثم لا ننسى عظمة التاريخ العسكرى والعلمى والاقتصادى، وطول أمَدْ ذلك للدولتين، وما كانت تمدهما به المستعمَرات من أمداد وعَتاد، والله أعلم.

س٩١- أنتم تزعمون أنكم تؤمنون بموسى وعيسى، ثم لا تقبلون أن تزوجوا نساءكم للرجل اليهودى أو النصرانى، فى حين أنكم تسمحون لأنفسكم بالزواج من المرأة اليهودية والمسيحية، كما قال كتابكم: {وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ} [المائدة:٥] فهل هذا من عدل الإسلام؟

ج٩١- إن المسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فحين يتزوج من اليهودية أو النصرانية فهو يؤمن برسوليهما، ولن يمنعهما من أداء شعائرهما، لأن بيننا وبين اليهود والنصارى قواسم مشتركة، كالإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر، وتحريم الخمر والزنى والسرقة وفعل قوم لوط.. إلخ. فحين تطلب منه اليهودية أن تذهب للمعبد يوم السبت - مثلاً - فلن يمنعها، وكذلك حين تطلب منه النصرانية أن تذهب إلى الكنيسة يوم الأحد - أو أى يوم - فلن يمنعها. أما لو تزوجت المرأة المسلمة من الرجل اليهودى أو النصرانى فالحال مختلف، لأنه لا يؤمن بالإسلام، فربما منعها من أداء عبادتها، فإذا أرادت - مثلاً - أن تصوم رمضان جعلها تفطر لحاجته إليها، وربما منعها من الصلاة أو الزكاة أو الذهاب للحج، بل وربما أجبرها على اتباع دينه. قد يقول قائل: لماذا تحكمون على اليهودى أو النصرانى بأنه سيمنع زوجته من أداء عباداتها، أو يجبرها على دينه؟ أليس من المحتمل أن يكون رجلاً متحضِّراً يؤمن بحرية العقيدة؟ فنقول له: ومن يضمن لنا أنه رجل متحضر يؤمن بحرية العقيدة؟ ولو فرضنا أن بعضهم عنده هذا الفكر.. فهل كل اليهود والنصارى على شاكلته؟ ثم إن هناك شيئاً آخر.. وهو أن المرأة ضعيفة الشخصية، وتتأثر كثيراً بزوجها، على عكس الرجل.. فإنه لا يتأثر كثيراً بزوجته، وهذا مُشاهد فى واقعنا، لدرجة أن كثيراً من النساء يتكلَّمنَ بطريقة أزواجهنَّ، ويستخدمنَ نفس الأسلوب، ونفس العبارات والتعليقات، لدرجة أنك تقول: سبحان الله! إن فلانة تتكلم

مثل زوجها تماماً! فلهذا يُخشَى على المرأة المسلمة أن تتأثر بدين زوجها، وتتبعه وتترك دينها، وإن لم يفرضه عليها. وهناك شيء آخر لا يَقِل أهمية - بل يزيد - وهو أن الأطفال - فى الغالب - يكونون على دين آبائهم، وليس على دين أمهاتهم، لأنه - كما قلنا من قبل - هم الأقوى شخصية، ونفوذاً وتحكّماً، ونحن لا نرضى لأولاد المسلمات أن يكونوا كفاراً. كما أن جميع القوانين الوضعية فى العالم أجمع تنسب الأبناء إلى الآباء عند تسميتهم، فهل يرضى أحد من المسلمين أن ينتسب للكافرين؟ وبتوضيح آخر: هل يرضى من كان اسمه (محمد) أو (أحمد) أن يُنسَب لبطرس أو مرقس أو يوحنا؟

ونقول للسائل: إنكم تعيبون علينا أننا لا نزوج رجالكم لبناتنا، ونتزوج بناتكم، مع أن هذا يساهم فى حل مشكلة العنوسة عندكم، فى حين أن كتابكم المقدس نهى عن هذا وذاك، وإن شئتَ فاقرأ: **وأن لا نعطى بناتنا لشعوب الأرض ولا نأخذ بناتهم لبنينا.** (نحميا١٠: ٣٠)، والله أعلم.

س٩٢- تقولون إن الجنة بها أكل وشرب وجماع، وهذا يتنافى مع كمال وجمال القرب من الله فى دار كرامته، لما فيه من كشف العورات والانشغال بالشهوات، كما أن ذلك يؤدى إلى إخراج الفضلات والقاذورات التى لا تليق بالجنات، إن هذا التمتع الذى تتشدقون به لهو تمتع بهيمى محض، ليس فيه للروح أى نصيب.

ج٩٢- إن الإنسان جسد وروح، وكل منهما له متعته، فمتعة الروح فى القرب من الله سبحانه وتعالى وذكره ومناجاته، ومتعة الجسد فى الأكل والشرب والجماع.. إلخ. والله سبحانه وتعالى قد أعدّ لأوليائه فى دار كرامته كِلا النوعين من النعيم، وهذا من تمام النعيم وكماله. ومن الأحاديث التى وردت فى المتعة النفسية لأهل الجنة قوله ﷺ: **"إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك! والخير فى يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ وأىّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً"** [صحيح البخارى] وقوله: **"إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا"** [صحيح

الجامع:٢٣٠٦] أما الأحاديث التى ذكرت النعيم المادى لأهل الجنة فهى أكثر من أن تحصى، ومنها قوله ﷺ: **"فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوَّفة عرضها ستون ميلاً، فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن"** [صحيح الجامع:٤٢٤٣] فالنعيم فى الجنة للروح والجسد معاً، وأعلى نعيم فى الجنة هو لذة النظر إلى وجه الله الكريم. وأريد أن أسألكم.. هل أهل الجنة سيتذكرون الدنيا؟ ستقولون: نعم.. أليس كذلك؟ فما الحال إذن لو أنهم تذكروا متاع الدنيا من الأكل والشرب والجماع؟ إنهم - قطعاً - سيشتاقون إليه، فماذا يكون الحال لو أنهم لم يجدوا مثله فى الجنة؟ إن ذلك ينافى كمال متعتهم، ويكون متاع الجنة ليس مشبعاً لكل رغباتهم، لأنهم سيتحسرون على فوات هذه اللذات، وهذا ينافى قوله تعالى: {لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ} [الفرقان:١٦] ولو كان زعمكم حقاً لكانت الدنيا أفضل من الجنة، لأن الدنيا جمعت بين المتع البدنية والروحية، أما الجنة فهى للمتعة الروحية فقط. وهذه الأشياء التى تتحدثون عنها قد رَضِيَها الله لأحَبِّ خلقِه إليه، وهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أفلا يرضاها لأهل الجنة؟ ولقد حرم الله الرهبانية على المسلم فى الدنيا، أفيرضاها له فى الآخرة؟ ثم من قال لكم إن فى الجنة فضلات تنتج عن الطعام، أو مَنِيّاً يخرج بالجماع؟ قال رسول الله ﷺ: **"أول زُمرة تَلِج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوَّطون، آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألُوة، ورشْحُهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الْحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبِّحون الله بُكْرَة وعشيّاً"** [صحيح البخارى] فالنعيم فى الجنة لا يكدره شىء من بول أو غائط أو غيره.

ثم إن الذين يعترضون على النعيم الجسدى فى الجنة، جاء فى كتابهم المقدس ما يدل على هذا النعيم، وهذه بعض الأدلة:

طوبى لمن يأكل خبزاً فى ملكوت الله. (لوقا١٤: ١٥)

اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه. (يوحنا٦: ٢٧)

ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. فلما جلس تقدم إليه تلاميذه. ففتح فاه وعلَّمهم

قائلاً. طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السموات... طوبى للجياع والعطاش إلى البر. لأنهم يشبعون. (متى٥: ١-٦)

الحق أقول لكم إني لا أشرب بعد من نتاج الكَرمَة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله. (مرقس١٤: ٢٥)

وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً. لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيَّ تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر (لوقا٢٢: ٣٠)

وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكَرمَة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي. (متى٢٦: ٢٩)

ولما كانت الساعة اتكأ والاثنى عشر رسولاً معه. وقال لهم شهوة اشتهيتُ أن آكل هذا الفِصح معكم قبل أن أتألم. لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله. (لوقا٢٢: ١٤-١٦)

وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. (متى١٩: ٢٩)

وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات. (متى٨: ١١)

ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ويتكئون في ملكوت الله. (لوقا١٣: ٢٩)

بل كما هو مكتوب ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بالِ إنسان ما أعده الله للذين يحبونه. (رسالة بولس إلى كورنثوس٢: ٩)

وقد صرَّح الكتاب المقدس بأن العذاب يوم القيامة يقع على الجسد، فقال: **فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم** (متى٥: ٢٩-٣٠)

وقال: **وإن أعثرتك يدك فاقطعها. خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تُطفأ. حيث دُودُهم لا يموت والنار لا تُطفأ.**

(مرقس٩: ٤٣-٤٤)

فطالما أن العذاب يقع على الجسد، فيكون المقابل له أن النعيم للجسد أيضاً، والله أعلم.

س٩٣- لماذا تغتسلون من الجنابة؟ ألا يكفى غسل العضو الذى تنجس؟ هَبْ أن معك كيساً ملئ بالتمر، فوقعت منه تمرة فى الطين، هل تغسل كل التمر أم التى وقعت؟

ج٩٣- إن الأمر بالاغتسال أمر إلَهِى لا دخل لنا فيه، وما علينا إلا السمع والطاعة لربنا جل وعلا، ولا يعنى اغتسالنا من الجنابة أننا تنجسنا، ولكننا فعلنا ما يوجب الاغتسال، فالمؤمن لا ينجس على أيّة حال، لعموم قول الرسول ﷺ: "إن المؤمن لا ينجس" [متفق عليه] والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس مفيد للصحة الجسدية والنفسية والعقلية، وفيه تجديد للنشاط والحيوية. وقد جاء الاغتسال من الجنابة فى كتابكم المقدس، ليس هذا فحسب، بل إن الْجُنُب عندكم يصبح نجساً حتى بعد اغتساله: **والمرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ويكونان نجسين إلى المساء.**

(لاويين١٥: ١٨)

ونَوَدُّ هنا أن نلقى الضوء على بعض ما جاء فى الكتاب المقدس بشأن الطهارة والنجاسة، ليشكر المسلمين ربهم على تيسير دينهم:

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً كَلِّما بنى إسرائيل وَقُولا لهم. كل رجل يكون له سَيْل من لحمه فسَيْله نجس. وهذه تكون نجاسته بسَيْله. إن كان لحمه يبصق سَيْله أو يحتبس لحمه عن سَيْله فذلك نجاسته. كل فراش يضطجع عليه الذى له السَّيْل يكون نجساً وكل متاع يجلس عليه يكون نجساً. ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن جلس على المتاع الذى يجلس عليه ذو السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. ومن مس لحم ذى السيل يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وإن بصق ذو السيل على طاهر يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل ما يركب عليه ذو السيل يكون نجساً. وكل من مس كل ما كان تحته يكون نجساً إلى المساء ومن حملهن يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مسه ذو السيل ولم يغسل يديه بماء يغسل ثيابه ويستحم بماء

ويكون نجساً إلى المساء. وإناء الخزف الذى يمسه ذو السيل يُكسَر. وكل إناء خشب يُغسَل بماء. وإذا طهُرَ ذو السيل من سيله يُحسَبُ له سبعة أيام لطهره ويغسل ثيابه ويَرحَض جسده بماء حيّ فيطهر. وفى اليوم الثامن يأخذ لنفسه يمامتين أو فرخى حمام ويأتى إلى أمام الرب إلى باب خيمة الاجتماع ويعطيهما للكاهن. فيعملهما الكاهن الواحد ذبيحة خَطِيَّة والآخر مُحرَقة ويُكَفِّر عنه الكاهن أمام الرب من سَيْله (لاويين١٥: ١-١٥)

هذه هى الشريعة. إذا مات إنسان فى خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجساً سبعة أيام. وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس. وكل من مَسَّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو مَيْتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام. فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطيَّة ويجعل عليه ماء حيًّا فى إناء. ويأخذ رجلٌ طاهرٌ زوفاً ويغمسها فى الماء وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك وعلى الذى مَسَّ العظم أو القتيل أو الميت أو القبر. ينضح الطاهر على النجس فى اليوم الثالث واليوم السابع. ويطهره فى اليوم السابع فيغسل ثيابه ويَرحَض بماء فيكون طاهراً فى المساء. وأما الإنسان الذى يتنجس ولا يتطهر فتُبَاد تلك النفس من بين الجماعة لأنه نجّس مَقدِس الرب. ماء النجاسة لم يُرَش عليه. إنه نجس. فتكون لهم فريضة دهرية. والذى رش ماء النجاسة يغسل ثيابه والذى مس ماء النجاسة يكون نجساً إلى المساء. وكل ما مسه النجس يتنجس والنفس التى تَمَس تكون نجسة إلى المساء (عدد١٩: ١٤-٢٢)

نلاحظ فى النَّص الأخير أن الذى يَمَسّ إنسان مات فى الخيمة يصبح نجساً سبعة أيام، ولابد أن يتطهر، وإن لم يتطهر يُبَاد من بينهم. ولكن بماذا يتطهَّر؟ يتطهَّر بماء مخلوط بغبار من رماد ذبيحة خَطِيَّة، أى أن الإنسان يتطهَّر برَماد حيوان. ليس هذا فحسب، بل إن كل من كان فى الخيمة يتنجَّس بموْت الإنسان، ولابد أن يتطهَّر بالطريقة نفسها، حتى إن الإناء الذى ليس عليه غطاء يتنجس أيضاً. والعجيب أن الذى يَمَسّ (ماء النجاسة) - الذى جُعِلَ للتطهير - يتنجَّس هو أيضاً، أى أنه ماء يُطَهِّر ويُنَجِّس فى الوقت نفسه!

لقد رأينا كيف أن الذى يَمَسّ ميتاً، أو عَظْمَهُ، أو قتيلاً، أو قبراً يتنجَّس، فى حين أن

الذى يمس تَقْدِمَة مصنوعة من الدقيق يتقدَّس، ويتقدس أيضاً إذا مسَّ ذبيحة خَطِيَّة، وها هى الأدلَّة:

وهذه شريعة التَّقْدِمَة. يقدِّمُها بنو هَرون أمام الرب إلى قُدَّام المذبح ويأخذ منها بقبضته بعض دقيق التَقدمةْ وزيتها وكل اللُّبان الذى على التقدمة ويُوقِدُ على المذبح رائحة سرور تِذْكارَها للرب. والباقى منها يأكله هَرون وبنوه. فطيراً يؤكل فى مكان مقدَّس. فى دار خيمة الاجتماع يأكلونه. لا يُخبَز خميراً. قد جَعَلْتُه نصيبهم من وقائدى. إنها قُدْس أقداس كذبيحة الخطيَّة وذبيحة الإثم. كل ذكر من بنى هَرون يأكل منها. فريضة دهرية فى أجيالكم من وقائد الرب. كل من مَسَّها يتقدَّس (لاويين٦: ١٤-١٨)

وكلّم الرب موسى قائلاً كلِّم هَرون وبنيه قائلاً. هذه شريعة ذبيحة الخطيَّة. فى المكان الذى تُذْبَح فيه المُحْرَقة تُذْبَح ذبيحة الخطيَّة أمام الرب. إنها قُدْس أقداس. الكاهن الذى يعملها للخطيَّة يأكلها. فى مكان مقدَّس تؤكل فى دار خيمة الاجتماع. كل من مَسَّ لحمها يتقدَّس. (لاويين٦: ٢٤-٢٧)، والله أعلم.

س٩٤- إن الإسلام يستغل فقر الناس لإغرائهم بالدخول فى الدين، فقد جعل القرآن بنداً من بنود الزكاة للإغراء {وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} [التوبة:٦٠]

ج٩٤- لو كان الإسلام يغرى الناس للدخول فى الإسلام عن طريق المال لَمَا فرض عليهم الجزية {قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ} [التوبة:٢٩] وهل تسمون مكارم الأخلاق إغراء؟ إذن فلماذا تقيمون المستشفيات والمبرَّات الخيرية والملاجئ، وتساعدون الفقراء فى بلاد المسلمين؟ ولماذا أنشأتم هيئة الصليب الأحمر، وغيرها من الهيئات؟

إن اختصاص بعض الناس بالعطايا ليدخلوا فى الإسلام هُوَ من رحمة الله بهم، كَمَن يرى ابنه مُشْرِفاً على الهلاك، كأن يكون قد جلس على حافة نافذة يوشك أن يتردَّى منها، أو قَرُبَ من موقد (مثل البوتاجاز) وعليه ماء مغلى يخشى وقوعه عليه، فلو زجره لانتفض ووقع فى الشارع، أو وقع عليه الماء المغلى، فماذا يفعل ليحافظ على حياته وصحته؟ إنه يدنو منه مبتسماً متحبباً إليه بشيكولاته أو غيرها ليقربه إليه، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ

ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - أمر رسوله ﷺ بإعطاء {ٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} رحمة بهم، وليس احتياجاً إليهم، فهو الغنى عن العالمين، قال رسوله ﷺ: **" قال الله تعالى: يا عبادى! إنى حرَّمت الظلم على نفسى وجعلته محرَّماً بينكم فلا تظالموا، يا عبادى! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم، يا عبادى! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، يا عبادى! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكْسُكُم، يا عبادى! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم، يا عبادى! إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى، يا عبادى! لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً، يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخِلَ البحر، يا عبادى! إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه"** [صحيح الجامع:٤٣٤٥] ومما يؤيِّد قولنا برحمة الله سبحانه وتعالى بعباده باختصاصهم ببعض العطايا لكيلا يدخلوا ناره قول رسوله ﷺ: **"إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يَكُبَّه الله فى النار على وجهه"** [صحيح البخارى]

وعلى أيَّة حال فإن إعطاء المال للناس لترغيبهم فى الدين أهون من مُمالأتهم على باطلهم لاستجلاب وُدّهم، كما جاء ذلك فى الكتاب المقدس على لسان بولس الرسول: **فإنى إذ كنتُ حُرّاً من الجميع استعبدتُ نفسى للجميع لأربح الأكثرين. فصِرْتُ لليهود كيهودى لأربح اليهود. وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس. مع أنى لستُ بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح. لأربح الذين بلا ناموس. صِرْتُ للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صِرْتُ للكل كل شيء لأُخَلِّصَ على كل حالٍ قوماً. وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه.** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٩: ١٩-٢٣) إن هذا النَّص واضح الدلالة على أن بولس الرسول كان يتعامل مع الناس بأكثر من وجه ليكسب

وُدَّهم، بغَضّ النظر عمَّا كان يعتقده، وأنه عمل هذه الأعمال ليكون شريكاً فى الإنجيل، أى أنه أضاف فيه أشياءً من عنده، والله أعلم.

س٩٥- إن الإسلام لم يكتفِ بتفضيل الرجل على المرأة فى الدنيا، بل إنه فضله عليها فى الآخرة، حيث جعل له فى الجنة من الحور العين ما شاء، أما هى فليس لها من المتعة إلا القليل.

ج٩٥- إن المرأة المؤمنة تتنعم بما يتنعم به الرجل فى الجنة من طعام وشراب وغير ذلك، إلا أن له عدة زوجات، أما هى فلها زوج واحد (وهو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة) وهو زوجها فى الدنيا إن كان من أهل الجنة، وإن لم يكن لها زوج، أو كان زوجها من أهل النار، فسيزوجها الله رجلاً آخر من أهل الجنة، وإن كانت قد تزوجت فى الدنيا بأكثر من رجل بعد طلاق أو وفاة أحدهم، فستكون لأحسنهم خُلُقا وديناً، وهذا يتناسب مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها، فمن من الرجال يرضى أن يكون لزوجته زوج غيره؟ أمَّا المرأة فصحيح أن عندها غَيْرَة، ولكنها أقل بكثير من غَيْرَة الرجل. والجنة ليس فيها أى كَدَر، فهذا القدر اليسير من غيرتها سيُذهبه الله عنها، ولا تشعر به، كما أنها ستكون مَلِكَة على الحور العين، وستُعطَى جمالاً وعذوبة صوت ورِقَّة أكثر منهن. وقد ورد أن الحور العين يَقُلن للمؤمنات: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له. فترد عليهن المؤمنات ويقلن: نحن المصليات و لم تُصَلِّين، نحن الصائمات و لم تَصُمْن، ونحن الحافظات لكتاب الله و لم تحفظن.. إلخ، فيقول الله لهن: "ليس من خلقته بيدى كمن قلت له كن فيكون". إن أمر المرأة فى الإسلام - وخصوصاً الجنسى - مبنىّ على التستر، حتى إن السنَّة فى ختان الولد أن يُعلَن عنه، وتُصنَع له وليمة، أمَّا الأنثى فيُخفَى خِفاضها (ختانها) ولا تُصنَع لها وليمة، فكذلك متعتها بالرجل فى الآخرة لا تُذكَر صراحة، بل ضمنيّاً، لأن الجنة وصفها الله سبحانه وتعالى بأن ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١] وأن أهل الجنة ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ [النحل:٣١] فما تشاؤه المرأة فى الجنة تجده، إلا أنها لن تشاء أن يكون لها أكثر من زوج، لأنه سيكون فى عينيها أجمل رجل على الإطلاق، ولأن فطرتها لن تتغير، والله أعلم.

س٩٦- يُصِرُّ المسلمون فى سائر بقاع الأرض على تطبيق الشريعة الإسلامية، مع أن هذا سيُحدث فتنة طائفية، لأن فى البلاد الإسلامية أقلّيات وأعراقاً دينية مختلفة، وهذا يسبب أعمال عنف شديدة بين هذه الفئات، ثم إن هذا التمسك بتطبيق الشريعة يُعَد مُصادَرَة للعقول المستنيرة بجعلها تابعة لا مبدعة.

ج٩٦- لقد قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٨٤] إن المسلمين يعظمون جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولم تحدث فتنة طائفية فى تاريخ تطبيق الشريعة الإسلامية، بل إن غير المسلمين قد وجدوا فى المسلمين من هم أرحم بهم من أهل دينهم (كما ذكرنا ذلك فى أكثر من موضع) فالشريعة الإسلامية لا تجعل للمسلمين حقوقاً دون غيرهم، بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فلا تقضى الشريعة - مثلاً - بقطع يد السارق البوذى ومُعافاة السارق المسلم، ولا تقضى برجم أو جلد الزانى اليهودى وترك المسلم، أو أخذ القصاص من النصرانى دون المسلم... وهكذا. وهذه الحدود كما قال عنها الشيخ الغزالى رحمه الله: (إن لم يقبلوها شريعة فليقبلوها قانوناً) والمعروف فى سائر دول العالم أن قانون الأغلبية هو الذى يطبق، وشاهد على ذلك ما يحدث فى البلاد الغربية من تطبيق حكمها على الأقليات المسلمة التى تعيش بها، وهو ما يسمونه بالديمقراطية، وهى أن قانون الأغلبية يسرى على الأقلية، ويتضح هذا فى انتخاباتهم العامَّة والمحليَّة، فرئيس الدولة يُعَيَّن كرئيس لها ولو بفارق واحد بالمئة على مُنافِسه، صحيح أنه مسموح للأقلية بالإدلاء بأصواتها، ولكن النتيجة النهائية تكون للأغلبية. والإسلام يحافظ على غير المسلم طالما أنه غير متآمر أو محارب، ولا يفرض عليه الدخول فى الدين، ويحافظ على أماكن عبادته ولا يتعرض لها بسوء، ويحمى دمه وماله وعرضه كما يحمى المسلمين، فهل يرفض تطبيق الشريعة إلا مُنتكِسو الفطرة؟ وهل يكره قطع يد السارق إلا اللصوص؟ وهل يكره رجم الزانى إلا الزُّناة؟ وهل يكره جلد شارب الخمر إلا السكّير العربيد؟ وهل يكره القصاص إلا الظلمة المعتدون؟ والأمثلة على عدل الإسلام فى تعامله مع غير المسلمين أكثر من أن تحصى، ومنها تبرئة الرجل اليهودى من

تهمة السرقة التى نُسبت إليه على عهد الرسول ﷺ والتى ورد ذكرها فى الآيات (١٠٥-١١٣) من سورة (النساء) ومنها قول الرسول ﷺ: **"ألا من ظلم مُعاهَداً، أو انتقصه حقه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طِيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٢٦٥٥] إن من لم يحافظ على الأقليات غير المسلمة يشوّه سمعة الإسلام، ويصد عن سبيل الله (بشرط ألا يكونوا محاربين، أو مُعينين للمحاربين ضد المسلمين) وقد ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم (٨٤) ما حدث بين الشاب القبطى وابن عمرو بن العاص ﷺ وحُكْم عمر بن الخطاب ﷺ بينهما. ولا يتسع المُقام لسرد الأدلة على عدل الإسلام، ولكن هذه إشارات لبعضها، والتاريخ حافل بها، لدرجة أن بعض الشعوب كانت تبعث لوُلاة المسلمين أن يذهبوا لفتح بلادهم لِمَا سمعوه عن عدلهم، ومنها ما حدث من الملك (تشارلز) ملك بريطانيا حين بعث للخليفة (المأمون) الذى كان مقر خلافته فى بغداد، ولكن المأمون حين تلقّى الرسالة سأل عن بريطانيا، فقالوا له إنها بلاد بعيدة، ولابد أن يقطع المسافر إليها البحر، فخاف على العلماء والدُّعاة والجنود من طول مسافة السفر، وخشى عليهم من الغرق، فتكاسل وتباطأ فى تلبية رغبة الملك، فانظر نتيجة تباطؤ الحكام فى تبليغ الإسلام!، والله أعلم.

س٩٧- نحن نرى أن العِلمانية هى خير طريق، فهى وسط بين الأديان منعاً للفرقة والاختلاف والطائفية، فنحن نؤمن بالله والرسل، ولكن لابد من التطوير والتحديث لنساير العصر، إذ أنه من غير المعقول أن نأتى فى القرن الحادى والعشرين ونقول برجم الزانى والزانية رغم رضا الطرفين، أو نقطع يد السارق، أو نقتل القاتل فيزداد عدد القتلى، فنحن ننظم الحياة بالطريقة التى نراها، ونساير الحضارة، ولا نعود إلى عصر الجمال والحمير.

ج٩٧- قبل أن نجيب على هذا لابد أن نعرف ما هى العِلمانية؟ إن العِلمانية هى اتباع العلم ونبذ الدين، أى تحكيم العلم فى جميع شئون الحياة، وجعل الدين قاصراً على دور العبادة والعبادات، مثل الصلاة والصيام والحج وغير ذلك من العبادات التى لا شأن لها بالسياسة، ولا الاقتصاد، ولا الفنون، ولا أى شىء من شئون الحياة. وقد ظهرت العلمانية فى أوربا، فى عصر النهضة، بعد عام ١٥١٦م بعدما قامت الثورة الفرنسية، وكان شعارها

(اشنقوا آخر قسيس بأمعاء آخر نبيل، أو اشنقوا آخر نبيل بأمعاء آخر قسيس) والنبيل معناها عندهم (الغنى أو الإقطاعى) ذلك لأن الكنيسة فى أوربا وقفت حجر عثرة فى طريق التقدم والحضارة، فكانت تحكم على كل جديد بالْحُرْمَة، وأنه من عمل الشيطان، وحاربت العلم والعلماء، لدرجة أنهم أعدموا بعض المكتشفين والمخترعين، مثل (جاليليو) الذى قالوا عنه إنه يريد أن يرى الرب، وكانت فى حالة من التخلف والقذارة لدرجة أن طارق بن زياد حين فتح الأندلس، ووصل إلى مشارف فرنسا، وجدها لا تعرف الاغتسال، كمثيلاتها من دول أوربا التى كانت تُسَمَّى ببلاد الهَمَج الهامِج، لدرجة أنهم كانوا يعتبرون الاغتسال عقوبة، وكانت عندهم حمامات يغسلون فيها من يريدون معاقبته، فلما كثر فيهم تقتيل العلماء، وتعذيبهم، ومنعهم من العلم، بفتاوى هؤلاء القسيسين، وتحكّم فيهم الأغنياء، وأذلوهم، وساموهم سوء العذاب، ثار عليهم دُعاة النهضة والإصلاح، وقتلوا القساوسة والنبلاء، ونادوا بفصل الدين عن الحياة، فهمَّشوا الكنيسة، وجعلوها قاصرة على العبادات فقط، وليس لها أى دخل فى شئون الحياة، وانطلقوا فى أبحاثهم، وتقدموا فى علومهم التى اقتبسوها من علماء المسلمين فى الأندلس، وأصبح منهجهم - إلى اليوم - أن يؤمنوا بالعلم ويحكّموه فى حياتهم، حتى لو خالف ما جاءت به شريعتهم الكَنَسيَّة، وسنُّوا القوانين، وأقاموا نُظُم الحكم على أساس تفكيرهم، بغض النظر عن دينهم ورجاله. أما الإسلام فلم يقف كحجر عثرة فى طريق العلم، ولم يعاقب العلماء، ولم يحرِّم ما يقومون به من أبحاث علمية نافعة كما فعلت الكنائس فى أوربا فى القرون الوسطى، وكذلك فإنه لم يفرق بين الدين والدولة، فليس فيه (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) بل {إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ} [آل عمران:١٥٤] {قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

ثم كيف نحكم أنفسنا بأنفسنا؟ إننا ضعفاء قاصرو العلم والفكر، ولا نعلم الخير لأنفسنا كما يعلمه ربنا، وكذلك الشر، ونختلف فيما بيننا فى تصوُّر هذا الخير والشر، وكل منا له وجهة نظره التى يعتبرها أفضل من وجهة نظر الآخرين، وهذا لا يجمع شمل الناس على منهج واحد، كما نرى دولاً شيوعية وأخرى رأسمالية، ودولاً اشتراكية وأخرى ديمقراطية،

وكل من هؤلاء يظن أن نظامه أفضل من النظم الأخرى. إن صانع الشيء هو الذى يعلم ما يصلحه وما يفسده، وهو الذى يضع له قوانين تشغيله وحمايته (وهو ما يسمى بالكتالوج) فهل تُصلِح سيارتك عند الجزار؟ أو غسالتك عند النجار؟ - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - فالذى خلقنا هو الذى شرع لنا قوانين حمايتنا، وسعادتنا، بما وضعه لنا من منهج لحياتنا {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الملك:١٤] أمَّا الحدود - سواء حد القتل أو السرقة أو غير ذلك - فقد أجبنا عنها فى مواضعها.. وبالله التوفيق. والواقع أكبر شاهد على انتشار جرائم الزنى، والسرقة، والقتل، فى البلاد التى لا تطبق شرع الله جل وعلا، وكثُرَ فيها تحايُل الناس على القوانين الوضعية بتقديم الشهادات الطبية التى تدَّعى أن حالتهم النفسية غير سوية، حتى لا تطبق عليهم العقوبات الوضعية، كعقوبة القتل أو السرقة أو غير ذلك.

إن الإسلام عقيدة وعمل، وهذا العمل يشمل العبادات، وجميع شئون الحياة السياسية، والاقتصادية والثقافية.. إلخ. وهل أتى بالشرور والمصائب فى البر والبحر إلا مخالفة الشرع؟ {ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم:٤١] وهل أتى بالأمراض المهلكة، مثل الإيدز، والسيَّلان، والجُذام والزُّهَرى، وغير ذلك من الأمراض والأوبئة إلا مخالفة الشرع؟ حتى جنون البقر فسببه مخالفة الشرع، لأنهم أطعموه العلف المصنوع مما نَفَقَ وتبقى من الأبقار، والحيوانات الأخرى بعد تجفيفها وطحنها، قال رسول الله ﷺ: **"يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقِصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسِّنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمْطَروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان فى أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل، ويتحرَّوْا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"** [صحيح الجامع:٧٩٧٨]، إن أعلى معدلات الجرائم من سرقة، واغتصاب، وقتل، هى فى الدول التى لا تدين بالإسلام، أو التى لا تحكِّم شرع الله، حتى إن أمريكا —

وهى أكثر الدول تقدماً - بها أعلى نسبة من حوادث السيارات فى العالم، وذلك بسبب الخمر. وليست خطورة الخمر قاصرة على هذه الحوادث، بل إنما السبب فى انتشار الكثير من أمراض الكبد والكُلَى، فلو كان رأيهم عن العلمانية صحيحاً لكانت هذه الجرائم والأمراض عندهم أقل من البلاد التى تطبق الشريعة (كالسعودية مثلاً) إن تطبيق الشريعة يجعل الإنسان آمناً على نفسه وماله وعِرضه، حافظاً لبدنه وعقله، وذلك بما شرعه الله له من قوانين حمايته مما يضره، وبما شرعه من الحدود الرادعة لمن يتعدى عليه بقتل، أو قطع طريق، أو سرقة، أو اغتصاب، أو غير ذلك. إن من قُطعِت أيديهم بسبب السرقة من عهد الرسول ﷺ إلى عهد على بن أبى طالب ﷺ ستة أفراد، وكان تطبيق الحدود فى هذه الفترة على أشدّه، أما الآن - ولغياب تطبيق الحدود - فإن أموال الناس وأقوات الشعوب تُنهَب، دون أى رادع من تقوى أو قانون، وهل يفهم الإنسان تنظيم حياته أكثر من ربه؟ وهل فرض علينا الإسلام أن نركب الجمال أو الحمير بدلاً من السيارات؟ وانظروا على أحوال من تسمونهم متشددين، أو أصوليين، أو متطرِّفين - أو حتى من تسمونهم إرهابيين - هل حرَّموا على أنفسهم ركوب القطارات، والسيارات، والطائرات؟ وهل حرَّموا استخدام الثلاجات، والتليفونات والكمبيوترات، والتلكسات... إلخ؟ فلماذا تظنون أن تطبيق الشريعة يعود بالإنسان إلى عصر الحمير والجمال؟ إن هذا العِلمانى الذى سأل هذا السؤال لا يريد التقيُّد بالشرع، حتى لا يحرم نفسه من ملذاتها وشهواتها، فهو يريد أن يطلق العَنان لنفسه دون النظر لعاقبته، والله أعلم.

س٩٨- إن نبيكم يمسح على ظهر الْخُفِّ فى الوضوء، وكذلك أنتم تفعلون، أليس من الأحرى أن تمسحوا على باطن الخف لأنه أقذر؟

ج٩٨- أولاً: إن الدين بالنقل وليس بالعقل (كما قال على بن أبى طالب ﷺ) ولو كان الدين بالعقل لكان الاغتسال من الغائط أوْلى من الاغتسال من الجنابة. ثانياً: لو فرضنا أن المسح كان أسفل الخف.. فماذا يحدث لو كان الخف مليئاً بالتراب؟ إن هذا التراب سيتحول إلى طين لو مسحنا عليه بالماء، وسيلوِّث المساجد. ولا أقول إن هذه هى الحكمة، ولكنها مجرد فكرة، والله أعلم.

س٩٩- هل الأغنياء الصالحون عندكم أفضل عند الله من الفقراء الصالحين؟ فإن

نبيكم حينما اشتكى له الفقراء من مشاركة الأغنياء لهم فى الذكر والطاعة، وتفوقهم بالعتق والصدقة، قال لهم: {ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ}

ج٩٩- إن القاعدة المعروفة عند المسلمين هى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات:١٣] فالتقوى هى المعيار الوحيد للتفضيل، فربما تفوق الغنى على الفقير، أو الفقير على الغنى بناءً على هذه القاعدة، وكلاهما مُبتلَى {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥] فالغنى مُبتلَى بغناه {فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ} [الفجر:١٥] والفقير مُبتلَى بفقره {وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ} [الفجر:١٦] والقاعدة عند العلماء أنه كلما ثَقُلَ مالك ثقل حسابك. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل أبواب الطاعات كثيرة جداً، فمن لا يقدر على بعضها، فبوسعه أن يجتهد فى البعض الآخر، فمن لا يقدر على الصدقة فأبواب الخير كثيرة أمامه، من صيام وقيام وبر الوالدين وصلة الرحم وإحسان إلى الجار... إلخ. ليس هذا فحسب.. بل إن الفقير الذى يتمنى أن يتصدق ولا يملك فإن الله سبحانه وتعالى يكتب له أجر المتصدقين، قال رسول الله ﷺ: **"ثلاث أقسِمُ عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلِمَ عبد مَظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عِزّاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدِّثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رَحِمه، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النيَّة يقول: لو أن لى مالاً لعملتُ بعمل فلان، فهو بنِيَّته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط فى ماله بغير علم، لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رَحِمه، ولا يعمل لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان، فهو بنِيَّته فوزرهما سواء"** [صحيح الجامع:٣٠٢٤] وقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ الغنى الشاكر أم الفقير الصابر؟ فمنهم من رجح الأول، ومنهم من رجح الثانى. والشاكر ليس معناه الذى يقول الحمد لله، ثم يفعل فى ماله ما يشاء بدون أى ضوابط شرعية، ولكن الشاكر هو الذى يُصَرِّف نعم الله فيما أرضاه، فلا يخرجه غناه عن طاعة مولاه، مع قوله الحمد لله، قال رسول الله ﷺ: **"نِعْمَ المال الصالح مع الرجل الصالح"** [صحيح ابن حِبّان] والصابر ليس بالمتسخِّط على قَدَر الله، الذى

يشتكى لخلق الله، ولكنه الصابر المحتسب، الذى لا يلجأ للكسب الحرام، مهما كان فيه، ولا يشتكى لغير الله، ولا يذل نفسه لأحد سواه، قال رسول الله ﷺ: **"من سأل شيئاً وعنده ما يُغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم"** قالوا: وما يغنيه؟ قال: **"قدر ما يغدّيه ويعشّيه"** [صحيح الجامع:٦٢٨٠] وقال: **"لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى الجبل، فيجيء بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيَكُفّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه"** [صحيح الجامع:٥٠٤١] (هناك تفاصيل فى كتب الفقه عن الحالات التى يجوز فيها السؤال)

وهل يعيب ديننا أنه يحث على الزكاة والصدقة، فيفتح أبواب الخير للغنى والفقير معاً؟ أما الغنى فسيزيده الله سبحانه وتعالى فى الدنيا {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:٧] وفى الآخرة سيجازيه على طاعته، وامتثال أوامره، وأما الفقير فيسد حاجته فى الدنيا بمعاونة إخوانه، ويجزيه فى الآخرة على صبره خير الجزاء {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:١٠] والزكاة جعلها الله سبحانه وتعالى غير مرهقة للغنى، أى أنها ليست عبئاً عليه، فهى ربع عشر ماله (مع اختلافات بسيطة فى بعض أنواع المال) وبذلك يسهل عليه إخراجها، ومن ثَمَّ يثاب عليها. أما عندكم فالزكاة تعجيزية، بمعنى أنها تطالب الغنى بالتصدق بكل ماله، إن كان يريد دخول الجنة، وإن لم يفعل فلن يدخلها، وها هو الدليل من كتابكم المقدس:

بِعْ كل مالك ووزّع على الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالَ اتبعنى. (لوقا١٨: ٢٢) فلما سمع رجل غنى ذلك الكلام من المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – حزن لأنه لا يستطيع التصدق بكل ماله، فلما رأى المسيح حزنه قال: **ما أعسر دخول ذَوِى الأموال إلى ملكوت الله. لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله.** (لوقا١٨: ٢٤-٢٥)

أما نبينا ﷺ فيقول: **"يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام"** [أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح] أى أن الأغنياء لن يُحرموا من دخول الجنة، ولكنهم سيدخلونها بعد الفقراء بخمسمائة عام، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى، لأن الفقراء حُرِموا فى الدنيا، فلابد أن يعوضهم الله يوم القيامة، والله أعلم.

س١٠٠- إن الإسلام يتدخل فى حرية الناس الشخصية التى لا تضر أحداً، مثل تحريم الذهب والحرير على الرجال.

ج١٠٠- إن مسألة تحريم الذهب والحرير على الرجال أمر تعبُّدى، وليس كما يقول البعض إنه منعاً للترف، إذن فلماذا لم يحرم الماس والأحجار الكريمة عليهم؟ فلو كان النهى عنهما منعاً للترف، لكان الأولى منع ما هو أكثر منهما ترفاً. والإسلام لم يحرم على الرجال أنواعاً كثيرة من الأقمشة، ربما تفوق الحرير فى ثمنها، ولم يحرم عليهم التزيُّن، بل إن الله أمرهم به فى قوله تعالى: {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ} [الأعراف:٢١] ولكن بغير إسراف ولا مخيلة، قال رسول الله ﷺ: **"كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا فى غير إسراف ولا مخيلة"** [صحيح الجامع:٤٥٠٥] ومعلوم أن المحرَّم على الرجال هو الحرير الطبيعى فقط وليس الصناعى، وحتى الطبيعى مسموح به فى حالات الإصابة ببعض الأمراض الجلدية، كما سمح بذلك رسول الله ﷺ.

والذين يتعجبون من تحريم الذهب والحرير على الرجال، يشجعونهم على (الإخصاء) مع ما فيه من حرمانهم مما أحله الله لهم من النكاح والتناسل اللازم لعمارة الأرض، فيقول العهد الجديد (الإنجيل):

لأنه يوجد خصيان وُلِدوا هكذا من بطون أمهاتهم. ويوجد خصيان خصاهم الناس. ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات. من استطاع أن يقبل فليقبل (متى١٩: ١٢)

مع أن هذا يتناقض مع ما جاء فى العهد القديم (التوراة) حيث تقول:

لا يدخل مَخصِىّ بالرَّض أو مجبوب فى جماعة الرب. (تثنية٢٣: ١-٢)، والله أعلم.

س١٠١- إن الإسلام يقف حجر عثرة أمام الإبداع والفنون، خصوصاً السينما والمسرح والأوبرا والباليه، ويعطل الإبداعات والملكات الذكية عند الموهوبين، خصوصاً فى مجال الفن.

ج١٠١- عجباً لكم أيها القوم، أتسمون الدعارة والفحش والرذيلة فنّاً؟ أى فن هذا الذى يسمح للمرأة أن تنام بجوار رجل أجنبى عنها، بدون أدنى حياء، على مرأى ومسمع من الآخرين؟ بل ويفعل معها ما لو ذكرناه لدنَّس هذا الكتاب! إن الذى يرضى عن هذا

- ولو برؤيته أو سماعه فقط - فهو آثم، قال رسول الله ﷺ: **"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"** [صحيح الجامع: ٦٢٥٠] هذا فضلاً عن إشاعة الفواحش والرذائل بين الناس، وصرفهم عن دينهم، وتعليمهم فنون السرقة والإجرام وغير ذلك مما تأباه الفِطَر السليمة. إن هؤلاء الفنانين - كما تقولون - ومن عاونهم على فعلهم، أو أباحَه لهم، ليستحق العقوبة فى الدنيا قبل الآخرة، فمنهم من يستحق الرجم، ومنهم من يستحق الجلد، ومنهم من يُنفَى من الأرض، ومنهم من يُعزَّر.

إن تسميتكم لهذه الأشياء بغير أسمائها كالذى يشرب الخمر ويقول إنها ليست خمراً، ولكنها بيرة، أو كونياك، أو شامبنيا، أو مشروبات روحية، أو غير ذلك من الأسماء الكاذبة. إن ما يقال عنه (فن الباليه) مستورد من روسيا الملحدة التى لا تدين بدين، ولا تعترف بالخالق العظيم، ولا يرضى من عنده أدنى قدر من الرجولة أن يُفعَل مع زوجته أو ابنته أو اخته ما يُفعَل مع هذه الراقصة. ونحن نتعجب.. لماذا لا يُطلَق لقب (فنان) على الطبيب الحاذق، أو المهندس البارع، أو الصانع الماهر؟ لماذا يكون لقب (الفن) قاصراً على الهابطين والهابطات؟ حتى إنه قد وصل الأمر إلى أناس يسبُّون الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ويستهزئون بالله واليوم الآخر، ثم يقال عنهم إنهم مفكِّرون وأدباء ومُبدعون، ويُكرَّمون ويُعطَوْن أعلى الجوائز، كجائزة (نُوبِل) فهل الكفر والإجرام والوقاحة إبداع؟ إن هذا قلب للموازين، ووضع للأمور فى غير موضعها، قال رسول الله ﷺ: **"سيأتى على الناس سنوات خدَّاعات، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم فى أمر العامَّة"** [صحيح الجامع: ٣٦٥٠]

ونحن نظن أن السائل استباح الرقص والغناء والمزامير لأن كتابه المقدس اعتبر بعض هذه الأشياء من العبادة، حيث يقول:

مُكَلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنِّمين ومرتلين فى قلوبكم للرب. (رسالة بولس إلى أفسس ٥: ١٩)

غنُّوا للرب أغنية جديدة (إشعياء ٤٢: ١٠)

فأخذت مريم النبيَّة أخت هارون الدُّف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم. رنِّموا للرب فإنه قد تَعَظَّم. (خروج١٥: ٢٠-٢١)

اسمعوا كلمة الرب أيها الأمم وأخبروا فى الجزائر البعيدة وقولوا مُبَدِّد إسرائيل يجمعه ويحرسه كَرَاعٍ قطيعَهُ. لأن الرب فَدَى يعقوب وفكَّه من يد الذى هو أقوى منه. فيأتون ويرنِّمون فى مُرتفع صهيون ويَجرُون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر. وتكون نفسهم كجنَّة رَيًا ولا يعودون يذوبون بعدُ. حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً وأحَوِّل نوْحهم إلى طرب وأعزِّيهم وأفرِّحهم من حزنهم. وأروى نفس الكهنة من الدَّسَم ويشبع شعبى من جُودى يقول الرب (إرميا٣١: ١٠-١٤) (نلاحظ رقص الرجال والنساء مع بعضهم)

فأُخبِرَ الملك داود وقيل له قد بارك الرب بيت عوبيد أدوم وكل ما له بسبب تابوت الله. فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد أدوم إلى مدينة داود بفرَح. وكان كُلَّما خطا حاملوا تابوت الرب ستَّ خطوات يذبح ثوراً وعجلاً معلوفاً. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب. وكان داود متنطقاً بأفود من كتان. فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق... فأدخلوا تابوت الرب وأوقفوه فى مكانه فى وسط الخيمة التى نصبها له داود وأصعد داود مُحرَقات أمام الرب وذبائح سلامة. ولما انتهى داود من إصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم رب الجنود. وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجالاً ونساء على كل واحد رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب... فقال داود لميكال إنما أمام الرب الذى اختارنى دون أبيكِ ودون كل بيته ليقيمنى رئيساً على شعب الرب إسرائيل. فلَعِبْتُ أمام الرب. (صموئيل الثانى٦: ١٢-٢١) هل هذا يُعقل؟ نبى يرقص ويوزع الخمر ويلعب؟ وأمام مَن يلعب؟ يلعب أمام الرب؟ وهل الله سبحانه وتعالى يرضى عن هذا اللعب؟ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، والله أعلم.

س١٠٢- لماذا يقول القرآن: {ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ} [النساء:٣٤] ولماذا يقول نبيكم: "لن يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة" [صحيح الجامع:٥٢٢٥] أليس هذا تفضيلاً للرجل على المرأة؟

ج١٠٢- لقد ورد قدر كبير من الرد على هذه الشبهة فى الرد على الشبهة رقم (٧١) وهو مختصر فى كون الرجال أرجح عقلاً، وأصوب رأياً، وأقوى جسداً، وأكثر تحمُّلاً، وأضبط لعواطفهم من النساء. وقوامة الذكر على الأنثى أمر فطرى حتى فى المملكة الحيوانية، ولو أننا قمنا بعمل استطلاع للآراء، لوجدنا أن معظم النساء يفضّلن قوامة الرجل عليهن، حتى فى الدول البوذية التى لا تدين بدين، ولا تؤمن برب العالمين. فالزوجة اليابانية - على سبيل المثال - مشهورة بأنها أفضل الزوجات، وذلك لحسن تبعُّلها وطاعتها لزوجها، وقد ملّت النساء الأوربيات من تحملهن للمسئولية كالرجال، واشتقنَ للعودة لبيوتهن، وتربية أطفالهن، كما دلّت على ذلك نتائج استطلاع آراء النساء فى تلك البلاد، والنساء أنفسهن يحتقرن الرجل الذى يخضع لامرأته، ويَصِفْنَه بعدم الرجولة. ونودّ هاهنا أن نورد بعض الأدلة من الكتاب المقدس على تفضيل الرجل على المرأة، وأنها لابد أن تخضع له، ولا يخضع لها، بل لابد أن تتعلم منه، ولا يتعلم منها، فيقول:

أيها النساء اخضعنَ لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. وهو مخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء. (الرسالة إلى أفسس٥: ٢٢-٢٤)

فإنه هكذا كانت قديماً النساء القدّيسات أيضاً المتوكلات على الله يُزيِّنَّ أنفسهن خاضعات لرجالهن كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعيَة إياه سيدها. (رسالة بطرس الأولى٣: ٥-٦)

فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهى مجد الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس١١: ٧-٩)

ولكن لستُ آذَن للمرأة أن تُعَلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت. (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس٢: ١٢) ولذلك فإن اليهود لا يسمحون للمرأة أن تكون من الأحبار، أو الحاخامات، ولا يسمح النصارى لها أن تكون شماسة أو قسيسة أو مُطرانة... إلخ، ثم يطالبوننا بأن نسمح لها بالولاية العامة!

إن قوامة الرجل على المرأة لا تعنى أنه يقهرها أو يذلّها أو لا يعطيها حقها، بل تعنى

تحمُّله للمسئولية أكثر منها، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا} [النساء:١٩-٢١] {هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ} [البقرة:١٨٧] {وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْ} [البقرة:٢٣١] {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم:٢١] {وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ} [البقرة:٢٢٨] وهذه الدرجة التى للرجال دون النساء هى درجة القوامة، وقد توعَّد رسول الله ﷺ من يظلمهن بقوله: "إنى أُحَرِّج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة" [صحيح الجامع:٢٤٤٧] وكان يوصى بهن فى قوله: "استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً" [صحيح الجامع:٩٦٠] "ليس أحد من أمتى يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كُنَّ له ستراً من النار" [شعب الإيمان للبيهقى، صحيح الجامع:٥٣٧٢] "من ابتُلِىَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار" [صحيح الجامع:٥٩٣٢] "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يُقبِّح، ولا يهجر إلا فى البيت" [صحيح الجامع:٣١٤٩] "ولا يُقبِّح" أى لا يسب، ولا يشتم، ولا يفعل أفعالاً تؤذيها أو تهينها، وكان ﷺ يحسن معاشرة زوجاته رضى الله عنهن وأرضاهن، ولما سُئِلَت عنه السيدة عائشة قالت: "كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويفعل ما يفعله الرجال فى بيوتهم" [صحيح الجامع:٤٩٣٧] وكان ﷺ يقول: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى" [سنن الترمذى وابن ماجة، صحيح الجامع:٣٣١٤] وكان عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – يقول: إنى لأتزيَّن لامرأتى كما أُحِبُّ أن تتزيَّن لى. ولكن بالرغم من أن للمرأة مثل الذى عليها، إلا أنه لابد للأسرة من قائد حتى تنضبط أحوالها، ويستقيم أمرها، وإلا- لانفرد كل فرد فيها برأيه وتصرفاته، ولتمزق شملها، ولم يستقر

أمرها، والمثل الشعبى يقول: (المركب التى لها رئيسان تغرق) فكما أن الدولة لابد لها من رئيس واحد، فلابد للأسرة من رئيس واحد، وكما أنه لا ينبغى للحاكم أن يستبد برأيه دون استشارة شعبه، فلا ينبغى للرجل أن يستبد برأيه دونها، بل يستشيرها كما استشار رسول الله ﷺ السيدة أم سلمة - رضى الله عنها - فى أمر أصحابه ﷺ حينما تباطأوا فى حلق رءوسهم، ونحر هديهم، من شدة حزنهم على عدم دخولهم الحرم عام صلح الحديبية.

أما الحديث الوارد فى السؤال بشأن تولى المرأة لأمر الدولة.. فما قلناه عن قوامة الرجل عليها، نقوله على توليها الحكم، فإذا كانت لا تصلح للقوامة على زوجها، فكيف تصلح للقوامة على بلدها؟ ولا أدلّ على عدم صلاحيتها للحكم من واقع العالم اليوم، فلو نظرنا إلى أشد الدول مُطالَبة لحقوق المرأة، ومشاركتها فى الحكم، لوجدنا أن عدد النساء الحاكمات - أو المشتركات فى الحكم - قليل جداً بالنسبة للرجال، وعلى سبيل المثال: البيت الأبيض الأمريكى، الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكى، مجلس الأمن، الأمم المتحدة، الكنيسيت الإسرائيلى، مجلس الدوما الروسى، محكمة العدل الدولية فى لاهاى، البرلمانات ومقارّ الحكم فى انجلترا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا.. إلخ.

ونقول للعالم أجمع، ولمن يثير الشبهات حول حقوق المرأة فى الإسلام: والله ثم والله ثم والله.. إن الذى ظلم المرأة فى الدول الإسلامية ليس الإسلام، ولكنه الرجل الذى لم يمتثل لأمر ربه جل وعلا، ولا لأمر نبيه ﷺ فى تكريم المرأة، فأعطى بذلك صورة مشوَّهة لدينه، والإسلام برئ من ذلك، فالمرأة فى الإسلام هى الأم والأخت والزوجة والبنت والخالة والعمَّة، وهى نصف المجتمع، وأُمّ للنصف الآخر، فكيف لا نكرمها؟، والله أعلم.

س١٠٣- نحن نرى أن رمضان يتسبب فى قلة الإنتاج، نظراً لجوع الناس وعطشهم، فترى الموظفين فى المصالح الحكومية نائمين على المكاتب، والعمّال متكاسلين، وإذا سألتهم اعتذروا بقولهم: إنه رمضان.

ج١٠٣- إن هذه التهمة قديمة من بداية حكم العِلمانيين لبعض البلاد الإسلامية، وهم السبب فى ذلك.. لأنهم يقومون أثناء شهر رمضان بعرض مئات الفوازير والأفلام والتمثيليات والمسرحيات والحفلات ومباريات كرة القدم، ويُحشد التلفاز - على غير العادة - بكل هذه السهرات الفاسدة إلى أذان الفجر وبعده، والشباب يلعبون كرة القدم

فى الشوارع ليلاً، والرجال والنساء يسهرون على المقاهى فى الأحياء الشعبية، وتقام الأمسيات الشعرية، والصالونات الأدبية، وكأنه شهز السهر والمجون، وليس شهر العبادة، فمن الطبيعى أن ينهب الناس إلى أعمالهم فى حالة من الإعياء الشديد، حتى أن طلبة المدارس والجامعات لا يستطيعون استيعاب دروسهم. فأجهزة الإعلام بدلاً من أن تعلم الناس دينهم، وتقربهم إلى ربهم فى هذا الشهر الكريم.. حولته إلى لعب ولهو، وغير ذلك مما لا يرضى الله سبحانه وتعالى، ثم بعد هذه الحيَل الماكرة، والسهرات الطويلة المرهقة يُتَّهم شهر رمضان بأنه يتعب الناس ويعطل الإنتاج، فى حين أنه شهر البركة وشهر الانتصارات والفتوحات الإسلامية. ولو أن المسلمين صلوا العشاء والتراويح ورجعوا إلى بيوتهم ليناموا مبكّرين، ثم استيقظوا قبل الفجر بساعة ليتسحروا ويصلوا الفجر فى جماعة، ثم ناموا مرة أخرى قبل العمل، لَمَا حدث ما تتحدث عنه من تكاسل العمال ونوم الموظفين على المكاتب، ولو أنهم أخروا السحور كما أمرهم نبيهم لكان سبباً فى عدم إحساسهم بالجوع والعطش الذى تتحدث عنه، ولكان سبباً فى نشاطهم، قال ﷺ: **"لا تزال أمتى بخير ما عجّلوا الإفطار وأخّروا السحور"** [مُسنَد أحمد] ومما زاد الطين بِلّة ظهور هذه الفضائيات الخبيثة - إلا قليلاً منها - وما يُبَث فيها من برامج تافهة وأخرى فاسدة مفسدة، جعلت الناس لا يسهرون على معصية الله فى رمضان وحده، بل فى السنة كلها. ونحن نتحدى أى دولة فى العالم، أن يسهر أهلها لوقت الفجر لمدة شهر كامل، ثم يستطيعوا أن يُنتجوا، أو يذهبوا لأعمالهم بنشاط، حتى ولو كانوا غير صائمين، والله أعلم.

س١٠٤- إن الإسلام لا يعطى المرأة حقها فى اختيار زوجها، ولكن وليها هو الذى يتولى تزويجها، فيقول نبيكم: "لا نكاح إلا بوَلِىّ" [صحيح الجامع:٧٥٥٥] ويقول: "أيما امرأة نُكِحَت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل" [صحيح الجامع:٢٧٠٩]

ج١٠٤- إن الإسلام لا يبيح لولى المرأة أن يفرض عليها زوجاً معيناً، ولكنه فى الوقت نفسه لا يطلق لها العنان لتختار من شاءت، ولو كان غير صالح لها، فالمرأة عاطفية بطبعها، وغالباً ما يتحكم فيه قلبها دون عقلها، وتستميلها المظاهر الخادعة، والكلمات العذبة، والوعود الكاذبة، وربما تتمنى الزواج بمن لا دين له ولا خُلُق، بل لمجرد جماله أو ماله أو

منصبه، أما وليها فهو أدرى بمصلحتها، وبمن يصونها ولا يهينها. ولكن الإسلام لا يطلق الحبل على الغارب لأولياء الأمور ليتحكموا فيمن يتولونهم من النساء - سواء بناتهم أو أخواتهم، أو من هن تحت ولايتهم - فلا يبيح للولى أن يزوجها من تارك الصلاة، أو شارب الخمر، أو سبَّاب الدين... إلخ، ولا يحل له أن يزوجها ممن لا رغبة لها فيه، ليتحقق له بهذا الزواج مصلحة شخصية، أو منفعة دنيوية، ومن حقها أن ترفض من يريد أن يجبرها على الزواج منه. ولا يحل له أن يحجزها عنده، ويتركها للعنوسة، ليستفيد من مالها، إن كان لها دَخْل خاص بها، ولا يحل له أن يمنعها من الزواج من الكُفء إذا تقدم لخطبتها، قال تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور:٣٢] وقال رسوله ﷺ: **"إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض"** [صحيح الجامع:٢٧٠] وإذا منعها من الزواج ممن تقدم لخطبتها وكان كُفؤاً لها فتسقط ولايته عليها وتنتقل لمن بعده من أقربائها، وإن لم يكن لها وَلِىّ فوَلِىّ الأمر - أو من يحل محله كالقاضى - وليها.

إن الإسلام - كما قلنا - لا يفرض على المرأة زوجاً معيناً، أما الكتاب المقدس فيفرض الزواج فى بعض الأحيان على الرجل والمرأة معاً، وذلك فى حالة المرأة التى مات عنها زوجها ولم ينجب منها، وكان لهذا الميت أخ حَى، فيجبره الكتاب المقدس أن يتزوج من امرأة أخيه حتى تنجب منه فيحيى ذكر أخيه، أى أن الولد فى هذه الحالة يُنسَب لعمِّه الْمُتَوَفَّى، ولا يُنسَب لأبيه، وإن مات هو الآخر ولم تنجب منه، فتتزوج بأخيه، ثم أخيه... وهكذا، وإليكم الدليل:

إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تَصِر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخى الزوج. والبكر الذى تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يُمحَى اسمه من إسرائيل وإن لم يرضى الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل. لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصَرَّ وقال لا أرضى أن أتخذها تتقدم

امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرِّح وتقول هكذا يُفعَل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه. فيُدْعَى اسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل (تثنية٢٥: ٥-١٠)

فى ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة فسألوه قائلين يا معلم قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه. فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات. وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه. وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة. وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً. ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة. فإنها كانت للجميع. (متى٢٢: ٢٣-٢٨)، والله أعلم.

س١٠٥- يقول نبيكم: "أفضلُ الحجّ العَجّ والثّجّ" [صحيح الجامع:١١٠١] و"العَجّ" هو رفع الصوت بالتلبية، و"الثّجّ" هو إراقة دماء الهدْى، وتقولون إن الله يحب إراقة دماء الأضاحى فى العيد، فماذا يستفيد الله من إراقة هذه الدماء؟

ج١٠٥- إن الله سبحانه وتعالى لا يستفيد من هذه الدماء، ولا من غيرها، فهو الغنى عن العالمين، والكل فقير ومحتاج إليه، قال تعالى: {لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج:٣٧] ولكن هذا تعظيم لشعائره سبحانه وتعالى {وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ} [الحج:٣٢] والمستفيد الأول والأخير من هذه الذبائح كلها هو الإنسان، وكوْن الله يحبها يجعل المسلمين يقدمونها عن طيب نفس لعلمهم بثوابها. وقد جاء فى الكتاب المقدس ما هو أشد مما تعجب منه السائل، فقد جاء فيه رش دم الذبيحة على الأبنيَة والناس، وجاء فيه أن رائحة شواء اللحم هى رائحة سرور للرب سبحانه وتعالى، وإليكم بعضاً مما جاء فيه لأننا لا نستطيع أن نذكره كله لكثرته:

فجاء موسى وحدَّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكَّر فى الصباح وبنى مذبحاً فى أسفل الجبل واثنى عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثنى عشر. وأرسل فتيان بنى إسرائيل فأصعدوا مُحْرَقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه فى الطسوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب. فقالوا كل ما تكلم

به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هُوَذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال (خروج٢٤: ٣-٨)

وتأخذ الكبش الثانى. فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش. فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أُذُن هارون وعلى شحم آذان بنيه اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى. وترش الدم على المذبح من كل ناحية. وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح على هارون وثيابه وعلى بنيه وثياب بنيه معه. فيتقدس هو وثيابه وبنوه وثياب بنيه معه. ثم تأخذ من الكبش الشحم والإليَة والشحم الذى يغشى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما والساق اليمنى. فإنه كبش مِلء. ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورُقاقة واحدة من سلَّة الفطير التى أمام الرب. وتضع الجميع فى يدى هارون وفى أيدى بنِيه وترددها ترديداً أمام الرب. ثم تأخذها من أيديهم وتوقدها على المذبح فوق المحرقة رائحة سرور أمام الرب. وقود هو للرب (خروج٢٩: ١٩-٢٥)

وكلم الرب موسى وهارون قائلاً هذه فريضة الشريعة التى أمر بها الرب قائلاً. كلّم بنى إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها ولم يَعلُ عليها نِير فتعطونها لألعازار الكاهن فتخرج إلى خارج الْمَحَلّة وتذبح قُدَّامَه. ويأخذ ألعازار الكاهن من دمها بأصبعه وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات. وتُحرَق البقرة أمام عينيه. يُحرَق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها. ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفاً وقِرمزاً ويطرحهن فى وسط حريق البقرة. ثم يغسل الكاهن ثيابه ويَرحَض جسده بماء وبعد ذلك يدخل الْمَحلّة ويكون الكاهن نجساً إلى المساء. والذى أحرقها يغسل ثيابه بماء ويرحض جسده بماء ويكون نجساً إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلّة فى مكان طاهر فتكون لجماعة بنى إسرائيل فى حفظ ماء نجاسة. إنها ذبيحة خَطيّة. والذى جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء. فتكون لبنى إسرائيل وللغريب النازل فى وسطهم فريضة دهريَّة (عدد١٩: ١-١٠)

لكن بِكْر البقر أو بِكْر الضأن أو بِكْر المعز لا تقبل فداءه. إنه قُدس. بل ترش دمه

على المذبح وتوقد شحمه وقوداً رائحة سرور للرب. (عدد١٨: ١٧)

وعُشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت تَقْدِمَة لكل خروف. مُحْرَقة رائحة سرور وقوداً للرب. (عدد٢٨: ١٣)

برائحة سروركم أرضى عنكم (حزقيال٢٠: ٤١) وقد وردت عبارة (رائحة سرور للرب) كثيراً جداً فى الكتاب المقدس، وخصوصاً فى سِفر اللاويين، الإصحاح الأول والثانى، والله أعلم.

س١٠٦– إن القرآن يحل مشكلة الخيانة الزوجية بمجرد القسم وتنتهى المسألة، فيقول: {وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ} [النور:٩]

ج١٠٦– ماذا تريدون أن نفعله مع من اتهمها زوجها بالزنى؟ هل تريدون أن يفضحها، فيأتى بثلاث رجال معه ليشهدوا عليها، فيزيد الطين بِلّة؟ أم هل تريدون أن نقيم عليها الحد بمجرد شهادته، وقد يكون كاذباً؟ إن الإسلام يفرق بينهما بعد هذه الملاعَنة، وَيَكِل أمرهما إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الذى يحاسبهما. ولقد جاء فى كتابكم المقدس أن الذى يرمى زوجته بالزنى يأتى بها إلى الكاهن، فتكشف رأسها أمامه، ويسقيها ماء اللعنة (وهو ماء مخلوط بتراب)، فإن كانت مخطئة تتورم بطنها، ويصاب فخذها بالشلل، وتصبح ملعونة بين شعبها، وهذا ملخص ما جاء بهذا الشأن:

وكلّم الرب موسى قائلاً كلّم بنى إسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة... يأتى الرجل بامرأته إلى الكاهن ويأتى بقربانها معها عُشر الإيفة من طحين شعير لا يَصُبُّ عليه زيتاً... فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ويأخذ الكاهن ماءً مقدّساً فى إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذى فى أرض المسكن ويجعل فى الماء... ويكشف رأس المرأة... ويقول الكاهن للمرأة يجعلكِ الرب لعنة وحلفاً بين شعبكِ بأن يجعل الرب فخذكِ ساقطة وبطنكِ وارماً. ويدخل ماء اللعنة هذا فى أحشائكِ لورم البطن ولإسقاط الفَخذ. فتقول المرأة آمين آمين. ويكتب الكاهن هذه اللعنات فى الكتاب ثم يمحوها فى الماء الْمُر ويسقى المرأة ماء اللعنة الْمُر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة... ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رَجُلها يدخل فيها ماء

اللعنة للمرارة فيَرِم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة فى وسط شعبها. وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع (عدده: ١١-٢٨) إذا كان ماء اللعنة يفرق بين الخائنة لزوجها والبريئة، فهيًّا ائتونا بالكهنة، ليحلوا مشاكل الخيانة الزوجية فى العالم، ويوفروا على معامل الأبحاث تحليلات الدى إن إيه (DNA) الباهظة الثمن، والتى تحتاج لتقنيات ومهارات عالية لتثبت نسب الولد لأبيه من عدمه، والله أعلم.

س١٠٧- هناك خلل فى بعض حالات الميراث، كما نراه فى مسائل العُول. ومثاله: ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختاً شقيقة وأُمًا، فلو قلنا: للزوج النصف لعدم وجود الفرع الوارث لبقى فى التركة النصف، فلو أعطيناه للأخت لم يبقَ للأم شيء، ويضاف لذلك سدس الأم فتعُول المسألة.. يعنى أن المستحق أكثر من أصل التركة، فكيف تزيد السهام عن أصل التركة؟

ج١٠٧- أولاً: لقد جاء الميراث فى الإسلام بعد أن كان المال كله يذهب للقوىّ من ورثة الميت الذى يستطيع أن يحمى الأسرة، ويركب الدابة من بعده، وليس للفقراء، ولا للإناث فيه من نصيب، بل كانوا يُورَّثون كما يورث المتاع، فجاء الإسلام بالميراث على هذا النحو ليقطع النزاع، وليعطى كل ذى حق حقه، فميَّز الذكر عن الأنثى لما يلزمه ولا يلزم الأنثى من الجهاد والنفقة وغير ذلك.

ثانياً: الأحكام تُبنى على الغالب الأعَم، وليس للشاذ حكم الغَلَبة، بمعنى أن غالب المسائل ليس فيها عُول، بدليل أن هذه المسألة لم تحدث فى زمان النبى ﷺ ولا فى زمان أبى بكر ﷺ وهذا يؤكد أنه أمر نادر، وفى غالب الأحوال يكون الميراث على قدر المسألة.

ثالثاً: كان أول ظهور العُول فى زمان عمر بن الخطاب ﷺ فجمع الصحابة ﷺ واستشارهم فيه، فاتفقوا على أن ينقص قدر من نصيب كل واحد، حتى لا يُحرَم أحد، ونحن لا ننكره بل نعمل به لأن إجماع الصحابة عليه، ولا تجتمع الأمة على ضلالة. وأخذ بعض ميراث الورثة أفضل من حرمان البعض وإعطاء البعض، إذ ليس أحد منهم أوْلى من الآخر، وإن وُجِدَ بين المسلمين - كابن مسعود ﷺ - يقدم بعض الورثة على بعض فى الميراث لقوَّته، فلا يكون هناك عُول، ولكن الأخذ بالعُول أضبط وأحكم. هذا و لم يقل أحد بوجوب التساوى بين الفروض حتى تكون المسألة صحيحة، وإنما هو فضل الله يؤتيه

من يشاء. ثم إن هذه المسألة منقوضة بأمر بَيِّن.. ألا وهو (الدَّيْن) فلو افترضنا أن رجلاً مَديناً لرجل بمائتين، ولآخر بثلاثمائة، ولآخر بخمسمائة، وهم جميعاً فى درجة واحدة، ثم قضى القاضى ببيع جميع ما يجوز بيعه من ماله لوفاء دينه، فلم يجئ من ذلك إلا خمسمائة، فهل يُقدَّم واحد على واحد، بأن نعطى صاحب الخمسمائة، ثم نمنع الباقين؟ أم نعطى صاحب القليل جميع ماله ثم نعطى الباقين ما بقى من المال؟ وكيف تقسم هذه المسألة على مذهب هؤلاء؟ لا شك أن التقسيم باعتبار العُول فى هذه المسألة أَوْلى وأَحْكَم بأن نعطى كل واحد من الدائنين الثلاثة مما تحصَّل من المال قيمة ما يناسب دينه بالنسبة إلى مجموع الديون.

رابعاً: هذه الشبهة مردودة أيضاً بالرد، فلو فُرِضَ أن الميت مات عن بنت وزوجة، وأعطينا البنت النصف، والزوجة الثمُن.. فأين يذهب الباقى؟ هل نقول: إن القسمة غير عادلة، لعدم المساواة بين سهام التركة وأصلها، أم أننا نرد الباقى على الوارثتين بحسب ميراث كل واحدة منهما؟ فكما أن الوارث استفاد فى حال الرد، فلا حرج أن يَقِلّ نصيبه بالعُول عند كثرة السهام، والله أعلم.

* * *

شبهات حاقدة حول الرسول ﷺ

س١٠٨- إن محمداً أول من خالف أحكام القرآن فى الزواج، فقد أباح القرآن للمسلم أن يتزوج أربعاً، ولكن محمداً كان شهوانياً محباً للنساء، فكسر القاعدة وتزوج تسع نسوة، والغريب أن القرآن يصفه بأنه {أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:٢١]

ج١٠٨- أما لماذا لم يتقيد الرسول ﷺ بأربع لأن آية تحديد الزوجات نزلت ومعه تسع نساء، فَلِمَ لم يطلق الزيادة؟ لأن الله عز وجل حرم زوجاته على المؤمنين لأنهن أمهاتهم {ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ} [الأحزاب:٦] وفى السورة نفسها {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا} [٥٣] فإذا طلقهن فأين يذهبن؟ هل ترضون هذا لبناتكم وأخواتكم وأمهاتكم؟ ولأسباب أخرى كثيرة، فلو طلقهن فإن هذا يحزنهن، ويوغر صدور أهلهن، بل وقبائلهن. ربما يقول قائل: إن هذا الكلام ينطبق على أى مسلم إذا طلق زوجته، فإن هذا يحزنها ويوغر صدور أهلها، نعم.. ولكن الرسول ﷺ يختلف عن بقية المسلمين، لماذا؟ لأن الغضب أو الضيق من أى مسلم يكون قاصراً عليه، أما الرسول ﷺ فالضيق منه أو الغضب عليه يغضب الله عز وجل، فضلاً عن كونه صداً عن سبيل الله. أما لماذا تزوج بأكثر من واحدة؟ فإن هذا كان بأمر الله ولأسباب شرعية، ولنسأل هؤلاء المغرضين: أتزيد الشهوة أم تنقص مع تزايد العمر؟ فلو كان شهوانياً لِمَ لَمْ يعدِّد فى صباه؟ إن الرسول ﷺ ظل ممسكاً على واحدة وهى السيدة خديجة - رضى الله عنها - خمسة وعشرين عاماً هى سنوات شبابه وفتوَّته، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة، ولم يتزوج إلا بعد وفاتها، وبعد أن صار عنده ٥٣ عاماً، وكان منشغلاً بتبليغ الدعوة، وقيام الليل حتى تتفطَّر قدماه، والجهاد فى سبيل الله، واستقبال الوفود، والتصدى لمؤامرات اليهود والمنافقين والقبائل المجاورة، وغير ذلك مما لا يقدر عليه أحد لولا أن الله أعانه، فبربكم.. أَمَعَ كل هذه الأعباء فى هذه السن يتبقى له وقت أو جهد للتمتع بالنساء؟ هذا فضلاً عن حياة الزهد التى كان يحياها، حتى إنه كان يربط على بطنه حجرين من الجوع، وتمر ثلاثة أهلَّة ولم يُوقد فى بيته نار (صلوات ربى وسلامه عليه) وفضلاً عن كثرة صيامه، حتى إنه نهى

أمته عن صيام الوِصال ويصوم هو لمدة ثلاثة أيام متواصلة، فهل هذا يُبقى له شهوة؟ وهل الشهوانى يختار صغيرات السن أم العجائز؟ وهل يختار البكر أم الثيِّب؟ إن نساء رسول الله ﷺ - رضى الله عنهن - كن كلهن كبيرات السن، ماعدا السيدة عائشة، حتى إن بعضهن كنَّ أسَنّ منه، وهن السيدة خديجة، والسيدة سودة، والسيدة زينب بنت خزيمة، وكن كلهن ثيبات، ماعدا السيدة عائشة. ومعلوم أن الرجل الشهوانى يحب من زوجته أن تتزين وتلبس له أجمل الثياب، فهل هذا كان متاحاً لهن؟ إنهن حين طلبن زيادة النفقة أمره ربه أن يخيِّرهن بين الطلاق أو البقاء معه على حياة الزهد والتقشف، فقال عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا} [الأحزاب:٢٨-٢٩] فاخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة، فرضى الله عنهن وأرضاهن. لقد كانت كل زيجة لها أسبابها الخاصة، وكانت بأمر الله عز وجل، فمثلاً: السيدة سودة بنت زمعة مات عنها زوجها وكان أهلها مشركين، وكان عمرها حينئذ ستة وستين عاماً، أتترك للضياع أم لأهلها المشركين؟ وهل زواج الرسول بها يُعَد شهوة، وهى تكبره بحوالى خمسة عشر عاماً؟ والسيدة عائشة رأى فى المنام أنها زوجته، قال ﷺ: **"أُريتُكِ فى المنام مرتين يحملك الملك فى سُرقة من حرير فيقول هذه امرأتك، فأكشف عنها فإذا أنت هى، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه"** [صحيح الجامع:٩١٥] وكان زواجه منها هى والسيدة حفصة إكراماً لهما ولأبويهما، فقد كانا وزيريه، وكان زواجه من بنتيهما يتيح لهما التردد عليه وزيارته بغير حرج. أما السيدة أم سلمة، واسمها (هند بنت أبى أمية بن المغيرة) فقد كانت من أصحاب الهجرتين (الحبشة والمدينة) وقد مات عنها زوجها أبو سلمة ﷺ وله من الفضل ما له، وكان فى حجرها يتامى يحتاجون للرعاية، فكان زواجه منها إكراماً لها على صبرها وسبقها فى الإسلام، وإكراماً لزوجها برعايتها بعده ورعاية أولاده، فقد كان ﷺ يدعو الله أن يزوجها من بعده من هو خير منه. وحتى ندرك أنه ﷺ لم يكن شهوانياً.. إنه فى ليلة زواجه منها لم يجد أبناءها، فسألها عنهم، فأخبرته أنهم ذهبوا لخالهم، فلم يرضَ بذلك وأمرها بردِّهم، وقال: **"من فرَّق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبَّته يوم القيامة"** [سنن الترمذى،

صحيح الجامع:٦٤١٢] وكان يلاطفهم، ويلاعبهم، ويضعهم على حجره، ويأكل معهم، صلوات ربى وسلامه عليه. أما السيدة أم حبيبة، واسمها (رملة بنت أبى سفيان) فقد ذاقت من أبيها وأخيها الويلات، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهناك تنصّر زوجها، فأصبحت وحيدة، فبعث الرسول ﷺ للنجاشي أن يخطبها له إكراماً لها، فلو أنها رجعت لأهلها لساموها سوء العذاب. والسيدة زينب بنت جحش - بنت عمته - زوَّجها الله له لإنهاء التبنى الذى كان سائداً قبل الإسلام. والسيدة جويرية بنت الحارث كانت ضمن سَبْى غزوة بنى المصطلق، وأبوها الحارث بن أبى ضِرار زعيم القبيلة، فلما عاد الرسول ﷺ إلى المدينة ذهب إليه أبوها ليفتديها بقطيع من الإبل، ولكنه عندما وصل إلى مكان يسمى (العقيق) نظر إلى الإبل فأعجبه منها اثنان، وضنَّ بهما على المسلمين فغيّبهما (خبَّأهما) ثم أتى الرسول ﷺ وقال: لقد سبيتم ابنتى وهذه الإبل فداؤها، فقال له الرسول ﷺ: "أين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا؟" فقال الحارث: والله ما شهد ذلك أحد، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فطلب منه أن يزوجها له فزوجه إياها، فانظروا كيف كان إكرامها وإكرام أبيها بعد إسلامه، بل وإكرام أهلها، ليس فقط أن يعتقها، بل أن يتزوجها خير خلق الله صلوات ربى وسلامه عليه، وكانت بركة على قومها، فقد أعتق الصحابة ﷺ كل من فى أيديهم من أسرى بنى المصطلق - وكانوا نحو مائة - إكراماً لأصهار النبى ﷺ. والسيدة زينب بنت خزيمة كانت أسَنَّ منه، وكان زوجها قد استشهد فى غزوة أحد، ولم يكن لها أحد يؤويها، فتزوجها الرسول ﷺ وكانت تسمى (أم المساكين) لكثرة إنفاقها على الفقراء والمساكين. والسيدة صفية بنت حُيَىّ بن أخطب اليهودى كانت قد سُبِيَت فى غزوة خيبر، التى قُتِلَ فيها زوجها وأبوها وأخوها وعمها، فحررها رسول الله ﷺ وتزوجها إكراماً لها ومواساة ورحمة. أمّا كيف تتزوجه بعد قتل كل هؤلاء؟ ذلك لأنها كانت قد رأت فى المنام أن القمر فى ليلة البدر وقع فى حجرها، وحين قصَّت الرؤيا على أهلها لطمها عمها على وجهها، وقال لها: أتريدين أن تتزوجى نبى العرب؟ ولا يخفى أن زواجه من هؤلاء النسوة كان تودداً لأهلهن وقبائلهن، ليكون دافعاً لهم للدخول فى الإسلام. وهناك حكمة أخرى هى معرفة سيرته فى بيته، فإن الإنسان قد يبدو أمام الناس بمظهر العالِم العابد التقى الورع، ولكن لا يستطيع أن يفعل هذا فى

بيته، فأعلم الناس به هى زوجته، ولم تكن واحدة تكفى لذلك، لأنها إن أخبرت عن سيرته العطرة فربما كانت تُتَّهم بالتستر عليه لحبها له، أو تُتَّهم بانشغالها بأعباء الزوجية وشؤون البيت عن ملاحظة أحواله، أو بالنسيان، أما عندما تتواتر أخباره من عدة نساء - وخصوصاً أن لهن ضرائر - فإن هذا أبلغ فى التصديق، فمن طبيعة المرأة أنها تحب زوجها وتستر عليه طالما أنه لها وحدها، أمّا لو أن لها ضرائر فإن هذا أدعى لبغضه وإفشاء عيوبه، ولو بعد موته - كما يحدث بعد موت الرؤساء والزعماء - وخاصة ممن قُتِلَ من أهلها على يديه قبل إسلامها، كالسيدة صفية والسيدة جويرية، أمّا وقد اجتمعن كلهن على مدحه، وأن سره مثل علانيته فى الصفاء والنقاء والتقوى، فإن هذا أدعى لتصديقهن رضى الله عنهن وأرضاهن، ولو حدث أى شىء يخالف ذلك لأصبح شائعاً، كما شاعت القصة التى وردت فى سورة (التحريم) {وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ} إلى آخر الآية. كما أن كثرة بيوتات النبى ﷺ جعلت منها مصادر لنشر الدين والأخلاق والتشريع.. وخاصة فى أمور النساء التى لا يعرفها الرجال.

وهؤلاء المغرضون الذين يقذفون بالتهم على سيد الخلق ﷺ يُقرُّون فى كتابهم المقدس أن أنبياءهم تزوجوا بعدد كبير من النساء، كما ورد فيه عن سيدنا داود (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) أنه تزوج نساء كثيرات: **وَوُلِدَ لداود بنون فى حبرون. وكان بكره أمنون من أخينوعَمَ اليزرعيلية. وثانيه كيلآب من أبيجايل امرأة نابال الكرملى. والثالث أبشالوم ابن مَعكة بنت تلماى ملك جشور. والرابع أدونيَّا ابن حجِّيث. والخامس شفطيا ابن أبيطال. والسادس يثرعام من عَجلة امرأة داود. هؤلاء ولدوا لداود فى حبرون** (صموئيل الثانى٣: ٢-٥) كما سُمِح له أن يتزوج بعدد غير محدود من النساء: **فقال ناثان لدواد أنت هو الرجل. هكذا قال الرب إله إسرائيل. أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حِضنك وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكَذا.** (صموئيل الثانى١٢: ٧-٨)

وجدعون كان نبياً باعترافهم، والدليل على نبوته ما جاء فى (قضاة٦: ٧-٢٤) وقد تزوج بعدة نساء:

وكان لجدعون سبعون ولداً خارجون من صُلبه لأنه كانت له نساء كثيرات. وسَرِّيَّته التى فى شكيم ولدت له هى أيضاً ابناً فسماه أبيمالك. (قضاة٨: ٣٠-٣١) (سَرِيَّته) معناها أَمَته أو جاريته.

ويكفى ما ورد فى كتابهم عن سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام: **وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه.** (الملوك الأول١١: ٣) ولو كان هذا محرماً فى شريعتهم لحرمه عليهم أنبياؤهم.

ونقول لهؤلاء: إن تعدد الزوجات بالنسبة للرسول ﷺ كان تقييداً وليس إطلاقاً، لأن فى مقدور أى مسلم أن يتزوج ويطلق ويتزوج ويطلق، حتى ولو عشرين امرأة، بشرط ألا يجمع أكثر من أربع فى آن واحد، وألا يكون زواج متعة (مقيَّداً بوقت) أما الرسول ﷺ فلم يُسمَح له بأن يتزوج بغيرهن، حتى لو ماتت إحداهن أو كلهن {لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} [الأحزاب:٥٢]، والله أعلم.

س١٠٩- كيف يتزوج رسولكم طفلة عمرها ٦ سنوات وهو فى سن الشيخوخة، والفارق بينه وبينها ٤٤ سنة؟

ج١٠٩- أترضون لأنبيائكم الزنى والسرقة وشرب الخمر (وحاشاهم) ولا ترضون لنبينا الزواج؟ {إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} وكان الأولى بكم أن تقرأوا ما فى كتابكم المقدس قبل أن تلقوا باللوم على غيركم.

ثم إنه قد جاء فى (الموسوعة الكاثوليكية العالمية) التى يعتمدها الفاتيكان، وجميع الكنائس الكبرى، باعتبارها مرجعاً علمياً معتمداً.. أن يوسف النجار خطيب السيدة مريم (على حد قولهم) كان عمره ٩٠ عاماً، وكان عمر مريم - رضى الله عنها - فى وقت حملها ما بين اثنى عشر عام إلى أربعة عشر.

إن الرسول ﷺ عقد على السيدة عائشة - رضى الله عنها - وهى بنت سِت سنين، ولم يَبْنِ بها إلا وهى بنت تِسع، ومعلوم عند أطباء النساء أن كثيراً من البنات يبلغن فى هذه السن المبكرة لأسباب بيئية ووراثية وغذائية، وخصوصاً فى البلاد الحارة مثل الجزيرة العربية، وقد مر بنا أنه رأى فى المنام أنها زوجته، فكان زواجه منها بأمر الله عز وجل، وله سبحانه وتعالى حكم كثيرة بالإضافة إلى ما ذكرناه من إكرام أبيها، فقد سبق فى علمه

سبحانه وتعالى ما ستكون عليه من الحكمة والفطنة والذكاء بحيث تعى جيداً ما يقوله الرسول ﷺ وما يفعله فى بيته (وخاصة فى هذه السن المبكرة) فتنقله للأمة ليقتدوا به، كما يقولون: (التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر) فقد عاشت - رضى الله عنها - بعد الرسول ﷺ حوالى سبعة وأربعين عاماً علّمت فيها الصحابة ﷺ والتابعين سننته، حتى إنها بقيت إلى زمن تدوين الأحاديث، فنُقِل عنها الكثير والكثير، وتُعَد الثالثة فى رواية الأحاديث بعد أبي هريرة وعبد الله بن عمر ﷺ. ولو كانت كبيرة السن كبقية نسائه لَمَا عَمِّرت بعده زمناً طويلاً ولَمَا أفادت فى بيان أحاديثه وسننه للأجيال المتعاقبة إلى يوم الدين، وخصوصاً الأشياء التى لا يطلع عليها أحد، مثل معاملة الرجل لزوجته وأهل بيته، وأمور التطهر من الجنابة، وما للزوج من امرأته أثناء الصيام أو الحيض، وكذلك الأمور التى تتعلق بالمرأة وتستحى أن تسأل عنها الرجال، وغير ذلك كثير، فجزاها الله عنّا خير الجزاء. والسائل قد حكم على هذا الزواج بنظرة القرن العشرين، ولم ينظر إليه بنظرة البيئة التى كان يعيش فيها الرسول ﷺ، فقد كان هذا فى زمنه أمراً عادياً، إذ لم يكن الرسول ﷺ أول من تزوج بفتاة تصغره بهذا السن، فقد تزوج جده عبد المطلب من هالة بنت وهيب، وهى الصغيرة فى السن، مثل زوجة ابنه عبد الله، آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ، وتزوج عمر بن الخطاب ﷺ من زينب بنت على بن أبى طالب ﷺ وهو فى سن جدها، والمشركون واليهود والنصارى كانوا يتمنون للرسول ﷺ أى هفوة أو زلّة، فلو كان هذا الأمر غريباً عليهم لشنعوا به، ولفضحوه بين القبائل، ولكنه كان أمراً عادياً كما أسلفنا.

والآن نستعرض بعض ما جاء بشأن الأنبياء فى الكتاب المقدس:

وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحِم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحِثّى. فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهَّرة من طمثها. ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حُبلى. فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلىّ أوريا الحِثّى. فأرسل يوآب أوريا إلى داود... ودعاه داود فأكل أمامه

وشرب وأسكره... وفى الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوآب وأرسله بيد أوريا. وكتب فى المكتوب يقول. اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرَب ويموت... أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً.

(ملخص ما ورد فى صموئيل الثانى: الإصحاح١١)

وحدث لَمّا أخرب الله مدن الدائرة أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطاً من وسط الانقلاب. حين قلب المدن التى سكن فيها لوط وصعد لوط من صُوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن فى صوغر. فسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت البِكْر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلمَّ نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه. فنحيى من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عَمِّى. وهو أبو بنى عَمُّون إلى اليوم

(تكوين١٩: ٢٩-٣٨)

وجاء فى الكتاب المقدس افتراءً على سيدنا داود – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – أنه تزوج من بنت الملك شاول، وقدم لها أعجب مهر فى الدنيا.. أتدرون ما هو؟ لقد اشترط الملك عليه أن يأتى بمائة غُلْفَة من غُلَف الفلسطينيين، فكان داود أكرم منه ودفع مهرها مئتى غُلفَة، وإليكم الدليل:

فقال شاول هكذا تقولون لداود ليس مَسَرَّة الملك بالمهر بل بمئة غُلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين. فأخبر عبيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام فى عينى داود أن يصاهر الملك. ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى بغُلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة. فرأى شاول

وعلم أن الرب مع داود. (صموئيل الأول١٨: ٢٥-٢٨) (الغُلفَة) هى الجلدة التى تُقطَع من الذكرِ عندَ خِتانه، والله أعلم.

س١١٠- إن نبيكم رأى زينب بنت جحش فأعجبته وأحبها فأمر زيد بن حارثة أن يطلقها ليتزوجها استغلالاً لعبودية زيد بن حارثة له.

ج١١٠- لقد مر بنا أن زواج الرسول ﷺ من السيدة زينب - رضى الله عنها - كان لإنهاء التبنى الذى كان سائداً قبل الإسلام، فكان الرجل فى الجاهلية لا يتزوج زوجة ابنه الدَّعِىْ (ابنه بالتبنى) ويعتبر هذا عيباً كبيراً، فأراد الله عز وجل أن يُنهِى هذا الأمر فى شخص الرسول ﷺ ليكون أدْعَى للاقتداء به، وخاصة أن هذا الأمر كان قد تأصَّل فى النفوس لدرجة كبيرة بحيث يصعب عليهم تركه. ولو كان الرسول ﷺ هو الذى ألَّف القرآن - كما يدعى المغرضون - أو لو كتم شيئاً منه لَمَا ذكر هذه الآيات. ولنتفكر سوياً فيما ورد بهذا الشأن فى القرآن الكريم: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب:٣٧] أول دليل يناقض ادعاءهم أنه أمر زوجها أن يطلقها هو قوله عز وجل: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ} والثانى - وهو بيت القصيد كما يقولون- أنهم تأوَّلوا الآية الكريمة: {وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ} على أنه ﷺ كان يحبها ويخشى ملامة الناس! فنقول وبالله التوفيق: ما الذى كان يخفيه رسول الله؟ كان يخفى ما الله سيبديه ، أليس كذلك؟ وما الذى أبداه الله؟ هل أبدى أنه كان يحبها؟ لا- بل إنه سبحانه وتعالى أبدى زواجه منها وإنهاء التبنى، فمن هذا نعلم أن رسول الله ﷺ كان يخشى أن يُبدى للناس أن الله سيزوجه إياها، لِمَا ذكرناه من تأصُّل هذه العادة عند العرب لزمن طويل، واعتبار ذلك (أى زواج امرأة الدَّعِىْ) عيباً خطيراً. وهل كان الرسول ﷺ فى حاجة لانتظار سيدنا زيد ﷺ أن يطلقها ليتزوجها؟ إنها ابنة عمته، وكان يعرفها جيداً قبل الإسلام وقبل نزول آيات الحجاب، وكان بوسعه أن يتقدم لخطبتها، ولكنه هو الذى أمرها أن تتزوج زيداً، وكانت ترفض ذلك لشرفها، فهى قُرَشية حرة وهو عبد، ولكنها عندما نزلت الآية

الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] علمت أنه أمر من الله فوافقت، وكان سيدنا زيد يأتى الرسول ﷺ يشتكى له منها لإحساسه بتعاليها عليه، فكان يأمره بـــإمساكها مع علمه بأن الله سيزوجها له، فكل الروايات التى ذكرت أنها أعجبته ضعيفة أو موضوعة. ومن قال إنها ازدادت حسناً بعد زواجها من زيد فإن قوله مردود عليه بأنها كانت ثيِّباً حين تزوجته و لم تكن بكراً. ومن زعم أن هذه الآيات ألغت التبنى لتسمح للنبى بزواجها، نقول له: فلماذا لم تُنسَخ هذه الآيات بعد ذلك؟ أو لماذا لم يُخص الرسول ﷺ بهذا الحكم كما خُصَّ ببعض الأحكام مثل أن تهبه امرأة نفسها؟ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠] فإن هذا الأمر خاص به وحده، فلا يجوز لأى امرأة أن تقول لأى رجل: (وهبتك نفسى) كما يظن بعض الجاهلين. ثم إن الآية نفسها ترد على هذه المقولة الكاذبة، فقد بين الله سبحانه وتعالى حكمة إلغاء التبنى فى قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ فلو قالت الآية: (لكى لا يكون عليك حرج) لكان زعمهم صحيحاً، ولكنها كانت لرفع الحرج عن سائر المؤمنين.

والذين يلومون على الرسول ﷺ أنه تزوج من مطلقة ابنه بالتبنى ويعتبرونها خيانة.. جاء فى كتابهم المقدس أن يهوذا (جَدّ معبودهم) لم يتزوج من امرأة ابنه، بل زنى بها، وقد أوردنا الدليل على ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٦٣) وجاء فيه أيضاً من قصص الخيانة:

وقال الرب لى اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبَّة الرب لبنى إسرائيل (هوشع٣: ١) أى أن الله سبحانه وتعالى (بزعمهم) أمر نبيه هوشع بحب الزانية حبيبة صاحبه كمحبته لبنى إسرائيل!

بالديباج فرشتُ سريرى بمُوَشى كتان من مصر. عطَّرتُ فراشى بمُر وعود وقرفة. هَلمَّ نرتَوِ وِدّاً إلى الصباح. نتلذّذ بالحب. لأن الرجل ليس فى البيت. (الأمثال٧: ١٦-١٩)

كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبَّها أمنون بن داود. وأُحصِرَ

أمنون للسقم من أجل ثامار أخته لأنها كانت عذراء... وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شِمعى أخى داود. وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له لماذا يا ابن الملك أنت ضَعيف هكذا من صباح إلى صباح. أما تخبرنى. فقال له أمنون إنى أحب ثامار أخت أبشالوم أخى. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارَض. وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دَعْ ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزاً وتعمل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها. فاضطجع أمنون وتمارَض فجاء الملك ليراه. فقال أمنون للملك دعْ ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فآكل من يدها... فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعى معى يا أختى. فقالت له لا يا أخى لا تذلنى... والآن كلّم الملك لأنه لا يمنعنى منك. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكَّن منها وقهرها واضطجع معها. (صموئيل الثانى١٣: ١-١٤) نلاحظ فى هذه الفقرة عدَّة أمور:

أولاً: أن الكتاب المقدس وصف الذى يحض على الخيانة والزنى بالمحارم بأنه (رجلاً حكيماً جداً) وأن هذا الرجل كان ابن (شِمعى أخى داود) أى أنه يحرض ابن عمه على الزنى بأخته. ثانياً: أن أمنون كان متحرِّجاً فى أول الأمر لأن اخته كانت عذراء، أى أنه لو كانت ثيِّباً ما كان يعنيه شىء. ثالثاً: أنها قالت له: (كلِّم الملك لأنه لا يمنعنى منك) أى أن المشكلة فى أنه لم يستأذن أباها، أما لو استأذنه فلا حرج عليه، والله أعلم.

س١١١- تقولون إن نبيكم شاهد جبريل فى غار حراء.. أليس من المحتمل أن يكون قد رأى أشباحاً، أو تكون هذه حالة نفسية اعترته مثل من يرى أشياء لا وجود لها؟ وتقولون إنه كان يأتيه الوحى فيستلقى على الأرض ويغطونه بالبُردة.. أليس من الممكن أن يكون هذا تمثيلاً؟

ج١١١- لماذا أنكرتم هذا الأمر على نبينا ﷺ و لم تنكروه على معبودكم الذى قال عنه كتابكم: **فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السمَوَات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السمَوَات قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُرِرْتُ** (متى٣: ١٦-١٧) **وإذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسميَّة مثل الحمامة وكان صوتاً من السماء قائلاً أنت ابنى الحبيب بك سُرِرْتُ** (لوقا٣: ٢١-٢٢)

لقد أنكرتم على نبينا ﷺ رؤية الملاك، فى حين أن كتابكم المقدس أثبته حتى لنسائكم: **فتراءى ملاك الرب للمرأة** (قضاة١٣: ٣) **أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكَيْن بثياب بيض جالسَيْن واحداً عند الرأس والآخر عند الرِّجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً.** (يوحنا٢٠: ١١-١٢)

إن المصاب بحالة نفسية تكون له أحوال غير طبيعية يعرفها المقربون منه، والرسول ﷺ لم يُعرَف عنه قط أنه كما يقولون (يهلوس) أو تعتريه أى حالة نفسية غريبة، بل كان معروفاً بالحكمة والصدق والأمانة، وغير ذلك من الصفات الحميدة التى لا يمكن أن تكون فى رجل غير سَوِىّ. ثم إنه لو كان يتخيل.. فهل الخيال يأتى بخير؟ هل وجدنا إنساناً تخيل رؤية شيء لا وجود له، ثم بعد ذلك أخبرنا أن الذى رآه أمره بخير أو نهاه عن شر، أو وضع منهجاً لحياته؟ أما استلقاؤه ﷺ على الأرض حين كان ينزل عليه الوحى.. فإن هذا من شدة ما كان يعتريه حال نزوله عليه، لأن التقاء ملك بإنسان ليس بالأمر الهَيِّن، فالطبيعتان مختلفتان، وهذه صورة من صور نزول الوحى عليه، وهناك صور أخرى قال عنها ﷺ: **"أحياناً يأتينى - يعنى الوحى - فى مثل صَلصَلة الجرس، وهو أشده علىَّ، فيفصِمُ عنى وقد وَعيْتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأَعِى ما يقول"** [مُوَطَّأ مالك، سنن الترمذى، صحيح الجامع:٢١٣] وحالة مجيء الوحى على هيئة رجل معروفة فى الحديث الذى رواه سيدنا عمر ﷺ الذى فى [الصحيحين] حين سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة. ولو كان الرسول ﷺ يمثل كما يقولون، فهل كان يمثل العَرَق؟ إن السيدة عائشة - رضى الله عنها - تقول: ولقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصِمُ عنه وإن جبينه ليتفصَّدُ عَرَقاً [موطأ مالك، سنن النسائى] وهل كان ﷺ يمثل ثِقَل فخذه؟ لقد كان ذات مرة جالساً واضعاً فخذه على فخذ زيد بن ثابت ﷺ ثم نزل عليه الوحى فتغشَّاه الكرب كما كان يتغشَّاه، وثقلت فخذه على فخذ زيد حتى كادت أن تَرُضَّها (أى تكسرها) كما ورد فى [صحيح البخارى] وذات مرة كان راكباً ناقته القصواء، فنزل عليه الوحى، فثقل على الناقة، فناخت به حتى كادت أن توقعه على الأرض. وأحياناً كان سيدنا عمر ﷺ يسمع بالقرب من صدره أزيزاً كأزيز النحل عند نزول الوحى عليه، فهل كل هذا كان تمثيلاً؟، والله أعلم.

س١١٢- يقول نبيكم: "نُصِرْتُ بالرعبِ مَسيرَة شهر" [صحيح البخارى] وهذا يدل على أن نبيكم نبى مرعب ينصر دينه بالرعب والإرهاب، والاعتراف سيد الأدلة.

ج١١٢- فلنقرأ أولاً بعض ما جاء فى الكتاب المقدس:

لا تظنوا أنى جئتُ لألقى سلاماً على الأرض. ما جئتُ لألقى سلاماً بل سيفاً. (متى١٠: ٣٤)

جئتُ لألقى ناراً على الأرض. (لوقا١٢: ٤٩)

الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. (حزقيال٩: ٦)

وأحْرَقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. (عدد٣١: ١٠)

لأجل ذلك تأكل الآباء الأبناء فى وسطك والأبناء يأكلون آباءهم (حزقيال٥: ١٠)

نعود إلى افترائكم.. ولننظرمعاً.. متى ذُكِرَ الرعب فى القرآن؟ لقد ذُكِرَ فى أربعة مواضع لم يكن للإرهاب أو الظلم فيها مكان، فأول هذه المواضع كان فى الحديث عن موقعة بدر، وهذه الموقعة كانت لاسترداد بعض حقوق المسلمين التى اغتصبها المشركون، فأيد الله المسلمين ونصرهم على المشركين، فتغيرت بذلك نظرة العرب والقبائل المجاورة للرسول ﷺ وأتباعه، وشفى الله صدور المؤمنين بالانتقام ممن أذلوهم وساموهم سوء العذاب من كفار مكة {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال:١٢] والموضع الثانى فى الحديث عن موقعة أحد، التى كانت حرباً دفاعية، حين بغى المشركون وطغوا، وأرادوا أن يهاجموا المسلمين فى عقر دارهم، بعد أن تركوا لهم البلاد والأهل والمال، ولكنهم لم يكتفوا بذلك وأرادوا أن يقضوا على الإسلام وأهله، فحال الله عز وجل بينهم وبين ما فى قلوبهم، رغم ما أصاب المسلمين فى سبيل الدفاع عن عقيدتهم وأرضهم، فطمأنهم الله عز وجل بأنهم إذا حاربوهم مرة أخرى فسيلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} [آل عمران:١٥١] والموضع الثالث فى الحديث عن غزوة الأحزاب، حين تحزبت قريش وحلفاؤها على حرب رسول الله ﷺ وعزموا أمرهم على الهجوم عليه من جميع الجهات، ليدكُّوا المدينة عليه ومن معه، ولكن

الله خيب سعيهم، ووفق المسلمين لحفر الخندق - الذى لم تعرفه العرب من قبل - بالمشورة المباركة لسلمان الفارسى ﷺ، ليس هذا فحسب، بل ألقى الله سبحانه وتعالى الرعب فى قلوب أعدائه، وأرسل عليهم الريح الشديدة التى قلبت خيامهم، وقدورهم، وأمتعتهم، ففروا هاربين {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب:٢٥] وأمر الله رسوله بقتال بنى قريظة الذين خانوا العهد معه، وتمالأوا عليه مع المشركين، ووافقوا أن يسمحوا لهم بالهجوم على المدينة من قِبَلهم، ولكن الله عز وجل رد كيدهم فى نحورهم وفرَّق شملهم، فكانت الحرب ضدهم جزاء خيانتهم ونكثهم لعهدهم {وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [الأحزاب:٢٦] أما الموضع الرابع فقد جاء ذكره فى الحديث عن غزوة بنى النضير لما نكثوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وحاولوا قتله {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ} [الحشر:٢] فأخبرونا بربكم أى المواضع الأربعة كانت إرهابية، أو لنصر الدين بالرعب كما تزعمون؟ ثم من الذى ألقى الرعب فى قلوب الكافرين.. الله أم رسوله؟ وهل لو توحدت جيوش المسلمين للدفاع عن دينهم وأرضهم وعِرضهم، وحاربوا اليهود لتكون كلمة الله هى العليا، ويعود للمسلمين قدسهم وللفلسطينيين وطنهم، فيلقى الله الرعب فى قلوب أعدائه، فيفرون هاربين أمام جحافل المسلمين.. أيكون هذا إرهاباً؟ إن تسميته إرهاباً يُعَدُّ من باب تحريف الكلم عن مواضعه، ولا غرابة فى ذلك.. فإنها شيمة أهل الكتاب. إن غزوات الرسول ﷺ بلغت تسعة عشرة غزوة، جملة من قتلوا فيها من المسلمين والمشركين ٣٨٦، وهذا بالمقارنة مع ما فعله الصليبيون واليهود مع المسلمين لا يصل إلى الواحد بالمائة، ويساوى تقريباً عشر قتلى الفتنة التى وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت فى عيد سان بارثيلينيو. إن الدماء التى أريقت فى الحروب التى تقولون إن الإسلام انتشر بها تعتبر كقطرة فى بحر الدماء الذى صاحب تطبيق الشيوعية وسيطرة نفوذها، لقد ذبح الملحدون مئات الألوف من المسلمين فى شمال آسيا وشرقها، وبعد حرق

رفات الضحايا زعموا أن الشيوعية تدعو للسلام! وما زال الواقع القريب يشهد على المذابح الوحشية ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك، والشيشان، وفلسطين، والعراق، والصومال، وكشمير، والفلبين، وغير ذلك من بلاد المسلمين، لدرجة أن الصِّرب النصارى كانوا يشقُّون بطون الحوامل المسلمات فى البوسنة، ويرمون أطفالهن فى القِمامة، ويضعون فى أرحامهن أجِنَّة كلاب وقطط، فهل هذه أفعال آدميَّة؟ وهل بعد هذا وحشيَّة؟، والله أعلم.

س١١٣- إن نسب أنبيائنا - مثل موسى وعيسى - أفضل من نسب نبيكم، لأن آباءهم لم يعبدوا الأصنام، ولكن آباء وأجداد محمد قد عبدوها.

ج١١٣- إن هذه من الشبهات التافهة التى تعوَّدنا عليها، وقد ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم (١٦٣) أن الكتاب المقدس جعل السيد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - من نسل امرأة زانية اسمها (ثامار) ومن نسل امرأة أخرى زانية اسمها (بشثبع) وعلى أيَّة حال فلا يُشترَط أن يكون الولد مثل أبيه وأجداده، فإن أبا سيدنا إبراهيم كان كافراً، وهو أبو جميع الأنبياء، وابن سيدنا نوح كان كافراً، ولم يقدح هذا فى نبوَّته، كما لم يقدح كفر أبى سيدنا إبراهيم فى نبوَّته، فالاثنان من أُولِى العزم من الرسل. وهذا الكلام حجة عليكم، لأن الرسول ﷺ جاء ليعمل فى أرض بور خالية من التوحيد ولم يساعده أحد، أما أنبياؤكم - على جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام - فكان يساعد بعضهم بعضاً، فإبراهيم كان معه ابن أخيه لوط، وكان معه ولداه إسماعيل وإسحاق، وإسحاق كان معه يعقوب، وكان ليعقوب اثنا عشر ابناً هم الأسباط، وموسى كان يساعده أخوه هارون ويوشع بن نون تلميذه، وزكريا كان معه ابنه يحيى، وعيسى كان معه ابن خالته يحيى، وقد جاء وقومه موحدون، وهم أتباع موسى، أما الرسول ﷺ فقد أُرسِل إلى قوم مشركين ليس لهم علاقة بأى دين، ولا يؤمنون بالبعث والحساب والجنة والنار، فبينه وبين جده إسماعيل حوالى خمسة آلاف سنة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:٣] فكانت مهمته صعبة للغاية، وكأنك تأتى بقوم تريد أن توصلهم لنيل أعلى الشهادات وهم لا يعرفون القراءة والكتابة، فتبدأ معهم من الصفر، بل إن الأمر أعظم من ذلك، فتعليم القراءة والكتابة أهون من تغيير العقيدة المتوارثة على مر الأجيال،

الراسخة فى العقول والأذهان. ربما يقول قائل: إن نوحاً لم يكن معه أحد يساعده.. فنقول له: إن الرسول ﷺ قاتل فى سبيل الله لآخر عمره، أما سيدنا نوح فلم يقاتل أحداً. ثم إن هذا الكلام حجة عليكم من جهة أخرى.. فلو أن الرسول ﷺ هو الذى ألف القرآن لَمَا عاب من أقاربه أحداً كما فى سورة (المسد) ولَمَا نُهى عن الاستغفار لهم، كما حدث عندما أراد أن يستغفر لعمه أبى طالب، فنهاه الله عن ذلك {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ} [التوبة:١١٣] وليس الغريب أن يخرج النبى من قوم موحدين، ولكن الغريب أن يخرج من قوم مشركين ليخرجهم {مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [إبراهيم:١] وليصل هم إلى أن يكونوا خير أمة {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران:١١٠] فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو خرج طبيب من عائلة كلها متعلمة تعليماً جامعياً، فإن هذا لن يكون غريباً، أما إذا خرج من عائلة أُمِّية، ليس هذا فحسب.. بل تفوَّق على جميع قرنائه، وكان ترتيبه الأول، فإن هذا هو الغريب، والله أعلم.

س١١٤- إن القرآن يقر بأن عيسى أفضل من محمد بدليل أنه ذكر مريم أم عيسى وعظَّم شأنها، ولم يذكر آمنة أم محمد، ومعلوم أن العظيمة هى التى تلد العظيم.

ج١١٤- إن هذا سؤال ساذج يستطيع أن يرد عليه الأطفال فضلاً عن الكبار. إن تعظيم القرآن للسيدة مريم - رضى الله عنها - فى حين أن أم النبى ﷺ لم تُذكَر ولا فى آية واحدة، حجة لنا لا علينا، فإن السيدة مريم ذُكِرَت فى القرآن فى ثلاثين موضعاً، وهناك سورة باسمها، فلو أن الرسول ﷺ هو الذى ألف القرآن - كما تقولون - فلِمَ لم يذكر أمه أو إحدى نسائه أو بناته؟ ولِمَ لم يُسَمِّ بعض السور بأسمائهن؟ إن النساء اللاتى لهن تأثير فى حياته حوالى سبع عشرة امرأة على الأقل، هن أمهاته - سواء من النسب أو الرضاعة - وزوجاته وبناته، فعدم ذكر أى واحدة منهن، وعدم ذكر أقاربه أو أصدقائه لَهُوَ دليل على أنه لم يتكلف القرآن من تلقاء نفسه، ليس هذا فحسب، بل إنه قد عدد الكاملات من النساء ولم يذكر أمه، ولا زوجاته، ولا بناته، فقال: **"كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يَكْمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران"** [صحيح البخارى] وحين ذكر خير نساء العالمين لم يذكر إلا السيدة خديجة والسيدة فاطمة - رضى

الله عنهما - ولم يذكر أمه ولا بقية نسائه وبناته، فقال: "خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خُوَيْلد، وفاطمة بنت محمد، وآسِيَة امرأة فرعون" [صحيح الجامع:٣٣٢٨] أرأيتم كيف وصف الرسول ﷺ السيدة مريم بأنها من الكاملات؟ ومن خير نساء العالمين؟ لقد عظَّمها أكثر من ابنها الذى تنكَّر لها (بزعمكم) وخاطبها بقوله: (يا امرأة) كما خاطب الزانية، وها هى الأدلة: وفيما هو يكلِّم الجموع إذ أمّه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه. فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك. فأجاب وقال للقائل له. من هى أمى ومن هم إخوتى. ثم مدَّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمى وإخوتى. لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى (متى١٢: ٤٦-٥٠) فلما رأى يسوع أمّه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه يا امرأة (يوحنا١٩: ٢٦) ولما فَرَغَت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لى ولك يا امرأة. لم تأتِ ساعتى بعد. (يوحنا٢: ٣-٤) أمّا خطابه للزانية فهو فى النَّص التالى: وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط. فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سِوَى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليكِ. (يوحنا٨: ٩-١٠)

نعود فنقول: ليس شرطاً أن يكون الابن مثل أبيه فى الإيمان، مع أن تأثير الأب فى تربية الأبناء أشد من تأثير الأم، فإن ابن سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كان كافراً، رغم أن أباه كان من أُولِى العزم من الرسل، وكما هو مشاهد فى واقعنا أن الأب أو الأم الصالحَيْن قد يكون لهما ولد فاسد، والعكس صحيح، حتى إنهم يقولون فى المثل: (يخلق من ظهر العالم فاسد ومن ظهر الفاسد عالم) ونحن نقرّ بأن أم سيدنا عيسى أفضل من أم سيدنا محمد - عليهما الصلاة والسلام - ولكن هذا لا يعنى أن سيدنا عيسى أعظم من سيدنا محمد، والله أعلم.

س١١٥- يقول نبيكم: "إن الله ليؤيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر" **[صحيح الجامع:٢٤٢٣] وقال:** "صَلُّوا خلف كل بَرّ وفاجر" **وهذا يدل على أن القدوة عندكم مفقودة، لأن كثيراً من الأئمة فَجَرَة، وإذا كان الإمام فاجراً فالمأموم أفجر، كما قال الشاعر: (إذا كان رب البيت بالدف ضارباً... فشيمة أهل البيت كلهم الرقص)**

ج١١٥- لنفهم الحديث الأول أحدثكم عن واقعة حدثت فى مصر عندما احتلها الفرنسيون بقيادة (نابليون بونابرت) عام (١٧٩٨) فتصدى له المصريون (وخاصة علماء الأزهر) وقاتلوه وجنوده قتالاً مريراً بكل قوة وعنف، فكان الفرنسيون يُقتَلون فى كل يوم، فاستشار بعض المقربين إليه وسألهم ما الذى يمكن أن يفعله ليقربه إلى المصريين ويحببه إليهم فلا يقاوموه هذه المقاومة الشرسة، فقالوا له: إن أعظم شيء يحبه المصريون هو القرآن يقرأونه آناء الليل وأطراف النهار، فلو طبعتَه لهم ووزعتَه عليهم فسوف تستجلب حبهم (وكان قد أحضر معه مطبعة) وكان المصحف قبل ذلك يُنسَخ باليد، تشترى الورق من الوراق ثم تذهب به إلى النَّساخ لينسخه، ثم الشكَّال ليشكّله (بالضمَّة والفتحة والكسرة.. إلخ) ثم تذهب إلى الأزهر ليراجعه، وكل هذه المراحل كانت تتكلف أموالاً كثيرة، وتستغرق وقتاً طويلاً، فطبع نابليون المصحف بكميات كبيرة، ووزعه على المصريين تقرباً إليهم، فأصبح المصحف فى كل بيت بعد أن كان عند الأثرياء فقط، ثم بعد سنوات طويلة جاء الاحتلال الانجليزى لمصر عام (١٨٨٢) فوجد المقاومة الشرسة نفسها من المصريين، وخاصة من علماء الأزهر الذين يحفظون القرآن الكريم، ففكروا ما الذى يهدئ حِدَّة المقاومة، فوجدوا أن أكثر الذين يقاومونهم من حفظة القرآن، فقرروا ألا يُدْخِلوهم الجيش، ففرح الناس بذلك، لأن معظمهم لا يريدون أن يدخلوا أولادهم الجيش تحت إمْرَة الاستعمار، فاجتهدوا فى تحفيظ أولادهم القرآن، فامتلأت الكتاتيب بالأطفال، وأصبح غالبية المصريين من حفظة القرآن الكريم، وخرج منهم أئمة القرَّاء فى العالم. أما الحديث الثانى الذى ورد فى السؤال بخصوص الصلاة خلف الفاجر فقد ورد فى (السنن الكبرى للبيهقى) وضعَّفه الشيخ (الألبانى) ولكن العلماء أقروا العمل به لدرء الفتنة، وتوحيد كلمة المسلمين على إمام واحد، وهو الذى يُعيَّن من قِبَل ولى الأمر، حتى لا تهجر المساجد، وحتى لا تحدث فُرْقة بين المسلمين، وكل مجموعة تختار لها إماماً، ويكون فى المسجد الواحد عدة جماعات فى وقت واحد.

وعلى أيَّة حال فصلاتنا خلف الفاجر أهون من نسبة الكذب والفُجْر - بل الكفر - لأنبياء الله ورسله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كما اتهمهم بذلك الكتاب المقدس، وإذا كان الأنبياء كذبة وفجرة وكفرة.. فكيف بأتباعهم؟ وهذا بعض ما جاء

عنهم: **فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل. فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك** (الملوك الأول١٨: ٤٠) (فيه نسبة الشرك بالله لبعض الأنبياء)

لأن النبى والكاهن كليهما يطوفان فى الأرض ولا يعرفان شيئاً. (إرميا١٤: ١٨)

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كَرْماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرَّى داخل خبائه. (تكوين٩: ٢٠-٢١)

هَأنذا بالإثم صُوِّرْتُ وبالخطيَّة حبلت بى أمى (مزمور٥١: ٥) (ينسبون هذا لسيدنا داود، وهو منه براء)

الكاهن والنبى ترنَّحا بالمسكِر ابتلعتهما الخمر تاها من المسكِر ضَلا فى الرؤيا قَلِقا فى القضاء. (إشعياء٢٨: ٧)

لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مُولَع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. (إرمياء٨: ١٠)

وجاء فيه أيضاً تعيين القُضاة فى الكنيسة من الْمُحتَقَرِين، وأن الزوانى يسبقون إلى ملكوت الله (أى جنته): **فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة الدنيا فأجلسوا الْمُحتَقَرِين فى الكنيسة قُضاة.** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٦: ٤)

قال لهم يسوع الحق أقولُ لكم إن العشّارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله. (متى٢١: ٣١)، والله أعلم.

س١١٦- يقول نبيكم: "إذا جاء رمضان فُتِحَت أبواب الجنة وغُلِّقَت أبواب النار وصُفِّدَت الشياطين" **[صحيح مسلم] مع أن منكم من يرتكب الموبقات فى رمضان من شرب للخمر وسرقة وغيرها، وتقوم بينكم الحروب مثل حرب العراق وإيران التى استمرت ٨ سنوات بما فيها من أشهُر رمضان.. فكيف يكون كلام نبيكم صحيحاً؟**

ج١١٦- بالفعل نحن نرى المشاجرات وفعل الموبقات فى رمضان، ولكن من المسئول عن هذا؟ أهو الشيطان وحده؟ إن الشيطان أضعف الجنود {إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء:٧٦] ويكفيك الاستعاذة بالله منه {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف:٢٠٠] أما ما هو أشد من الشيطان: فالنفس الأمارة بالسوء {إِنَّ

﴿ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣] والهوى **﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾** [الفرقان:٤٣] **﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾** [ص:٢٦] وحب الدنيا **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾** [هود:١٥-١٦] وكَمْ من الجرائم والقتل والسرقة والزنى وشرب الخمر وغير ذلك كانت نتيجة هذه الأشياء الثلاثة، حتى إن أول جريمة قتل عرفتها البشرية كان سببها اتباع الهوى وحب الدنيا، حينما أراد قابيل أن يتزوج أخته التي لا تحل له فى شرع سيدنا آدم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ثم إن العلماء قالوا: إن الشياطين التي تُصَفَّدُ فى رمضان ليسوا قرناء بنى آدم، فكل إنسان له قرين يحاول أن يغويه ويصده عن سبيل الله ما استطاع، وهذا القرين لا يفارقه فى رمضان وغيره، وقد جعله الله فتنة للإنسان ليختبره، وفى مقابل ذلك وهب له العقل الذى يميز به بين الخير والشر، وأرسل إليه الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لتبين له الحق والباطل، وأنزل إليه الكتب لتبشر المؤمنين بالنعيم المقيم، وتنذر الكافرين بالعذاب الأليم **﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾** [النازعات:٣٧-٤١] بالإضافة إلى أنه فَطَرَه على توحيده وتعظيمه، وجعل له وازِعاً من نفسه يميل إلى الحق وينأى عن الباطل، ما لم يُغلِّب صاحبُه هواه على دوافع الخير فى نفسه، فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً، قال تعالى: **﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾** [الشمس:٧-١٠] وقال رسول الله ﷺ: **"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه"** [صحيح البخارى] وعلى أيَّة حال فقد أثبتت الدراسات هبوط معدل الجريمة فى الدول الإسلامية، وزيادة أعمال البر والإصلاح والتعاون على الخيرات فى هذا الشهر المبارك، والله أعلم.

س١١٧- تقولون إن جبريل جاء لنبيكم وسأله متى تكون الساعة، فقال له: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" **قال: فأخبرنى عن أماراتها، فقال له:** "أن تلدَ الأمَةُ ربَّتها"... **إلى بقية الحديث الذى ورد فى الصحيحين، وما رأينا للآن أن الأمة تلد ربَّتها؟**

ج١١٧- الله أكبر.. صدق الله ورسوله.. إن هذا جزء من حديث صحيح ولكنهم لم يفهموا معناه، وقد تحقق كما قاله الرسول ﷺ. لقد كان العلماء فى الماضى يقولون إن معنى هذا الحديث ما نشاهده من أن الأم الأمية التى لا تعرف القراءة والكتابة تلد الطبيبة والمهندسة والمعلمة.. إلخ، أو أن المرأة تلد من تكون عاقّة لها، متسلطة عليها، تأمرها وتنهاها، وكأنها سيدتها، وأمها تطيعها خوفاً منها، وكل هذا الكلام أثبته الواقع، ولكن ظهر فى عصرنا ما يناسب ويقارب معنى الحديث تماماً، وهو أن بعض نساء الخليج الغنيات المترفات لا يُرِدْن أن يشوِّهن أجسادهن بالحمل والرضاعة، ولا يردن أن يعطلهن عن السفر للنزهة واللهو واللعب.. فماذا فعلن؟ لجأ البعض منهن إلى ما يسمى (الأم البديلة) كيف هذا؟ يأخذ الطبيب منها البويضة ويأخذ الحيوان المنوى من زوجها، ثم يقوم بعمل ما يُسَمَّى (طفل الأنابيب) بأن يضع الحيوان المنوى والبويضة متقاربين فى وعاء خاص، ويوضع هذا الوعاء فى ظروف معينة، حتى إذا تم التخصيب (اختراق الحيوان المنوى للبويضة) وبدأت الخلية المخصبة فى الانقسام إلى عدة خلايا.. قام بوضعها فى رحم الأَمَة أو الخادمة، فتنمو فى رحمها وتكبر إلى أن تلد (وهذا حرام) ففى هذه الحالة من تكون الأم الحقيقية؟ طبعاً هى المرأة الخليجية، وتصبح هذه المولودة سيدة من ولدتها (الأم البديلة) فسبحان من قال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ} [النجم:٣-٤]، والله أعلم.

س١١٨- يقول القرآن عن النبى يوحنا (يحيى): {يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا} [مريم:١٢] انظروا إلى أنبياء بنى إسرائيل، فإنهم يُؤْتَوْن النبوة من الصِّغَر، فى حين أن نبيكم تقولون إنه أُرسِلَ فى سن الأربعين، وكذلك فإن عيسى قد تكلم فى المهد، وموسى نجاه الرب فى التابوت وهو رضيع، ويونان (يونس) عاش فى بطن الحوت ثلاثة أيام، وولدت حنَّة مريمَ وهى عاقر فى سن الخامسة والثمانين، وولدت أختها الياصابات يحيى من زوجها زكريا وعمره تسعون عاماً، وعمرها يقارب عمر أختها، فنحن شعب المعجزات، فأين نبيكم من هذه المعجزات؟

ج١١٨- جميع الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - بما فيهم أنبياء بنى إسرائيل، لم يُبعَثوا رُسُلاً إلا فى سن الأربعين، وهناك قول بأن سيدنا نوحاً لم يبعث إلا

بعد المائتى عام، أما سيدنا يحيى فإن الله قدَّر له الشهادة فى سن الخامسة والثلاثين، فكيف كان ينتظر ليكون رسولاً فى سن الأربعين؟ أما كلام سيدنا عيسى فى المهد فإنه حجة عليكم، لأنه ليس فى كتابكم المقدس ما يثبت ذلك، فإن الفضل فى إظهار هذه المعجزة هو القرآن. وهذه المعجزات التى تتكلمون عنها صانعها هو الله وليس الأنبياء، وقد كانت تأييداً لرسالتهم؛ وهى ليست قاصرة على أنبياء بنى إسرائيل، وشاهد على ذلك سفينة سيدنا نوح، وناقة سيدنا صالح، والنار التى كانت برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم، ولولا أن القرآن أخبرنا بهذه المعجزات ما صدَّقناها، لأنها انتهت بموت من عاصرها ورآها، أما القرآن فمعجزته باقية إلى يوم القيامة، وقد تكلمنا عن ذلك فى أكثر من موضع. ومعلوم أن ولادة سيدنا عيسى كانت معجزة، واليهود قوم ماديُّون لا يؤمنون إلا بالمادة، فهم الذين قالوا لنبيهم: {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً} [البقرة:٥٥] فلو وُلِدَ سيدنا عيسى بدون أب بغير مقدمات تسبقه لَمَا آمنوا به، فكان لابد من تمهيد لمعجزته بمعجزة يشاهدونها تثبت لهم قدرة الله جل وعلا، حتى إذا جاءت معجزته لا يستبعدون وقوعها، فكان حمل السيدة حِنَّة بنت فاقوس وولادتها للسيدة مريم وهى فى سن الثالثة والثمانين من زوجها سيدنا عِمران الذى جاوز سن التسعين معجزة تمهد لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، وكذلك حمل وولادة أختها الياصابات - وهى أيضا فوق الثمانين - لسيدنا يحيى من زوجها سيدنا زكريا، رغم أنها كانت عاقراً لا تحيض، وكان زوجها شيخاً كبيراً، حتى إنه حين دعا ربه لم يَدْعُهُ جهاراً {إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا} [مريم:٣] فإنه لو دعا جهاراً لكان غريباً على الناس أن يدعو أحد بالذرية فى هذه السن، ولسخروا منه، كمن يرى شيخاً كبيراً قد انحنى ظهره، وهو متوكئ على عصا، ثم يدعو بالذرية! فكانت ولادة السيدة مريم وابن خالتها سيدنا يحيى تمهيداً لمعجزة ولادة سيدنا عيسى، فلو جاءت معجزته فجأة بدون مقدمات لكان صعباً على العقول استيعابها، ولكن رغم ذلك فإن الكثير منهم لم يؤمنوا به، واتهموا أمّه بالفاحشة، وهم أغبياء فى ذلك، ليس فقط لمعرفتهم السابقة بسيرتها الكريمة - رضى الله عنها - ولكن لنُطْق سيدنا عيسى فى المهد، فلو أنها كانت كما قالوا من الإفك والبهتان، لكان ولدها طفلاً عادياً كسائر الأطفال، ولكن كلامه فى المهد كان معجزة من الله عز وجل، فلِمَ صدقوا كلامه و لم يصدقوا براءتها؟

وقد ذكرنا بعض المعجزات التى صاحبت ولادة الرسول ﷺ فى الرد على الشبهة (١٣٠) وبعض المعجزات الأخرى فى الرد على الشبهة (٢٥٨)، والله أعلم.

س١١٩- أنتم تقولون إن نبيكم أفضل الأنبياء مع أنه كان أمِّيا، فأى أفضلية فى هذه الأمية؟ وهل تفضلون الأمى على المتعلم باعتبار الأُميَّة ميزة عندكم؟

ج١١٩- نحن لا نفضل الأميَّة ولا نفتخر بها، إذن لتخلفت أمتنا عن ركب التقدم والحضارة كما حدث اليوم فى كثير من البلدان الإسلامية، ولكن أميَّة الرسول ﷺ كانت ميزة لأن الذى علمه هو الله، ولم يعلمه أحد من البشر، فكل متعلم له معلم، فالذى حصل على الدكتوراه فى أى مجال من مجالات العلم - ولو فى الذرَّة - فإن معلمه بشر يصيب ويخطئ، أما رسول الله ﷺ فقد علمه الله سبحانه وتعالى (حتى لا يتفاخر أحد بأميته ويقول أنا أمى مثل الرسول) وقد مر بنا أن الرسول ﷺ كان يفك الأسير المشرك مقابل تعليمه القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين. ولو علمه القراءة والكتابة أحد من البشر لقالوا إنه هو الذى علمه القرآن أيضاً، فقد قالوها وهو أمِّى.. فكيف لو تعلم من غيره؟ كما أنه لا يخفى على أحد أن أول آية نزلت على رسول الله ﷺ هى {ٱقْرَأْ}، والله أعلم.

س١٢٠- عندما أراد على بن أبي طالب أن يتزوج على فاطمة بنت نبيكم غضب نبيكم غضباً شديداً ولم يأذن له، فحرَّم على غيره ما أحله لنفسه، وخالف بذلك القرآن فى إباحة التعدد.

ج١٢٠- إن الرسول ﷺ لم يغضب غضباً شديداً كما قلتم، ولم يحرم على غيره ما أحله لنفسه، ولم يخالف القرآن، ولكن على بن أبى طالب ﷺ أراد أن يتزوج بنت أبى جهل، فأبى الرسول ﷺ أن تجتمع بنت حبيب الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد، فقال: **"إن فاطمة بضعَة منى وأنا أتخوَّف أن تُفتَن فى دينها، وإنى لستُ أحرِّم حلالاً ولا أحل حراماً، ولكِن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً"** [صحيح الجامع:٢١١٥] كما أنه لفرط حبه لها خاف عليها من شدة الحزن، وقال: **"فإنما هى بضعة منى يريبنى ما أرابها، ويؤذينى ما آذاها"** [صحيح البخارى] وهذا الأمر ليس خاصّاً بالنبى ﷺ فمن حق أى ولىّ أن يشترط على من يتقدم لخطبة ابنته - أو من تحت

ولايته – ألا يتزوج عليها، ومن حقها هى أيضاً أن تشترط هذا الشرط، فإن قَبِلَه الخاطب فليس له الرجوع فيه، وإن رجع فيه فلها الحق فى طلب الطلاق لعدم وفائه بشرطه، أما لو لم تشترط هى أو وليها فله الحق أن يتزوج عليها، وليس لها الحق فى هذه الحالة أن تطلب الطلاق، والله أعلم.

س١٢١– إن نبيكم لم يُبعَث إلا للعرب، بدليل قول القرآن: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا} [يوسف:٢] {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [ابراهيم:٤] {هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ} [الجمعة:٢] {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} [السجدة:٣] {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ} [الشعراء:٢١٤] **فهل من عدل الإله أن يطلب من أهل الكتاب أن يؤمنوا بنبى لم يُرسَل إليهم؟**

ج١٢١– غالباً ما يختار الخصم ما يخدمه – فى ظاهر الأمر – من الأدلة ويُخفى ما عداها، وإلا– فأخبرونى ماذا تعنى هذه الآية: {قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران:٦٤]؟ إن من أدلة عالمية رسالة الرسول ﷺ قول الله تبارك وتعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨] {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [آل عمران:٨٥] {وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ} [الأنعام:١٩] {لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى:٧] وقد مر بنا أن {أُمَّ ٱلْقُرَىٰ} هى مكة {وَمَنْ حَوْلَهَا} جميع اليابسة (فى الرد على الشبهة رقم ٤٦) قال رسول الله ﷺ: **"أعطيتُ خمساً لم يُعطهنّ أحد من الأنبياء قبلى: نُصرْتُ بالرعبِ مسيرة شهر، وجُعلَت لىَ الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلّ، وأُحلّتَ لىَ الغنائم ولم تَحِل لأحد قبلى، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبى يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامّةً"** [صحيح الجامع:١٠٥٦] وقال: **"والذى نفس محمد بيده لا يسمعُ بى أحد من هذه الأمة لا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسِلْتُ بِهِ إلا كان من أصحابِ النار"** [صحيح الجامع:٧٠٦٣] إن التوراة أنزلت باللغة العبرية، والإنجيل باللغة الآرامية، وقد دخل فى

اليهودية والنصرانية أناس تختلف لغاتهم عن لغة هذين الكتابين، فليس صحيحاً أنه طالما أنزل القرآن باللغة العربية ألا يؤمن به إلا العرب. أما أن الرسول ﷺ بُعثَ بلسان قومه، فإن هذا بديهى ليستطيع التحدث معهم فيفهم عنهم ويفهمون عنه، وتكون مهمة أتباعه بعد ذلك أن يترجموا معانيه إلى اللغات الأخرى، أما لو أرسل فى بادئ الأمر إلى من تختلف لغتهم عن لغته فكيف كان يبلغ رسالة ربه؟ وكيف كانوا يفهمونه؟ أما كونه قد أُمرَ أن ينذر قومه وعشيرته الأقربين فلأنهم أَوْلى بذلك، كما أنك لو ملكتَ خيراً ينتفع به الناس فإنك تبدأ بأهلك أولاً، فلا تتعداهم إلى غيرهم وتتركهم؛ لأنهم أَوْلى الناس بك.

وكيف لا يكون عدلاً أن يأمر الله أهل الكتاب أن يؤمنوا به وقد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أن يؤمنوا به إذا ظهر فى زمانهم، فكيف بأتباعهم؟ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١] أيؤمن به الأنبياء ويكفر به الأتباع؟ وقد كانت صفات الرسول ﷺ مكتوبة عندهم فى التوراة والإنجيل ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام:٢٠] ولكنهم بعد ذلك حرفوها حتى لا تكون حجة عليهم، ورغم ذلك التحريف فقد بقى فى الكتاب المقدس بعض ما بشر بنبوته ﷺ، مثل:

وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة (تكوين١٧: ١٨-٢٠) وجاء فيه أيضاً: **وابن الجارية أيضاً سأجعله أمّة لأنه نسلك** (تكوين٢١: ١٣) وجاء فيه أيضاً: **فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدّى يدك به. لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام.** (تكوين٢١: ١٧-١٩).

فمن تكون هذه الأمة العظيمة إن لم تكن أمة سيدنا محمد ﷺ؟ وما هى هذه البئر إن

لم تكن بئر زمزم؟

إن الإسلام هو الدين الخاتم الذى ارتضاه الله للناس إلى يوم القيامة، فإن الكتب التى سبقته قد حُرِّفت و لم يصبح للكتب الأصلية أى أثر، فأنزل الله القرآن وتكفَّل بحفظه، وجعله أكمل كتاب، وجعل فيه من الشرائع ما يصلح للبشرية إلى نهايتها، فلا يوجد قبله كتاب تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله كما تحداهم بهذا الكتاب العظيم، وقد جعله الله مصدقاً لما فيها ومهيمناً عليه {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٨] {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا} [المائدة:٣] ثم إذا تدبرنا لفظة {عَرَبِيًّا} فسنجد أن من معانيها فى لغة العرب: أنه يُعْرِب، ويُعبِّر، وفى حالة إفصاح وتبيان وجلاء، وكما نقول: إن فلان يُعْرِبُ عمَّا فى نفسه، فيدلنا على مقصوده ومراميه، فلا يخفى علينا قوله.

ونقول لمثيرى هذه الشبهة: ارجعوا إلى كتابكم المقدس لتعلموا أن المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – لم يُرسَل إلا لبنى إسرائيل، فلماذا آمن به غيرهم؟ ولماذا تقومون بالحملات التنصيرية لتدخلوا من استطعتم فى دينكم، ولو لم يكن من بنى إسرائيل؟

فأجاب وقال: لم أُرسَل إلا إلى خِراف بنى إسرائيل الضالّة (متى١٥: ٢٤)

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً. إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرِىّ إلى خِراف بيت اسرائيل الضالّة. (متى١٠: ٥-٦)، والله أعلم.

س١٢٢- يقول نبيكم: "أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله" **[صحيح الجامع:٢٥٧٣]** **ويقول:** "إن أول ما يُحكَم بين العباد فى الدماء" **[صحيح الجامع:٢٠٢١] فنحن لا ندرى أتكون المحاسبة أولاً على الصلاة أم على الدماء؟**

ج١٢٢- **"أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة"** إن هذا فى حق الله جل وعلا، أما الحديث الآخر المتعلق بالدماء فهو فى حق العباد، ويجمع بين الحديثين حديث واحد يوضح هذا المعنى، وهو قوله ﷺ: **"أول ما يُحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يُقضى بين الناس فى الدماء"** [سنن النسائى، صحيح الجامع:٢٥٧٢]، والله أعلم.

س١٢٣- تقولون إن نبيكم (أشجع الشجعان) مع أنه خرج فى الهجرة متخفياً من قومه، بينما خرج عمر بن الخطاب علانية. أليس كان الأجدر بنبيكم أن يفعل مثله حتى يستحق هذا اللقب؟

ج١٢٣- إن الرسول ﷺ قدوة لكل الأمة. أقويائها وضعفائها، فقد خرج علانية على الشباب الواقفين ببابه وهم مدججون بالسلاح ليقتلوه.. غير خائفٍ منهم؛ بل كان متوكلاً على الله سبحانه وتعالى، ولم يكتف بذلك.. بل حثا على رءوسهم التراب وقرأ عليهم {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس:٩] فكان فى خروجه هذا أقوى وأشجع من عمر بن الخطاب ﷺ أمّا خروجه من عند أبى بكر ﷺ فكان خُفية، ولهذا يكون الله عز وجل قد جمع له بين الأمرين.. خروج الأقوياء وخروج الضعفاء، ليكون قدوة لكلا النوعين من المسلمين. وفى خروجه متخفياً فوائد أخرى غير قدوته للضعفاء، فقد علّم الأمة التخطيط الدقيق، والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، فبعدما اجتهد فى التخفّى حتى وصل إلى غار ثَوْر تتبّع الكفار آثاره حتى وصلوا إلى الغار، ولكنه لم يَخَفْ منهم، وقال لأبى بكر بكل يقين: "**يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟**" [صحيح مسلم] فالمطلوب من العبد أن يبذل كل ما فى وسعه من الأسباب التى مكّنه الله منها، ولكن لا يتوكل عليها، بل يتوكل على الله جل وعلا، لأنه هو الذى يكلل سعيه بالنجاح {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠] ولو خرج الرسول ﷺ للهجرة بغير تدبير ولا تخطيط لَمَا كان قدوة لأمته فى التدبير والتخطيط، وإعمال العقل، والأخذ بالأسباب. ولقالوا: لقد خرج بحفظ الله له لأنه نبى، وأنَّى لنا بذلك؟ وليس معنى هذا أن الأسباب التى اتخذها هى التى نَجَّته، أو أن الله لم يحفظه، ولكنه فعل أقصى ما فى وسعه - فكما قلنا - إن المشركين وصلوا إلى المكان الذى اختبأ فيه فى غار ثَوْر، ولولا الله سبحانه وتعالى ما نجا. وهناك دروس أخرى كثيرة من الهجرة المباركة يُرجَع إليها فى كتب السيرة.

والذين ينسبون الخوف لنبينا ﷺ لا ينسبون لمعبودهم الخوف فقط، بل وينسبون له الانزعاج والاكتئاب والحزن والبكاء، فيقول كتابهم المقدس: **فلما رآها يسوع تبكى**

واليهود الذين جاءوا معهما يكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيّد تعالَ وانظر. بكى يسوع. (يوحنا١١: ٣٣-٣٥) **فانزعج يسوع أيضاً فى نفسه وجاء إلى القبر.** (يوحنا١١: ٣٨) **ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت.** (مرقس١٤: ٣٣-٣٤) **فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه** (يوحنا١١: ٥٣-٥٤) **وكان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل. لأنه لم يُرِد أن يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه** (يوحنا٧: ١) **فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً فى وسطهم ومضى هكذا** (يوحنا٨: ٥٩) ونحن نسألهم: لو كان المسيح إلهاً - كما تقولون - فلماذا كل هذا الخوف والحذَر من اليهود الذين أرادوا قتله؟ أليس المفروض أنه يعلم الغيب، ويعلم أنه لن ينجو منهم؟ وإذا كان قد جاء ليفتديكم بنفسه - كما تقولون- فلِمَ كان يهرب منهم؟، والله أعلم.

س١٢٤- يقول نبيكم: "ما ملأ آدمى وعاءً شراً من بطنه، بِحَسْب ابن آدم أكلات يُقِمْنَ صُلبَه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه" [صحيح الجامع:٥٦٧٤] معلوم أن التنفس يكون بالرئتين، فما دخل المعدة فيه؟

ج١٢٤- إن الذى يعرف - ولو قدراً يسيراً - من علم التشريح يعلم أن بين المعدة والرئتين ما يُسَمَّى (الحجاب الحاجز) وهذا الحجاب الحاجز يتحرك لأسفل ولأعلى مع الشهيق والزفير، فهو يهبط مع الشهيق ليسمح للرئة أن تمتلئ بالهواء الذى يحتوى على الأكسجين، ثم يعلو مع الزفير ليسمح لها أن تخرج ثانى أكسيد الكربون، وقد قدَّر المتخصصون حجم المعِدَة بألف وخمسمائة سنتيمتر مُكَعَّب تقريباً، وقدَّروا ما يحتاجه الإنسان فى تنفسه حوالى خمسمائة سنتيمتر مكعب تقريباً، فحين يملأ الإنسان ثلث معدته بالطعام (أى خمسمائة سنتيمتر) يحتاج (تقريباً) لمثلها ماء، فيتبقى الثلث الأخير من المعدة فارغاً ليسمح للحجاب الحاجز أن ينزل مع الشهيق، ويتيح الفرصة للرئة أن تمتلئ بما يحتاجه الإنسان من الأكسجين، فحين تكون المعدة ممتلئة تماماً لا يستطيع الحركة بحرِّية (لأنه كما قلنا إن المعدة ملاصقة له من أسفل) فلا يسمح للرئة أن تأخذ القدر المطلوب

من الهواء، وهذا يسبب ضيقاً فى التنفس، ونلاحظ هذا الأمر فيمن يملأون بطونهم من الطعام والشراب، فلا يستطيعون التنفس إلا بصعوبة، ويبحثون عن الأدوية التى تعينهم على هضمه من فوَّار أو غيره، ولو أنهم امتثلوا أمر الرسول ﷺ لَمَا أصابهم هذا الضيق، ولَمَا أصيبوا بأمراض كثيرة، فإن معظم الأمراض من التُّخمة وكثرة الطعام.

وما رأيك أيها المعترض على حديث رسول الله ﷺ وما رأى الطب فيمن يأكل طعاماً واحداً لمدة ٣٩٠ يوماً وهو متكئ على جنبه؟ وما رأيك فى الذى يأكل لحم الشاة ورأسها وأكارعها وأحشاءها مع الفطير بعَجَلَة (بسرعة) والذى يأكل الفطير لمدة سبعة أيام؟ ربما تتعجب وتقول: ما دخل هذا بموضوعنا؟ فأقول لك: إن هذا ما جاء به كتابك المقدس، ليس هذا فحسب.. بل جاء فيه أن من يأكل خَميراً فى أيام مُعيَّنة يُقطَع من جماعة إسرائيل، وها هى الأدلة:

وخُذ أنت لنفسك قمحاً وشعيراً وفولاً وعدَساً ودُخناً وكرسنة وضَعْها فى وعاء واحد واصنعها لنفسك خبزاً كعدد الأيام التى تتكئ فيها على جنبك. ثلاث مئة يوم وتسعين يوماً تأكله. (حزقيال٤: ٩)

تكون لكم شاة صحيحة ذَكَراً ابن سَنَة. تأخذونه من الخِرفان أو من المواعِز. ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر. ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل فى العَشيَّة. ويأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العُليا فى البيوت التى يأكلونه فيها. ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويّاً بالنار مع فطير. على أعشاب مُرَّة يأكلونه. لا تأكلوا منه نيّئاً أو طبيخاً مطبوخاً بالماء بل مشويّاً بالنار. رأسه مع أكارعه وجوفه. ولا تُبقوا منه إلى الصباح. والباقى منه إلى الصباح تحرقونه بالنار. وهكذا تأكلونه أحقَاؤكُم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم وعصيُّكم فى أيديكم. وتأكلونه بعَجَلَة. هو فِصْحٌ للرب. فإنى أجتازُ فى أرض مصر هذه الليلة وأضربُ كل بِكْر فى أرض مصر من الناس والبهائم. وأصنعُ أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها. فأرى الدم وأعْبُرُ عنكم. فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيِّدونه عِيداً للرب. فى أجيالكم تعيِّدونه فريضة أبديَّة سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم

الأول تعزلون الْخَمير من بيوتكم. فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطَعُ تلك النفس من إسرائيل... وتحفظون الفطير لأنى فى هذا اليوم عَيْنِه أخرجتُ أجنادكم من أرض مصر. فتحفظون هذا اليوم فى أجيالكم فريضة أبدية. فى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساء. سبعة أيام لا يوجد خَمِير فى بيوتكم. فإن كل من أكل مُختمِراً تُقطَعُ تلك النفس من جماعة إسرائيل الغريب مع مولود الأرض. لا تأكلوا شيئاً مُختمراً. فى جميع مساكنكم تأكلون فطيراً (خروج١٢: ٥-٢٠)، والله أعلم.

س١٢٥- يقول نبيكم إن الأمراض تكفير للذنوب، فما بال الأطفال؟ هل يذنبون حتى يصابوا بالمرض؟ وما ذنب الأطفال الذين يولدون بعيوب خلقية؟

ج١٢٥- أولاً: لقد مر بنا فى الرد على الشبهة رقم (٩) أن كلمة (عيب خلقى) لا تصح، لأنها اتهام لله سبحانه وتعالى بالعيب فى صنعته.

ثانياً: إن مرض الطفل أو ولادته مشوَّهاً فى ميزان حسناته يوم القيامة، وتكفير لذنوب والديه، قال رسول الله ﷺ: **"ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٥٨١٥] والله سبحانه وتعالى {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:٤٠] فلن يضيع أجر هذا الطفل، فهو الذى لا يضيع حتى أجر الكافر، ولكنه يعجِّل أجره فى الدنيا من مال وولد وصحة وشُهرة... إلى غير ذلك، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [هود:١٥-١٦] وقال: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} [الشورى:٢٠] وقال رسوله ﷺ: **"إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يُعطَى عليها فى الدنيا، ويُثاب عليها فى الآخرة، وأما الكافر فيُطعَم بحسناته فى الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُعطَى بها خيراً"** [صحيح الجامع:١٨٥٣] والأمراض مفيدة للطفل فى تقوية جهازه المناعى، وتأهيله لمواجهة مصاعب الحياة من مرض وغيره، وقد يكون مرض الإنسان فى صغره أو تشوّهه الخِلقى مما يخفف عنه عقوبة ذنوبه عند كبره، بمعنى أنه إذا كبر وعمل ذنوباً تستوجب

المؤاخذة عليها، فربما خفف الله عنه بهذه الأمراض والتشوهات التى أصابته فى الصغر، لأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، كما قال رسول الله ﷺ: **"إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة فى الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافَى به يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٣٠٨] وربما منعته هذه الإعاقة عن بعض المعاصى، وكانت سبباً فى تقربه لله سبحانه وتعالى، فكان ذلك خيراً له، وربما عوضه الله مَلَكات أخرى خيراً مما فقدها، وربما كانت حافزاً له على العلم والتفوق، وهذا الأمر مُشاهد فى كثير ممن أصيبوا بتشوهات خلقية، فنبغوا فى علوم شتى، لأن إصابتهم أقعدتهم عن اللهو واللعب، وجعلتهم يتفرغون للمذاكرة والعلم والبحث، وأزكَت فيهم رغبة التحدى والتميُّز على غيرهم من الأسْوياء. وكذلك فإن التشوهات الخلقية والأمراض التى تصيب الأطفال تحفِّز العلماء على الأبحاث والفحوصات والتحاليل، ودراسة هذه الأمراض، وكيفية الوقاية منها، وطرق علاجها، فتتقدم بذلك العلوم، وتزداد خبرة العلماء، ولو كان الأطفال كلهم يولدون على هيئة واحدة لا تتغير، لقال الملحدون إنها الطبيعة، وكأنه (أكلاشيه) يطبع نسخاً متشابهة، أو لقالوا إن الله ليست له طلاقة القدرة على التغيير. ولو لم تأتهم الأمراض لَمَا وُجِدَ طب الأطفال وجراحة الأطفال وغير ذلك، ولكان عدم إصابتهم بالأمراض أمراً محيِّراً، إذ كيف يصاب الكبار بالبكتيريا - مثلاً - أو الفيروسات، أو الحوادث، أو غير ذلك، ولا يصاب الصغار؟ أمّا الذين يموتون وهم صغار فربما لو عاشوا لفسدوا أو أفسدوا فى الأرض وأصبحوا من أهلِ النار، فحين يقبضهم الله فى الصغر فهذا يكون رحمة بهم وبمن حولهم، مثل الولد الذى قتله الخضِر ووردت قصته فى سورة (الكهف) وأطفال المسلمين فى الجنة يسرحون فيها حيث شاءوا (والجمهور على أن أطفال الكفار أيضاً فى الجنة) قال رسول الله ﷺ: **"صغاركم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه فيأخذ بثوبه فلا ينتهى حتى يدخله الله وأباه الجنة"** [صحيح الجامع:٣٧٦٤] (الدعموص) قيل إنه نوع من السمك الصغير كثير الحركة، أو هو الزوَّار للملوك الذى يدخل ويخرج من عندهم كما يشاء، بغير إذن ولا حاجب يحجبه، وقد شبّه بذلك الأطفال لكثرة دخولهم وخروجهم ولعبهم فى الجنة.

والذين يشفقون على الأطفال من الأمراض عندهم فى كتابهم المقدس ما هو أشد من

ذلك.. وهو أكل الآباء والأمهات لأولادهم فى الحصار، كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٤٨) وعندهم أيضاً: **تُجازَى السامرة لأنها قد تمرَّدت على إلهها. بالسيف يسقطون. تُحَطَّم أطفالهم والحوامل تُشَق** (هوشع١٣: ١٦) نلاحظ شق بطون الحوامل كما فعل الصِّرب بمسلمى البوسنة.

طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة (مزمور١٣٧: ٩)

حتى الحيوانات لم يرحمها الكتاب المقدس إذ يقول: **وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى. فطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسِلنا إلى الخنازير لندخل فيها. فأذِنَ لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت فى الخنازير. فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين. فاختنق فى البحر.** (مرقس٥: ١١-١٣) ونحن نتساءل: ما ذنب الخنازير؟ ألم يستطع معبودكم أن يخرج الشياطين من الرجل الممسوس دون أن يدخلها فى هذه الخنازير؟ ثم ما ذنب صاحبها؟ أليس هذا إضراراً بثروته؟ وما تأثير ذلك على الاقتصاد العام؟ وماذا تقول جمعية الرفق بالحيوان عن هذا التصرف؟، والله أعلم.

س١٢٦- كيف يدَّعى القرآن أن نبيكم على خُلُق عظيم، فى حين أنه عبس فى وجه الرجل الأعمى الفقير عبد الله بن أم مكتوم؟

ج١٢٦- إن رسول الله ﷺ هو أعظم الناس خُلُقا، حقاً، وصدقاً، ويقيناً، كما وصفه ربنا تبارك وتعالى، وعُبوسُه فى وجه عبد الله بن أم مكتوم ﷺ كان لحرصه الشديد على هداية قومه، وعلى السّادة منهم، لأنهم لو أسلموا لاتبعهم الكثير والكثير لشرفهم فى قومهم، وكثرة أتباعهم من الزوجات والأولاد والعبيد، والرسول ﷺ لم ينهر عبد الله، ولم يسبّه، ولم يأمر أحداً بإخراجه من عنده، بل غاية ما فعله أنه عبس لأن عبد الله قطع عليه الكلام، وكان الرسول ﷺ يَوَدّ أن ينتظره حتى يكمل حديثه، فإن الإنسان حين يكظم غيظه يظهر على وجهه بعض العبوس، ولا يستطيع إخفاءه كُلِّيَّة، وعُبوس الرسول ﷺ لم يكن احتقاراً له، فهو الذى جعله يؤذن لصلاة الفجر، فقال: "**إن بلالاً يؤذِّن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم**" [متفق عليه] ولو كان النبى ﷺ هو الذى ألَّف القرآن - كما يدَّعى المغرضون - لَمَا أخبرنا عن هذا العبوس، ولو أنه قصَّر فى تبليغ آيات الله، أو

حذف شيئاً منها، لحذف هذه الآية.

والذين يعتبرون مجرد عبوس الرسول ﷺ فى وجه الأعمى الذى لا يراه ينافى حُسْن الخلق.. ماذا يقولون عن سَبّ معبودهم لتلاميذه ومحبِّيه؟ فقد جاء فى كتابهم المقدس: **فالتفت وقال يا بطرس اذهب عنى يا شيطان. أنتَ مَعثرَة لى** (متى١٦: ٢٣) مع العلم أن (بطرس) مُعظَّم عندهم بنَصّ كتابهم الذى قال: **وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيسةى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات. وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً فى السموات.** (متى١٦: ١٨-١٩)، والله أعلم.

س١٢٧- تقولون إن نبيكم كان متواضعاً، وأنه كان يعطف على الفقراء والمساكين، ثم ينفى القرآن صفة التواضع عنه، فيقول: {وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ} [الأنعام:٥٢] وها هو يطردهم يريد زينة الحياة الدنيا {وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الكهف:٢٨]

ج١٢٧- إن ما حدث هو أن بعض السادة من المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم يوماً يستمعون فيه إلى حديثه، ويجعل للفقراء والعبيد يوماً، فقد كان هناك تفاوت طبقى رهيب بين السادة والعبيد، فلما رأى السادة من المشركين أن بلالاً وصُهَيباً وخبّاب بن الأرَتّ وغيرهم من العبيد يجلسون بجوار أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من وُجهاء القوم من المسلمين - رضى الله عنهم أجمعين - لم يعجبهم هذا الأمر، وقالوا له: (أتجلسُنا بجوار هؤلاء العبيد؟ إن رائحتهم تؤذينا، فإن أردتَ أن نسمع منك فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً) وذلك (بمنطق المتكبرين) كما لو أردتَ أن تجلس جُندياً بجانب لِواء، أو عامل نظافة بجانب وزير، والرسول ﷺ كان حريصاً كل الحرص على هداية الناس أجمعين، فهو الذى رأى النار وأهلها بعينيه ليلة المعراج، وهو الذى قال: **"والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٢٤٤٩] فالرسول ﷺ لم يجبهم إلى طلبهم، ولكنه فكر فيه بمجرد تفكير، ولم يكن ذلك لمصلحته الشخصية، ولكن حرصاً على

هدايتهم كما قلنا، فقد كان حزيناً عليهم أشد الحزن، لدرجة أن حزنه عليهم كاد يقتله، كما قال له ربنا تبارك وتعالى: {لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:٣] وقال: {فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف:٦] فمجرد تفكيره هذا لم يُرضِ الله عز وجل، فأنزل عليه هذه الآيات لئلا يجيبهم إلى ما طلبوه، فإن الميزان عند الله سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح، وليس بالجاه أو المال أو الولد، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات:١٣] وقال: {وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ} [سبأ:٣٧] وقال رسوله ﷺ: **"إن الله تعالى لا ينظر إلى صُوَركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"** [صحيح الجامع:١٨٦٢] فهو سيّد المتواضعين صلوات ربى وسلامه عليه، وهو الذى رأته امرأة ذات مرة يأكل وهو جالس القُرفُصاء، فقالت: إنه يجلس جِلسة العبد (لأن العبد يجلس هذه الجلسة ليكون مستعداً للقيام بسرعة إذا طلب منه سيده أى شيء) فقال: **"آكُل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد"** [مصنف عبد الرزاق، أخرجه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم٤٤١]، أما قوله تعالى: {تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} فهو لِلَفت نظره أن هذا فعل من يريدون زينة الحياة الدنيا لئلا يكون مثلهم، كما أن أى توجيه للرسول ﷺ هو توجيه لأمّته من باب أَوْلَى.

إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه قط أنه طرد أحداً من المسلمين، ولو كان أفقر الفقراء، حتى ولا أحداً ممن عُرِفوا بالنفاق، أين هذا مما جاء فى كتابكم المقدس من وصف معبودكم للمرأة التى استنجدت به بالكلاب؟ وها هو الدليل:

ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود. ابنتى مجنونة جداً. فلم يُجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أُرسَل إلا إلى خِراف بيت إسرائيل الضالّة. فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعِنّى. فأجاب وقال ليس حَسناً أن يؤخذ خُبز البنين ويُطرَح للكلاب. فقالت نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفُتات الذى يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب

يسوع وقال لها يا امرأة عظيمٌ إيمانُكِ. ليكن لك كما تريدين. فشُفِيَت ابنتها من تلك الساعة (متى١٥: ٢١-٢٨) وقد أمر تلاميذه ألا يسلِّموا على أحد فى الطريق، فقال: **ولا تسلِّموا على أحد فى الطريق** (لوقا١٠: ٤) أين هذا من قول رسولنا ﷺ لمن سأله أىّ الإسلام خير: **"تُطعِم الطعام وتقرأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف"** [متفق عليه]؟، والله أعلم.

س١٢٨- إن نبيكم كان قاطع طريق، ألا ترون ما فعله هو وأصحابه من الخروج لقطع الطريق على قافلة أبي سفيان؟

ج١٢٨- إن ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ لم يكن قطعاً للطريق - وإن بدا ذلك فى ظاهر الأمر - لأن المهاجرين تركوا ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم من تعذيب المشركين لهم، ولم يكتفِ المشركون بذلك، بل إنهم استولوا على تلك الأموال والديار وباعوها، حتى بيت النبى ﷺ لم يَنجُ من سَطْوِهم، وقصة صهيب الرومى ﷺ معروفة، حين منعوه من الهجرة إلا أن يترك لهم جميع أمواله، فتركها وهاجر إلى الرسول ﷺ فلما رآه الرسول قال له: **"رَبِحَ البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى"** فهل إذا سطا عليك أحد وأخذ منك جميع ما تملك، ثم وجدتَ فرصة لاسترداد بعض ما أخذه منك، أيكون هذا قطعاً للطريق؟

وإننا لنتعجب ممن يلصقون التُّهَم بأشرف الخلق أجمعين، صلوات ربى وسلامه عليه إلى يوم الدين، ويخفون ما جاء فى كتابهم المقدس من قتل الأطفال والشيوخ، وحرق الْمُدُن، وخطف النساء والاعتداء عليهن، لدرجة اتهام سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بخطف امرأة من زوجها، وها هى الأدلة:

كل من وُجِدَ يُطعَن وكل من انحاش يسقط بالسيف. وتُحَطَّم أطفالهم أمام عيونهم وتُنهَب بيوتهم وتُفضَح نساؤهم (إشعياء١٣: ١٥-١٦)

وأوصوا بنى بنيامين قائلين امضوا واكْمنوا فى الكروم. وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه ليَدُرنَ فى الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأته من بنات شيلوه واذهبوا إلى أرض بنيامين. (قضاة٢١: ٢٠-٢١)

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها. لم يُبْقِ شارداً بل حَرَّم كل نَسَمَة كما أمر الرب إله إسرائيل. (يشوع١٠: ٤٠)

ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار. كقول الرب تفعلون. انظروا. قد أوصيتكم. (يشوع٨: ٨)

فأرسل أبنير من فوره رُسُلاً إلى داود قائلاً لمن هى الأرض. يقولون اقطع عهدك معى وهُوَذا يدى معك لردّ جميع إسرائيل إليك. فقال حسناً. أنا أقطع معك عهداً إلا إنى أطلبُ منك أمراً واحداً وهو أن لا ترى وجهى ما لم تأتِ أولاً بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهى. وأرسل داود رُسُلاً إلى أيشبوشث بن شاول يقول أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لنفسى بمئة غُلفَة من الفلسطينيين. فأرسل أيشبوشث وأخذها من عند رَجُلِها من فلطيئيل بن لايش. وكان رَجُلُها يسير معها ويبكى وراءها إلى بحوريم. فقال له أبنير اذهب. ارْجِعْ. فَرَجَعَ (صموئيل الثانى٣: ١٢-١٦) والدليل على أن كلمة (رَجُلِها) تعنى (زوجها) ما جاء فى الكتاب المقدس عن السيدة حواء، حيث قال: فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهيّة للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. (تكوين٣: ٦)، والله أعلم.

س١٢٩- إن ربكم قد أخرج نبيكم من حنثه فى اليمين كما تخرج الشعرة من العجين، وذلك حين قال له: {قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [التحريم:٢]

ج١٢٩- إن هذا تيسير على الأمة كلها، ورفع الحرج عنها، وليس خاصاً بالرسول ﷺ وحده، فهل قالت الآية (قد فرض الله لك تَحِلّة أيمانك) أم قالت: {قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ}؟ وتَحِلّة الأيمان قد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:٨٩] ففى هذه الآية الكريمة رفع للحرج عن المؤمنين من جهة، والتوسعة عليهم من جهة أخرى، أمّا رفع الحرج فقد وضحه الرسول ﷺ فى قوله: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذى هو خير وليكفّر عن يمينه" [صحيح مسلم] وأما التوسعة على المؤمنين ففى طريقة التكفير عن اليمين، فهى إما بإطعام المساكين، أو كسوهم، أو

تحرير رقبة، وهذا فيه النفع لفقراء الأمة ورَقيقِها، ومن لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو العتق فليَصُم ثلاثة أيام، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه. وهذا الأمر ليس قاصراً على كفارة اليمين، بل إن معظم الكفارات قائمة على نفع المخلوقين بالصدقة والعتق والإطعام والكسوة أكثر من القيام بالعبادة المحضة التى لا يعود نفعها إلا على فاعلها كالصلاة والصيام. وآية كفارة اليمين نزلت قبل أن يحرم الرسول ﷺ على نفسه العسل، فلم تنزل له خاصة، بل هى للمؤمنين عامة.

وقد جاء فى الكتاب المقدس - ليس فقط سهولة كفارة اليمين - بل سهولة كفارة القتل، إذ يقول:

إذا وُجِدَ قتيل فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً فى الحقل لا يُعلَم من قَتَلَهُ يخرج شيوخك وقُضاتُك ويقيسون إلى المُدُن التى حول القتيل. فالمدينة القُرْبى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عِجْلة من البقر لم يُحرَث عليها لم تَجُرَّ بالنِّير وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعِجْلَة إلى وادٍ دائم السَّيَلان لم يُحرَث فيه ولم يُزرَع ويكسرون عُنُق العِجْلة فى الوادى... ويغسلُ جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العِجْلة المكسورة العُنُق فى الوادى ويُصرِّحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تُبصِر. اغفِر لشعبكِ إسرائيل الذى فديتَ يا رب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبكَ إسرائيل. فيُغفَر لهم الدم. فتنزعُ الدم البرئ من وسَطِك إذا عملتَ الصالح فى عَيْنى الرب (تثنية٢١: ١-٩) ونحن نتساءل: ما ذنب العِجْلة أن يُكسَر عُنُقها؟ ألا كان يكفى أن يُقْسِموا أنهم لم يقتلوه؟، والله أعلم.

س١٣٠- إن ميلاد محمد ليس فيه أى خارقة كميلاد عيسى وموسى، فأما عيسى فقصته معلومة، وأما موسى فقد وُلِدَ فى عام الذبح ولكنه لم يُذبَح، بل تربَّى فى قصر فرعون، فلو كان شأن نبيكم عظيماً - كما تدَّعون - لكان لولادته شأن عظيم أيضاً.

ج١٣٠- إن هذا من باب الأسئلة الطفولية التى نضطر أن نجيب عليها حتى لا يُقال إننا هربنا منها، ونجيبكم بسؤالكم: هل تؤمنون بنبى الله إبراهيم أم أنكم لا تؤمنون به؟ بالطبع ستكون إجابتكم أن نعم، فنسألكم: هل حدثت فى ولادته أى خارقة، أو أى شىء غير طبيعى؟ وهل كانت فى ولادة نوح، أو إدريس، أو إسحاق، أو يعقوب، أو هارون،

أو أى نبى من أنبياء بنى إسرائيل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أى خارقة؟ ثم من قال: إن ولادة سيدنا محمد ﷺ لم تكن فيها معجزات؟ لقد كانت هناك معجزات كثيرة، ولكننا لا نعوِّل عليها، لأنها مضت.. فربما جحدها الجاحدون، ولأن المعجزة الأهم والأبقى هى معجزة القرآن، ومن هذه المعجزات أن جميع الأصنام التى كانت فى الكعبة وقعت يوم ولادته، حتى (هُبَل) الذى كان أضخمها، وكان مُثَبَّتاً فى الأرض بالأوتاد، وقع على وجهه. وغارت بحيرة (ساوا) التى كانت تُعبَد من دون الله، وسقطت كل الكنائس التى حولها. واهتز إيوان (كسرى) عظيم الفرس، وسقطت منه بعض الشُّرُفات، وأُطفِئَت نار المجوس التى مر عليها ألف عام وهى موقدة، وقد كان الفرس يعبدونها من دون الله، ولم تكن ناراً عادية، فقد كان لها معبد ضخم البنيان، ومصادر لتغذيتها بالوقود من الزيت والخشب، وكان لها دوريات تحرسها ليل نهار، فانطفأت فجأة، مما أثار تشاؤم كسرى الذى كان يسمى (أنوشروان) وكاد يفتك بالجند الموكلين بحراستها، ولكنه سأل الكهنة والسحرة عن السبب فى هذا، فقالوا له: إن نبى العرب قد وُلِدَ. وقد نزل الرسول ﷺ شاخصاً ببصره إلى السماء، واضعاً كفَّيه على الأرض، كأنه ساجد لله تعالى، ولم تشعر أمه بحمله ولا ولادته، مما جعلها تقول: (حملته خِفّاً ووضعته خِفّاً) وقد حدثت هذه الأشياء كلها كإشارة إلى التوحيد الذى جاء به هذا النبى الخاتم ﷺ، والله أعلم.

س١٣١- يقول نبيكم: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة: المصوِّرون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" [مسند أحمد، صحيح الجامع:٩٩٩] **فلو كان محمد مرسلاً من عند الله لَمَا حرَّم عملاً رائعاً تقوم عليه حضارة الدنيا الآن، وهو ضرورة حتمية من ضرورات الحياة الحديثة، مثل تحقيق الشخصية، وتعليم الطب والجراحة، وعالم الحيوان والبحار.. إلخ، ونحن نرى شيوخ الإسلام فى الفضائيات، فهل تعتبرونهم عُصاة؟ حقاً.. إنه لأمر مضحك.**

ج١٣١- إن هذا فهم خاطئ لكلمة (صورة) فكلمة (صورة) تعنى تمثالاً أو صنماً.. أى ما له ظِل، وبناءً على ذلك فالمقصودون فى الحديث الشريف هم صناع التماثيل أو النحّاتون، لأنهم يحاولون تقليد صنع الله، وهى مَدْعاة لتعظيمها وعبادتها من دون الله، ولذلك يقال لهم يوم القيامة: "أحيوا ما خلقتم" إذن فالحديث لا يمنع تطور العلم، لأنه لا

يمنع هذه الصور التى قصدها السائل، فالذى سأل عنه هو التصوير الفوتوغرافى الذى لم يكن موجوداً على عهد رسول الله ﷺ، وهو ليس بتصوير حقيقى، ولكنه نقل للصورة عن طريق آلة التصوير، ولا يحتاج لأى مهارة، فلو وقع طائر - مثلاً - على زِر التقاط الصورة لصوَّرها، ولو ضغط على الزر طفل لصورها، إذن فهو ليس محاولة لتقليد خلق الله، و لم يحرمه فقهاء المسلمين طالما أن له نفعاً وضرورة، أما إذا استُخدِم فى تصوير محرَّم فيكون محرَّماً (رياض الصالحين بشرح ابن العثيمين، الجزء الرابع: ص٢٤٠-٢٤٢) وحتى التماثيل لو أن هناك ضرورة لصنعها فقد أباحها العلماء، بشرط ألا تكون على هيئة يحيا عليها الإنسان أو الحيوان، أى أنها لا تكون كاملة.. فيقطعون رءوسها — مثلاً - أو يصنعون يداً أو قدماً كعلاج لبتر الأطراف، أو غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة. وكذلك فإن لعب الأطفال مباحة لأنها تمان، ولكنها لا تُكرَّم بوضعها على مكان عالٍ أو بأى طريقة، وبشرط ألا يُبالغ فى مضاهاتها لصنع الله جل وعلا. إن من أسماء الله تعالى (المصوِّر) فهل يصوِّر صُوَراً كهذه الصور الفوتوغرافية، أم أنه يخلق خلقاً متكاملاً؟ ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ} [آل عمران:٦] وقوله: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [التغابن:٣] فهل صوَّرنا فى أرحام أمهاتنا صوراً فوتوغرافية؟ أم أنه صورنا بمعنى أنه خلقنا فأحسن صورنا؟

وليس غريباً على من يصنعون التماثيل للفئران والبواسير أن ينكروا علينا تحريم التماثيل، فقد جاء فى كتابهم المقدس:

واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التى تفسد الأرض واعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم (صموئيل الأول٦: ٥)

ووضعوا تابوت الرب على العجلة مع الصندوق وفيران الذهب وتماثيل بواسيرهم (صموئيل الأول٦: ١١)

وهذه هى بواسير الذهب التى ردها الفلسطينيون قُربان إثم للرب. (صموئيل الأول٦: ١٧)

فقالوا وما هو قربان الإثم الذى نردّه له. فقالوا حسب عدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأن الضربة واحدة عليكم جميعاً وعلى

أقطابكم (صموئيل الأول٦: ٤) وحتى لا يظن أحد - من دهشته - أن البواسير ربما كان لها معنى آخر عندهم، فليرجع إلى الإصحاح الذى قبله. ولكن مع هذا فقد حرم كتابهم المقدس التماثيل فى موضع آخر، فقال: **ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رِجساً لدى الرب عَمَلَ يَدَىّ نحَّات ويضعه فى الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون آمين.** (تثنية٢٧: ١٥)، والله أعلم.

س١٣٢- إن الإدمان مرض يعانى منه كثير من الشعوب، وتقام لعلاجه المصحات، ولكن نبيكم بدلاً من أن يعالج المدمنين يأمر بقتلهم، مع أنهم كانوا يشربون الخمر قبل الإسلام شربهم للماء، فيقول: "من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه، فإن عاد الثالثة فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه" [صحيح الجامع:٦٣٠٩] فهل هذا {رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ}؟

ج١٣٢- إن المستدل بالحديث ليس عنده علم، ولكنه تلقّفه ليطعن فى الرسول ﷺ، فبالرغم من صحة الحديث إلا أنه منسوخ، لأن الرسول ﷺ عُرِضَ عليه الذى شرب الخمر أكثر من ثلاث مرات فلم يقتله، فكان فعله نسخاً لقوله، وهذا من رحمته ﷺ، حتى إن رجلاً لعن شارب الخمر الذى أقيم عليه الحد عدة مرات، فقال الرسول ﷺ: **"لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ إلا أنه يحب الله ورسوله"** [صحيح البخارى] فلم يقتل الرسول ﷺ مدمناً قط، و لم يقتل بعده أحد من الخلفاء الراشدين أى مدمن. والسائل يعلم أن التاريخ كله لم يعرف نجاح أحد مثل نجاح سيدنا محمد ﷺ فى القضاء على الخمر، حتى إن (برنارد شو) المفكر الانجليزى قال: (لو كان محمد عَلَى قيد الحياة لحل مشاكل البشرية كلها وهو يشرب فنجاناً من القهوة) ولما سُئِلَ عن هذه المقولة قال: (إن محمداً استطاع أن يحرم الخمر على أمة عاشقة للخمر، ولكن العالم المتحضر كله لا يزال يعانى من مشكلة إدمان الخمور، و لم تفلح معهم أى قوانين) ويكفى السائل أن يعلم أن حوادث السيارات المترتبة على شرب الخمر فى أمريكا وأوربا تفوق قتلى الحربين العالميتين الأولى والثانية، بل وكل الحروب على مر السنين، فأين هى معاجتهم؟

وسبحان الله! إنهم يعيبون علينا حديثاً منسوخاً لم يعمل به أحد، وينسَون أن عقوبة شارب الخمر عندهم الرجم بالحجارة حتى الموت، وهذا نَصّ ما جاء فى كتابهم المقدس:

إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدّبانه فلا يسمع لهما. يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به الى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته. ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكّير. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون (تثنية٢١: ١٨-٢١) أما عقوبة الجلد التى يتأففون منها، ويتهموننا بالوحشية فى تطبيقها، فهى فى كتابهم المقدس، إذ يقول: **إذا كانت خصومة بين أناس وتقدموا إلى القضاء ليقضى القضاة بينهم فليبرروا البارّ ويحكموا على المذنب. فإن كان المذنب مستوجب الضرب يطرحه القاضى ويجلدونه أمامه على قدر ذنبه بالعدد.** (تثنية٢٥: ١-٢)، والله أعلم.

س١٣٣- إن محمداً ينصح أتباعه بشرب ألبان الإبل وأبوالها إذا اصابهم مرض الاستسقاء، أليس هذا أمراً مقززاً تشمئذ منه النفوس؟ ثم ما دخل ألبان الإبل وأبوالها بالاستسقاء؟

ج١٣٣- إن السائل قد تعجب من هذا العلاج، ولم يذكر أن الذين وصف لهم الرسول ﷺ هذا الدواء قد صحّت أبدانهم بعدما شربوها، ونقول له ولأمثاله: إن هذا الحديث غير مُلزِم، أى أنه ليس فرضاً على من أصيب بالاستسقاء أن يشرب ما تعافه نفسه، فقد أحلّ رسول الله ﷺ أكل الضّب، ولكنه لم يأكله، وقال عنه: **"لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه"** [متفق عليه] ولكن بعض المرضى لا يأنفون من هذا العلاج، لأنه أهون عليهم من المرض، وأيسر من التداوى بالحقن، وأرخص من الأدوية المكلفة، حيث أن العلاج ببديل الزُّلال الناقص عندهم يتكلف آلافات الجنيهات. وقد أثبتت دراسة علمية أجرتها كلية (المختبرات الطبية) بجامعة (الجزيرة) بالسودان عن استخدامات قبيلة (البطانة) فى شرق السودان (بول الإبل) فى علاج بعض الأمراض، حيث أنهم يستخدمونه لعلاج الاستسقاء والحميات والجروح. وقد كشف البروفسور (أحمد عبدالله محمدانى) تفاصيل تلك الدراسة العلمية التطبيقية المذهلة داخل ندوة جامعة الجزيرة، حيث ذكر أن الدراسة استمرت ١٥ يوماً حيث اختير ٢٥ مريضاً مصابين بمرض الاستسقاء، وكانت بطونهم منتفخة بشكل كبير قبل بداية التجربة العلاجية، وبدأت التجربة بإعطاء كل

مريض يومياً جرعة محسوبة من بول الإبل مخلوطاً بألبانها ليكون طعمه مستساغاً، وبعد ١٥ يوماً من بداية التجربة أصابهم الذهول من النتيجة، إذ انخفضت بطونهم وعادت لوضعها الطبيعى، وشفى جميع أفراد العيّنة من الاستسقاء، وتصادف - بقَدَر الله - وجود بروفسور انجليزى أصابه الذهول وأشاد بالتجربة العلاجية. وقال البروفسور أحمد: أجرينا قبل الدراسة تشخيصاً لكبد المرضى بالموجات الصوتية فاكتشفنا أن كبد ١٥ من الــ٢٥ مريضاً يحتوى (شمعاً) وبعضهم كان مصاباً بتليف فى الكبد بسبب مرض البلهارسيا، وجميعهم استجابوا للعلاج بــ(بول الابل) وبعض أفراد العينة استمروا برغبتهم فى شرب جرعات بول الإبل يومياً لمدة شهرين آخرين، وبعد نهاية تلك الفترة أثبت التشخيص شفاءهم من تليف الكبد وسط دهشتنا جميعاً.

ويخبرنا البروفسور أحمد عبد الله عميد كلية المختبرات الطبية عن تجربة علاجية أخرى عن طريق لبن الإبل، وهى تجربة قامت بها طالبة ماجستير بجامعة الجزيرة لمعرفة أثر لبن الإبل على معدل السكر فى الدم، فاختارت عدداً من المتبرعين المصابين بمرض السكر لإجراء التجربة العلمية، واستغرقت الدراسة سنة كاملة حيث قسمت المتبرعين لفئتين: كانت تقدم للفئة الأولى جرعة من لبن الإبل بمعدل نصف لتر يومياً شراباً على (الرِّيق) وحجبته عن الفئة الثانية، وجاءت النتيجة مذهلة بكل المقاييس إذ أن نسبة السكر فى الدم انخفضت بدرجة ملحوظة وسط الفئة الأولى ممن شربوا لبن الإبل، عكس الفئة الثانية، وهكذا عكست التجربة العلمية لطالبة الماجستير مدى تأثير لبن الابل فى تخفيض أو علاج نسبة السكر فى الدم.

وأوضح د. أحمد المكونات الموجودة فى بول الإبل، حيث قال إنه يحتوى على كمية كبيرة من البوتاسيوم يمكن أن تملأ جرادل، ويحتوى أيضاً على زلال بالجرامات، ومغنسيوم، إذ أن الإبل لا تشرب فى فصل الصيف سوى ٤ مرات فقط، ومرة واحدة فى الشتاء، وهذا يجعلها تحتفظ بالماء فى جسمها، فالصوديوم يجعلها لاتدر البول كثيراً، لأنه يرجع الماء إلى الجسم. ومعروف أن مرض الاستسقاء إما نقص فى الزلال أو فى البوتاسيوم، وبول الإبل غنى بالاثنين معاً.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أكْل العَذرة (الغائط) وشُرب بول الإنسان، إذ يقول:

فقال لهم ربشاقى هل إلى سيدك وإليك أرسلنى سيدى لكى أتكلم بهذا الكلام. أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عذرهم ويشربوا بولهم معكم. (الملوك الثانى١٨: ٢٧)

وجاء فيه من المخالفات العلمية التى لا أصل لها فى (عدد٥: ١١-٣١) أن الرجل إذا شك فى خيانة امرأته يأخذها للكاهن فتعرّى رأسها أمامه، فيسقيها ماء اللعنة، وهو ماء مخلوط بالتراب، فإن كانت خائنة ورم بطنها وشُلّ فخذها. ونحن نتساءل: هل شرب الماء المخلوط بالتراب يحدث بالبطن ورماً؟ وبالفخذ شللاً؟ وهل للتراب دخل فى الأعمال، فيصيب الخائنة دون غيرها؟ وكيف الحال لو أن هذا التراب كان مُلوَّثاً بالجراثيم وغيرها؟، والله أعلم.

س١٣٤- يقول نبيكم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" [صحيح مسلم] وهذا لا يتناسب مع الواقع الذى نعيشه، فعلى سبيل المثال دول الخليج المسلمة بالمقارنة مع الدول البوذية الْمُعدَمة، أين هى جنة البوذيين وسجن المؤمنين؟

ج١٣٤- إن ما فيه المؤمنون من هذا النعيم لا يساوى شيئاً بالنسبة لما أعدَّه الله لهم من النعيم المقيم، وما فيه الكافرون من الفقر والمرض يعتبر جنة بالمقارنة لما ينتظرهم من العذاب الأليم. كذلك فإن القيود التى يتقيد بها المسلم من الأوامر والنواهى تجعله - بالنسبة للآخرة - وكأنه فى سجن، وانطلاق الكافر فى ملذاته وشهواته تجعل الدنيا جنته، والله أعلم.

س١٣٥- يقول نبيكم: "بيت لا تَمْرَ فيه جياع أهله" [صحيح مسلم] ما هذا يا مسلمون؟ أيكون الأغنياء جياعاً إن لم يكن عندهم تمر؟ إن هذا لمضحك حقاً!

ج١٣٥- إن التمر من أفضل الثمار المفيدة للإنسان على مر الأزمان، وقد كان التمر أغلب قوت بلاد الحجاز فى زمن الرسول ﷺ، وقد قال العلماء: إن هذا الحديث ينطبق على من ليس عنده غالب قوت بلده، فمن كان غالب قوت بلده البُر.. يقال: بيت لا بُرَّ فيه جياع أهله، ومن كان غالب قوت بلده الأرز (مثل مصر) يقال: بيت لا أرز فيه جياع أهله.. وهكذا. وهناك تفسير آخر للحديث الشريف.. وهو أن البيت الذى فيه التمر - ولو كان غنياً - فهو يسد جوع أهله مؤقتاً ريثما يُطهَى الطعام، فلو دخل رب البيت -

مثلاً – وهو جائع، وزوجته لم تكمل طهى الطعام فإنه يتصبَّر ببضع تمرات حتى تنتهى من تحضير طعامها، والله أعلم.

س١٣٦- إن نبى الرحمة – كما تقولون – يهدد أهل مِلّته، ويريد إحراقهم بالنار إن لم يصلوا فى مسجده، كما ورد ذلك فى الصحيحين.

ج١٣٦- إن الرسول ﷺ لم يحرق أحداً أبداً، بل و لم يحرق أى كائن حى، حتى إنه نهى عن حرق قرية النمل وقال: **"إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا ربُّ النار"** [صحيح الجامع:٢٤٢٥] ويبدو أن السائل لا علم له باللغة العربية، لأن الحديث يقول: **"أُحَرِّق عليهم بيوتهم"** ولابد للموجود فيها أن يخرج، وكأن البيوت سبب انقطاع الرجال عن المسجد، فالرسول ﷺ همَّ بأن يحرِّق السبب وهو البيوت، و لم يَهِمّ بحرق الناس، لأن صلاة الجماعة لها فى الإسلام شأن عظيم، وأجر كبير، وفوائد متعددة، وهى أفضل العبادات، ويضيق المقام عن ذكر فوائدها. والرسول ﷺ هو القدوة، فلم يأمرهم بالصلاة فى المسجد ويصلى هو فى البيت، بل هو إمام المسلمين فى كل الصلوات. ثم إنه ﷺ همَّ بالتحريق فقط و لم ينفِّذ ما همَّ به، وذلك من شدة غضبه عليهم، كمن يغضب على ابنه غضباً شديداً ويقول: لأفعلنَّ به كذ وكذا، ثم لا يفعل شيئاً، فمجرد الهمّ بالشىء لا يؤاخذ عليه الإنسان كما ورد ذلك فى أحاديث الرسول ﷺ. وقد ذكرنا فى الإجابة على الشبهة رقم (١٧٩) وغيرها أن الكتاب المقدس أمر بإحراق المدن بمن فيها وما فيها. وجاء فيه أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعاقب قوماً، ثم رجع فى كلامه (بزعمهم) و لم يعاقبهم:

فتمرد الأبناء علىَّ. لم يسلكوا فى فرائضى ولم يحفظوا أحكامى ليعملوها التى إن عملها إنسان يحيا بها ونجسوا سُبوتى فقلتُ إنى أسْكُبُ رِجْزِى عليهم لأُتِمَّ سخطى عليهم فى البريَّة. ثم كففتُ يدى (حزقيال٢٠: ٢١-٢٢) مع أن هذا يتناقض مع النَّص التالى الذى يؤكد أن الله لا يرجع فى كلامه:

ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن انسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يَفِى. (عدد٢٣: ١٩)، والله أعلم.

س١٣٧- ذكر ابن هشام فى السيرة أن نبيكم كان يشك فى ما رآه هل هو مَلَك أم شيطان؟ فطلب من خديجة أن تكشف له عن حقيقته، فأجلسته على فخذها

وكشف شعرها، وعندها ذهب عنه ما رآه أخبرنه أنه ملك، فهل ما فعلته دليل على نبوّته؟

ج١٣٧- لقد جاءت هذه الرواية فى سيرة ابن هشام عن طريقين كلاهما لا يُحتَجُ به لأنه ضعيف، فالرواية الأولى عن طريق ابن إسحاق قال: حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم آل الزبير أنه حُدِّثَ عن خديجة - رضى الله عنها - أنها قالت لرسول الله ﷺ: أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ لخديجة: يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى، قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت فَحَوِّل فاجلس على فخذى اليمنى، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحَوَّل فاجلس فى حجرى، قال: فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، فحَسَرَت وألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان.

الطريق الثانية: عن ابن إسحاق قال: حدثت عبد الله بن حسن فقال قد سمعت أمى بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أنى سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل، فقالت لرسول الله ﷺ: إن هذا لملك وما هو بشيطان.

وإليكم الدليل على ضعف الروايتين: الرواية الأولى بها انقطاع، لأن اسماعيل بن حكيم لم يسمع من السيدة خديجة - رضى الله عنها - وقال إنه (حُدِّثَ) و لم يذكر مَن حَدَّثه، وهذا كافٍ لإبطال هذا الطريق. أما الرواية الثانية فهى عن فاطمة بنت حسين عن خديجة، وفاطمة هى بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه وهى تابعية وُلِدَت بعد وفاة السيدة خديجة بنحو ثلاث وأربعين سنة، ففاطمة لم تسمع من خديجة، فيصبح هذا من المراسيل، وهذا كافٍ لتضعيف هذا الطريق أيضاً، وحتى الحسين رضي الله عنه لم يرَ السيدة خديجة لأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، والحسين ولد فى شعبان سنة أربع من الهجرة، أى

بعد وفاتها بسبع سنين، فإذا كان لم يسمع منها فكيف بابنته؟ وبفرض صحة هذين الحديثين فإن هذا كان فى بادئ الأمر عندما جاءه جبريل ﷺ فى غار حراء وهو وحده وليس معه أحد، فخاف على نفسه أن يكون أصابه شيء من الجن. ثم إن الرسول ﷺ لم يطلب من السيدة خديجة أن تكشف له عنه، ولكنها هى التى طلبت منه ذلك كما يتضح من الرواية.

وقد جاء الأمر فى الكتاب المقدس - ليس فقط بكشف الشعر أمام المَلَك - بل بكشف العورة أمام الرجال: **فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب. هكذا قال السيد الرب. من أجل أنه قد أُنفِقَ نحاسكِ وانكشفت عورتكِ بزناكِ بمحبيك... لذلك هأنذا أجمع جميع محبّيكِ الذين لذذتِ لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليكِ من حولكِ وأكشف عورتكِ لهم لينظروا كل عورتكِ... وينزعون عنكِ ثيابكِ ويأخذون أدوات زينتكِ ويتركونكِ عريانة وعارية.** (حزقيال١٦: ٣٥-٣٩)، والله أعلم.

س١٣٨- إن رسولكم قد شرب الخمر، فقد شرب النبيذ وأمركم بشربه، وما النبيذ إلا خمراً.

ج١٣٨- إن السائل لم يفهم معنى كلمة نبيذ، وقد قرأ الرواية التى وردت عن رسول الله ﷺ وطار بها، ألا وهى: حدثنا روح حدثنا حماد عن حميد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل، وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ، أمِنْ بُخل بكم أو حاجة؟ فقال ابن عباس: ما بنا بخل ولا حاجة، ولكن رسول الله ﷺ جاءنا ورديفه أسامة بن زيد فاستسقى فسقيناه من هذا - يعنى نبيذ السقاية - فشرب منه، وقال: **"أحسنتم هكذا فاصنعوا"** [مسند الإمام أحمد]

إن معنى كلمة (نبيذ) هو ما يُنبَذ (أى يُنقَع) فى الماء أو اللبن أو العسل، سواء كان من التمر أو الزبيب أو الشعير.. إلخ. ومن الواضح أن النبيذ الذى ورد فى الحديث كان شيئاً زهيد السعر، فلو كان خمراً كما فهم هذا الناقد لَمَا اتهم الأعرابى عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - بأن قومه بخلاء، إذ كيف يتهمه بالبخل والخمر أغلى من الماء واللبن والعسل؟ ومن المعروف عن بنى هاشم أنهم كانوا ينقعون التمر فى الماء ويسقونه للحجيج. ثم كيف يشرب الرسول ﷺ شيئاً نهى عن شربه حيث قال: **"كل مُسكِرٍ حرام"** [متفق

عليه] وقال: **"كل شراب أسكر فهو حرام"** [متفق عليه] أما النبيذ (وهو ما يصنعه المسلمون فى رمضان) فقد أحله الرسول ﷺ بشروط، فقال: **"نهيتكم عن النبيذ إلا فى سقاء، فاشربوا فى الأسقية كلها، ولا تشربوا مُسكراً"** [صحيح مسلم] **"لا تجمعوا بين الرطب والبُسْر، وبين الزبيب والتمر نبيذاً"** [صحيح مسلم] **"من يشرب النبيذ منكم فليشربه زبيباً فرداً، أو تمراً فرداً، أو بُسْراً فرداً"** [صحيح الجامع:٦٦١٥]

وأخيراً ننصحكم أن ترجعوا لكتابكم المقدس لتقرأوا فيه أن أول آية (بزعمكم) ظهرت على يد المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تحويل الماء إلى خمر: **وفى اليوم الثالث كان عُرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك. ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العُرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع ما لى ولكِ يا امرأة. لم تأتِ ساعتى بعد. قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجْرَان من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يَسَع كل واحد مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتَّكأ. فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوِّل خمراً ولم يكن يعلم من أين هى. لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدُّون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه** (يوحنا٢: ١-١١) يا للعجب! أول آية كدليل على النبوة (أو الألوهية بزعمكم) تكون فى صالح السكارى؟ فماذا يفعل التلاميذ إذ كان مُعلِّمهم هو الذى شجعهم على شرب الخمر وجعلها آية؟ و لم يساعدهم على شربها فقط، بل شربها هو أيضاً (بزعمهم) حيث يقول: **جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هُوَذا إنسان أكول وشرِّيب خمر. مُحِب للعشَّارين والخطاة.** (لوقا٧: ٣٤)، والله أعلم.

س١٣٩- تروى كتب الأحاديث عن عائشة أنها كانت حائضاً فأمرها نبيكم أن تكشف عن فخذها، ثم نام عليه وغطته بثوبها.

ج١٣٩- تقول الرواية: حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا عبد الله يعنى ابن عمر بن غانم عن عبد الرحمن يعنى ابن زياد عن عمارة بن غراب قال إن عَمَّة له حدثته أنها سألت

عائشة قالت: إحدانا تحيض وليس لها ولزوجها إلا فراش واحد، قالت أُخبرك بما صنع رسول الله ﷺ دخل فمضى إلى مسجده - قال أبو داود: (تعنى مسجد بيته) فلم ينصرف حتى غلبتنى عينى وأوجعه البرد، فقال ادْنى منى، فقلت إنى حائض، فقال: وإن.. اكشفى عن فخذيك، فكشفت فخذى فوضع خده وصدره على فخذى، وحنيتُ عليه حتى دفئ ونام. (رواه أبو داود والبيهقى، وضعفه الألبانى) كلمة "وإن" أى وإن كنتِ حائضاً.

عبد الرحمن بن زياد: وهو الأفريقى مجهول، قال البخارى فى كتاب الضعفاء الصغير٣٠٧: فى حديثه بعض المناكير. وقال الترمذى: ضعيف فى الحديث عند أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وأحمد بن حنبل. وقال البزار: له مناكير (كشف الأستار رقم٢٠٦١) وقال النسائى: ضعيف (الضعفاء والمتروكون٣٣٧) وقال الدارقطنى: فى سننه (٣٧٩/١) ضعيف لا يُحتَجّ به.

وبفرض صحة الحديث فإن هذا لا يشين النبى ﷺ فى شىء، بل هو من كمال تواضعه ﷺ إذ لم يستنكف من زوجته - رضى الله عنها - وهى حائض، بعكس ما جاء فى الكتاب المقدس من نجاسة المرأة أيام حيضها، ونجاسة كل ما تلمسه ويلمسها (كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم ٢٧٨) ولا يشينها هى أيضاً، لأنها ذكرته لتعلّم الأمة سيرته. والعجيب أن السائل يستنكر الحلال، ولا يستنكر ما جاء فى كتابه المقدس من الحرام، وإليكم بعضه:

خذى الرَّحَى واطحنى دقيقاً. اكشفى نقابك شمّرى الذيل. اكشفى الساق. اعبرى الأنهار. تنكشف عورتكِ وتُرَىَ مَعَاريك. (إشعياء٤٧: ٢-٣)

ما أجمل رجليكِ بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيكِ مثل الحلى صنعة يَدَىْ صنّاع. سُرَّتكِ كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنكِ صبرة حنطة مسيجة بالسوسن. ثدياكِ كخشفتين توأمى ظبية. عنقكِ كبرج من عاج... ما أجملكِ وما أحلاكِ أيتها الحبيبة باللذّات. قامتُكِ هذه شبيهة بالنخلة وثدياكِ بالعناقيد. قلتُ إنى أصعدُ إلى النخلة وأمسكُ بعذوقها. وتكون ثدياكِ كعناقيد الكرم ورائحة أنفكِ كالتفاح وحنككِ كأجود الخمر. لحبيبى السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين أنا لحبيبى وإلىّ اشتياقه. تعالَ يا حبيبى لنخرج إلى الحقل ولْنَبِتْ فى القرى... هنالك

أعطيكَ حُبِّى. اللفاح يفوح رائحة وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرهّا لكَ يا حبيبى (نشيد الأنشاد: الإصحاح٧)

لأنى من كوَّة بيتى من وراء شبّاكى تطلعت فرأيت بين الجهال لاحظت بين البنين غلاماً عديم الفهم عابراً فى الشارع عند زاويتها وصاعداً فى طريق بيتها فى العشاء فى مساء اليوم فى حدقة الليل والظلام. وإذا بامرأة استقبلته فى زِىّ زانية وخبيثة القلب. صخّابة هى وجامحَة. فى بيتها لا تستقر قدماها. تارة فى الخارج وأخرى فى الشوارع. وعند كل زاوية تَكمن. فأمسكَتْه وقبَّلته. (أمثال٧: ٦-١٣)

فى الليل على فراشى طلبتُ من تحبُّه نفسى طلبتُه فما وجدتُه. إنى أقوم وأطوف فى المدينة فى الأسواق وفى الشوارع أطلبُ من تحبه نفسى. طلبتُه فما وجدتُه. وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى. فما جاوزتُهم إلا قليلاً حتى وجدتُّ من تحبه نفسى فأمسَكتُه ولم أُرْخِه حتى أدْخلتُه بيتَ أمى وحجرة مَن حَبَلَت بى. أُحَلِّفكُنَّ يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائِل الحقل ألا تُيقِّظنَّ ولا تُنبِّهنَ الحبيب حتى يشاء (نشيد الأنشاد٣: ١-٥)

كما جاء فى الكتاب المقدس أيضاً - زوراً وبهتاناً - أن سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - نام بجوار فتاة عذراء، جميلة، لا تحل له، ليدفأ من البرد، وقد أوردنا الدليل على ذلك فى الرد على الشبهة (٢٧٨)، والله أعلم.

س١٤٠- إن نبيكم اضطجع مع زوجة عمه أبى طالب فى قبرها، أهكذا تكون العفَّة؟

ج١٤٠- عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لما ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: **"إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنما ألبستُها قميصى لتُكْسَى من حُلَل الجنة، اضطجعتُ معها ليُهَوَّن عليها"** (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر) عن ابن عباس قال: لما ماتت أم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت ممن كَفَلَ النبى ﷺ وربَّته بعد موت عبد المطلب، كفَّنها النبى ﷺ فى قميصه، وصلى عليها واستغفر لها، وجزاها الخير بما وَلِيَتْه منه، واضطجع معها فى قبرها حين

وُضِعَت، فقيل له: صنعت يا رسول الله بها صنعاً لم تصنع بأحد! قال: **"إنما كفنتها فى قميصى ليدخلها الله الرحمة ويغفر لها، واضطجعتُ فى قبرها ليخفف الله عنها بذلك"** (كنز العمال).

لنسأل أولاً: ما معنى الاضطجاع؟ الاضطجاع هو الاستلقاء أو النوم على الجنب. قال تعالى: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ} [السجدة:١٦] وقال رسوله ﷺ: **"إن هذه ضجعة يبغضها الله تعالى"** [صحيح الجامع:٢٢٧١] (أى أن الله يبغض النوم على البطن) إذن ليس هناك شيء مما ذهب إليه السائل من عدم العفة، فالرسول ﷺ نام فى قبرها وهى مُكفَّنة، على مَرأى من الصحابة ﷺ لعل الله يرحمها، وذلك من تمام وفائه لها إذ ربَّته، وأحسنت إليه، وجعلته كابنها، وليس عملاً يؤخذ عليه. وقد أساء السائل الظن بالرسول ﷺ لأن الاضطجاع عنده فى الكتاب المقدس يعنى الجماع، وغالباً ما يطلق على الزنى، بدليل:

وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض. فرآها شكيم ابن حَمُور الحِوِّى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلَّها. (تكوين٣٤: ١-٢)

وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه. (تكوين٣٥: ٢٢)

راعوث تضاجع (بوعز) بوصية من حماتها: **ومتى اضطجع فاعلمى المكان الذى يضطجع فيه وادخلى واكشفى ناحية رجليه واضطجعى وهو يخبرك بما تعلمين.** (راعوث٣: ٤)، والله أعلم.

س١٤١- روى البخارى فى صحيحه أنه ذُكِرَ عند نبيكم رجل نام ليله حتى أصبح (أى لم يُصَلِّ الفريضة) فقال: "ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه" فهل الشيطان يبول؟

ج١٤١- إذا كان الشيطان يأكل ويشرب، فما الغرابة فى أن يبول؟ وإذا كان لا يُرَى ولا يُشعَر به، **فهل يُرَى بوله أو يُشعَر به؟**

لقد وجَّه العلماء الأفاضل معنى بول الشيطان فى أُذُن من نام حتى فاتته الفريضة عدة توجيهات، منها: الأول: أن يُقال بأن هذا مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول فى أذنه فثقَّل أذنه وأفسد حِسّه، والعرب تُكَنِّى عن الفساد بالبول. وقال الطيبى: خُصَّ الأُذُن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هى

موارد الانتباه. الثانى: أن يقال بأن الأمر هو على حقيقته. قال القرطبى وغيره لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه، لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. الثالث: أن يقال بأن ذلك هو كناية عن سَدّ الشيطان أُذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. الرابع: أن يقال بأن معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر. الخامس: هو أن الأمر كناية عن ازدراء الشيطان به. السادس: هو أن يقال بأن المعنى أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف الْمُعَد للبول، إذ من عادة المستخف بالشىء أن يبول عليه.

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن معبودكم رأى الشيطان على هيئة البرق، فلماذا لم تنكروا عليه ذلك؟: **فقال لهم رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء.** (لوقا١٠: ١٨)، والله أعلم.

س١٤٢- إن نبيكم قابل زيد بن حارثة وحضنه وهو عريان.

ج١٤٢- إليكم الرواية الضعيفة التى يحتجون بها: حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عباد المدنى حدثنى أبى يحيى بن محمد عن محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قَدمَ زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ فى بيتى فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عرياناً يجر ثوبه، والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتنقه وقبّله. قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الزهرى إلا من هذا الوجه.

هذا الحديث أخرجه الترمذى، ولم تثبت صحته، ففى سنده أبو يحيى بن محمد، قال عنه الذهبى ضعيف، وقال عنه الساجى: فى حديثه مناكير وأغاليط. وفى الحديث علة أخرى: إبراهيم بن يحيى بن محمد ليِّن الحديث، وقال عنه الرازى ضعيف، وقد أورد العلامة الألبانى هذا الحديث ضمن سلسلة الأحاديث الضعيفة [ضعيف الترمذى:٥١٦] وهكذا يتبين مدى ضعف هذه الرواية، ومدى سقوط الاحتجاج بها. ثم إن الرسول ﷺ قد عصمه الله من أن يُرَى عرياناً قبل النبوة.. فكيف بعدها؟ والقصة معروفة من كتب السيرة حين كان ينقل حجارة الكعبة مع فتيان قريش، فأمره عمه أن يخلع إزاره ويضعه على كتفه ليضع عليه الحجارة، وبمجرد أن همَّ الرسول ﷺ بخلع إزاره وقع على الأرض، ولم

يره أحد.

والآن ننقل لكم ما جاء به الكتاب المقدس من نسبة التعرِّى للمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولأكبر تلاميذه (بطرس) بل ولله سبحانه وتعالى:

قام عن العَشَاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتَّزر بها. ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزراً بها. (يوحنا١٣: ٤-٥)

فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة. فعرُّوه وألبسوه رداءً قرمزياً. (متى٢٧: ٢٧-٢٨)

بعد هذا أظهر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية. ظهر هكذا. كان سمعان بطرس وتوما الذى يقال له التوأم ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم. قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيَّد. قالوا له نذهب نحن أيضاً معك. فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفى تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً. ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطئ. ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. فقال لهم يسوع يا غلمان ألعل عندكم إداماً. أجابوه لا. فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا. فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب. فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عُرياناً وألقى نفسه فى البحر. (يوحنا٢١: ١-٧) ونحن نسأل: هل كان التعرى أمام المسيح حراماً، وأمام غيره حلالاً؟

أمشى حافياً وعرياناً. (ميخا١: ٨) أتدرون لمن ينسبون هذا الكلام؟ إنهم ينسبونه لله سبحانه وتعالى، ومن لم يصدق فليقرأ الكلام الذى قبله والذى بعده من السِّفْر نفسه، والله أعلم.

س١٤٣- إن نبيكم أمر سهلة بنت سهيل امرأة حذيفة أن ترضع سالم ابن حُذَيفة من التبنى وهو رجل كبير، هل هذا يتفق مع ما تدَّعونه من العفة؟

ج١٤٣- لقد اتفق الصحابة ﷺ وأئمة المذاهب الفقهية وأتباعهم على أن الرَّضاع المُحَرِّم هو الذى يناله الرضيع وهو دون السنتين من عمره، لصريح قول الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣] ولقول

رسوله ﷺ: **"إنما الرَّضاعة من المجاعة"** [صحيح مسلم] أى أن الرضاعة التى تُحَرِّم هى ما كانت فى فترة الصِّغَر حتى يكون اللبن سبباً فى بناء لحم الطفل، فتكون الْمُرضِعَة قد أنبتت من لبنها لحم الطفل كما أن الأم أنبتت من رحمها لحمه، فتكون المرضعة كالأم فى هذه الحالة. وفى الترمذى وصححه عن أم سلمة مرفوعاً: **"لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء، وكان قبل الفطام"** وللدارقطنى عن ابن عباس يرفعه: **"لا رضاع إلا فى الحولين"** وعند أبي داود عن ابن مسعود يرفعه: **"لا رضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم"** فكل هذه الأحاديث تدل على أن الرضاعة الْمُحَرِّمَة هى ما كانت دون السنتين قبل الفطام، وما بعد ذلك فلا أثر لها. وأما ما جاء فى حديث سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة من قصة سالم مولى أبي حذيفة من أن أبا حذيفة كان قد تبنى سالماً، فلما صارت امرأة أبي حذيفة يشق عليها دخول هذا الغلام الذى كبر لِمَا رأت من تَغَيّر فى وجه زوجها أبي حذيفة، استفتت النبى ﷺ فى ذلك، فقال لها: **"أرضعيه تحرُمى عليه"** وكيف أن أمّ المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – قد رأت أن هذا الأمر عامّاً (كما فى سنن أبي داود) فكانت تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يُرضِعنَ من أحبَّت أن يراها، أو يدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات. فالجواب على ذلك أن جمهور العلماء ذهب إلى أن قصة سالم ﷺ هى واقعة خاصة بسالم لا تتعداه إلى غيره، ولا تصلح للاحتجاج بها. قال الحافظ ابن عبد البر: (عدم تحديث أبي مليكة بهذا الحديث لمدة سنة يدل على أنه حديث تُرِكَ قديماً ولم يُعمَل به، ولا تلقاه الجمهور بالقبول على عمومه، بل تلقَّوْه على أنه مخصوص) (شرح الزرقانى على الموطأ ٢٩٢/٣) وقال الحافظ الدارمى عقب ذكره الحديث فى سننه: (هذا لسالم خاصة) وبذلك صرَّحت بعض الروايات، ففى صحيح مسلم عن أم سلمة – رضى الله عنها – أنها قالت: (أبَى سائر أزواج النبى ﷺ أن يُدخِلن عليهن أحداً بهذه الرضاعة، وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا) وبالتالى يكون عمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها – إن صح الخبر – اجتهاداً منها ليس إلا، وكان فهم وعمل الصحابة وسائر أزواج النبى ﷺ على خلافه. وقد قيل: إن ما روى عن عائشة – رضى الله عنها – محمول على أنها إذا تفرَّست بطفل خيراً وأرادت أن يدخل عليها بعد بلوغه تأمر بنات أخيها أن

يرضعنه وهو صغير، فإذا كبر دخل عليها. فالظاهر أن تخصيص الرخصة بسالم ﷺ من دون الناس هو الراجح من حيث اختيار معظم أمهات المؤمنين له، وذهاب معظم الصحابة ﷺ وجمهور العلماء إلى القول به، وهو المفهوم من ظاهر النصوص المعارضة لحديث سهلة بنت سهيل، ولو كان الأمر على إطلاقه لشاع بين الصحابة الكرام ومَن بعدهم من السلف، ولتعدّدت طرقه، ورُوِيَت أخباره.

ولقد فهم أعداء الإسلام من قوله ﷺ لسهلة: "أرضعيه" أنه يتحتم ملامسة الثدى فتعجبوا لهذا. ومِن أحسن ما قيل فى توجيه ذلك قول الإمام النووى - رحمه الله - فى شرحه على صحيح مسلم (١٠ / ٣١) (قال القاضى: لعلها حَلَبَتْهُ ثم شَرِبَهُ، دون أن يَمسَّ ثديَها، ولا التقَت بَشْرتاهُما، إذ لا يجوز رؤية الثدى ولا مَسّه ببعض الأعضاء) وقال أبو عمر: (صفة رضاع الكبير أن يُحلَب له اللبن ويُسقاه، فأمَّا أن تلقمه المرأة ثديها فلا ينبغى عند أحد من العلماء، وهذا ما رجحه القاضى والنووى) (شرح الزرقانى٣/٣١٦) وقد روى ابن سعد فى طبقاته عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب فى مسعط أو إناء قَدْر رضعته فيشربه سالم فى كل يوم حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهى حاسرة، رخصة من رسول الله ﷺ لسهلة. (الطبقات الكبرى٨/٢٧١ الإصابة لابن حجر٧/٧١٦) ثم إن النص لم يصرح بأن الإرضاع كان بملامسة الثدى، فنحن نشرب لبن البقر والجاموس، فهل نترل تحتها لنشربه؟ وسياق الحديث متعلق بالحرج من الدخول على بيت أبى حذيفة، فكيف يَغار أبو حذيفة من دخول سالم على امرأته ثم يرضى بالرضاع المباشر؟ لقد حرم النبى ﷺ مجرد المصافحة، حيث قال: **"لأن يُطعَن فى رأس أحدكم بمِخيَط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تَحِلّ له"** [صحيح الجامع:٥٠٤٥] وقال: **"إنى لا أصافحُ النساء"** [صحيح الجامع:٥٢١٣] فكيف يجيز لمس الثدى بينما يحرم لمس اليد؟ ثم نسأل هؤلاء: هل الطفل الذى يشرب الحليب من غير ارتضاعه من الثدى مباشرة يثبت له حكم الرضاعة أم لا؟ والجواب عند جمهور العلماء أنه يثبت، وبالتالى نقول إنه إذا كان شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يثبت حكم الرضاع للصغير.. فمن باب أولى أن يثبته للكبير، ذلك لأن شرب اللبن بدون مباشرة الثدى يصح أن يكون رضاعاً. قال العالم النحوى ابن قتيبة الدينورى فى توجيهه

لحديث سهلة: أراد رسول الله ﷺ بمحلّها عنده، وما أَحَبَّ من ائتلافهما، ونَفْى الوحشة عنهما، أن يزيل عن أبي حذيفة هذه الكراهة، ويطيب نفسه بدخوله فقال لها: "أرضعيه" ولم يَرِد: ضعى ثديك فى فِيهِ، كما يفعل بالأطفال، ولكن أراد: احلبى له من لبنك شيئاً، ثم ادفعيه إليه ليشربه. ليس يجوز غير هذا، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر إلى ثدييها إلى أن يقع الرضاع، فكيف يبيح له ما لا يحل له، وما لا يُؤمَن معه من الشهوة؟ (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٣٠٨-٣٠٩)

إن هذا من رحمة الرسول ﷺ بسهلة وابنها من التبنى، لأنه كانت هناك بينهما ألفة كالألفة التى بين الأم وابنها، لأنها هى التى ربته منذ صغره فأصبحت مثل أمه، ويصعب عليها وعليه أن يفترقا، وخاصة بعد أن كبرت سنها وأصبحت وزوجها محتاجين لهذا الغلام عوناً لهما، ولا يُظَنُّ أبداً أن ينظر إليها أو تنظر إليه نظرة شهوة، ولذلك فهى حالة خاصة تحتاج لحكم خاص، وكأنه تدريج فى التشريع كما حدث فى تحريم الخمر، ومعلوم أن تعلق المرأة بابنها والابن بأمه أشد من تعلق الإنسان بشرب الخمر.

والآن نستعرض بعض ما جاء فى الكتاب المقدس:

وافرح بامرأة شبابك الظبية المحبوبة والوعلة الزهية. لِيُرْوِكَ ثدياها فى كل وقت وبمحبتها اسكر دائماً. (أمثال٥: ١٨-١٩).

لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا فى يوم تُخطَب (نشيد الأنشاد٨: ٨)

لذلك هكذا قال الرب امرأتك تزنى فى المدينة وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف (عاموس٧: ١٦)

وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن يُصلعُ السيد هامة بنات صهيون ويُعَرِّى الرب عورهن (إشعياء٣: ١٦-١٧)

ثم ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها. (قضاة١٦: ١) مع العلم بأن شمشون نبى بنص كتابهم الذى يقول: **فنزل شمشون وأبوه وأمه إلى تِمنة وأتوا إلى كروم تِمنة. وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه. فحَلَّ عليه روح الرب** (قضاة١٤: ٥-٦)

وأخيراً نقول لمن يطنطن حول هذه الشبهة ويتغنى بها: إن ما لا يقبله عقل، ولا يُقرُّه شَرْع، أن ينزل الله سبحانه وتعالى ويرضع من ثدى امرأة، كما تزعمون فى كتابكم المقدس: **وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذَيْن رضعتهما** (لوقا١١: ٢٧)، والله أعلم.

س١٤٤- يثبت نبيكم فى الحديث الصحيح أنه عاشق للنساء، إذ يقول: "حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم الطِّيبُ والنساء" وأنتم ترفضون هذا القول رغم صحته.

ج١٤٤- يبدو أن السائل قد تعمد ألا يكمل الحديث، حيث يقول: **"حُبِّبَ إلىَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعلَت قُرَّة عينى فى الصلاة"** [صحيح الجامع:٣١٢٤] أى أن أحب شىء إليه ﷺ الصلاة، ولو أنه فهم اللغة العربية لَمَا سأل هذا السؤال، لأن الرسول ﷺ قال: "حُبِّبَ إلىَّ" ولم يقل (أحببتُ) أى أن الذى وضع هذا الحب فى قلبه هو الله سبحانه وتعالى. ولكن لماذا حببه الله فى النساء؟ لأن العرب كانوا ينظرون للمرأة نظرة احتقار، ولا يجعلون لها حظاً فى الميراث، بل كانوا يتوارثونها هى نفسها، فنهاهم الله عن ذلك فى قوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا} [النساء:١٩] وكانوا ينظرون إليها على أنها دون الرجل فى كل شيء، ويأكلون مهرها ولا يعطونها حقها، بل ويَئدونها فى مهدها {وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ} [التكوير:٨-٩] فأراد الله أن يجعل لها مكانة فى قلب الرسول العظيم الأسوة ليُعْلِىَ قدرها، وليتأسَّى به أصحابه ﷺ وأتباعه من بعده، فيرتفع قدرها فى قلوب الأمة، فالمرأة هى الأم والأخت والزوجة والابنة والعمة والخالة، ولكلٍّ منهن حقها، والآيات والأحاديث فى تكريم المرأة كثيرة جداً يضيق المقام عن ذكرها، ففى القرآن الكريم سورة طويلة تسمى (النساء) وليس فيه سورة تسمى (الرجال) ومن الآيات والأحاديث التى تحث على تكريمها: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ}** [البقرة:٢٢٨] **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ}** [النساء:١٩] **{فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}** [الطلاق:٢] **"ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هُنَّ عَوان عندكم"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٧٨٨٠] **"إنى أُحَرِّج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة"** [السنن الكبرى للبيهقى، صحيح الجامع:٢٤٤٧] **"ثلاثة يؤتَوْن أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبى ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدَّى**

حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمَة فغذّاها فأحسن غذاءها، ثم أدّبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران" [صحيح الجامع.:٣٠٧٣] "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طَعِم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يُقبِّح، ولا يهجر إلا فى البيت" [صحيح الجامع:٣١٤٩] "من ابتُلِىَ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له ستراً من النار" [صحيح الجامع:٥٩٣٢] وليس معنى قوله ﷺ: "ابتُلى" أُمِن شر، ولكن الابتلاء هو الاختبار، قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥]

ونقول للسائل: إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه قط أنه أحب امرأة من غير محارمه، أما الكتاب المقدس فقد جاء فيه:

وأحَبَّ يعقوبُ راحيل. (تكوين٢٩: ١٨)

كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود. (صموئيل الثانى١٣: ١)

أحلّفكن يا بنات أورشليم إن وجدتن حبيبى أن تخبرنه بأنى مريضة حُباً (نشيد الانشاده: ٨)

حلقه حلاوة وكله مُشتهيات. هذا حبيبى وهذا خليلى يا بنات أورشليم (نشيد الانشاده: ١٦)

ليتكَ كأخ لى الراضع ثديي أمى فأجدكَ فى الخارج وأُقبّلكَ ولا يخزوننى. وأقودكَ وأدخل بكَ بيت أمى وهى تعلمنى فأسقيكَ من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى. شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى. أحَلّفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها... لأن المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها... أنا سور وثدياى كبرجين. (نشيد الأنشاد٨: ١-١٠)

ها أنتِ جميلة يا حبيبتى ها أنتِ جميلة عيناكِ حمامتان من تحت نقابكِ. شعركِ كقطيع معز رابضٍ على جبل جلعاد. أسنانكِ كقطيع الجزائز الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة متئم وليس فيهن عقيم. شفتاكِ كسلكة من القِرمز. وفمكِ حلو. خدّكِ كفلقة

رمانة تحت نقابكِ. عنقكِ كبرج داود... ثدياكِ كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن... كلّكِ جميل يا حبيبتي ليس فيكِ عيبة (نشيد الأنشاد٤: ١-٧)، والله أعلم.

س١٤٥- إن القرآن يُبَرِّئ محمداً من سرقة الشملة التى غلّها من المغانم يوم بدر حتى لا يفتضح أمره.

ج١٤٥- لقد جاء فى تفسير قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران:١٦١] أن المنافقين اتهموا رسول الله ﷺ فى قطيفة حمراء قالوا إنه غلّها من غنائم بدر، فنزلت هذه الآية لتبرِّئه من هذه الفعلة الشنيعة، ولم تبرِّئه ﷺ وحده، ولكنها برَّأت جميع أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وكيف يغل رسول الله ﷺ وهو الذى نهى عن الغلول فى أكثر من حديث، وحذر منه أشد التحذير، فقال: "**ليس لى من هذا الفَيْء شيء، ولا هذه الوبرة، إلا الخمس، والخمس مردود فيكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغُلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة**" [صحيح الجامع:٧٨٨٣] ونهى عن هدايا العمال فقال: "**أما بعد.. فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أُهْدِىَ إلىَّ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فينظر هل يُهدَى له أم لا؟ فوالذى نفس محمد بيده لا يَغُل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بعيراً جاء به له رُغاء، وإن كانت بقرة جاء بها لها خُوار، وإن كانت شاة جاء بها تَيْعر، فقد بلَّغتُ**" [صحيح الجامع:١٣٥٧] وقال: "**هدايا العمال غُلول**" [صحيح الجامع:٧٠٢١]

إن القرآن الكريم يعظم الأنبياء ويجلّهم، أما الكتاب المقدس فيقذفهم بقبائح الأفعال والخِصال، فقد جاء فيه أن سيدنا يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كذب على أبيه، وسرق النبوة من أخيه، فقال:

وحدث لما شاخ إسحق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابنى. فقال له هأنذا. فقال إننى قد شِختُ ولست أعرف يوم وفاتى. فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً. واصنع لى أطعمة كما أحب وأتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت وكانت رِفقةُ سامعةً إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به. وأما رِفقة

فكلمت يعقوب ابنها قائلة إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً. ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى. فالآن يا ابنى اسمع لقولى فى ما أنا آمرك به. اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المِعزى. فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرِفقة أمه هوذا عيسو أخى رجل أشعَر وأنا رجل أمْلَس. ربما يجسّنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة. فقالت له أمه لعنتك علىَّ يا ابنى. اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى. فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وأخذت رِفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه ومَلاسَة عنقه جلود جديِي المِعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال يا أبى. فقال هَأنذا. من أنت يا ابنى. فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بِكْرُك. قد فعلت كما كلمتنى. قم اجلس وكُلْ من صيدى لكى تباركنى نفسك. فقال إسحق لابنه ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى. فقال إن الرب إلهك قد يسَّر لى. فقال إسحق ليعقوب تقدم لأجسّك يا ابنى. أأنت هو ابنى عيسو أم لا. فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسّه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه. فباركه. وقال هل أنت هو ابنى عيسو. فقال أنا هو. فقال قدِّم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى. فقدم له فأكل. وأحضر له خمراً فشرب. فقال له إسحق أبوه تقدم وقبِّلنى يا ابنى. فتقدم وقبَّله. فشمَّ رائحة ثيابه وباركه... ليُستَعبَد لك شعوب. وتسجد لك قبائل. كن سيداً لأخوتك. وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين. ومُبارِكوك مُبارَكين... فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومُرَّة جداً. وقال لأبيه باركنى أنا أيضاً يا أبى. فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك... فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التى باركه بها أبوه. وقال عيسو فى قلبه قربت أيام مناحة أبى. فأقتل يعقوب أخى. فأُخبِرَت رِفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هوذا عيسو أخوك مُتَسَلٍّ من جهتك بأنه يقتلك. فالآن يا ابنى اسمع لقولى وقم اهرب إلى أخى

لابان إلى حاران. وأقِم عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك. (تكوين٢٧: ١-٤٤)

يزعمون فى هذا النَّص أن سيدنا إسحاق - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - شرب الخمر، وأن النبوَّة يهبها الإنسان لمن يشاء، إذ أن سيدنا إسحاق كان يريد أن يهبها لابنه البِكر عيسو، ولكن سيدنا يعقوب احتال عليه فوهبها له بدلاً من أخيه، والله أعلم.

س١٤٦- إن يوم القيامة لم يأتِ بعد، فمن الذين رآهم نبيكم فى الجنة والنار ليلة المعراج؟

ج١٤٦- إن أول شيء خلقه الله القلم، وأمره أن يكتب كل شيء، قال رسول الله ﷺ: **"إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القَدَر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"** [صحيح الجامع:٢٠١٧] إن كل شيء فى الوجود منذ خلق الله السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة فى كتاب عند الله جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [يونس:٦١] وقال: {هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية:٢٩] قال ابن عباس - رضى الله عنهما - وغيره فى تفسيرها: تكتب الملائكة أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابلون الملائكة الذين فى ديوان الأعمال على ما بأيدى الكتبة مما قد أُبرِزَ لهم من اللوح المحفوظ فى كل ليلة قدر مما كتبه الله فى القِدَم على العباد قبل أن يخلقهم، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ثم قرأ {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} ومعنى كلامه ﷺ أن الملائكة تكتب أعمال العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فتجدها مطابقة تماماً لما كُتِبَ فى اللوح المحفوظ من القِدَم، ولكن ليس معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى فرض الأعمال على العباد، ولكنه عَلِمَها قبل أن يعملوها. إذن فأعمال العباد ومآلهم إلى الجنة أو النار مكتوبة عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك فقد تمكن الرسول ﷺ من رؤيتها ليلة المِعراج، ولا يستبعد ذلك أحد، فالله على كل شيء قدير، وقد وصل الإنسان إلى تصوير الأحداث بكاميرات الفيديو، وكأنها ماثلة أمام العيون حال وقوعها، وقد تمكن من تسجيلها لساعات طويلة على أقراص الليزر الصغيرة، وتوصل إلى اختراع جهاز الموجات الصوتية ثلاثى الأبعاد، وكذلك التلفاز ثلاثى الأبعاد الذى يجعل المشاهد يرى الأشياء مجسَّمة، وكأنها أمامه وليست مُصوَّرة، فإذا كان هذا تصوير العبد

الضعيف الفقير قاصر العلم، فكيف بالله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س١٤٧- يقول نبيكم: "يقطعُ الصلاةَ الحمار والمرأة والكلب" [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٨١٢٨] لقد ساوى نبيكم بين المرأة والكلب والحمار.

ج١٤٧- لقد ذُكِرَ ما يقطع الصلاة أمام السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقالت: **لقد جعلتمونا كلاباً، لقد رأيت النبى ﷺ يصلى وإنى لبينه وبين القبلة، وأنا مضطجعة على السرير، فتكون لى الحاجة، فأكره أن أستقبله، فأنسَلّ انسلالاً** [صحيح البخارى] وفى رواية أخرى للبخارى أيضاً أنها قالت: **أعَدَلتمونا بالكلب والحمار؟ لقد رأيتنى مضطجعة على السرير فيجىء النبى ﷺ فيتوسَّط السرير فيصلى، فأكره أن أُسَنِّحَهُ، فأنسَلُّ من قِبَلِ رِجْلَى السرير حتى أنسَلّ من لحافى.** قولها (أُسَنِّحَهُ) أى أظهر له من أمامه، قال الخطابى: هو من قولك سنح لى الشىء إذا عرض لى، وقولها (أنسل) أى أخرج بخفة أو برفق. قال (ابن رشيد) قصد البخارى أن شغل المصلى بالمرأة إذا كانت فى قبلته على أى حالة كانت أشد من شغله بالرجل، ومع ذلك فلم تضر صلاته ﷺ لأنه غير مشتغل بها، فكذلك لا تضر صلاة من لم يشتغل بها، والرجل من باب الأولى.

أما قطع الحمار للصلاة.. فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما: **أقبلتُ راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلى بالناس بِمِنَى إلى غير جدار، فمررتُ بين يدى بعض الصف، وأرسلتُ الأتان ترتع، فدَخَلَت فى الصف، فلم ينكر ذلك علىَّ أحد** [صحيح البخارى] قوله: (ناهزت الاحتلام) أى قاربته، وقوله: (يصلى بالناس بمنى) أى فى حجة الوداع، وقوله: (فلم ينكر ذلك علىَّ أحد) قال ابن دقيق العيد: (استدل ابن عباس بترك الإنكار على الجواز، ولم يستدل بترك إعادتهم للصلاة، لأن ترك الإنكار أكثر فائدة) أى أن ترك الإعادة يدل على صحتها فقط، لا على جواز المرور، وترك الإنكار يدل على جواز المرور وصحة الصلاة معاً. ويُستفاد منه أن ترك الإنكار دليل على جواز المرور، ولا يُقال ربما لم يعلم النبى ﷺ بمروره، لأن النبى ﷺ كان يرى فى الصلاة من ورائه كما يرى من أمامه. وفى رواية أخرى أنه مر بين يدى بعض الصف الأول، وعلى ذلك فليس هناك احتمال لعدم رؤية النبى ﷺ له. وقد استدل العلماء بهذا الحديث على أن مرور الحمار بين يدى المصلى لا يقطع الصلاة. وقد قال العلماء (ومنهم

الطحاوى وغيره): إن هذا الحديث وحديث السيدة عائشة – رضى الله عنها – ينسخان الحديث الذى ذُكِرَ فى السؤال. ومالَ الشافعى وغيره إلى تأويل القطع فى الحديث بأن المراد به نقص الخشوع لا الخروج من الصلاة، ويؤيد ذلك أن الصحابى راوى الحديث سأل عن الحكمة فى التقييد بالكلب الأسود فأجيب بأنه شيطان، أى فى قوله ﷺ: "**إذا قام أحدكم يصلى فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرَّحْل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرَّحل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود**" قيل: ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر؟ قال: "**الكلب الأسود شيطان**" [صحيح الجامع:٧١٩] وقد عُلِمَ أن الشيطان لو مر بين يدى المصلى لم تفسد صلاته، كما فى قوله ﷺ: "**إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثُوِّبَ بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا واذكر كذا لِما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى**" [صحيح الجامع:٨١٧] وقال الإمام أحمد رحمه الله: يقطع الصلاة الكلب الأسود، وفى النفس من الحمار والمرأة شىء. ووجَّهه ابن دقيق العيد وغيره بأنه لم يجد فى الكلب الأسود ما يعارضه، ووجد فى الحمار حديث ابن عباس، يعنى الذى تقدم فى مروره وهو راكب بمنى، ووجد فى المرأة حديث عائشة رضى الله عنها، والله أعلم.

س١٤٨– يقول نبيكم: "إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليَغمسْه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء، وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء، فليغمسه كله ثم لينزعه" [صحيح الجامع:٨٣٥] أليس هذا مقززاً؟ ثم إنه من المعلوم أن الذباب ينقل الأمراض فكيف يكون فيه دواء؟

ج١٤٨– إن الذين ينكرون على رسولنا ﷺ هذا الحديث، عندهم فى الكتاب المقدس أن الرب يصفِّر للذباب، وقد ذكرنا هذا وغيره فى (صفات الرب فى الكتاب المقدس) فى الرد على الشبهة رقم (١٩) وعندهم أيضاً: **وتأكل كعكاً من الشعير. على الْخُرْء الذى يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب. هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم.** (حزقيال٤: ١٢-١٣) أتدرون ما هو الْخُرْء؟ إنه البراز!

ماذا يفعل من فقد الماء فى الصحراء؟ وماذا يفعل الجنود الذين حاصرهم العدو ومنع عنهم الماء والغذاء؟ هل ترون أنهم يتقززون من شرب أى نوع من الماء حتى لو كان ملوثاً؟ إن الأمر قد يصل بهم أحياناً إلى شرب بولهم لينقذهم من الهلاك.

لقد جاء فى الكتاب المقدس أن الآباء والأمهات يأكلون أبناءهم، وتأكل المرأة مشيمتها فى الحصار، بل ويبخل الآباء والأمهات على بقية أولادهم أن يأكلوا معهم من لحم إخوتهم:

فتأكل ثمرة بطنك لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك فى الحصار والضِّيقَة التى يضايقك بها عدوك. الرجل المتنعِّم فيك والمترفِّه جداً تبخل عينه على أخيه وامرأة حضنه وبقيَّة أولاده الذين يبقيهم بأن يعطى أحدهم من لحم بنيه الذى يأكله لأنه لم يبق له شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى جميع أبوابك. والمرأة المتنعِّمة فيك والمترفِّهة التى لم تجرِّب أن تضع أسفل قدمها على الأرض للتنعُّم والترفُّه تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وبنتها بمشيمتها الخارجة من بين رجليها وبأولادها الذين تلدهم لأنها تأكلهم سرّاً فى عِوَز كل شىء فى الحصار والضيقة التى يضايقك بها عدوك فى أبوابك. (تثنية٢٨: ٥٣-٥٧) **ثم قال لها المَلَك مالك. فقالت إن هذه المرأة قد قالت لى هاتى ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابنى غداً. فسَلَقْنا ابنى وأكلناه ثم قلتُ لها فى اليوم الآخر هاتى ابنك فنأكله فخبّأت ابنها.** (الملوك الثانى٦: ٢٨-٢٩) فأين هذا من شرب الماء الذى وقع فيه الذباب؟

إن حديث الذبابة الذى تتكلمون عنه، وتشنعون به على نبينا محمد ﷺ ليس مُلزِماً، فمن يتقزز من هذا الأمر فليس فرضاً عليه، فإن الرسول ﷺ نفسه وضعوا له ضبّاً فلم يأكله، لأنه لم يكن فى قومه فعافَتْه نفسه (أى تقزز منه) ولكنه لم يحرِّمه، وقد قيل هذا الحديث فى بيئة شحيحة الماء، ومنهم من يعيشون فى الصحراء. وقد أثبت العلم الحديث بعد تجارب معملية عديدة أن كلام الرسول ﷺ حق، فقد أجروا تجارب على كؤوس كثيرة مليئة بالماء، وغمسوا فى بعضها أحد جناحى الذبابة، وفى الأخرى الذبابة كلها، ثم نزعوا الذباب وعملوا مزارع بكتيرية على الكؤوس كلها، فوجدوا النتيجة التى أبهرتهم، وهى أن الكؤوس التى وضع بها أحد جناحى الذباب مليئة بالجراثيم، أما الأخرى فتكاد

تكون خالية من الجراثيم، وقد عرض نتيجة هذه الأبحاث الدكتور (يحيى ابراهيم محمد عيد) فى المؤتمر السابع للإعجاز العلمى فى القرآن والسنَّة، الذى أقيم فى دبى فى الفترة (٢٢-٢٥ مارس٢٠٠٤) وقال إن الذين أجروا هذه الأبحاث متخصصون فى علم البكتريا بجامعة الملك عبد العزيز وجامعة القاهرة، وقد استخدموا ماءً معقماً وآخر غير معقم، وعملوا مزارع بكتيرية على بيئات مختلفة (وهى ما تسمى أجار وبلاد أجار) ودرجات حموضة مختلفة، فوجدوا النتيجة نفسها، وكان المفروض أن غمس الذباب يزيد من عدد البكتيريا، لأن الغمس يكون بمثابة غسل للذباب فى الماء، ولكنهم وجدوا العكس.. وهو (كما قلنا) أن التى غُمِسَت - ولو لعدة مرات - تركت وراءها كمية قليلة من الميكروبات، أما التى لم تغمس، أو التى طارت بنفسها، فقد خلفت وراءها كمية كبيرة جداً من هذه الميكروبات. وقد اتضح لهم الإعجاز العلمى فى هذا الحديث الشريف من ناحيتين: أن الرسول ﷺ أخبر بأن الذباب يحمل أمراضاً، وهى التى تسببها الجراثيم التى لا تُرَى بالعين المجردة، والتى لم يتعرف عليها الإنسان قبل اختراع الميكروسكوبات العادية أو المجهرية، فكيف تَسنَّى للرسول ﷺ معرفتها مُسبَّقاً إلا بوحى الله له؟، والإعجاز الثانى أن غمس الذباب ليخلف وراءه كمية قليلة من الميكروبات هى فكرة التطعيم ضد الأمراض المعدية، وهى أن يعطوا جرعة صغيرة من الميكروبات لتنشِّط الجهاز المناعى للإنسان، فيقوم بعمل أجسام مضادة لهذه الميكروبات، والله أعلم.

س١٤٩- إذا سلَّمنا أن محمداً هو أحد الأنبياء، فكيف يفضل نفسه على سائر البشر والأنبياء والمرسلين؟ حتى إنه ليستعلى على آدم أبى البشر، وإبراهيم أبى الأنبياء، وأضف إليهم موسى وعيسى، وذلك بقوله: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول شافع وأول مُشفَّع ولا فخر" **[صحيح الجامع:١٤٦٨]**

ج١٤٩- إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج منا إلمامة سريعة بمهمة هذا الرسول العظيم ﷺ وأن نعقد مقارنة بينه وبين سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مع التزامنا بقول ربنا تبارك وتعالى: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} [البقرة:٢٨٥] (أى لا نفرق بينهم فى الإيمان بهم) ونحن نقدم هذه المقارنة فى صورة نقاط، تحت عنوان الفرق بين

محمد ﷺ وسائر الرسل:

١- كل نبى أُرسِلَ إلى قومه خاصة، وأرسل سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، بل وللجن أيضاً {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧]

٢- أنه تفوق على سيدنا آدم فى أنه رسول معه رسالة، وآدم ليس معه رسالة، ولكنه نبى فقط.

٣- أنه تفوق على إخوانه من أُولى العزم من الرسل بأنه قاتل أعداء الله، و لم يقاتلوا.

٤- أنه تفوق على جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - بأنه كان وحيداً لم يساعده أحد من الرسل، وقد ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١١٣).

٥- أنه ﷺ تفوق على كل الأنبياء والمرسلين فى أنه أرسل إلى قوم لم يأتِهم رسول من قبله، كما قال تعالى: {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} [السجدة:٣] أى أنه مثل من تعامل مع أرض بُور لم تزرع من قبل، و لم يساعده فيها أحد.

٦- أنه ﷺ هو النبى الخاتم {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الأحزاب:٤٠] وكتابه هو الكتاب الخاتم والمهيمن على سائر الكتب قبله {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٨] ولن يأتىَ بعده نبى ولا كتاب، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٧- أنه النبى الوحيد الذى أخذ الله ميثاق جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه إذا ظهر فى زمانهم {وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ} [آل عمران:٨١]

٨- أنه النبى الوحيد الذى لم يخاطبه الله باسمه مجرَّداً، بل خاطبه بقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ} أو {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ} فى حين أنه خاطب بقية الأنبياء بأسمائهم، مثل: {يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ} [البقرة:٣٣] {يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ} [هود:٧٦] {يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ} [هود:٤٨] {يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [النمل:٩] {يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ} [آل عمران:٥٥] و لم يذكره باسمه إلا وقَرَنَه بالنبوَّة أو الرسالة، مثل: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ} [آل عمران:١٤٤] {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ} [الفتح:٢٩]

٩- أن الله سبحانه وتعالى خصَّه بالشفاعة العُظمَى بعد أن اعتذر عنها أُولو العزم من الرسل.. فى الحديث الذى ذكرناه فى الرد على الشبهة رقم (٥٠).

١٠- أن أتْباعه ﷺ أكثر من أتباع الرسل قبله، وسيكون يوم القيامة أكثرهم تابعاً، قال ﷺ: **"عُرِضَت علىَّ الأُمَم فرأيتُ النبى ومعه الرَّهْط، والنبى ومعه الرَّجل والرَّجُلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رُفِعَ لى سَوادٌ عظيم فظننتُ أنهم أمَّتى فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظُر إلى الأُفُق فإذا سَوادٌ عظيم، فقيل لى: انظُر إلى الأُفُق الآخر فإذا سَوادٌ عظيم، فقيل لى: هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون"** [صحيح الجامع:٣٩٩٩]

ثم إن الرسول ﷺ حين قال هذا الكلام الذى ورد فى السؤال لم يقدح فى نبوة أحد ممن كانوا قبله، أما معبودكم فقد جاء فى كتابكم المقدس أنه سَبَّ الأنبياء الذين سبقوه: **فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم إنى أنا باب الخِراف. جميع الذين أتوا قبلى هم سُرّاق ولصوص.** (يوحنا١٠: ٧-٨) (ولا ندرى ما وجه الشَّبَه بين الأنبياء والخِراف؟) وقال: **أنا الكَرْمَة الحقيقية وأبى الكَرّام** (يوحنا١٥: ١) وقال: **لأنى وديع ومتواضع القلب.** (متى١١: ٢٩)، والله أعلم.

س١٥٠- يزعم نبيكم أن الرعد مَلَك من الملائكة، فيقول: "الرعد مَلَك من ملائكة الله مُوَكَّل بالسحاب، معه مَخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله" [صحيح الجامع:٣٥٥٣] مع أن الحقيقة العلمية تقول إن الرعد عبارة عن صوت الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب، فكيف يكون الرعد ملكاً؟

ج١٥٠- لقد وَكَّلَ الله سبحانه وتعالى بكل شيء مَلَكاً لينفذ أمره فيه، فالمطر له ملك، وهو ميكائيل عليه السلام وهناك ملك للرياح، وآخر للجبال، وآخر للزرع، وآخر للأرحام.. إلخ، فإن كانت كل الظواهر الطبيعية لها أُسُس علمية، فإن من ورائها هؤلاء الملائكة يقومون بتنفيذها دون أن نشعر بهم أو نراهم. وربما يكون الملك الموكَّل بالرعد اسمه (رعد) ولذلك سمى الرعد باسمه، فهناك أشياء كثيرة فى واقعنا سُمِّيَت باسم من صنعها أو

اخترعها. ألا تطلب من البائع أن يعطيك سندوتش؟ هل علمت لماذا سُمِّيَ سندوتش؟ لأن الذى ابتكره كان اسمه (سندوتش) وتطلب من البقال أن يبيع لك بسطرمة، هل تعلم لماذا سميت بسطرمة؟ لأن أول من صنعها كان اسمه (بسطرمة) وعندما تذهب إلى الصيدلية لتشترى حقنة بنسلين، هل تعلم لماذا سميت بنسلين؟ لأن مخترعها كان اسمه (بنسلِيَم لوتاتم) وهناك بلد فى صعيد مصر تسمى إدفو.. هل تعلم لماذا سميت إدفو؟ لأن الصحابة ﷺ دخلوها فى الشتاء، وكان جوها دافئ، فقال بعضهم لبعض: (ادخلوا ادفو) أى ليتدفئوا من البرد. هل تعلم لماذا سميت الفيوم بهذا الاسم؟ لأن سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بناها فى سبع سنين، أى حوالى ألفى يوم، ثم حُوِّرَت إلى (الفيوم) إذن.. فكثير من الأشياء تسمى باسم فاعلها أو مخترعها، لدرجة أن هناك أماكن على سطح القمر سُمِّيت باسم العلماء الذين نزلوا عليه. قال رسول الله ﷺ: **"الحمْو الموت"** [متفق عليه] وكلمة "الحمو" معناها أقارب الزوج، فهل هم الموت حقيقة، أم أن الرسول ﷺ شبَّه خطورة دخولهم على النساء بالموت؟ وقد كان العرب يسمون الشىء باسم من اشتهر به، فكانوا يقولون مثلاً: (الجُودُ حاتم) لأنه كان كريماً، و(الشجاعة عنتر) لأنه كان شجاعاً.. وهكذا. فقول الرسول ﷺ: "الرعد ملك" تسمية مجازيه بمعنى أنه بِيَد مَلَك، أما كونه "معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب" فهذه هى التى تسبب تصادم السحاب ببعضه.

وقد جاء فى كتابكم المقدس تسمية مجازيَّة أشد غرابة من هذه بكثير، حيث قال: **الله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى.** (مزمور٨٢: ١) (الله) فى هذا النَّص معناه القاضى، أى أنه يحكم بحكم الله، و(الآلهة) بمعنى وجهاء القوم.

ولقد تعجبتم من المخالفة الظاهرية فى هذا الحديث للحقيقة العلمية، فى حين أن كتابكم المقدس مليء بالمخالفات العلمية، ولكنكم لا تعلمون، فمن هذه المخالفات:

وكل دبيب الطير الماشى على أربع فهو مكروه لكم. إلا هذا تأكلونه من جميع دبيب الطير الماشى على أربع... لكن سائر دبيب الطير الذى له أربع أرجل فهو مكروه لكم. (لاويين١١: ٢٠-٢٣) هل هناك طيور تمشى على أربع؟

فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودُلب وقشر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذى على القضبان. وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى

مساقى الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب. تجاه الغنم. لتتوحَّم عند مجيئها لتشرب. فتوحَّمت الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطاً وبلقاً. (تكوين٣٠: ٣٧-٣٩)

ونحن نسألكم: هل الغنم تتوحَّم؟ ولو توحَّمَت.. هل يفهمها أحد؟، والله أعلم.

س١٥١- إن نبيكم يقسِّم الكذب إلى نوعين، أبيض وأسود، والمعروف أن الكذب مذموم عند كل الناس، فكيف يحلله نبيكم؟

ج١٥١- لا يوجد دين حارب الكذب مثل الإسلام، أما الكتاب المقدس فقد وصف كثيراً من الأنبياء بأنهم كَذَبَة، وقد أوردنا أدلة كثيرة على ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٤٨) وقد جاء فيه أيضاً أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كذب على إخوته حينما دعوه للصعود معهم فى عيد (المظال) وتظاهر بأنه لن يذهب معهم ثم ذهب: **اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أصعدُ بعد إلى هذا العيد لأن وقتى لم يكمل بعد. قال لهم هذا ومكث فى الجليل ولما كان إخوته قد صعدوا حينئذ صعد هو أيضاً إلى العيد لا ظاهراً بل كأنه فى الخفاء.** (يوحنا٧: ٨-١٠)

إن أدلة تحريم الكذب فى الإسلام لا تعد ولا تحصى، منها قوله ﷺ: **"عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتَب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتَب عند الله كذاباً"** [صحيح مسلم] وجعل الكذب من صفات المنافقين فى قوله: **"آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان"** [صحيح الجامع:١٦] حتى إنه ﷺ نهى عن الكذب ولو فى المزاح، فقال: **"ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له"** [سنن أبي داود، صحيح الجامع:٧١٣٦] وقال: **"أنا زعيم ببيت فى رَبَض الجنة لمن ترك المِراء وإن كان مُحقاً، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت فى أعلى الجنة لمن حَسُن خُلُقه"** [صحيح الجامع:١٤٦٤] ولكن هناك أنواعاً من الكذب ترتاح لها الفطرة السليمة.. جَمَعَهَا قوله ﷺ :**"كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثاً: الرجل يكذب فى الحرب فإن الحرب خُدعة، والرجل يكذبُ المرأةَ فيرضيها، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما"** الحديث ضعَّفه الألبانى، ولكن

معناه صحيح، وهذه الأنواع الثلاثة من الكذب هى التى أحلّها علماء المسلمين، حتى ولو كان قائلها وَلِيّ من أولياء الله الصالحين. أما النوع الأول فهو الكذب على الأعداء، بشرط ألا يكون فيه نقض لعهد أو أمان، قال رسول الله ﷺ: **"الحرب خُدعة"** [متفق عليه] ولا شك أن هذا الكذب من المباحات، إذ كيف نصدُق مع عدونا؟ أنفشى له أسرارنا ليغصب أرضنا، ويسفك دماءنا، ويهتك أعراضنا؟ وهل إفشاء الأسرار من خطط حربية، ومواقع عسكرية، وأنواع الأسلحة والذخيرة، وأماكن وجودها، وأماكن منصّات إطلاق الصواريخ... إلخ يقوله عاقل؟ إن هذا يعتبر من الجرائم العُظمى التى يُعاقَب عليها فى بعض البلدان بالقتل. والمُخادَعة فى الحرب فيها حقن للدماء وتحقيق للغاية أكثر من المواجهة. أما النوع الثانى فهو الكذب على الزوجة، كأن تكون قبيحة فيقول لها إنها جميلة، أو أنه لا يحبها فيكذب عليها ويقول إنه يحبها، وذلك لعمارة البيوت، ودوام العِشرة، وتربية الأولاد. ولكن لا يعنى هذا أنه يكذب عليها فى كل شيء، بل هو مباح فى مثل ما قلناه، أو ما شابهه من الإصلاح وتجنب الخلافات. وهى أيضاً يمكنها أن تكذب عليه فتقول إنها تحبه وهى على غير ذلك، حتى لا يغضب عليها أو يطلقها. أما النوع الثالث فهو للصلح بين المتخاصمين، كأن تقول لأحدهما: إن فلاناً يحبك ويمدحك ويقول عنك كذا وكذا، وتقول للآخر مثل ذلك، وهذا لإصلاح ذات البَيْن، فقد قال الله سبحانه وتعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال:١] وقال رسوله ﷺ: **"ليس بالكاذب الذى يُصلح بين الناس فيقول خيراً أو يُنمِى خيراً"** [رواه الطبرانى فى الكبير] وقال: **"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة"** [صحيح الجامع:٢٥٩٥] "الحالقة" أى أنها تحلق الدين ولا تحلق الرأس (كما جاء فى رواية أخرى) لأن المشاحن يغتاب صاحبه، ويتربص به الدوائر، ويتمنى له الشر، وغير ذلك مما يثير الأحقاد والعداوة بين المسلمين، وكذلك فإن الخصومة بين المسلمين تعرضهم لعدم مغفرة ذنوبهم، قال رسول الله ﷺ: **"تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انْظِروا هذَيْن حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا"** [موطأ مالك، صحيح الجامع:٢٩٧٠] إذن هم ثلاثة أنواع فقط ليس لهم رابع، وليس من عاقل فى الدنيا يعتبر هذه

الأنواع كذباً مذموماً. ولكن هناك نوعاً آخر لا يسمى كذباً ولكنه تعريض، وهذا لا يُستعمل إلا فى الضرورة القصوى، كأن يتعرض الإنسان لمهلكة ويريد أن ينجو منها، أو لأنه لو قال الحق الصريح فسيعرض غيره للخطر أو يفشى سره، ففى هذه الحالة يقول كلمة صادقة، ولكنها تُفهَمُ بمعنى آخر، وذلك كما فعل الصدِّيق ﷺ حين هاجر مع النبى ﷺ إذ لقيه رجل وسأله من هو؟ فلو قال له إنه رسول الله لبلّغ عنه قريشاً، ولتعقبته لتقطع عليه هجرته، فقال له: إنه هادٍ يهدينى إلى الطريق. فهو صادق فى قولته، ولكن الرجل فهمها على أنه دليل يريه الطريق الذى يريد أن يسلكه. ولكن لا يجوز استخدام المعاريض فى الشهادة، أو لتضييع الحقوق، أو غير ذلك مما يغضب الله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: **"إن فى المعاريض لمندوحةً عن الكذب"** وقد ضعفه الألبانى ولكنه معمول به عند أهل العلم، بشرط ألا يتعود عليه الإنسان، لأنه يُفضى به إلى الكذب، ولا يكون إلا فى الضرورة كما قلنا، وألا يوقع به ضرراً على أحد، والله أعلم.

س١٥٢- عندما أتى ماعز لنبيكم يعترف له بالزنى حتى يقيم عليه الحد، سأله نبيكم وقال له: "لعلك قبّلت أو غمَزْت أو نظرت" فقال له: لا، فسأله نبيكم وقال له كلمة شنيعة، أول حرف فيها ألف، والثانى نون، والثالث كاف، والرابع تاء، والخامس هاء، والسادس ألف. فهل يصح أن ينطق بهذه الكلمة نبى؟ وحتى لا تكذبوننا.. فالحديث فى (صحيح البخارى) الذى تعتبرونه أصح كتب الحديث.

س١٥٢- لقد نسبتم الزنى لأنبيائكم (وحاشاهم) وقد ذكرنا الأدلة على ذلك فى أكثر من موضع، ولم تستطيعوا أن تنسبوه لنبينا ﷺ رغم عداوتكم له وعدم الإيمان به، ولم ينسبه له أحد من قبلكم على مر العصور والأيام، رغم العداوة المطلقة له ﷺ من المشركين والملحدين والمستشرقين وغيرهم، أتكون هذه الكلمة أشد عندكم من الزنى؟ إن الرسول ﷺ كان أشد الناس حياءً، حتى وصفه أصحابه ﷺ بأنه **"كان أشد حياءً من العذراءِ فى خِدرها"** [صحيح الجامع:٤٧٩٩] وكان كثيراً ما يُكنِّى ويستخدم ألفاظاً غير صريحة للتعبير عمَّا يريده، وذلك مثل قوله: **"إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسل"** [صحيح الجامع:٣٨٥] وقوله فى الحديث الذى ذكرناه فى حد الزنى: **"إذا رأى أحدكم المرأة التى تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم، فإن ذلك معهم"** [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع:٥٥٢] وحين

سألته امرأة عن التطهر من حيضها أمرها بالغسل، ثم قال لها: **"خذى فِرصَة من المسك فتطهرى بها"** قالت: كيف أتطهر؟ قال: **"تطهرى بها"** قالت كيف؟ قال: **"سبحان الله! تطهرى"** فاجتبذها السيدة عائشة - رضى الله عنها - وقالت لها: **"تتبعى بها أثر الدم"** [صحيح البخارى] وفى رواية أخرى فى [صحيح مسلم] أنه قال لها: **"تطهرى بها سبحان الله"** واستتر، أى غطى وجهه، فعرفت السيدة عائشة ما يريد... إلى آخر الحديث. ولا يظن أحد أنه علّمها كيفية الغُسل بألفاظ صريحة، فقد وضحت الرواية التالية التى وردت فى [سنن ابن ماجه] كيفية شرحه لهذا الغسل **"تأخذ إحداكن ماءها وسِدْرها فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فِرصَة مُمَسَّكَة فتطهر بها"** [صحيح الجامع:٢٩٠٣] "فِرصة" هى قطعة من القطن، "مُمَسَّكَة" أى بها مسك، "فاجتبذها" أى شدَّها إليها.

إن الرسول ﷺ لم ينطق بالكلمة التى وردت فى السؤال إلا مرة واحدة فى حياته، وقد قالها حتى يتأكد من أن ماعز ﷺ زنى، لأنه ربما كان يجهل شروط إقامة حد الزنى، ويظن أنه يُقام على من قبَّل أو غير ذلك من الأفعال التى لا تعنى الجماع، فأراد النبى ﷺ ألا يقيم عليه الحد - إبقاءً على حياته - حتى يستوثق تماماً من فعلته، ولم يكن هناك بديل لهذه الكلمة التى تعنى فى اللغة العربية إتمام الجماع كما يحدث بين الرجل وزوجته. ومعلوم أن بعض الألفاظ تكون مُستقبحة فى بعض المجتمعات دون غيرها، فربما كانت هذه الكلمة غير مُستقبحة فى عهده ﷺ، فمثلاً كلمة (نسوان) مستقبحة عندنا فى مصر، رغم أنها كلمة عربية مثل (نساء) وفى بعض البلدان العربية يقولون عن المرأة (مَرَة) ولا يجدون فيها أى عيب، فى حين أنها مستقبحة جداً فى مصر، ويعتبروها شتيمة للمرأة، ولكنها فى الحقيقة ليست كذلك، لأنها اختصار أو تحوير لكلمة (امرأة) وكذلك فإن كلمة (لباس) قد استُخدمَت فى مصر فى غير معناها، ولو نطق بها أحد لكانت عيباً، فى حين أن معناها الحقيقى لا يعنى معناها العامِّى، فمعناها الأصلى هو ما يلبسه الإنسان، قال تعالى عن أهل الجنة: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر:٣٣] وقال: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [البقرة:١٨٧] أى أنه سبحانه وتعالى شبَّه المرأة بأنها لباس لزوجها وهو لباس لها، بمعنى أنها سِترٌ له وهو سِترٌ لها كما يستر اللباس صاحبه. ربما يقول مجادل: لماذا لم يقل له:

أجامعتها؟ فنقول له: إن كلمة (الجِمَاع) لم تُطلَق قط على الزنى، ولكنها تطلق على العلاقة الحلال بين الرجل وزوجته، ومن تصفَّح كتب الفقه من أولها إلى آخرها لا يجد أحداً استخدمها للتعبير عن الزنى.

والآن نجد أنفسنا مضطرين لأن نذكر بعض الألفاظ الجنسية التى وردت فى الكتاب المقدس، ولولا الدفاع عن نبينا وحبيبنا وقرَّة أعيننا ﷺ ما ذكرناها:

وكانت إلىَّ كلمة الرب قائلة. يا ابن آدم عَرِّف أورشليم برجاساتها وقُلْ. هكذا قال السيد الرب لأورشليم... أما ميلادُكِ يوم وُلدْتِ فلم تُقطَع سُرَّتك ولم تُغسَلى بالماء للتنظف ولم تُمَلَّحى تمليحاً ولم تُقمَّطى تقميطاً. لم تشفق عليكِ عين لتصنع لكِ واحدة من هذه لترق لكِ. بل طُرِحْتِ على وجه الحقل بكراهة نفسكِ يوم ولدت. فمررتُ بكِ ورأيتُكِ مَدُوسَة بدمكِ فقلتُ لكِ بدمكِ عيشى. قلتُ لكِ بدمكِ عيشى. جَعَلتُكِ ربوة كنبات الحقل فربَوْتِ وكَبُرْتِ وبلغتِ زينة الأزيان. نَهَدَ ثدياكِ ونبت شعرُكِ وقد كنتِ عريانة وعارية. فمررتُ بكِ ورأيتُكِ وإذا زمنكِ زمن الحب. فبَسَطتُ ذيلى عليكِ وسترتُ عورتكِ وحَلفتُ لكِ ودخلتُ معكِ فى عهد يقول السيد الرب فصِرْتِ لى. فحمَّمْتُكِ بالماء وغسلتُ عنكِ دماءكِ ومَسَحتُكِ بالزيت... فاتَّكلتِ على جمالكِ وزنيتِ على اسمكِ وسكبتِ زناكِ على كل عابرٍ فكان له. وأخذتِ من ثيابكِ وصنعتِ لنفسكِ مُرتفعات موشاة وزنيتِ عليها. أمرٌ لم يأتِ ولم يكن. وأخذتِ أمتعة زينتكِ من ذهبى ومن فضتى التى أعطيتُكِ وصنعتِ لنفسكِ صُوَر ذكور وزنيتِ بها... وفرَّجتِ رجليكِ لكل عابر وأكثرتِ زناكِ. وزنيتِ مع جيرانكِ بنى مصر الغلاظ اللحم وزدتِ فى زناكِ لإغاظتى... وزنيتِ مع بنى أشور إذ كنتِ لم تشبعى فزنيتِ بهم ولم تشبعى أيضاً. وكثرتِ زناكِ فى أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبعى... أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها. لكل الزوانى يُعطُون هدية. أما أنتِ فقد أعطيتِ كل محبيكِ هداياكِ ورشيتهم ليأتوكِ من كل جانب للزنا بكِ. وصار فيكِ عكس عادة النساء فى زناكِ إذ لم يُزنَ وراءكِ بل أنت تُعطين أجرة ولا أجرة تُعطَى لكِ. فصرتِ بالعكس فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب. هكذا قال السيد الرب... لذلك هَأنذا أجمعُ جميع محبّيكِ الذين لذذتِ لهم وكل الذين أحببتِهم مع كل

الذين أبغضتهم فأجمعهم عليكِ من حولك وأكشفُ عورتكِ لهم لينظروا كل عورتك... ويتركونكِ عريانة وعارية... وأَحِلُّ غضبى بكِ فتنصرف غيْرتى عنكِ فأسكنُ ولا أغضبُ بعد. (حزقيال١٦: ١-٤٢) إن هذه القصة - بالإضافة إلى ما فيها من ألفاظ جنسية صارخة - تنسبُ لله سبحانه وتعالى - زُوراً وبُهتاناً - أنه مَرَّ بأورشليم فوجدها مُلقاه فى الحقل، لم تُقطَع سُرَّتها، ولم يغسلها أحد، فبسط ذيله عليها، وسترها، ونظفها بالماء، ومسحها بالزيت، وألبسها لباساً جميلاً، وأطعمها طعاماً لذيذاً، وحلاها بالذهب والفضة، واتخذها زوجة، وولدت له بنين وبنات، ثم خانته فزنت، وفعلت ما جاء فى النَّص لتغيظه، فعاقبها بأشد العقوبات حتى تذهب عنه غيْرته، ثم غفر لها. وقد اختصرنا بعض الفقرات حتى لا نطيل على القارئ، فمن أراد الاطلاع على القصة كاملة فليقرأ الإصحاح من أوله إلى آخره.

وهاكُم مختصر قصة أخرى وردت فى الكتاب المقدس: **وكان إلىَّ كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة. وزنتا بمصر. فى صباهما زنتا. هناك دُغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتِهما. واسمها أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات... وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبّيها أشور الأبطال... كلهم شُبّان شهوة... ولم تترك زناها من مصر أيضاً لأنهم ضاجعوها فى صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم... هم كشفوا عورتها... فلما رأت أختها أهوليبة ذلك أفسدت فى عشقها أكثر منها وفى زناها أكثر من زنى أختها. عشقت بنى أشور... كلهم شُبّان شهوة... عشقتهم عند لمح عينيها إياهم... فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها. كشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسى كما جفت نفسى أختها... وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومَنيّهم كَمَنِىّ الخيل. وافتقدتِ رذيلة صباكِ بزغزغة المصريين ترائبكِ لأجل ثدى صباكِ لأجل ذلك يا أهوليبة هكذا قال السيد الرب. هأنذا أُهيِّج عليكِ عُشّاقكِ الذين جفتهم نفسكِ وآتى بهم عليكِ من كل جهة... كل بنى أشور شُبّان شهوة... وأجعلُ غيْرتى عليكِ... ويتركونك عريانة وعارية فتنكشف عورة زناكِ ورذيلتكِ وزناكِ... وتجتثين ثدييكِ لأنى تكلمتُ يقول السيد الرب. لذلك هكذا قال السيد**

الرب من أجل أنكِ نسيتنى وطرحتنى وراء ظهركِ فتحملى أيضاً رذيلتكِ وزناكِ (حزقيال٢٣: ١-٣٥)، والله أعلم.

س١٥٣- يقول نبيكم: "تزوجوا الودود الولود فإنى مُكاثِر بكم الأمم" [صحيح الجامع:٢٩٤٠] أنَّى لكم معرفة خصوبتها وهى بكر؟ وأما "الوَدود" وتعنى (المتحببة) فكيف تعرفونها وأنتم تحرِّمون الاختلاط؟

ج١٥٣- لقد تطورت الأبحاث العلمية لمعرفة خصوبة المرأة ولو كانت بكراً، أما فى الماضى فكانت تعرف من قريباتها، وخصوصاً أمها وأخواتها وخالاتها، لأن الخصوبة من الصفات الوراثية. أمَّا "الودود" فلا تحتاج للاختلاط لمعرفة أخلاقها، بل تُعرَف من معاملتها لزوجها السابق إن كانت ثيباً، أو بمعاملة أمها مع أبيها لو كانت بكراً، لأن البنات غالباً ما يأخذن صفات أمهاتهن، وكذلك من معاملة أخواتها مع أزواجهن، وتُعرَفُ أيضاً بسؤال جيرانها أو أقاربها أو صديقاتها عن أخلاقها وتصرفاتها، والله أعلم.

س١٥٤- جاء فى كتب السيرة فى صلح الحديبية أن نبيكم كان إذا تنخَّم نخامة أخذها أصحابه ومسحوا بها وجوههم، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على فضل وضوئه، فهل كان نبيكم يرضى عن هذه الأفعال المقززة؟

ج١٥٤- إن ما فعله الصحابة ﷺ لم يكن بأمر النبى ﷺ ولكنه من فرط حبهم له، والتبرك به، وتعظيمه، كما كانوا يقسِّمون بينهم شعر رأسه عندما يحلقه، ومن أمثلة ذلك أيضاً أن جاءه سيدنا قتادة بن النعمان ﷺ فى غزوة أحد وهو يحمل عينه على كفه، وقال: يا رسول الله.. قُلِعَت عينى، فبلَّلها الرسول ﷺ بريقه الشريف ووضعها مكانها، قال: فوالله إنها كانت أحَدَّ من السليمة. وتروى كتب السِّيَر أن السيدة أم أيمن (بركة الحبشية رضى الله عنها) مربِّية رسول الله ﷺ بعد أمه، كانت تبيت معه لخدمته فى أول أيام هجرته، وكان تحت سرير رسول الله ﷺ فخارة يتبول فيها ليلاً حتى لا يخرج إلى الخلاء، لأنه كان مُستَهدَفاً من الأعداء، وفى ذات ليلة قامت السيدة بركة من نومها فشربت ما فيها وهى لا تدرى، فلما أمرها أن تريقها قالت: يا رسول الله قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها، فقال لها: **"إنكِ لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبداً"** [السيرة النبوية لابن كثير] وفعلاً طال عمرها حتى ماتت فى خلافة سيدنا عثمان ﷺ ولم تشتكِ بطنها أبداً، وبديهى أنها لو

شعرت بأى شىء مقزز فى هذا البول لتركته، ولكنها لم ترَ به بأساً، فإذا كان هذا حال بول النبى ﷺ فكيف بنخامته؟ إن أحوال الأنبياء غير سائر البشر، فها هو سيدنا أنس بن مالك ﷺ يقول: **خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين، فما قال لى أفّ قط، وما قال لشىء صنعتُه لِمَ صنعتَه؟ ولا لشىء تركتُه لِمَ تركتَه؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، ولا مسِستُ خزّاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألْيَن من كف رسول الله ﷺ ولا شممتُ مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ** [رواه الترمذى فى سننه وقال حسن صحيح] فكما أن عرقه ليس كسائر البشر، فكذلك نخامته ﷺ ليست كسائر البشر. ثم إنكم قد حكمتم على تصرفات هؤلاء الصحابة ﷺ بمنطقكم لأنكم لم تشعروا بفرط حبهم له وتعظيمهم إياه، فمن الصعب عليكم تصور ما فعلوه، رغم أن فى واقعنا ما يشابهه، فها هى الأم تأكل ما يلفظه ابنها من فمه دون أدنى حرج، فى حين أن أباه لا يستطيع ذلك، وذلك لفرط حبها له أكثر من أبيه.

والذين يتعجبون من فعل هؤلاء الصحابة ﷺ جاء فى كتابهم المقدس رش الفرث على الوجوه، وقد ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٧٠) وجاء فيه أيضاً أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وضع طيناً على عين الأعمى فأبصر، وَتَفَلَ على الأصم فتكلم: **فقالوا له كيف انفتحت عيناك. أجاب ذاك وقال. إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينى وقال لى اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت.** (يوحنا٩: ١٠-١١) **وجاءوا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه. فأخذه من بين الجمع على ناحية ووضع أصابعه فى أذنيه وتفلَ ولمس لسانه. ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له إفّثا. أى انفتح. وللوقت انفتحت أذناه وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً.** (مرقس٧: ٣٢-٣٥)، والله أعلم.

س١٥٥- تروى كتب الأحاديث أن الناس كانوا يبعثون إلى نبيكم بالهدايا فى يوم عائشة لعلمهم بحبه لها، فغارت بعض نسائه من ذلك، فأرسلن له أم سلمة نائبة عنهن لتكلمه فى ذلك، فقال لها: "لا تؤذينى فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة" وهذا يثبت أنه كان يرتدى ثوبها، ويأتيه الوحى وهو على ذلك، رغم أنكم تقولون إنه نهى عن تشبُّه الرجال بالنساء.

ج١٥٥- إن قوله ﷺ: "فى ثوب عائشة" لا يعنى أنه كان يأتيه الوحى وهو لابس ثوبها كما ظن السائل بفهمه السطحى، ولكن هذا يُعتبر من التعبير المجازى، فحينما ذكر الله سبحانه وتعالى قول فرعون: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:٧١] هل يعنى ذلك أن فرعون صلبهم داخل النخل أم أنه صلبهم عليه؟ وحين قال سبحانه وتعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [البقرة:١٨٧] فهل معنى ذلك أن المرأة لباس لزوجها وهو لباس لها بهذا المعنى السطحى، أم أن معنى (اللباس) فى الآية الستر والعفة، وغير ذلك مما يكون من ستر المرأة لزوجها وستره لها؟ وهناك حديث آخر يوضح معنى هذا الحديث.. وهو قول السيدة عائشة رضى الله عنها: كان الناس يتحرُّون بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحباتى إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة.. إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فقولى لرسول الله ﷺ يأمر الناس يُهدون إليه أينما كان، فذكرت ذلك أم سلمة فأعرض عنها، ثم عاد إليها فأعادت الكلام فقالت: يا رسول الله إن صواحباتى قد ذكرن أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، فَأْمُر الناس يُهدون أينما كنتَ، فلما كانت الثالثة قالت ذلك، قال: **"يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة، فإنه ما أنزل علىَّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها"** [صحيح البخارى] واللحاف هو الغطاء، ولا يخفى على أحد معرفته. وبهذا يتضح أن الحديث الذى ذُكِرَ فى السؤال معناه أن الوحى لم ينزل عليه إلا فى بيتها أو وهو بجانبها، وذلك لفضلها وفضل أبيها رضى الله عنهما. وقد ذكرنا أن الكتاب المقدس قال عن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إنه خلع المنشفة التى كان متزراً بها ومسح بها أرجل تلاميذه، وذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٤٢)، والله أعلم.

س١٥٦- يقول القرآن: {وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء:٧٣-٧٤] إن هذا اعتراف بأن نبيكم كاد يُفتن.

ج١٥٦- إن هذا إن كان يعنى شيئاً فإنما يعنى فى المقام الأول أن الرسول ﷺ صادق فيما بلغ عن ربه جل وعلا، لأنه لو تكلف القرآن أو أخفى شيئاً منه لَمَا ذكر هذه الآية. ومما قيل فى سبب نزولها إن وَفْدَ ثقيف قالوا للرسول ﷺ: أجِّلنا سنة حتى نقبض ما يُهدَى

لآلهتنا من الأصنام، فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهَمَّ ﷺ بقبول ذلك فنزلت الآية. فقوله تعالى: {لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ} أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضوه عليك لولا تثبيت الله لك، ولو فعلت ذلك {إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء:٧٥] ومعلوم من اللغة العربية أن (الهمَّ) معناه مقاربة فعل الشيء، أى أنه لم يقع، ولكن صاحبه نوى على فعله، وهذا فى حد ذاته لا يعتبر معصية، ولا يؤاخَذ المرء عليه إلا إذا فعله، وذلك لقول الرسول ﷺ: **"إن الله تجاوز لأمتى عمَّا حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به"** [صحيح الجامع:١٧٣٠] بل إن المرء إذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها - خوفاً من الله جل وعلا - كُتِبَت له حسنة كاملة، كما جاء فى الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ، والله أعلم.

س١٥٧- لقد حاول نبيكم الانتحار بعدما رأى جبريل فى غار حراء.

ج١٥٧- إن ما ورد عنه ﷺ من أنه حاول الانتحار بعدما رأى جبريل عليه السلام فى غار حراء فهى روايات غير صحيحة، وإلا- فما الذى منعه من الانتحار؟ ولو صحَّت هذه الروايات - جدلاً - فهى لا تعدو كونها خاطرة من شدة خوفه على نفسه أن يكون قد أصابه مس من الشيطان أو الجنون، وكان أبغض شيء إليه أن يُصاب فى عقله، فقد كان جالساً وحده فى الغار فظهر له جبريل عليه السلام على هيئته التى خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح تملأ الأفق، فكان منظراً مُرَوِّعاً، وخصوصاً أنه أتاه فى ظلام الليالى الأخيرة من رمضان. ثم إنه لا يُؤاخَذ على ذلك لسببين: الأول: أنه لم يكن حينها مُكَلَّفاً. الثانى: أن الإنسان لا يؤاخذ بما حدثته به نفسه، كما ورد فى الحديث الذى ذكرناه فى الرد على الشبهة السابقة.

وقد ورد فى الكتاب المقدس أن شاول - وهو أحد أنبيائكم - مات منتحراً: **فقال شاول لحامل سلاحه استَلَّ سيفَكَ واطْعَنِّى به لئلا يأتى هؤلاء الغُلْف ويطعنونى ويقبِّحونى. فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً. فأخذ شاول السيف وسقط عليه. ولَمَّا رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه.** (صموئيل الأول٣١: ٤-٥) مع أن طريقة الانتحار هذه تتناقض مع الطريقة التى جاءت فى الرد على الشبهة رقم (٣١٣) والدليل على نبوَّة شاول ما يلى:

وكان عندما جاء الروح من قِبَل الله على شاول (صموئيل الأول١٦: ٢٣) **فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً أمام صموئيل وانطرح عرياناً ذلك النهار كله وكل الليل. لذلك يقولون أشاول أيضاً بين الأنبياء** (صموئيل الأول١٩: ٢٤) ونحن نتساءل.. هل بداية النبوة عندكم بالتعرّى؟ إن هذا هو التحنّى!، والله أعلم.

س١٥٨- إن نبيكم كان يستقبل ضيوفه وهو لابس ثوب عائشة.

ج١٥٨- لقد جاء فى صحيح الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد حدثنى أبى عن جدى حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى وعثمان حدَّثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مِرط عائشة، فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشة: **"اجمعى عليك ثيابك"** فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالى لم أركَ فزعتَ لأبى بكر وعمر كما فزعتَ لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: **"إن عثمان رجل حَيِيّ وإنى خشيت إن أذِنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىَّ فى حاجته"** لقد ظن السائل أن الرسول ﷺ كان لابساً مِرط عائشة - رضى الله عنها - بمعنى أنه كان لابساً ثوبها، أو بالمعنى الحالى (فستانها) فلما حضر سيدنا عثمان ﷺ أعطى المِرط لعائشة وقال لها: "اجمعى عليك ثيابك" أى أنها كانت بغير ثياب حين دخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضى الله عنهما - ولَمّا دخل سيدنا عثمان خلع المِرط (أى تعرّى) ثم أعطاه إياها لترتديه. إن رَكاكَة هذا الفهم السقيم لا يليق بالأطفال فضلاً عن الكبار، وقد ورد هذا الحديث فى صحيح مسلم أيضاً بطريقة أخرى، وهى أن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان رسول الله مضطجعاً فى بيتى كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذِن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذِن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسَوَّى ثيابه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تُبالِهِ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك، فقال: "ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟"

إن المِرط ليس فستاناً ولاثوباً، المِرط هو كساء من صوف أو خَز أو كِتان يضعه الرجل عليه كما تضعه المرأة، ويلتحف به الرجل والمرأة على السواء، كما ورد فى سنن الترمذى - رحمه الله - عن السيدة عائشة قالت: "**خرج النبى ﷺ ذات غداة وعليه مِرط من شعر أسود**" [قال الترمذى: حديث حسن غريب صحيح] والعرب تقول: (لابس) لمن وضع الشىء عليه أو جلس عليه، كما ورد فى الحديث: (جالس على حصير بَلِىَ من طول ما لُبِسَ) أى أن الحصير تلف من كثرة جلوسه عليه. فمعنى كلمة (لبس) أعَم فى لغة العرب من معناها فى اللهجات العامية، فهى تشمل فى اللغة العربية وضع الرداء أو اللحاف على الجسد، وتشمل الجلوس على الحصير أو أى سجاد، وهو ما فعله النبى ﷺ من أنه كان ملتحفاً بالمِرط (أى بالكساء)

والقصة واضحة لا إشكال فيها، إذ كانت السيدة عائشة فى ناحية البيت مرتدية حجابها، والنبى ﷺ مضطجع وعليه لحافها، فدخل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر - رضى الله عنهما - والنبى ﷺ على هذا الحال، والسيدة عائشة على حجابها، ثم لَمّا دخل سيدنا عثمان ﷺ وهو شديد الحياء، خشى الرسول ﷺ أن يراه مضطجعاً ملتحفاً فيمتنع من قول حاجته، كمن يدخل على رجل نائم على سريره ومغطى بغطائه، فيتحرج من ذلك، ويشعر أنه قد أقلق صاحب البيت، فيعتذر ولا يذكر حاجته، فأراد النبى ﷺ أن يُظهر له أنه فى وضع استعداد لمقابلة الضيوف، وأنه ليس نائماً، وأمر زوجته ألا تكتفى بالحجاب، ولكن تجمع عليها ثيابها أكثر حتى تبدو هى أيضاً فى حال استقبال، كَمَن تسوِّى ثيابها إذا دخل ضيف حتى لا تبدو غير مُهَندَمة.

أما ماجاء فى الرواية الأخرى من أنه كان كاشفاً فخذه، فإن النبى ﷺ بشر كسائر البشر، ومن طبيعة البشر أنهم يُسقِطون بعض الكُلْفة أمام خاصتهم بما لايفعلونه أمام غيرهم، والنبى ﷺ كان يرى فى سيدنا عثمان حياءً شديداً، فهو يستحى أن يراه فى مثل هذا الحال، فخاف النبى ﷺ أن تمنعه رؤيته على هذا الحال أن يذكر حاجته، فجلس وتهيأ له بما يناسب طبيعته ﷺ ثم قال: "إن هذا الرجل تستحى منه الملائكة" وكأن النبى ﷺ يقول: إننى أُقَدِّر شدة حيائه وأستحى منه كما تستحى منه الملائكة، والله أعلم.

س١٥٩- لقد وضع محمد فى القرآن ما يوافق هواه، بدليل أن عائشة قالت له: ما

أرى ربك إلا يسارع فى هواك [صحيح البخارى]

ج١٥٩- كعادة السائل أنه لا يذكر من النصوص إلا ما يوافق هواه. فلننظر لماذا قالت له السيدة عائشة هذا القول؟ تجيبنا رضى الله عنها بقولها: **كنت أغارُ على اللاتى وهبْنَ أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى {تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ} قلت: ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك.** وقد قال النووى فى معنى "يسارع فى هواك": أى يخفف عنك ويوسِّع عليك فى الأمور، ولهذا خيَّرك (أى فى أمر نسائه) وقال القرطبى: هذا قول أبْرَزه الدلال والغيْرة، وهو من نوع قولها: ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله (أى عند تبرئة الله لها من حادثة الإفك) وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لا يُحمَل على ظاهره، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت (إلى مرضاتِك) لكان ألْيَق، ولكن الغيرة يُغتَفر لأجلها إطلاق مثل ذلك.

مما سبق يتضح لنا أن قولها كان من باب الغيرة، وإلا- فقد أفضنا الحديث فى شبهات أخرى عن أنه لو ألف القرآن لكتم منه أشياءً كثيرة. وقد جاء فى الكتاب المقدس ما يثبت أن بولس الرسول كان يتكلم أحياناً برأيه دون وحى من الله، كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٣٥٦) ونضيف هاهنا:

وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكننى أعطى رأياً كَمَن رحمه الرب أن يكون أميناً. فأظنُّ أن هذا حَسَن لسبب الضيق الحاضر أنه حَسَن للإنسان أن يكون هكذا. (رسالة بولس الاولى إلى كورنثوس٧: ٢٥-٢٦) نلاحظ قوله: (فأظنُّ)

لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة (أعمال الرسل١٥: ٢٨) نلاحظ قوله: (رأى الروح القدس ونحن)، والله أعلم.

س١٦٠- تزعمون أن نبيكم كان رحيماً، فى حين أنه دعا على المريض الذى لا يستطيع أن يأكل بيمينه.

ج١٦٠- من رجع إلى القصة فى [صحيح مسلم] باب (آداب الطعام) يجد أن الرجل الذى قال له الرسول ﷺ: "**كُلْ بيمينك**" فردَّ عليه بقوله: (لا أستطيع) لم يكن مريضاً كما تقولون، ولكنه لم يمتثل لأمر الرسول ﷺ تكبُّراً، فكان جزاؤه أن دعا عليه الرسول ﷺ

قائلاً: "لا استطعتَ" فما رفعها إلى فِيه، أى أنه لم يستطع رفع يده اليمنى بعد ذلك إلى فمه. ولو كانت مريضة من الأصل ولا يستطيع رفعها فما فائدة دعاء الرسول إذن؟ ولقد جاء فى كتابكم المقدس الذى يقول: (الله محبة) أن معبودكم دعا على شجرة التين - التى لا ذنب لها - لأنه لم يجد بها ثمراً: **وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منكِ ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة فى الحال.** (مت٢١: ١٨-١٩)، والله أعلم.

س١٦١- إن نبيكم أصاب من خيبر حماراً وسماه يعفور، وكان يتكلم معه ويرسله لينادى أصحابه.

ج١٦١- إليكم نص هذه القصة الموضوعة على رسولنا ﷺ:

عن أبى منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبراً أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال، وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهباً وفضة، وحماراً أسود، ومِكْتلاً. قال: فكلم النبى ﷺ الحمار، فكلمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جَدِّى ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبى، لم يبق من نسل جدى غيرى، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن تركبنى، قد كنت قبلك لرجل يهودى، وكنتُ أعثرُ به عمداً، وكان يجيع بطنى ويضرب ظهرى، فقال النبى ﷺ: "سميتك يعفور، يا يعفور" قال: لبيك، قال: "تشتهى الإناث" قال: لا، فكان النبى ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجِب رسول الله ﷺ فلما قُبِضَ النبى ﷺ جاء إلى بئر كان لأبى التيهان فتردَّى فيها، فصارت قبره جزعاً منه على الرسول ﷺ. راجع (تاريخ ابن كثير ٦: ١٥٠) و(أسد الغابة ج ٤ ص٧٠٧) و(لسان الميزان، باب من اسمه محمد، محمد بن مزيد) و(السيرة الحلبية، غزوة خيبر)

وإليكم أقوال العلماء - رحمهم الله - فى هذه الرواية:

أولاً: أورد الامام ابن كثير فى تاريخه (٦ : ١٥٠) هذه القصة وأشار إلى أنها ضعيفة، وقد أنكرها غير واحد من الحفاظ الكبار.

ثانياً: نصَّ ابن الأثير فى (أسد الغابة ج ٤ ص٧٠٧) على أن القصة ضعيفة وليست

بصحيحة، وقال فى نقله عن أبى موسى عقب ذكر القصة: هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتناً لا أُحِلُّ لأحد أن يرويه عنى إلا مع كلامى عليه.

ثالثاً: أورد الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتاب (لسان الميزان) باب (من اسمه محمد بن مزيد) هذه القصة كمثال للكذب الذى يرويه محمد بن مزيد، وأورد كلام الحافظ ابن حبان، وهذا نصه: هذا خبر لا أصل له وإسناده ليس بشىء. وقال ابن الجوزى: لعن الله واضعه.

رابعاً: قال عنه الإمام السيوطى فى كتاب (اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، الجزء الأول، كتاب المناقب): إنه (موضوع) ثم ذكر كلام ابن حبان، وهذا نصه: لا أصل له وإسناده ليس بشىء، ولا يجوز الاحتجاج بمحمد بن مزيد.

إذن فالحديث موضوع على رسول الله ﷺ، وهناك آلاف الأحاديث الموضوعة عليه، فهل نتتبّعها حديثاً حديثاً حتى نرد عن رسولنا الشبهات؟ فينبغى للمسلم ألا يُصدِّق ما صاح به كل ناعق، وعليه أن يستوثق من الأخبار قبل أن تَجْنَح به الأفكار لتهوى به فى النار.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ركب على أتان (أنثى الحمار) وجحش ابن أتان فى آن واحد، ونحن لا ندرى كيف فعل ذلك؟ وجاء فيه أيضاً أن الحمار نطق فمنع حماقة نبى، وأن الأتان تتكلم:

قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما. (متى٢١: ٥-٧)

ولكنه حصل على توبيخ تعدِّيه إذ مَنَعَ حماقةَ النبيِّ حِمارٌ أعجمُ ناطقاً بصوت إنسان. (رسالة بطرس الثانية٢: ١٦)

ثم اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف فى مكان ضيّق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً. فلما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام. فحمى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب. ففتح الرب فم الأتان فقالت لبلعام. ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات. فقال بلعام للأتان لأنك ازدريت بى. لو كان فى يدى

سيف لكنت الآن قد قتلتك. فقالت الأتان لبلعام ألست أنا أتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم. هل تعوّدت أن أفعل بك هكذا. فقال لا (عدد٢٢: ٢٦-٣٠)، والله أعلم.

س١٦٢- لقد قتل (زيد بن ثابت) امرأةً عجوزاً قتلاً عنيفاً لأنها كانت تعادى نبيكم، وهى (أم قرفة) فشدَّ رجليها بين بعيرين، ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، ولم ينكر عليه نبيكم، فهل هذه هى الرحمة التى تصفونه بها؟

ج١٦٢- لقد جاءت الرواية فى (طبقات ابن سعد) وعنه ابن الجوزى فى كتابه (المنتظم) ومدار الرواية على محمد بن عمر الواقدى، وهو شخص متهم بالكذب لدى علماء الحديث. والقصة أوردها ابن كثير فى (البداية والنهاية) مختصرة و لم يعلق عليها بشىء، وذكرها ابن هشام فى (السيرة) وكلاهما عن محمد بن اسحق الذى لم يذكر سند الرواية، فالحاصل أن الرواية لم تصح فلا يجوز الاحتجاج بها.

والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى أبو عبد الله المدنى قاضى بغداد مولى عبد الله بن بُرَيْدة الأسلمى.

قال البخارى: الواقدي مَدِينِيّ سكن بغداد متروك الحديث، تركه أحمد وابن نمير وابن المبارك وإسماعيل بن زكريا (تهذيب الكمال مجلد ٢٦ ص ١٨٥-١٨٦) وقال أحمد: هو كذاب. وقال يحيى: ضعيف، وفى موضع آخر: ليس بشىء. وقال أبو داود: أخبرنى من سمع من على بن المدينى يقول: روى الواقدى ثلاثين ألف حديث غريب. وقال أبو بكر بن خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يكتب.. حديث الواقدى ليس بشىء. وقال عبد الرحمن بن أبى حاتم: سألت عنه على بن المدينى فقال: متروك الحديث. قال النسائى فى (الضعفاء والمتروكين): المعروفون بالكذب على رسول الله أربعة، وذكر منهم الواقدى بالمدينة ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام.

يتضح مما سبق أن هذه الرواية موضوعة. وقد ذكرنا البشاعة فى القتل والتنكيل والتمثيل بالجثث فى الكتاب المقدس، فليرجع إليها القارئ، وخصوصاً فى الرد على الشبهات رقم (٨١) و(١١٢) و(١٢٨) وغير ذلك من الشبهات، والله أعلم.

س١٦٣- جاء فى (الطبقات الكبرى) لابن سعد فى الجزء الأول أن عبد الله بن

عبد المطلب تزوج آمنة بنت وهب أم نبيكم، وفى الوقت نفسه تزوج عبد المطلب من ابنة عمها هالة بنت وهيب، فولدت هالة بنت وهيب لعبد المطلب حمزة عم نبيكم. ثم قال فى (الجزء الثالث) باب (البدريين: طبقات البدريين من المهاجرين) إن حمزة كان مُعَلِّمًا يوم بدر بريشة نعامة... إلى أن قال: وقُتِلَ رحمه الله يوم أحد على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة، كان أَسَنَّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين. إن هذا يعنى أن أم نبيكم ولدته من رجل آخر بعد أربع سنوات من زواجها بعبد الله.

ج١٦٣- أولاً: لقد قال النبى ﷺ: **"خرجت من لَدُنْ آدم من نكاح غير سفاح"** [صحيح الجامع:٣٢٢٣]

ثانياً: إن هذا كتاب تاريخ، ونحن لا نأخذ ديننا من كتب تاريخيه، بل من القرآن والسنّة الصحيحة وما يوافقهما.

ثالثاً: الروايتان قالهما محمد بن عمر بن واقد الواقدى الأسلمى، وقد ذكرنا من هو هذا الرجل الكذاب فى الرد على الشبهة السابقة.

وعلى هذا فالروايتان بهما ضعف لأن الراوى متروك الحديث، ومتَّهم فى صدقه وروايته.

لكن هناك طرق أخرى تؤكد الروايه الثانية، وهى أن سيدنا حمزة ﷺ كان أَسَنَّ من الرسول ﷺ بعامين أو ٤ سنوات، وهى روايات صحيحة، وأن زواج عبد المطلب كان قبل زواج ابنه عبد الله والد الرسول ﷺ بأعوام كثيرة، وإن كان ميلاد سيدنا حمزة تم قبل ميلاد الرسول ﷺ بعامين أو بأربع سنوات. فليس شرطاً أن تكون أم سيدنا حمزة قد ولدته مباشرة بعد زواجها. وذكر البكائى عن ابن إسحاق قال: كان حمزة أَسَنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين، كما ورد فى كتاب (الاستيعاب فى تمييز الأصحاب) وكون ثوبية قد أرضعته كما أرضعت الرسول ﷺ فهذا لا يعنى أن الرضاعة كانت فى زمن واحد، ولكن المهم أنهما رضعا من ثدى واحد.

ثم إن الكتاب المقدس جعل المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – من نسل زنى مرتين فى (مت١: ١-١٧) إذ جعله من نسل فارص بن ثامار، وثامار هذه هى التى زنت مع

حماها يهوذا (بزعمهم) فأنجبت له فارص وزارح، مع أن يهوذا من الأسباط أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (على نبينا وعليهم الصلاة والسلام) ثم جعله ولد زنى من ناحية أخرى، إذ جعله من نسل سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - الذين زعموا أنه وُلِدَ من زنى والده سيدنا داود مع بشنشبع امرأة أوريا الحِثّى، وقد ذكرنا ملخص هذه القصة المزعومة على سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى الرد على الشبهة رقم (١٠٩) أما ما ورد بشأن ولادة فارص من الزنى فهو كما يلى: **فأخبِرَت ثامار وقيل لها هُوَذا حموكِ صاعد إلى تِمنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترمّلها وتغطّت ببرقع وتلفّفت وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تِمنة... فنظرها يهوذا وحسبها زانية... فمالَ إليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليكِ. لأنه لم يعلم أنها كَنَّته... ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبِرَ يهوذا وقيل له قد زنت ثامار كَنَّتك. وها هى حُبلى أيضاً من الزنا... وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان... فدُعِيَ اسمه فارص وبعد ذلك خرج أخوه... فَدُعِيَ اسمه زارح** (تكوين٣٨: ١٣-٢٤) (كَنَّته) أى زوجة ابنه.

ونريد أن نسألكم.. ألستم تؤمنون مثلنا أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ليس له أب من البشر؟ إذن فلماذا نسبتموه ليوسف النجار فى أول صفحة من الإنجيل، وهو إنجيل متى؟ أليس هذا يوافق ما قاله عنه اليهود؟ ألم يكن الأجدر بكم أن تذكروا نسب أمه بدلاً من ذكر نسب يوسف النجار؟، والله أعلم.

س١٦٤- هل من الرحمة أن يطلّق نبيكم (سودة بنت زمعة) بعدما كبرت بها السن؟

ج١٦٤- إن الرسول ﷺ لم يطلقها و لم يصرح لها برغبته فى ذلك، ولكنها شعرت بما يدور فى خَلَده، لأنه كان قد كبر فى السن، ويحتاج من زوجته أن تخدمه وتقوم على شئونه، والسيدة سودة - رضى الله عنها - كانت أَسَنّ منه، وكانت امرأة عجوزاً لا تستطيع القيام بخدمته، فلو ترك ليلتها لَظَلَمَها، فماذا يفعل؟ لقد كان الحل فى هذه المشكلة باقتراح حكيم منها، إذ عرضت عليه أن يجعل ليلتها للسيدة عائشة - رضى الله عنها - لعلمها بحبه لها، فوافق ﷺ على ذلك و لم يطلقها، والله أعلم.

س١٦٥- يقول نبيكم: "جُعِلَ رزقى تحت ظِل رُمحى، وجُعِلَ الذلَّةُ والصَّغارُ على من خالفَ أمرى" [صحيح البخارى] ألا يعنى هذا أن نبيكم كان محبّاً للقتل، مُبتغياً للرزق من المغانم عن طريقه؟

ج١٦٥- لقد أطلنا الكلام من قبل فى دفع هذه الفرْية عن رسولنا ﷺ فى الشبهة رقم (٨١) أما هذا الحديث فهو تشريف له ﷺ إذ قضى معظم أيام رسالته فى الجهاد فى سبيل الله جل وعلا، وإعلاء كلمته، ورفع راية الإسلام، ونشره فى ربوع المعمورة، وقد أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن أباح له الغنائم التى لم يُحِلّها لأحد قبله، قال ﷺ: **"أعطيتُ خمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلى: نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلَت لىَ الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليُصَلِّ، وأُحلَّت لىَ الغنائم ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبى يُبعَث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامَّة"** [صحيح الجامع:١٠٥٦] ورغم أن الله سبحانه وتعالى جعل له خُمُسَ الغنائم، إلا أنه كان ينفقها فى سبيل الله ويحيا حياة الفقراء، وكان بوسعه أن يعيش عيشة الأغنياء، ولكنه آثر الآخرة على الدنيا، وآثر الباقى على الفانى، حتى إنه مات ودرْعه مرهونة عند رجل يهودى على ثلاثين صاعاً من تمر، وكان ينام على الحصير حتى أثَّر فى جنبه ﷺ، وكانت تمر عليه وعلى نسائه - رضى الله عنهن - ثلاثة أهلّة فى شهرين دون أن يوقد فى بيوته نار، وكان يربط حجرين على بطنه من الجوع، وغير ذلك من مظاهر حياة الزهد والتقشف التى يعلمها من درس سنته ﷺ، فلم يكن محباً لجمع المال عن طريق القتال كما ادَّعى السائل الذى جاء فى كتابه المقدس كثير من قصص النهب والسرقة والقتل التى ذكرنا بعضها فى الإجابة عن شبهات أخرى، ونذكر منها هنا ما يلى:

وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى والعازار الكاهن وإلى جماعة بنى إسرائيل بالسبى والنهب والغنيمة (عدد٣١: ١١-١٢)

وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر. وضرب داود الأرض ولم يستبقِ رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع وجاء إلى أخيش. (صموئيل الأول٢٧: ٨-٩)

وكلم الرب موسى قائلاً. أحصِ النهبَ المسْبِيّ من الناس والبهائم أنت والعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. ونصِّف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب وبين كل الجماعة... وكان النهب فضلة الغنيمة التى اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفاً. ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً. ومن الحمير واحداً وستين ألفاً. ومن نفوس الناس من النساء اللواتى لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً. (عدد٣١: ٢٥-٣٥)

ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة. لأنهم نجسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت (تكوين٣٤: ٢٧-٢٩)

فذهب داود ورجاله إلى قعيلة وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة (صموئيل الأول٢٣: ٥)

إن ما ذكرناه آنفاً فهو فى (العهد القديم) أى التوراة، ثم يأتى (العهد الجديد) وهو (الإنجيل) لِيُقرّ ما فعله أنبياء العهد القديم من القتل، والنهب، وسائر مظاهر العنف، فيقول بولس: وماذا أقول أيضاً لأنه يُعْوِزنى الوقت إن أخبرتُ عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا بِرّاً نالوا مواعيد سدُّوا أفواه أسُود أطفأوا قوة النار نَجَوْا من حَدِّ السيف تقوَّوا من ضعف صاروا أشدّاء فى الحرب هزموا جيوش غُرباء. (الرسالة إلى العبرانيين١١: ٣٢-٣٤) ففى هذا تأييد من بولس لما فعله أنبياء العهد القديم من القتل والنهب بزعمهم، والله أعلم.

س١٦٦- يقول نبيكم: "أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى ارجعى من حيث جئتِ، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى ارجعى من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهى إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعى أصبحى طالعة من مغربكِ فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم؟ حين {لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا}" [صحيح الجامع:٨٤] ما هذا يا مسلمون؟ أهذا يتفق مع العلم الذى تدَّعون أن دينكم يؤيده؟

ج١٦٦- إن هذا الحديث لا يخالف العلم كما تقولون، فهل تكلم عن شيء مغاير لتكوين الشمس، أو خواصها، أو حركتها... إلخ؟ لقد قال: إنها تجرى.. وهذا ما أثبته العلم، أما كونها تسجد تحت العرش ويُقال لها: "ارجعى من حيث جئت" فهذا أمر غيبى نؤمن به ولكن لا ندرى كيفية حدوثه، فهل يوجد منكم - أو من غيركم - من يدَّعى أنه يعرف مكان العرش حتى ينكر هذا الحديث؟ ومعلوم أن الشمس لها فى كل لحظة مشرق ومغرب على أرجاء المعمورة، ومعنى ذلك أنها فى حالة سجود دائم لله سبحانه وتعالى، وهذا ما أقره القرآن الكريم فى قوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} [الحج:١٨]

ولقد جاء فى كتابكم المقدس ما هو أبعد من ذلك بكثير، إذ يقول: **وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكباً وهى حُبلَى تصرخ متمخِّضة ومتوجِّعة لتَلد. وظهرت آية أخرى فى السماء. هوذا تنِّين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان. وذنبه يجر ثلث نجوم السماء فطرحها إلى الأرض. والتنِّين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من حديد. واختطفت ولدها إلى الله وإلى عرشه. والمرأة هربت إلى البرية حيث لهما موضع مُعَدّ من الله لكي يعولوها هناك ألفاً ومئتين وستين يوماً وحدثت حرب فى السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء. فطرح التنِّين العظيم الحيَّة القديمة المَدعُوّ إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله طُرِحَ إلى الأرض وطُرِحَت معه ملائكته. وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً فى السماء الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طُرِحَ المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً. وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت. من أجل هذا افرحى أيتها**

السموات والساكنون فيها. ويل لساكنى الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أن له زماناً قليلاً ولما رأى التنّين أنه طُرِحَ إلى الأرض اضطهد المرأة التى ولدت الأبن الذكر. فأُعطيَت المرأة جناحي النسر العظيم لكى تطير إلى البرية إلى موضعها حيث تُعالُ زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحيَّة. فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تحمَل بالنهر. فأعانت الأرض المرأة وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذى ألقاه التنّين من فمه. فغضب التنّين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقى نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح (رؤيا يوحنا: الإصحاح١٢) مع العلم بأن (الخروف) عندهم يعنى (الرب) كما ذكرنا ذلك فى (صفات الرب فى الكتاب المقدس) فى الرد على الشبهة رقم (١٩)، والله أعلم.

س١٦٧- يقول القرآن: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ} [الأعلى:٦-٧] وقد روى البخارى عن عائشة أنها قالت: سمع النبى قارئاً يقرأ من الليل فى المسجد فقال: "يرحمه الله.. لقد أذكرنى كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا" وفى رواية "أُنسيتها" إن معنى هذا أنه يُسقِط ما يشاء من القرآن أو ينساه، فكيف تقولون: إنه بلغ القرآن كاملاً؟

ج١٦٧- لقد قال العلماء: إن وقوع النسيان منه ﷺ فيما ليس هو مأمور فيه بالبلاغ - مثل الأمور العادية والحياتية - فهذا جائز مطلقاً لما جُبِلَ عليه من الطبيعة البشرية، أما النسيان منه فيما هو مأمور فيه بالبلاغ فهذا جائز ولكن بشرطين.. الشرط الأول: أن يقع منه النسيان بعد ما يقع منه تبليغه، وأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً. والشرط الثانى: أن لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكره إما بنفسه وإما بغيره. وقالوا أيضاً: إن نسيانه ﷺ لشىء من القرآن يكون على قسمين.. أحدهما: نسيانه الذى يتذكره عن قرب، وذلك قائم بالطباع البشرية، وعليه يدل قوله ﷺ فى حديث السهو: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسوْن" [متفق عليه] وهذا القسم سريع الزوال، لظاهر قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩] والثانى: أن يرفعه الله عن قلبه لنسخ تلاوته، وهذا القسم مُشار إليه فى قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ} [البقرة:١٠٦] أما قوله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ} فهو وعد كريم بعدم

نسيان ما يقرؤه من القرآن، إذ أن (لا) فى الآية نافية، أى أن الله أخبر نبيه ﷺ بأنه لا ينسى ما أقرأه إياه. والاستثناء فى الآية بعدها مُعلّق على مشيئة الله، فإنه إذا أراد أن ينسيه لم يعجزه ذلك، ولكنه لم يشأ، بدليل قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ}[القيامة:١٧] فالقصد هو نفى النسيان أصلاً، وجاء بالاستثناء ليبين أن هذا الأمر - وهو عدم الإنساء - ليس خارجاً عن إرادته، فإذا أراده لم يمنعه مانع، فكل شىء بيده سبحانه وتعالى. وقيل إن الحكمة فى هذا الاستثناء أن يعلم العباد أن عدم نسيان النبى ﷺ القرآن هو محض فضل الله وإحسانه، ولو شاء تعالى أن ينسيه لأنساه، وفى ذلك إشعار للنبى ﷺ أنه دائماً مشمول ومُحاط بنعمة الله وعنايته، وإشعار للأمة بأن نبيهم لم يخرج عن دائرة العبودية، فلا يفتنون به كما فُتِنَ النصارى بالمسيح عليه السلام.

وللرد على أن نسيان الرسول ﷺ للآية التى ذكّره بها أحد أصحابه ﷺ يطعن فى تمام تبليغه للقرآن نقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن الآيات التى أُنسيها النبى ﷺ ثم ذكرها كانت مكتوبة بين يديه، ولم تنزل آية عليه إلا قام كتبة الوحى بكتابتها، وكانت محفوظة فى صدور أصحابه ﷺ الذين تلقوها عنه، والذين بلغ عددهم مبلغ التواتر، وليس فى الخبر إشارة إلى أن هذه الآيات لم تكن مما كتبه كتاب الوحى، ولا ما يدل على أن أصحاب النبى ﷺ كانوا نسوها جميعاً حتى يُخشى عليها من الضياع.

ثانياً: إن روايات الحديث لا تفيد أن هذه الآيات التى سمعها الرسول ﷺ من أحد أصحابه كانت قد مُحيَت من ذهنه الشريف جملة، بل غاية ما تفيده أنها كانت غائبة عنه ثم ذكرها، وحضرت فى ذهنه بقراءة صاحبه، وليس غيبة الشىء عن الذهن كمحوه منه، فالنسيان هنا بسبب اشتغال الذهن بغيره، أما النسيان التام فهو مستحيل على النبى ﷺ.

ثالثاً: إن قوله: "أسقطتها" مفسَّرة بقوله فى الرواية الأخرى: "أُنسيتُها" فدل على أنه أسقطها نسياناً لا عمداً، فلا محل لما أورده السائل من أنه قد يكون أسقط عمداً بعض آيات القرآن. قال النووى: (قوله: "كنتُ أُنسِيتُها" دليل على جواز النسيان عليه فيما قد بلّغه إلى الأمة) وقد ذهب البعض إلى أن ما نسيه النبى ﷺ كان مما نسخه الله تعالى ولم يعلم الصحابى بنسخه، ثم وقع العلم عند الصحابى بذلك. وقد قلنا فى أكثر من موضع: لو

أن النبى ﷺ كتم شيئاً من القرآن، أو أسقطه عمداً - كما تقولون - لكتم آيات كثيرة مثل بعض آيات سور (عبس) وغيرها.

رابعاً: كان سيدنا جبريل عليه السلام يراجع الرسول ﷺ بالقرآن كل عام فى رمضان لكيلا ينساه، وفى آخر حياته الشريفة راجعه إياه كاملاً مرتين.

خامساً: كثرة ترديد الآيات وتلاوتها فى المناسبات، والخطب، والصلوات، ساعدت على حفظ القرآن جيداً والعمل به، والله أعلم.

س١٦٨- تزعمون أن نبيكم كانت له قوة أربعين نبياً، وأنه كسر الصخرة التى لم يقدر عليها أصحابه حين حفروا الخندق، وأنه أصاب أعين المشركين بحفنة من التراب فى غزوة بدر، وأنه كذا وأنه كذا، ما كل هذه المبالغات؟

ج١٦٨- إن هذه ليست مبالغات. ولكنها من المعجزات التى أيد الله بها نبيه ورسوله ﷺ ولا حرج على فضل الله، وقد كانت له معجزات أخرى كثيرة ذكرنا بعضاً منها فى الإجابة عن الشبهة رقم (٢٥٨) وقد جاء فى كتابكم المقدس ما هو أبعد مما ذكرتموه بكثير، ومنه ما يلى:

ثم قال الرب لموسى وهارون خُذا ملء أيديكما من رماد الأتون. وليُذرِّه موسى نحو السماء أمام عينى فرعون. ليصير غباراً على كل أرض مصر. فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببُثور فى كل أرض مصر. فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذرَّاه موسى نحو السماء. فصار دمامل بُثور طالعة فى الناس وفى البهائم. ولم يستطع العرَّافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل. لأن الدمامل كانت فى العرَّافين وفى كل المصريين. (خروج٩: ٨-١١)

هذه أسماء الأبطال الذين لداود. يوشيب بشبث التحكمونى رئيس الثلاثة. هو هَزَّ رُمحه على ثمان مئة قتلهم دفعة واحدة. (صموئيل الثانى٢٣: ٨) هل يستطيع أحد - مهما أوتىَ من قوة - أن يقتل ثمان مائة رجل برُمحه دفعة واحدة؟

وهذا هو عدد الأبطال الذين لداود. يشبعام بن حكمونى رئيس الثوالث. هو هَزَّ رمحه على ثلاث مئة قتلهم دفعة واحدة. (أخبار الأيام الأول١١: ١١)

وكان بعده شمجر بن عناة فضرب من الفلسطينيين ست مئة رجل بمنساس البقر

وهو أيضاً خلّص إسرائيل (قضاة٣: ٣١) ما هذا؟ ست مائة رجل يُقتلون بمنساس البقر (أى ذيله)؟

شمشون يضرب ١٠٠٠ رجل بلحى حمار طرى، ويشق الأسد بيديه نصفين، ويربط ذيول ٣٠٠ ثعلب ببعضها:

ووجد لحَى حمار طرياً فمَدَّ يده وأخذه وضرب به ألف رجل. فقال شمشون بلحى حمار كومة كومتين. بلحى حمار قتلتُ ألف رجل. (قضاة١٥: ١٥) (لحى حمار) أى فَك حمار.

وإذا بشبل أسد يزمجر للقائه. فحلَّ عليه روح الرب فشقَّه كشق الجدى وليس فى يده شىء ولم يخبر أباه وأمه بما فعل... مالَ لكى يرى رِمَّة الأسد وإذا دَبْرٌ من النحل فى جوف الأسد مع عسل. فاشتار منه على كفيه وكان يمشى ويأكل وذهب إلى أبيه وأمه وأعطاهما فأكلا ولم يخبرهما أنه من جوف الأسد اشتار العسل (قضاة١٤: ٥-٩) نلاحظ من هذا النَّص أن الأسد لم يتعفن بعدما شقَّه شمشون بيديه، وأن النحل اتخذت جوفه بيتاً لصنع العسل.

وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل وجعل ذَنَبًا إلى ذَنَب ووضع مَشعلاً بين كل ذَنَبَيْن فى الوَسط. ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون (قضاة١٥: ٤-٥) (ابن آوى) هو الثعلب، والله أعلم.

س١٦٩- أنتم تقولون إن نبيكم جاء ذكره فى التوراة والإنجيل، وها هو الكتاب المقدس بين أيدينا، وليس فيه أى صفة من صفات نبيكم، لا تصريحاً ولا تلميحاً.

ج١٦٩- أنتم تقولون إن البشارة بالمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - جاءت فى العهد القديم (التوراة) عشرات - بل مئات - المرات، فهل تستطيعون أن تأتونا ببشارة واحدة ذكرت اسمه صريحاً؟ إن البشارات التى تتحدثون عنها لم يأتِ فيها ذكر (المسيح) أو (يسوع) ولكنكم تؤكدون أنها تعنيه بقرائن أخرى، فكذلك نحن نؤكد أن الكتاب المقدس الذى بين أيديكم الآن ذكر سيدنا محمداً ﷺ ولكن ليس باسمه صريحاً بل تلميحاً، أما قبل تحريفه فقد ذُكِرَ فيه اسمه صريحاً، كما قال سيدنا عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ

يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] وها هى بعض النصوص التى بشَّرت به ﷺ فى الكتاب الذى بين أيديكم: **أقيمُ لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعلُ كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبُه.** (تثنية١٨: ١٨-١٩) إن هذه بشارة بالرسول ﷺ وليست بالمسيح كما تقولون، لأنها قالت عن هذا النبى (مثلك) أى مثل سيدنا موسى، ولو أن وجه الشبه بين موسى وعيسى أنهما نبيَّان يهوديَّان لكانت تنطبق على أنبياء كثيرين ممن جاءوا بعد موسى، مثل: سليمان وإشعياء ودانيال وحزقيال وهوشع... إلى آخرهم، ولكن سيدنا محمداً هو الذى مثل سيدنا موسى، وليس المسيح.. بدليل:

إن المسيح لا يشبه موسى بمقتضى عقيدتكم، لأنكم تزعمون أن المسيح هو الإله المتجَسِّد على هيئة البشر، ولكنكم لا تقولون إن موسى كان إلهاً.

أنتم تعتقدون أن المسيح ضحَّى بنفسه من أجل خطايا البشر، ولا تعتقدون ذلك فى موسى.

كان لموسى أب وأم كما كان لمحمد ﷺ أما المسيح فلم يكن له أب.

محمد ﷺ وموسى تزوَّجا وأنجبا، أما المسيح فظل عَزَباً طوال حياته.

محمد ﷺ وموسى كانا نبيَّيْن مثلما كانا زعيمَيْن، أى أنهما كانا يحكمان شعبيهما، ولهما سلطان عليهما بحيث يوقعان العقوبة بالمخطئ، كما جاء عن موسى فى الكتاب المقدس أمره بإعدام عَبَدَة العجل (خروج٣٢: ٢٦-٢٩) أما المسيح فكان نبياً فقط، ولم يحكم شعبه، بل كان يأمره بطاعة ولىِّ أمره: **حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة... فقُل لنا ماذا تظن. أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا... فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله.** (متى٢٢: ١٥-٢١) وصرَّح بأن مملكته ليست على الأرض: **أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خُدَّامى يجاهدون لكى لا أُسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتى من هنا.** (يوحنا١٨: ٣٦)

محمد ﷺ وموسى أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لشعبيهما، أما المسيح فلم يأتِ بشريعة جديدة ولا بأحكام جديدة، بل كان يؤكد لهم أنه لم يأتِ لينقض الناموس (أى

التوراة) بل ليكمِّله، كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٢٤٢) ولذلك لا نجد الإنجيل مكتوباً وحده بغير التوراة، بل لابد من اقترانه بها فيما يسمى (الكتاب المقدس) بعهديه: القديم.. وهو التوراة، والجديد.. وهو الإنجيل.

محمد ﷺ وموسى ماتا موتة طبيعية مثل جميع البشر، أما المسيح فقد رفعه الله إليه حياً، وأنتم تعتقدون أنه صُلِبَ، ولا تعتقدون ذلك فى موسى.

محمد ﷺ وموسى يرقدان فى قبريهما فى الأرض، أما المسيح فأنتم تقولون إنه: **منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله.** (لوقا٢٢: ٦٩)

أنتم تعتقدون أن المسيح مكث فى قبره ثلاثة أيام ثم رُفِعَ، ولكن موسى لم يُفعَل به ذلك.

وهناك أمور أخرى - وهى الأهم - تثبت أن هذه البشارة خاصة بسيدنا محمد ﷺ غير كونه مثل موسى، فلم تَقُل البشارة (نبياً من بين أنفسهم) حتى تظنوا أن هذا النبى من بنى إسرائيل (أى من بنى يعقوب بن إسحاق، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، لأن إسرائيل هو يعقوب) ولكنها قالت: (من وسط إخوتهم) وهم العرب أبناء إسماعيل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. والكتاب المقدس نفسه يثبت أن أبناء إسماعيل إخوة لأبناء إسحاق: **فولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل.** (تكوين١٦: ١٥) (أبرام معناه إبراهيم) **وأمام جميع إخوته يسكن.** (تكوين١٦: ١٢) **وهذه سِنو حياة إسماعيل. مئة وسبع وثلاثون سنة. وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه. وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوته نزل** (تكوين٢٥: ١٧-١٨)

وقد قالت البشارة: (وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) وهذا ينطبق على سيدنا محمد ﷺ لأنه عندما جاءه جبريل عليه السلام فى غار حراء وقال له مرتين: اقرأ، ورد عليه ﷺ فى كل منهما بقوله: "ما أنا بقارئ" ثم قال له فى الثالثة: {ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} عَلِمَ الرسول ﷺ أن أمر جبريل له بالقراءة هو أن يردد هذا القول خلفه، لا أن يقرأ من كتاب، وهذا ما دلَّت عليه بشارة الكتاب المقدس (وأجعل كلامى فى فمه) أى

أنه ينطق بكلام الله.

ثم إن الكتاب المقدس نفسه ينفى مجىء نبى من بنى إسرائيل مثل موسى، فيقول: **ولم يَقُمْ بَعْدُ نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه** (تثنية٣٤: ١٠)

وهناك بشارات أخرى بالرسول ﷺ فى الكتاب المقدس، ومنها: **أو يُدفَع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويُقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة** (إشعياء٢٩: ١٢) وهذا النص واضح الدلالة على أنه سيدنا محمد ﷺ.

وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته فقال. جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم. (تثنية٣٣: ١-٣) (جاء الرب) أى جاء ملاك الرب بالوحى، وهذا يعنى نبوَّة سيدنا موسى، ثم نبوة سيدنا عيسى، ثم نبوة سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم - حسب ترتيبهم الزمنى، لأن (سيناء) هى مهبط الوحى على سيدنا موسى، و(سعير) مهبط الوحى على سيدنا عيسى، و(فاران) مهبط الوحى على سيدنا محمد ﷺ. والدليل على أن (فاران) هى (مكة المكرمة) أن الكتاب المقدس ذكر أن سيدنا إسماعيل سكن فيها: **وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى بريَّة فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر** (تكوين٢١: ٢٠-٢١) ولكنهم يغالطون أنفسهم ويقولون إن (فاران) هى (إيلات) مع أن (إيلات) لم يُبعَث فيها نبى قط. ونلاحظ أن النَّص قال: (تلألأ من جبال فاران) وقد أنزل الوحى على سيدنا محمد ﷺ وهو فى غار حِراء على جبل النور، وكلمة (تلألأ) أقوى من (جاء) و(أشرق) أى أن نور رسالة سيدنا محمد ﷺ أقوى من سابقتيها.

قال رسول الله ﷺ " **إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وُضِعَت هذه اللَّبِنَة، فأنا اللَّبِنَة وأنا خاتم النبيين**" [صحيح البخارى] وقد جاء فى الكتاب المقدس على لسان سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما يوافق هذا الكلام:

الحجر الذى رفضه البنَّاؤن قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا (مزمور١١٨: ٢٢-٢٣) إن هذا معناه أن جميع أنبياء بنى إسرائيل - على

نبينا وعليهم الصلاة والسلام - تشير إليهم الحجارة الكثيرة فى بناء بيت الرب، أما الحجر الذى هو رأس الزاوية والذى يمسك البناء كله، فهو - وإن كان حجراً واحداً - إلا أنه هو الأهم والأعظم أثراً فى إقامة هذا البناء وتماسكه، وهو يشير بذلك إلى سيدنا محمد ﷺ باعتباره خاتم النبيين، وبرسالته يتم البناء ويكتمل. ولقد ظن النصارى أن هذه البشارة خاصة بالمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى حين أن المسيح نفسه قال:

اسمعوا مثلاً آخر. كان إنسان رب بيت غرس كَرْماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى بُرجاً وسَلّمه إلى كرَّامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرّامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابنى. وأما الكرّامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلمُّوا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكَرْم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكَرْم ماذا يفعل بأولئك الكرّامين. قالوا له. أولئك الأردياء يُهلكهم هلاكاً رَدِيّاً ويُسَلّم الكَرْم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب. الحجر الذى رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزَعُ منكم ويُعطَى لأمَّة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه (متى٢١: ٣٣-٤٤) فى هذ النَّص يضرب المسيح عليه السلام مثلاً - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - للأنبياء الذين أرسلهم الله جل وعلا لهداية خلقه، فجلدهم المكذبون بهم، وقتلوهم، ورجموهم، ثم أرسل الله إليهم المسيح فقتلوه هو أيضاً بزعمهم (لقد ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم (١٧) أن كلمة (ابنه) تعنى: المؤمن به) ثم أخبرهم المسيح أن (الملكوت) أى (النبوة) ستُنزَع منهم (أى من بنى إسرائيل) وتُعطَى لأمَّة أخرى تقوم بحقها أفضل ممن سبقها، وأشار إلى الحجر الذى صار رأس الزاوية، والذى جاء ذكره فى بشارة سيدنا داود - وهو محمد ﷺ - والذى لا يستقيم البناء بغير وجوده، وأن (من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه) وهذه إشارة لجهاده ﷺ فى سبيل الله، وإلى قوة الإسلام، وأن من يعاديه سوف يسحقه الله. وقد حدث هذا عندما استطاع

المسلمون الأوائل - على قِلّتهم - الانتصار على أعظم قوتين فى ذلك الحين، وهما الفرس والروم. إن تنبُّؤ المسيح بقوة النبى ﷺ وأمته يوافق ما جاء فى بشارة سيدنا موسى التى ذكرناها من قبل (ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه) أى أن الله سبحانه وتعالى سينتقم ممن لا يطيع هذا النبى المبارك ﷺ.

لقد تبيَّن لنا من كلام المسيح - عليه السلام - أن عبارة (ملكوت الله) تعنى (النبوة) حتى لا يقول مجادل: إنها تعنى يوم القيامة، إذ كيف يقول عن يوم القيامة (يُنزَع منكم)؟ ومن ثَمّ فإن النصوص التالية تؤكد هذا المعنى، أى أن النبوة ستصير لنبى آخر بعد المسيح عليه السلام، ألا وهو رسولنا ﷺ: **جاء يسوع يَكْرِز ببشارة ملكوت الله. ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل** (مرقس١: ١٤-١٥) (يَكْرِز) معناها (يُبَشِّر)

فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك. (لوقا١١: ٢)

فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك. (متى٦: ٩-١٠)

وقد جاءت بشارات أخرى بالرسول ﷺ فى الكتاب المقدس باسم (الْمُعَزِّى) أو (روح الحق) أو (الروح القدس) أو(الكامل) ومنها ما يلى:

الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى. والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما الْمُعَزِّى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا١٤: ٢٤-٢٦) و(الْمُعَزِّى) معناه (الْمُواسِى) أى الذى يواسى أتباعه ويُصبِّرهم على ما يلاقونه من الأذى. والرسول ﷺ هو الذى علمنا كل شىء، حتى قال أحد اليهود لعمر بن الخطاب ﷺ: لقد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخِراءة (أى حتى التطهر من البراز) أما تذكيره ﷺ بما قاله المسيح - عليه السلام - فقد جاء فى آيات كثيرة معلومة.

ومتى جاء المعَزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء (يوحنا١٥: ٢٦-٢٧)

والرسول ﷺ يشهد بنبوة المسيح عليه السلام، ويشهد للحواريين أتباعه بأنهم آمنوا به ونصروه.

لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعَزّى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم... وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يُمَجِّدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. (يوحنا١٦: ٧-١٤) هذا النَّص يوضح أن (الْمُعَزِّى) أفضل من المسيح، لأنه قال: (خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعَزّى) ويوضح أيضاً أن (المعَزّى) يرشدنا إلى جميع الحق، وهذا لا يحتاج لبيان من سيرته عليه الصلاة والسلام، ويوضح أيضاً أنه يخبرنا بما سيأتى، ولا شك أن الآيات والأحاديث أخبرتنا بغيبيات كثيرة لا مجال لذكرها لكثرتها، وأخيراً يوضح النص أن (المعَزّى) يمجِّد المسيح، والرسول ﷺ مجَّد جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لأننا نعلم بعض العلم ونتنبَّأ بعض التنبُّوء. ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يُبْطَلُ ما هو بعضٌ. (الرسالة الأولى إلى كورنثوس١٣: ٩-١٠) فمن هو الكامل الذى شملت رسالته كل الرسالات قبله إن لم يكن الرسول ﷺ؟ ومن الذى تكون رسالته كاملة لجميع الأمم؟ ومن الذى لم تترك رسالته صغيرة ولا كبيرة إلا وتكلمت عنها؟ إن هذا النص معناه أن علم من قبله وتنبؤاتهم لم تكن كاملة، حتى يأتى ﷺ فتكون رسالته الكاملة ناسخة لما قبلها، وهو معنى (يُبْطَلُ ما هو بعضٌ).

وهناك دلائل أخرى فى الكتاب المقدس تشير إلى الرسول ﷺ وإلى مكة المكرمة، والحج، وغير ذلك، فليرجع إليها من شاء فى مصادرها، ومنها كتاب (محاضرات فى مقارنة الأديان) للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، وكتاب (مناظرة بين الإسلام والنصرانية) وهو عبارة عن مناقشة بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، وكتاب (إظهار الحق) لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندى، والله أعلم.

س١٧٠- إن محمداً يعترف أنه يجلد ويسب ويلعن، كما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تُخْلِفَنِيه، فأيُّما مؤمن آذيتُه أو سببتُه أو جلدتُه

فاجعلها له كفارة وقُربَة تقربه بها إليك يوم القيامة"

ج١٧٠- إن هذا الكلام جاء من رسول الله ﷺ على قِمَّة الورع والتواضع، فإنه لم يجلد أو يسب أو يلعن أحداً، ولكنه سأل ربه إن وقع هذا الأمر منه، وهذا على سبيل التواضع والانكسار والخشوع لله تعالى، كما فهم ذلك علماء اللغة، وأنه يخشى الزَّلَّة وإن دَقَّت. ومُحْمَل الحديث طلب المغفرة له ولأمته فى أعظم صور الورع والخشية، وفى الحديث كمال شفقته على أمته وجميل خُلُقه وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم.

وقد ذكرنا بعض ما جاء فى الكتاب المقدس من السبّ والشتم، وذلك فى الرد على الشبهة رقم (٥١) وجاء فيه أيضاً عن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما نصّه: **وكان فِصْح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى أورشليم. ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً. فصنع سَوْطاً من حِبال وطرد الجميع من الهيكل. الغنم والبقر وَكَبَّ دراهم الصيارف وقلب موائدهم.** (يوحنا٢: ١٣-١٥) أين هذا من رحمة رسولنا ﷺ بالأعرابى الذى بالَ فى المسجد وأراد الناس أن يضربوه، فقال لهم: **"دعوه وأهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذَنوباً من ماء، فإنما بُعِثتم مُيَسِّرين ولم تُبعثوا مُعَسِّرين"** [صحيح البخارى]، والله أعلم.

س١٧١- إن محمداً أمر بإحراق هبَّار بن الأسود ثأراً لابنته زينب، لأنه تعرض لها أثناء الهجرة، ألا كان القتل أهون من الحرق؟

ج١٧١- يقول ابن عبد البر: تُوُفِّيَتْ زينب بنت الرسول ﷺ فى حياة أبيها متأثرة بالوَقْعَة التى سقطتها من على الجمل وهى حامل، حينما عَمَدَ هبَّار بن الأسود إلى نَخْس جَمَلها بالرمح، فظلت تنزف حتى أسقطت جنينها. والحقيقة التى أخفاها السائل أن الرسول ﷺ بعدما أمر بإحراق هبَّار عَدَلَ إلى الأمر بقتله، وقال: " **إنما يُعَذِّب بالنار ربُّ النار"** [صحيح الجامع:١٤١٢] وفى الحقيقة أنه لم يحدث هذا ولا ذاك، لأن هبَّاراً أسلم وحَسُنَ إسلامه، فعفا عنه الرسول ﷺ مع أنه تسبب فى قتل ابنته وجنينها. ولا أظن أن أحداً من العَوَام - فضلاً عن الملوك والحُكَّام - يعفو عن رجل قتل ابنته وجنينها فى بطنها. والمعروف عند العرب أنه من الكبائر التى لا تُغتفر تعرض الرجل للمرأة بسلاح أو بغيره،

فَعَفْو الرسول ﷺ عنه يدل على عظيم رأفته ورحمته، كما عفا عن وحشى بن حرب الذى قتل عمه حمزة ﷺ مع تمكّنه من الفتك به، واكتفى بأن جعله يُغيّب عنه وجهه (أى لا يجلس أمام الرسول ﷺ مباشرة).

وقد جاء فى الكتاب المقدس حرق المدُن بأكملها، كما ذكرنا ذلك فى أماكن أخرى، وجاء فيه أيضاً أن يشوع النبى أحرق رجلاً وبنيه وبناته، وكل ما يملك، لأنه أخذ من الغنيمة غُلولاً، وقد أحرقه (بزعمهم) بعدما كَلَّمَهُ بطريقة تشعره بالأمان: **فقال يشوع لعخان يا ابنى أعطِ الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له وأخبرنى الآن ماذا عَمِلْتَ. لا تُخْفِ عنى. فأجاب عخان يشوع وقال حقاً إنى قد أخطاتُ إلى الرب إله إسرائيل وصنعتُ كذا وكذا... فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ما له وجميع إسرائيل معه وصعدوا بهم إلى وادى عخور. فقال يشوع كيف كدَّرتنا. يكدِّرك الرب فى هذا اليوم. فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. فرجع الرب عن حمو غضبه. ولذلك دُعِىَ اسم ذلك المكان وادى عخور إلى هذا اليوم** (يشوع٧: ١٩-٢٦)، والله أعلم.

س١٧٢- إن نبيكم يأمر بنقل رأس الأسود العنسى بعدما قُطِعَت من اليمن إلى المدينة ليتشفَّى فيه.

ج١٧٢- إن الأسود العنسى أسلم ثم ارتد، وهو من أول المرتدين الذين خرجوا على دولة الإسلام، وقاتل قبائل اليمن المسلمين، ونهب أموالهم، واستباح دماءهم، وانتهك أعراضهم، وقتل حاكم اليمن المسلم (شهر بن باذان) واغتصب امرأته، وادَّعى النبوة، وأرغم الكثيرين على اتِّباعِه، فتعاون على قتله البطل المسلم (فيروز الديلمى) بمساعدة زوجة شهر بن باذان، وزاز ابنة عم فيروز الديلمى، وفيروز ابن أخت النجاشى ملك الحبشة، وقد نجحت هذه الأسرة العريقة التى جمعت بين المُلْك والدِّين مع المخلصين من المسلمين على قتل الأسود العنسى، أما الادِّعاء بأن الرسول ﷺ أمر بنقل رأس العنسى من اليمن إلى المدينة فهو محض افتراء، وخبر شاذ ردَّه الحافظ ابن عبد البر فى (الاستيعاب) وكذلك الحافظ ابن حجر فى (الإصابة) ومنشأ الرد أن فى الإسناد ضمرة بن ربيعة

الكذاب الذى رفضته الثقات.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قال (بزعمهم): **أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملِكَ عليهم فأْتُوا بهم إلى هنا واذبحوهم قُدّامى** (لوقا١٩: ٢٧) إن هذا إن دَلَّ على شىء فإنما يدُلُّ على أنه أراد أن يتشفّى برؤيتهم وهم يُذبَحون، وأنه مُحِبٌّ للدماء، وإلا.. فما الفرق أن يذبحوهم أمامه أو بعيداً عنه؟ ونحن نبرِّئ سيدنا عيسى وجميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من هذه البشاعة، والله أعلم.

س١٧٣- إن محمداً يزعم أن موسى أحكم وأرحم بأمته من ربه، وأنه يعلم قدراتهم أكثر منه، فها هو يقول فى حديث المعراج (كما ورد فى الصحيحين): "ففرض الله عز وجل على أمتى خمسين صلاة، فرجعتُ بذلك حتى مررتُ على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعتُ فوَضَعَ شطرها، فرجعتُ إلى موسى قلت: وضعَ شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعتُ فوضع شطرها، فرجعتُ إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هى خمس وهى خمسون، لا يبدل القول لَدَىَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلتُ: استحييت من ربى"

ج١٧٣- يزعم الناقد عدم معرفة سيدنا محمد ﷺ بصفات الله جل وعلا، وهو أعلم خلق الله بالله، وأتقاهم له، كما قال ﷺ: **"إنَّ أتقاكم وأعْلَمَكم بالله أنا"** [صحيح البخارى] وحديث المعراج ليس فيه أى دلالة أو إشارة على أن الأنبياء أكثر معرفة بالناس من الله، حاشاه سبحانه أن يظن به أحد ذلك، وغاية ما هنالك أن الله سبحانه فرض الصلاة على النحو الأول خمسين صلاة فى اليوم والليلة، فلما مر نبينا ﷺ على سيدنا موسى سأله عن فريضة الله عليه فأخبره، فنصحه بأن يسأل الله التخفيف، والسؤال هنا من الأدنى للأعلى من باب الدعاء والتذلل، لا من باب الأمر والإلزام، فإن هذا لم يَقُل به أحد، ولا يجرؤ على قوله أحد، والدليل على ذلك قول نبينا ﷺ: **"سألتُ ربى حتى استحييتُ منه، ولكن أرضَىَ وأُسَلِّم"** [صحيح الجامع:٢٨٦٦] والسؤال بهذه الكيفية ليس منهياً عنه، ولكنه من جنس العبادة المأمور بها، كمن يترل به بلاء فيسأل الله التخفيف، بدليل قوله تعالى: **{وَقَالَ**

رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ولم يَرِد أن النبى ﷺ تطاول فى السؤال، أو تجاوز فى الحد المأذون فيه، ولم يكن منه إلا الطلب، والدعاء لله جل وعلا، حتى خفف الله عن أمّته.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن سيدنا إبراهيم حاور ربه، وجعله يخفف العقوبة عن قوم سيدنا لوط – على نبينا وعليهما الصلاة والسلام – لعدة مرات، وأن سيدنا موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – اتهم ربه (بزعمهم) بالإساءة إلى شعبه، والأعجب من ذلك أنه – على حد قولهم – أمَرَه بالندم والرجوع عن غضبه:

وأمّا إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب فتقدم إبراهيم وقال أفتُهلك البار مع الأثيم. عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديّان كل الأرض لا يصنع عدلاً. فقال الرب إن وجدتُ فى سَدُوم خمسين باراً فى المدينة فإنى أصفحُ عن المكان كله من أجلهم. فأجاب إبراهيم وقال إنى قد شرعتُ أكلّم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسون باراً خمسة. أتهلِكَ كل المدينة بالخمسة. فقال لا أُهلكُ أن وجدتُ هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضاً وقال عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال لا أفعلُ من أجل الأربعين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم. عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا أفعلُ إن وجدتُ هناك ثلاثين. فقال إنى قد شرعتُ أكلّم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أُهلكُ من أجل العشرين. فقال لا يسخط المولى فأتكلّمُ هذه المرة فقط. عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال لا أُهلكُ من أجل العشرة. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه (تكوين١٨: ٢٢-٣٣)

فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأتَ إلى هذا الشعب. لماذا أرسلتنى. فإنه منذ دَخلتُ إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب. وأنت لم تخلّص شعبك (خروج٥: ٢٢-٢٣)

فقال موسى للرب لماذا أسأتَ إلى عبدك ولماذا لم أجدُ نعمة فى عينيك حتى أنك وضعتَ ثقل جميع هذا الشعب عليَّ. (عدد١١: ١١)

لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجَهَم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه (خروج٣٢: ١٢-١٤)، والله أعلم.

س١٧٤- إن نبيكم لا يتقى الله بدليل قول قرآنكم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ} [الأحزاب:١]

ج١٧٤- إن الرسول ﷺ هو سيد المتقين، وسيد الأولين والآخرين، ولكن معنى الآية: حافظ واستمر على التقوى وصابر عليها، وهذا كما جاء فى قوله تعالى: {فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ} [هود:١١٢] فهل كان غير مستقيم، أم أنه أمر بالثبات على الاستقامة والدوام عليها؟ وكقوله تعالى للمؤمنين: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ} [النساء:١٣٦] وقد ذكرنا التعليق عليها فى الرد على الشبهة رقم (٣٢٠) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س١٧٥- إن محمداً يلجأ - كحُكّام العرب الدكتاتوريين - إلى التصفية الجسدية، فقد أرسل مجموعة من القتلة المحترفين لاغتيال سلام بن أبى الحُقَيْق اليهودى، وكعب بن الأشرف اليهودي، الذى كان شاعراً وفارساً وسيداً فى قومه.

ج١٧٥- إن الرسول ﷺ لم يأمر بقتل سَلاَم إلا لأنه كان العقل المدبر فى تأليب المشركين واليهود على قتال المسلمين، وهو القائل لمشركى مكة - عُبّاد الأصناء - حينما سألوه أهُمْ أهْدَى أم محمد: (أنتم أهدى من محمد سبيلاً) مع علمه بأنهم على الباطل، وأن سيدنا محمداً ﷺ على الحق، ولذلك نزل فيه قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً} [النساء:٥١] أما كعب بن الأشرف فقد نَحَى مَنْحَىً لم يتخذه أحد قبله، وهو أنه - من خِسَّته وذميم أخلاقه - هجا نساء النبى ﷺ ونساء الصحابة ﷺ بأقبح الألفاظ، أضف إلى ذلك أنه كان رأس حَرْبَة فى قتل وإيذاء المسلمين، وكان شريكاً فى تأليب المشركين على المسلمين فى غزوة أحد مع سلام بن أبى الحقيق، فكان القتل لهما جزاءً وفاقاً.

إن الذين يعيبون على رسولنا ﷺ أنه أمر بقتل (سلام بن الحقيق) و(كعب بن الأشرف) جاء فى كتابهم المقدس أن الذى يشتم أبويه يُقتَل، واقرأوا إن شئتم:

ومن شتم أباه أو أمه يُقتَل قتلاً. (خروج٢١: ١٧) فهل يوجد فى الإسلام مثل هذا؟ وهل الأبوين أشد حُرْمَة من رسول الله ﷺ ونسائه رضى الله عنهن وأرضاهن؟، والله أعلم.

س١٧٦– إن الدليل على أن محمداً فرض الإسلام على القبائل العربية بالإكراه، أنه بعد موته ارتد كثير منهم، وتحرروا من الاستعباد الذى فرضه عليهم.

ج١٧٦– إن سبب ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام لم يكن لأنهم أُجْبِرُوا على الإسلام، أو الاستعباد، ولكن ما حدث أن بعض شيوخ القبائل - مثل مسيلمة الكذاب، والأسود العنسى، وسجاح، وغيرهم – ادَّعَوْا النبوة، وأجبروا أقوامهم على ترك الإسلام، واتّباعهم تحت وطأة الحديد والنار، ولقد كانت أقوامهم أعلم الناس بأنهم كذابون، فهم أصحاب سِيَر سيئة طيلة أعمارهم، ولا يملكون منهجاً من السماء، وقد أحلوا كل الفواحش التى حرَّمها الإسلام، وقاموا بالسلب والنهب، وتهديد القبائل المجاورة لهم، فلم يُعرَف عنهم إلا كل شر، واستغلوا وجود جيش الإسلام بقيادة أسامة ﷺ على تخوم الروم، وموت النبى ﷺ، فظنوا أنه لا مُؤدِّب لهم، وحسبوها فوضى، فهبَّ الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ لتأديبهم، واستأصل شأفتهم، فأمَّن بذلك قبائل العرب من شرهم، وهزمهم شر هزيمة، والله أعلم.

س١٧٧– إن محمداً الرحيم يخالف الأعراف الحربية ويقتل الأسرى، واقرأوا السيرة لتعلموا أنه قتل عُقبة بن أبي مُعَيْط، وهو أسير لا يَحِلّ قتله.

ج١٧٧– إن عُقبة كان مشركاً شأن أهل مكة، ولكنه كان أشد الناس إيذاءً للإسلام والمسلمين، حتى إن الرسول ﷺ لم يَسْلَم من إيذائه، فقد ألقى عليه سَلَىَ جَزور وهو يصلى (أى أحشاءها) كما جاء ذلك فى صحيح البخارى، وجاء فيه أيضاً أنه خنق الرسول ﷺ خنقاً شديداً وهو يصلى فى حِجْر الكعبة، فدفعه عنه أبو بكر ﷺ وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر:٢٨] وكان حليف اليهود فى نقل الشبهات على رسول الله ﷺ، وكان من كبار المحرِّضين على قتال المسلمين فى غزوة بدر، ووصل به إجرامه أن بصق ذات يوم على وجه الرسول ﷺ. أما سبب قتله وهو أسير هو أن رسول الله ﷺ كان قد أهدر دمه قبل غزوة بدر لشنائعه على المسلمين المستضعفين فى مكة، فلما حضرت

الغزوة كان فى أوائل صفوف المشركين، وهو مهدور الدم سواء قبل المعركة أو بعدها، فلا حُرمة إذن لدمه، والله أعلم.

س١٧٨- إن محمداً لا يتورع عن قتل النساء، كما جاء فى السيرة أنه اغتال عصماء بنت مروان الخطمية، واغتال فتاتَىْ ابن خطل، وهما فرتنى وقريبة.

ج١٧٨- إن هذه المرأة المسَمَّاة (عصماء) كانت تعيب الإسلام، وتؤذى النبى ﷺ وتحرِّض عليه، وتؤذى من أسلم، حتى ولو كان من قبيلتها، وكانت تطرح المحايض فى مسجد بنى خطمة، فلما استفحل شرها قتلها رجل مسلم من قومها، وهو عُمَيْر بن عدىّ الخطمى ﷺ و لم يعارضه أحد من قبيلتها لسوء خلقها، وقسوتها على كل من أسلم، وقال الرسول ﷺ لعُمير حين سأله هل عليه شىء فى قتلها: **"لا ينتطح فيها عنزان"** [سيرة ابن هشام وغيرها] أى أنه بلغ من شرها أنه لا يختلف فى وجوب قتلها أحد. أما عن فتاتَى ابن خطل.. فهاتان كانتا تُغَنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ، ولقد قُتِلَت إحداهما وهربت الأخرى، ثم طُلِبَ لها الأمان، فأمَّنها رسول الله ﷺ وأسلمت.

والذين يلومون على الرسول ﷺ السماح بقتل هؤلاء النسوة، مع ما فَعَلْنَه من عداوة للإسلام والمسلمين - وعلى رأسهم رسول الله ﷺ - جاء فى كتابهم المقدس الأمر بقتل من لا يمتثل لأمر الكاهن أو القاضى، ولا أقول لأمر نبيهم، بل لأمر كاهنهم أو قاضيهم، حتى لو كان ذنبه لا يستحق عقوبة القتل أصلاً، فها هو كتابهم يقول:

إذا عسر عليك أمر فى القضاء بين دم ودم أو بين دعوى ودعوى أو بين ضربة وضربة من أمور الخصومات فى أبوابك فقم واصعد إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك. واذهب إلى الكهنة اللاويين وإلى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء... والرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك ليخدم الرب إلهك أو للقاضى يُقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل. (تثنية١٧: ٨-١٢)، والله أعلم.

س١٧٩- إن محمداً يمنع سكان أهل مكة الأصليين من الحج، بحجة أن المشركين نجس.

ج١٧٩- إن سيدنا محمداً ﷺ لم يمنع أهل مكة من الحج إلا المشركين منهم، وذلك

لعدة اعتبارات إيمانية وأخلاقية، فأما الإيمانية فلأنهم عُبّاد أصنام، يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذا بيت الله الحرام، وقد أمر الله نبيه بما أمر به إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن يطهر بيته من هذه الأوثان، فلا مكان إذن للمشركين فيه. أما الناحية الأخلاقية فهى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة، رجالاً ونساءً. أما قول الله عز وجل: {إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة:٢٨] فهى نجاسة معنوية متعلقة بقلوبهم لا بأبدانهم، لأنهم عبدوا مع الله آلهة أخرى، وليست نجاسة حِسِّيّة. ثم إن غالب أهل مكة قد أسلموا فى الفتح، إلا بضع أفراد يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة، فأين ما زعمه الناقد؟

إن الذين يتهمون الرسول ﷺ بالدكتاتورية فى طرده للمشركين من الجزيرة العربية، جاء فى كتابهم المقدس إبادة الشعوب المشركة بكاملها، بما فيها من بهائم لا ذنب لها، بل وحرق كل أمتعتها، فيقول:

إن سمعت عن إحدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوَّحُوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها وفحصتَ وفتَّشتَ وسألتَ جيداً وإذا الأمر صحيح وأكيد قد عُمِلَ ذلك الرجس فى وسطك فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنَ بعد. (تثنية١٣: ١٢-١٦)، والله أعلم.

س١٨٠- إن محمداً لم يكتفِ بالزواج من تسعة نسوة، فبعد الطواف عليهن يذهب إلى امرأة أجنبية لا تحل له - وهى أم سُلَيْم - ويقيِّل عندها، فتأخذ من عرقه وشعره وتضعه فى قارورة، كل هذا وزوجها خارج البيت. ويذهب لامرأة أخرى أجنبية عنه، وهى أم حَرام بنت ملحان زوجة عُبادة بن الصامت، بحجَّة مضحكة، وهى أن تُفَلِّى له رأسه فى غيبة زوجها أيضاً، فأين كان يضع محمد رأسه حين كانت تفلِّيه هذه المرأة فى غياب زوجها؟

ج١٨٠- إن الذى لا تعرفه أيها المتهجِّم على رسول الله ﷺ أن أم سُلَيْم - رضى الله عنها - خالة الرسول ﷺ من الرضاعة، كما قال ذلك ابن الجوزى، وَوَرَدَ عنه فى فتح

البارى، والمنهاج شرح مسلم، فقد كانت أم سليم أخت آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ من الرضاعة. أما السيدة أم حَرام بنت ملحان - رضى الله عنها - فهى أخت أم سُلَيْم، وخالة أنس بن مالك ﷺ أى أنها هى أيضاً خالة الرسول ﷺ من الرضاعة، كما قال ذلك ابن وهب، فأين المرأة الأجنبية التى تتحدث عنها أيها الْمُدَّعِى؟ وأى عجب فى أن تفلّى المرأة ابن اختها من الرضاعة، أو أن يُقيِّل عندها، أو أن تأخذ من عرقه، أو أن يدخل عليها فى غيبة زوجها، خصوصاً وأن أنس بن مالك ﷺ كان معه ﷺ؟

وقد أوردنا فى الرد على الشبهة رقم (٤١٨) أن الكتاب المقدس جاء فيه أن امرأة زانية قبَّلت قَدَمَى المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ومسحتهما بشعرها، فغفر لها، والله أعلم.

س١٨١- إن نبيكم يأمركم بالسَّب والشتم، فيقول: "إذا رأيتم الرجل يتعزَّى بعزاء الجاهلية فَأَعِضُّوه بِهَن أبيه ولا تكنوا" [صحيح الجامع:٥٦٧] إن معنى هذا أن تقولوا لمن يتعزى بعزاء الجاهلية: عُض ذكر أبيك، لأن "بِهَن أبيه" تعنى (بذَكَر أبيه).

ج١٨١- لقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خِدْرِها [صحيح الجامع:٤٧٩٩] وهو الذى نهى عن السب والشتم فى أحاديث كثيرة معلومة، لدرجة أنه نهى عن سَبِّ الشيطان، فقال: **"لا تسبوا الشيطان وتعوَّذوا بالله من شرِّه"** [صحيح الجامع:٧٣١٨] ولو أفضنا فى الكلام عن خلقه العظيم ﷺ ما وَسِعَنا المقال. ولكن لماذا أمرنا الرسول ﷺ بسَبِّ من تعزَّى بعزاء الجاهلية؟ وما هو عزاء الجاهلية الذى استحق فاعله هذا العقاب؟ لقد قال العلماء: إن عزاء الجاهلية هو أن يتفوَّه الإنسان إذا أصيب بمصيبة بأقوال لا ترضى الله جل وعلا، كأن يقول: لماذا يا رب فعلتَ بى كذا وكذا، أو كالذى ينعى حظَّه، ويقول: وامصيبتاه، واحسرتاه، واخيبتاه... إلى غير ذلك من ألفاظ التسخّط على قدر الله. وقالوا أيضاً: إن معناها التفاخر بالآباء، والأحساب، والأنساب... إلخ، كأن يتفاخر المرء بأبيه، أو عائلته، فيقول مثلاً: أبى كان غنياً، كان وزيراً، كان مديراً... إلخ، وعائلتى كانت كبيرة، وتعمل كذا وكذا، لمجرد التفاخر والتعالى على خَلْق الله. وحين يتشاجر مع غيره يستنفر قومه لقتال خَصْمه، بِغَضِّ النظر عن السبب فى الخصومة، وبغضِّ النظر عن تحكيم شرع الله بينهما، ومَن الظالم، ومَن المظلوم، ولكنها حَمِيَّة جاهلية لمجرد

القرابة، أو النَّسَب، أو المنفعة. وهذا - للأسف - منتشر بين كثير من المسلمين، لدرجة أن منهم من يظلم الناس ويقهرهم اعتماداً على منصب أبيه أو أحد أقاربه، أو سُمْعَة عائلته، أو قوة أصدقائه ومَعارِفه. ولهذا جاء هذا التحذير الشديد من الرسول ﷺ لمثل هؤلاء، ليكون رادعاً لهم عن مثل هذه الأقوال، التى لا يستحقون عليها الشتم فقط، بل ويستحقون عليها العذاب فى جهنم، قال ﷺ: **"من دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة الله التى سمَّاكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله"** [صحيح الجامع:١٧٢٤] وقال: **"ومن ادَّعى دعوى الجاهلية فهو من جِثِيِّ جهنم"** قيل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: **"وإن صام وصلى، تداعوا بدعوى الله الذى سمَّاكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله"** [صحيح ابن حبان]

والحديث الذى ورد فى هذه الشبهة ليس فيه تصريح بكلمة (الفَرْج) أو (الذَّكَر) وإن كان المعنى واحداً، ولكن الذين يشنِّعون على الرسول ﷺ بهذا الحديث، جاءوا بألفاظ صريحة بدلاً من ألفاظ الحديث، ليلفتوا الأنظار إلى ما يقصدونه من الطعن على رسول الله ﷺ ولم يذكروا مساوئ التعزِّى بعزاء الجاهلية، والتى ذكرنا بعضاً منها، ولم يذكروا أن هذه العبارة كانت شائعة على ألسنة العرب، ولم يبتدعها الرسول ﷺ من نفسه، ولم يسمح بها إلا فى هذا الموضع. فالمسلم عفيف اللسان، ولكن حين يسمع من يعترض على قدر الله، أو ينتسب إلى غير الإسلام، فله أن يَسُبَّ من فعل هذا سبّاً صريحاً ليزجره عن قوله. فعزتنا بالإسلام وحده، ولا عِزَّة لنا بغيره، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (كنا أذلَّة فأعزَّنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزَّة فى غيره أذلَّنا الله) ولكن ينبغى أن يكون هذا السَّبّ فى أضيق الحدود، لأن الرسول ﷺ نهى عن الفحش والتفحُّش، فقال: **"ما كان الفحش فى شىء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شىء قط إلا زانه"** [صحيح الجامع:٥٦٥٥] وقال: **"ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البَذِى"** [صحيح الجامع:٥٣٨١] لدرجة أنه عندما دخل عليه اليهود وقالوا له: (السَّام عليك يا محمد) و(السَّام) هو الموت، لم يَرُدّ عليهم إلا بقوله: **"وعليكم"** وحين ردَّت عليهم السيدة عائشة - رضى الله عنها - قال لها: **"مَهْ يا عائشة! فإن الله لا يحب الفحش والتفحش"** [صحيح مسلم] وقال لها فى رواية أخرى فى صحيح مسلم أيضاً: **"يا عائشة لا تكونى فاحشة"**

وقد قال العلماء: إن المقصود من الحديث هو الزجر الشديد عن هذه الأقوال، لأن من سمع هذا التحذير فلن يَجْرُأَ على قولها، لأنه يعلم مغبّتها، وحينئذ لن يكون هناك سَبٌّ ولا شتم، وذلك كالذى يعلم أنه لو سرق لَقُطِعَت يده، فلن يُقْدِمَ على السرقة، ولن تُقْطَع يده.

وقد أوردتُ نَصاً من الكتاب المقدس فى الرد على الشبهة رقم (١٥٢) وقد جاءت فى هذا النَّص عبارة يعلم الله أننى استحييتُ من تفسيرها، ولكنى أجدنى الآن مضطراً لتفسيرها، ووالله لولا الدفاع عن الشبهة التى نحن بصددها ما فسّرتها، ألا وهى فى الجزء التالى من النَّص:

وعَشِقَتْ معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومَنِيّهم كَمَنِىّ الخيل. (حزقيال٢٣: ٢٠) هل تدرون ما معنى (لحمهم كلحم الحمير)؟ معناها أن الأعضاء التناسلية للرجال الذين زنت معهم (أهوليبة) كالأعضاء التناسلية للحمير، بدليل أن العبارة التى بعدها وصفت مَنِيّهم بمَنِىّ الخيل. وإذا قال مُجادِل منهم: إنها لا تعنى الأعضاء التناسلية، فأقول له: وماذا تعنى كلمة (لحمهم) قبل ذكر منيّهم؟ هل تعنى لحم أجسادهم؟ وهل تشبيه لحم الإنسان بلحم الحمير من الثناء أو المدح فى شىء؟، والله أعلم.

س١٨٢- تزعمون أن نبيكم ينهى عن الْمُثْلَة وتشويه الجثث، بينما هو يفعل ذلك فى أبشع الصور، كما جاء فى صحيح البخارى أنه سَمَلَ أعين بعض اللصوص (أى فقأها) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وحرمهم من الماء حتى ماتوا من العطش، ولم يرحمهم.

ج١٨٢- إن الناقد المترَحِّم على هؤلاء القتلة اللصوص المرتدِّين، الذين ارتكبوا حَدّاً من أكبر حدود الإسلام، ألا وهو حَدّ الحِرابة فى أبشع صُوَرِه، غدر وخيانة وقتل وسرقة - فضلاً عن الردَّة - استدل بحديث (البخارى) ولم يستدل بما جاء فى صحيح مسلم. يقول أنس بن مالك ﷺ: إنما سَمَلَ النبى ﷺ أعين أولئك لأنهم سَمَلُوا أعين الرعاة. وجاء ذلك أيضاً فى سنن الترمذى، وسنن النسائى، والسنن الكبرى للبيهقى، والمعجم الكبير والأوسط للطبرانى، وسنن الدار قطنى.

والقصة باختصار هى أن نَفَرَاً من عُرَيْنَة وعُكْل (أسماء قبائل) جاءوا إلى الرسول ﷺ فى

المدينة، وأعلنوا إسلامهم، ولم يناسبهم جوّ المدينة فمرضوا، وأصابهم الاستسقاء، فاشتكوا إلى الرسول ﷺ فبعثهم ليشربوا من ألبان إبل الصدقة وأبوالها، فَصَحُّوا (أى بَرِئوا) ثم ارتدوا عن الإسلام، وسَمَلوا أعين الرعاة (أو الراعى) وقتلوهم، واستاقوا الإبل (أى سرقوها) وهربوا، أبَعْد ذلك تستكثرون عليهم ما فعله الرسول ﷺ بهم؟ إنها معاملة بالمثل، وتطبيق حَدّ من حدود الله، قال تعالى: {إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ} [المائدة:٣٣] وقال: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة:٤٥] إذن فالرسول ﷺ لم يظلمهم، ولم يعتدِ عليهم، بل هم الذين ارتدُّوا، وقتلوا الرُّعاة ومَثّلوا بهم، بعدما أطعموهم وعالجوهم، وسرقوا إبل الصدقة، فكان جزاؤهم من جنس فعلهم. والذى لا يعلمه الناقد الحاقد – أو يعلمه ويخفيه – أن الرسول ﷺ قد طبّق عليهم قانون السماء، لأنه لا يملك إلا ذلك، فقد قال ﷺ: **"تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغنى من حد فقد وجب"** [سنن أبى داود والنسائى، صحيح الجامع:٢٩٥٤] أى أن الحدّ إذا وصل إلى الحاكم وجب عليه تنفيذه. ولو أنه ﷺ صفح عنهم – فرضاً – لكان فى هذا عبث، وتضييع لحقوق العباد، وإسقاط لهيبة الدولة الإسلامية، وحاشاه أن يفعل ذلك، وهو الذى قالت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها: **"وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتَهَك حُرْمَة الله"** [متفق عليه] فكان انتقامه منهم لانتهاكهم حُرُمات الله، وحتى لا يَجْرُأ أحد بعدهم على مثل فعلهم. وقد جاءت فى الكتاب المقدس عقوبات شديدة وعنيفة، ذكرنا أمثلة منها فى الرد على افتراءات أخرى، ونذكر منها ها هنا:

وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمَرَّهم فى أتُون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون. ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم (صموئيل الثانى١٢: ٣١) كلمة (أتُون) معناها فُرْن.

وإذا كان على إنسان خطيَّة حقها الموت فقُتِلَ وعلقته على خشبة فلا تَبِتْ جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم. لأن المعلّق ملعون من الله. فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً (تثنية٢١: ٢٢-٢٣)، والله أعلم.

س١٨٣- يقول نبيكم: "لولا حواء لم تَخُن أنثى زوجَها الدَّهْر" [صحيح مسلم] كيف خانت حواء زوجها، ولم يكن هناك رجل غيره؟

ج١٨٣- إن الخيانة فى هذا الحديث الشريف ليست خيانة فِرَاش، أى أنها لم تكن بفعل الفاحشة، ولكنها بمعنى عدم الإخلاص لزوجها فى النصيحة، لأنها اجتهدت عليه مع إبليس ليأكل من الشجرة، فقد أغواها إبليس بالأكل من الشجرة فأكلت، ثم أقنعت زوجها فأكل هو أيضاً. والدليل على أن الخيانة لا يُقصَد بها خيانة العِرْض فقط، هو قول الله تعالى عن زوجة سيدنا نوح وسيدنا لوط، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] فخيانتهما لم تكن خيانة بالمعنى المقصود فى السؤال، ولكنها كانت خيانة عقائدية. ومعلوم أن مَن أخْلَصَ فى نُصْحِه، وأظهر الحق.. فهو أمين، وعكسه خائن، قال رسول الله ﷺ: **"المستشار مؤتَمَن"** [سنن أبى داود والترمذى، صحيح الجامع: ٦٧٠٠] أى أن المستشار لابد أن يكون أميناً فى إظهار الحق لمن استشاره، وأن يتقى الله فى نصحه، وأن يكتم سِرَّه الذى ائتمنه عليه. فمثلاً: لو أراد أحد أن يسكن فى منزل تعرفه، وسألك عنه، فلابد أن توضح له مزاياه وعيوبه، ولا تخفى عنه شيئاً لِهَوَىً فى نفسك، أو ظناً منك أنك ستقع فى معصية لو أخبرته بسوء خُلُق جيرانه، أو عدم صلاحية ذلك المسكن له... إلى غير ذلك. وكذلك لو استشارك فى الزواج من امرأة تعرفها، فلابد أن توضح له ما تعلمه من أحوالها، وأحوال أهلها، بغير توسّع فى هتك الأستار، وإشاعة الأسرار، وبغير غرض آخر فى نفسك من وراء هذا النُّصْح. وكل من لم يتقِ الله فى نصحه، أو أفشى سِرّ من ائتمنه، أو لم يخلص فى شركته مع غيره.. فهو خائن، قال رسول الله ﷺ: **"إن الله يقول: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانه خرجتُ من بينهما"** [سنن أبى داود، السنن الكبرى للبيهقى، سنن الدار قطنى]

فمعنى خيانة حواء أنها قَبِلَت ما زينه الشيطان لها، ثم زينته لزوجها، وقد ورثت بناتها خيانتها جيلاً بعد جيل، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول، إلا ما رَحِمَ ربى، ولا أقصد أنها تفعل الفاحشة، ولكنها خيانة من قبيل خيانة أمها. ولكن لا ينبغى للنساء أن يَتَرَخَّصْنَ بما فعلت أُمُّهُنَّ، فيتمادَيْنَ فى خيانة أزواجهن، ولكن ينبغى لهن

أن يتقين الله بقدر استطاعتهن، لأن كل إنسان مسئول عن نفسه وعن رعيَّته يوم القيامة، وينبغى للرجال أن يصبروا على زوجاتهم، لما وَرِثْنه من أُمُّهنَّ.

ووراثة بعض الطباع والأخلاق مُشاهَدة فى واقعنا، مثلها كمثل وراثة الصفات الخِلْقية تماماً، قال رسول الله ﷺ: **"فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسى آدم فنسيت ذريته، وخطِئ آدم فخطئت ذريته"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٥٢٠٨] وقد جاء فى الكتاب المقدس أن حواء لما غَوَتْ بأكلها من الشجرة، عاقبها الله، وعاقب ذريتها بالآلام فى الحمل والولادة، فيقول:

وآدم لم يَغوِ لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدِّى. (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس٢: ١٤)

وقال للمرأة تكثيراً أُكَثِّرُ أتعابَ حَبَلِك. بالوجع تلدين أولاداً. (تكوين٣: ١٦)، والله أعلم.

س١٨٤- إن محمداً عرض على اليهود الإسلام بعد دخوله المدينة، فلما رفضوا أقام لهم المجازر الوحشية، فقُتِلَ من قُتِلَ، وَفَرَّ مَن فَرَّ إلى الشام ليتحقق له مُلك الحجاز، بدليل قوله: "لا يَبْقَيَّن دينان بأرض العرب" [موطأ مالك، صحيح الجامع:٤٦١٧]

ج١٨٤- إن من يقرأ تاريخ اليهود على مر العصور لا يشك لحظة أنهم أهل غدر وخيانة، ونقض للعهود والمواثيق، وهم الذين سبُّوا ربهم، وقتلوا أنبياءهم، فحدِّث عن جرائمهم ولا حرج. وكان يهود المدينة وما حولها على شاكلتهم، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ويهود خيبر. وحين دخل الرسول ﷺ المدينة سالَمَهم، وصالَحَهم، وعقد معهم عدَّة اتفاقيات، تسمى بالمصطلح الحديث (حُسْن الجوار) أو (الدفاع المشترك) ولكن هيهات هيهات، فسرعان ما نقضت يهود بنو قينقاع عهد رسول الله ﷺ وحرقوا أسواق المسلمين، فصبر عليهم الرسول ﷺ ولم يعاقبهم، ثم لجأوا إلى حيلة دنيئة، فقام أحدهم بكشف عورة امرأة مسلمة فى سوق اليهود، وتضاحكوا عليها، فاستغاثت بالمسلمين، فانتصر لها أحدهم، وقتل اليهودى الخسيس، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم، فانبَرَى لهم الرسول ﷺ وأجلاهم من المدينة، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول المدَّعى.

أما يهود بنو النضير فقد تآمروا على الرسول ﷺ وهو ضيف عليهم، ضاربين حُسْن الضيافة، والنُّبْل، والمروءة - التى تعارف عليها العرب - عُرْض الحائط، وقام أحدهم بمحاولة إلقاء الرَّحَى عليه من فوق جدار كان يجلس تحته، فأعْلَمَهُ ربُّه سبحانه وتعالى بمكرهم، فقام من فَوْرِهِ، وسيَّر إليهم جيشاً، فتحصنوا منه فى الحصون، فحاصرهم وأجلاهم عن آخرهم، ولم يقتل منهم أحداً كما يقول الناقد.

أما يهود بنى قريظة فكانت خيانتهم أشد على الإسلام والمسلمين، وكانت بحق هى الخيانة العظمى، حيث إن موقعهم كان شمال المدينة المنورة، ولَمّا كان المشركون قد تحزَّبوا ضد الرسول ﷺ والصحابة ﷺ عام غزوة الخندق، وحشدوا لقتالهم أكبر جيش عرفته الحجاز، قوامه عشرة آلاف مقاتل، حاصروا المدينة، وكان الرسول ﷺ قد حفر خندقاً بينه وبينهم، بالمشورة المباركة من سيدنا سلمان الفارسى ﷺ فلم يبقَ لهذا الجيش العرمرم مدخل إلى المدينة إلا من ناحية اليهود، الذين كان الرسول ﷺ قد استأمنهم ألا يعينوا عليه أحداً، حسب الاتفاقات الْمُبْرَمَة بينهم، وألا يُؤْتَى من قِبَلِهِم، وإلا ستكون الكارثة المروِّعة على الإسلام وأهله. وكان الرسول ﷺ قد جعل النساء والأطفال فى حصن ناحيَة اليهود الذين خانوه وحاولوا التعرض لهم، فأرسلوا جاسوساً يستطلع حصنهم، فقتلته السيدة صفية - رضى الله عنها - عَمَّة الرسول ﷺ فتراجعوا عن مهاجمتهم، ظناً منهم أن معهم رجالاً مسلمين يحرسونهم. وكانت الخيانة الأعظم من ذلك أنهم سمحوا لجيوش المشركين أن يجتاحوا ديار المسلمين فى المدينة من ناحيتهم، وكانت هذه الخيانة أسوأ خيانة تعرض لها الرسول ﷺ وكادت تعصف بالإسلام والمسلمين لولا أن الله سَلَّم، فأوقع بينهم، وهزم المشركين، وفرق شملهم، وأرسل عليهم الريح التى اقتلعت خيامهم، وقلبت قدورهم ومتاعهم، فرجعوا خائبين، ونَجَّى الله المؤمنين بغير قتال. وكان من الطبيعى أن يتفرغ الرسول ﷺ لهؤلاء اليهود الذين خانوا عهده، وتحالفوا مع المشركين ضده، فقتل مُقَاتِلَتَهم، وسَبَىَ نساءهم وأطفالهم، وكان هذا أقل ما يجب فِعلُه إزاءهم.

أما يهود خيبر فقد قتلوا عبد الله بن سهل، أخا بنى حارثة، فكسروا عنقه ودفنوه فى بئر، وهو فى رحلته إلى خيبر ليشترى تمراً، فطلب منهم الرسول ﷺ دِيَتَه، فأنكروا قتله، فدفع الرسول ﷺ الدِّيَة لأهله، وصبر عليهم. وقد كانت خيبر وَكْراً للدَّس والتآمر، ومركز

الاستفزازات العسكرية، ومعدِن التحرشات وإثارة الحروب، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على بُعْد ستين ميلاً شمال المدينة، وكانت على أهْبَة الاستعداد لقتال المسلمين، وكانت هى الجديرة بالتفات المسلمين إليها، لأن أهل خيبر هم الذين حزّبوا الأحزاب لقتال المسلمين، وحرضوا بنى قريظة على الغدر والخيانة، وكانوا يحرِّضون المنافقين داخل المدينة، وغطفان وأعراب البادية خارج المدينة، ووضعوا خطة لاغتيال الرسول ﷺ مما اضطر المسلمين إلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين، مثل سلام بن أبى الْحُقَيْق، وأسير بن زارِم. لكن الذى أخَّر المسلمين عن قتال يهود خيبر أن هناك قوة كبرى متمثلة فى قريش، كانت هى الألدّ والأخطر من اليهود، فلما انتهت هذه المجابهة بصلح الحديبية، صَفا الجو لمحاسبة أولئك اليهود المجرمين. وقد كان ليهود خيبر أصفياء فى المدينة من المنافقين، وعلى رأسهم رأس المنافقين عبد الله بن أُبَىّ بن سلول، الذى أرسل إليهم أن محمداً قصدكم، وتوجَّه إليكم، فخذوا حذركم ولا تخافوا، فإنكم أكثر عدداً وعُدَّة منه، وقوم محمد شِرْذمة قليلون، وعُزَّل لا سلاح معهم إلا القليل. واستعدى كِنانة بن أبى الحقيق، وهوذا بن قيس غطفان، ورعل، وزكوان، وعصية، ليعينوهم على المسلمين مقابل أن يعطوهم نصف خيبر، فنصر الله المسلمين عليهم، وفاوضهم الرسول ﷺ على حقن دماء مقاتلتهم فى الحصون، وأن يترك لهم الذرية، شريطة أن يخرجوا من خيبر، ويتركوا كل شىء إلا ملابسهم، وقال لهم: **"بَرِئَت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتمونى شيئاً"** [دلائل النبوة للبيهقى] فكتموا وخانوا، فأجلاهم الرسول ﷺ من المدينة، بعدما قتل ابْنَىّ أبى الحقيق، وكِنانة بن الربيع، لأنهم نقضوا العهد، وأخفوا مالاً كثيراً لِحُيَىّ بن أخطب، وكَنْز يهود بنى النضير.

يتضح جلياً مما سبق أن الرسول ﷺ لم يُقِم المذابح المروعة كما قال هذا الحاقد. ونقول له وأمثاله: إن المتتبع للتاريخ، والذى عنده منهج علمى استقرائى مستقيم، يشهد أن الوحشية، وشريعة الغاب، وحمامات الدم، لم تكن يوماً من الأيام من سجايا الإسلام والمسلمين، سواء كانت جيوشاً فاتحة، أو وُفوداً مُعَلِّمَة، وهذا بشهادة أهل العلم المنصفين، ولكنها كانت فى اليهود، والمغول، والتتار، والحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، ولا زالت نراها فى أفغانستان، وكشمير، والشيشان، والبوسنة، وكوسوفا، وفلسطين،

والعراق، وأخيراً الصومال، كل هذا يشهد على إجرام غير المسلمين، الذين قال الله فيهم: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟} [البقرة:٢١٧] ونُحيل القارئ إلى الرجوع للإجابة على بعض الشبهات المماثلة، ليقرأ ما جاء فى الكتاب المقدس من العنف والوحشية، والله المستعان، والله أعلم.

س١٨٥- يقول نبيكم: "فى الحبَّة السوداء شفاء من كل داء إلا السَّام" [متفق عليه] إذن نغلق المستشفيات والصيدليات، ونجعلها مراكز لبيع الحبة السوداء، حتى نسمع كلام نبيكم.

ج١٨٥- لقد بشركم معبودكم بأن من آمن منكم يستطيع أن ينقل شجرة الجميزة من مكانها ويطرحها فى البحر، وأن يشفى المرضى، وإذا شرب السُّمّ لا يضره، وغير ذلك من المعجزات، ولم نرَ أى واحد منكم فعل مثل ما قال، ألا يوجد فى بقاع الأرض كلها مؤمن واحد؟ فأين إذن القساوسة، والمطارنة، والرهبان... إلخ؟ والآن نجيب على شبهتكم، ثم نتبعها إن شاء الله بذكر ما ورد فى الكتاب المقدس بهذا الشأن:

لقد أثبت العلم أن للحبَّة السوداء (حبَّة البركة) فوائد جَمَّة، وأعظمها تقوية جهاز المناعة الذى يساعد فى مقاومة جميع الأمراض. وما خطورة مرض الإيدز إلا أنه يصيب ذلك الجهاز المناعى، فيصبح الإنسان عُرْضة للإصابة بأضعف الميكروبات، ولا يستجيب لأقوى المضادات.

وقد جاء فى كتاب (دفع الشُّبَه عن السنة والرسول) لفضيلة الدكتور (عبد المهدى عبد القادر) أن البحوث العلمية أثبتت أن الحبة السوداء بها من العناصر ما يلى:

الفوسفات والحديد والفوسفور، والكربوهيدرات، والزيوت الطيَّارة. كما أنها تحتوى على مضادات حيوية، تقضى على الميكروبات والفيروسات والجراثيم. وبها الكاروتين، وهو مادة مضادة لمسببات السرطان. وبها هرمونات تقوى التناسل فى الرجال والنساء. وبها عناصر تفتح السدد، فتدر البول والحيض، وتدر لبن الأم والصفراء. وبها إنزيمات هضمية، ومضادة للحموضة. وبها مواد منبِّهة ومهدِّئة فى الوقت نفسه. وقد أثبتت البحوث أنها تحتوى على مادة (النيجيللون) وأمكن فصلها، واستُخدِمَت كعلاج سريع للربو الشُّعَبى، ونزلات البرد المزمنة، وعلاج السُّعال الديكى عند الصغار خاصة، والكبار

عامة. كما أنها تحتوى على مادة (الثيموهيدروكنيون) وأمكن فصلها، واستعمالها ضد بكتيريا التعفن المعوى.

وقد تداوت الأمة بهذا الدواء المبارك مئات السنين، قبل اكتشاف هذه العناصر المهمة فيها، واستخلاص الأدوية الفعّالة منها. والحبة السوداء ليس لها أضرار جانبية كبقية الأدوية، التى لا يكاد دواء يخلو منها، كما أن الجسم حين يأخذ كفايته منها، يُخرِج الزيادة بغير أدنى ضرر عليه، بعكس الأدوية المصنَّعة من مواد كيماوية مركبة، والتى لا يستطيع الجسم أن يتخلص مما زاد على كفايته منها، بل وربما أضرَّت به أكثر مما نفعته.

وقول الرسول ﷺ إن "فى الحبة السوداء شفاء من كل داء" لا ينافى الاستعانة ببعض الأدوية معها، فلم يَقُل ﷺ إن فيها (الشفاء) ولكنه قال: "شفاء" أى أن بها نوعاً من الشفاء، وليس كل الشفاء، وهذا النوع من الشفاء يتمثل فى كونها تقوى جهاز المناعة كما أسلفنا. ولو أن الرسول ﷺ يقصد أن بها تمام الشفاء لجميع الأمراض، لَمَا وصف أى دواء غيرها، وهذا ما لم يحدث، ولم يدَّعيه أحد، فقد كان الناس يأتونه ويشتكون إليه من أمراض عديدة، فيصف لهم أدوية كثيرة غير الحبة السوداء، ولكن الحديث عنها خرج مَخْرَج الغالب، أى أنها شفاء لمعظم الداء. وأحياناً تُستَعْمَل كلمة (كُلّ) ويراد بها (معظم) كما تقول - مثلاً - عن الذى يدير أعمالك أو مصنعك: فلان هو الكل فى الكل، أو تقول: إنه عليه العِبْء كله، فى حين أنه لا يمكن أن يقوم بجميع الأعمال وحده. أو من يقول عن نفسه بعدما أكَلَ: (لقد أكلتُ الطعام كله) فهل يقصد أنه أكل كل كسرة خبز، وكل حبة أرز... إلخ، أم أنه يقصد معظم الطعام؟ أو كما نقول عمَّن انتقل من مسكنه لمسكن آخر: (لقد رحل وأخذ كل ما فى شقته) ومن البديهى أنه لم يأخذ غير متاعه، فلم يأخذ - مثلاً - الشبابيك والأبواب، وصنابير المياه والأحواض، ومفاتيح الكهرباء والأسلاك... إلخ.

وفى القرآن الكريم شاهد على ذلك، فى قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [هود:٢٥] ومعلوم أن الريح التى أرسلت على عاد لم تدمر كل ما فى السموات والأرض، ولكنها دمرت كل شىء خاص بعاد.

والآن حان وقت عرض نصوص الكتاب المقدس التى وعدناكم بها:

الحقّ الحقّ أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد. (يوحنا٨: ٥١)

ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض... اشفوا مرضى. طهروا بُرصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. (متى١٠: ١-٨)

يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيَّات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم (مرقس١٦: ١٧-١٨)

فقال الرب لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعى وانغرسى فى البحر فتطيعكم (لوقا١٧: ٦)

ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء. (لوقا١٠: ١٩)، والله أعلم.

س١٨٦- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ} [الصف:٦] مع أن نبيكم اسمه محمد، وليس أحمد.

ج١٨٦- إن هذه من الشبهات التافهة التى تعودنا عليها، ولكن مع تفاهتها تُلقى الضوء على أمرين هامَّين، أوَّلهما أن الرسول ﷺ لم يؤلِّف القرآن، لأنه لو ألَّفه لقال (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه محمد) إذ أنه من المستحيل أن ينسى اسمه. وثانيهما أنه ﷺ لم يبدِّل ولا حرفاً واحداً من كتاب الله جل وعلا، وإلا.. فما الفرق بين أحمد ومحمد؟ إنه حرف واحد، وهو الألف فى أولهما، والميم فى ثانيهما. إن الرسول ﷺ له عِدَّة أسماء، كما قال عن نفسه: **"إن لى خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشِر الذى يُحشَر الناس على قدمى، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا العاقِب"** [صحيح الجامع:٢١٨٩] معنى "العاقب" أى لا نبى بعده. ولكن رغم أن له خمسة أسماء كان لابد أن يقول فى الآية - لو أنه ألَّف أو بدَّل - إن اسمه محمد، لأنه كان لا يدرى هل سيُبْلُغ حديثه هذا كل الناس فيعرفوا جميع أسمائه، أم لن يصل إليهم، والله أعلم.

زعم تناقض القرآن مع نفسه

س١٨٧- يقول القرآن إن الذى يدخل الجنة لا يخرج منها أبداً، مع أنه قال إن آدم خرج منها، فماذا نصدق إذن؟

ج١٨٧- إن الجنة التى دخلها سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ليست جنة المأوى التى يُجَازى بها المؤمنون فى الآخرة، ولكنها جنة على الأرض على ربوة عالية، ومعنى كلمة (جنة) هى الشجر الكثير الملتف الذى لا يُرَى من بداخله، ونحن نسميها بلغتنا (جنينة) ومنها كلمة (جنّ) لأنه يخفى علينا فلا نراه، والقرآن حين تحدث عن قصة خلق آدم قال: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠] أى أن الله سبحانه وتعالى سيستخلفه فى الأرض، وليس فى جنة المأوى. إن جنة الخلد ليست دار ابتلاء ولكنها دار جزاء، وحينما دخل آدم وزوجته الجنة حذرهما الله جل وعلا من مطاوعة إبليس لعنه الله {إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ} [طه:١١٧] ولكن إبليس احتال عليهما، وأظهر أنه ناصح لهما بأنهما إذا أكلا من الشجرة فسيخلدان فيها أبداً {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ} [طه:١٢٠] وأقسم لهما على ذلك {وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ} [الأعراف:٢١] فصدقه آدم لأنه لم يكن يتخيل أن يقسم أحد بالله كاذباً، ولكنه حين أطاعه هو وزوجته انكشفت سوءاتهما وأُخرجا من الجنة {فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ} [الأعراف:٢٢] فندما وتابا إلى الله {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ} [الأعراف:٢٣] وقَبِلَ الله عز وجل توبتهما {ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} [طه:١٢٢]

وقد ورد فى الكتاب المقدس تناقض بين مصير سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إذا أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها، وهاكُم التناقض:

فقالت المرأة للحيَّة من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا. (تكوين٣: ٢-٣) فى هذا النَّص تقول السيدة حواء - رضى الله عنها - للحيَّة إن الله أمرها وزوجها ألا يأكلا من الشجرة حتى لا

يموتا، ثم يأتى النَّص التالى فيقول إن آدم لو أكل من الشجرة فسيحيا إلى الأبد، وكأن الله سبحانه وتعالى كذب على آدم حتى لا يأكل من الشجرة فيحيا مثله إلى الأبد (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً):

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. (تكوين٣: ٢٣) وقد أكل آدم من الشجرة ولم يَمُتْ فى حينها، ولكنه مات بعد سنوات عديدة، ولكنه لم يخلد أبداً، أى أن كلا القَولَيْن لم يتحققا، والله أعلم.

س١٨٨- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ} [البقرة:٣٠] أليس هذا تطاولاً من الملائكة على الله، فى حين أن القرآن يثبت لهم السمع والطاعة، فيقول: {لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ}؟ [الأنبياء:٢٧]

ج١٨٨- إن تساؤل الملائكة ليس تطاولاً على الله عز وجل، ولكنه خوف ورجاء، خوف من أن يكونوا قصروا فى عبادته سبحانه وتعالى، ورجاء ألا يفضِّل عليهم أحداً. ولتقريب فهم هذا المعنى نقول وبالله التوفيق: - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن عندك خادماً وقلت له إنك ستأتى بخادم آخر فقال لك: لِمَ تأتى بخادم آخر يا سيدى؟ هل أنا قصرت فى خدمتك؟ أيكون قد تطاول عليك أم أنه تذلل بين يديك؟ وربنا سبحانه وتعالى ليس بحاجة لخدم {فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ} [النحل:٧٤] ولكن كما قالوا (بالمثال يتضح المقال) فالملائكة كما قال الله عنهم: {لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦] والدليل علي تنزيهم لربهم وتعظيمهم له هو قولهم فى الآية نفسها: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} وهنا يُطرَح سؤال: ما الذى علّم الملائكة أن الإنس سوف يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء؟ قال العلماء إنهم توقعوا أن يفعلوا كمن كان قبلهم من الجن، فقد أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء، فأرسل الله عليهم الملائكة فحاربتهم وطردتهم إلى أعالى الجبال والقفار والبحار، أو أن هذا عِلم علّمهم الله إياه.

ونريد أن نسألكم.. أتعتبرون هذا تطاولاً من الملائكة، وتنسون ما جاء فى كتابكم المقدس من تطاول أنبيائكم (بزعمكم) على ربكم؟ واقرأوا إن شئتم:

إليك أصرخ فما تستجيب لى. أقوم فما تنتبه إلَىَّ. تحوَّلت إلى جاف من نحوى.

بقدرة يدك تضطهدني. (أيوب٣٠: ٢٠-٢١)

حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخلِّص. (حبقوق١: ٢)

وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهى أيضاً إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأتَ بإماتتك ابنها. (الملوك الأول١٧: ٢٠) (نلاحظ مخاطبة الله عز وجل بكلمة: قد أسأتَ)

يا رب لماذا تقف بعيداً. لماذا تختفى فى أزمنة الضيق. (مزمور١٠: ١)

يا إلهى لا تُبطئ (مزمور٤٠: ١٧)

لأجل هذا تتجلَّد يا رب. أتسكُت وتذلنا كل الذُّل (إشعياء٦٤: ١٢)

حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء. حتى متى يتَّقد كالنار غضبك. أذكر كيف أنا زائل. إلى أى باطل خلقتَ جميع بنى آدم. (مزمور٨٩: ٤٦-٤٨)

لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام. (مراثى إرمياء٥: ٢٠)

يا رب إلى متى تنظر... لا يشمت بى الذين هم أعدائى باطلاً ولا يتغامز بالعين الذين يبغضوننى بلا سبب... قد رأيتَ يا رب. لا تسكت يا سيد لا تبتعد عنى. استيقظ وانتبه إلى حكمى (مزمور٣٥: ١٧-٢٣)، والله أعلم.

س١٨٩- يقول القرآن: {وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} [البقرة:٤٩] ويقول: {وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ} [الأعراف:١٤١] فلماذا قال مرة {يُذَبِّحُون} ومرة {يُقَتِّلُون}؟ وما فائدة زيادة (الواو) فى سورة (إبراهيم) {وَيُذَبِّحُونَ}؟ فهل محمد يلعب بالألفاظ؟

ج١٨٩- قال الشيخ الشعراوى - رحمه الله - ما معناه إن المتكلم فى سورة (البقرة) هو الله جل وعلا، فلذلك قال: {وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} أما المتكلم فى سورة (إبراهيم) فهو سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلذلك قال: {يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} بزيادة (الواو) لأن الله عز وجل حينما يَمُنُّ على عباده

فإنه يَمُنُّ عليهم بعظائم النعم دون صغارها، فذكر أنه نجاهم من تذبيح أبنائهم واستحياء نسائهم، وهو أشد ما تعرضوا له من العذاب، أما سيدنا موسى حين مَنَّ عليهم بنعم الله، مَنَّ عليهم بكبيرها وصغيرها، فلذلك زادت (الواو) وكأنه أراد أن يقول لهم إنهم ذاقوا من آل فرعون عذاباً آخر غير ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأن الله نجاهم من هذا كله، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - إذا مَنَّ الأب على ابنه فإنه يَمُنُّ عليه بعظائم إنعامه عليه، فيقول له: أنا ربيتك وصرفت عليك حتى تخرجت من الكلية، أما أمه حين تذكّره بفضل أبيه عليه فإنها تقول له: أبوك الذى اشترى لك الملابس، والكتب، والحلوى، وكذا وكذا، وفعل لك كذا وكذا، فتعدد له أشياء كثيرة لم يذكرها والده. أما لماذا قال مرة: {يُقَتِّلُون} ومرة {يُذَبِّحُون} فإن فرعون أمر بقتل الذكور ثم أمر بتذبيحهم.. لماذا؟ لأن القتل ليس يقينياً فى القضاء عليهم.. كيف؟ لأن القتل يمكن أن يتم - مثلاً - بضربهم على رؤوسهم حتى يغيبوا عن الوعى، ويُظَن أنهم ماتوا، ثم بعد ذلك يفيقون من غيبوبتهم، ويمكن أن يتم بخنقهم حتى يُظَن أيضاً أنهم قد ماتوا، ثم يفيقوا بعد ذلك، أما الذبح فهو يقينِىّ فى القضاء على حياتهم. كما أن تشديد حرف الباء فى كلمة {يُذَبِّحُون} يعنى إمعاناً فى الذبح، حتى يتحقق موت الضحايا، بعد إيلامهم وتقطيع رقابهم، ويقول أهل اللغة العربية: إن زيادة المَبْنَى تدلّ على زيادة المعنى، والله أعلم.

س١٩٠- يقول القرآن: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ} [البقرة:٢٨٦] معنى هذا أن أعمال الخير تأتى بلفظ {كَسَبَتْ} وأعمال الشر تأتى بلفظ {ٱكْتَسَبَتْ} ثم يناقض القرآن نفسه فيقول: {سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [التوبة:٩٤] وكان المفروض أن يقول (جزاءً بما كانوا يكتسبون)

ج١٩٠- ما هو الاكتساب؟ هو الافتعال والتكلف والتصنع، فمثلاً: إذا نظر رجل إلى امرأة لا تحل له، تراه متكلفاً متصنعاً، يختلس النظر إليها، وهو ينظر يميناً وشمالاً، هل يراه أحد؟ على عكس الذى ينظر إلى زوجته، أو إحدى محارمه، وكذلك التى تمشى مع رجل لا يحل لها، تراها مرتبكة تخشى أن يراها أحد، وإذا شعرت بأن أحداً سيراها تبتعد عنه، أو تأمره بالبعد عنها، وهو أيضاً يفعل الشىء نفسه، على عكس من يمشى مع زوجته أو أمه

أو أخته. ولو اختلى رجل بامرأة لا تحل له، ثم طرق الباب طارق، لأصابهما الفزع ولم يفتحا الباب، أو لاختبأ أحدهما، أما الذى يكون مع زوجته وطرق الباب طارق، فإنه يفتح بكل جرأة، وهى كذلك. وهذه الأمثلة تنطبق على من يشعر أنه عاصٍ، ويستحيى أن يجاهر بمعصيته، أما العاتى الطاغى فى معصيته الذى لا يخشى الله ولا يستحيى من خلقه فإنه يحترف معصيته، ويفعلها وهو متبجح، وكأنها حلال. فمثلاً لو نظر إلى امرأة أو شاغلها ثم لامه أحد لقال له: انا حر أعمل ما أريد، وليس لأحد عندى شيء، فهذا معصيته أصبحت سهلة بدون تكلف، كالذى يشرب الخمر أو يفطر فى رمضان جهاراً، ولا يبالى هل يراه أحد أو لا يراه، فالكلام فى الآية الكريمة عن المنافقين، وهؤلاء قد احترفوا وأدمنوا المعصية، وأصبحت مألوفة بالنسبة لهم كمن يفعل الحلال، ولذلك جاءت بلفظ {يَكْسِبُونَ} وتحتمل كلمة {يَكْسِبُونَ} تهكماً، فيكون توبيخاً وتحقيراً للمنافقين الذين يظنون أن رجسهم مكسب لهم، وجزاء حسن، مع أنه فى الحقيقة وَبَال وخسارة، مثل تاجر يبيع تجارته بالغش والتطفيف ونقص المكيال والميزان ظنّاً منه أن فى ذلك مكسباً، لكنه فى الحقيقة خسارة {يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ} [المطففين:٦]، والله أعلم.

س١٩١- يقول القرآن: {إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ} [آل عمران:٥٥] فهنا ذكر الوفاة، مع أنه فى عقيدتكم لا يزال حياً ولم يُتَوَفَّ! أليس هذا تناقضاً؟ وفى الآية نفسها يقول: {وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ} أليس الذين اتبعوه هم النصارى؟ والذين كفروا به هم اليهود والمسلمون؟

ج١٩١- الوفاة فى اللغة لها أكثر من معنى، فهى تأتى بمعنى الموت كما جاء فى الآية الكريمة: {قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة:١١] وتأتى بمعنى النوم {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [الزمر:٤٢] كما نقول عن النوم إنه الموتة الصغرى، ويُشتَق من الوفاة معنى تأدية كل الأوامر على أكمل وجه، كما جاء عن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام {وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ} [النجم:٣٧] ومنها استيفاء الأجر {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} [الزمر:٧٠] فمعنى {مُتَوَفِّيكَ} أى رافعك إلىّ بكاملك جسداً وروحاً، وهذا يزيل الشك فى رفع جسده.

أما قول الله عز وجل: {وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ} فالذين اتبعوه هم الذين اتبعوه على الحق الذى أُرسِلَ به. وما هو الحق الذى أُرسِلَ به؟ لقد أُرسِلَ بالتوحيد الخالص لله رب العالمين كبقية الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأنه عبد الله ورسوله، فبذلك يكون الذين اتبعوه هم أتباعه الأولون الذين لم يشركوا بالله رب العالمين، ونحن المسلمين أتباعه، وأتباع جميع الأنبياء والمرسلين، لأننا آمنا بهم أجمعين، وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونحن بذلك ممتثلون لأمر ربنا تبارك وتعالى، حيث قال: {قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} [البقرة:١٣٦] أمَّا النصارى الذين جاءوا من بعدهم فليسوا أتباعه، لأنهم عبدوه وأمه من دون الله، و لم يؤمنوا برسول الله ﷺ الذى بشر به {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف:٦] ولكنهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ رغم أن صفته فى كتبهم التى بأيديهم، ولكنهم جحدوها وبدَّلوها. قد يقول قائل: إن الآية تقول: {وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ} ونحن نرى المسلمين متخلفين عن اليهود والنصارى، فكيف يكون المسلمون فوقهم؟ فنقول وبالله التوفيق: إن الفوقية ليست فوقية قوة مادِّية، ولكنها فوقية حُجَّة ومنهج وتشريع، أى أن المسلمين لهم الحُجَّة على اليهود والنصارى إلى يوم القيامة، فاليهود كفروا به ووصفوه وأمه بأبشع الصفات المرذولة، والنصارى غالَوْا فيه واعتبروه إلهاً، والمسلمون توسطوا فآمنوا به عبداً لله بشراً رسولاً {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:٥٩]، والله أعلم.

س١٩٢- يقول القرآن: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ} [النساء:٣] ويقول فى السورة نفسها: {وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [١٢٩] أليس هذا تناقضاً؟

ج١٩٢- إن هذا ليس تناقضاً، ولكنه لرفع الحرج عن المسلمين، لأنهم أُمِرُوا بالعدل

بين النساء، فربما ظنوا أن العدل فى كل شيء حتى الحب، ولكن هذه الآية توضح أن الزوج لا يمكنه العدل فيما لا يملك، فلا يحمله هذا أن يميل كل الميل لواحدة ويترك الأخرى كالمعلقة، فلا هى حرة فتتزوج، ولا هى ذات زوج يلبى احتياجاتها، ولكن عليه العدل فى المبيت والنفقة، من مسكن وطعام وشراب وكسوة، وغير ذلك من معاملة حسنة وملاطفة...إلخ، قال رسول الله ﷺ: **"من كانت له امرأتان فمالَ إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقّه مائل"** [سنن أبى داود، صحيح الجامع:٦٥١٥] أمَّا ما لا يملكه من الميل القلبى فلا يؤاخذه الله عليه.

وقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض فى حكم الزواج من الأرملة بين الحِل والحُرمة، فقال: **يأخذ امرأة عذراء. أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ. بل يتخذ عذراء من قومه** (لاويين٢١: ١٢-١٣) ثم يقول: **ولا يأخذون أرملة ولا مطلقة زوجة بل يتخذون عذارى من نسل بيت إسرائيل أو أرملة التى كانت أرملة كاهن** (حزقيال٤٤: ٢٢) فالنَّص الأول يحرم الزواج من الأرامل مطلقاً، والثانى يحلل أرملة الكاهن، والله أعلم.

س١٩٣- يتضارب القرآن فى علم المواريث، فمرة يقول إن للذى يرث الكلالة السُّدُس، ومرة يقول الثلث، ومرة يقول النصف، ومرة الثلثان، ومرة للذكر مثل حظ الأنثيين.

ج١٩٣- قال الشيخ الشعراوى رحمه الله: لابد أن نفرق بين كلالة وكلالة، حين يجعل الله للمنفردة النصف، والاثنتين الثلثين، وبين الكلالة التى يجعل الله فيها للمنفرد السدس، ويجعل للأكثر من فرد الاشتراك فى الثلث، دون التمييز للذكر على الأنثى، فهما.. أى الآية: {وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ} [النساء:١٢] والآية: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ} [النساء:١٧٦] متَّحِدتان فى أنه لا أصل ولا فرع للمتوفى، والمسألة هنا تتعلق بالأخوَّة، ونقول: إن الأخوَّة لها مصادر متعددة، هذه الأخوَّة

إمَّا من أبٍ وأمّ، وإما أخوّة لأب فقط، وإما أخوّة لأمّ فقط، فإذا كان أخٌ شقيق، أو لأب، فهو من العَصَبَة الأصيلة، وهما المعْنيّان فى الآية ١٧٦ من السورة نفسها، وبذلك تكون آية السدس والثلث التى فى الآية رقم ١٢ متعلقة بالأخوة لأمّ، إذن فالكلالة إما أن يكون الوارث أخاً لأمّ فقط، وإما أن يكون أخاً لأب فقط، أو أخاً لأب وأمّ، فالحكمان لذلك مختلفان، لأن موضع كل منهما مختلف عن الآخر، والله أعلم.

س١٩٤- يقول القرآن: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} [الأنعام:٦١] ويقول: {قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ} [السجدة:١١] ويقول: {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا} [الزمر:٤٢] فمن الذى يميت؟ الله أم الملائكة أم ملك الموت؟

ج١٩٤- كما قلنا فى الرد على الشبهة رقم (٦) إن الله سبحانه وتعالى يتكلم عن نفسه مرة بصيغة المفرد، ومرة بصيغة الجمع للتعظيم، أو لوجود وسائط يُكلّفهم من خَلْقِه سبحانه وتعالى.. فكذلك هنا، ففى سورة (الأنعام) {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} وهم الملائكة المساعدون لملك الموت فى قبض الروح، فإن هؤلاء الملائكة يسحبون الروح من جميع الجسد من أسفله إلى أعلاه، حتى إذا بلغت الحلقوم جذبها ملك الموت، وفى سورة (السجدة) {قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ} لأنه هو الذى يقوم بجذبها النهائى، وفى سورة (الزمر) {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} فهو سبحانه الذى يتم بأمره كل شىء، وهو الذى يأمر الملائكة وملك الموت عليهم السلام، والله أعلم.

س١٩٥- يقول القرآن: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} ثم يقول: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت:١٣] أليس هذا تناقضاً؟

ج١٩٥- هناك ضال ومُضِل، وفاسد ومُفسِد، فأما الضال (وهو الكافر) فعليه وزره وحده، أما المضِل فعليه وزره ووزر من تسبب فى ضلالهم، مع أنه لن ينقص من أوزارهم شيئاً، وكذلك الفاسد.. كشارب الخمر - مثلاً - فعليه وزره وحده، أما إذا جعل غيره يشربها فإنه يتحمل وزره، من غير أن ينقص من وزره شيئاً، وهذا الأمر يتضح فى قول الله عز وجل: {لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ} [النحل:٢٥] ومن رحمة الله جل وعلا أنه لم يقل (وأوزار الذين يضلونهم) ولكن قال: {وَمِنْ أَوْزَارِ} أى بعض أوزارهم وليس كلها، فهو يتحمل ما تسبب فيه فقط،

ولا يتحمل بقية الأوزار التى لم يكن له دخل فيها، كمثل من علّم غيره شرب البانجو، ولكن هذا الإنسان لم يشرب البانجو فقط، ولكنه قتل أو زنى أو سرق، ففى هذه الحالة لا يتحمل الأول إلا وزر شرب البانجو فقط، وليس له دخل ببقية الذنوب، قال رسول الله ﷺ: **"من سَنَّ سُنَّة حسنة عُمِلَ بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"** [صحيح الجامع:٦٣٠٦]

ثم إن التناقض عندكم، فقد جاءَ فى كتابكم المقدس أن الأبناء لا يُقتلون عن الآباء، ولا الآباء عن الأبناء، فقال:

لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيّته يُقتل

(تثنية٢٤: ١٦)

ثم ناقضتم أنفسكم وزعمتم أن خطيئة سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قد توارثها أولاده جيلاً بعد جيل، ولا منقذ لأحد منها إلا أن يؤمن بالمسيح إلهاً أو ابن إله، لأنه قد جاء (بزعمكم) ليكفّر عن خطيئة آدم، وليخلّص البشرية منها. ونحن نتساءل: ما ذنب المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى خطيئة آدم؟ وما ذنب الأجيال المتعاقبة فى هذه الخطيئة؟ وما حكم من لم يؤمن بالمسيح ممن ماتوا قبله، ومنهم أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم؟ أتلحقهم الخطيئة لأنهم جاءوا قبل أن يُكفّر عنها؟ ولماذا لم يبعثه الله قبل جميع الأنبياء حتى يطهرهم من هذه الخطيئة؟ وهل كان الله سبحانه وتعالى يحتاج لهذه التمثيلية حتى يغفر لآدم؟ وهل كان أحد يستطيع منعه من المغفرة؟ وهل المعاصى الشنيعة التى نسبتموها لأنبيائكم - زوراً وبهتاناً - من قتل وزنى وشرب خمر.. إلى غير ذلك لا تساوى خطيئة أكْل آدمُ من الشجرة؟ وهل يحتاجون لنزول الإله مرة أخرى ليكفرها عنهم؟ وهل وهل... إلخ؟ { سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص:٦٨]

ثم إن المسيح نفسه لم يقل إنه جاء لتقديم نفسه فداءً لهذه الخطيئة، ولم يذكر آدم ولا خطيئته قط، بل إنه كان يهرب من اليهود الذين أرادوا قتله (كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم ١٢٣) وكان يتضرع إلى الله أن ينجيه منهم، ويأمر تلاميذه أيضاً أن

يتضرعوا لله لينقذه، فهل يُعقَل أن تكون هذه مُهِمَّته التى جاء من أجلها ولا يذكرها؟ بل ويهرب منها؟ وها هى النصوص التى تدل على ذلك:

وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون. وتبعه أيضاً تلاميذه. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة. وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً يا أبتاه إن شئتَ أن تجيز عنى هذه الكاس. ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك. وظهر له ملاك من السماء يقوِّيه. وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض. ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن. فقال لهم لماذا أنتم نيام. قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة (لوقا٢٢: ٣٩-٤٦)

وجاءوا إلى ضيعة اسمها جثسيمانى فقال لتلاميذه اجلسوا هاهنا حتى أصلى. ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدا يَدهَش ويكتئب. فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت. امكثوا هنا واسهروا. ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبُرَ عنه الساعة إن أمكن. وقال يا أبا الآب كل شيء مُستطاع لك. فأجِز عنى هذه الكأس. ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت. ثم جاء ووجدهم نياماً فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم. أما قدرتَ أن تسهر ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة. أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف. ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه. ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه. ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا. يكفى. قد أتت الساعة. هوذا ابن الإنسان يُسَلَّم إلى أيدى الْخُطاة. (مرقس١٤: ٣٢-٤١) (ابن الإنسان: يعنى نفسه)

وحين صُلِبَ (بزعمهم) سأل الله لماذا تركه ولم ينجيه؟ **وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لِمَا شبقتنى. الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى.** (مرقس١٥: ٣٤) ألا يعنى هذا تناقضاً مع قولكم إنه جاء ليفتدى البشر من خطيئة أبيهم؟ ولو كان إلهاً فهل يحتاج للمَلَك أن يقويه؟ (وظهر له ملاك من السماء يقويه) ثم ما كل هذا العذاب؟ إن الإنسان لا يستطيع أن يرى ابنه يتعذب بهذه الطريقة وهو قادر على أن ينقذه، ولو تركه - فرضاً - لاتهمه الناس بالقسوة، والجفوة، وقِلَّة الرحمة، وقلة الحيلة،

أيُنكَر هذا على العبد الضعيف الفقير، ويُنسَب لمن هو على كل شيء قدير؟

عجباً للمسيح بين النصارى وإلى الله ولـــداً نسبـــوه
وأسلمـــوه إلى اليهود وقالوا حين قَتْلــــه صلبـــوه
فـــإن كان ما يقولون حقاً فَسَلُــوهم أين كان أبـــوه
فـــإن كـــان راضياً بأذاهم فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإن كان ساخطاً غير راضٍ فـــاعبدوهم لأنهم غلبـــوه

فاعتبروا يا أُولى الألباب، واعبدوا ربَّ الأرباب، ولا تشركوا به مَن أصله من تراب {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:٥٩]، والله أعلم.

س١٩٦- يقول القرآن فى سورة (الأعراف) عن ثمود ومدين.. قومَىْ صالح وشعيب: {فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ} بينما يقول فى آيات أخرى {فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ} فهل هى رجفة أم صيحة؟ أم أن محمداً نسى وهو يؤلِّف القرآن؟

ج١٩٦- لنعرف أولاً ما هى الصيحة؟ وما هى الرجفة؟ الصيحة هى الصوت الشديد العالى، وهى كما نقول بلهجتنا العامِّية (الشخطة) صاح فيه أى (شخط فيه) والصيحة الشديدة تأتى بالرجفة (الرعشة) من شدة الرعب حتى إنهم يقولون (فلان بيرجف) أى أن به رعشة، فالرجفة هى ما ترتب على الصيحة. وقد ثبت علمياً أن الصوت الشديد (كصوت الانفجارات) يحدث فى الجسد تغيرات مهلكة تصل إلى الموت، بسبب انفجار الرئتين وغير ذلك، فمرة يتكلم الله سبحانه وتعالى عن المقدمة، ومرة يتكلم عن النتيجة، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن أحداً أطلق على أحدٍ رصاصة جعلته ينزف حتى الموت، ففى هذه الحالة.. إن قلت إنه مات بالرصاص فأنت صادق، لأنها السبب فى النزيف، وإن قلت إنه مات بالنزيف فأنت صادق أيضاً، لأنه كان النتيجة. ومثال آخر: لو أن أحداً ضعيف القلب (كما يقولون) سمع صوتاً رهيباً كصوت انفجار قنبلة، فإنه ربما يموت بالسكتة القلبية، رغم عدم إصابة أى شيء من أعضائه (مع ملاحظة أنه لابد أن يرتجف ولو لمدة ثانية قبل موته) فلو قلنا إنه مات بصوت القنبلة.. لكان هذا صحيحاً، ولو قلنا إنه مات بالسكتة القلبية لكان هذا صحيحاً أيضاً، وبالطبع فإننا حين نمثِّل الصيحة التى

أهلكتهم بالشخطة أو القنبلة.. فهذا قياس مع الفارق العظيم، ولكنه لتقريب المعنى، والله أعلم.

س١٩٧- يصف القرآن الجنة مرة بأنها {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [التوبة:٧٢] ومرة {تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [التوبة:١٠٠] فهل الأنهار تجرى {تَحْتَهَا} أم {مِن تَحْتِهَا}؟

ج١٩٧- إن {تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} تصف جريان الأنهار تحت الجنة، فى حين أن منابعها بعيدة عنها، أمّا {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} فتصف تفجُّر منابع الأنهار من تحت الجنة، فالحالة الأولى كمن يبنى قصراً فوق مجرى النيل، أى أن قصره يطل على النيل من جميع النواحى، والحالة الثانية كمن يبنى قصراً فوق منبع النيل، فالحالة الأولى أعظم من الثانية، والحالتان موجودتان فى الجنة، مع الفارق العظيم، والله أعلم.

س١٩٨- يُعَبِّر القرآن عن غضب الله مرة بكلمة {خَتَمَ} فيقول: {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} [البقرة:٧] ومرة بكلمة {طَبَعَ} فيقول: {طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} [التوبة:٩٣] ولم يوضح لنا أحد من المسلمين ما الفرق بينهما؟

ج١٩٨- الختم مثل الخِتم الذى نستعمله فى حاضرنا، كما يختم على بعض الأبواب بالشمع الأحمر، فيقال: إنه مختوم عليه، وفى هذه الحالة فإنه لا يُسَمح لأحد أن يدخل أو يخرج من هذا المكان، أو كما يُختم على قارورة زجاجية مثلاً، فلو ألقيتها فى البحر لا يدخل شىء إليها، ولا يخرج شىء منها، فالآية الكريمة: {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} تعنى أن قلوبهم قد أُغلقَت، فلا يخرج منها الكفر، ولا يدخلها الإيمان. أمّا {طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} فالطبع هو تطبيع قلوبهم على المعصية فيعشقونها، فكأن قلوبهم قد أُشرِبَت الكفر والنفاق والمعصية، كما قال الله عز وجل عن الذين عبدوا العجل من دونه: {وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:٩٣]

وقد عبَّر الكتاب المقدس عن لفظ (إلهى) مرة بلفظ (إيلى) ومرة بلفظ (الوى) فقال: **صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لِمَا شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى.** (متى٢٧: ٤٦) ثم قال: **وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوى الوى لِمَا شبقتنى. الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى.** (مرقس١٥: ٣٤)، والله أعلم.

س١٩٩- ينفى القرآن الخُلّة عن الناس يوم القيامة، فيقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ} [البقرة:٢٥٤] ويقول: {قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ} [إبراهيم:٣١] ثم يناقض نفسه فيقول: {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ} [الزخرف:٦٧]

ج١٩٩- ليس هناك أى تناقض كما تزعمون، إن الخُلَّة التى نفاها الله سبحانه وتعالى فى الآيتين الأولَيَين هى الخُلَّة التى تَذْرَأ عن صاحبها العذاب الذى يستحقه يوم القيامة، أى أن الأخلاء الذين يستنصرون ببعضهم فى الدنيا، لا يستطيعون أن يستنصروا ببعضهم فى الآخرة، ولا يستطيعون دفع الضر عن أصدقائهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا بمشية الله جل وعلا. أما الآية الثالثة فهى بمعنى أن الأخلاء الذين كانوا فى الدنيا ستنقلب خُلَّتهم إلى عداوة يوم القيامة، ما لم تكن هذه الخُلَّة منضبطة بتقوى الله عز وجل، فالأخلاء المتحابِّين فى الدنيا، الذين يجتمعون على معصية الله ورسوله ﷺ ويتعاونون على الإثم والعدوان، مثل الذين يقضون السهرات الحمراء، والذين يذهبون لرؤية الأفلام والمسرحيات، ويسهرون على شرب المحرَّمات، ستنقلب خُلَّتهم يوم القيامة إلى عداوة، ويلقون على أنفسهم اللوم بإضلال بعضهم البعض، أما المتقون الذين كانت صداقتهم وخُلَّتهم على طاعة الله ورسوله ﷺ وكانوا يتعاونون على البر والتقوى، ويتواصون بالحق والصبر، فستكون خُلَّتهم نافعة لهم بأمر الله يوم القيامة، وسيزيدهم الله حُبّاً وقُرْباً، قال رسول الله ﷺ: **"قال الله تعالى: حَقَّت محبتى للمتحابين فىَّ، وحَقَّت محبتى للمتواصلين فىَّ، وحقت محبتى للمتناصحين فىَّ، وحقت محبتى للمتزاورين فىَّ، وحقت محبتى للمتباذلين فىَّ، المتحابون فىَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصدِّيقون والشهداء"** [صحيح الجامع:٤٣٢١]، والله أعلم.

س٢٠٠- يقول القرآن: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} [الإسراء:٩٧] فى هذه الآية نفى الرؤية والكلام والسمع عن الكفار، ثم أثبت لهم هذه الأشياء فى الآيات التالية: {وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ} [الكهف:٥٣] {قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} [يس:٥٢] {وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ} [سبأ:٣١] فما كل هذا التخبط؟

ج٢٠٠- الخروج من القبور، غير الحشر، غير الوقوف على النار، فحين يخرجون من القبور يبصرون ويتكلمون ويسمعون، بدليل قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ} [الصافات:١٩] وقوله: {إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا} [الزلزلة:١-٣] وقوله: {وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ} [غافر:٣٢] وهذا قبل أن يُسَاقوا إلى أرض المحشر، ثم يحشرون فى أهوال القيامة عمياً وبكماً وصماً، وهذا أبلغ فى عذابهم، كما لو تخيَّلنا أن حريقاً أو أمراً خطيراً (كالزلزال مثلاً) وقع فى مكان ما، وتَسَارَع الناس للهروب منه، وبينهم إنسان أعمى أصم، فإن هذا الأمر سيكون أشد عليه منهم، لأنه يتخبط فلا يدرى ماذا يفعل، أو إلى أين يتَّجه، وربما جرى فى اتجاه النار، أو فى اتجاه مصدر الخطر، أو إلى هاوية أو.. إلخ. كما أنه لو تكلم لكان أهون عليه - مع كونه أعمى أصَم - كما نجد من يُساق إلى العذاب يستغيث بمن ساقه، كأن يقول له: أين تذهب بى، ارحمنى، أرجوك لا تعذبنى.. إلخ. أما حين يعرضون على جهنم فإنهم يبصرون ويتكلمون ويسمعون، وهذا انتقال من هول إلى هول أشد منه، لأن رؤيتهم للنار عذاب يسبق عذاب دخولهم فيها، كالذين يعذبون الناس فى السجون وغيرها، فإنهم يأتون بالسياط ويضربونها فى الحائط قبل ضربهم بها ليكون أشد تعذيباً لهم، فقبل أن يُعَذَّبوا تعذيباً جسدياً فإنهم يُعذَّبون تعذيباً نفسياً، وبذلك يُجمَع عليهم العذابان. وكذلك فإن سماعهم عند وقوع العذاب زيادة فى تعذيبهم، لأنهم يصطرخون ويستغيثون، ولكن لا مجيب لدعائهم {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝ قَالَ ٱخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون:١٠٦-١٠٨] {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر:٣٧] {وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ} [الزخرف:٧٧] كما أنهم يسمعون تلاعنهم وسبّهم لبعضهم فيزيد فى عذابهم النفسى قبل عذابهم البدنى، كما قال تعالى عنهم: {ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا} [العنكبوت:٢٥] وقال: {هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ ۝ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ} [ص:٥٩-٦٠] وغير ذلك من الآيات التى تحكى تلاعنهم

وسبهم لبعضهم، والله أعلم.

س٢٠١- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ} [القصص:٧٦] ثم يقول: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس:٥٨] فهل الله يحب الفرح أم لا يحبه؟

ج٢٠١- إن الآية الأولى جاءت فى معرض الكلام عن قارون الكافر، الذى زاده ماله طغياناً وكبراً {إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ} [القصص:٧٦] ولذلك قال له قومه: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٧٦-٧٧] فرد عليهم بقوله: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ} فكان جزاؤه أن خسف الله به الأرض {فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ} [القصص:٨١] أما الآية الثانية فقد جاءت بعد قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} فهو ليس فرحاً بمتاع الدنيا الفانى، ولكنه فرح بآيات الله وطاعته ورضاه، وهو شعور بحلاوة الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: **"ثلاث مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، و أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يُلقَى فى النار"** [صحيح البخارى] وقد قالت الملائكة لأهل النار: {ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر:٧٥] أى أن الكفار كانوا يفرحون فى الدنيا بغير الحق، إذن فهناك فرح بحق، وهو ما جاء فى قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}، والله أعلم.

س٢٠٢- يقول القرآن عن عصا موسى: {فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ} [طه:٢٠] ثم يقول: {فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} [الشعراء:٣٢] وهذا دليل على أن نبيكم هو الذى ألف القرآن، فمرة يقول {حَيَّة} ثم ينسى ويقول {ثُعْبَان}!

ج٢٠٢- معلوم أن الحية أخطر وأشد فتكاً من الثعبان، فكان لابد لسيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن يتدرب قبل لقاء فرعون حتى لا يُفاجأ بالثعبان، فلا

يثبت، ويجرى خوفاً منه أمام فرعون، فالله سبحانه وتعالى درَّبه على ما هو أشد من الثعبان، حتى يلقى فرعون ثابتاً غير مضطرب ولا خائف، فمثلاً: هل يخاف مدرب الأسود من القطط؟ أم هل يخاف جندى الصاعقة من الكلاب؟ وهل نأتى برجال ليس عندهم خبرة بالأسلحة ولا بالحرب، ثم ندفع بهم إلى الصفوف الأمامية للقاء العدو؟ إنهم لابد أن يتدربوا على حمل السلاح، وعلى فنون القتال، ويُعَرَّضوا لظروف غاية فى القسوة، حتى إذا لقوا العدو يثبتون ولا يفرُّون. وقد ورد أن الثعبان ذهب تجاه فرعون فاغراً فَاهُ، ففزع منه فرعون فزعاً شديداً، وقفز على سرير مُلكه، وبالَ على نفسه. كما أن كلمة {حَيَّةٌ} بمعنى ضد (ميّتة) إذ جعل الله الحياة تدبّ فى العصا بعد الجماد والموت واليَبَس. كما وإن الناس يطلقون على هذه الدابة أسماء مثل: ثعبان، حَنَش، أفعى، الرقطاء... إلخ، وبهذه المعانى والمترادفات يزول الشك إن شاء الله.

وبمناسبة الحيَّة نذكر بعض ما جاء بشأنها فى الكتاب المقدس:

فقال آدم المرأة التى جعلتَها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلتُ. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت. فقالت المرأة الحيَّة غرَّتنى فأكلتُ. فقال الرب الإله للحيَّة لأنك فعلت هذا ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البريَّة. على بطنك تَسْعَيْن وتراباً تأكلين كل أيامَ حياتكِ. (تكوين٣: ١٢-١٤) يتضح من هذا النَّص أن الله سبحانه وتعالى عاقب الحيَّة (بزعمهم) لأنها أغوَت السيدة حوّاء، بأن جعل التراب طعامها، فهل الحيَّة تأكل التراب؟ وحتى لا تظنوا أن هذا خاصٌّ بالحيَّة التى قالوا إنها أغوت السيدة حوَّاء.. يأتى النَّص التالى فيقول:

أما الحيَّة فالتراب طعامها. (إشعياء٦٥: ٢٥)، والله أعلم.

س٢٠٣- يقول القرآن: {تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ} [طه:٢٢] ثم يقول: {وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ} [الشعراء:٣٣] إن محمداً يتلاعب بالألفاظ، فمرة يقول: {تَخْرُجْ} ومرة يقول: {نَزَعَ} ويقول: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ} [النمل:١٢] ثم يقول: {ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ} [القصص:٣٢] فمرة يقول: {أَدْخِل} ومرة يقول: {ٱسْلُكْ}

ج٢٠٣- الجيب فى اللغة هو الفتحة فى الثوب، مثل ما ورد فى قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور:٣١] فكان سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام -

يضع يده من فتحة ثوبه ويدخلها تحت إبطه ثم يخرجها، فتخرج ناصعة البياض من غير سوء، أى من غير مرض كالبرص أو غيره، وعندما ذهب إلى فرعون وملئه أدخلها ثم أخرجها، فقالوا ربما يكون قد وضع دهاناً تحت إبطه يدهنها به، أو أنه يستخدم الجن ويتمتم له بكلمات حتى يبيِّضها له، فنريد أن تدخلها ثم تخرجها بسرعة، فنزعها لأن النزع أسرع من الخروج. فكلمة {أَدْخِلْ} تناسب كلمة {نَزَعَ يَدَهُ} لأن الاثنتين تعبِّران عن حركة سريعة، وتناسب أيضاً دخول اليد بسرعة عندما يكون مرتدياً ملابس قليلة فى الحر، وأما كلمة {ٱسْلُكْ} فتناسب كلمة {تَخْرُجْ} لأن الاثنتين تدلان على الحركة فى بُطء، ويناسب أيضاً دخول اليد ببطء عندما يكون مرتدياً ملابس كثيرة فى البرد، والله أعلم.

س٢٠٤- يقول القرآن: {إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ} [طه:٣٨-٣٩] ويقول: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ} [القصص:٧] إن هذا تكرار لا فائدة فيه.

ج٢٠٤- إن المتدبر لهاتين الآيتين يدرك أنه ليس فيهما تكرار، فالآية التى فى سورة (القصص) تمهيدية، والتى فى سورة (طه) ختامية، كيف ذلك؟ الآية التى فى سورة (القصص) تذكر بداية الأمر لأم سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن تضعه فى التابوت، ثم تلقى التابوت فى البحر، لأن فرعون كان قد أمر بذبح الذكور من مواليد بنى إسرائيل، بسبب الرؤيا التى رآها، وأوَّلها له أحد جلسائه بأن نهاية ملكه ستكون على يد واحد من بنى إسرائيل، ثم بعد فترة أشارت عليه بطانته أن يذبح مواليد عام ويترك ذلك عاماً، لأنه سيأتى عليهم وقت لا يجدون من يخدمهم، وكان أن وُلِدَ سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى عام العفو عن الذبح، أما سيدنا موسى فقد ولد فى عام الذبح، والله عز وجل لا يحتاج أن يحتال على فرعون، ويجعل ولادة سيدنا موسى فى عام الأمان، فإنه العزيز الذى لا يُغلب.. القهار الذى لا يُقهَر، فقد قدَّر سبحانه - ليس فقط - أن يولد سيدنا موسى فى عام الذبح، بل وأن يُربَّى فى بيت فرعون نفسه {وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١] وعندما وُلِدَ أحبته أمه حباً جَمّاً، وخافت عليه خوفاً شديداً، فوفقها الله عز وجل لفكرة

أن ترضعه، ثم تضعه فى صندوق صغير وتربطه بحبل، وتثبت طرفه بوتد، ثم تلقيه فى البحر إذا شعرت بقرب مجىء جنود فرعون، فإذا انصرفوا وشعرت بالأمان شدت الحبل المربوط فى الصندوق، وأعادت ولدها إليها، ولكنها فى يوم من الأيام نسيت (بقَدَر الله) أن تثبت الحبل فى الوتد، ربما لشدة خوفها من مباغتة الجنود لها، فجرفته المياه إلى أن وصل بالقرب من بيت فرعون... إلى نهاية القصة المعروفة، فهذا المعنى هو الذى ذُكِرَ فى سورة (طه) ولذلك قلنا إنها ختامية. وقد قال العلماء: إن الآية التى فى سورة (القصص) بها أمران ونهيان، وبشارتان، فأما الأمران فهما {أَرْضِعِيهِ} و{فَأَلْقِيهِ} وأما النهيان فهما {لَا تَخَافِي} و{لَا تَحْزَنِيٓ} وأما البشارتان فهما {إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ} و{جَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ}. والله أعلم.

س٢٠٥- يقول القرآن: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ} [الأنبياء:١٠٥] وأنتم تقولون إن الذّكر هو القرآن، بدليل قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩] معنى هذا أن محمداً نسى أن الذكر نزل بعد الزبور.

ج٢٠٥- من قال إن {ٱلذِّكْرَ} خاص بالقرآن؟ إن كل ما أنزل من عند الله ذِكْر، فعلى سبيل المثال {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء:٤٨] {فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء:٧] فمعنى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ} أى من بعد التوراة، وليس من بعد القرآن. وهنا ربما يتساءل أحد ويقول: طالما أنكم تقولون إن كلمة {ٱلذِّكْرَ} ليست خاصة بالقرآن، بل هى لكل ما أنزله الله، فمعنى هذا أن قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} ليست خاصة بالقرآن، ولكنها تعنى جميع الكتب المنزلة من عند الله، وبناءً على ذلك تكون التوراة والإنجيل غير محرفتين كما تزعمون. فنقول وبالله التوفيق: إن الآية الكريمة التى ذكرتموها هى للقرآن خاصة دون غيره من الكتب، وهذا له أكثر من دليل، أولاً: إن الآية ذُكِرَت فى سياق الكلام عن القرآن، فقد وردت بعد ذكر الآيات التى تحكى قول الكفار لسيدنا محمد ﷺ: {وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ} [الحجر:٦-٧] ثانياً: إن الله عز وجل ذكر أن الكتب السابقة تم تحريفها، لأنه لم يتكفل بحفظها،

ولكن وكّلها لأهلها {بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ} [المائدة:٤٤]

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن المسيح – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – قال:

إن كنتُ أشهدُ لنفسى فشهادتى ليست حقاً. (يوحنا٥: ٣١) ثم ناقض نفسه فقال:

أجاب يسوع وقال لهم وإن كنتُ أشهدُ لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين أتيتُ وإلى أين أذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب. (يوحنا٨: ١٤) فكيف يقول إن شهادته لنفسه حق، ثم يقول إنها ليست حقاً؟، والله أعلم.

س٢٠٦- يقول القرآن: {وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج:٤٧] ويقول: {يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة:٥] بينما يقول: {تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج:٤] فما هذه الاختلافات الزمنية؟

ج٢٠٦- الآية التى فى سورة (الحج) تتوافق مع الآية التى فى سورة (السجدة) فى كلمتىْ {مِّمَّا تَعُدُّونَ} أما الآية التى فى سورة (المعارج) فلم يُذكَر فيها كلمة {مِّمَّا تَعُدُّونَ} فربما كان التقدير بشىء آخر يعلمه الله، وخصوصاً أنها تتكلم عن يوم القيامة، بخلاف الآيتين الأخريين، وذلك مفهوم من سياق الآيات قبلها وبعدها، فمن المعلوم أن الزمن يقاس إما بدوران القمر حول الأرض، وهذا هو التقويم الهجرى، وإما بدوران الأرض حول الشمس، وهو التقويم الميلادى، ونحن نعلم أن هناك فرقاً بينهما بمقدار سنة كل ثلاثة وثلاثين سنة، بمعنى أن كل ثلاثة وثلاثين سنة شمسية يقابلها أربعة وثلاثون سنة قمرية، وهذا الاختلاف بينهما بسبب الاختلاف فى حسابهما، والكواكب الأخرى تختلف فى سرعاتها وفى زمن دورانها حول نفسها وحول الشمس، وهذا يترتب عليه اختلاف فى مقدار أيامها، فمثلاً: اليوم على كوكب المشترى بمقدار ٣٠ يوماً من أيامنا، بينما على الأرض ٢٤ ساعة، وعلى القمر ١٨ ساعة، لأنه كلما قلّ حجم الكوكب زادت سرعته، فليس شرطاً أن يكون قياس اليوم الذى ذكر فى سورة (المعارج) هو قياس اليومين الآخرين نفسه، وخاصة أنه – كما قلنا – لم يذكر فيها {مِّمَّا تَعُدُّونَ}

وهناك شىء آخر: وهو أن آية سورة (السجدة) تتحدث عن تدبير أمر الله من السماء إلى الأرض، ثم عروجه إليه، أما آية سورة (المعارج) فتتحدث عن عروج الملائكة والروح،

فهناك إذن فرق بين الآيتين، والله أعلم.

س٢٠٧- يقول القرآن: {فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ} [المؤمنون:١٠١] ويقول: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ} [الصافات:٢٧] إن هذا هو التناقض بعينه.

ج٢٠٧- قال ابن عباس - رضى الله عنهما - إن الآية الأولى خاصة بنفخة الفزع، وهى النفخة الأولى، فهناك ثلاث نفخات: الأولى هى نفخة الفزع التى تأتى على الأحياء فى حينها، ففى هذه النفخة يفزع الناس فزعاً شديداً فلا يتساءلون، ثم تليها النفخة الثانية وهى نفخة الصعق التى يموت فيها كل الأحياء، ثم تليها نفخة القيام من القبور للبعث والنشور، وبعد هذه النفخة يتساءلون، ولكن عن ماذا يتساءلون؟ يتساءلون عن من يشفع لهم عند ربهم، مثل ما جاء فى قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف:٥٣] ويتساءلون لإلقاء اللوم على بعضهم، كالآية المذكورة فى سورة (الصافات) وغيرها. قد يقول قائل: كيف تقولون إن الآية التى فى سورة (المؤمنون) خاصة بنفخة الفزع، فى حين أن الآية التى تليها تقول: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ} وهل سيفع هذا إلا بعد القيام من القبور؟ فنقول وبالله التوفيق: هذا ترتيب لوقوع الأحداث، ولا يشترط أن يكون توالى الأحداث فى الزمن نفسه، والشاهد على ذلك قوله تعالى: {حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ} [الأعراف:٣٧] فهذا واضح أنه عند خروج أرواحهم.. أى عند موتهم، ثم تأتى الآية التى تليها فتقول: {قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا} فهل هذا فى الدنيا عند قبض أرواحهم؟ أم أنه يوم القيامة؟ إنه يوم القيامة، ولكنه ترتيب لوقوع الأحداث، والله أعلم.

س٢٠٨- يقول القرآن لموسى: {وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} [النمل:١٠] أى أنه جرى خوفاً منها، ثم يقول له فى الآية نفسها: {يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ} كيف ينفى الخوف عن المرسلين، فى حين أنه قال عن

موسى إنه خاف؟

ج٢٠٨- الآية التى بعدها توضحها، وهى: {إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ} أى أن الذى ظلم هو الذى يخاف، إلا الذى بدَّل حسناً بعد سوء. وهنا يُطرَح سؤال: وهل موسى ظلم؟ فنقول: نعم إنه ظلم عندما قتل المصرى، رغم أنه لم يقتله عمداً، بل ضربه فقط، ولكن قدَّر الله أن تكون هذه الضربة سبباً لموته، وهو ما نسميه القتل الخطأ {فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} [القصص:١٥] ثم تاب إلى ربه واستغفر {قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ}، والله أعلم.

س٢٠٩- كيف يقول القرآن: {إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:٥٦]ثم يقول: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى:٥٢] فكيف ينفى عن نبيكم الهداية ثم يثبتها له؟

ج٢٠٩- لقد ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم (٢٨٥) أن الهداية نوعان: هداية دلالة، وهداية معونة، فإن الله عز وجل أثبت للرسول ﷺ هداية الدلالة، لأنه دعا الناس إلى الإيمان بالله، وبين لهم الرُّشد من الغَىّ، أما هداية القلوب التى نسميها (هداية المعونة) فلا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض بين كون التوراة كتبها الله جل وعلا على الألواح، وأن سيدنا موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – هو الذى كتبها:

ثم قال الرب لموسى انحتْ لك لوحين من حجر مثل الأوَّلَين. فأكتبُ أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأوَّلَين اللذين كسرتَهما. (خروج٣٤: ١)

في ذلك الوقت قال لى الرب انحتْ لك لوحين من حجر مثل الأوَّلَين واصعد إلىَّ إلى الجبل واصنع لك تابوتاً من خشب. فأكتبُ على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأوَّلَين اللذين كسرتَهما وتضعهما فى التابوت. فصنعتُ تابوتاً من خشب السنط ونحتُّ لوحين من حجر مثل الأوَّلَين وصعدت إلى الجبل واللوحان فى يدى. فكتبَ على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع وأعطانى الرب إياها. (تثنية١٠: ١-٤)

واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين. (خروج٣٢: ١٦)

إن معنى ما جاء فى هذه النصوص أن الله سبحانه وتعالى هو الذى كتب التوراة على الألواح بنفسه، ثم تأتى الفقرة التالية فتقرر أن سيدنا موسى هو الذى كتبها:

وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأننى بحسب هذه الكلمات قطعتُ عهداً معك ومع إسرائيل. (خروج٣٤: ٢٧) فكيف نفهم هذا التناقض؟، والله أعلم.

س٢١٠- يقول القرآن: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ} [العنكبوت:١٢] ثم يناقض نفسه فى الآية التى بعدها ويقول: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ}

ج٢١٠- إن الآية الأولى التى وردت فى السؤال تكذب الكافرين فى دعواهم بأنهم سيحملون أوزار المؤمنين إذا أطاعوهم وكفروا، فهى تكذيب لهم، وتحذير للمؤمنين من أنهم لو أطاعوهم وكفروا فسوف يعذبون، ولن يغنى الكفار عنهم شيئاً من عذاب الله، بل لهم عذابهم كامل، بمعنى أن الكفار لن يعذبوا بدلاً منهم. أما الآية الثانية فهى تثبت أن الكافرين سيتحملون وزر إضلالهم لغيرهم، أى أنهم لن يتحملوه عنهم، بل سيتحملوا مثله من غير أن ينقص من أوزار الذين اتبعوهم شيئا، قال رسول الله ﷺ: **"أيما داع دعا إلى ضلالة فاتُّبِعَ فإن عليه مثل أوزار من اتبعه، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً، وأيما داع دعا إلى هدى فاتُّبِعَ فإن له مثل أجور من اتبعه، ولا ينقص من أجورهم شيئا"** [صحيح الجامع:٢٧١٢]

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن الجيل الثالث والرابع والعاشر يتحملون خطايا أبائهم، وفى مواضع أخرى لا يتحملونها، وإليكم هذه النصوص المتناقضة:

لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مُبغضى. (خروج٢٠: ٥) **لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب.** (تثنية٢٣: ٢)

وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب. أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياة يحيا. النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون.

(حزقيال١٨: ١٩-٢٠)، والله أعلم.

س٢١١- يقول القرآن: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ} [الصافات:٢٤] ثم يقول: {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ} [الرحمن:٣٩] أليس هذا هو التناقض بعينه؟

ج٢١١- هناك سؤال توبيخى وسؤال استعلامى، فأما السؤال الاستعلامى فلا يعرف السائل إجابته، كسؤال التلميذ لمدرِّسه، وهذا مُحال على الله سبحانه وتعالى، أما السؤال التوبيخى فمثل سؤال الأب لابنه إذا رسب فى الامتحان: ألم ألبِّ كل رغباتك؟ ألم أشترِ لك كل ما طلبته من كتب وكراسات وغيره؟ ألم أحضر لك المدرسين؟ ألم أهيئ لك الجو المناسب للمذاكرة؟... إلخ، فهل الأب حين يسأل ابنه يريد إجابة أم أنه يوبخه؟ فالسؤال الذى فى سورة (الصافات) سؤال توبيخى كالذى فى سور كثيرة، مثل: {يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا} [الأنعام:١٣٠] {أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ} [الطور:١٥] وذلك حين يرى الكفار نار جهنم وقد كانوا بها كافرين، ولكن هل قال لهم: لِمَ كفرتم أو لِمَ أشركتم؟ لا- لأنهم لن يُسمَح لهم بالاعتذار. قد يقول قائل: إن القرآن أثبت للكافرين الاعتذار فى أكثر من موضع، مثل: {رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة:١٢] {قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ} [المؤمنون:١٠٦-١٠٧] فنقول له: متى حدث هذا الاعتذار؟ لقد حدث عند وقوع العذاب بهم، وهذا لا ينجيهم، كما قال تعالى: {وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ} [الملك:١٠-١١] أما الاعتذار الذى حُرموا منه فهو الاعتذار الذى يُرجَى قبوله، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - إذا سأل القاضى مجرماً عن شيء فعله.. فإنه يدافع عن نفسه ويُبدى أعذاره فى ارتكاب التهمة الموجَّهة إليه، وربما أحضر من يشهد له ويدافع عنه، ثم ينظر القاضى فى هذه الأعذار الدافعة لتلك الجريمة، وربما خفف عنه الحكم بسبب هذه الأعذار، ولكن هذا فى حق البشر لأنهم لا يعلمون ما خفى عنهم، أما الله عز وجل الذى يعلم ما فى السماوات والأرض، ويعلم السر وأخفى، فلا يحتاج إلى سؤال {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [يونس:٦١]

ولذلك فلن يسمح لهم بالاعتذار {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات:٣٦]، والله أعلم.

س٢١٢- يقول محمد عن أهل النار: {رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ} [غافر:١١] ثم نسى وقال عن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ} [الدخان:٥٦] فهل هى موتة واحدة أم اثنتان؟ وكيف يذوق أهل الجنة وأهل النار الموت، مع أن نبيكم قال إنهم لا يموتون؟

ج٢١٢- الذوْق لا يكون إلا للحيّ، فلو وضعنا - مثلاً - ملعقة عسل فى فم ميت.. هل يذوقها؟ فالموتة التى نعرفها يذوقها المؤمن والكافر مرة واحدة فى الدنيا، أما كونهما موتتين فقد رد القرآن على ذلك بقوله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:٢٨] فهذا باعتبار أن العدم قبل مجيئنا كان موتاً، فإننا كنا مُقدَّرين فى علم الله جل وعلا، ولكن لم يكن أُذِنَ لنا بَعْدُ بالمجىء إلى الدنيا، ولكن هذا الموت ليس فيه ذوْق، فلم يذكر الله عز وجل أننا ذقنا موتتين، ولكن خص الذوق بالموتة الثانية. أمَّا قول الله جل وعلا عن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ} فنقول وبالله التوفيق: إن المؤمن يُبَشَّر عند موته برضا الله سبحانه وتعالى، ويرى مقعده من الجنة، فكأنه قد مات فيها، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت:٣٠] أمَّا الجنة والنار فليس فيهما موت، قال رسول الله ﷺ: **"يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة! فيَشرَئبُّون، ويقال: يا أهل النار! فيشرئبون، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيُضجع ويُذبح، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحاً"** [صحيح الجامع:٧٩٩٨]، والله أعلم.

س٢١٣- إن جميع الآيات التى تعرضت لخلق السموات والأرض ذكرت أنهم خُلقوا فى ستة أيام، ثم نفاجأ أن سورة (فصلت) خالفت القرآن كله فقالت إنهم ثمانية أيام.

ج٢١٣- ليس هناك أى تناقض على الإطلاق، فالثمانية هم الستة.. كيف؟! لنذكر معاً تلك الآيات الكريمات: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ

أندادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢] إن اليومين الأولين من خلق الأرض داخلان فى الأربعة التى تليها، أى أن الأرض خُلقت فى يومين، وجُعلت فيها الرواسى، وبورك فيها فى أربعة أيام شاملة لخلقها فى يومين، فيكون المجموع أربعة، ولنذكر مثلاً ضَرَبَهُ الشيخ الشعراوى رحمه الله - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - لو أنك سافرت إلى الإسكندرية ومررت بطنطا.. فقلت: لقد سافرت إلى طنطا فى ساعتين وإلى الإسكندرية فى أربع ساعات.. هل الساعتان اللتان وصلت فيهما إلى طنطا منفصلتان عن الأربع ساعات التى وصلت فيها إلى الإسكندرية، أم أنهما داخلتان فيها؟

ونود أن نسألكم: كم عدد الأيام التى قضاها المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى قبره حسب زعمكم؟ فها هو كتابكم المقدس يقول:

حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلّم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تُعطَى له آية إلا آية يونان النبى. لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال. (متى١٢: ٣٨-٤٠) إن هذا الكلام لا يلتبس فهمه على أحد، وهو أنه سيبقى فى قبره ثلاثة أيام بلياليها، وقد تكرر هذا كثيراً فى الأناجيل، مثل (مرقس٨: ٣١) (مرقس٩: ٣١) (مرقس١٠: ٣٤) ثم تأتى نصوص أخرى تناقض هذا، فتقول:

ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. أى ما قبل السبت. جاء يوسف الذى من الرّامة مُشيرٌ شريفٌ وكان هو أيضاً منتظراً ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات. ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف. فاشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى صخرة ودحرج حجراً على باب القبر. (مرقس١٥: ٤٢-٤٦) يتضح من هذا النّص أنه دُفِن ليلة السبت، وهو معنى (ولما كان

المساء.. أى ما قبل السبت) ثم اكتشف تلاميذه أن قبره كان خالياً فى الساعات الأولى من يوم الأحد:

وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما. فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلمَّا انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه. (متى٢٨: ١-٦)

مما سبق يتضح - وبحساب بسيط - أنه لم يمكث فى قبره ثلاثة أيام وثلاث ليال كما قال، بل مكث - على أحسن الفروض - يوماً واحداً.. وهو يوم السبت، وليلتين.. وهما ليلة السبت وليلة الأحد، والله أعلم.

س٢١٤- يصف القرآن الجبال تارة بأنها أوتاد، وتارة بأنها رواسى، وتارة أخرى بأن بها الأقوات، على تفسير بعض علمائكم للآية: {وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا} [فصلت:١٠]

ج٢١٤- إن المعانى كلها صحيحة، كيف ذلك؟ قال الشيخ الشعراوى - رحمه الله - ما معناه إن الوتد هو شىء يُدَق فى الأرض ليثبِّت شيئاً كخيمة - مثلاً - بحيث يكون الجزء الأسفل المختفى فى الأرض أكبر من الظاهر، وهذا ما أثبته العلم الحديث أن الجبال لها جذور فى الأرض، طولها أضعاف الجزء الظاهر منها، وهذا معنى الوتد، وقد خلقها الله عز وجل بهذه الصورة لتثبت الأرض كما تُثبَّت الألواح الخشبية مع بعضها بالمسامير، فلولاها لحدثت انزلاقات رهيبة للقشرة الأرضية، ولمادَت الأرض بمن عليها. وهنا سؤال: لماذا تميد الأرض وتضطرب بغير الجبال؟ والجواب أن هذا يدل على دوران الأرض، فلو كانت ثابتة فى مكانها لَمَا اضطربت، ولكن الاضطراب والانزلاقات تنتج عن سيرها بسرعة رهيبة ليل نهار، وهذا ما يحدث فى دورانها حول نفسها وحول الشمس، فسبحان الله العلى العظيم. أما الرواسى فما معناها؟ الراسى يقال عادة على الشىء الراسى على سطح مائع كالماء، فيقال رست السفينة، ويقال على (مَرسَى) أى المكان الذى ترسو فيه السفن.. كمرسى مطروح، فما علاقة هذا بما نقول؟ معلوم أن فى باطن الأرض أسفل

القشرة الأرضية معادن منصهرة فى حالة من السيولة، والجبال - كما ذكرنا - جذورها ممتدة لمئات الكيلومترات، فكأنها ترسو على سائل، وهو المعادن المنصهرة فى باطن الأرض.

والضمير فى قوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا} عائد على الأرض (كما قال علماء السلف رحمهم الله) أو على الجبال (كما قال الشيخ الشعراوى رحمه الله) ولا تناقض فى ذلك.. فالجبال من الأرض. ولكن كيف تكون الأقوات فى الجبال؟ معلوم أن الجبال لها قاعدة وقمة، وقاعدتها أكبر من قمتها، وعلى العكس من ذلك تجد الوديان قاعدتها أصغر من قمتها. ماذا نستفيد من هذا؟ نقول وبالله التوفيق: إن الجبال معرضة لعوامل التعرية من رياح ومطر وغيرها، فتتآكل من قمتها، ويحدث بها تشققات، فأين يذهب ما تآكل منها؟ يذهب إلى الوادى فيوسعه، فما فائدة ذلك؟ فائدته أن الذى ينزل مع المطر من قمم الجبال ومن داخل التشققات يتفتت أثناء نزوله لاحتكاكه بالجبل، فينزل رواسب على هيئة (غِرْيَن) أى طمى، وهو أعلى وأرقى أنواع السماد للتربة الأرضية، فلا يضاهيه أىُّ سِماد، وكلما حدث هذا التفتُّت من الجبال، ونزل إلى الوديان والسهول كلما اتسعت الرقعة الزراعية فى الوادى لتتناسب مع تزايد البشر، فسبحان من {أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: ٥٠] ربما يقول قائل: لو أن الجبال تتآكل بعوامل التعرية لفنيت هذه الجبال، ونقول له إن الجبل كلما تآكل خفَّ وزنه، وقد ذكرنا أن أسفل الجبال صُهَارة سائلة، فهى تدفع الجبل لأعلى فتعوض ما نقص منه، والله أعلم.

س٢١٥- يقول القرآن عن ناقة صالح: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ} [القمر:٢٩] ثم يقول: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} [الشمس:١٤] فمرة يقول إن القاتل واحد، ومرة يقول إنهم جماعة، فمن القاتل؟

ج٢١٥- إن السكوت على الظلم مشاركة فيه، فمثلاً: عندما يقوم بعض الرجال بتقييد رجل ليذبحه أحدهم، أليسوا كلهم مشاركين فى قتله؟ فإن قلت إن القاتل فلان، وأنت تقصد الذى ذبحه لكنت صادقاً، وإن قلت إنهم قتلوه، وأنت تقصد الذى ذبحه والذين أعانوه لكنت صادقاً أيضاً، فالذى عقر ناقة سيدنا صالح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رجل واحد، وعندما ذهب ليعقرها كان معه ثمانية يشجعونه، فلما رأوه خائفاً منها (لأنها كانت ضخمة) قالوا له: اشرب خمراً حتى تتجرأ على قتلها، فشربها {فَتَعَاطَىٰ

فَعَقَرَ} وجميع القرية كانت تعلم أن هؤلاء التسعة نفر ذاهبون لقتلها، فلم يُبَلِّغوا سيدنا صالحاً، بل رضوا بفعلهم، فكان تواطؤهم على ذبحها كأنهم شاركوا الذى ذبحها، وهو (قدار بن سالف) لعنة الله عليه.

ثم إنه من الغريب أن تتعجبوا من الاختلاف الظاهر - فى ظنكم - فى عدد مَن قتل الناقة، ولا تتعجبون من الاختلاف البَيِّن فى أسماء تلاميذ معبودكم؟ فهذا إنجيل (متى) يقول:

ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف. أما أسماء الاثنى عشر رسولاً فهى هذه. الأول سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخوه. يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه. فيلبس وبرثولماوس. توما ومتَّى العشار. يعقوب بن حلفى ولبّاوس الملقَّب تدّاوس. سمعان القانوى ويهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه (متى١٠: ١-٤)

ثم يأتى إنجيل (لوقا) فيقول: **ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلاً. سمعان الذى سماه أيضاً بطرس واندراوس أخاه. يعقوب ويوحنا. فيلبس وبرثولماوس. متَّى وتوما. يعقوب بن حلفى وسمعان الذى يُدعَى الغيور. يهوذا أخا يعقوب ويهوذا الإسخريوطى الذى صار مُسَلِّماً أيضاً** (لوقا٦: ١٣-١٦)

نلاحظ أنه ذكر فى النَّص الأول (لبّاوُس الملقّب تدّاوُس) ولم يذكره فى النَّص الثانى، فى حين أنه ذكر (يهوذا أخا يعقوب) فى النَّص الثانى ولم يذكره فى الأول، فهل أسماء الرسل تُنسَى؟ إن أسماء الصحابة ﷺ وأنسابهم معروفة، وهم حوالى مائة ألف أو يزيدون، فكيف بأسماء اثنى عشر رسولاً؟ وكيف يَعُدُّ (يهوذا الإسخريوطى) منهم، وقد خانه وسلّمه لليهود بزعمكم؟، والله أعلم.

س٢١٦- يذكر القرآن الجنة مرة بصيغة المفرد، مثل: {إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ} [يس:٥٥] ومرة بصيغة المثنى، مثل: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ} [الرحمن:٤٦] ومرة بصيغة الجمع، مثل: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ} [القمر:٥٤] فهل هى جنة أم جنتان أم أكثر؟

ج٢١٦- الجنة حين تأتى بصيغة المفرد فهى تعبِّر عن مجموع الجنات، فمثلاً: لو أن

هناك بلداً أو قرية سياحية غنية بالأنهار والحدائق والبساتين (جنات) وأراد أحد أن يصفها فماذا يقول؟ لو قال إنها جنة لكان صادقاً، لأنه يصف القرية كلها وصفاً مجملاً، ولو قال إنها جنات لكان صادقاً أيضاً، لأنها تحتوى على بساتين مختلفة عن بعضها البعض، ولو أراد وصف حال ناس معيَّنين عن يمينهم بستان، وعن شمالهم بستان، فقال إنهم يسكنون فى جنتين، لكان صادقاً أيضاً، فكذلك المؤمن الذى يدخل الجنة، عندما ينظر عن يمينه يجد جنة، وعن شماله يجد جنة، وإذا تجول فى الجنة وجد جنات، فهى جنة وجنتان وجنات، كما أن المؤمن يرث مقعد الكافر فى الجنة، فيكون له بذلك جنتان. وهناك قضية مشابهة وردت فى القرآن الكريم على لسان فرعون، وهى قوله: {وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ} [الزخرف:٥١] مُشيراً إلى فروع وترع وقنوات من نهر النيل، وسماها أنهاراً مع أنها تتفرع من نهر واحد، والله أعلم.

س٢١٧- يقول القرآن: {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة:٢٢] ثم يقول: {وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان:١٥] فى الآية الأولى ينهى عن مودَّة الكفار ولو كانوا الآباء، وفى الثانية يأمر بمصاحبة الوالدين المشركين بالمعروف، أليس هذا تناقضاً؟

ج٢١٧- المودَّة غير المعروف، المودة معناها الحب، والمعروف هو ما تعارف عليه الناس أنه خير، بشرط ألا يصطدم مع الشرع، والمسلم مأمور بالإحسان لوالديه، ولو كانا غير مسلمَيْن، كما أذِنَ الرسول ﷺ للسيدة أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - أن تَبَرَّ والدها مع أنها مشركة. ولتَعلَم الفرق بين البر والحب تخيل أن لك جيراناً أشراراً.. فإنك تحسن إليهم ابتغاء مرضاة الله جل وعلا، ولكن هل إحسانك إليهم يعنى أنك تحبهم؟ ولو أن لك زوجة غير محبوبة وأنت تحسن إليها، أيكون إحسانك حباً لها أم طاعة لربها؟ فالمسلم مأمور بمصاحبة والديه إن كانا مشركين بالمعروف مع عدم حبهما، فهو يبرُّهما، ويصِلهما، ويطيعهما، ولكن ليس فيما يغضب الله سبحانه وتعالى. قال العلماء إن الآية التى فى سورة (لقمان) نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه وقد كان باراً بأمه، وحين أسلم أمرته أن يكفر.. وإلا- فستمتنع عن الطعام والشراب، وتقعد فى حر مكة إلى أن تموت،

ويعيِّره الناس بها، ويقولوا له: يا قاتل أمه. وفعلاً امتنعت عن الطعام والشراب، حتى إنهم كانوا يفتحون فمها بالعصا، وكادت تهلك، فقال لها: لو كان لك مائة نفس خرجت نفساً نفساً ما تركت دين محمد.. فَكُلِى أو دَعِى، فأكلت.. وأنزل الله عز وجل هذه الآية تأييداً لموقفه من عدم طاعته لها فى الشرك بالله، ولكنها أمرته بالإحسان إليها. أما الآية التى فى سورة (المجادلة) فقد قال العلماء إنها نزلت فى أبى بكر، وأبى عبيدة بن الجراح، ومصعب بن عمير، وغيرهم من الصحابة ﷺ أجمعين، ففى موقعة بدر كان عبد الرحمن بن أبى بكر لم يسلم بعد، وكان من فريق الكفار، ورأى أباه فى المعركة ولكنه لم يقتله، وبعد أن أسلم والتقى بأبيه قال له: لقد رأيتك يوم بدر ولكنى لم أقتلك، فرد عليه أبو بكر وقال له: لو أنى رأيتك لقتلتك، وفى المعركة نفسها قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، ووجد مصعب بن عمير أخاه قد أسَرَه واحد من المسلمين، فلما رآه أخوه استغاث به أن يتوسط له لدى المسلم ليفك أسره، فكانت النتيجة غير متوقعة.. وذلك أن مصعباً قال للمسلم: اشدد وثاقه فإن أمه غنية تفديه بمال كثير، فقال له أخوه: أهذه وصيتك بأخيك؟ فرد عليه بقوله: هو أخى دونك، أى أن المسلم أخو مصعب، وليس هو، لأنه مشرك. فالخلاصة أن المسلم يبر أبويه ويحسن إليهما، ولو كانا مشركَيْن، أما إذا وصل الأمر إلى حرب الإسلام والمسلمين ففى هذه الحالة يحاربهم تماماً كحربه لأعداء الله.

وقد جاء فى الكتاب المقدس النهى عن الشىء والأمر به فى آن واحد، إذ يقول: **لا تجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدلَه أنت. جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيماً فى عينى نفسه.** (أمثال٢٦: ٤-٥) ونحن نسألكم: هل تجاوبون الجاهل أم لا تجاوبونه؟، والله أعلم.

س٢١٨- يقول القرآن: {إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ} [المنافقون:١] فى هذه الآية ناقض القرآن نفسه بأن شهد لنبيكم بالرسالة، ثم كذَّب من شهد بها.

ج٢١٨- ما هو المنافق؟ المنافق فى اللغة حيوان صغير ضعيف اسمه اليربوع - فى جزيرة العرب - أكبر من الفأر وأصغر من الأرنب، تأكله الثعالب والقطط البرية وغيرها، وسُمِّىَ منافقاً لأن لديه مهارة فائقة فى حفر الأنفاق المتعددة المداخل والمخارج، فعندما يشعر

بالخطر يدخل النفق، ويخرج من مكان آخر بعيد عن الخطر، فلا أحد يعرف مدخله من مخرجه، أما المنافق شرعاً فهو مَن أبطن الكفر وأظهر الإسلام، فقلبه غير لسانه، لا يُعرَف مدخله من مخرجه، ولا أوله من آخره. فعندما جاء المنافقون لرسول الله ﷺ وقالوا له: {إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ} فهم كاذبون فى قولهم، لأنه مخالف لما فى قلوبهم (مع أنه رسول الله حقاً، والله عز وجل يشهد له بذلك) كمثل رجل قال لك: أنا أحبك، فى حين أنه يكرهك، ولكنه قالها نفاقاً، فالصدق لابد أن يكون له واقع يؤيده، والمنافقون واقعهم غير أقوالهم، فهم كافرون بالرسول ﷺ معادون له ولدعوته، يكيدون له ولأصحابه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

والناس أربعة أصناف: فالمؤمن منسجم مع نفسه، فقلبه موحِّد مثل لسانه، ومتجانس مع الكون، لأن الكون كله يوحِّد الله جل وعلا، والمنافق متنازع مع نفسه، قلبه غير لسانه، ومتنازع مع الكون، والكافر متجانس مع نفسه، لأنه مُقر بالكفر لا ينكره بلسانه، ومتنازع مع الكون، والنوع الأخير هو الْمُكرَه الذى يُعذَّب ليكفر، فهو يبطن الإيمان ويظهر الكفر من شدة التعذيب، كما حدث فى قصة عمار بن ياسر رضى الله عنهما، والله أعلم.

س٢١٩- كيف يقول القرآن: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ} [الطلاق:١] ثم يقول: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ} [الطلاق:٦]؟ فمرة يأمر بعدم إخراجهن من البيوت، ومرة يأمر بتوفير السكن لهن، وكل هذا بعد الطلاق!

ج٢١٩- الآية الأولى خاصة بالمطلقة طلاقاً رجعياً، أى بعد الطلقة الأولى أو الثانية لا يخرجها زوجها من بيتها، ولا تخرج هى بنفسها حتى تنقضى عدتها، أما الآية الثانية فهى خاصة بالمطلقة ثلاث طلقات، ففى هذه الحالة تكون قد بانت من زوجها بينونة كبرى، فلا يحل لها أن تمكث معه فى المنزل نفسه، ولكنه مكلف أن يسكنها فى مكان يتناسب مع مستوى سكنه، وينفق عليها حتى تنقضى عدتها. وهذا وذاك من الإحسان إلى المرأة فى الإسلام، والله أعلم.

س٢٢٠- يقول القرآن: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ} [الملك:٥] و{إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ

مَّارِدٍ} [الصافات:٦-٧] ثم يقول: {وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا} [النجم:٨-٩] الآيتان الأولى والثانية معناهما أن السماء كانت محفوظة، وأن الشياطين كانت تُرجَم قبل بعثة محمد، ثم ناقض نفسه وقال فى سورة (الجن) إن رجمهم كان لأجل بعثته؟

ج٢٢٠- بفهم بسيط لآية سورة (الجن) يُعرف معناها، ولكنه الطمس على القلوب والعياذ بالله. فماذا قالت الآية؟ هل قالت (فوجدنا بها حرساً شديداً وشهباً)؟ أم قالت: {فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ}؟ إن ملء الشيء لا يعنى كونه فارغاً، فمثلاً: لو أحضرت لك زوجتك كوباً من العصير، فقلت لها: أريده مملوءاً، فهل هذا يعنى أنه كان فارغاً؟ أم أنه كان به بعض العصير، ولكنك تريده مملوءاً؟ ومثال آخر: لو أنا تعودنا على وجود حرس بمنطقة معينة لأهميتها، ولكنا فوجئنا فى يوم من الأيام أن عدد الحرس قد زاد زيادة رهيبة، مع وجود أسلحة ومعدات لم تكن من قبل، فقلنا إن المكان مُلِئَ بالحرس، أليس هذا يعنى أنهم كانوا موجودين، ولكن بعدد أقل؟، والله أعلم.

س٢٢١- يقول القرآن: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ} [الملك:٥] فكَوْن النجوم زينة يقتضى بقاءها، وكونها رجوماً للشياطين يقتضى زوالها، فكيف نجمع بين المعنيين؟

ج٢٢١- لو قلتَ إنك ضربت أحداً بالمسدس.. أتكون ضربته بالمسدس نفسه، أم بالرصاص الخارج منه؟ أوكما يقال: لقد ضربنا العدو بالمدفعية الثقيلة، أنكون قد ضربناهم بالمدافع نفسها؟ أم بالدانات الخارجة منها؟ فكلمة {رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ} معناها أنها مصدر الرجم بألسنة اللهب، والشهب، والنيازك الخارجة منها، وليس بذاتها، وكأنها قاذفة صواريخ، فإن خروج ألسنة اللهب من النجوم لا يفنيها، والشمس مثال لذلك، فهى ترمى بألسنة اللهب منذ ملايين السنين، وما زالت كما هى لم تتغير، ولم تتبدل، بقدرة العلى القدير سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س٢٢٢- ذكرت آيات كثيرة أن النار خلقت للكفار، وآيات أخرى توعدت عصاة الموحدين بالنار، فكيف تكون خلقت للكفار ثم يدخلها الموحدون؟ وما فائدة التوحيد إذن؟ وما دليلكم على أنهم سيخرجون منها ولا يخلدون فيها؟

ج٢٢٢- إن أصحاب الكبائر من المسلمين أمرهم موكول إلى الله عز وجل، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم، وليس معنى أن النار {أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} أنه لا يدخلها غيرهم، وإلا لتمادى عُصاة الموحدين فى عصيانهم - كشاربى الخمر والمرابين والزناة وغيرهم - توكلاً على توحيدهم، إن هذا لا يقوله عاقل، قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء:١٢٣] فالنار فى الأصل {أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} [البقرة:٢٤] وهم أهلها المخلدون فيها، أما عصاة الموحدين - إن لم يغفر الله لهم - فسيدخلونها على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها، فهى للكافرين دار مؤبَّدة، ولبعض الموحدين دار مؤقّتة، وهذه هى فائدة التوحيد، والدليل على ذلك قوله جل وعلا: {رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ} [الحجر:٢] قال العلماء فى تفسيرها: إن أهل النار عندما يجدون أهل التوحيد يعذبون معهم فى النار يقولون لهم: هاأنتم تعذبون معنا وما نفعتكم (لا إله إلا الله) التى كنتم تقولونها، فعندها يغضب الله سبحانه وتعالى ويأمر بإخراجهم من النار. والدليل على ذلك من السنَّة المطهرة قول رسول الله ﷺ: **"يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة"** [صحيح مسلم] والأدلة على دخول عصاة المسلمين النارَ كثيرة، منها ما سبق، ومنها مثلاً: عقوبة آكلى الربا {فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة:٢٧٥] و{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران:١٣٠-١٣١] وعقوبة قذف المحصنات {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور:٢٣] وعقوبة آكل مال اليتيم ظلماً {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء:١٠] وغير ذلك من الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: {وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران:١٣١] هذه الآية جمعت بين الأمرين، ففيها دليل على أن النار خُلقت للكافرين، وفيها أيضاً تحذير للمؤمنين، وكأن الله عز وجل

يقول لهم: إن النار لم أخلقها لكم، ولكنى خلقتها للكافرين، فلا تعصونى، فأجعلكم معهم، والله أعلم.

س٢٢٣- يقول القرآن: {رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ} [المزمل:٩] ويقول: {رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن:١٧] ويقول: {فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ} [المعارج:٤٠] ما هذا الاختلاف؟

ج٢٢٣- قال العلماء: عندما يقول الله عز وجل: {رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ} فهو مشرق الشمس ومغربها على الإطلاق بغير تحديد (أى الجِهَة التى تشرق من ناحيتها، والجِهَة التى تغرب عندها) وعندما يقول: {رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ} لأن الشمس لها مشرق فى الصيف غير الشتاء، ولها مغرب فى الصيف غير الشتاء، وعندما يقول: {فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ} لأن الشمس لها كل يوم مشرق يختلف عن بقية الأيام، ولها كل يوم مغرب يختلف عن بقية الأيام، حتى إن بعض ملوك العصور القديمة مثل رمسيس (فرعون) والملكة (بلقيس) كان لهم قصور لها نوافذ بعدد أيام السنة، بحيث يدخل أول ضوء للشمس فى كل يوم من نافذة مختلفة عن بقية النوافذ، وهكذا كانت نوافذ الجامع الأموى الكبير فى دمشق بعدد أيام العام، وفى أبو سمبل (جنوب أسوان) تتعامد أشعة الشمس عند الشروق على وجه تمثال رمسيس الثانى، وتنفُذ خلال المعبَد الفرعونى مرة واحدة يوم ٢٢فبراير، ومرة أخرى يوم ٢٢أكتوبر دون سائر أيام العام، وذلك لتغيُّر زاوية الشروق. وقول هؤلاء العلماء صحيح، ولكن - بالإضافة إلى ذلك - أثبت العلم الحديث أن الأرض تدور حول محورها أمام الشمس مرة كل يوم، فيكون لها مشرق واحد ومغرب واحد (وإن كان لها مشارق ومغارب متعددة فى كل منطقة على خطوط الطول، ولكنها من اتجاه واحد) وهناك كواكب أخرى فى مَجَرّات أخرى تدور حول نجمين، فيكون لها مشرقان ومغربان، وكواكب تدور حول ثلاثة نجوم، فيكون لها ثلاثة مشارق وثلاثة مغارب، والله أعلم.

س٢٢٤- يقول القرآن: {إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ} [القدر:١] أى أنه نزل كله مرة واحدة فى ليلة القدر، ثم يناقض نفسه فيقول: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان:٣٢] أى أنه لم ينزل جملة

واحدة، ولكن نزل منجَّماً حسب الأحداث.

ج٢٢٤- قال ابن عباس رضى الله عنهما: إن القرآن نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجَّما على رسول الله ﷺ حسب الأحداث. وقيل أيضاً: إن أول نزوله على الرسول ﷺ فى غار حراء كان فى ليلة القدر، وهذا معنى قوله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ} وأىّ آية من القرآن تسمى قرآناً، كما أن جميع القرآن يسمى قرآناً، فليس هناك تناقض على الإطلاق، والله أعلم.

س٢٢٥- يقول القرآن: {وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ} [النجم:٥٣] بصيغة المفرد، ويقول: {وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ} [الحاقة:٩] بصيغة الجمع، فأين الصواب فى العبارتين؟

ج٢٢٥- مكان (المؤتفكة) هو منطقة تسمى (سَدُوم) وقد سماهم الله بهذا الاسم لفعلهم الشنيع.. وهو فاحشة إتيان الذكور، وقد أُفرِدَ الاسم فى سورة (النجم) للدلالة على البلد كله، أما فى سورة (الحاقة) فجُمِعَت لتعدد المناطق داخل هذا البلد، لأنها كانت تحتوى على خمس قرى، وذلك كما تذكر قطراً معيَّناً بصيغة المفرد، وإذا ذكرت محافظاته تذكرها بصيغة الجمع، والله أعلم.

س٢٢٦- كيف يسمح القرآن بحرية العقيدة {فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ} [الكهف:٢٩] ثم يتوعد الكافرين بالعذاب الأليم؟

ج٢٢٦- الله سبحانه وتعالى بيَّن لعبادة طريق الهداية، وطرق الغواية، وترك لهم حرية الاختيار، ووعد من سلك طريق الهداية بالنعيم المقيم، وتوعَّد من سلك طرق الغواية بالعذاب الأليم، فهذه الآية الكريمة لا تترك للناس الحبل على الغارب ليفعلوا ما يشاءون، ولكنه أسلوب تهديدى، كالذى يقول لابنه: انت حر، فافعل ما بدا لك - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - فهل الأب يعطى لابنه الحرية المطلقة فى أن يخرِّب ما شاء، ويفسد ما شاء، بغير عقاب؟ وهل يساوى بينه وبين من أطاعه من أولاده؟ إذن لكان هذا الأب ظالماً، ولكانت فوضى، ولَمَا تأدب ولده، ولَعَاث فى الأرض فساداً. فلو ترك الله للناس الحرية فى فعل ما يشاءون، دوع رادع يردعهم، ولا ثواب أو عقاب ينتظرهم، لكانت فوضى، ولاضطربت

موازين الحياة، الصالح كالطالح، والمصلح كالمفسد، والبارّ كالفاجر... إلخ. والدليل على أن الآية تهديدية أنها خُتِمَت بقوله تعالى: {إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا} لتبين جزاء الكافرين، ثم تلاها بيان جزاء المؤمنين {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}، والله أعلم.

س٢٢٧- يقول القرآن: {ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ} [النور:٢٦] والواقع يكذّب ذلك، فالرجل الطيب يتزوج من الخبيثة، والمرأة الطيبة تتزوج من الخبيث، فهذه الآية تتناقض مع قصص القرآن نفسه، فعندكم فى القرآن أن امرأة نوح وامرأة لوط كانتا كافرتين، وامرأة فرعون كانت مؤمنة، والآية أيضاً بها تكرار لا فائدة فيه، ألا كان يكفى أن يقال (الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين)؟

ج٢٢٧- إن الآية معناها أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الرجال، والخبيثين من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبين من الرجال للطيبات من القول (كما قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) وبديهى أن ما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء أيضاً. والآية جاءت تعقيباً على حادثة الإفك، أى أن من اتهم السيدة عائشة - رضى الله عنها - بالقول الخبيث، فذلك لأنه هو الخبيث، أما هى فلا يليق بها إلا الأفعال والأقوال الطيبة. أما ما يظنه السائل أنه تكرار لا فائدة فيه فهو ليس بتكرار، بل هو تأكيد وحصر، أى أن الخبيثات من الأقوال لا تخرج إلا من الخبيثين من الناس، فلا يمكن أن يتكلم بها الطيبون، والخبيثون من الناس لا يتكلمون إلا بالخبيثات من الأقوال، فهى مقصورة عليهم، وهم مقصورون عليها، وكذلك فإن الطيبات من الأقوال لا تخرج إلا من الطيبين من الناس، وهم لا يُخرجون إلا الأقوال الطيبة، فهى أيضا مقصورة عليهم، وهم مقصورون عليها، والله أعلم.

س٢٢٨- يقول القرآن: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ

خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ} [البينة:٦] فى هذه الآية جعلتم أهل الكتاب أسوأ من المشركين، لأنكم ذكرتموهم قبلهم، فى حين أنكم تُقرُّون بأن أهل الكتاب أفضل من المشركين بصريح القرآن الذى قال: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [النساء:١١٦] فما هذا التخبط؟ ثم إننا لسنا بأسوأ حال منهم.

ج٢٢٨- إن أهل الكتاب لم يكن لهم عذر فى كفرهم بالرسول ﷺ فقد كان عندهم وَصْفُه فى كتبهم، وهم الذين كانوا يهددون المشركين به، ويقولون لهم: لقد أَطَلَّ زمن ظهور نبى نجد وَصْفه فى كتبنا، وسنتبعه ونقاتلكم معه، وننتصر عليكم، وهذا ما ذكره الله عز وجل فى قوله: {وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ} [البقرة:٨٩] لدرجة أن المشركين فى المدينة كانوا يترقبون مجيئه، وحين عرض نفسه عليهم فى موسم الحج سارعوا إلى الإيمان به، وقالوا: إن هذا هو النبى الذى تحدثنا عنه يهود، فلا يسبقونا إلى الإيمان به، قال الله عز وجل: {ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ} [الأنعام:٢٠] فالآية الكريمة توضح أن أهل الكتاب - سواء من اليهود أو النصارى - كانوا يعرفون النبى كمعرفتهم أبناءهم، بل إن منهم من قال: إنى أعرف محمداً أكثر من معرفتى لابنى، فإنى لا أدرى ماذا فعلت أمّه، أبَعْد هذا يكون لهم عذر فى الكفر به وعدم تصديقه؟ ولذلك جاء ذكرهم فى الآية قبل المشركين، لأنهم أوْلى باتباعه منهم، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} - لو أن أباك حذرك من الاقتراب من جهاز معين، لأن فى اقترابك منه مفسدة لهذا الجهاز، ثم لعب فيه أخوك الذى لم يسمع التحذير، وأنت تراه ولم تذكر له خطورة فعله، فحين يعلم الوالد.. أتكون عقوبتك مثل أخيك؟ لا شك أنها ستكون أشد، لأنك تعلم ولا يعلم {قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ} [الزمر:٩]، والله أعلم.

س٢٢٩- يقول القرآن: {وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ} [الأنبياء:٤٧] ويقول: {وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [الأعراف:٨] ويقول: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا} [الكهف:١٠٥] كل هذه الآيات متعارضة مع بعضها، فمرة تقول إنها (موازين) ومرة (وزن) ومرة لا ميزان أصلاً.

ج٢٢٩- ليس هناك أى تعارض بين الآيات، ولو أن السائل أكمل الآية الأولى لَعَلِمَ الإجابة {وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا} إن أعمال الخير متفاوتة فى ثقلها، فهى تختلف فى تفاضلها حسب درجتها عند الله، فالصلاة غير الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو صلة الرحم.. إلخ، وحسب نية فاعلها وإخلاصه لله، واتباعه للسنَّة فى فعلها، وغير ذلك. وكذلك أعمال الشر فهى متفاوتة أيضاً، فالقتل غير السرقة، أو شرب الخمر، أو النظر المحرم.. إلخ. والله سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:٤٠] فقوله تبارك وتعالى: {وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ} يعنى الوزن العمومى للحسنات والسيئات فى مُجملها، أمَّا {ٱلْمَوَٰزِينُ} فهى مثاقيل الأعمال حسب تفاوتها ثقلاً وخفَّة. ونحن فى واقعنا نطلق اسم المفرد على الشيء الذى يحتوى على أشياء متجانسة، فمثلاً نقول عن الراجع من السفر: إنه دخل الجمرك (بلفظ المفرد) فى حين أن البضائع تختلف عن بعضها البعض بالنسبة لما يُفرَض عليها من هذا الجمرك، فالسيارة غير الغسالة أو الثلاجة.. إلخ، فكذلك كلمة (الوزن) تطلق ويراد بها مجموع الموازين. أما الآية الكريمة: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا} فهى - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - كما نقول عن الرجل التافه إنه (لا وزن له) أى أنه لا قيمة له، فى حين أننا نقول عن رجل آخر (إنه ثقيل) أو (إنه جبل) وذلك لما نراه من حلمه وسَعَة عقله، فقوله تعالى: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا} معناه: فلا نقيم لهم وزناً نافعاً، أى أنه لا قيمة لهم ولا لأعمالهم. قال رسول الله ﷺ: **"إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا}"** [متفق عليه] أمَّا المؤمن فهو ثقيل فى الميزان عند الله يوم القيامة، كما قال الرسول ﷺ عن عبد الله بن مسعود ؓ حين تعجب الصحابة ؓ من دقَّة ساقَيْه: **"أتعجبون من سَاقَىْ ابن مسعود؟ إن ساقى ابن مسعود أثقل من جبل أُحُد فى الميزان يوم القيامة"** (أو كما قال ﷺ) لأن الذى يُوزَن هو إيمان العبد الذى وَقَرَ فى قلبه، وليس العظم واللحم والشحم، والله أعلم.

س٢٣٠- يقول القرآن: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ} [فصلت:١٦] ثم يقول: {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ} [القمر:١٩] فأيهما نصدق؟

وهل هو يوم أم أيام؟

ج٢٣٠- الآية الأولى تتحدث عن عدد الأيام التى سخر الله عليهم الريح فيها، أما الآية الثانية فتتحدث عن يوم نزع الناس {تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ} [القمر:٢٠] فنزع الناس وجعلهم كأعجاز نخل منقعر كان فى يوم، أما الريح الشديدة فكانت سبعة أيام. فمثلاً: لو حدثت حرب بين طائفتين، واستمرت لعدة أيام، ثم انتصر أحد الفريقين، فقلنا: انتصر الجيش الفلانى فى يوم كذا، فهل معنى هذا أن الحرب كانت لمدة يوم واحد، أم أنها استمرت لعدة أيام، وكان النصر فى آخر يوم فيها؟ وهناك معنى آخر: وهو أن قوله تعالى: {فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ} يعنى أنه ليس يوماً واحداً، ولكنه {مُّسۡتَمِرّٖ} لسبعة أيام، والله أعلم.

س٢٣١- يقول القرآن عن الكفار: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:١٧٤] يقر القرآن فى هذه الآية بأن الله لا يكلم الكفار، ثم يناقض نفسه فيقول: {وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ} [القصص:٦٢]

ج٢٣١- النداء يكون من مكان بعيد، وقد وصف الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم التناد {وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ} [غافر:٣٢] كما ورد فى سورة (الأعراف) من نداء أهل الجنة على أهل النار والعكس، أما الكلام فيكون من مكان قريب، فالله سبحانه وتعالى لا يكلم الكفار، ولكن يناديهم، لأن كلامه رحمة. أما النداء الذى ورد فى هذه الآيات - وغيرها - فهو للتوبيخ، ومن وراء حجاب، كما قال تعالى: {كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ} [المطففين:١٥] وليس شرطاً أن نداء الله لهم يسمعونه منه مباشرة، فربما كان عن طريق الملائكة، كما يخاطبنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ} أو {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ} أو يخاطب أهل الكتاب بقوله: {يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ} والكافرين بقوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ} فهذا الخطاب لم يصل إلى الناس من الله مباشرة، ولكن عن طريق الوحى، ثم عن طريق الرسول ﷺ {ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ} [الحج:٧٥] فهو سبحانه الذى قال: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ} [الشورى:٥١] فإن سماع كلام الله

سبحانه وتعالى متعة، وهو للمؤمنين خاصة يوم القيامة، فكيف يستمتع به الكفرة؟

ثم إنه قد جاء فى الكتاب المقدس تناقض بين صفات الله جل وعلا، فمرة يقول إنه يشبه الإنسان، ومرة يقول إن ليس له شبيه: **وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم.** (تكوين١: ٢٦-٢٧)

لكى تعرف أن ليس مثلى فى كل الأرض. (خروج٩: ١٤) **ليس مثل الله** (تثنية٣٣: ٢٦) **لذلك قد عظمت أيها الرب الإله لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك** (صموئيل الثانى٧: ٢٢) **لا مثل لك يا رب** (إرمياء١٠: ٦) **فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به.** (إشعياء٤٠: ١٨) **فبمن تشبهوننى فأساويه يقول القدوس.** (إشعياء٤٠: ٢٥)، والله أعلم.

س٢٣٢- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ} [المائدة:١١٦] وفى آيات أخرى كثيرة يقول: {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} فكيف يكون الله {بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ثم يسأل عيسى عن قضية من أخطر القضايا؟ أليس المفروض أنه يعلمها؟

ج٢٣٢- نعم {إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ولكنه سؤال لتبكيت النصارى، وإقامة الحجة عليهم من نبيهم الذى أرسل إليهم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلا يكون لهم حجة فى عبادتهم إياه بعدما تبرَّأ منها. فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن أحداً بلَّغك أن صديقك قد تكلم عليك بسوء، وأنت متيقن أن هذا الإنسان كاذب، لعلمك بخلق صديقك، فماذا تفعل لتظهر كذب هذا النمام؟ إنك تسأل صديقك أمامه، وتقول له: هل قلت علىَّ كذا وكذا؟ فهل أنت شاك فى صديقك؟ إنك على يقين من استحالة هذا الأمر، ولكنك تصرفت هذا التصرف لتخزى هذا الكاذب النمام. فالسؤال الذى ورد فى الآية الكريمة ليس للاستعلام، ولكنه للتوبيخ كما قلنا، وبقية الآية تثبت علم الله سبحانه وتعالى بأن سيدنا عيسى لم يأمرهم بعبادته، ولا عبادة أمه، فبعدما سأله الله هذا السؤال، رد عليه سيدنا عيسى بقوله: {قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ}، والله أعلم.

س٢٣٣- إن القرآن يتناقض مع نفسه فى آية واحدة، فيقول: {يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [نوح:٤] فكيف يقول لهم نوح: {وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} ثم يقول لهم: {إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ}؟

ج٢٣٣- إن سائل هذا السؤال ليس عنده ملكة اللغة العربية، ولكنه حكم على الآية حكماً سطحياً، وهناك فرق بين من يجيد التحدث باللغة وهو ليس من أهلها، وبين من هو من أهلها الذى يتكلمها بالسليقة بغير تكلف، ونحن حين نسمع أجنبياً يتكلم باللغة العربية ندرك أنه ليس عربياً مهما كان إتقانه، وكذلك لو تكلم العربى بلغة أجنبية فإنه لا يجيدها كأهلها، فهل الذى ينقض كلامه ينقضه فى نفس اللحظة وبهذه السرعة؟ إن الإنسان السريع النسيان لا يمكن أن ينقض كلامه بهذه السرعة، ولكنه يقول كلاماً ثم بعد فترة ينسى فيقول غيره. فهل يُعقل مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - أن يقول قائل: أنا سوف أقوم بتأجيل سفرى.. أنا سفرى لا يمكن تأجيله؟ أو يقول: أنا أجيد القراءة.. لا يمكن أن أجيدها؟ فإذا كان هذا لا يُعقل صدوره من إنسان.. فكيف بالله سبحانه وتعالى؟ إن ما جاء فى الآية الكريمة فيه قولان للعلماء: القول الأول إنهم إذا آمنوا فسوف يؤخر الله موعد موتهم ببركة إيمانهم، فلو كان مقدَّراً لهم - مثلاً - أن يعيشوا تسعمائة سنة، فسيجعلها الله ألفاً إذا آمنوا. ومعلوم أن الأعمال الصالحة سبب للبركة فى العمر، قال رسول الله ﷺ: **"من سرَّه أن يعظم الله رزقه، وأن يمد فى أجله، فليصل رحمه"** [صحيح الجامع:٦٢٩١] أمّا لو لم يؤمنوا فإن أجلهم لن يتأخر. والقول الثانى أنهم خافوا من قومهم أن يقتلوهم لو آمنوا بسيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فطمأنهم أن آجالهم ستؤخر لحين مجيئها، أى أن قومهم لن يعجّلوا أجلهم قبل موعده، والله أعلم.

س٢٣٤- إن موقف القرآن من أهل الكتاب متخبط، فنجده يقول: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [المجادلة:٨] مع أنه يقول: {لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ} [آل عمران:٢٨] ويقول: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ

مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]

ج٢٣٤- ليس هناك أى تخبط كما يَدَّعى السائل، فإن الولاية غير البِرّ، البر يعنى حسن المعاملة، وعدم الجوْر أو الظلم، فلم ينهنا الله سبحانه وتعالى أن نبر أهل الكتاب (غير المحاربين) ونقسط إليهم، فلا نؤذيهم، ولا نهينهم، ولا نظلمهم، بل ونهاديهم، ونتقبل هديتهم، ونواسيهم فى مصائبهم، ونهنئهم فى أفراحهم التى لا ترتبط بعقيدتهم، ولكن لا نحبهم. أما ولايتهم فقد نهانا الله عنها، وهى حبهم، والتقرب إليهم، والتداخل فيهم وكأنهم أهلينا، يعرفون أسرارنا، ومُدخلنا ومخرجنا، وكأنهم إخواننا، فهذه الولاية لا تكون إلا للمؤمنين. وأشد ما فى هذه الولاية التى نُهينا عنها، هى موالاتهم ومناصرتهم ضد المسلمين، كمن يقاتل فى صفوفهم، أو يتحالف معهم ضد المسلمين، ومن يفعل ذلك فهو منهم، بل إن من تشبَّه بهم فى احتفالاتهم، وكلامهم، ولبسهم، وعاداتهم التى تخالف شرعنا، فهو منهم، قال رسول الله ﷺ: **"من تشبَّه بقوم فهو منهم"** [سنن أبى داود، صحيح الجامع:٦١٤٩]، والله أعلم.

س٢٣٥- تتناقض الروايات عندكم فيمن هو الذبيح؟ فمنكم من يقول إنه إسماعيل، ومنكم من يقول إنه إسحاق، والحق عندنا أنه إسحاق.

ج٢٣٥- عجباً لكم أيها القوم! تتساءلون عن اسم الذبيح، ولا تتأكدون من نسب معبودكم؟ فأيهم أهم عندكم؟ وأيهم أكثر إثارة لدهشتكم؟ إن الأناجيل قد اختلفت فى نسب المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فإنجيل (متى) ينسبه إلى سليمان بن دواد - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - بينما ينسبه إنجيل (لوقا) إلى ناثان بن داود، وهذا التناقض ورد فى الإصحاح الأول من إنجيل (متى) والإصحاح الثالث من إنجيل (لوقا)، وحتى لا نطيل على القارئ نذكر فقط كلمة من (متى) وكلمة من (لوقا):

وسليمان ولد رحبعام. (متى١: ٧) **ناثان بن داود** (لوقا٣: ٣١)

نعم.. لقد ذكرت بعض التفاسير نقلاً عن بعض الصحابة ﵃ أن الذبيح هو سيدنا إسحاق، ولكن أغلب التفاسير على أنه سيدنا إسماعيل، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. وقد حدث هذا الخلط من بعض الصحابة ﵃ بسبب قربهم ومخالطتهم لعلماء أهل الكتاب الذين يزعمون أن الذبيح هو سيدنا إسحاق، ولكن الحق قد جانبهم فى هذا

الأمر، فإن الذبيح هو سيدنا إسماعيل، وهذا موجود عندهم فى الكتاب المقدس، ولكنهم حرفوه بطريقة ساذجة لا تخفى على أحد، وهاكُم ما جاء فيه:

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له يا إبراهيم. فقال هأنذاه. فقال خُذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق... إلى آخر قصة الذبح. (تكوين٢٢: ١-١٤)

فالتلفيق فى قولهم (إسحاق) واضح وضوح الشمس، إذ كيف يكون ابنه الوحيد (أى البكر) هو إسحاق، مع أنه كان الثانى وليس البكر بنص التوراة نفسها: **وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين وُلِدَ له إسحاق ابنه.** (تكوين٢١: ٥) فى حين أنه رُزِقَ بإسماعيل وهو ابن ستة وثمانين سنة: **كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام** (تكوين١٦: ١٦) (أبرام يعنى إبراهيم)

فكيف يكون ابنه البكرى إسحاق وبينه وبين إسماعيل أربعة عشر عاماً؟ وقد ادعوا أنه إسحاق حقداً على سيدنا محمد ﷺ أن يكون ابن الذبيح. والدليل على أن سيدنا إسماعيل هو الذبيح أن القرآن ذكر فى سورة (الصافات) قصة سيدنا إبراهيم مع قومه، وما أرادوا من حرقه، وإنجاء الله له، وذلك فى الآيات من (٨٣-٩٨) وبعد أن نجاه الله من النار قال: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} [الصافات: ٩٩-١٠٧] ثم بعد ذلك بشّره الله سبحانه وتعالى بسيدنا إسحاق، فى قوله تعالى: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات:١١٢] فمن الواضح وضوح الشمس من هذه الآيات أن البشرى بسيدنا إسحاق كانت بعد انتهاء قصة الذبيح، فمن كان هذا الذبيح إن لم يكن سيدنا إسماعيل؟ ثم إن سيدنا محمد ﷺ قال: **"أنا ابن الذبيحين"** [مصنف ابن أبى شيبة، مستدرك الحاكم] أى أنه من نسل الذبيح الأول، وهو سيدنا إسماعيل، وابن الذبيح الثانى، وهو عبد الله والد الرسول ﷺ وهذا يقطع الشك فى أمر الذبيح، والله أعلم.

س٢٣٦- يتحدث القرآن عن هلاك الإنسان والحيوان وجميع الدواب بسبب

ذنوب الإنسان، فيقول: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر:٤٥] فما ذنب جميع الدواب؟ أليس هذا ظلماً؟ ألم يقل فى السورة نفسها: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}؟

ج٢٣٦- إن المخلوقات التى نتعامل معها على الأرض أربعة (بغضِّ النظر عن بقية المخلوقات) جماد ونبات وحيوان وإنسان، فالجماد يخدم النبات بما يقدمه له من عناصر لازمة لنموه، والجماد والنبات يخدمان الحيوان، والجماد والنبات والحيوان يخدمون الإنسان، والإنسان خُلِق لعبادة الرحمن {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] فلو لم يعبد ربه فما فائدته؟ ولو آخذه الله بذنوبه لأهلكه، ولتَبِع ذلك هلاك كل ما يقوم بخدمته من جماد ونبات وحيوان، لأنها موجودة لخدمته، فما فائدتها بعده؟ فمثلاً: لو أحضرت خادمة لأمك العجوز، ثم ماتت أمك، هل تبقى الخادمة فى البيت بعد ذلك؟ وهل رأيت خدماً يقيمون بقصر سيدهم الذى مات؟ إن صاحب القصر قد مات فمن يخدمون بعده؟ وها هى قصور الملوك والسلاطين ليس بها أنيس ولا جليس، بعد أن كانت عامرة بأهلها.

والذين ينكرون على كتابنا هلاك كل شىء بذنوب الإنسان، جاء فى كتابهم المقدس الأمر بحرق المدن بما فيها من إنسان وحيوان وكل شىء، كما ذكرنا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٨١) [illegible] فيه أيضاً:

هكذا قال السيد الرب. من أجل أن أدوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء إساءة وانتقم منه لذلك هكذا قال السيد الرب وأمُد يدى على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيِّرُها خراباً (حزقيال٢١: ١٢-١٣)

ويكون فى ذلك اليوم يوم مجىء جوج على أرض إسرائيل يقول السيد الرب أن غضبى يصعد فى أنفى. وفى غيرتى فى نار سخطى تكلمتُ أنه فى ذلك اليوم يكون رعش عظيم فى أرض إسرائيل. فترعش أمامى سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل والدّابّات التى تدب على الأرض وكل الناس الذين على وجه الأرض وتندك الجبال وتسقط المعاقل وتسقط كل الأسوار إلى الأرض. وأستدعى السيف عليه فى كل جبالى يقول السيد الرب. فيكون سيف كل واحد على أخيه. وأعاقبه بالوباء وبالدم

وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيمة وناراً وكبريتاً. فأتعظم وأتقدس وأعرف فى عيون أمم كثيرة فيعلمون أنى أنا الرب (حزقيال٣٨: ١٨-٢٣)، والله أعلم.

س٢٣٧- يتناقض القرآن كثيراً مع نفسه، فيقول عن غزوة بدر: {إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ} [الأنفال:٤٣-٤٤] ثم يقول: {قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ} [آل عمران:١٣] يبدو أن محمداً نسى وهو يؤلف القرآن، فمرة يقول: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ} ومرة يقول: {يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ} فكيف نفهم هذا التضارب؟

ج٢٣٧- ليس هناك تأليف ولا تناقض كما تزعمون، ولكن هذا من تثبيت الله عز وجل لرسوله ﷺ وللمؤمنين، فقد رآهم رسول الله فى المنام قليلى العدد ليبشر المؤمنين فيتجرأوا على قتالهم ولا يهابوهم، فلو رآهم كثيرى العدد لفشلوا ولتنازعوا فى الأمر، لأنهم قد خرجوا لقطع الطريق على قافلة قريش ليستردوا بعض ما أُخِذَ منهم ظلماً وعدواناً، ففوجئوا بأن أبا سفيان نجا بالقافلة وسار بها إلى مكان آخر، وأن قريشاً قد جمعت العدة لقتالهم، ولم يكن الصحابة ﷺ قد أعدوا العدة لقتالهم، حتى إن كثيراً منهم تخلفوا عنها لعدم علمهم بوقوع حرب بينهم وبين المشركين، فحينما اصطفَّ الفريقان للقتال رأى كل منهما الآخر قليل العدد، فكان هذا لصالح المؤمنين بأن شجَّعهم على قتالهم، فى حين أنه لم يكن من مصلحة المشركين، لأنهم خرجوا مغرورين بعددهم وعدهم، حتى إن البعض أشار على أبى جهل بالرجوع طالما أن قافلة أبى سفيان نجت، ولكنه أصر على القتال أشراً وبطراً، وظن أنه سينتصر، وينحر الجزور، ويشرب الخمور، وتغنى وترقص له ذوات الخدور، فعندما رأوا المؤمنين قليلى العدد استخفوا بهم أكثر، وظنوا أنهم سينتصرون عليهم بمنتهى السهولة، ولكن الله خيب أملهم، فحين بدأت المعركة والتحم الخصمان ظهر عكس ما رأوه، ورأوا أعداداً غفيرة تقاتلهم غير التى رأوها

قبل بدء القتال، فذب في قلوبهم الرعب، مصداقاً لقوله تعالى: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ} [الأنفال:١٢] وانهزموا بفضل الله سبحانه وتعالى، وقال الناجون منهم: إن المسلمين قد ركبوا أكتافنا، وما هي إلا أن رأيناهم فسلمنا لهم أعناقنا. أما المؤمنون فلم يَرُعهُم رؤية المشركين على كثرة عددهم وعتادهم، بل زاد استبسالهم في القتال، لأن الله أيدهم بالملائكة، وربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، بعدما استغاث الرسول ﷺ بربه {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال:٩] وقد قاتلت معهم الملائكة، حتى إن أحد الصحابة ﷺ قال إنه رفع سيفه ليقتل أحد المشركين، فوقعت رأسه دون أن يمسه {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال:١٢] وكان المؤمنون يعرفون الفرق بين قتلاهم ومن قتلتهم الملائكة، ببنان المشركين التي ضربتها الملائكة (أي أطراف أصابعهم) فمن هذا يتضح أن آيات سورة (الأنفال) تذكر ما حدث قبل وقوع القتال، أما آية (آل عمران) فتتحدث عن حال الفئتين بعد التحام الصفين وبدء القتال، والله أعلم.

س٢٣٨- هناك تناقض في القرآن بين قوله: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ} [النساء:٤٨] وقوله: {إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر:٥٣]

ج٢٣٨- إن هذا السائل كمن قرأ {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} ولم يُكمِلْ {ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ولو قرأ آيات سورة (الزمر) التي تلي هذه الآية لَعَلِمَ الرد على سؤاله، فماذا قالت هذه الآيات؟ لقد قالت: {وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ} إن معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى يفتح باب التوبة على مصراعيه لكل الناس، مهما كانت ذنوبهم - حتى ولو كانت شركاً بالله - أن يتوبوا إليه ويستغفروه قبل أن يباغتهم الموت، ويفاجأوا بالعذاب، فهل هناك ثمة

تناقض بين الآيات؟ إن آية (النساء) تتحدث عمَّن مات مشركاً، ولم يَتُبْ من شركه قبل موته، أما آية (الزمر) فهي خطاب للأحياء أن يتداركوا أنفسهم، ويثوبوا إلى رشدهم قبل أن يندموا وَلاتَ حين مَنْدَم.

وبالمناسبة.. فقد جاء في الكتاب المقدس أن الله سبحانه وتعالى يندم (وحاشاه) ومرة أخرى أنه لا يندم، وإليكم الدليل: **فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه** (خروج٣٢: ١٤) **والرب ندم لأنه مَلَّك شاول على إسرائيل** (صموئيل الأول١٥: ٣٥) **فمن يشفق عليك يا أورشليم ومن يعزِّيك ومن يميل ليسأل عن سلامتك. أنتِ تركتنى يقول الرب. إلى الوراء سِرتِ فأمُد يدى عليكِ وأهلكك. مَللتُ من الندامة.** (إرمياء١٥: ٥-٦) إن هذه النصوص تثبت الندم، ثم يأتى النَّص التالى لينفيه: **ليس الله إنساناً فيكذب. ولا ابن إنسان فيندم.** (عدد٢٣: ١٩)، والله أعلم.

س٢٣٩- مرة يقول القرآن عن مريم إنها قالت: {رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ} [آل عمران:٤٧] ومرة إنها قالت: {أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ} [مريم:٢٠] دون أن تقول فى هذه الآية كلمة {رَب}، وكذلك فإنها قالت فى الآية الأولى {وَلَد} وفى الثانية {غُلَـٰم} فهل نسى محمد، أم أنه تشويق للسامع؟

ج٢٣٩- ليس هذا نسياناً ولا تشويقاً، إن الآية الأولى التى وردت فى سورة (آل عمران) كانت بشرى من الله جل وعلا، حملتها الملائكة للسيدة مريم رضى الله عنها **{إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ}** [آل عمران:٤٥] فلذلك قالت **{رَب}** أما آية سورة (مريم) فكانت البشرى من سيدنا جبريل عليه السلام مباشرة **{فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا}** [مريم:١٧-١٩] ففى هذه الحالة تكلم سيدنا جبريل، فكيف تقول له **{رَب}**؟ إنها لو قالت ذلك لكان فى قولها حجة للنصارى الذين يَدَّعون أن الله سبحانه وتعالى تمثل لها فى صورة بشر ليَهَبَ لها الولد. أمّا قولها فى الآية الأولى **{وَلَد}** وفى الثانية **{غُلَـٰم}** فلأنها فى الآية الأولى تعجبت من أن يكون لها ولد بغير زوج، ولم يَعْقُب هذه الآية نُطقه فى المهد، أما الآية الثانية فقد أعقبتها آيات نُطقه فى المهد، وهذا الكلام لا يتأتى إلا من الغلام، فلما

فعل فعله أخذ صفته، والله أعلم.

س٢٤٠- ينكر القرآن على اليهود والنصارى ادّعاءهم بأن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، فيقول: {يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة:٦٥] فى حين أنه يدّعى أنه كان مسلماً، فيقول: {مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} [البقرة:٦٧] مع أن الإسلام لم يظهر إلا بعد زمن طويل من اليهودية والنصرانية!

ج٢٤٠- إن الإسلام معناه إسلام الوجه لله، بمعنى: إسلام القلب والقالب لله، وهو توحيد الله عز وجل بالربوبية والألوهية، وقد جاءت به جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ} [آل عمران:١٩] وقال رسوله ﷺ: **"خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"** [صحيح الجامع:٣٢٧٤] وقد أوردنا فى الرد على الشبهة رقم (٤٢١) ما يدل على أن جميع الرسالات جاءت بالإسلام، ولا أعنى بالإسلام ديننا، ولكن أعنى توحيد الله جل وعلا، والانقياد له سبحانه وتعالى باتباع رسله، فلم يكن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - تابعاً لليهودية ولا النصرانية، ولكن كان مسلماً بالمعنى الذى ذكرناه، والله أعلم.

س٢٤١- لماذا بدأ القرآن بفرار المرء يوم القيامة من أخيه، فقال: {يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} [عبس:٣٤] ثم قال: {وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ} ثم قال: {وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ} وكان الأبلغ أن يبدأ بأمه وأبيه لأنهم أهم من أخيه، ثم يثنّى بصاحبته وبنيه لأنهم أيضاً أهم منه، ثم يأتى بالأخ بعد ذلك، ولقد جاء عندكم الترتيب صحيحاً فى قوله: {يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ} [المعارج:١١-١٤] فلِمَ لم تكن مثلها؟

ج٢٤١- إن ما جاء فى سورة (عبس) يسمى فى البلاغة بالأسلوب التصاعدى، وهو يصور هول يوم القيامة الذى يفر فيه المرء من أخيه، وقد كان التخلى عن الأخ عاراً عند العرب، ليس هذا فحسب، بل إن الأمر أخطر من ذلك، فسيفر أيضاً من أمه وأبيه اللذَين هما أغلى عنده من أخيه، هل وقف الأمر عند ذلك؟ لا- بل سيفر من أغلى ما يملكه فى

الدنيا وهم زوجته وبنوه، وهذا عند الخروج من القبور، وما يصيب الناس فيها من الهلع والفزع. ومعلوم أن الأولاد هم أغلى ما يمتلكه الإنسان، حتى إنه حين يشعر بخطر سيصيب بيته (كحريق أو زلزال مثلاً) فإنه يحمل أولاده ليهرب بهم، وإن كان فى البيت أقارب غيرهم، مثل إخوته وزوجته وأمه وأبيه، أمّا لو كان الأمر فى أشد الخطورة فإنه يهرب وحده ويترك حتى أولاده. أمّا آيات سورة (المعارج) فأسلوبها تنازلى، فهى تتحدث عن حال الإنسان حين معاينته لِمَا سيقع له من العذاب، بدليل قوله تعالى: {يَفْتَدِى} والإنسان حين يتعرض للعذاب يقدم ما فى يده أولاً ليكون فداءه، بغير تفكر ولا تعقل، من هول ما ألَمَّ به، ثم يبحث عن شيء آخر ليقدمه، ومعلوم أن ما يكون فى يد الإنسان هو أغلى ما عنده، وليس عند الإنسان أغلى من أولاده، فلذلك يبدأ بهم أولاً. فمثلاً: لو أنك فوجئت بمن يريد قتلك، وكان معك مبلغ من المال، فأول شيء تفعله هو أن تلقى له ما فى يدك من مال لتكفّه عنك، فإن أصر على قتلك فإنك تعرض عليه أن يأخذ شيئاً آخر، ثم شيئاً آخر.. وهكذا، ولكن هذا المثل مع الفارق العظيم، فليس مثل عذاب يوم القيامة عذاب، والله أعلم.

س٢٤٢- إن فى القرآن آيات يتناقض بعضها مع بعض، مثل قوله: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ} [يونس:٦٤] {لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ} [الكهف:٢٧] ثم قوله: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ} [البقرة:١٠٦] {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ} [النحل:١٠١]

ج٢٤٢- إن الكلمة غير الآية، فقوله تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ} و{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ} أى لا تبديل لسنن الله فى كونه، ولا تبديل لإرادته وقضائه وقدره، وذلك مثل ما كتبه علينا من الحياة والموت، والصحة والمرض، والفقر والغنى، والبعث والحساب.. إلخ. أمّا {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ} فهى شرائع وأوامر ونواه يبدِّلها الله كيف يشاء، وذلك مثل قوله تعالى: {وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤] حين بدلها بقوله: {لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ} [البقرة:٢٨٦] وذلك عندما امتثل الصحابة ﷺ لأمر الله ورسوله ﷺ {وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥] وقد تكلمنا عن موضوع

النسخ فى القرآن و الرد على الشبهة رقم (٣١) وبالله التوفيق.

ولقد جاء فى كتابكم المقدس أن معبودكم لم يأتِ لينقض الناموس (أى شريعة سيدنا موسى، على نبينا وعليهما الصلاة والسلام) ولكن ليكمله، فقال: **لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئتُ لأنقض بل لأُكمِّل. فإنى الحقَّ أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.** (متى٥: ١٧-١٨) ثم يأتى فى الإصحاح نفسه وينسخ كثيراً مما جاء فى الناموس، فيقول: لقد سمعتم أنه قيل كذا (أى فى العهد القديم) وأنا أقول كذا، وفى موضع آخر ينسب الكذب للأنبياء، فيقول: **احترزوا من الأنبياء الكَذَبَة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة.** (متى٧: ١٥) فكيف يكذبهم وهو الذى قال فى الفقرة الأولى إنه ما جاء لينقض الناموس أو الأنبياء؟، والله أعلم.

س٢٤٣- يقول القرآن: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر:٩] **ثم يناقض نفسه فيقول:** {يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد:٣٩]

ج٢٤٣- إن الآيتين ليس بينهما أى تناقض، فالأولى تعنى حفظ القرآن من التحريف، أو التبديل، أو الزيادة والنقصان، كما حدث فى الكتب السابقة. أمّا الآية الثانية فقد تكلم الله سبحانه وتعالى فيها عن مَحْو بعض الأقدار أو إثباتها، كإثبات النعمة أو زوالها، كما قال تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال:٥٣] وكإثبات البلاء أو رفعه، كما قال رسول الله ﷺ: **"لا يُغنى حَذَر من قَدَر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٧٧٣٩] فالله سبحانه وتعالى قد يعزّ ذليلاً ويذلّ عزيزاً، وقد يُغنى فقيراً ويُفقر غنياً، أو يشفى مريضاً ويُمْرض سليماً.. إلخ، فهو سبحانه {لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ} [الأنبياء:٢٣]

وقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض بين كونه لا يمكن تحريفه، وبين احتمال تحريفه، فيقول: **فإنى الحقَّ أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.** (متى٥: ١٨) ثم يقول: **لأنى أشهد لكل من يسمع أقوال نبوّة هذا الكتاب إنْ كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات**

المكتوبة فى هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوّة يحذف الله نصيبه من سِفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب (رؤيا يوحنا٢٢: ١٨-١٩) وهذا ما خُتمَ به الكتاب المقدس فى آخر صفحة منه، والله أعلم.

س٢٤٤- يقول القرآن: {وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ} [الأعراف:١٤٧] **إن هذا معناه أن التذبيح كان بعد مجيء موسى بالرسالة، ثم يقول:** {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ} [القصص:٤] أى أن التذبيح كان قبل رسالة موسى، فما هذا التخبط؟

ج٢٤٤- إن التذبيح كان قبل رسالة سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وبعدها، بدليل قول الله تعالى: {قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} [الأعراف: ١٢٩] وقد كان التذبيح قبل رسالته - كما نعلم - لخوف فرعون من الرؤيا التى رآها، والتى أوّلها له جلساؤه بأن زوال ملكه سيكون على يد أحد أبناء بنى إسرائيل. أمّا التذبيح الثانى فكان استمراراً للأول، بل كان أشد منه، كمن يُحكَم عليه بقضاء عدة سنوات فى السجن، ثم حين يُعرَض على القاضى مرة أخرى عند نهاية المدة التى قضاها فى السجن يأمر بتمديد حبسه لمدة أطول من الأولى. فالتذبيح الأول كان فرعون يأمر به عاماً ويترك عاماً، أمّا بعد رسالة سيدنا موسى فقد تكبر فرعون وطغى وتجبر، وأمر جنوده بتذبيح أبنائهم كل عام.

وبمناسبة التذبيح فقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض بين أمر الرب بعمل مُحْرَقات وذبائح خَطِيَّة، وعدم الأمر بها، ونحن لا نستطيع ذكر جميع النصوص التى وردت بها المحرقات وذبائح الخطية لكثرتها (وخصوصاً فى سفر اللاويين) ونكتفى بذكر واحد منها، ثم نتبعه بنقيضه:

وفى اليوم الثامن دعا موسى هَرون وبنيه وشيوخ إسرائيل وقال لهرون خُذ لك عِجْلاً ابن بقر لذبيحة خَطِيَّة وكبشاً لمحرقة صحيحين وقدمهما أمام الرب... وتقدمَة ملتوتة بزيت. لأن الرب اليوم يتراءى لكم... ثم قال موسى لهرون تقدم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيّتك ومُحْرَقتك وكفِّر عن نفسك وعن الشعب واعمل قربان

الشعب وكفّر عنهم كما أمر الرب... وغسل الأحشاء والأكارع وأوقدها فوق المحرقة على المذبح... وأما الصدران والساق اليمنى فرددها هَرون ترديداً أمام الرب كما أمر موسى... فتراءى مجد الرب لكل الشعب وخرجت نار من عند الرب وأحرقت على المذبح المحرقة والشحم. فرأى جميع الشعب وهتفوا وسقطوا على وجوههم (لاويين: الإصحاح٩)

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ضُمُّوا مُحْرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً. لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة مُحْرقة وذبيحة. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً اسمعوا صوتى فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لى شعباً (إرميا٧: ٢١-٢٣)، والله أعلم.

س٢٤٥- إن القرآن يعطى معلومات مختلفة عن خلق الإنسان، فمرة يقول إنه خلق من {تُرَابٍ} [الحج:٥] ومرة من {حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر:٢٨] ومرة من {طِينٍ لَّازِبٍ} [الصافات:١١] ومرة {مِن نُّطْفَةٍ} [يس:٧٧] ومرة {مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} [المرسلات:٢٠] فما كل هذا التخبط؟

ج٢٤٥- إن هذا ليس من التخبط فى شىء، ولكنه عرض لصور مختلفة من أطوار خلق الإنسان، كما قال تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح:١٤] فقد كانت بداية خلق الإنسان من التراب الذى مُزِجَ بالماء فصار طيناً {طِينٍ لَّازِبٍ} ثم تجمد هذا الطين وجُعِلَ فيه تجويف من الداخل، فأصبح كالفخار {خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ} [الرحمن:١٤] وكان هذا الفخار متغير الرائحة {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر:٢٦] ثم نفخ الله فيه من روحه فأصبح إنساناً سوياً، وهو سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ثم جاء نسله بعد ذلك من {مَّآءٍ مَّهِينٍ} وقد اكتشف العلماء أن عناصر التربة نفسها موجودة فى الإنسان، وهى الحديد، والماغنسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكالسيوم... إلخ، مما يؤيد خلقه منها، حتى إنهم اكتشفوا أن نسبة المواد الصلبة فى الإنسان إلى الماء كنسبة اليابسة إلى الماء على وجه الكرة الأرضية. أما مراحل تكوين خلق الإنسان فى بطن أمه فقد ذكرت فى أكثر من موضع.. مثل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ} [المؤمنون:١٢-١٤] (وقد تكلمنا عن هذه الآية ومطابقتها للعلم فى الرد على الشبهة رقم (٢٨) وبالله التوفيق) وبعد موت الإنسان يرجع إلى أصل تكوينه، لأن أى بناء يُبنَى من أسفله إلى أعلاه، ولكن عند هدمه يُهدم من أعلاه إلى أسفله، وهذا ما يحدث فى الإنسان، فإن بداية خلقه كانت من التراب، وآخر شىء كان نَفْخ الروح فيه، فعند موته تخرج روحه أولاً، ثم ينتفخ وتتصلب أعضاؤه كالفخار، وتتغير رائحته، ثم تتفتت أنسجته فيصبح كالطين، ثم يصير تراباً، والله أعلم.

س٢٤٦- إن القرآن يقر بأن إبراهيم كان مشركاً، فقد ذكر قوله: {هَٰذَا رَبِّى} على الكوكب والقمر والشمس، فى الآيات (٧٦-٧٨) من سورة (الأنعام) فى حين أنه يمدحه فى آيات كثيرة، فكيف يثنى عليه والشرك عندكم أعظم الذنوب بنص القرآن؟

ج٢٤٦- كيف نرد على من اتهم سيدنا إبراهيم بالشرك، وهو أبو الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ وهل يُعقل أن يصفه القرآن بالشرك بعد أن وصفه بقوله: {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}؟ [النحل:١٢٠] إن ما جاء فى الآيات الكريمات من سورة (الأنعام) هو من باب مجاراة الخصم فى الحجة، فهو يستدرج قومه ليؤمنوا بالله سبحانه وتعالى، ولكن بأسلوب مُشوِّق يأخذ بأيديهم خطوة خطوة ليصل بهم إلى التوحيد، بدليل قول الله تعالى بعد سرد قصة محاورته مع قومه: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام:٨٣] فهى حجة آتاها الله سيدنا إبراهيم على قومه، فكيف يؤتيه إياها ثم يصفه بالشرك من أجلها؟ إن هذا الأسلوب الذى أُوتِيه سيدنا إبراهيم فى الإقناع لم يأتِ فى هذه الآيات وحدها، بل جاء ما هو مشابه له فى آيات أخرى، كما حدث عندما كسر أصنامهم، وقالوا له: {ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ} [الأنبياء:٦٢] فأشار بإبهامه إلى أكبر أصنامهم، وقال لهم: {بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ} ليثوبوا إلى رشدهم، وليعلموا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وقد أقنعهم بذلك فعلاً، بدليل قول الله تعالى: {فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} ولكن بعد اقتناعهم

أصروا على كفرهم {ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ} وأمروا بحرقه {قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ} فأنجاه الله سبحانه وتعالى من النار {قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ}

وجدير بالذكر هاهنا أن نذكر تناقضاً ورد فى الكتاب المقدس بشأن سيدنا إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: **فدعا إبراهيم ذلك الموضع يهوه يَرأه. حتى إنه يُقال اليوم فى جبل الرب يُرى** (تكوين٢٢: ١٤) **ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء. وأما باسمى يهوه فلم أُعرَف عندهم.** (خروج٦: ٢-٣) إن النَّص الأول يثبت لسيدنا إبراهيم أنه عرف ربه باسم (يهوه) وأنه سمى المكان الذى أُمِرَ فيه بذبح ابنه (يهوه يَرأه) أمَّا النَّص الثانى فقد نفى عنه معرفة ربه بهذا الاسم، والله أعلم.

س٢٤٧- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ} [الروم:٢٦] ثم يقول: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأنعام:١١٦] ويتحدث فى آيات كثيرة عن قصص الكافرين والمكذبين لرسلهم، فكيف يقنت ويخشع له كل من فى السموات والأرض، وقد كفر به هؤلاء؟

ج٢٤٧- إن كلمة {قَـٰنِتُونَ} ليست بمعنى (مؤمنون) أو (طائعون) ولكنها بمعنى (خاضعون) أى خاضعون لإرادته رغماً عنهم، فالمؤمن والكافر، والمطيع والعاصِى، والبَرّ والفاجر، لا يستطيعون الخروج عن مشيئته سبحانه وتعالى، فهم مقهورون على كثير من الأشياء لا يستطيعون تغييرها. فمثلاً: هل يستطيع أحد أن يغير شيئاً فى خلقته، سواء كان لون بشرته، أو طوله وقِصَرَه، أو قسمات وجهه؟ هل يستطيع أن يتحكم فى ضربات قلبه، أو نفَسِه، أو حركة أمعائه؟ هل يستطيع ألا يمرض، أو يموت، أو تصيبه الشيخوخة.. إلخ؟ أما كونه كافراً أو عاصياً فلأنه مخير بين الإيمان والكفر، وبين الطاعة والمعصية، ليُجَازَى يوم القيامة بعمله، أما لو كان مجبراً على الطاعة (كالملائكة) فكيف يكون اختباره إذن؟ إن الملائكة وجميع المخلوقات - عدا الإنس والجن - مجبولون على الطاعة، لا يستطيعون الخروج عنها، ولا الفكاك منها، ولذلك فليس لهم جنة أو نار، أما الإنس والجن فهم المعنيون بالتكليف والثواب والعقاب، إذن فالآية الأولى تتكلم عن الأشياء التى جُبِلَ الإنس

والجن عليها، ولا اختيار لهم فيها، والله أعلم.

س٢٤٨- إن القرآن يتناقض مع نفسه فيقول: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى} [القصص:٣٨] أى أن فرعون ادَّعى الألوهية، ثم يثبت فى آية أخرى أن فرعون نفسه كان له آلهة أخرى، فيقول: {وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ} [الأعراف:١٢٧]

ج٢٤٨- قال بعض المفسرين: إن معنى الآية الثانية (ويذرك وعبادتك) أى أنهم سيتركونه ويتركون عبادته، كما قرأها على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس ﷺ {ويذرك وإلاهَتك} أى (وألوهيتك) وقال بعضهم: إن فرعون صنع لهم أصناماً صغيرة، وأمرهم أن يعبدوها لتقربهم إليه، وكأنه صنع هذه الأصنام على صورته لتذكرهم به ويعبدوه فى كل مكان، ولذلك قال لهم: {أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ} [النازعات:٢٤] أى أنه أعلى من كل هذه الأصنام.

ومن يطِّلع على التاريخ المصرى القديم، ويدرس ديانة الشعب وفراعنته، يجد كثيراً من المعبودات والتماثيل والطقوس والرموز والمعابد لها فى كل أقليم ولكل موسم ولكل مناسبة، ولما أراد بعضهم ضمها وتوحيدها ظهر لهم معبودات أكبر مثل: (آمون) و(آتون) و(رَعْ) وقد ادَّعى فرعون أنه ابن الإله، ثم ادَّعى أنه هو الإله نفسه، ووافقه الكهنة، والله أعلم.

س٢٤٩- يتناقض القرآن مع نفسه فى مسألة فرعون، فمرة يثبت أنه نجا، فيقول: {فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً} [يونس:٩٢] ومرة يثبت أنه غرق فيقول: {فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ} [القصص:٤٠]

ج٢٤٩- هل قال الله سبحانه وتعالى: {فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ} وانتهى الأمر؟ أم أنه قيَّدها بقوله: {بِبَدَنِكَ}؟ إن فرعون قد أغرقه الله جل وعلا، ولكنه أمر البحر أن يطرد جثته على الشاطئ لتكون عبرة لمن جاء بعده، بينما اختفت جثث جيشه ودوابِّهم، وهو معنى قوله تعالى: {لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً} وقد أثبتت الأبحاث العلمية التى أُجْرِيَت على مومياته أنه مات غرقاً، وقد ذكرنا بعض آيات الله سبحانه وتعالى فى نجاة جثة فرعون، فى الرد على الشبهة رقم (٣٥٥) وبالله التوفيق.

وقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض بين الأماكن التى مات فيها سيدنا هارون، على نبينا وعليه الصلاة والسلام:

ففعل موسى كما أمر الرب وصعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة. فخلع موسى عن هَرون ثيابه وألبس العازار ابنه إياها. فمات هَرون هناك على رأس الجبل. (عدد٢٠: ٢٧-٢٨)

فصعد هَرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك (عدد٣٣: ٣٨)

يتضح من هذين النصَّيْن أن سيدنا هارون مات على جبل هور، ثم يأتى النَّص التالى فيقرر أنه مات فى موسير، وعلى هذا يكون قد مات مرتين فى مكانين مختلفين:

وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعقان إلى موسير. هناك مات هَرون (تثنية١٠: ٦)، والله أعلم.

س٢٥٠- يقول القرآن: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر:١٠] ثم يناقض نفسه فيقول: {وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون:٨] فهل العزة لله أم له ولرسوله وللمؤمنين؟

ج٢٥٠- إن العزة لله سبحانه وتعالى، ولكنه يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعز أولياءه ويذل أعداءه {وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ} [آل عمران:٢٦] فعِزَّة الرسول ﷺ وأتباعه من عِزَّة الله جل وعلا، أى أنه هو الذى وهبها لهم، والله أعلم.

س٢٥١- يقول القرآن إن نوحاً دعا على قومه فأغرقهم الله، فى حين أنه يعكس ترتيب الأحداث، فيقول: {مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا} [نوح:٢٥-٢٦] فكيف يغرقهم ربهم، ثم يدعو عليهم نبيهم؟

ج٢٥١- إن هذا ليس ترتيباً زمنياً للأحداث، ولكنه ترتيب حسب أهميتها، كما ذكرنا مثل ذلك فى قوله تعالى: {ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ} [الرحمن:١٤] (فى الرد على الشبهة رقم ٤٦٣) فالله سبحانه وتعالى أغرق قوم نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بسبب خطيئاتهم {مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟} وكان هذا جزاؤهم المقدَّر عنده جل وعلا، سواء دعا عليهم نوح أو لم يَدْعُ، ثم جاء ذكر دعائه

عليهم رغم أنه حدث قبل إغراقهم، ولو جاء قبله لظننا أن إغراقهم كان بسبب هذا الدعاء. وقد كانت سُنَّة الله فى الأمم السابقة أن يهلكهم إن لم يؤمنوا بأنبيائهم، كما فعل مع قوم هود، وصالح، ولوط، وغيرهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت:٤٠]، والله أعلم.

س٢٥٢- يقول القرآن عن الناس: {يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} [القمر:٧] ثم يقول عنهم: {يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ} [القارعة:٤] فهل هم فراش أم جراد؟

ج٢٥٢- الحديث فى سورة (القمر) عن حالة البعث والنشور، والخروج من القبور {يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ} لأن {ٱلْأَجْدَاثِ} هى القبور، وهذه الحالة بعد النفخة الثالثة. أما فى سورة (القارعة) فالحديث عن أول أحداث يوم القيامة، وهى التى تحدث بعد النفخة الأولى، وهى نفخة الفزع، فيكون الناس أثناء انهيار الكون {كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ}، والله أعلم.

س٢٥٣- يتناقض القرآن مع نفسه فيقول: {إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ} [الحجر:٤٢] ثم يقول: {فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ} [البقرة:٣٦] {قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ} [القصص:١٥] {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ} [الأعراف:٢٠٠] إن هذه الآيات تثبت سلطان الشيطان على هؤلاء الأنبياء.

ج٢٥٣- إن هذا لا يعتبر سلطاناً على الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن السلطان المنفى عن الشيطان على عباد الرحمن هو سلطان الغواية والضلال، كما قال تعالى حكاية عن إبليس: {قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ} [الحجر:٣٩-٤٠] ولكن لا مانع من وسوسته للمؤمنين بفعل بعض الصغائر، أو بصرفهم عن عظيم الطاعات إلى ما هو أقل منها، لأنه لا يجرُؤ أن يوسوس لهم بالكفر، أو الشرك، أو الكبائر، ولكنهم فى الغالب لا يطيعونه حتى

فى الصغائر، وإن أطاعوه فسرعان ما يستغفرون الله جل وعلا.

وقد جاء فى الكتاب المقدس تناقض فى من حرَّض سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - على محاربة إسرائيل، إذ يقول:

وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امضِ وأحصِ إسرائيل ويهوذا. (صموئيل الثانى٢٤: ١) ثم يقول:

ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل. (أخبار الأيام الأول٢١: ١)

فالنَّص الأول يقول إن الله سبحانه وتعالى هو الذى جعل داود يحارب إسرائيل، والنَّص الثانى يقول إن الشيطان هو الذى أغواه حتى يحاربهم، والله أعلم.

س٢٥٤- يقول القرآن: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨] بينما يقول فى آية أخرى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء:١٤] إذن الأمر غير واضح فى مسألة الحساب، فهل تُقرأ الأعمال يوم القيامة أم تُرى؟

ج٢٥٤- إن الأعمال يوم القيامة تُرى وتُقرأ، ولقد استطاع الإنسان فى العصر الحديث أن يسجل كل شيء بالصوت والصورة، ألا يستطيع من وهبه العقل أن يفعل ذلك؟ أيعطيه السمع وهو لا يسمع؟ أيعطيه البصر وهو لا يبصر؟ أيعطيه العلم وهو لا يعلم؟ وهل هذا يُعقَل؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه، قال تعالى حكاية عن الكفار: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف:٤٩] ولكن هناك أمراً هاماً.. فقد يرى العبد فى كتاب أعماله يوم القيامة أنه يصلى أو يحج أو يجاهد... إلخ، ولكن الصورة فى هذه الحالة لا تُغنى، فقد يكون الذى رآه من طاعة كان رياءً أو نفاقاً، ولكن المقروء هو الأخطر، لأنه لابد أن يصدق المقروء المنظور فى أن هذه الطاعة كانت خالصة لله، أما إذا كان المقروء مخالفاً للمنظور فقد يكون المنظور وَبَالاً على صاحبه، لأنه يرى ما فعل أنه كان لغير وجه الله، فلا يُثاب عليه، والله أعلم.

س٢٥٥- ينفى القرآن أنه بُعِثَ من النساء أنبياء أو رسل، فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن

قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ} [يوسف:١٠٩] وقال: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ} [النحل:٤٣] و[الأنبياء:٧] ثم ناقض نفسه فقال: {إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ} [طه:٣٨] وقال: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص:٧]

ج٢٥٥- نود أن نسألكم: حينما قال الله سبحانه وتعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ} [النحل:٦٨] فهل اتخذ من النحل أنبياء ورسلاً؟ وحينما قال عن الأرض: {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا} [الزلزلة:٥] فهل أصبحت الأرض نبية أو رسولة؟ إن الله سبحانه وتعالى لم ينفِ الوحى عن غير الرجال، ولكنه نفى الرسالة، فارجعوا إلى الآيات التى ذكرتموها فستجدونها قالت: {وَمَآ أَرْسَلْنَا} ولم تقل (وما أوحينا) أمّا الوحى الذى أوحاه الله لأم سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فهو وحى إلهام وتوفيق، وليس وحى رسالة، وأما النحل والأرض فوحيهما وحى أمر وقهر. وقد شاع بين الفلاسفة، والحكماء، والأطباء، وأهل التربية، والتدريب، ما يُعرف بفن (الإيحاء) فى العلاج، والتأثير النفسى، على نطاق واسع، ووجدوه وحى إلهام، تصنعه قوة وجاذبية عند شخصية من يمارسه، ويتم بوسائل سمعية، أو بصرية، أو عقلية، وحتى بالتنويم والتخدير {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ}، والله أعلم.

س٢٥٦- يقول القرآن: {قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام:٢٣] ويقول: {وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا} [النساء:٤٢] فالآية الأولى معناها أن المشركين يكذبون على الله، والثانية معناها أنهم لا يكذبون عليه، فما هذا التناقض؟

ج٢٥٦- المشركون حين يرون أهوال يوم القيامة، ويعلمون أنهم كانوا على الباطل، وأن المؤمنين كانوا على الحق، يحاولون أن يكذبوا على الله جل وعلا حتى ينجيهم، فيقولوا: {وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} وهم أغبياء فى ظنهم هذا، لأن الله عز وجل {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [سبأ:٣] والله سبحانه وتعالى قد بين فى الآية التى تليها من سورة (الأنعام) أنهم بفعلهم هذا قد كذبوا على أنفسهم، فقال: {ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} وحين كذبوا على أنفسهم وأنكروا أنهم كانوا مشركين، ختم الله على أفواههم وأنطق جوارحهم بما كانوا يفعلون، كما قال جل وعلا: {حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا

شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [فصلت:٢٠] ونُطْق جوارحهم بأعمالهم تأويل لقوله تعالى: {وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا} وهذا المعنى قد وضحه رسول الله ﷺ فى قوله: "**يقول العبد يوم القيامة: يا رب ألم تُجِرْنى من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: إنى لا أجيزُ على نفسى إلا شاهداً منى، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقى، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكُنَّ وسُحقاً، فعنكن كنت أناضل**" [صحيح الجامع:٨١٣٤] وهذا ليس خاصاً بالكافرين، بل يشمل المنافقين أيضاً، كما حكى عنهم القرآن فى قوله: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ} [المجادلة:١٨]، والله أعلم.

* * *

زعم تناقض القرآن مع السُّنَّة

س٢٥٧- يقول القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة:٦٧] ثم يقول نبيكم: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري" [صحيح الجامع:٥٦٢٩] فكيف يعصمه الله من الناس ثم يموت مسموماً؟

ج٢٥٧- إن الذى سأل هذا السؤال لم يفهم معنى الآية الكريمة، ففى هذه الآية يُطَمْئِنُ الله عز وجل رسوله ﷺ أنه سيمكّنه من تبليغ رسالته، فلا يقدر أحد على منعه من تبليغها، والمنع إما يكون بالقتل أو الحبس أو النفى، والحمد لله لم يحدث أى شىء من هذا، حتى أتم تبليغ رسالة ربه جل وعلا، وكانت آخر آية نزلت عليه فى حجة الوداع هى قول الله جل وعلا: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا} [المائدة:٣] وكان من خطبته ﷺ فى حجة الوداع فى يوم عرفة أن قال لهم: **"ألا هل بلَّغت.. اللهم اشهد"** قالها ثلاثاً وهو يرفع إصبعه الشريفة نحو السماء، ثم يخفضها نحوهم. والدليل على عصمة الله له فى السؤال نفسه.. كيف؟ هم يقولون إن نبيكم مات مسموماً - وهذا حق - ولكنا نريد أن نسألهم: لماذا لم يَمُت فى حينها وقد كان سُمّاً زُعافاً بمجرد أن أكل منه سيدنا بِشْر ﷺ مات فى حينها؟ فالحمد لله أن الحجة عليهم فى سؤالهم. أما بعد تبليغ الرسالة فقد انتهت مهمته، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يجمع له بين أجر الشهادة وأجر النبوة والرسالة، حتى لا يكُن أى نبى أفضل منه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد وردت فى الكتاب المقدس تناقضات كثيرة بشأن صلب المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فمعظم رواياتهم تقول إنه صُلِب، فى حين أن الروايات الأخرى تقول إنه تنبأ بأنه سينجو من اليهود، وأنهم لن يستطيعوا الوصول إليه، ونحن لا نناقش مسألة صلبه لأن هذا يطول شرحه، ولكن سنورد فقط بعض ما تنبأ به من نجاته، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الشيخ (أحمد ديدات) رحمه الله تعالى:

سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة

خدّاماً ليمسكوه. فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى. ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. (يوحنا٧: ٣٢-٣٤) وحتى لا تقولوا ربما كان قصده أن هذا بعد موته، أى أنه فى الآخرة، يَرُدّ عليكم ما جاء فى الإصحاح نفسه: **وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يُلقِ أحد عليه الأيادى فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم لماذا لم تأتوا به.** (يوحنا٧: ٤٣-٤٥)

قال لهم يسوع أيضاً أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيّتكم. حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود ألعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا. فقال لهم أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق. أنتم من العالم. أما أنا فلست من العالم... فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو ولست أفعل شيئاً من نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى. والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه (يوحنا٨: ٢١-٢٩) وحتى لا تقولوا - أيضاً - إن هذا يوم القيامة، يقول آخر الإصحاح: **فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً فى وسطهم** (يوحنا٨: ٥٩) ومما يدل على أن اليهود فهموا أن هذا فى الدنيا.. قولهم: (ألعله يقتل نفسه) وحتى لا تظنوا أن قوله: (أنتم من العالم. أما أنا فلست من العالم) خاص به - أى أنه ليس من عالم البشر كما تزعمون - فقد قالها عن أتباعه أيضاً: **أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أنى لستُ من العالم.** (يوحنا١٧: ١٤)

لأنى أقول لكم إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب. ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل (متى٢٣: ٣٩) فى هذا النَّص يجزم لليهود أنهم لن يروه من هذه اللحظة حتى يأتى للعالم مرة أخرى.

هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى. وأنا لست وحدى لأن الآب معى. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم (يوحنا١٦: ٣٢-٣٣) إن هذا يعنى أن الله لن يتركه، وسوف ينجيه، ولكنه تركه (بزعمكم) وها هو يعاتبه: صرخ

يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لِمَا شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى. (متى٢٧: ٤٦)

ألا تَروْنَ معنا أن بعض عبارات هذه النصوص تتوافق مع عقيدتنا بأن المسيح لم يُصلَب وأن الله رفعه إليه؟ وإلا.. فماذ يعنى قوله: (ثم أمضى إلى الذى أرسلنى. ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)؟ وقوله: (حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا)؟ وقوله: (أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق)؟، والله أعلم.

س٢٥٨- تقولون إن نبيكم كانت له معجزات مُشاهَدَة غير القرآن، مع أن القرآن ينفى ذلك فيقول: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:١٠٩] ويقول: {وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا} [الإسراء٩٠-٩٥] فكيف نفهم هذا التناقض؟

ج٢٥٨- قد أوضحنا فى الرد على الشبهة رقم (٤٥٢) أن الله لو أجاب المشركين فيما طلبوه من الآيات، ثم لم يؤمنوا بها لأهلكهم، كما ورد فى قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة:١١٥] وقوله: {وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء:٥٩] فالله سبحانه وتعالى لم يجيبهم فيما ما طلبوه، لأنه يعلم أنهم سيكذبونه، وببعثة الرسول ﷺ انقطع عذاب الاستئصال الذى كان يصيب الأمم السابقة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧] ولكن الله عز وجل لم يحرم الرسول ﷺ من المعجزات الحسية، مثل حديث الذئب الذى رواه الإمام أحمد بإسناد جيد والترمذى والحاكم بإسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: عدا ذئب على شاة فطلبه الراعى فانتزعها منه، فأقعَى الذئب على ذَنَبِه (أى قعد) وقال: ألا تتقى الله؟ تنزع منى رزقاً ساقه الله إلى؟ فقال الراعى: يا عجبا! ذئب مُقْعٍ على ذَنَبِهِ

يكلمنى بكلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، يدعو الناس إلى الهدى والحق وهم يكذبونه، فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودى بالصلاة جامعة، فقال للأعرابى: "**أخبرهم بما شاهدته يُسَرُّوا ويزداد إيمانهم**" فأخبرهم، وكان الرجل يهودياً فأسلم، ثم قال ﷺ: "**إنها أمارات بين يدى الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله من بعده**" وفى رواية عن أبى هريرة ﷺ قال الذئب للراعى: أنت أعجب منى واقف على غنمك، وقد تركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه قدراً عنده، وقد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعْب (أى الطريق) فتصير من جنود الله، قال الراعى: من لى بغنمى؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: "**عُدْ إلى غنمك تجدها بوفرها**" (أى لم ينقص منها شىء) فعاد فوجدها على عددها وتمامها، فذبح للذئب شاة منها. وروى البيهقى والطبرانى والحاكم وابن عدى والدار قطنى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ كان فى محفل من أصحابه (أى جماعة) إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضَبّاً (حيوان صغير أكبر من الفأر وأصغر من الأرنب) وجعله فى كُمِّه ليذهب به إلى رَحْلِه فيشويه ويأكله، فلما رأى الصحابة ﷺ قال لهم: من هذا؟ قالوا: نبى الله، فأتاه فقال: يا محمد.. ماشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك، فلولا أن تسمينى العرب عجولاً لقتلتك، ولَسَرَرْتُ الناس أجمعين بقتلك، فقال عمر ﷺ: يا رسول الله دعنى أقتله، فقال ﷺ: "**أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً؟**" ثم أقبل الأعرابى على رسول الله ﷺ فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنتُ بك حتى يؤمن هذا الضب، وطرحه بين يدى رسول الله ﷺ فقال له: "**يا ضب**" فأجابه بلسان طلق فصيح عربى مبين، يفهمه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: "**من تعبد؟**" قال: أعبد الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى البحر سبيله، وفى الجنة رحمته، وفى النار عقابه، قال: "**فمن أنا؟**" قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدَّقك وخاب من كذَّبك، فقال الأعرابى: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقاً،

ولقد جئتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلىّ منك، ووالله لأنت الساعة أحب إلىّ من نفسى وولدى، فقد آمن بك شعرى وبَشَرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى.

وهناك معجزات أخرى مثل شق القمر، وحَنِين الجذع إليه، وكلام الشاة المسمومة، وشكوى الناقة له ممن يجوِّعها، وتفجُّر الماء من بين أصابعه بعدما وضعها فى كمية قليلة من الماء وسقى الجيش، وتكثير الطعام الذى كان لا يكفى إلا لفردين أو ثلاثة حتى أكل منه الجيش بأكمله، وإخباره ﷺ ببعض الغيبيات مثل فتح مكة والعراق واليمن وبلاد الشام، وهزيمة هرقل وكسرى، وتبشير سراقة بن مالك بأخذ تاج كسرى وأساوره ونطاقه (حزامه) وقد حدث هذا بالفعل فى عهد سيدنا عمر ﷺ، ومعجزات غير ذلك كثيرة، وقد كانت هذه المعجزات تحدث أمام الصحابة ﷺ فيزدادون إيماناً مع إيمانهم. والإمام ابن تيمية - رحمه الله - له كتاب اسمه (الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) به أكثر من ١٠٠٠ معجزة حسية للرسول ﷺ.

مما سبق يتضح لنا أنه لا يوجد تناقض بين الآيات وما حدث للرسول ﷺ من معجزات، فالمعجزات التى طلبها الكفار لم يستجب الله لهم فيها لأنه - كما قلنا - لو استجاب لهم ثم لم يؤمنوا بها لأهلكهم، أما المعجزات المادية التى ذكرنا بعضاً منها فكانت تحدث أمام عدد قليل - أغلبهم من الصحابة ﷺ - ولم يُعَوَّل عليها فى الإيمان مثل القرآن، ولكنها كانت تزيد المؤمنين إيماناً ويقيناً، أما الْمُعَوَّل عليه الْمُتحَدَّى به فهو القرآن العظيم، كما قال الله عز وجل: {وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت:٥٠-٥١]، والله أعلم.

س٢٥٩- يقول القرآن: {وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧] فى حين أن نبيكم يقول: "والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة لا يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أُرسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار" **[صحيح الجامع:٧٠٦٣] كيف يكون رحمة للعالمين، وقد أدخل اليهود والنصارى النار؟**

ج٢٥٩- هذا الحديث لا يتناقض مع الآية، لأنه ببعثة الرسول ﷺ انتهى عذاب الاستئصال، أما قبله فكانت الأمم المكذبة لرسلهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

- يُجمَع عليهم عذابان.. عذاب الاستئصال فى الدنيا بالخسف أو القذف أو الغرق .. إلخ {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ} [الحجر:٧٣] {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف:٧٨] {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا} [الحجر:٧٤] {فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف:٥٥] ثم يبقى لهم عذاب الآخرة، أما الذين كفروا بسيدنا محمد ﷺ فلم يستأصلهم الله عز وجل، ولكنه أمهلهم إلى يوم القيامة لعلهم يتوبون إليه ويستغفرونه {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} [المائدة:٧٤] فبذلك يكون الرسول ﷺ رحمة للعالمين. ربما يقول قائل: إن الذين لم يؤمنوا بموسى وعيسى لم يهلكهم الله كما أهلك مَن قبلهم، فنقول له: إن قولك هذا صحيح، ولكنهما - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لم يُرسَلا إلا لبنى إسرائيل، فعدم تعذيب قومهما لا يُعتَبر رحمة للعالمين، أما الرسول ﷺ فقد بعثه الله لجميع الأمم من الإنس والجن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فبذلك تكون رسالته رحمة للعالمين، والله أعلم.

س٢٦٠- يقول القرآن: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل:٨٠] ويعارضه نبيكم فيقول: "إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه، حتى إنه يسمع قرع نعالهم" إلى آخر الحديث [صحيح الجامع:١٦٧٥] وأنه كلم قتلى بدر من المشركين، وقال لعمر: "ما أنت بأسمع منهم" حين قال له: أتنادى على قوم قد جَيَّفوا؟ وكان إذا مر على قبور المسلمين ألقى عليهم السلام، فالقرآن نفى السمع عن الموتى وأثبته لهم نبيكم.. فما هذا التناقض؟

ج٢٦٠- هناك سماع حِسِّى بالأذن، وهذا يشترك فيه كل الناس.. المؤمن والكافر، وهناك سماع استجابة وهو معنوى، أى السماع الذى ينفعهم، كالذى يقول لولده: اذهب إلى مدرستك، ذاكر دروسك.. اعمل كذا وكذا، وحين لا يستجيب له الولد ماذا يقول له؟ يقول له: (اسمع الكلام). فهل هو غير سامع للكلام؟ إنه يسمع بأذنيه سمعا جيداً، ولكن سمعه هذا لا ينفعه، لأنه لا يستجيب لأوامر والده. وقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ} مَثَلٌ ضربه الله للمشركين بأنهم كالموتى الذين لا يمكنهم الاستجابة للرسول ﷺ مع أنهم يسمعون صوته، وذلك كقول الله عز وجل: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة:١٨] فهل كان الكافرون صماً بكماً عمياً بحواسهم؟ أم كانوا صماً عن سماع الحق، بكماً عن النطق به، عمياً عن رؤيته؟ وهذا يسمى فى اللغة تعبيراً مجازياً، وبهذا يتضح أنه لا

يوجد تناقض بين الآيات التى نفت السمع عن المشركين، وبين أحاديث رسول الله ﷺ التى أثبتته لهم، فحين وقف الرسول ﷺ على مدافن أهل القليب من المشركين وناداهم: يا أبا جهل يا وليد بن عتبة يا شيبة بن عتبة يا فلان يا فلان **"لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً"** فقال له سيدنا عمر ﷺ: أتنادى على قوم قد جيفوا؟ فقال له: **"ما أنت بأسمع منهم"** وفى رواية: **"ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أهم لا يستطيعون أن يردوا علىَّ شيئاً"** [صحيح مسلم] والآية الكريمة التى وردت فى السؤال فيها تشبيه للكفرة بالصُّم، وهنا قد يقول قائل: إن الصُّم لا يعوقهم الصَمَم عن الفهم، كما نشاهد فى عصرنا من يترجم للصُّم نشرة الأخبار أو أى برنامج بلغة الإشارة، ولكن انظر إلى الدقة فى التعبير {إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} أى أهم ليسوا صماً فقط، ولكنهم يولون مدبرين، فأنّى لهم الرؤية حتى يفهموا؟، والله أعلم.

س٢٦١- يقول القرآن: {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ} **[النمل:٨٩] وهذا يناقض قول نبيكم:** "خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله" **لأن من قال: لا إله إلا الله فسيجازى بخير منها.. إذن هناك خير من لا إله إلا الله.**

ج٢٦١- خير كلمة هى (لا إله إلا الله) كما قال الرسول ﷺ، والمسلم إذا قالها فسيجازى بخير منها، ولكن ليس معنى هذا أنه سيجازى بخير منها فى معناها، ولكنه سيجازى بأضعافها، فكلما قالها مرة كتبت له كأنما قالها عشراً أو أكثر، فيكون هذا خيراً منها. وهناك تفسير آخر قاله الشيخ الشعراوى رحمه الله: وهو أنه سيجازى بخير منها بمعنى أنه خيرٌ نابعٌ منها، أى أنها كانت سبباً فى الأعمال الصالحة والخير الكثير الذى سيجازى به يوم القيامة، وذلك كمن يقول: محمد خير من ربه، وهو لا يقصد أن سيدنا محمداً ﷺ أفضل من ربه (أى المساوية لأفعل التفضيل) ولكنه يقصد أن محمداً خير جاء من عند ربه، وذلك كما تقول - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لإنسان جاءك من عند الوزير ليخدمك: أنت خير من الوزير، فهل تقصد أنه أفضل منه أم أنك تقصد أنه خير جاء من عنده؟، والله أعلم.

س٢٦٢- يقول القرآن: {وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} **[الزخرف:٧٢] ثم يناقض محمد القرآن فيقول: "لن يُدخِل أحداً عملُه الجنةَ ولا أنا، إلا**

أن يتغمدنى الله بفضل رحمته" فهل تدخلون الجنة بعملكم كما قال قرآنكم، أم برحمة ربكم كما قال نبيكم؟

ج٢٦٢- إن الرسول ﷺ ينفى أن عملنا سيدخلنا الجنة، ولكن لابد أن نعمل بنص بقية الحديث، فهو يقول: **"لن يدخل أحداً عمله الجنة ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إما محسن فلعله يزداد خيراً، وإما مسيء فلعله أن يستعتب"** [صحيح الجامع:٥٢٢٢] فكيف نفهم هذا؟ لنضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - بعض الكليات منذ عدة سنوات - وربما إلى الآن - كانوا يجهزون للطلبة وجبة يومية مكونة من قطعة لحم، أو ربع دجاجة، ومعها خضار وفاكهة.. إلخ، وكانوا يأخذون من الطلبة ثمناً زهيداً لهذه الوجبة - وهو ما يُسَمَّى بالسعر الرمزى - فى حين أن هذه الوجبة تكلفت أضعافاً مضاعفة لهذا السعر، ولكن لو أن الطالب لم يدفع هذا القدر القليل من المال أكان يأخذ هذه الوجبة؟ لا- بل إن دفعه لهذا السعر الرمزى شرط لأخذها، فكذلك الجنة (مع الفارق العظيم طبعاً) لا يدخلها المؤمنون إلا إذا عملوا أعمال أهلها، وهذا هو المقصود بالآية الكريمة، وغيرها فى معناها كثير، أما حديث الرسول ﷺ فهو أيضاً حق، لأن أعمالنا مهما بلغت فلن تكفى حتى لشكر نعم الله علينا، فضلاً عن أن تدخلنا الجنة، والله أعلم.

س٢٦٣- يقول القرآن: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر:١٧] مع أن نبيكم يقول: "تعاهدوا القرآن، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصّياً من قلوب الرجال من الإبل من عُقُلِها" [صحيح الجامع:٢٩٥٦] فكيف يتيسر ثم يتفلت؟

ج٢٦٣- "تفصّيا" أى تفلتاً وخروجاً، وليس هناك تناقض بين الآية والحديث، فإن الله سبحانه وتعالى قد يسر القرآن للذكر، ولولا ذلك لَمَا فهمه أو حفظه أحد. ومن تيسيره أنك تجد الطفل الصغير الذى يبلغ من العمر سبع سنين أو أقل يحفظه عن ظهر قلب، ويحفظه الأمى وغير العربى عن طريق التلقّى، وفى المسابقة التى أجريَت عام ١٤٢٣هـ لحفظة القرآن الكريم بدولة الإمارات، لنيل جائزة (رأس الخيمة) تقدم طفل يبلغ من العمر سبع سنوات، يحفظ القرآن كاملاً، فى حين أنه لا يستطيع أن يتكلم بكلمة عربية واحدة! فهو الكتاب السماوى الوحيد الذى يتمكن الإنسان من حفظه كاملاً، بينما لا تجد أحداً

- كائناً من كان - يحفظ التوراة أو الإنجيل عن ظهر قلب، سواء كان حاخاماً أو قسيساً أو راهباً.. إلخ. ومن تيسير القرآن للذكر توحيد طريقة النطق به مهما كانت لغة القارئ أو جنسيته، فهل أحد منا يعرف جنسية القارئ أو لغته؟ فسواء كان القارئ مصرياً أو سعودياً أو سودانياً أو باكستانياً أو أوربياً.. إلخ، فإنك لا تعرف جنسيته أو لغته، لأن الجميع مرتبط بنفس الأحكام ومخارج الحروف وصفاتها، فى حين أنك لو سمعت أحداً يتلو شيئاً من التوراة أو الإنجيل تدرك أهو عربى أم أعجمى. أما كونه يتفلت فهذا لا ينافى تيسيره للذكر، فتيسيره للذكر يثبت تيسير دخوله إلى قلب الإنسان، وتفلته يثبت سهولة خروجه منه، وهذا فى حد ذاته نعمة، لأنه يضطرك لكثرة مراجعته وعدم تركه، فلو أنه لا يتفلت لَحَفِظَهُ الإنسان مرة واحدة ثم تركه، ولكن كثرة مراجعته تزيد الحسنات فتجعلها مثل الجبال، لأن قراءة كل حرف بعشر حسنات كما جاء فى حديث الرسول ﷺ: "**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول {الم} حرف، ولكن: ألفٌ حرف ولام حرف وميم حرف**" [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٦٤٦٩] وقال: "**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌ له أجران**" [صحيح مسلم] "الذى يتتعتع فيه" أى الذى يتعلمه ويجد مشقة فى تعلمه، فيكون له أجر التلاوة وأجر التعلُّم. ثم إن القرآن عزيز.. إن تركته تركك، فلابد من مراجعته ليثبت فى صدرك، ولابد من العمل به ليكون شاهداً لك لا عليك، ويكون فى ميزان حسناتك بدلاً من أن يكون فى ميزان سيئاتك، قال رسول الله ﷺ: "**أتيتُ ليلة أسْرِىَ بى على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرضت وفَت، فقلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به**" [صحيح الجامع:١٢٩]، والله أعلم.

س٢٦٤- يقول القرآن: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣] ثم ناقض نفسه فقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣] ويقول نبيكم: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا" [صحيح الجامع:٢٣٠٦] ما كل هذا التخبط والتناقض؟

ج٢٦٤- إن الإدراك غير النظر، فالله سبحانه وتعالى نَفَى الإدراك، وأثبت النظر للمؤمنين يوم القيامة، فالإدراك هو معرفة كُنْه الشيء، فإننا نرى القمر - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - ولكننا لا نعرف كنهه، لأن ذلك يستلزم معرفة حجمه ووزنه ودرجة حرارته ومادة تكوينه وطول قطره وسرعة دورانه.. إلخ. فالإدراك هو تقييم الشيء والإحاطة به إحاطة تامة، أما النظر إليه فهو يسير بما أمدنا الله به من حاسة البصر، وهناك أشياء خلقها الله عز وجل فى الدنيا ولكننا لا نستطيع رؤيتها، مثل الجن والكهرباء والإلكترونات.. إلخ، ونحن لا نستطيع أن نحيط بشيء من علم الله إلا بإذنه {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ} [البقرة: ٢٥٥] فكيف به سبحانه وتعالى؟ فكما قيل: كل ما خطر ببالِك فهو هالك، والله خلافُ ذلك.

ونحن نسألكم.. هل يُرَى الرب أم لا يُرَى؟ فقد قال كتابكم المقدس:

ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. (خروج٣٣: ١١) **لأنى نظرتُ الله وجهاً لوجه** (تكوين٣٢: ٣٠) ثم يقول: **وقال لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش.** (خروج٣٣: ٢٠) **الله لم يَرَهُ أحد قط** (يوحنا١: ١٨) **حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلّص.** (إشعياء٤٥: ١٥)، والله أعلم.

س٢٦٥- هناك تناقض واضح فى عدد خزنة النار، فيقول القرآن: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ٣٠] ويقول نبيكم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" [صحيح الجامع: ٨٠٠١]

ج٢٦٥- إن التسعة عشر الذين ذكروا فى سورة (المدثر) هم خزنتها، أما الذين ذكروا فى الحديث فهم الذين يجرونها إلى أرض المحشر، فهناك فرق بين من يحرس الشيء (كَبَنْك مثلاً) وبين من يَجُرّه، فالحراسة لا تحتاج لعدد كبير كالذى يحتاجه الجَرّ.

وقد جاء فى كتابكم المقدس تناقض بين عدد الملائكة الذين ذهبوا لسيدنا لوط على هيئة البشر، بعدما ذهبوا لسيدنا إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: **وانصرف الرجال من هناك وذهبوا إلى سدوم** (تكوين١٨: ٢٢) ومن يقرأ الإصحاح من أوله يعلم أنهم كانوا ثلاثة، ثم يقول: **فجاء الملاكان إلى سدوم** (تكوين١٩: ١)

وهناك تناقض آخر بين عدد الموَكّلين على أعمال سيدنا سليمان على نبينا وعليه

الصلاة والسلام:

هؤلاء رؤساء المُوَكَّلين على أعمال سليمان خمس مئة وخمسون الذين كانوا يتسلطون على الشعب العاملين العمل (الملوك الأول٩: ٢٣) **وهؤلاء رؤساء المُوَكَّلين الذين للملك سليمان مئتان وخمسون المتسلطون على الشعب.** (أخبار الأيام الثانى٨: ١٠)، والله أعلم.

س٢٦٦- يقول نبيكم: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه" [صحيح الجامع:٣٨٧] **فهل على بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وعمار بن ياسر ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، وكل من اشتركوا فى المعركة حينئذ كفار؟ كما أن الحديث يتناقض مع الآية التى تقول: {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا}** [الحجرات:٩] **فكيف يكونان مؤمنين ثم يدخلان النار؟**

ج٢٦٦- إن الرسول ﷺ قال: "المسلمان" أى فردين مسلمَين، ولم يقل: {طَآئِفَتَان} كما ورد فى الآية الكريمة، فالمفروض أنه لو حدث نزاع أو شِجار بين هذين المسلمَين أن يتحاكما إلى ولى أمر المسلمين، فليس الأمر فى الإسلام فوضى، يتقاتل الناس مع بعضهم دون الرجوع إلى وليِّهم، ولكن هناك نظام دولة يسير عليه الجميع، وهناك علماء وقُضاة يحكمون بين الناس. ولا يعنى هذا أنه لو حدث شجار بين مجموعة من المسلمين ومجموعة أخرى داخل دولة واحدة أنهم مؤمنون، لقد قال رسول الله ﷺ: **"لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه"** [صحيح الجامع:٧٢٧٧] فالمفروض أن يتحاكم الناس فرادى وجماعات إلى ولى الأمر أو العلماء أو القضاة، ولا يجعلوا من أنفسهم دولة داخل الدولة. أما قوله تعالى: **{طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ}** فينطبق على القتال الذى يدور بين دولتين منفصلتين، ولكل منهما حاكم منفصل عن الآخر (ولو كانا تحت إمْرَة الخليفة العام للمسلمين) وكل منهما لها فكر مختلف عن الآخر، وكل منهما تظن أنها على الحق، ولها من الحجج والبراهين ما يدفعها لقتال الطائفة الأخرى، فواجب المسلمين حينئذ أن يصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فليقاتلوها حتى ترجع إلى رشدها، وتكُفّ أذاها عن الطائفة الأخرى (كما

حدث بين العراق والكويت) فالحديث يتكلم عن أفراد داخل مجتمع واحد، والآية تعنى مجتمعين مختلفين، والله أعلم.

س٢٦٧- يقول القرآن إن جزاء الحسنة بعشر أمثالها: {مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام:١٦٠] ويناقض ذلك نبيكم، فيقول: "رأيتُ ليلةَ أُسْرِىَ بى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر، فقلت: يا جبريل! ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة" [سنن ابن ماجه]

ج٢٦٧- إن الحديث ليس بينه وبين الآية أى تناقض، فإن مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فهذا هو الحد الأدنى لمضاعفة الحسنات، أما فضل الله سبحانه وتعالى فلا حرج عليه، فهو الذى قال: {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٦١] وقال رسوله ﷺ: **"إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بَيَّن ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، فإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هَمَّ بها فعملها كتبها الله تعالى سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك"** [صحيح الجامع:١٧٩٦] فمن الآية الكريمة والحديث الشريف يتضح لنا أن الحسنات تُضاعف إلى سبعمائة أو أكثر، أما القرض فإن الله سبحانه وتعالى ذكر فى كتابه الكريم أنه يضاعف أجره، فقال: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:٢٤٥] وقال: {إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن:١٧] وقد قال الشيخ الشعراوى - رحمه الله - ما معناه: إن الإنسان إذا أقرض أخاه جنيهاً (مثلاً) فكأنه أقرضه عشرة جنيهات، وعندما يسترد هذا الجنيه فكأنما أقرضه تسعة جنيهات، فعندما تُضاعف (حسب الآية) تصبح هذه التسعة ثمانية عشر، ويضاعف الله لمن يشاء.

ونحن نسألكم.. كم كان مقدار فداء الإنسان من (شواقل القدس) حتى لا يحدث له وباء؟ أهو خمسة شواقل أم نصف شاقل؟ ثم إن (شاقل القدس) لم يكن على عهد سيدنا

موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولكنه جاء بعده بزمن طويل، لأنه لم يكن قد قام (مُلك القدس) بعد، و لم يكن قد جرى صك (شاقل القدس) فهذا من الأخطاء الجسيمة التي يجب إزالتها من الكتاب المقدس. وها هو التناقض نطرحه بين أيديكم لتردوا علينا:

وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل على شاقل القدس. هو عشرون جيرة. (عدد١٨: ١٦)

وكلم الرب موسى قائلاً إذا أخذت كمية بنى إسرائيل بحسب المعدودين منهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تعُدُّهم. لئلا يصير فيهم وبا عندما تعدهم. هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل بشاقل القدس. الشاقل هو عشرون جيرة. نصف الشاقل تقدمة للرب. (خروج٣٠: ١١-١٣) وحتى لا تقولوا إن الغنى يدفع خمسة شواقل والفقير يدفع نصف شاقل، نذكركم بهذا النَّص: **الغنى لا يكثر والفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدِمَة الرب للتكفير عن نفوسكم.** (خروج٣٠: ١٥) وأخيراً.. هل لكم أن تخبرونا ماذا سيفعل الرب بهذه الشواقل؟، والله أعلم.

س٢٦٨- أين عدل الإسلام فى تعذيب الميت ببكاء أهله؟ فقد قال نبيكم: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" [صحيح الجامع:١٩٧٠] وأين هذا من قول كتابكم: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}؟

ج٢٦٨- إن ما جاء فى الحديث الشريف ينطبق على من اشتهى هذا الأمر، فبعض الناس يعجبهم أن يحزن الناس عليهم، ويكون ذلك - ظناً منهم - دليلاً على محبتهم، لدرجة أن بعضهم يوصى أهله بالنواح عليه، وعمل السرادقات الفخمة، وإحضار كبار المقرئين، وكتابة النعى فى الجرائد.. إلخ. وكذلك من لم يوصِ أهله بعدم النياحة عليه فهو داخل فى هذا الوعيد، قال رسول الله ﷺ: **"ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"** [صحيح الجامع:٥٦١٤] ومن هذه الوصية أن نوصى أهلينا بعدم فعل أى شيء يغضب الله من بعدنا، فننهاهم عن لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة وغير ذلك، قال رسول الله ﷺ: **"أربع بقين فى أمتى من أمر الجاهلية**

ليسوا بتاركيها: الفخر بالأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من لهب النار" [صحيح الجامع:٨٧٥] وقال: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" [صحيح الجامع:٥٤٤١] وقال: "اثنتان فى الناس هما بهم كفر: الطعن فى النسب والنياحة على الميت" [صحيح مسلم] أما البكاء فلا حرج فيه، طالما أنه بغير سخط على قدر الله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: "ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" [صحيح الجامع:٢٦٤٧] .

وهذا على عكس ما جاء فى الكتاب المقدس الذى حرم مجرد البكاء على الميت، فقال: وكان إلىَّ كلام الرب قائلاً يا ابن آدم هاأنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة فلا تَنُح ولا تبكِ ولا تنزل دموعك. تَنَهَّد ساكناً. لا تعمل مناحة على أموات. (حزقيال٢٤: ١٥-١٧) راحيل تبكى على أولادها وتأبَى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين. هكذا قال الرب. امنعى صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع لأنه يوجد جزاء لعملك يقول الرب. (إرمياء٣١: ١٥-١٦)

وكيف تشفقون على الميت أن يعذب ببكاء أهله عليه، وقد جاء فى كتابكم المقدس أن الخطيئة تورَّث لعاشر جيل؟ واقرأوا إن شئتم: لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب. لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد. (تثنية٢٣: ٢-٣)، والله أعلم.

س٢٦٩- لقد قال نبيكم لمن سأله عن مصير أبيه الذى مات قبل بعثته: "أبى وأبوك فى النار" وعندما سئِل عن الوائدة قال: "الوائدة والموءودة فى النار" [سنن أبى داود، مسند أحمد، صحيح الجامع:٧١٤٢] فما ذنب الموءودة؟ وما ذنب المشركين الذين كانوا قبل بعثته حتى يدخلوا النار؟ وما ذنب من لم تصله الدعوة، سواء فى زمننا هذا أو قبله أو بعده؟ ثم إن هذا يتناقض مع الآية: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء:١٥]

ج٢٦٩- إن قول الرسول ﷺ: "أبى وأبوك فى النار" للرجل الذى سأله عن أبيه الذى

مات فى الجاهلية، كان غالباً قبل نزول هذه الآية الكريمة، فظن الرسول ﷺ (والله أعلم) أن كل من مات مشركاً فهو فى النار، حتى ولو قبل الرسالة. أما الآية فهى توضح أن أهل الفترة (أى الفترة بين رسولين) لا يعذبون بسبب كفرهم، لأنه لم يُبعَث إليهم رسول، كحال المشركين قبل بعثة الرسول ﷺ أما مآلهم يوم القيامة ومآل غيرهم ممن لم تصله الدعوة فى زمننا أو قبله أو بعده فقد وضحه حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه: **"أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصَم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هَرِم، ورجل مات فى فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، والصبيان يحذفوننى بالبعر، وأما الْهَرِم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذى مات فى الفترة فيقول: رب ما أتانى لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سُحِبَ إليها"** [صحيح الجامع:٨٨١]

أما قوله ﷺ: "الوائدة والموءودة فى النار" فقد جاء فى كتاب (عَوْن المعبود) إن (الموءودة) معناها (الموءودة لها) أى الأم التى رضيت بهذا الفعل، ولكن حُذفَت الصِّلَة. وجاء فى (السراج المنير) ما معناه إن سبب هذا الحديث أن النبى ﷺ سُئِلَ عن امرأة وأدت بنتاً لها، فقال قولته تلك، فلا يجوز الحكم على أطفال الكفار بأن يكونوا من أهل النار بهذا الحديث، لأن هذه الواقعة عَيْن فى شخص مُعيَّن. ومعنى هذا أن الرسول ﷺ قال هذا لعلمه بأن هذه البنت إذا كبرت فستكون كافرة، وذلك من العلم الذى علّمَهُ الله إيّاه دون سواه، كما علّم الله الخَضِر أن الولد الذى قتله لو كَبُرَ فسيكون كافراً {وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا} [الكهف:٨٠]، والله أعلم.

س٢٧٠- إن القرآن يكذب نبيكم فى شفاعته لكم، واقرءوا إن شئتم: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ} [الانفطار:١٩]

ج٢٧٠- إن هذه الآية عامة فى أن الأمر بيد الله وحده لا ينازعه فيه منازع، ولكنها مقيَّدة فى آيات أخرى بمشيئة الله جل وعلا، كقوله تعالى: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} [البقرة:٢٥٢] و{مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ} [يونس:٣] و{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ} [الأنبياء:٢٨] و{لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا} [مريم:٨٧]

فكل هذه الآيات تثبت الشفاعة، ولكنها تقيدها بإذن الله سبحانه وتعالى، والشفاعة ليست قاصرة على الرسول ﷺ فحسب، بل هى أيضاً لعباد الله الصالحين من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وللشهداء وغيرهم من المؤمنين، المهم أنها لا تتم إلا بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: **"شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"** [صحيح الجامع:٣٧١٤] وقال: **"من صلى علىَّ حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٦٣٥٧] وقال: **"للشهيد عند الله سبع خصال: يُغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حُلَّة الإيمان، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع فى سبعين إنساناً من أهل بيته"** [صحيح الجامع:٥١٨٢] وغير ذلك من الأحاديث التى تثبت الشفاعة له ﷺ وللمؤمنين، أما الشفاعة العظمى فهى للرسول ﷺ دون غيره من الأنبياء، كما جاء فى الرد على الشبهة رقم (٥٠)، والله أعلم.

س٢٧١- مرة أخرى يتصادم القرآن مع كلام نبيكم، فمحمد يحرم ما أحله القرآن، فقد أحلَّ القرآن صناعة التماثيل، بدليل قوله: {يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ} [سبأ:١٣] بينما يقول محمد: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" [صحيح الجامع:٩٩٩] ونحن نسأل: هل صناعة التماثيل حلال كما يقول القرآن؟ أم هى حرام كما يقول محمد؟

ج٢٧١- إن صناعة التماثيل كانت حلالاً فى شريعة سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وشريعة غيرنا ليست مُلزِمَة لنا إلا ما وافق شرعنا. فمثلاً: كان السجود للبشر غير محرم فى شريعة سيدنا يعقوب. وسيدنا يوسف على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، كما أخبرنا الله عنهما: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا} [يوسف:١٠٠] أما نحن فلا نسجد إلا لله سبحانه وتعالى، وقد سجد رجل لرسول الله ﷺ لما رأى الأعاجم يسجدون لملوكهم، فنهاه الرسول ﷺ وقال له: **"لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"** [صحيح الجامع:٥٢٩٤] فشريعتنا ناسخة لكل ما يخالفها من الشرائع الأخرى {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٨] وقد أمرنا ربنا تبارك وتعالى بطاعة نبينا ﷺ {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟} [الحشر:٧] فطالما أن الرسول ﷺ حرم التماثيل، فما علينا إلا الامتثال لأمره، وفى هذا امتثال لأمر الله جل وعلا، فهو سبحانه الذى قال: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء:٨٠] وليس كتابنا وحده الذى نسخ بعض ما قبله، بل حدث مثل هذا فى الإنجيل الذى نسخ بعض ما جاء فى التوراة، كما قال سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لليهود: {وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [آل عمران:٥٠] لأن الله حرم عليهم بعض النعم بظلمهم {فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء:١٦٠] وهم إلى الآن لا يأكلون بعض الذبائح التى أحلها الله لنا، فلا يأكلون (مثلاً) الإبل والبط والأوز والأرنب وغير ذلك مما حرمه الله عليهم جزاء ظلمهم. والقارئ للكتاب المقدس يجد الكثير من الأشياء التى نُسِخَت، وقد أشرنا إلى بعضها فى الرد على الشبهة رقم (٣١) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س٢٧٢- لقد حرم نبيكم ما أحله الله بنص القرآن، وهذا من الكبائر كما تقولون، واقرأوا إن شئتم: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ} [التحريم:١]

ج٢٧٢- إن هذا لصالح نبينا ﷺ وليس ضده، فإنه لم يحرم ما أحله الله بالمعنى المفهوم، ولكنه كان يذهب إلى السيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - فيأكل عندها عسلاً، فغارت منها السيدة عائشة والسيدة حفصة - رضى الله عنهما - فاتفقتا على أن تقولا له حين يقترب من إحداهما: ما هذه الرائحة يا رسول الله؟ أَكَلْتَ مغافير؟ (وهو ما نسميه الصمغ) فيجيبهم بأنه قد شرب عسلاً، فلما أعادا عليه القول أقسم على نفسه ألا يأكل العسل مرة أخرى خشية أن تكون رائحته مثل رائحة المغافير، وقد كان معروفاً بقبح رائحته، والرسول ﷺ يناجى ربه، ولا يريد أن يناجيه وفمه متغير الرائحة، فهو الذى كان يكثر من السواك ويأمر به، وهو الذى كان لا يأكل البصل والثوم نيِّين، ولا يأكل الفجل والجرجير والكُرّاث، وكان يكثر من التطهر والتطيّب، فهو ﷺ أطهر وأنظف خلق الله وأطيبهم ريحاً، إذن فعزمه على ألا يأكله هو زيادة فى التقرب إلى ربه جل وعلا، لأنه قد حَرَم نفسه من الشيء الذى يحبه، ولكنه لم يقل إنه حرام كما ظن السائل، وعتاب الله

له لم يكن عتاب غضب عليه، ولكنه كان عتاب رحمة به، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أنك رأيت ولدك يجتهد فى المذاكرة اجتهاداً شديداً، ويسهر الليالى حتى تحمر عيناه، ويحرم نفسه من أشياء كثيرة من أجلها، لأشفقت عليه وقلت له: (ما كل هذا التعب يا بنى؟ هَوِّن على نفسك، ولا تَشُق عليها)، فهل هذا عتاب غضب أم عتاب رحمة؟ فالله سبحانه وتعالى لم يغضب لتحريم الرسول ﷺ على نفسه العسل، ولكنه أشفق عليه، والله أعلم.

س٢٧٣- موضوع الحلف عندكم غامض، وغير محدد الملامح، وفيه تلاعب، فالقرآن يقول: {لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة:٢٢٥] ثم يأتى نبيكم فيقول: "من أكبر الكبائر الشرك بالله واليمين الغموس" [صحيح الجامع:٥٩٠٠]

ج٢٧٣- هناك نوع من اليمين يعفو الله عنه، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى بعباده، وهو ما ورد ذكره فى الآية السابقة، وهو يمين بغير نية صادقة ولا عزم ولا تأكيد، كمن يقابل صديقه فى الطريق ويطلب منه أن يذهب معه إلى بيته، ويقول له: تعالَ والله، فيرد عليه: لا والله لا أستطيع، أو كمن يحلف على ضيفه أن يأكل، أو من يقول لولده فى لحظة غضب: والله لأقتلنك، والله لأقطّعنك.. وهكذا. أمّا اليمين المنعقدة، أى التى يُصِرّ صاحبها على فعل ما أقسم عليه، فهى التى يُؤاخذ عليها، كأن يحلف بالله أن يفعل شيئاً أو ألا يفعله، فإن حنث فى يمينه (أى فعل غير ما أقسم عليه) فليُكَفّر عن يمينه بإحدى الكفارات التى وردت فى سورة (المائدة) أما "اليمين الغموس" الذى ورد فى الحديث الشريف، فهو الحَلِف بالكذب المتعمَّد، أى أن صاحبه يقسم بالله على شىء وهو يعلم تماماً أنه كذب، فهذا الحلف يغمس صاحبه فى الإثم ثم يغمسه فى النار، إلا أن يتوب منه توبة نصوحاً، وهو من الكبائر كما قال رسول الله ﷺ. وبهذا يتضح لنا أن الأيمان ثلاثة أنواع: لغو ومنعقدة وغموس، فاليمين اللغو والمنعقدة تكونان على فعل شىء أو تركه (أى أنه لم يحدث بعد) أما الغموس فهو على شىء مضى، أما إذا أقسم الإنسان على شىء ناسياً، ثم تبين له خطؤه، فهذا لا يؤاخذ عليه، ولا يعتبر يميناً غموساً، لقول رسول الله ﷺ: "**إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه**" [صحيح الجامع:١٧٣١]

وقد أحل لكم معبودكم الحلف بغير الله، ثم حرمه على الإطلاق، فقد قال فى كتابكم المقدس: **فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه.** (متى٢٣: ٢٠-٢٢) ثم قال: **أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أَوْفِ للرب أقسامك. وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتَّة.** (متى٥: ٢٣-٢٤)، والله أعلم.

س٢٧٤- يقول نبيكم: "إنكم سترون ربكم" [صحيح الجامع:٢٣٠٦] ولكن القرآن ينفى عن موسى النبى العظيم رؤية الله {قَالَ لَن تَرَىٰنِي} [الأعراف:١٤٣] فهل أنتم يا مسلمون أفضل من موسى؟

ج٢٧٤- لا أحد من المسلمين يزعم أنه خير من موسى بن عمران على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، والمسلمون جميعاً يعلمون أن المقصود بهذا الحديث هو رؤية الله سبحانه وتعالى فى الجنة وليست فى الدنيا، لأن رؤية الله عز وجل فى الدنيا مستحيلة حتى للأنبياء، لأننا غير مؤهَّلين ببِنْيَتنا الجسدية الحالية لرؤيته سبحانه وتعالى، أما فى الآخرة فسيجعلنا نتحمل هذه الرؤية ونتنعم بها، حيث أنه سيُنْشِئُنا نشأة أخرى، والله أعلم.

س٢٧٥- لقد أثبت القرآن أن نبيكم حاول الانتحار، فقال: {فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف:٦] وقال: {لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:٣] والغريب أنه يحرم الانتحار كما جاء فى حديثه عن الله: "عبدى بادرنى بنفسه حرمت عليه الجنة" [صحيح الجامع:٢٠٨٢]

ج٢٧٥- إن السائل قد فهم الآيتين فهماً خاطئاً، فإن الرسول ﷺ لم يحاول الانتحار، ولكنه كان مغموماً أشد الغم، وحزيناً أشد الحزن على عدم إيمانهم لحرصه عليهم، حتى كاد غمه وحزنه أن يقتله، فخفف الله عنه بهاتين الآيتين، وكأنه يقول له: هون عليك يا محمد، فإن حزنك عليهم سيقتلك، والأمر ليس بيدك {فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ} [فاطر:٨] ولِمَ لا يحزن عليهم وهو الذى أرسله ربه {رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ} وقال عنه: {بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨]؟ فليس غريباً عليه أن يكون بمثل هذه الرحمة والشفقة، وخصوصاً أنه رأى النار على حقيقتها فى ليلة المعراج، فازداد وُجده عليهم، فقد رأى بعينيه مصيرهم لو ماتوا على ذلك، كما ثبت عنه أنه دعا

أبا جهل للإسلام أكثر من مائة مرة، وأنه تخشّع لعمه أبي طالب يقول له: "**يا عمِّ قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**" [متفق عليه] والحديث عن رحمته ﷺ لا ينتهى، فليس غريباً على صاحب هذه الرحمة العظيمة أن يكون حزنه عليهم عظيماً، حتى كاد حزنه أن يقتله. وليس أدَلّ على شدة حرصه على هداية قومه مما نعرفه من سيرته المطهرة من احتمال الأذى والضرب والسب، كما حدث عندما ذهب إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فأغروا به سفهاءهم وغلمانهم، فضربوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، فأرسل الله إليه جبريل عليه السلام كما جاء ذلك فى حديثه ﷺ مع السيدة عائشة رضى الله عنها: "**لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادانى فقال: إن الله قد سمع كلام قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال يا محمد! فقال ذلك فما شئت إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبَيْن، قلت: بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**" [صحيح الجامع:٥١٤١]، والله أعلم.

س٢٧٦- إن القرآن ينص على أن محمداً لم يكن أباً لأحد من الرجال، فيقول: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} [الأحزاب:٤٠] ولكن السيرة تقطع بأنه أنجب ثلاثة ذكور.

ج٢٧٦- إن هذه الآية نزلت لتنفى أبوة الرسول ﷺ لسيدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه أو غيره، ثم إنها صحيحة من وجه آخر، وهو أن هؤلاء الذكور الذين أنجبهم الرسول ﷺ لم يبلغ أحد منهم الحُلُم، فقد ماتوا جميعاً وهم أطفال، أى أنه لم يصل أحد منهم إلى سن الرجولة، ولو كان الله سبحانه وتعالى قال (ما كان محمد أبا أحد من أطفالكم) أو (أولادكم) لكان حجة لكم، والله أعلم.

س٢٧٧- يزعم القرآن أن كل ما ينطق به نبيكم إنما هو من الوحى، فيقول: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ} [النجم:٣-٤] فى حين أنه مر على قوم

يلقّحون النخل فقال لهم: "لو لم تفعلوا لصَلُحَ" فخرج شيصاً، أى جافاً لا يصلح للطعام.

ج٢٧٧- إن هذه الآية الكريمة تنطبق على الأمور الشرعية وليست على الأمور الدنيوية، فهل يُعقل أن كل كلمة ينطقها الرسول ﷺ تكون وحياً ويحرم عليه نطق غيرها؟ إن هذا لفهم قاصر، وهل قوله ﷺ: **"وارأساه"** حين شعر بالصداع كان وحياً؟ وهل ملاطفته لزوجاته - رضى الله عنهن - كما كان يقول للسيدة عائشة: **"يا عائش"** كانت وحياً؟ وهل لو قال على سبيل المثال: أنا جائع أو أنا عطشان تكون وحياً؟ إن الرسول ﷺ حين مر على هؤلاء القوم ووجدهم يلقحون النخل فقال لهم مقالته تلك، كان ذلك بمجرد رأى شخصى وليس وحياً، بدليل أنه قال لهم بعدها: **"إذا كان شيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم به وإذا كان شيء من أمر دينكم فإليّ"** [صحيح الجامع:٧٦٧] .

أمّا عندكم فالأمر أشد، لأنكم تزعمون أن المسيح هو الله أو ابن الله، فى حين أنه لا يعلم متى تُخرِجُ شجرة التين ثمرها: **وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً. لأنه لم يكن وقت التين.** (مرقس١١: ١٢-١٣) ونلاحظ أنه لم يعلم بحالها إلا بعد أن اقترب منها، فهل هذا علم الإله عندكم؟، والله أعلم.

س٢٧٨- إن نبيكم كان يباشر زوجاته أثناء الحيض، مع أن هذا يتعارض مع قول كتابكم: {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ} [البقرة:٢٢٢] وكان يقرأ القرآن فى حجر عائشة وهى حائض.

ج٢٧٨- ورد فى الصحيحين من حديث ميمونة بنت الحارث الهلالية - رضى الله عنها - قالت: كان النبى ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتّزرت وهى حائض. و لها عن عائشة نحوه. وروى الإمام أحمد وأبو داوود والترمذى وابن ماجة عن عبد الله بن سعد الأنصارى رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يحل لى من امرأتى وهى حائض؟ فقال: **"ما فوق الإزار"** وروى ابن جرير أن مسروقاً ذهب إلى عائشة - رضى الله عنها - فقال: السلام على النبى وعلى أهله، فقالت عائشة: مرحباً مرحباً، فأذنوا له فدخل، فقال: إنى أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحى، فقالت: إنما أنا أمك وأنت ابنى،

فقال: ما للرجل من امرأته وهى حائض؟ فقالت له: كل شىء إلا الجماع، وفى رواية: ما فوق الإزار.

لقد فهم أعداء الإسلام أن المباشرة هى الجماع، مع أن هذا فيه مغالطة كبيرة، إذ كيف يتم الجماع مع الاتزار؟ إن المباشرة المنهى عنها فى الآية الكريمة هى الجماع، أما ما دون ذلك فهو حلال بالإجماع. أما قراءته القرآن فى حجر السيدة عائشة - رضى الله عنها - فقد روى البخارى عن عائشة أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يأمرنى فأغسل رأسه وأنا حائض، وكان يتكىء فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن) فأى عيب فى هذا؟ لقد كان الأولى أن يُعَد هذا من الفضائل بدلاً من جعله من الرذائل.

إن المرأة فى الإسلام مُكرَّمَة لا ينجسها حيضها ولا نفاسها لعموم قول الرسول ﷺ: **"إن المؤمن لا ينجس"** [صحيح الجامع:١٩٣٣] بعكس ما جاء فى الكتاب المقدس من اعتبار الحائض والمستحاضة نجسة هى وكل ما تلمسه أو يلمسها، بدليل قوله: **وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه فى طمثها يكون نجساً وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً الى المساء. وإن كان على الفراش أو المتاع الذى هى جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً الى المساء. وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً. وإذا كانت امرأة يسيل دمها أياماً كثيرة فى غير وقت طمثها أو إذا سال بعد طمثها فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما فى أيام طمثها. إنها نجسة. كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها. وكل الأمتعة التى تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها. وكل من مسهن يكون نجساً فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً الى المساء** (لاويين١٥: ١٩-٢٧) وقد ذكرنا أن الحائض عندهم مذنبة، ولابد أن تكفر عن خطيئتها فى الرد على الشبهة رقم (٧١)

ونود هاهنا أن نذكّر الذين يعيبون على نبينا ﷺ مباشرته لزوجاته - رضى الله عنهن - أثناء الحيض بما جاء فى كتابهم المقدس عن نبى الله داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام

- وهو منه بَراء: وشاخ الملك داود. تقدم فى الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها (الملوك الأول١: ١-٤)، فهل التدفئة لا تتم إلا باحتضان الفتيات الجميلات المحرَّمات؟ والله أعلم.

س٢٧٩- لقد قاتل نبيكم فى الشهر الحرام رغم نهى القرآن عن ذلك فى قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٧]

ج٢٧٩- إن المسلمين جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ﷺ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها، واعتبار القتال فيها حدثًا كبيراً، وكأنه كبيرة من الكبائر. ولكن ماذا يفعل المسلمون إذا ما وُوجِهُوا من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض؟ بل ماذا يفعلون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وأوْلى الناس به؟ إن قانون (الدفع الحضارى) الذى يقرّه القرآن الكريم لحماية الأرض من الفساد، ثم لحماية بيوت العبادة سواء كانت للمسلمين أو اليهود أو النصارى، والذى عبر عنه القرآن بقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] هذا القانون هو الذى يحمى الأرض والناس - بأمر الله - من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين، وليس قانون (من ضربك على خدك الأيمن فأدرْ له خدك الأيسر) وذلك على أساس أن من يمكّن الله لهم فى الأرض - بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم - يجب أن يكونوا صالحين ومصلحين. بمعنى ألا يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم فى الطغيان والظلم والإفساد وإيثار ملذاتهم وشهواتهم، ولكن فى إقامة شرع الله، ورفع الظلم عن المظلومين، وإشاعة الحق والعدل بين العالمين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] ولأن إقرار حقوق عباد الله فى أرضه، وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم، فقد أبيح

القتال فيها لمن ظُلموا من المسلمين، ومن فُتنوا فى دينهم وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدواناً، وهذا ما تقرره الآية الكريمة التى ذكرت فى السؤال: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟}، والله أعلم.

س٢٨٠- يزعم القرآن أن الأنصار كانوا مثلاً أعلى يُحتَذَى، فيقول: {وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر:٩] إذن فلماذا انقلبوا على نبيهم فى تقسيم غنائم حُنَيْن؟

ج٢٨٠- إن الأنصار ﷺ لم ينقلبوا على نبيهم ﷺ طرفة عين، وللإجابة على هذا السؤال لابد أن نعرف مُلابسات الغزوة. إن سياسة الرسول ﷺ فى تقسيم الغنائم لم تُفهَم فى أول الأمر، فقد مكث بالْجُعْرانة بضع عشرة ليلة لا يقسمها، لعل أهل هوازن يأتون إليه تائبين فيحرزوا ما فقدوا، ولكن لم يأته أحد منهم، فبدأ بقسمة المال ليرضى المتطلّعين من رؤساء القبائل وأشراف مكة، فكان المؤلفة قلوبهم أول من أعطى، وحظوا بالأنصبة الكبيرة، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال: (وابنى يزيد) فأعطاه مثلها، فقال: (وابنى معاوية) فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة (كذا فى الشفاء للقاضى عِياض) وأعطى الحارث بن كِلدة مائة من الإبل، وكذا أعطى رجالاً من رؤساء قريش وغيرها مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين وأربعين، حتى شاع فى الناس أن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، فازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه، فقال: **"يا أيها الناس! ردوا علىَّ ردائى، فوالله لو أن لى بعدد شجر تِهامة نَعَماً لقسمته عليكم ثم لا تلقَوْنى بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً، يا أيها الناس! ليس لى من هذا الفَىْء شىء ولا هذه الوبرة إلا الْخُمْس والخمس مردود فيكم، فأدُّوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٧٨٨٣] وبعد إعطاء المؤلفة قلوبهم أمر الرسول ﷺ زيد

بن ثابت ﷺ بإحضار الغنائم ثم فرقها عليهم، وكانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة، فإن البشر يحتاجون إلى فنون من الإغراء حتى تستأنس بالإيمان قلوبهم، وهناك أقوام كثيرون يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، ولم يكن الأنصار ﷺ يعلمون نيته ﷺ فعتبوا عليه لأنهم حُرِمُوا جميعاً من هذه المغانم، وهم الذين نودوا وقت الشدة بعدما تفرق عنه الناس، فطاروا يقاتلون معه ﷺ حتى تبدل الفرار فى الغزوة انتصاراً بإذن الله، وهاهم يرون أيدى الفارّين مَلأى، وأيديهم خاوية.

وإليكم ما جاء فى مسند الإمام أحمد رحمه الله: عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منها شيء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم (أى غضبوا) حتى كثرت فيهم القالَة، حتى قال قائلهم: لقى رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله.. إن هذا الحى قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت، قسَمْتَ فى قومك وأعطيت عطايا فى قبائل العرب، ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار شيء، قال: "فأين أنت من ذلك يا سعد؟" قال يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومى وما أنا، قال: "فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة" قال: فخرج سعد فجمع الناس فى تلك الحظيرة، قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون، فلما احتمعوا أتاه سعد فقال: قد احتمع لك هذا الحى من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له ثم قال: "يا معشر الأنصار مَقالةٌ بلغتنى عنكم وَجْدَةٌ وجدتموها فى أنفسكم، ألم آتِكُم ضُلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟" قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ وأفضلُ، قال: "ألا تجيبونى؟" قالوا: وبما نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنُّ والفضل؟ قال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتُم وصُدِّقْتُم: أتيتَنا مكذوباً فصدَّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فأغنيناك، أوجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لُعَاعَة من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسلِموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ فى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شِعباً وسَلَكَت الأنصار شِعباً لسلكتُ

شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار" قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله قِسْماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا.

يتضح مما سبق أن الأنصار ﷺ لم يتطاولوا على رسول الله ﷺ ولم يسيئوا معه الأدب، ولكن غاية ما ظنوه وقالوه إنه لقى قومه بعد فراق دام لعدة سنوات فأكرمهم بالعطايا، ولم يزيدوا على ذلك، فهم والمهاجرون خِيرَة خلق الله بعد نبيهم ﷺ، فرضى الله عنهم وأرضاهم.

وقد جاء فى الكتاب المقدس عن تلاميذ المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما هو أشد بكثير من اعتراض الصحابة ﷺ على قِسْمَة نبيهم ﷺ، فقد انتهره بطرس (وهو أكبر تلاميذه) واستكثروا عليه الطِّيب الغالى، وأسلَمَه أحدهم (على حد قولهم) لليهود ليقتلوه، وكان أحدهم سارقاً، وحدثت مشاجرة بين برنابا وبولس:

فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره (متى١٦: ٢٢)

وفيما كان يسوع فى بيت عنِيا فى بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طِيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ. فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الإتلاف. لأنه كان يمكن أن يُباع هذا الطيب بكثير ويُعطى للفقراء. فعلم يسوع وقال لهم لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بى عملاً حسناً. لأن الفقراء معكم فى كل حين. وأما أنا فلستُ معكم فى كل حين. (متى٢٦: ٦-١١)

وكان يهوذا مُسَلِّمُهُ يعرف الموضع . لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه. فأخذ يهوذا الْجُنْد وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. (يوحنا١٨: ٢-٣) رغم أن (يهوذا) كان من الاثنى عشر رسولاً الذين اختارهم المسيح ليكونوا وكلاء عنه فى تبليغ دعوته. وقد كان لِصّاً كما يتضح من النَّص التالى:

ثم قبل الفِصْح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا... فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمَى يسوع ومسحت قدميه بشعرها. فامتلأ البيت من رائحة الطيب. فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطى الْمُزْمِعُ أن

يُسَلِّمَهُ لماذا لم يُبَع هذا الطِّيب بثلاثمئة دينار ويُعطَ للفقراء. قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلْقَى فيه. (يوحنا١٢: ١-٦)

ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذى يُدعَى مرقس. وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر. (أعمال الرسل١٥: ٣٦-٣٩)، والله أعلم.

س٢٨١- كيف تقولون إن رسولكم أصيب بالسحر رغم أن القرآن قال له: {وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ} [المائدة:٦٧] ؟

ج٢٨١- إن الله سبحانه وتعالى يبتلى أنبياءه ورسله - عليهم الصلاة والسلام - بما يشاء من البلاء، فيزداد بذلك أجرهم، وترتفع درجاتهم، ومن ذلك ابتلاؤهم بتكذيب أقوامهم لهم، وإيذاؤهم لهم ولأتباعهم، كما ابتلى بعضهم بالمرض (كسيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام) ومن الابتلاء الذى وقع على الرسول ﷺ ما أصابه من ذلك السحر، روى البخارى فى صحيحه عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن رجلاً من (بنى زريق) يقال له (لبيد بن الأعصم) سحر رسول الله ﷺ حتى كان رسول الله يُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله.

إن الرسول ﷺ بشر كسائر البشر {قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ} [الكهف:١١٠] فيجوز أن يصيبه ما يصيبهم من الأوجاع والأمراض، وَتَعَدِّى الخَلْق عليه، وظلمهم إياه كسائر البشر، إلى غير ذلك مما يتعلق بأمور الدنيا التى لم يُبعَث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فإنه ﷺ لم يُعصَم من هذه الأمور، وقد كان ﷺ يصيبه ما يصيب الرسل من أنواع البلاء، كما حدث فى غزوة أحد وغيرها، فغير بعيد أن يصاب بمرض أو اعتداء أحد عليه بسحر ونحوه، يخيَّل إليه بسببه فى أمور الدنيا ما لا حقيقة له، كأن يخيل إليه أنه وَطِئ زوجاته وهو لم يطأهن. إن السحر مرض من الأمراض، وعارِض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته، وحدث أنه جاء للرسول ﷺ أحد

الصحابه ﷺ يعوده فى مرضه قائلاً له: إنك توعك يا رسول الله، فقال: "**إنى أُوعَكُ كما يُوعَكُ رجلان منكم**" [صحيح الجامع:٢٤٥٥] إلا أن الإصابة بالمرض أو السحر لا يتجاوز ذلك إلى تلقّى الوحى عن الله سبحانه وتعالى، ولا إلى البلاغ عن ربه إلى الناس، لقيام الأدلة من الكتاب والسنَّة وإجماع سلف الأمة على عصمته ﷺ فى تلقى الوحى وإبلاغه وسائر ما يتعلق بشئون الدين. ولقد ظن البعض أن ما أصاب الرسول ﷺ من السحر هو نقص وعيب، وليس الأمر كما يظنون، لأن ما وقع له هو من جنس ما كان يعتريه من الأعراض البشرية، كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – يعتريهم من ذلك ما يعترى البشر، كما قال الله سبحانه وتعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ} [إبراهيم:١١] ولا شك أن إصابة الشيطان للعبد الصالح فى بدنه لا ينفيه القرآن، وقد جاء فيه ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك ما دل عليه دعاء سيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام {أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} [ص:٤١] ومعلوم أن سيدنا موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – كان من أولى العزم من الرسل، وقد خُيِّلَ إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ} [طه:٦٦] فهذا التخيل الذى وقع لسيدنا موسى يطابق التخيل الذى وقع للرسول ﷺ إلا أن تأثير السحر – كما ذكرنا – لا يمكن أن يصل إلى حد الإخلال فى تلقى الوحى والعمل به وتبليغه للناس، لأن النصوص قد دلت على عصمة الرسل من ذلك.

إن فى قصة سحر النبى ﷺ الكثير من أدلة نبوته طبقاً للآتى:

أولاً: كيف عرف النبى ﷺ أن الذى سحره هو (لبيد بن الأعصم) وأن السحر موجود فى مكان كذا وكذا لو لم يكن نبياً؟، فالنبى ﷺ هو الذى أرسل أصحابه ﷺ ليستخرجوا السحر من المكان الذى وُضِعَ فيه، ولكن السائل تعمد ألا يذكر قصة إخبار الملائكة للنبى ﷺ بموضع ومكان السحر.

ثانياً: لقد فك الرسول ﷺ السحر بقراءة المعوذتين، وهذا دليل على أن المعوذتين كلام الله عز وجل وأن محمداً نبى مُوحىً إليه.

ثالثاً: هذه القصة دليل على كذب المستشرقين الذين قالوا: إن السنَّة النبوية قد وضعها

أصحاب محمد ليثبتوا أنه نبى، وأنه كامل فى كل صفاته، فلو كان كلامهم صحيحاً لكان هذا الحديث أول شيء يحذفونه من السنة لأنه يُنْقِص من قدر النبى ﷺ - على حد زعمهم - غير أنه فى الحقيقة يدل على نبوته ﷺ كما ذكرنا.

والآن نريد أن نسألكم: إذا كنتم تعتقدون أن ما أصاب النبى ﷺ على أيدى اليهود من السحر قَدْح فى نبوته وطعن فى رسالته، فهل يعنى ذلك أنكم أسقطتم نبوة أنبيائكم الذين اتهمهم كتابكم المقدس بالكفر والزنى وشرب الخمر، كما ذكرنا ذلك فى أكثر من موضع؟ وهل ما جاء فى كتابكم المقدس من أن الشيطان تَسَلَّط أربعين يوماً (بزعمكم) على المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قد أسقط نبوَّته؟ إنكم لم تسقطوا نبوَّته فحسب، بل زعمتم أنه الله أو ابن الله، فهل الله سبحانه وتعالى فى حاجة إلى أن يُجَرَّب، من إبليس أو غيره؟

ثم أُصعِدَ يسوع إلى البرية من الروح ليُجرَّب من إبليس. فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً... ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوْقَفَه على جناح الهيكل... ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراهُ جميع ممالك العالم ومجدها (متى٤: ١-٨)

وكان هناك فى البرية أربعين يوماً يُجرَّب من الشيطان. (مرقس١: ١٣)

ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين (لوقا٤: ١٣)، والله أعلم.

س٢٨٢- إن نبيكم كان فظاً غليظاً، كما جاء ذلك فى قول النساء لعمر بن الخطاب: (أنت أفَظّ وأغلظ من رسول الله) مع أن هذا يتعارض مع القرآن الذى قال: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:١٥٩]

ج٢٨٢- إن رسول الله ﷺ هو ألْيَن الناس، وأرفق الناس، وأرحم الناس، ولكن ما حدث هو ما جاء فى (صحيح البخارى) عن محمد بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه - رضى الله عنهما - قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلّمنه، ويستكثرنَه، عالية أصواتهن، فلما استاذن عمر قُمْنَ يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسول الله! قال: "**عجبتُ**

من هؤلاء اللاتى كُنَّ عندى، فلما سَمِعْن صوتك ابتدرن الحجاب" قال عمر: يا رسول الله.. كنتَ أحَقَّ أن يَهَبْنَ، ثم قال: أى عدّواتِ أنفسهن، أتَهَبْنَنى ولا تَهَبْن رسول الله ﷺ؟ قُلْنَ: نعم، أنت أفَظّ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

(يستكثرْنَه) أى يطلبْنَ منه أن يحث الرجال على زيادة النفقة عليهن، و(فَمْنَ يبتدِرْنَ الحجاب) أى اختبأوا وراء حجاب، خوفاً من سيدنا عمر ﷺ لمعرفتهن بشدته فى الحق، لأنه من المتوَقَّع أن يزجرهن، لرفع أصواهمن عند رسول الله ﷺ.

إن الفظاظة والغلْظة معناهما واحد، وهو القسوة أو الشدة، وكلاهما محمود أحياناً، ومذموم أحياناً أخرى، فإذا كانا فى نُصْرة الحق، ومجاهدة أعداء الله، فهما مطلوبان ومحمودان، قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة:٧٣] و[التحريم:٩] وقال: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة:١٢٣] أما إذا كانا فى الدعوة إلى الله، ومعاملة خَلْق الله، فهما مذمومان، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ} فلا تعارض إذن بين الآية الكريمة، وما جاء من قول النسوة لسيدنا عمر ﷺ، فالرسول ﷺ كان يجمع بين اللين والشدة، ولكن لكُلٍّ منهما مقامه، فهو رحيم بالمؤمنين، غليظ على الكافرين، قال تعالى: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨] وقال: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩] وربما قالت النسوة هذه المقولة لأن الرسول ﷺ كان يشتد أحياناً فى الزجر عن طلب الدنيا، وهُنَّ كُنَّ عنده يكلمنه، ويرفعن أصواهمن من أجلها، أما سيدنا عمر ﷺ فكان يبالغ فى الزَّجْر عن المنكرات، وكان لا يقبل أى تهاون فى حق رسول الله ﷺ ولو برَفْع الصوت، كما حدث من هؤلاء النسوة. والأرجح أن فى قولهن مَجَاز عقلى كما يقول علماء البلاغة، كأن يعبِّر أحدهم ويبالغ فى التشبيه، قائلاً: (هذه أكثر نعومة وليونة من الحرير) فهل الحرير خَشِن؟، والله أعلم.

س٢٨٣– يقول زكريا: {فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ} [مريم:٥–٦] ويقول القرآن عن سليمان: {وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ} [النمل:١٦] مع أن هذا وذاك يتناقض مع قول نبيكم عن نفسه وجميع الأنبياء: "لا نُورَث، ما تركنا صدقة"

[متفق عليه] أى أن أهليهم لا يرثونهم، وما تركوه يكون صدقة.

ج٢٨٣- إن الميراث الذى جاء ذكره فى الآيتين الكريمتين ليس ميراثاً دنيوياً، أى أن سيدنا زكريا لم يتمنى أن يهبه الله من يَرِث تركَته، ولكنه تمنى أن يرزقه الله من يرث نبوَّته، وكذلك فإن سيدنا سليمان لم يرث متاع الدنيا عن أبيه، بل ورث عنه النبوة. أما حديث الرسول ﷺ فمعناه أن ما تركه الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من متاع الدنيا فلا يرثه أهليهم، بل يكون صدقة توزع على الفقراء من بعدهم، والله أعلم.

* * *

شبهات زائفة حول سُوَر القرآن

س٢٨٤- لماذا تكرر لفظ {ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} فى الفاتحة؟

ج٢٨٤- الأولى ذُكِرَت فى البسملة، وهى استفتاحية لجميع السور ماعدا سورة (التوبة) والثانية ذكرت بعد {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} وكلمة {رب} تدل على الملكية، كما تقول (رب البيت) أى صاحب البيت، وتدل على التربية كما تقول: ربانى أبى، فربما يُفهم من {رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} أن هذا المربى قاسٍ مثل بعض المربين - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - فجاءت الآية التى تليها صِفَةً بمعنى أن هذا المربى (رحمن رحيم)، والله أعلم.

س٢٨٥- أنتم أيها المسلمون حيارى، وإلا.. فلِمَ تطلبون الهداية فى صلاتكم وتقولون: {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:٦]؟ وإذا كان الله هو القائل فكيف يطلب الهداية؟ وممَّن يطلبها؟

ج٢٨٥- الهداية نوعان: هداية دَلالَة، أى تبيين الحق، وهى لكل الناس، كما دلت على ذلك الآية الكريمة: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ} [فصلت:١٧] وهداية مَعُونة، وهذه لا تكون إلا للمؤمنين الذين قبلوا هداية الدلالة، وذلك مثل ما ورد عن أصحاب الكهف {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى} [الكهف:١٣] ولنذكر مثلاً ضربه الشيخ الشعراوى رحمه الله - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - إذا كنت مسافراً ومررت بمنطقة يقف عندها رجل مرور يحذِّر الناس من السير فى طريق معين، ويدلهم على الطريق السليم، فدلالته هذه تُسمَّى (هداية دلالة) لأنه أرشدك، وبيَّن لك الطريق السليم من الطريق الخطر، فإذا امتثلت لأمره وسمعت كلامه ومشيت فى الطريق السليم أعانك، وأرسل معك من يساعدك على السير فى هذا الطريق، وربما ذهب معك بنفسه ليذلل لك بعض العقبات التى تجدها فى هذا الطريق، فهذه تُسمى (هداية معونة) أما إذا ضربت بكلامه عرض الحائط، وسرت فى الطريق الذى حذرك منه فإنه يتركك وشأنك. فنحن نطلب هداية المعونة لأننا - والحمد لله رب العالمين - قد قبلنا هداية الدلالة، ولكننا محتاجون دوامها والمعونة عليها، فإن القلوب بيدى الله عز وجل يقلِّبها كيف يشاء، وقد علَّمنا الله سبحانه وتعالى أن نقول: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ

ٱلْوَهَّابُ} [آل عمران:٨] وقد كان أكثر دعاء الرسول ﷺ: **"يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك"** فقيل له فى ذلك فقال: **"إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٤٨٠١] **أمّا كيف يقول الله: {ٱهْدِنَا} فإن الله جل وعلا يعلمنا كيف ندعوه بالطريقة التى ترضيه، فلم يتركنا** لنحتار ولا ندرى كيف ندعوه، وربما دعوناه بما لا يليق به سبحانه وتعالى، أو اختلفنا فيما بيننا فتختلف عبادتنا، ويظن كل واحد منا أن دعاءه أفضل من دعاء الآخرين. وهذا الدعاء الجماعى {ٱهْدِنَا} يشعرنا بما فيه من حب الخير والهداية والفوز لجميع المسلمين، كما أنه أصلح لصلاة الجماعة، حيث لا ينفع فيها أن يقول الإمام (اهدنى) إذ كيف يخص نفسه بالدعاء دون غيره؟، والله أعلم.

س٢٨٦- ألا كان يكفى أن تقولوا: {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:٦] بغير إضافة {غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ} لأن الاستقامة دلالة قاطعة؟

ج٢٨٦- لم يبقَ غيرنا من أتباع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - إلا اليهود والنصارى، وهم يظنون أنهم على صراط مستقيم، فلو لم نقل {غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ} ربما ظن ظان - سواء منهم أو من غيرهم - أنه صراطهم لأنهم أوتوا الكتاب قبلنا، فنحن نطلب من الله عز وجل أن يهدينا {ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ} الذى يرضاه.. وهو الإسلام، ونظهر البراءة من صراطهم الضال المضل. وفى شهادة التوحيد هل نقول (الله هو الإله) أم نقول {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ}؟ لو قلنا (الله هو الإله) ربما يظن ظان أن هذا لا ينفى وجود آلهة أخرى.. أليس كذلك؟ فنحن كما نؤمن بألوهيته وحده ونكفر بألوهية من سواه.. نؤمن بالإسلام وحده ديناً ونرفض أى دين سواه، والله الموفق لما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

س٢٨٧- لماذا قال القرآن فى الفاتحة: {ٱلضَّآلِّينَ} ولم يقل: (الْمُضلّين) فى حين أنها أبلغ؟

ج٢٨٧- كما أن هناك صالحاً ومُصلحاً وفاسداً ومُفسداً، فهناك ضال ومُضل، فالصالح هو الذى يكتفى بصلاح نفسه وليس له شأن بالآخرين، أما المصلح فهو صالح فى نفسه ويدل الآخرين على سبل الصلاح، فله أجره وأجر مثل أجور من اتبعوه، فهذا أعلى

درجة من الأول. وهناك فاسد فى نفسه، فهذا عليه وزره، أما المفسد فهو الذى يدل الناس على سبل الفساد، فيكون عليه وزره ومثل أوزار الذين اتبعوه، فهو أشد خطراً وأقل قدراً من الأول، فكذلك المضل أشد خطراً وأقل قدراً من الضال. فنحن لا نريد حتى مجرد أن نكون ضالين فى أنفسنا فضلاً عن أن نكون مضلين لغيرنا، والله أعلم.

س٢٨٨- يقول القرآن: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} [البقرة:١٧] لقد جعل الضمير الجمع يعود على المفرد، وهذا خطأ بيّن، لأن المفروض أن يقول (ذهب الله بنوره وتركه) طالما أنه تكلم عن فرد واحد.

ج٢٨٨- إن السائل ليس له تذوق للغة العربية، فإن هذا مثل ضربه الله للمنافقين بجماعة كانوا فى مكان مظلم، فأضاء أحدهم ناراً، حتى استناروا جميعاً بنورها، ثم انطفأت هذه النار فأصبحوا متخبطين لا يبصرون أين الطريق، فهل كلهم أضاء النار أم واحد فقط؟ وهل أنارت له وحده أم لهم جميعاً؟ وحين انطفأت هل كان وحده الذى لا يبصر، أم أنهم جميعاً كانوا لا يبصرون؟ بديهى أنهم لم يضيئوها معه، وأن نورها عمَّهم جميعاً، وعندما انطفأت أظلمت عليهم جميعاً. فمثلاً: لو أن هناك جماعة تجلس فى مكان ما، ثم أضاء أحدهم مصابيحه، هل يستفيد منها من أضاءها فقط أم أن نورها عمَّهم جميعاً؟ وكذلك لو أطفأها هل يخصه الظلام وحده دونهم؟ فالفاعل واحد، وهو الذى أضاءها ثم أطفأها، أما المستفيد من النور والمتضرر من فقده فهو والحاضرون معه، فلو كان القرآن على هواكم، وقال ما تظنون أنه صحيح، لكان الخطأ بعينه، والله أعلم.

س٢٨٩- ينكر القرآن اعتراض الملائكة على خلق آدم بقولهم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} [البقرة:٣٠] مع أن الحق كان معهم، وها نحن نرى الفساد وسفك الدماء فى كل مكان.

ج٢٨٩- أولاً: إن هذا لم يكن اعتراضاً من الملائكة، وقد بينا ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٨٨) ثانياً: استحالة تفوق علم الملائكة على علم الله سبحانه وتعالى، واستحالة معرفتهم للحكمة أكثر منه جل وعلا، فالله سبحانه وتعالى لم يكن بحاجة إلى أن يعلمه أحد ماذا سيحدث، ولكنه يعلم أن الأرض سيكون عليها أنبياء ومرسلون وأناس

صالحون ومصلحون، وهؤلاء سيعمرون الأرض بذكره وطاعته وإقامة شرعه، ونشر الخير بين خلقه.. إلى غير ذلك من مظاهر الإصلاح فى الأرض، ولذلك رد عليهم بقوله: **{إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}** [البقرة:٣٠] ولكى نفهم هذا الأمر نضرب مثلاً - **{وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ}** -بالفلاح الذى يغرس فى الأرض مائة نواة أو أكثر، مع علمه بأن معظمها سيتلف، ولا يخرج منها إلا عشرون نخلة أو أقل، ولكن هذه العشرين ستكون كافية فى تغطية نفقاته على الأرض، وستعود عليه بالربح الوفير، وستكفى لإطعام الكثير، فهل كان علمه بفساد بعضها يمنعه من بَذرها؟ فالله سبحانه وتعالى لم يمنعه علمه بوجود بعض المفسدين من خَلْقِ الصالحين، وحين ينتهى الخير والصالحون من الأرض ستقوم الساعة، لأن الحياة لا فائدة لها بغير ذكر الله، قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله"** [صحيح مسلم]، كما أن الله سبحانه له حكمة من وجود الخير والشر فى الدنيا، فلو كانت الدنيا كلها تقوم على التقديس والتسبيح لكانت جنَّة، ولَمّا كان فيها اختبار يترتب عليه دخول الجنة أو النار، والله أعلم.

س٢٩٠- يقول القرآن: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ} [البقرة:٦١] فهل من الممكن أن تُقتَل الأنبياء بحق؟

ج٢٩٠- لا يمكن أن تُقتل الأنبياء بحق، لأن القتل بحق يكون بذنب يستحق القتل، كأن يكون الإنسان قد قتل نفساً بغير نفس، أو ارتد عن دينه، أو... إلخ، ولكن هؤلاء الأنبياء لم يقترفوا ذنباً يستحقون عليه القتل، فجاءت الآية بهذا الأسلوب للتأكيد على هذا المعنى، فمثلاً: قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ}** لو أنك ضربت أحداً ظلماً.. فلامك أحد أقاربه وقال لك: لِمَ ضربته بغير حق؟ لو أنه آذاك أو فعل كذا وكذا لكان ضربك إياه بحق، ولكنه لم يفعل شيئاً! والكتاب المقدس نفسه يعترف بقتل اليهود للأنبياء، فيقول إليا النبي: **قد غِرْتُ غَيْرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيتُ أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها.**

(الملوك الأول١٩: ١٤)

وهناك شيء آخر يُستفاد من الآية الكريمة.. وهو إظهار براءة الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - وأنهم معصومون من الخطأ، حتى لا يظن ظان أنهم ربما قُتلوا

بذنب. أما الكتاب المقدس ففيه اتهامات للأنبياء بالكفر، وشرب الخمر، والزنى، والسرقة، وغير ذلك مما ذكرناه فى كثير من المواضع فى هذا الكتاب. وسبحان الله! كيف يبعث الله النبيين ليكونوا قدوة لغيرهم ثم يقعوا فيما ينهون عنه؟ إن هذا ليس قدحاً فيهم فحسب، بل فى الله سبحانه وتعالى الذى أرسلهم، فكأنه لم يحسن اختيارهم {سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام:١٠٠] فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن حاكماً أرسل سفيراً لإحدى الدول، وكانت تصرفات هذا السفير غير لائقة، فإن العيب فى هذه الحالة لن يكون عليه وحده، ولكن على الذى أرسله أيضاً، لأنه لم يحسن اختياره، والله أعلم.

س٢٩١- يقول القرآن: {وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} [البقرة:٨٠] بذلك أتى القرآن بجمع كثرة فى موضع جمع قلة، وكان يجب أن يجمعها جمع قلة، حيث إن اليهود أرادوا القلة، فالصحيح أن يقال: {أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ}

ج٢٩١- إن {مَّعْدُودَةً} ليست جمعاً بل مفرد، وليست جمع كثرة ولا جمع قلة، وإن {مَّعْدُودَٰتٍ} التى يقولون إنها الصواب وكان حق القرآن أن يعبر بها بدلاً من {مَّعْدُودَةً} ظانين أن {مَّعْدُودَٰتٍ} جمع قلة، وهى ليست كذلك كما فهموا، فهى على وزن (مفعولات) وهو ليس من أوزان جموع القلة، بل من أوزان جموع الكثرة، ولا ينفعهم قولهم: إن اليهود أرادوا القلة، لأن هذه القلة يدل عليها سياق الكلام لا المفردات المستعملة فى التركيب، ثم إن هذا التعبير لا ينظر فيه إلى جانب قلة أو كثرة، ولكن ينظر فيه على معاملة غير العاقل معاملة العاقل، أو عدم معاملته، ووصف الأيام ب{مَّعْدُودَةً} هو الوصف اللائق بها لأن الأيام لا تعقل فأجرى عليها الوصف الذى لغير العقلاء، ولكن لجهل السائل ظن الصواب خطأ والخطأ صواباً، والحقيقة فى النظم القرآنى أنه لا يعامل غير العاقل معاملة العاقل إلا بوضعه موضع العقلاء للدواعى البلاغية، وقد عبر القرآن عن الأيام بأنها {مَّعْدُودَٰتٍ} فى قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ} [آل عمران:٢٤] فكان ينبغى أن يسأل هؤلاء عن اختلاف التعبير فى الموضعين، ولكنهم كما قال الله عنهم: {وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة:١٤٦] ففى آية (البقرة) جاء وصف {أَيَّامًا} بصيغة الإفراد، وليس جمع كثرة كما زعموا، وفى آية (آل عمران) جاء جمعاً لا إفراداً، فلماذا إذن اختلفت صيغة الوصف والموصوف واحد

وهو {أَيَّامًا} لو كان السائلون يعقلون؟ فإذا قارنا بين الآيتين وجدنا آية (البقرة) مبنية على الإيجاز {وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً} ووجدنا آية (آل عمران) مبنية على الإطناب {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ} انظر إلى الخلاف بين آية (البقرة) {وَقَالُوا} وآية (آل عمران) {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا} تجد أن جملة {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ} اشتملت على اسم الإشارة الموضوع للبعيد، الرابط بين الكلامين السابق عليه واللاحق به، ثم تجد الباء الداخلة على إن فى {بِأَنَّهُمْ} ثم (إن) التى تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة (هم) هذه الأدوات لم يقابلها فى آية (البقرة) إلا واو العطف {وَقَالُوا} إذن المقامان مختلفان، أحدهما إيجاز والثانى إطناب، فوافق الإيجاز آية (البقرة) ووافق الإطناب آية (آل عمران)، والله أعلم.

س٢٩٢- كيف يُنصَب الفاعل فى القرآن حيث قال: {وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ} [البقرة:١٢٤] وكان الأصح أن يقال (لا ينال عهدى الظالمون) لأنه جمع مذكر سالم.

ج٢٩٢- الفعل (نال) فعل متعدٍّ إلى مفعول واحد، كما فى قوله تعالى: {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} [الأحزاب:٢٥] الفاعل (واو الجماعة) والمفعول {خَيْرًا} أما فى قوله: {قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ} فالفاعل هو {عَهْدِى} مرفوع بضمة مقدرة لم تظهر لاشتغال المحل (وهو ما يعنى الدّال من عهدى بحركة المناسبة لياء المتكلم)، والمفعول به هو {ٱلظَّٰلِمِينَ} وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم (ينصب ويجر بالياء) والمعنى (لا ينفع عهدى الظالمين) ومجىء {ٱلظَّٰلِمِينَ} منصوباً هو قراءة الجمهور من القراء، وليس فى مجىء {ٱلظَّٰلِمِينَ} منصوباً على أنه المفعول به خلاف بين العلماء، بل إنهم نصُّوا على أن خواص الفعل (نال) يجوز أن يكون مفعولاً، ومفعوله يجوز أن يكون فاعلاً على التبادل بينهما، قالوا: فما نالك فقد نلته أنت، وقد جاء قوله تعالى: {لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج:٣٧] على خلاف نسق آية (البقرة) التى نحن بصدد الحديث عنها، حيث كان التالى للفعل فيها هو الفاعل {لَا يَنَالُ عَهْدِى} والواقع بعد الفاعل هو المفعول {ٱلظَّٰلِمِينَ} أما فى آية (الحج) فإن الذى وَلِىَ الفعل {لَن يَنَالَ ٱللَّهَ} هو اسم الجلالة،

وما بعده هو الفاعل {لُحُومُهَا} والمعنى (لن يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها) وكذلك قوله {وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ} فالضمير فى {يَنَالُهُ} هو المفعول به، أما {ٱلتَّقْوَىٰ} فهى الفاعل، والله أعلم.

س٢٩٣- من الأخطاء الصريحة فى القرآن من ناحية الإعراب قوله: {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ} [البقرة:١٧٧] وكان الصحيح فى اللغة أن يقال (والصابرون) وليس {وَٱلصَّٰبِرِينَ} لأنها معطوفة على {وَٱلْمُوفُونَ}.

ج٢٩٣- لقد قلنا قبل ذلك إن العرب إذا أرادت أن تنبه على شيء مهم فى الكلام كسرت الإعراب للتنبيه، أى أن إعراب هذه الكلمة مخالف للمتعارف عليه لِلَفْت الانتباه، فإنك لو تتبعت الآية من أولها إلى آخرها وجدت فيها تسع عشرة صفة من صفات المتقين، أشدها وأصعبها على النفس (الصبر)، فلو قال (الصابرون) حسب القاعدة لمرت هذه الكلمة هينة على الأذهان، ولم يُلتفت لخطورة قدرها، لذلك كسر الإعراب لتنبيه الأذهان، فجاءت بلفظ {ٱلصَّٰبِرِينَ} والعرب - الذين هم أبلغ الناس - لم يعترضوا عليها حين سمعوها من الرسول ﷺ لأنها وافقت السليقة العربية، وكسر الإعراب يسمى عند علماء النحو واللغة (القطع للمدح أو للذم) كما قال تعالى: {وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ} [النساء:١٦٢] وكان السياق يقتضى الرفع، أى (والمقيمون الصلاة) فكسرت القاعدة لأهمية الصلاة، وأحياناً تكسر القاعدة للذم، كما فى سورة (المسد) {وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ} وكان السياق الصحيح - فى ظاهر الأمر - أن يقال (حمالةُ) مضموم آخرها وليس مفتوحاً كما ورد فى الآية، ولكن براعة القرآن فى البلاغة لا مثيل لها، وكأنه يقول: (أذم والعن حمّالةَ الحطب)، والله أعلم.

س٢٩٤- لقد جاء القرآن بالموصول بدل المصدر فى قوله: {لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ

وَٱلنَّبِيِّـۧنَ} [البقرة:١٧٧] وكان الصواب أن يقول (ولكن البر أن تؤمنوا بالله) لأن البر هو الإيمان وليس المؤمن كما ذكرت الآية.

ج٢٩٤- لا {البر} ولا {آمن} اسم فاعل، ولكن للعلماء فى توجيه وقوع {من آمن} خبراً عن {البر} وهو خلاف الأصل، لأن {البر} معنى ذهنى، و{من آمن} ذات، والذوات لا تكون معانى، وقد أجاب الإمام الزمخشرى بثلاث إجابات:

١- أن فى الكلام مضافاً محذوفاً، والتقدير: برُّ من آمن، وهذا التوجيه اشتهر به جمهور العلماء. وكأن الشرح للآية حسب قول الزمخشرى: لكنَّ البرَّ برُّ مَن آمن.

٢- تأويل {البر} بذى البر، يعنى أن فى الكلام حذف مضاف، لكن تقديره قبل {البر} ومعنى الآية على هذا النحو: لكن ذا البر من آمن.

٣- أن يكون المصدر وهو {البر} موضوعاً موضع اسم الفاعل (البارّ) للمبالغة كما فى قول الخنساء تصف فرس أخيها صخر: (ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال وإدبار) فإقبال وإدبار مصدران حلا محل اسم الفاعل، والتقدير: هى مقبلة مدبرة.

وهناك إجابة أخرى بالإضافة لإجابة الزمخشرى، وهى أن يكون (اسم الموصول وصلتُه) جملة اسمية فى محل رفع خبراً لاسم لكنَّ {البرَّ} فإننا نعبِّر فى كلامنا الفصيح قائلين مثلاً: لكنَّ الفائز من يركب الدراجة الخضراء، فكلمة (الفائز) اسم لكنَّ منصوب، و(من يركب الدراجة الخضراء) جملة فى محل رفع خبر لكنَّ {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ}، والله أعلم.

س٢٩٥- مرة أخرى مع مخالفة القرآن لقواعد العربية، وهو الإتيان بجمع قلة فى موضع جمع كثرة فى قوله: {أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ} [البقرة:١٨٤] أى على عكس آية البقرة رقم ٨٠، فنرى الآية تتحدث عن شهر الصيام وهو ثلاثون يوماً فيحتاج إلى لفظ (معدودة) لأنه جمع كثرة يناسب الثلاثين يوماً، وليس {معدودات} كما فى الآية لأنها جمع قلة.

ج٢٩٥- إن هؤلاء المتخبطين جعلوا الأربعين يوماً (أيام عبادة اليهود للعجل) جمع قلة، وهنا قطعوا بأن الثلاثين يوماً (أيام رمضان) جمع كثرة، وأن القرآن أخطأ (بزعمهم) مرة أخرى حين عبر عنها بجمع القلة {معدودات} فهل الثلاثون أكثر من الأربعين؟ ولما خطَّأوا القرآن فى هذه الآية {معدودات} فهو الصحيح لغة وبياناً، وهو عند البلاغيين

استعارة شُبِّه فيها غير العاقل بالعاقل، وكلمة {معدودات} فى وصف أيام الصيام التى أتى بها القرآن لخصوصية بيانية هى تعظيم شأن تلك الأيام عند الله حتى صارت وكأنها من ذوى العقول، وهى أوقات لا روح فيها كالأحياء العاقلين، فليس المدار فيها اعتبار قلة أو كثرة، بل المراد التنويه بفضلها وعلو مترلتها عند الله، أما القلة فتفهم من سياق الكلام الذى حدد أيام الصيام بالشهر الواحد، وهو قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ} [البقرة:١٨٥]، والله أعلم.

س٢٩٦- إن القرآن يشجع على شهوة الانتقام والثأر، ولا يشجع على التسامح كما يقول الإنجيل: من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. (متى٥: ٣٩) ولكن انظروا إلى قرآنكم الذى يقول: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤]

ج٢٩٦- إن هذه الآية وردت فى سياق الكلام عن القتال مع الكفار، فهل لو اعتدى الكفار علينا لا نرد اعتداءهم بمثله؟ إن هذا منطق الظالمين الذين قلبوا الموازين واعتبروا رد الاعتداء إرهاباً، أما تعامل الأفراد مع بعضهم فليس فرضاً عليهم أن يردوا الاعتداء بمثله، أما كتابكم المقدس فقد أمركم برد السيئة بمثلها، وتوعد فاعلها بالعذاب الأليم، فقال: **لا تشفق عينك. نفس بنفس. عين بعين. سن بسن. يد بيد. رجل برجل** (تثنية١٩: ٢١) **قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم.** (متى٥: ٢١-٢٢) **وإن أخطأ إليك أخوك فوبخه.** (لوقا١٧: ٣) **كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق. لئلا يسلّمك الخصم إلى القاضى ويسلّمك القاضى إلى الشرطى فتُلقَى فى السجن.** (متى٥: ٢٥) إن قوله: (قد سمعتم أنه قيل للقدماء كذا) أى أن هذا كان فى العهد القديم، أمّا قوله: (وأنا أقول كذا) فيعتبر هو وأمثاله نسخاً لما قبله.

إن الإسلام يتعامل مع كل النفوس بما يناسبها، فمن الناس من لا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إلا إذا انتقم ممن ظلمه، فيأتى الإسلام ويبيح له رد الاعتداء، ولكنه يُلزِمه بألا يزيد عليه، وفى الوقت نفسه يحثه على العفو ويرغبه فيه بذكر جزائه فى الآخرة، بل ويزيد على

ذلك بأن يرغبه فى الإحسان إلى من ظلمه {وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:١٣٤] أما إذا ألزم كل واحد أن يعطى خده الأيسر لمن ضربه على الأيمن.. فإن هذا يجعل البعض يشتاط غضباً على من اعتدى عليه، كما أنه يشجع البعض على التعدى على الناس طالما أنهم لا يردون عليهم، وخصوصاً المجرمين، وخريجى السجون، والبلطجية، ومن على شاكلتهم، فالمسلم مُخيَّر بين رد الاعتداء بمثله، أو العفو والصفح، والعفو هو الأفضل بدليل آيات وأحاديث كثيرة يضيق المقام عن حصرها، نذكر منها قوله تعالى: {فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة:١٧٨] {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ} [النحل:١٢٦-١٢٧] {وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟} [النور:٢٢] {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ} [الشورى:٤٣] وقول رسوله ﷺ: **"من لا يرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر لا يُغفر له، ومن لا يَتب لا يُتب عليه"** [المعجم الكبير للطبراني، صحيح الجامع:٦٦٠٠] أما آيات الإحسان للمسيء فمنها قوله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [الشورى:٤٠] {وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} [فصلت:٣٤] {وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران:١٣٤]، والله أعلم.

س٢٩٧- إن القرآن يوضح الواضح بما لا طائل من ورائه، مثل: {فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [البقرة:١٩٦] لماذا قال: {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} بعدما قال: {فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ}؟ فهل ستكون الثلاثة والسبعة أقل أو أكثر من العشرة؟ وما قيمة كلمة {كَامِلَةٌ}؟ وهل ستكون العشرة غير كاملة؟

ج٢٩٧- إن هذا تأكيد لدفع الشك فى عدد أيام الصوم، فربما ظن ظان أنه يكفيه صوم ثلاثة أيام فى الحج، أو سبعة أيام إذا رجع، فجاءت {تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} تنفى هذا الشك، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أنى قلت لك: اتصل عليَّ بالهاتف الساعة الثالثة من محل عملك، وإذا رجعت إلى منزلك فاتصل بى الساعة العاشرة، فربما فهمت من

كلامى أن أحد الاتصالين يكفى، فإذا فاتك الأول أدركت الثانى، فلابد أن أؤكد عليك وأقول لك: اتصل بى مرتين.. مرة من عملك ومرة إذا رجعت إلى بيتك. وقيل إن {كَامِلَةٌ} تعنى كاملة فى أجرها كالهَدْى، أى أنها تحل محله تماماً، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، ولكن هذا مشروط بعدم الاستطاعة على ذبح الهدى. ثم إن أهل البلاغة والفصاحة من العرب لم يعترضوا على هذه الآية الكريمة وقت نزولها، أفيعترض عليها المستعرِبون؟

والذين يتهمون قرآننا بالإسهاب أو الإطناب فى توضيح العدد جاء فى كتابهم المقدس تفصيل دقيق طويل عن أعداد العائدين من السَّبْى، وعبيدهم، ومُغَنِّيَاتِهم، وخيلهم، وبِغالهم، وجِمالهم، وحميرهم، وورد هذا الإسهاب فى إصحاحَيْن كاملَيْن، وهما (عزرا: الإصحاح٢) و(نحميا: الإصحاح٧) مع التناقض الفظيع بين أعداد العائدين من هؤلاء السبى، وقد ذكرنا ذلك (بفضل الله) فى الرد على الشبهة رقم (٤٤٤)، والله أعلم.

س٢٩٨- كثيراً ما يأتى القرآن بآيات فى غير موضعها، فيتكلم مثلاً عن الصلاة فى سياق الكلام عن الطلاق، فيقول: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٣٨-٢٣٩] هل بعد هذا تصرون على أن القرآن بليغ وفصيح؟

ج٢٩٨- نعم.. نحن ما زلنا، وسنستمر إن شاء الله نقول، بل ونكتشف المزيد من بلاغة القرآن، إن هذه الآية فى هذا المكان لم تأتِ عبثاً - حاشا وكلا - بل إنها جاءت لتذكر الناس بالصلاة لعدة أسباب، منها أن حالة الغم والهم التى تصيب الزوج والزوجة والأولاد حال الطلاق - بل وتصيب الأهل أيضاً - ربما تجعلهم يتشاغلون عن أداء الصلاة فى وقتها، وربما كانت هناك مشاحنة بين الطرفين تنسيهما فرض ربهما، فجاءت الآية تذكرهم بالمحافظة على الصلاة مهما كانت الظروف، كذلك فإنهم إذا صلوا رَقَّت قلوبهم بذكر الله، فربما رجعوا عن عزمهم على الطلاق، فماء الوضوء يطفئ الغضب الذى من الشيطان، وسيصلى الرجال فى مسجد واحد يجمع أهل الزوج مع أهل الزوجة مع المأذون مع الأولاد، فيُحدِث ذلك أُلفة بينهم، لأن الصلاة تجعل القلب يسجد للرحمن ويخرج منه الشيطان، فتكون الصلاة بما فيها من ذكر وخشوع لله تعالى قد فضت النزاع بينهم، وحافظت على الأسرة المسلمة من الهدم، وما يترتب عليه من تشريد الأطفال، وفساد

ذات البين الذى يحدث بين أهل الزوج وأهل الزوجة، وغير ذلك من مساوئ الطلاق التى لا تخفى على عاقل، فإن أسوأ ما يفعله الشيطان بالإنسان هو أن يفرق بينه وبين أهله، قال رسول الله ﷺ: **"إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، فيدنيه منه ويقول: نعم أنت"** [صحيح الجامع:١٥٢٦] لأن المتزوج قد استكمل نصف الإيمان كما قال رسول الله ﷺ: **"من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتقِ الله فى النصف الباقى"** [صحيح الجامع:٦١٤٨] فحين يطلق زوجته يفقد هذا النصف، وهى أيضاً تفقده، ويصبحان عرضة للفتن والشهوات، قال رسول الله ﷺ: **"أبغض الحلال إلى الله الطلاق"** [سنن ابن ماجه، السنن الكبرى للبيهقى]، والله أعلم.

س٢٩٩- يقول القرآن: {مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة:٢٤٥] فهل الله فقير حتى يقترض؟ ثم كيف يحرم الربا ويتعامل به؟

ج٢٩٩- هذا الفهم القاصر للآية الكريمة ليس بجديد، فقد قال أحد اليهود لأبى بكر الصديق ﷺ حين دعاه للإسلام: إن ربكم فقير يطلب القرض، ونحن أغنياء لسنا بحاجة إليه، فضربه أبو بكر، فذهب إلى رسول الله ﷺ يشتكى له، فسأله الرسول لماذا ضربه؟ فذكر له قولته الخبيثة، فأنكر اليهودى، فأنزل الله عز وجل تصديق أبى بكر فى هذه الآية: **{لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ}** [آل عمران:١٨١] إن الله سبحانه وتعالى مالكُ المال وأصحابه، أى أنه هو الذى خلق الناس ووهبهم المال، وقد جعل للفقير حقاً فى مال الغنى، وفى هذا ابتلاء للفقير والغنى، هل سيصبر الفقير لحكم ربه، وهل سيخرج الغنى ما فرضه الله عليه، والآية ليست خاصة بالزكاة، فهى تشمل الإنفاق فى سبيل الله عامة. أما تشبيه الإنفاق فى سبيل الله بأنه قرض لله فهو من باب المجاز للترغيب فى النفقة والحث عليها، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن ولداً طلب من أبيه أن يعطيه قدراً من المال لاحتياجه إليه، وكان الوالد فى سفر، وليس فى وسعه أن يرسل المال بسرعة إلى ولده، فأمر أخاه أن يعطيه من المال الذى أرسله إليه من قبل، وقال له: لو أنك أعطيت أخاك ما يحتاجه فاعتبر

أن هذا قرض لى أنا شخصياً، وسأرده إليك أضعافاً مضاعفة، هل يكون الوالد قد اقترض من ابنه حقاً؟ إنه هو الذى أرسل إليه المال، فكيف يقترض منه؟ إنه لم يقل له ذلك إلا ليرغبه فى الإنفاق على أخيه، وخصوصاً أنه سيرده له بأضعافه، وهل الوالد فى هذه الحالة يتعامل بالربا مع ابنه؟ إنه هو المالك للمال فى كلا الحالين (حال القرض وحال الرد) ولكن هذا كرم منه جزاءً لامتثال أمره، والله أعلم.

س٣٠٠- يقول القرآن عن الله إنه: {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:٢٥٥] ألا كان يكفى أن يقال: {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ} إذ كيف ينام من لم تأخذه سِنَة من النوم؟

ج٣٠٠- إن الذى يدرك هذا المعنى هو الذى لا ينام لفترة طويلة جداً، بحيث يقاوم النعاس عدة مرات، فيجد نفسه فى آخر الأمر قد غلبه النوم رغماً عنه. إن (السِّنَة من النوم) هى التى نسميها (غفوة أو إغفاءة) أى مدة قصيرة من النوم، فإذا كان الإنسان موكلاً بأمر مهم، كحراسة موقع، أو مذاكرة للامتحان، أو لمراقبة شىء هام، فإنه يقاوم النعاس عدة مرات فلا يغفو هذه الإغفاءة، ولكن مع استمرار ذلك الأمر تجده ينام رغماً عنه، ولا يشعر بنفسه إلا حين يستيقظ، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لا ينام لفترة قصيرة، ولا يغلبه النوم فجأة، بل إن مجرد الرغبة فى النوم أمر مُحال عليه سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: **"إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"** [صحيح الجامع:١٨٦٠]، والله أعلم.

س٣٠١- يقول القرآن: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} [البقرة:٢٥٧] كيف يخرج الكفار من {ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ} وهم أصلاً فى ظُلُمات؟

ج٣٠١- قال رسول الله ﷺ: **"ما من مولود إلا يولد على الفِطْرَة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء"** [صحيح الجامع:٥٧٨٤] فكل مولود يولد على فِطْرة التوحيد، فإذا كفر بعد ذلك فقد خرج من {ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ}، وكذلك الحال فيمن ارتد عن الإسلام بعد أن هداه الله، أو يهود

المدينة الذين آمنوا بالرسول ﷺ لأن صفته كانت فى كتبهم، ثم كفروا به جحوداً وعناداً وحسداً، إذ لم يخرج من بنى إسرائيل وخرج من أبناء العرب، والله أعلم.

س٣٠٢- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى} [البقرة:٢٦٠] هل كان إبراهيم شاكّاً فى قدرة الله؟ ولماذا جاءت الطيور سعياً ولم تأتِ طيراناً؟ أليس هذا مخالفاً لفطرتها؟

ج ٣٠٢- إن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يسأل سؤال شك فى قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى، ولكنه سأل عن الكيفية {كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ} فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن جرّاحاً أجرى لمريض عملية وأنت متأكد من هذا، ولكن تريد أن تعرف كيف عملها، فقلت له: كيف تعمل العملية يا دكتور؟ فهل أنت شاك فيه؟ بالطبع لا.. ولكنك سألته لتشاهد مهارته، فتزداد عند رؤيته يقيناً فى قدرته. ومن واقعنا شاهد على ذلك: إننا جميعاً نؤمن بأن الذى خلقنا هو الله سبحانه وتعالى، ونؤمن بمراحل التكوين التى ذكرها فى كتابه الكريم {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ} [المؤمنون:١٢-١٤] ولكن حين نعرف الأبحاث التى تثبت ذلك، ونرى مراحل التكوين خطوة خطوة، فماذا يكون حالنا؟ يزداد يقيننا وتلهج ألسنتنا: سبحان الله! أما لماذا جاءت الطيور سعياً ولم تأتِ طيراناً، فذلك ليتحقق سيدنا إبراهيم من رؤيتها، لأن هذا أشبع لرغبته، وأعظم فى لذته. إننا إذا أردنا أن نتحقق من مشهد عُرِض على شاشة التلفاز ماذا نفعل؟ نصوره تصويراً بطيئاً حتى نتمكن من رؤيته جيداً، لأن سرعة الحركة لا تمكننا من ذلك، وسيدنا إبراهيم هو الذى قطّع هذه الطيور من قبل، ووضعها على الجبال، فلو جاءته طيراناً فربما شك فيها، هل هى التى قطّعها، أم طيوراً أخرى غيرها، أما حين تأتيه سعياً فسيتأكد تماماً إنها هى هى. والدليل على أن سيدنا إبراهيم لم يكن شاكاً هو قول الله عز وجل: {وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ولم يقل (واعلم أن الله على كل شىء قدير)، والله أعلم.

س٣٠٣- يقول القرآن عن الربا: {فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} [البقرة:٢٦٩]

علمنا أن الحرب من الله قد تكون فى صورة مَحْقِ المال، أو الأمراض، أو الزلازل والبراكين، أو أى صورة من صور الحرب، أما نبيكم فقد مات، فكيف تكون الحرب منه؟

ج٣٠٣- إن الحرب من الرسول ﷺ بعد موته على عاتق أتباعه، فأتباع الرسول ﷺ الحاملون لمنهجه يمثلونه فى حرب هؤلاء المرابين، فعلى الملوك والرؤساء وسائر الحكام أن يمنعوا الربا بالقوة الجبرية، وأن يُسنُّوا القوانين الرادعة لمنعه، وعلى العلماء - الذين هم ورثة الأنبياء - بيان مغبَّته وسوء عاقبته، وعلى العامَّة محاربة الربا بالكَفّ عنه ومقاطعته، ونُصح من يتعامل به بتركه، فكل أتباع النبى ﷺ لابد أن يعلنوا الحرب عليه، كلٌّ بحسب استطاعته، فهذه هى صُوَر حرب الرسول ﷺ للربا بعد مماته. ونحن نرى القوانين والمبادئ التى سنَّها المشرِّعون والقُضاة يُعمَل بها أثناء حياتهم، وبعد مماتهم، ونقرأ ونسمع عبارة (بقوة القانون) وإن ذهب الْمُقنِّن، والله أعلم.

س٣٠٤- إن القرآن تفوته أحياناً بعض قواعد اللغة العربية، فنحن نبحث مع علماء اللغة العربية عن خبر كان فى {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ} [البقرة:٢٨٠]

ج٣٠٤- صحيح أننا لا نجد خبر كان فى هذه الآية، ولكن السائل ليست عنده مَلَكَة عربية، فكان يجب أن يعرف أن (كان) تحتاج إلى اسم وخبر، الاسم مرفوع، والخبر منصوب، وهذه هى التى يقال عنها: (كان الناقصة) وكان يجب أن يفهم أيضاً أنها قد تأتى تامة، أى ليس لها خبر، وتكتفى بالمرفوع على أنه فاعلها وليس اسمها. وإليك شرح موجز: إن كل فعل من الأفعال يدل على حدث وزمن، وكلمة (كان) إن سمعتها دلت على وجود حدث مطلق لم تبين فيه الحالة التى عليها اسمها، ومعنى ذلك أن (كان) دلت على الزمن الوجودى المطلق، أى على المعنى المجرد الناقص، والشيء المطلق لا يظهر المراد منه إلا إذا قيد، فإن أردت أن تدل على وجود مقيد ليتضح المعنى ويظهر فلابد أن تأتيها بخبر، مثل: كان زيد مجتهداً، هنا وجد شيء خاص وهو اجتهاد زيد، إذن فكان هنا ناقصة تريد الخبر يكملها وليعطيها الوجود الخاص، فإذا لم يكن الأمر كذلك وأردنا الوجود فقط تكون (كان) تامة، أى تكتفى بمرفوعها على أنه فاعلها، مثل أن تقول: عاد

الغائب فكان الفرح أى وجد، أو أشرقت الشمس فكان النور، والشاعر يقول:

وكانت وليس الصبح فيها بأبيض　　وأضحت وليس الليل فيها بأسود

فقوله: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} أى فإن وجد ذو عسرة، والله أعلم.

س٣٠٥- كيف يقول القرآن عن حنَّة بنت فاقوذ إنها قالت: { رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} [آل عمران:٣٦] والمعروف أن (ما) تدل على غير العاقل، فكيف يقول: {بِمَا وَضَعَتْ} والموضوعة إنسانة عاقلة وهى مريم؟ ألا كان المفروض أن يقول (بمن وضعت) لأن (من) تدخل على العاقل؟

ج٣٠٥- إن هذا الخواجة يريد أن يتعالم على العرب، والصحيح أن يقال {بما} وليس (بمن) لأن السيدة مريم - رضى الله عنها - كانت رضيعة، فلا تعد من العقلاء حينها، فهل رأيتم فى الدنيا رضيعاً عاقلاً؟ إن (ما) هو الحرف الأنسب لحالتها وهى فى المهد، كما أن (ما) مصدرية لا علاقة لها بالعاقل أو غيره، والله أعلم.

س٣٠٦- كيف يقول زكريا: {رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ} [آل عمران:٤٠] بل ويطلب آية على أنه سينجب، فيقول: {رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً} [آل عمران:٤١] وهو الذى دعا ربه فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} [آل عمران:٣٨]؟

ج٣٠٦- إن هذا من دهشته وتعجبه من أن يرزقه الله الولد بعدما كبرت سنه وانحنى ظهره، فقد كان عمره حينها تسعة وتسعين عاماً، وكانت امرأته عاقراً، وعمرها ثمان وتسعين عاماً، فجاء منه هذا التساؤل لاستعظام ذلك الأمر فى نفسه على ما جرت به العادة، مع أنه هو الذى دعا به، كمن يتمنى شيئاً عظيم المنال، ثم عند تحقيقه لا يكاد يصدق، ويقول: معقول أن هذا قد حدث؟ كالفقير الذى لا يملك من حطام الدنيا إلا القليل، ولا يكاد يجد قوت يومه، ثم يدعو ربه أن ييسر له حج بيته الحرام، مع علمه بأنه لا سبيل له إليه، ثم يُقدِّر الله سبحانه وتعالى أن رؤساءه فى العمل - مثلاً - يعملون قُرْعَة على من يسافر معهم للحج ليقوم بخدمتهم، فتقع القرعة على هذا الرجل الفقير، فيقول من دهشته: معقول أن مثلى يحج بيت الله؟ بل ولا يصدق حتى تأتيه البينة على ذلك، كأن يُطلَب منه جواز السفر، ثم يرى التأشيرة بعينيه. ومثل الذى له ابن مريض مرضاً شديداً،

وقد أشرف على الموت، وهو يدعو الله له ليل نهار، ثم تأتيه البشارة بأن الله قد شفى ابنه، فيطير فرحاً، ويقول: لا أصدق حتى أراه بعينيَّ، والله أعلم.

س٣٠٧- يقول القرآن: {وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ} [آل عمران:٤٢] ما فائدة تكرار قول: {ٱصْطَفَىٰكِ} فى الآية المذكورة؟

ج٣٠٧- إن قوله تعالى: {ٱصْطَفَىٰكِ} فى المرة الأولى خاص باصطفائها على نساء العالمين لخدمة بيت المقدس، فلم تكن هناك أنثى غيرها تقوم على خدمته. أما قوله تعالى فى المرة الثانية فهو اصطفاؤها لولادة سيدنا المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن هذا الحدث لن يتكرر بعدها أبداً، فمن يوجد طفل إلى قيام الساعة يولد بغير أب مثل سيدنا عيسى، والله أعلم.

س٣٠٨- يقول القرآن عن مريم: {يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ} [آل عمران:٤٣] والصحيح لغوياً أن يقال (اركعى مع الراكعات)

ج٣٠٨- لم يكن فى بيت المقدس إناث غيرها، ولكن كانوا كلهم رجالاً، فكيف يقال: (اركعى مع الراكعات) و لم يكن هناك راكعات سواها؟ كما أنه يُطلَق اسم جمع المذكَّر ويُقصَد معهم الإناث، كأن تسلم على مجموعة من الرجال بينهم إناث فتقول: السلام عليكم، ولا تقول: السلام عليكن، والله أعلم.

س٣٠٩- يقول القرآن: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران:٥٩] وكان المفروض أن يقول (كن فكان) لأن المقام صيغة الماضى (لأن آدم كان) وليس المضارع كما جاء فى الآية.

ج٣٠٩- إن الله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [النحل:٤٠] وسيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - شىء.. فيدخل فى نطاق الآية الكريمة، أى ينطبق عليه قول الله جل وعلا: {كُن فَيَكُونُ} ثم إن سيدنا آدم لم يكن منذ خلقه الله عز وجل على حالة واحدة ثم انتهى حتى يقال (كان) بل إنه - كسائر البشر - يتقلب فى أحوال كثيرة، من شباب وشيخوخة، وفرح وحزن، وصحة ومرض، وموت ثم بعث ونشور وحساب.. إلخ، وفى جميع أحواله أوامر لله سبحانه وتعالى تجرى

عليه من منطلق {كُن فَيَكُونُ}، والله أعلم.

س٣١٠- يقول القرآن: {وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا} [آل عمران:٩٧] لقد رأينا فى الحرم أحداثاً جساماً فى فترة السبعينيات، وقُتل الأبرياء، ورُوِّع الآمنون، وانتُهكت الحرُمات، ومُنعت إقامة الشعائر فى الحرم لمدة شهر تقريباً، فأين هو الأمن المزعوم فى الآية؟

ج٣١٠- لقد حدثت فعلاً أحداث جسام فى الحرم عندما ادَّعى شخص اسمه (جُهيمان) أنه المهدى المنتظر، وكان معه جماعة مسلحة أحدثت فى بيت الله ما أحدثت، وليست هذه أول مرة تسال فيها الدماء فى الحرم، فقد كان هناك قوم يُسَمَّوْن (القرامطة) قاموا بسرقة الحجر الأسود، وظل عندهم عدة سنوات، وحدث أن اعتدى الحجاج بن يوسف الثقفى على الحرم وضربه بالمنجنيق عندما اختبأ فيه عبد الله بن الزبير بن العوام - رضى الله عنهما - ورُوِّعَ الآمنون كما حدث فى عصرنا. فهناك فى القرآن صيغة خبرية بمعنى أنها قدرية، وصيغة خبرية بمعنى الأمر بما فيها، فالصيغة الخبرية القدرية مثل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن:٢٦] و{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ} [آل عمران:١٨٥] وآيات أخرى، وهذه الصيغ الخبرية لا يمكن مخالفتها للواقع، لأن الله عز وجل قد قدَّر هذا الأمر الذى أخبر عنه، فلابد من وقوعه كما قال. أما الصيغة الخبرية المقصود منها الأمر، فهى كقوله تعالى: {وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا} والمقصود منها أمر المسلمين بتأمين من دخل البيت، أى أن الذى يدخله لابد وأن يُؤمَّن فلا يروِّعه أحد، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو قال والد لأولاده: الضيوف تُكرَم فى بيتى. فهل أجبرهم أن يكرموا ضيوفه أم أنه أمرهم؟ ولو حدث أنهم لم يكرموهم بل أهانوهم، أيكون العيب فى الوالد أم فى أولاده الذين لم ينفذوا أمره؟ إن هذه الآية (والله أعلم) كقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا} [الإسراء:٣٣] قال العلماء إن قوله جل وعلا: {إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا} يعنى أن الله نصره بتشريع حد القصاص، أى أن حقه محفوظ فى الدنيا بالقصاص، وفى الآخرة بالجزاء. فلنفترض أن القاتل لم يُقَمْ عليه حد القصاص لأى سبب، كظلم الحاكم، أو لأنه لم يتمكن منه، أو لأى سبب آخر، أيكون فى هذه الحالة التى لم يُقَمْ حد الله فيها تكذيباً لقوله تعالى: {إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا} أم أنه

عدم امتثال لأمره؟ والدليل على ذلك أن القرآن نفسه قد بين أنه من الممكن القتال عند المسجد الحرام، ولكن بشرط أن يكون الاعتداء قد وقع على المسلمين أولاً {وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ} [البقرة:١٩١]، والله أعلم.

س٣١١- إن الإسلام لم يحرم إلا الربا المضاعف، أما القليل فلا مانع منه، بدليل قول القرآن: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً} [آل عمران:١٣٠]

ج٣١١- لقد صدق عليكم قول ربنا جل وعلا: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة:٨٥] لأنكم تناسيتم قوله تعالى: {وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة:٢٧٩] فهذه الآية قطعت الظن بأن يسير الربا حلال، فهي توضح أن من تاب فله رأس ماله فقط، لا يزيد عليه ولا ينقص منه. أما لماذا قيل: {أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً} فلأن هذا كان حالهم فى الجاهلية. وهناك حديث عن رسول الله ﷺ يوضح فيه حرمة أدنى شيء من الربا، وهو قوله: **"درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية"** [صحيح الجامع:٣٣٧٥]، والله أعلم.

س٣١٢- يقول القرآن: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً} [آل عمران:١٣٠] لقد جاءت هذه الآية فى سياق الكلام عن غزوة أُحُد، فهى لا تمت لما قبلها ولما بعدها بأى صلة، والعجيب أن المسلمين ما زالوا يطنطنون حول بلاغة القرآن!

ج٣١٢- إن هذه الآية لها علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها، فالمرابى يأخذ أكثر من حقه، ويتطلع إلى ما لم يبذل فيه أى جهد، بل ويضيف على ذلك تأويلاً خاطئاً من عنده، فيظن أن البيع مثل الربا {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟} [البقرة:٢٧٥] وذلك مثل من يُحلِّون أرباح البنوك الربوية، ويقولون إن البنوك لا تخسر، فلماذا تكون أرباحها حراماً، وهل البنك يقترض منى، إنه يستثمر لى مالى ويربح وأنا أربح معه.. مع أن البنوك التى تخسر وتسرح عمالتها كثيرة. فكذلك الرُّماة على جبل أُحُد وقعوا فى التأويل، وتطلعوا لأخذ ما ليس من حقهم، فقد أوَّلوا أمر الرسول ﷺ لهم ألا يبرحوا أماكنهم بأن من حقهم أن يبرحوها طالما أن المشركين هُزِموا وولوا مدبرين، فنزل معظمهم ليأخذوا

الغنائم، وهى ليست من حقهم، كما يفعل المرابى {مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ} [آل عمران:١٥٢] فلما رآهم المشركون هجموا عليهم وحدث ما حدث من هزيمة المسلمين. ومجىء هذه الآية فى هذا المكان من باب الطرق على الحديد وهو ساخن، كما ترى من يشاهد منظراً مرعباً (كالبراكين مثلاً) فتذكره بالنار، ليتعظ ويقلع عن معاصيه، أو يشاهد مناظر جميلة من بساتين وأنهار وأشجار وثمار، فتذكره بالجنة، أو كمن يمشى مع ابنه فيشاهدان الناس يضربون لصاً، فيقول لابنه: إنه لم يكن يسمع كلام والديه، وترك المذاكرة والمدرسة، وصاحَب أهل السوء حتى أصبح لصاً، هل تحب أن تكون مثله؟ أم تحب أن تكون مثل دكتور فلان الذى يملك عيادة جميلة، وسيارة، وكذا وكذا؟ إنك فى هذه الحالة - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - تستفيد من هذه الواقعة لتعظه حتى لا يكون مثله. ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال بعد النهى عن الربا: {وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:١٣٠] ولم يقل مثلاً: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أو ما شابهها، لأن {تُفْلِحُون} أصلها من (الفلاحة) فالفلاح عنده أرض، والمرابى عنده رأس مال، ولكن الفلاح رغم أن عنده أرضاً إلا أنه يتعب فيها ويبذل جهده، فيبذر ويحرث ويسقى، ويتعاهد الزرع بما يصلحه، ويدفع عنه الآفات على قدر استطاعته، وفى النهاية يجد ثمرة جهده، ويحصد ما زرع، فلابد لصاحب رأس المال أن يشغل ماله فيما يدر عليه الربح الحلال كما يفعل الفلاح، وإذا أقرض ماله للمحتاج فليجعله قرضاً حسناً، وليحتسب أجره عند الله، ليجنى ثمرة عمله فى الآخرة، كما يجنى الفلاح ثمرة عمله، ولكن مع الفارق العظيم بين حصاد الدنيا وحصاد الآخرة {وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ} [الروم:٣٩]، والله أعلم.

س٣١٣- يقول القرآن: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ} [آل عمران:١٤٤] فكيف يكون قائل هذا إلهاً وهو لا يعرف هل سيموت محمد أو سيقتل؟

ج٣١٣- إن الرسول ﷺ فى حقيقة الأمر مات شهيداً متأثراً بأكلة خيبر التى تحدثنا عنها فى الشبهة رقم (٢٥٧) والدليل على ذلك قوله: **"ما زالت أكلة خيبر تعاودنى كل عام، حتى كان هذا أوان قطع أبهرى"** [صحيح الجامع:٥٦٢٩] أما أمام الناس فإنه مات

موتة طبيعية على فراشه، فلو قال الله عز وجل إنه سيقتل، ثم يموت فى فراشه، لكان فى هذا فتنة للناس فى دينهم، لأن أكْلَه من الشاة المسمومة لم يعلم به إلا القليل. وهناك شىء آخر: فلو أن الله عز وجل قال إنه سيقتل لكان فى هذا حزن للمسلمين وقلق، وترقُّب منه ومنهم لموعد ومكان قتله، ومن سيقتله... إلخ. وموضوع قتله بالسُّم من امرأة يهودية يحزن الكثير من المسلمين، ونقول لهم: إن بعض الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد قتلوا ونالوا الشهادة، بدليل قوله تعالى: {أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة:٨٧] فلو لم يَمُت الرسول ﷺ شهيداً لكان من الأنبياء من هو أعلى منه درجة، ولكن الله عز وجل من فضله ورحمته جمع له أجر الشهادة مع أجر النبوة والرسالة.

وقد ورد فى الكتاب المقدس تناقض بين كون يهوذا مات من سقوطه على وجهه، وبين كونه مات منتحراً، فماذا نصدق إذن؟

فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. (أعمال الرسل١: ١٨)

فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخنق نفسه (متى٢٧: ٥)

وجاء فى الكتاب المقدس أيضاً تناقض فى طريقة انتحار شاول النبى، حيث يقول:

ومات شاول ويوناثان ابنه أيضاً. فقال داود للغلام الذى أخبره كيف عرفتَ أنه قد مات شاول ويوناثان ابنه. فقال الغلام الذى أخبره اتَّفقَ أنى كنتُ فى جبل جلبوع وإذا شاول يتوكَّأ على رُمْحه وإذا بالمركبات والفُرْسان يشدُّون وراءه. فالتفتَ إلى ورائه فرآنى ودعانى فقلتُ هَأَنذا. فقال لى مَن أنت فقلتُ له عماليقى أنا. فقال لى قِف علىَّ واقتلنى لأنه قد اعترانى الدُّوار لأن كل نفسى بَعْدُ فىَّ. فوقفتُ عليه وقتلْتُه (صموئيل الثانى١: ٤-١٠) مع أنه ذَكَرَ طريقة أخرى جاءت فى الرد على الشبهة رقم (١٥٧)، والله أعلم.

س٣١٤- يقول القرآن: {وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} **[آل عمران:١٧٦] طالما أن الله أراد ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة، فلِمَ يجعل لهم فى الآخرة عذاباً عظيماً؟**

ج٣١٤- إن الله سبحانه وتعالى {لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:٤٠] فهل يقهر أحداً على فعل المعصية ثم يعاقبه عليها؟ {سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام:١٠٠] ولكن هذا عقوبة كفرهم، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن والداً نصح ولده مراراً وتكراراً بعدم مصاحبة أهل السوء، وبالمذاكرة لينجح آخر العام، ولكن الولد لم يسمع كلام والده، وتمادى فى لعبه ولهوه وترك المذاكرة، فماذا يقول له والده؟ يقول له: اعمل ما بدا لك، فأنا أريد أن ترسب. فهل هو حقاً يحب لابنه الرسوب، أم أن الولد أغضبه فقال ما قال؟ فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده بتوحيده وطاعته، ويرسل إليهم الرسل، وينزل إليهم الكتب، ويبرهن لهم على ربوبيته وألوهيته بالأدلة النقلية والعقلية، ولكنهم مع كل هذا، ومع ما أمدهم به من العقل ليميزوا به بين الخير والشر.. يجحدون نعمه، ويكفرون برسله، فتكون عاقبتهم أن يختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب يوم الحساب، والله أعلم.

س٣١٥- أين هى بلاغة القرآن حين يقول: {وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ} [النساء:٥] أليس المفروض أن يقول (وارزقوهم منها) بدلاً من {وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا}؟

ج٣١٥- إن قوله تعالى: {وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا} أبلغ من (وارزقوهم منها) لأن (منها) تعنى من المال نفسه، أما {فِيهَا} فتعنى رزقهم من عائدها أو ربحها، وهذا حث على تشغيل الأموال وتكثيرها، والله أعلم.

س٣١٦- يقول القرآن: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء:١٠] {وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ} [البقرة:١٨٨] {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ} [التوبة:٢٤] فهل الأموال تؤكل كما يقول القرآن؟

ج٣١٦- إن الله قد ذكر الأكل بالذات لأن استبقاء الحياة به، وأكثر استهلاكات البشرية ونفقاتها فى الطعام، وكل واحد منا يستطيع أن يحسب نفقاته الشهرية، فسيجد معظمها فى شراء الطعام، ولا صبر للإنسان على فقدانه، أما الملابس - مثلاً - فلا يحتاجها الإنسان إلا مرة أو مرتين فى العام، ويمكنه لبس الأشياء القديمة أو البالية، بعكس الطعام، فهو احتياج يومى لا يمكن الاستغناء عنه البتة، ولا يمكن للإنسان أن يأكل وجبة يعيش

عليها لعدة أيام، فضلاً عن الشهور والسنين التى يستغنى فيها عن الأشياء الأخرى، حتى إنهم يقولون على من يجتهد فى طلب الرزق الحلال: (إنه يسعى على لقمة العيش) مع أن عنده نفقات كثيرة غير الطعام، والله أعلم.

س٣١٧- لا يهتم القرآن بالدَّيْن بقدر اهتمامه بالوصية، فيبدأ بالوصية قبل الدَّيْن فى أربع آيات من سورة النساء، منها قوله: {مِنْۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ} [النساء:١٢] مع أن الدَّيْن أولى من الوصية.

ج٣١٧- نعم.. إن الدَّيْن أولى من الوصية، ولكن كثيراً من الناس لا يهتمون بالوصية بقدر اهتمامهم بالدَّيْن، وربما يكتموها، وخصوصاً إن كان الميت لم يُوَثِّق وصيته، ولم يُشهِد عليها أحداً، لأنهم يعتبرون أن المال الْمُوصَىَ به من حقهم، وليس من حق الْمُوصَىَ له بهذا المال، وأنهم إذا نفذوا وصية الميت فسيعود ذلك بالضرر عليهم، ويقلل من إرثهم، فذكرت هذه الآيات الوصية قبل الدَّيْن ليعلم الورثة أن تنفيذها فرض عليهم، والله أعلم.

س٣١٨- يقول القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء:٢٩] فهل يمكن أكل المال بالباطل عن طريق التجارة؟ وكيف يقوم الناس بالانتحار الجماعى كما تقول الآية؟

ج٣١٨- التجارة عبارة عن معاوَضَة سلعة بمال، وهناك دائماً وسيط بين المنتج والمستهلك، سواء كان هذا المنتج مزارعاً، أو صانعاً، أو غير ذلك، والسلعة لها ثمن أصلى، هو ثمن تكلفتها الحقيقية، وثمن تباع به أعلى من ثمنها الأصلى، فأنت حين تشتريها لا تشتريها بثمن تكلفتها، ولكنك تشتريها بأعلى منه، فظاهر هذا الفرق فى السعر أنه أَكْل لمالك بالباطل، ولكنك راضٍ عنه، لعلمك بحتمية الربح للمنتج والوسيط، وأنك لو كنت مكانهم لفعلت فعلهم، أما المنهى عنه فهو الظلم فى المعاملات، وأخذ ما ليس لنا فيه حق ومشروعية.

أما قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ} فهو نهى لكل فرد أن يقتل نفسه، وليس معناها النهى عن الانتحار الجماعى. فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو قال مدرس لتلاميذه: أخرجوا كتبكم، فإنه يقصد فى هذه الحالة أن كل تلميذ يخرج كتابه، ولكن الأمر جاء

لكل التلاميذ، فلهذا جاء بصيغة الجمع، فلا يصح أن يقول لهم: أخرجوا كتابك! أما لو كلم تلميذاً بعينه فإنه يقول له: أخرج كتابك، فكذلك الآية تنهى كل واحد من المؤمنين عن قتل نفسه، ولا تنهى واحداً بعينه، فجاءت بصيغة الجمع. وقبل الغزو الأوربى لبلاد المسلمين، وقبل إدخال السينما لبلادهم، كانت نسبة الانتحار بين المسلمين تساوى صفراً، لأن الانتحار محرم بهذه الآية، وبأحاديث رسول الله ﷺ، ومنها: **"إن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة، فلما آذته انتزع سهماً من كِنانته فنكأها، فلم يرقأ الدم حتى مات، فقال الله: عبدى بادرنى بنفسه حرمت عليه الجنة"** [صحيح الجامع:٢٠٨٢] و**"من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجَّأ بها فى بطنه فى نار جهنم، خالداً مخلَّداً فيها أبداً، ومن شرب سُمّاً فقتل نفسه فهو يتحسّاه فى نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم، خالداً مخلَّداً فيها أبداً"** [صحيح الجامع:٦٤٥٩] فأنت جئت إلى الدنيا بأمر الله، وتخرج بأمر الله، فعند انتحارك تكون قد اعتديت على حق من حقوق الله جل وعلا، ولم تصبر على قضائه وقدره، وهدمت بنيَتَك التى ليست ملكاً لك، ولكنها ملك لله سبحانه وتعالى.

لقد جاء الأمر بالقتل الجماعى فى الكتاب المقدس، حيث قال: **فقال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل ضَعُوا كل واحد سيفه على فخذِهِ ومُرُّوا وارجعوا من باب إلى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى املأوا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وبأخيه. فيعطيكم اليوم بركة** (خروج٣٢: ٢٧-٢٩)، والله أعلم.

س٣١٩- يقول القرآن: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:٤٠] **وقد أثبت العلم أن الذرة يمكن تفتيتها إلى ما هو أصغر منها، فهل معنى هذا أن الله يظلم أقل من الذرة؟**

ج٣١٩- إن القرآن قد ذكر أن هناك ما هو أصغر من الذرة، فقال: تعالى {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [سبأ:٣] وقال: {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [يونس:٦١] ولكن هذا لا يعنى أن الله يظلم أقل

من الذرة - حاشا وكلا - ولكن الذرة كانت - وما زالت - يُضرَبُ بها المثل فى غاية الضآلة والصغر، فكانت بفهم الصحابة ﷺ أنها النملة أو الهباءة (وهى ما نراه من الأجسام الصغيرة العالقة فى شعاع الشمس الداخل من نافذة مثلاً) ولكن بعد اكتشاف الذرة أدرك العلماء المحدثون فَهْمَ الآية على ضوء هذا الاكتشاف، وأدركوا معنى قوله تعالى: {أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ} بعد الوصول إلى تفتيت الذرة، ولكن الثواب والعقاب يكونان على أقل ما يفعله الإنسان من خير أو شر، كما قال الله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة:٧-٨] والإنسان لا يستطيع أن يعمل خيراً أو شراً أقل من الذرة، لماذا؟ لأن أصغر وِحدة فى تكوين أى شىء، سواء كان حياً أو ميتاً، إنساناً أو حيواناً، نباتاً أو جماداً، أو أى شىء يخطر على بالك، هى الذرة، حتى الخلية الحية التى هى وحدة تكوين الكائن الحى، فهى مكونة من عناصر كثيرة مثل الصوديوم، والبوتاسيوم، والحديد، والكالسيوم، والماغنسيوم.. إلخ، وِحدة تكوين كل عنصر فيها هى الذرة، ومع أن الذرة مكونة من أشياء كثيرة مثل البروتونات، والإلكترونات، والنيوترونات.. إلخ، إلا أن هذه المكونات لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تنفصل عن بعضها إلا بمعالجات كيميائية تخرجها عن طبيعتها، وخواصها، وصفاتها الأصلية، بحيث لا يُطلق عليها اسم عنصرها الأصلى، ومن ضمن ذلك ما يسمى بالتفجير النووى، فكيف تكون أصغر وِحدة لتكوين أى شىء هى الذرة، ثم يستطيع الإنسان أن يعمل ما هو أصغر منها؟ وبهذا يتضح للسائل أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أقل من الذرة، لأنه لو كان هناك ظلم - جدلاً - لكان بالعقاب، ولا يوجد عقاب أقل من الذرة، والله أعلم.

س٣٢٠- يقول القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ} [النساء:١٣٦] كيف يقال لهم: {ءَامِنُواْ} وهم مؤمنون؟

ج٣٢٠- إن الإيمان فعل القلب، والإسلام فعل الجوارح، وهذا أمر بالثبات على الإيمان، لأن الإيمان يزيد وينقص، وكأن معنى الكلام: اثبتوا على الإيمان، ولا تشكُّوا فى يوم من الأيام، كما تقول لابنك - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ}: ذاكر ولا تلعب. وهو يذاكر بالفعل، ولكنك تقصد التأكيد عليه أن يستمر فى المذاكرة، فلا يتركها ويلعب. وقال بعض العلماء إنه أمر بالزيادة فى الإيمان، حتى يصلوا إلى أعلى الجنان. كما تقول لابنك -

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أنا لا أريد منك أن تنجح، ولكنى أريد أن تتفوق. فالإيمان يزيد بالطاعات، وذكر الله، وتلاوة القرآن، وينقص بالغفلة والمعاصى والآثام، وكما أن الإيمان درجات، فالجنة درجات.. قال رسول الله ﷺ: **"إن فى الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة"** [صحيح الجامع:٢١٢٦]، والله أعلم.

س٣٢١- يقول القرآن: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة:٦] لقد سوَّى القرآن بين المرأة والبول والبراز (الغائط) فلابد من التطهر منهم.

ج٣٢١- إن الطهارة والوضوء أمر تعبدى، وهو من شروط صحة الصلاة، فهناك طهارة من الحدث الأكبر - مثل الجماع - وهو المقصود من الآية الكريمة: ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أو إنزال المنى ولو بغير جماع - ولو احتلاماً - وكذلك الحيض والنفاس، ويكون بالاغتسال. وطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، مثل التبول والتغوط، والمباشرة الخارجية بدون إنزال منى. وهناك نواقض أخرى للوضوء لم تذكر فى الآية، مثل أكل لحم الجزور (الإبل) على أصح القولين، أو لمس المرء فرجه بدون حائل، فهل كل النواقض تعتبر كالبراز؟ والمرأة هى الأخرى لابد أن تغتسل من الجماع، وتتوضأ من المباشرة بغير جماع، فهل هذا يعنى أن الرجل يتساوى بالبراز هو أيضاً؟ فإذا قلتم: نعم (وهذا لا يقوله إلا مجنون) فنقول لكم: لا تحزنوا.. فهناك مساواة بين الرجل والمرأة (رد جنون بجنون!) ثم إن الجمع بين الأشياء لا يعنى تجانسها، فلو قلت: إن عندى غسالة، وسيارة، وحصاناً.. فهل هذا يعنى تجانس هذه الأشياء، أو مساواتها فى القيمة؟ إن الأمر أمر تشريعى كما قلنا عن التيمم، فالله عز وجل يأمرنا بما يشاء، وينهانا عمَّا يشاء، وله الحكمة البالغة، ونحن عبيده، ولا نملك إلا السمع والطاعة، والله أعلم.

س٣٢٢- إن القرآن يجمع المثنى، فيقول: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨] وكان المفروض أن يقول (فاقطعوا يديهما)

ج٣٢٢- هل الله سبحانه وتعالى يتكلم عن سارق واحد وسارقة واحدة حتى يأمرنا

بقطع يديهما؟ إن كلمة {ٱلسَّارِقُ} تعنى كل من سرق من الرجال، وكلمة {ٱلسَّارِقَةُ} تعنى كل من سرقت من النساء، ومن ثَمَّ فالعقوبة تشملهم جميعاً، ولذلك جاءت بضمير الجمع، والله أعلم.

س٣٢٣- يقول القرآن: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ} [المائدة:٤٤] {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [المائدة:٤٥] {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ} [المائدة:٤٧] فلماذا يبدأ فى كل آية بضمير المفرد، ثم يختم بضمير الجمع؟

ج٣٢٣- أى حاكم لا يحكم بمفرده، ولكن لابد أن تكون معه حكومة، وهى السلطة التشريعية، ثم السلطة التنفيذية التى تطبق أحكامه، فلابد له من وزراء فى جميع المجالات: الداخلية، العدل، الخارجية.. إلخ، وكذلك لابد له من قضاة ليحكموا بين الناس بأمره. وقد روى عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أنه كان مسجوناً، فسأله الحارس الذى كان يجلده: هل علىَّ ذنب يا سيدى؟ فقال له: نعم.. فلولاك ما ظلموا. وهذا صحيح، فكيف يظلم الحاكم بغير منفِّذين لحكمه؟ فلو وُجدَ حاكم ظالم، ولكن لم يطعه أحد فى تنفيذ أوامره.. فكيف يظلم إذن؟ هل سيقوم بتنفيذ أوامره بنفسه؟ فضمير الجمع فى الآيات الكريمة يرجع إلى الحاكم، وحكومته، وكل من يساعده، كما قال الله عز وجل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَـٰطِـِٔينَ} [القصص:٨] فمن قال: فما ذنب جنودهما؟ نقول له: لأنهم أطاعوهما، كما قال تعالى فى آية أخرى: {فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ} [الزخرف:٥٤]، والله أعلم.

س٣٢٤- يقول القرآن: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:٦٢] ويقول: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة:٦٩] ويقول: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ}]الحج:١٧] إن محمداً قد أخطأ فى الإعراب حين قال فى سورة المائدة: {ٱلصَّـٰبِـُٔونَ} والصواب أن يقول {ٱلصَّـٰبِـِٔينَ} كما

قال فى سورتى البقرة والحج.

ج٣٢٤- المسلمون واليهود والنصارى يجمع بينهم قاسم مشترك، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة، والبعث والنشور، والحساب، والميزان، والجنة والنار.. إلخ، وتحريم القتل، والربا، والسرقة، والخمر، والزنى.. إلخ، فقد جاءهم رسل من عند ربهم، يحملون رسالة فيها منهج لحياتهم، أما الصابئون فلم تنزل إليهم رسالة، و لم يُرسَل إليهم رسول، فحين جاء ذكرهم فى سورة (المائدة) بعد اليهود وقبل النصارى، خُصِّصُوا بحُكم وحدهم فيه كسر للإعراب، وكأنه مبتدأ، ولولا ذلك لَظَن القارئ أن عطفهم على اليهود بحرف (الواو) ثم عطف النصارى عليهم، يجعل حكمهم مثلهم، ولظن أنهم قد أرسل إليهم رسول من عند ربهم، أما وضعهم بين اليهود والنصارى فهذا ترتيب حسب زمن ظهورهم، فقد ظهروا بعد اليهودية، واستمر وجودهم إلى ما بعد النصرانية. والشاهد على تفرد شيء بحكم خاص به رغم عطفه على شيء آخر، ما جاء فى قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ} [المائدة:٦] فكلمة: {وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ} برغم أنها - ظاهرياً - معطوفة على {وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ} إلا أنها لا تأخذ حكمها فى المسح، ولكنها معطوفة عليها لأجل ترتيب أفعال الوضوء، أما من حيث حكمها فهى معطوفة على {فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ} بمعنى أنها تُغسَل مثلهم، والله أعلم.

س٣٢٥- ليس فى القرآن آية واحدة تدل على تحريم الخمر، أما الآية ٩٠ من سورة (المائدة) فهى تدل على المجانبة فقط.

ج٣٢٥- إن قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} أشد من النهى المباشر، لأن الاجتناب يعنى تحريم كل الطرق المؤدية إلى شربها، كما قال تعالى: {وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ} [الإسراء:٣٢] فلم يقل سبحانه وتعالى (ولا تزنوا) لأن الأخيرة تعنى تحريم الزنى فقط، أمَّا الأولى فتعنى تحريم كل الطرق المؤدية إليه، من خلوة، ونظر محرَّم، ولمس بالأيدى، وخضوع بالقول، وتبرج... إلخ. فكذلك قوله تعالى: {فَٱجۡتَنِبُوه} أشد فى التحريم من (لا تشربوا الخمر) فمجانبة الشيء تعنى أنك تعطيه جانبك، كأن يكون على يسارك فتعطيه جانبك، وتلتفت

ناحية اليمين، أو يكون هناك شيء خطير على جانب الطريق، فتجتنبه وتمشى على الجانب الآخر. أمّا لو قال (لا تشربوا الخمر) أو (حرمت عليكم الخمر) فهذا لا يعنى إلا عدم شربها، ولكن لا مانع من تصنيعها، أو بيعها، أو أكل ثمنها، أو بمجالسة من يشربونها، أو حملها إليهم.. إلخ، ولكن تحريم كل هذا جُمِعَ فى كلمة واحدة، وهى قوله تعالى: {فَٱجْتَنِبُوهُ}. ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: **"إن الله لعن الخمرَ، وعاصِرَها، ومُعتَصِرَها، وشارِبَها، وساقِيَها، وحامِلَها، والمحمولةَ إليه، وبائعَها، ومشتريَها، وآكِلَ ثمنها"** [صحيح الجامع:١٨٠٢]

أمّا الكتاب المقدس فقد ذمَّها، ثم أمر بشربها، وإليكم بعض النصوص الخاصة بها: **مُحب الخمر والدُّهن لا يستغنى.** (أمثال٢١: ١٧) **لمن الويل لمن الشقاوة لمن المُخاصمات لمن الكَرْبُ لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين. للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حِبابَها فى الكأس وساغت مرقرقة. فى الآخر تلسع كالحيَّة وتلدغ كالأفعوان. عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية. تكون كمضطجع فى قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية. يقول ضربونى ولم أتوجَّع. لقد لكأونى ولم أعرف. متى أستيقظ. أعود أطلبها بعد** (أمثال٢٣: ٢٩-٣٥) **أعطوا مُسكراً لهالك وخمراً لمُرّى النفس. يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد** (أمثال٣١: ٦) **لا تكن فى ما بعد شرّاب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة** (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس٥: ٢٣)، والله أعلم.

س٣٢٦- يقول القرآن: {لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [المائدة:٩٣] ما هذا الإطناب والتكرار؟

ج٣٢٦- إن هذا ليس تكراراً ولا إطناباً، فقد جاء فى (تفسير النسفى) بخصوص هذه الآية الكريمة ما نصّه:

ونزل فيمن تعاطى شيئاً من الخمر والميسر قبل التحريم {لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟} أى: شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل

تحريمهما {إِذَا مَا ٱتَّقَوا} الشرك {وَّءَامَنُواْ} بالله {وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} بعد الإيمان {ثُمَّ ٱتَّقَوا} الخمر والميسر بعد التحريم {وَّءَامَنُواْ} بتحريمهما {ثُمَّ ٱتَّقَوا} سائر المحرَّمات. أو الأول عن الشرك، والثانى عن المحرمات، والثالث عن الشبهات {وَّأَحْسَنُواْ} إلى الناس {وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}

ثم إن فى تكرار هذه الكلمات الدالة على التقوى والإيمان والإحسان دلائل على وجوب مراعاهًا، والاستمرار فى سلوكيات تناسبها، ونحن نعلم أن الإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، وتكرار هذه التنبيهات يذكّر ويعدِّل مسار المؤمن، فيحسِّن سلوكه ونواياه، فيحبه ربه ومولاه، والله أعلم.

س٣٢٧- يقول القرآن: {يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ} [المائدة:١٠٩] إن الرسل هم أعلم أهل الأرض، فكيف يكذبون ويقولون: {لَا عِلْمَ لَنَآ}؟

ج٣٢٧- إن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - هم أعلم الناس برهم، وأتقاهم له، وقد كانوا فى الدنيا على وَجَل وخوف من رهم جل وعلا، فما بالكم بيوم القيامة؟ إهم من هول الموقف بين يديه سبحانه وتعالى ينسون ما حدث من أقوامهم، فيقولون: {لَا عِلْمَ لَنَآ} فهو نسيان وليس كذباً، ولنضرب لذلك مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن طلبة فى لجنة الامتحان جاءهم مراقب ضخم الهيئة، فظ غليظ، وقال لهم بصوت أجَش: الباقى من الوقت خمس دقائق، فإهم ينسون ولا يدرون ماذا يكتبون فى ورقة الامتحانات، لا لعدم مذاكرهم، ولكن لخوفهم منه، والله أعلم.

س٣٢٨- يقول القرآن: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} [الأنعام:٣٨] ما فائدة قوله: {يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟

ج٣٢٨- إن هذا الوصف للتوكيد، والتوكيد هنا يفيد معنى الشمول الذى دلت عليه {من} فى قوله تعالى: {وَمَا مِن} والتوكيد جاء لغرابة الخبر عندهم وكونه مَظنَّة إنكارهم (أى أن الطيور أمم أمثالنا) فكان حقيقاً بأن يُؤكَّد بأنه الطائر الذى نعرفه يطير بجناحيه، وليس المقصود به شيئاً آخر، والله أعلم.

س٣٢٩- إن القرآن يخلط الترتيب التاريخى فى بعثة الأنبياء والمرسلين، فيقول مثلاً:

{وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ} [الأنعام:٨٤-٨٦] **لكن الترتيب التاريخي الحقيقي هو: أيوب، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، هارون، موسى، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكريا، يحيى، عيسى.**

ج٣٢٩- إن القرآن ليس كتاباً تاريخياً، ولا يؤرخ للأحداث مرتبة بغير قصد، إنه كتاب هداية وإصلاح وإرشاد، وحين تقرأ القرآن ترى أن الله لم يذكر اسم ابن نوح الذى كان كافراً، ولا اسم جبار إبراهيم، ولا اسم فرعون موسى، ولا أسماء أهل الكهف، ولا زمانهم، ولا مكانهم، ولا اسم الذى عقر ناقة صالح، ولا اسم ذى القرنين ولا زمانه، ولا مكان سد يأجوج ومأجوج، ولكن القرآن يذكر الظَّلَمَة بأفعالهم، وليس بأسمائهم، فلا قيمة للأسماء، فإن الله قد أهلكهم بسبب أفعالهم، وليس بسبب أسمائهم، فهو ليس كتاب تاريخ، ولكنه كتاب عقيدة وعمل، ولذلك لا يهتم بالترتيب، فقد ذكر قوم ثمود فى سورة (الحاقة) قبل عاد، مع أن المعلوم من القرآن نفسه أن عاداً قبل ثمود، وجاء بذكر سيدنا محمد قبل جميع الرسل - صلوت الله وسلامه عليهم أجمعين - فى قوله تعالى: {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا} [النساء:١٦٣] إذن فالقرآن لا يؤرخ للأحداث، ولكنه يضرب الأمثال، ويسرد الحقائق، ولا يهم أن تكون مرتبة، المهم الاعتبار والموعظة، والظروف التى نزلت فيها الآية، وعلى قدر الاستيعاب وحالة النفوس، ومناسبة المعنى لما قبلها وما بعدها، وأحياناً يأتى الحدث على هيئة رمز غير مرتب، كما جاء فى سورة (التين) {وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ} لقد جاء بمكان سيدنا عيسى وهو {ٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ} قبل مكان سيدنا موسى {طُورِ سِينِينَ} ثم قال: {وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ} مكان سيدنا محمد.. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ثم إنه من يدرس حروف العطف فى لغة العرب - التى هى لغة القرآن - يعلم بأن (الواو) تعطف، ولا تفيد ترتيباً زمنياً، مثل (ثم) و(الفاء).

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن (يهورام) مات وعنده أربعون عاماً، ثم تولى ابنه (أخزيا) الملك من بعده، وهو ابن اثنتين وأربعين عاماً، أى أنه كان أكبر من أبيه بعامين:

كان يهورام ابن اثنتين وثلاثين سنة حين مَلَك ومَلَك ثمانى سنين فى أورشليم. (أخبار الأيام الثانى٢١: ٥) هذا النَّص يذكر عمر (يهورام) ومدة مُكثه فى الحُكم، ثم يأتى النَّص التالى ليذكر وفاته:

كان ابن اثنتين وثلاثين سنة حين مَلَك ومَلَك ثمانى سنين فى أورشليم وذهب غير مأسوف عليه ودفنوه فى مدينة داود ولكن ليس فى قبور الملوك (أخبار الأيام الثانى٢١: ٢٠) ثم يأتى النَّص الأخير ليثبت أن ابنه (أخزيا) تولى الحكم بعده مباشرة (عِوَضاً عنه) وكان أكبر منه سناً:

وملَّك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عِوَضاً عنه لأن جميع الأوَّلين قتلهم الغُزاة الذين جاءوا مع العرب إلى المحلة. فمَلَكَ أخزيا بن يهورام مِلْكِ يهوذا كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك (أخبار الأيام الثانى٢٢: ١-٢) فهل هذا أشد أم ترتيب الأحداث؟، والله أعلم.

س٣٣٠- نحن نلاحظ استخدام القرآن لعبارات مختلفة لنفس المعنى، فيقول مثلاً: {وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام:١٥١] ثم يقول: {وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء:٣١] فما هذا التكرار والتلاعب بالألفاظ؟

ج٣٣٠- إن الآيتين ليس بهما تكرار ولا تلاعب بالألفاظ، فالآية الأولى تتكلم عن فقر موجود فعلاً، فمن البديهى أن تطمئن الفقير على رزقه أولاً، ثم رزق أولاده، ولذلك جاءت بلفظ {نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} أما الآية الثانية فإنها تتحدث عن الخوف من الفقر، أى أنه لم يقع بعد، وهم يخشون وقوعه بسبب كثرة الذرية، فيطمئنهم الله عز وجل بأنه سيرزق أولادهم أولاً، وأنهم لن يكونوا سبباً فى فقرهم، ولذلك قال: {نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} فهذا أبلغ فى الاطمئنان على رزق أولادهم، حتى لا يفكروا فى قتلهم، والله أعلم.

س٣٣١- يقول القرآن: {وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الأعراف:١٠] ثم يقول: {وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ

ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ} [الأعراف:١١] ألم يكن المفروض أن تأتى الآية ١١ قبل الآية ١٠؟ إذ كيف يكون تمكين الإنسان فى الأرض قبل خلقه؟

ج٣٣١- إن الترتيب هاهنا ليس ترتيباً زمنياً، ولكنه ترتيب حسب الأهمية، كما جاء ذلك كثيراً فى القرآن الكريم، مثل قوله تبارك وتعالى فى أول سورة (الرحمن): {ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ} فتذكير الإنسان بنعمة التمكين له فى الأرض، وكفالة معايشه، وطعامه وشرابه، وسائر احتياجاته، يأتى فى المقدمة قبل سرد قصة خلقه، لأن هذه الأشياء بها قوام حياته، وهو لا يهتم بقصة خلقه قدر اهتمامه بمعايشه، فهى شغله الشاغل، وبدونها يهلك، ولا يستطيع مواصلة الحياة، فلو ذهبنا إلى إحدى البلاد التى بها مجاعات مثل النيجر، وكان معنا طعام وشراب، فأطعمناهم وسقيناهم، فكم تكون فرحتهم بنا؟ وكم يكون امتنانهم لنا؟ أمّا لو ذهبنا إليهم وحدثناهم عن بداية نشأتهم، فهل يعنيهم ذلك فى شىء؟ ولكن إذا حدثناهم عنها بعد إطعامهم فسيكونون آذانا صاغية، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - يمتن على عباده بهذه الأشياء قبل امتنانه عليهم بخلقهم، والله أعلم.

س٣٣٢- يقول القرآن: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ} [الأعراف:٣٣] فهل هناك بغى بحق وبغى بغير حق؟

ج٣٣٢- البغى معناه الظلم.. وهو محرم قطعاً بالكتاب والسنَّة، ولكن هذا من باب (المشاكلة اللفظية) ما معنى هذا الكلام؟ معناه أننا نسمى رد الفعل باسم الفعل، فمثلاً قول الله عز وجل: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤] فمن اعتدى عليك بالضرب أو الإهانة فمن حقك أن ترد اعتداءه بمثله، وفى هذه الحالة أنت غير ظالم له، لأنه هو الذى بدأ بالاعتداء، ولكن رد فعلك أخذ الصفة نفسها، من باب المشاكلة اللفظية كما قلنا، وآيات أخرى كثيرة تؤيد هذا المعنى، مثل قوله تعالى: {وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ} [آل عمران:٥٤] ومثل: {وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة:١٤-١٥] فهؤلاء عوقبوا بما يتناسب مع فعلهم.

وهناك رأى آخر يقول: إن هناك أشياء ظاهرها البغى، ولكنها بحق.. كيف ذلك؟ فمثلاً: حالات التترس بالبرىء فى الحروب.. يأخذون أسرى أو رهائن ويتترسون بهم، أى يستترون خلفهم كدروع بشرية (وهو ما يسمونه الحائط البشرى) حتى إذا حاول أحد قتلهم فلابد أن يقتل هؤلاء الأسرى رغم أنهم أبرياء.. فماذا نفعل فى هذه الحالة؟ هل نترك أعداء الله وأعداءنا خوفاً على الأسرى الأبرياء المسلمين؟ إننا فى هذه الحالة نقتل الأبرياء لنصل إلى الأعداء.. وفى هذه الحالة نكون قد بغينا على الأبرياء، ولكنه بغى بحق. ومثل مجرم تطارده الشرطة فاختبأ وراء أبرياء، ولا تستطيع قتله إلا إذا قتلت معه هؤلاء الأبرياء، فلابد أن يُقتل هذا المجرم، ولو قتِلوا معه، لأنه لو تُرك لكان خطراً على الأمة، وعلى المسلمين، فالمصلحة العليا تقتضى قتل هذا المجرم العاتى، مع التضحية بالأبرياء، فيكونون فى هذه الحالة قد قُتِلوا ظلماً، ولكن بحق. مثال آخر: هناك أرض زراعية لشخص ما، وهذه الأرض فى مواجهة العدو، والمصلحة العليا للدولة تقتضى الاستيلاء على هذه الأرض، فيصدر أمر من وزير الدفاع بالاستيلاء عليها، ووضع المدفعية والأسلحة اللازمة للقتال فى هذه الأرض (مع تعويضه عنها) مع أن الرجل يبكى ويصرخ، وهذا الأمر معمول به فى دول العالم للمنافع العامَّة، ويسمى أمر استيلاء، فهذا أيضاً بغى، ولكن بحق، والله أعلم.

س٣٣٣- القرآن يذكِّر خبر الاسم المؤنث، فيقول: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦] وكان الصحيح فى اللغة أن يقال (إن رحمت الله قريبة) لأن {قريب} خبر اسم {إن} وهو {رحمت}

ج٣٣٣- إن الآية الكريمة ليس القرب المذكور فيها مراداً به قرب النسب فيلزم تأنيثه، وإنما المراد قرب الزمان، والعرب تجيز فيه الوجهين: التذكير والتأنيث، ولامْرئ القيس وهو من شعراء الجاهلية، وشعرهم حجة فى إثبات اللغة، بيت نحا فيه هذا المنحى، فقال:

له الويل إن أمسى ولا أم سالم قريب ولا البسباسة ابنة يشكر

والشاهد فى البيت تذكير قريب، مع جريانه على مؤنث (أم سالم) وهو نظير {قريب} فى الآية الكريمة، ونقول إن القرآن لم يخرج عن سنن البيان العربى حين ذكّر {قريب}

وهى بجراها على مؤنث مجازى غير حقيقى {رحمة الله} وكان الرد المفحم على خصوم القرآن قول الفراء - رحمه الله - من أن العرب كانوا يفرقون بين القرب والبعد من النسب، وبين القرب والبعد فى المكان والزمان، فالأول يلتزم فيه تأنيث ما جرى خبراً أو صفة لمؤنث، أما الثانى وهو القرب والبعد فى الزمان فإهم يجيزون فيه الوجهين التذكير والتأنيث، والله أعلم.

س٣٣٤- يقول القرآن عن نبى الله نوح: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٦٢] فهل أرسل نوح برسالة واحدة أم برسالات كثيرة؟

ج٣٣٤- لم يكن قبل سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رسل حتى يبلغ رسالاهم، ولكنه كانت كلما نزلت عليه رسالة بلغها لقومه، كما كان يفعل سيدنا محمد ﷺ كلما نزلت عليه آية بلغها لقومه، مع أن الرسالة واحدة، وهى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشره، وفعل المأمورات، وترك المنهيات، إلا أن هذه الرسالة تحتوى على رسائل شتى، فكل أمر رسالة، وكل نهى رسالة، وكل موعظة رسالة... إلخ، والله أعلم.

س٣٣٥- يقول القرآن عن امرأة لوط: {كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ} [الأعراف:٨٣] وهذا فيه تذكير للمؤنث.

ج٣٣٥- إن امرأة سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تؤيد وتشجع الرجال على فعل قومه الذى تبرَّأ منه اسم سيدنا لوط، وعندما جاءت الملائكة - عليهم السلام - لزوجها فى صورة رجال، على درجة كبيرة من الجمال، صعدت إلى سقف منزلها تلوِّح بدرعها لقومها أن يأتوا ليعتدوا عليهم. فلماذا تفعل ذلك وهى لا دخل لها به؟ ولا يلحقها منه أى منفعة؟ إن أى امرأة تستقبح وتستقذر هذا الفعل، فضلاً عن أن تشجع عليه! أما هى فقد فعلته حباً وولاءً لأهلها، ولذلك ألحقها الله بهم فى هلاكهم. كما أنه فى لغة العرب يُخاطَب الجمع بصيغة المذكَّر، ولو أن هذا الجمع فيه رجل واحد والباقى نساء، والله أعلم.

س٣٣٦- إن موسى فى القرآن رجل سوبرمان، سأل الله أن يراه فأخذته الصاعقة،

ولكنه لم يمت {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:١٤٣] أما بنو إسرائيل لما سألوا رؤية الله أخذهم الصاعقة، فماتوا جميعاً {وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة:٥٥-٥٦]

ج٣٣٦- إن سؤال سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - رؤية الله عز وجل جاء بعد أن سمع كلام الله وتلذذ به، فاشتاق إلى رؤيته سبحانه وتعالى اشتياق المتيَّم بحب ربه، فسأله الرؤية بأدب جَم {رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ} أى لو أذنت لى يا ربى أن أراك، فجاءت الصاعقة على سبيل البيان لسيدنا موسى أنه لا يستطيع أن يراه، لأن تركيب الإنسان فى الدنيا غير مُعَد لرؤية الله عز وجل، ولا يحتمل ذلك، فإن الجبل العملاق لم يستطع تحمل تجلِّيه سبحانه وتعالى، فكيف بالبشر الضعيف؟ ولو رفض الله سبحانه وتعالى إجابة دعائه بغير هذا البيان فربما حزن موسى، واعتبر هذا عدم رضا عليه، فكان ما حدث تعليماً له وليس عقاباً، بدليل أن الله سبحانه وتعالى بيَّن له مترلته العظيمة عنده بقوله: {قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [الأعراف:١٤٤] أما بنو إسرائيل فقد سألوا موسى رؤية الله على سبيل التعنت والشرط {لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً} فكانت الصاعقة بمثابة التأديب، وكبح الجماح، ولم تكن تجلياً عليهم، بل عقاباً لهم، لسوء أدبهم مع خالقهم جل وعلا، إذن هناك فرق بين الأدب المتمثل فى سؤال موسى، وبين الغطرسة فى بنى إسرائيل، وليست المسألة أن موسى سوبرمان كما يقول الناقد، والله أعلم.

س٣٣٧- كيف يكلم الله موسى عن الإنجيل فى قوله: {ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ} [الأعراف:١٥٧] ولم يكن أنزل بعد؟

ج٣٣٧- إن هذا تبشير لسيدنا موسى بسيدنا محمد ﷺ، وفى الوقت نفسه تبشيره بسيدنا عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - والإنجيل الذى أُنزل معه. وقد جاء

فى الكتاب المقدس ما يؤكد أن سيدنا موسى بشَّر بسيدنا عيسى: **لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتبَ عنى.** (يوحناه: ٤٥-٤٦)، والله أعلم.

س٣٣٨- إن القرآن خالف قواعد اللغة العربية حيث أنَّث العدد وجمع المعدود فى قوله: {وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} [الأعراف:١٦٠] والصحيح أن يقال (اثنى عشر سِبطاً) لأنه كان يجب أن يذكِّر العدد ويأتى بمفرد المعدود.

ج٣٣٨- وجَّه النحاة تأنيث العدد فى الآية بأن السِبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة عند العرب، يعنى أنه أراد بالأسباط القبائل، ولذلك أنَّث جزءى العدد المركب، وهما {ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ} هذا وجه، ووجه آخر هو تأويل السِبط بالجماعة أو الفرقة أو الطائفة، أما جمع (أسباط) وكان حقه أن يُفرد، فقد روعى فيه المعنى دون اللفظ، ومن الدلائل القوية على صحة تأنيث العدد أن بعض النحاة أضاف إلى بدلية {أمماً} من {أسباطاً} أن {أمماً} وقعت نعتاً لأسباط، و{أمماً} جمع أمَّة المؤنثة، وسواء كانت {أمماً} بدلاً من {أسباطاً} أو كانت نعتاً له فإن الذى لا نزاع فيه أن المؤنث لا يبدل من المذكر، ولا يقع نعتاً له، وهذا دليل قاطع على أن المراد من {أسباطاً} وإن كان مذكراً فى اللفظ فهو فى المعنى مؤنث لا محالة، ولذلك أنث النظم القرآنى جزءى العدد المركب {ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ}

أما جمع المعدود {أَسْبَاطًا أُمَمًا} وإن وجهه النحاة توجيهاً صائباً فقد بقى فى مجيئه جمعاً ملمح بلاغى دقيق، ذلك الملمح نوضحه كالآتى: بدأت الآية الكريمة بهذا الفعل {قطعناهم} بتشديد الطاء على وزن (فعَّل) وهذا التشديد يفيد التكثير، أى كثرة التقطيع والتفريق، وهذا يناسبه بلاغة جمع {أَسْبَاطًا أُمَمًا} لا إفرادهما، والمعانى البلاغية من هذا النوع تُزال من أجلها كل الموانع والسدود، ولغة القرآن وبلاغته أوسع من قواعد اللغة وفنونها البلاغية، ثم إن القرآن الكريم أسبق من النحو والبلاغة، بل إن النحو والبلاغة وُضِعا بسببه، والله أعلم.

س٣٣٩- تزعمون أن آدم نبى، مع أن القرآن أقرَّ بأنه أشرك بالله هو وزوجته، واقرءوا إن شئتم: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف:١٨٩-١٩١]

ج٣٣٩- إن هذه الآية لا تتحدث عن سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ولكنها تتحدث عن مِثال من الأزواج المشركين، أما ما جاء فى بعض التفاسير بهذا الشأن فهو - وللأسف - من الإسرائيليات، إذ كيف يشرك سيدنا آدم وهو الذى قال الله عنه: {ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} [طه:١٢٢]؟ ثم إن أسماء أولاده معروفة، ولم يَرِد أن أحداً منهم كان اسمه (عبد الحارث) كما تزعم الروايات المكذوبة عليه. ومما يدل على أن الآية ليس مقصوداً بها سيدنا آدم وزوجته أن الأسلوب نفسه قد استُعمِلَ فى الدلالة على بنى آدم وأزواجهم، مثل قوله تعالى: {وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا} [النحل:٧٢] وقوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١]، والله أعلم.

س٣٤٠- يقول القرآن: {وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً} [الأنفال:٢٥] ما ذنب الذين لم يظلموا أن يُعاقبوا بالفتنة؟ أليس هذا ظلماً؟

ج٣٤٠- إن ذنبهم أنهم لم ينهوا عن الظلم، قال رسول الله ﷺ: **"انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره"** [صحيح الجامع:١٥٠٢] وقال: **"إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه"** [صحيح الجامع:١٩٧٣] وقال: **"والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتَدْعُنَّه فلا يستجيب لكم"** [صحيح الجامع:٧٠٧٠] وقد ورد أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة بإهلاك قرية ظالمة فى قديم الزمان، وكان بها رجل عابد فى صومعته، فقالوا: يا رب إن بها فلاناً العابد، فقال: **"ابدأوا به فإنه لم يتمعَّر وجهه يوماً من أجلى"** أى إنه كان لا يغضب لله، ولا ينهاهم عن المنكر، رغم قدرته على ذلك، واكتفى بصلاحه وعبادته، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود:١١٧] فلم يقل الله سبحانه وتعالى (وأهلها صالحون) بل قال: {مُصْلِحُونَ} أى أنه لا يكفى الصلاح وحده، بل لابد من الإصلاح لمن قدر عليه، أما الضعيف الذى لا قدرة له على النهى عن الظلم، فلا

يشارك فيه، وينكره ولو بقلبه، قال رسول الله ﷺ: **"ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنَّته ويتقيدون بأمره، ثم إنها تَخلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"** [صحيح الجامع: ٥٧٩٠] وإذا أهلك الله الظَّلَمَة وفيهم هؤلاء الصالحون المستضعفون الذين لم يستطيعوا منع الظلم، فإن الله سبحانه وتعالى يبعثهم على نيّاتهم، أى أن مآلهم فى الآخرة سيكون مختلفاً عن مآل هؤلاء الظالمين، قال رسول الله ﷺ: **"إن الله تعالى إذا أنزل سطواته على أهل نقمته، فوافت آجال قوم صالحين، فأُهلكوا بهلاكهم، ثم يُبعثون على نيّاتهم وأعمالهم"** [صحيح الجامع: ١٧١٠]، والله أعلم.

س٣٤١- يقول القرآن: {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣] فهل المشركون يستغفرون يا أيها المسلمون؟

ج٣٤١- لم يقل الله عز وجل إنهم (استغفَروا) بصيغة الماضى، ولكنه قال: {يَسْتَغْفِرُونَ} فالصيغة الأولى تفيد أنهم استغفروا وهم على شركهم، أما الصيغة الثانية فهى صيغة مضارع مستمر، تفيد أنهم يستغفرون، أى يُسْلِمون، والله سبحانه وتعالى لم يرسل عليهم عذاباً يستأصلهم، لسابق علمه أن الكثير منهم سيسلمون، حتى إنه نهى النبى ﷺ عن الدعاء عليهم، رغم أنهم قتلوا أصحابه من حَفَظَة القرآن ﷺ فقال له: {لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ١٢٨-١٢٩] وبالفعل قد أسلم الكثير من صناديدهم أمثال: أبى سفيان قائد معسكر الشرك، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعِكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أُميَّة، وغيرهم كثير وكثير، وخاصة بعد فتح مكة.. وهم الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

س٣٤٢- يقول القرآن: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: ٦٠] أنتم تقولون إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، فهل تصلح الخيل فى الحروب الإلكترونية الحديثة؟

ج٣٤٢- إن السائل ليس له خبرة بكل وسائل الحرب، فما زالت جميع الجيوش العالمية

تعتمد على ما يسمى (سلاح الخيّالة) وهذا السلاح لم يتم إلغاؤه حتى فى أعظم الدول تقدماً واعتماداً على الإلكترونيات، وتحافظ الكليات الحربية على تدريب الفُرْسان والخيول، والاحتفال بعروضها ومسابقاتها إلى اليوم فى جميع الدول، لأن الخيل تستطيع أن تدخل الأماكن الضيقة الوعرة، ذات المنخفضات والمرتفعات، وأماكن البرَك والمستنقعات، التى لا تستطيع أن تدخلها المركبات الحديثة، كعربات الجيب، والهامر، وغيرها، ولا حتى الموتوسيكلات. وقد ظهرت أهمية الخيل بوضوح فى حرب ٧٣ عندما حوصر الجيش، فكان لا يستطيع أن يدخل إليهم فى هذه الأماكن الوعرة إلا الخيل والجمال والحمير، وكانت أى مركبة سواء سيارة، أو دبابة، أو عربة مجنزرة، أو نصف مجنزرة، تظهر على رادار الأعداء، فيضربونها وهى لم تبرح مكانها، لأن لها ذبذبات ونبضات حرارية تظهرها، أما الخيل فليس لها ذبذبات ولا نبضات تظهرها، لا على الرادار، ولا المروحيات، وليس لها عادم تُعرَف به، فكانت وسيلة جيدة لتوصيل المؤَن والمعدّات إلى الجيش فى الأماكن المحاصَرَة. إن الإنسان مهما بلغ من العلم فلن يستطيع أن يستغنى عن هذه المخلوقات، فالحمار الذى يُضرَب به المثل فى الغباء عنده ملكات فطرية لا يستغنى عنها الإنسان، فَبِغَضِّ النظر عن كونه يصل إلى الأماكن الضيقة الوعرة، فمن الممكن استخدامه بغير قائد، ففى القرى يُحمِّلون عليه الطعام وغيره فيذهب به إلى الحقل ويرجع وحده، والكثير منا شاهد الفلاحين مُحمِّلين العربات التى نسميها (الكارُّو) بالخضر والفاكهة، ويسافرون بها إلى المدن البعيدة لبيعها، وهم نائمون عليها، والحمار يعرف الطريق ويمشى وحده إلى أن يصل إلى ذلك المكان، فهل تستطيع أى سيارة، ولو كانت ما تسمى (الشَّبَح) أن تذهب وتجىء وحدها بغير قائد؟ سبحان الله {وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ} [النحل:٨] إن هذه الآية سيستمر العمل بها إلى نهاية العالم، وحتى لا يأتى متفلسف ويقول: هناك مركبات ظهرت حديثاً و لم تُذكَر فى الآية، مثل السيارات، والموتوسيكلات، وغيرها، فنقول له: إن الله عز وجل بعدما ذكر هذه المخلوقات، قال: {وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ}، والله أعلم.

س٣٤٣- يقول القرآن: {فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا} [الأنفال:٦٩] أليس هذا تحريضاً على القتل، وأكل أموال الناس بالباطل؟

ج٣٤٣- لقد دافعنا عن فِرْية التحريض على القتل فى الرد على الشبهة رقم (٨١) وغيرها، والذى نَوَدُّ أن نضيفه هو أن الغنائم جاء ذكرها فى الكتاب المقدس، حتى لا يظن السائل أن الإسلام قد ابتدعها. وعلى أيّة حال فهى معاملة للمحاربين بالمثل، كما أنه لا يوجد فى العالم أجمع من ترك غنيمة أعدائه بعدما انتصر عليهم، فكيف تطالبون المسلمين بتركها؟ وها هى بعض الأدلة على ذكرها فى الكتاب المقدس:

فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص. فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه. وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت وحرَّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لم نُبْقِ شارداً. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التى أخذنا... الجميع دفعه الرب إلهنا أمامنا. (تثنية٢: ٣٢-٣٦)

لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا. (تثنية٣: ٧)

بنيامين ذئب يفترس. فى الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يُقسِّم نهباً (تكوين٤٩: ٢٧)

ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه إبراهيم رئيس الآباء عُشْراً أيضاً من رأس الغنائم. (الرسالة إلى العبرانيين٧: ٤)

قد يقول قائل: ألم يقل نبيكم: **"أُحِلَّت لىَ الغنائم ولم تحل لأحد قبلى"** [صحيح الجامع:٤٢٢١]؟ فنقول: نعم.. ولكن لا يعنى هذا أنها لم تكن موجودة، بل كانت موجودة، ولكن كان أكلُها مُحَرَّماً عليهم، ومن أكلها منهم فهو آثم، ولذلك قيل عن بنيامين حين أكلها إنه (ذئب يفترس) والصحيح أنها كانت تنزل إليها نار من السماء فتأكلها، قال رسول الله ﷺ: **"لم تحل الغنائم لأحد سود الرءوس من قبلكم، كانت تُجْمَع وتنزل نار من السماء فتأكلها"** [صحيح الجامع:٥١٩٦] فإباحتها لنا من رحمة الله سبحانه وتعالى بنا. وقد ذكرنا الدليل من الكتاب المقدس على أن النار كانت تنزل من السماء لتأكل ما يُقدَّم لله من ذبائح وغيرها، فى الرد على الشبهة رقم (٨٨) والغنائم مثلها، والله أعلم.

س٣٤٤- **يقول القرآن:** {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ} [التوبة:٥] **وهذا معناه أن المشركين إن لم يسلموا، أو**

يخرجوا من جزيرة العرب فى المدة المحددة، فسوف يقتلون، أليس هذا إكراهاً فى الدين؟ ثم إن نبيكم يريد أن يحتكر جزيرة العرب على المسلمين وحدهم، فيقول: "لا يَبْقَيَنَّ دينان بأرض العرب" [صحيح الجامع:٤٦١٧] فأين حرية العقيدة إذن؟

ج٣٤٤- إن هذا الكلام خاص بجزيرة العرب، فالقرآن نزل للعرب أولاً، والمُهلة التى منحها القرآن (أى الأشهر الأربعة) هى مُهلة لمشركى العرب دون غيرهم. إن أعلم الناس بلغة القرآن هم العرب، فلا يُعقل أن يكفر العربى به لأنه يعلم أنه معجز، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو عرضت ذهباً خالصاً على صائغ خبير فى صناعة الذهب، ويعلم الذهب النقى من المغشوش، ثم سألته: أهذا ذهب خالص أم لا، فأنكر مع علمه به، فماذا يكون حاله؟ إن هذا جحود منه لغرض فى نفسه، فكذلك العرب لم يكذّبوا رسول الله ﷺ إلا جحوداً وحسداً ألا يكون القرآن قد أُنزِل على واحد منهم، كما ذكر محمد بن اسحاق عن الزهرى، أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق ذهبوا ليلاً ليستمعوا قراءة الرسول ﷺ للقرآن، وفى عودهم تقابلوا فى الطريق، فتلاوموا وتعاهدوا ألا يعودوا إلى سماعه ﷺ مرة أخرى، حتى لا يُفتن بهم شباب العرب، فلما كانت الليلة الثانية والليلة الثالثة حدث الشىء نفسه، فلما أصبحوا ذهب شريق بن الأخنس إلى أبى جهل وسأله: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، فأطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرَسَى رهان قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك ذلك؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. وقد تحدث القرآن عن هذا المعنى فى أكثر من آية، مثل: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام:٣٣] {وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف:٣١] {أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا} [ص:٨] وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله فعجزوا {قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨] ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [هود:١٣] ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}

[يونس:٣٨] أو آية ليست مثله ولكن تشبهه {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:٢٣] ولم يقف التحدى عند هذا فحسب، بل تحداهم بأن يجدوا به أى نقص أو عيب، فقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢] و{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤] إن صاحب أى بضاعة سيئة لا يريد أن يفتش أحد وراءه فى صنعته، لئلا يجد بها عيباً، ولكن الله عز وجل - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - قد تحداهم أن يجدوا به عيباً، لعلمه بعدم وجوده، فعجزوا رغم كل هذه التحديات، فلماذا لم يؤمنوا إذن؟ ومما زاد الطين بِلّة (كما نقول) أنهم لم يكتفوا بكفرهم، بل خانوا عهودهم مع رسول الله ﷺ على التعايش فى سلام، فكانت عقوبتهم الطرد من بلد الله الحرام، وما جاورها من أرض العرب، وهذا المعنى يتضح فى السورة نفسها {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [١٣] ثم إن بيت الله الحرام لابد أن يُؤَمَّن، ويُؤَمَّن الطريق إليه، حتى يصل إليه الحجاج والمعتمرون وهم آمنون، والله أعلم.

س٣٤٥- يتعارض القرآن مع العلم فيقول: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} [التوبة:٣٧] مع أن النسىء الذى فى الأيام القبطية من الحساب الفلكى، وله علاقة وثيقة بالزراعة والخِصب.

ج٣٤٥- إن النسىء المذكور فى الآية الكريمة هو ما كان يفعله المشركون من تأجيل الأشهر الحرم، وجعلها مكان الأشهر الحلال، ليستحلوا بذلك القتال، ولا علاقة له بالأيام التى تتحدثون عنها، والتى تضبط السنة القبطية للزراعة، بدليل قول الله تعالى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} وقد جاء فى كتابكم المقدس أن الله سبحانه وتعالى وضع (قوس قزح) ليذكِّرَهُ بألا يغرق الأرض مرة أخرى (كما ذكرنا ذلك فى صفات الرب فى الكتاب المقدس، فى الرد على الشبهة رقم ١٩) رغم أنه من الظواهر الطبيعة التى لها تفسير علمى لا علاقة له بإغراق الأرض، فضلاً عن أن الندم والنسيان مُحال على الله سبحانه وتعالى.

وجاء فى الكتاب المقدس أيضاً أن الشمس نزلت عشر درجات ثم رجعت فى هذه الدرجات مرة أخرى: **هَأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء. فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها** (إشعياء٣٨: ٨) فما هى هذه الدرجات؟ وكيف تنزل الشمس فيها ثم ترجع مرة أخرى؟، والله أعلم.

س٣٤٦- يقول القرآن: {إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] إن أساليب الشرط فى اللغة العربية تقتضى جواباً لكل شرط، فهل يصح أن يكون الشرط حاضراً ومستقبلاً، والجواب ماضياً؟

ج٣٤٦- إن السائل قد أخذ بظاهر اللغة العربية، وجَهِل بعمق أسرارها. ونقول له: إن كلامك عن الشرط وجوابه صحيح، فإن قلت: إن جاءك زيد فأكرمه، فالشرط هو مجيء زيد، وجواب الشرط هو إكرامك له، ولكن إن قلت: إن تذاكر تنجح، فالنجاح يأتى بعد المذاكرة، إذن فزمن الجواب متأخر عن زمن الشرط، ولكن حين نحقق فى الأمر نجد أن الجواب سبب فى الشرط، لأنك عندما تذاكر فإنك تذاكر لكى تنجح، فلولا النجاح لَمَا ذاكرت. أما نُصْرة الله لرسوله ﷺ فلم تكن مترتبة على عدم نصرة قومه له، وبذلك لم تكن جواباً للشرط، وكأن الله سبحانه وتعالى يُعْلِمُهم بحبه لرسوله ﷺ وبنصرته له، وإن لم ينصروه، والدليل على ذلك أنه نصره على قومه وأخرجهم من بين أيديهم سالماً، رغم إعدادهم العُدَّة لقتله، والوقوف على بابه وهم مدججون بأسلحتهم، وفى نصرة الله له رفع لقدره، وتحفيز للمسلمين أن ينصروه كما نصره الله، ونَصْره باتِّباع سنته ﷺ، والله أعلم.

س٣٤٧- يقول القرآن: {يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ} [التوبة:٦٢] وكان المفروض أن يقول (والله ورسوله أحق أن يرضوهما) بضمير المثنى، لأنه عائد على الله ورسوله.

ج٣٤٧- إن الذى أنزل القرآن هو الله، فالمنهج منهجه، والشريعة شريعته، والثواب والعقاب بيده، فما يرضى الله سبحانه وتعالى يرضى رسوله ﷺ وما يرضى رسوله يرضيه، وكذلك فإن ما يسخطه يسخط رسوله، وما يسخط رسوله يسخطه، قال تعالى: {إِنَّ

ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ} [الفتح:١٠] وقال: {مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ} [النساء:٨٠] وقال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران:٣١] فالغاية واحدة، والهدف واحد، وهو رضا الله سبحانه وتعالى، فلا داعى إذن أن يقول (والله ورسوله أحق أن يرضوهما) لأن إرضاءهما واحد، وهذا تكريم لرسول الله ﷺ، والله أعلم.

س٣٤٨- إن القرآن يأتى بالغرائب فى اللغة العربية، حيث أنه يأتى باسم الموصول العائد على الجمع فيجعله مفرداً، وذلك فى قوله: {وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟} [التوبة:٦٩] وكان المفروض أن يقول (وخضتم كالذين خاضوا)

ج٣٤٨- الذى يرجع إلى الآية بتمامها يجد أنها تتحدث عن المنافقين والكفار، حيث إن الآية التى سبقتها تقول: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} فالآية مسوقة لتهديد المنافقين والكفار، لعلهم يقلعون عما هم فيه من نفاق وكفر. {كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ} وقد أُدير الحديث فيها على تشبيه المخاطبين (المنافقين والكفار) بالأمم الغابرة، كانت أشد منهم قوة، وأكثر مالاً وولداً، وانغمسوا فى شهواتهم الفانية، فسار المنافقون والكفار سيرهم، فركنوا إلى مُتَع الحياة الدنيا الفانية، ولم يبتغوا ما عند الله، وأن المنافقين والكفار فعلوا كل ما فعله مَن قبلَهم من المعاصى والسيئات. ثم بيَّن الله عز وجل أنهم الخاسرون فى الدنيا والآخرة. فمعنى الآية إذن: (وخضتم خوضاً مثل خوضهم) فالذى فى الآية اسم موصول مفرد، يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضى {خضتم} فشبَّه الله عز وجل خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم. وهذا هو النَّسَق الذى دارت عليه المقارنة فى الآية، تشبيه سلوك اللاحقين بسلوك السابقين من الأمم الغابرة، التى عتت عن أمر ربها، وعصت رسله، صلوات الله وسلامه عليهم. واختار الشوكانى فى (فتح القدير) أن المعنى: (كالخوض الذى خاضوا) ومن قبله قال الزمخشرى فى (الكشاف): (وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا)، والله أعلم.

س٣٤٩- إن القرآن لم يَرُد على المشركين، حين قال: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ} [يونس:١٥] لقد أجاب القرآن على الشطر الثانى فقط، وهو تبديل الآيات، ولم يُجب على الشطر الأول، وهو {ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ} وكان المفروض أن يقول (ما يكون لى أن آتى بقرآن غير هذا أو أبدله) ولكنه هرب.

ج٣٤٩- إن الإتيان بقرآن جديد هو الأصعب، لأنه يتطلب تغيير كل ما فيه، ولكن التبديل أسهل من ذلك بكثير، فمن لا يقدر على اليسير، فمن باب أولى لا يقدر على العسير، وهذا من بلاغة القرآن، أن ينفى الأسهل، ليُعلَم استحالة الأصعب، فكأنه يقول لهم: إننى لا أستطيع أن أبدل شيئاً منه، فكيف آتى بغيره؟ ولكن يُفهم من الآية لكل ذى عقل أن أمر التبديل وارد، ولكنه من الله وحده، وليس من رسوله ﷺ، لأنه قال: {مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ} أى أنه لم ينفِ التبديل كليّة، ولكن نفى أن يكون التبديل من عنده، قال تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ} [النحل:١٠١]، والله أعلم.

س٣٥٠- يقول القرآن عن يوم القيامة: {إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ} [يونس:٢٤] فكيف يكون الله هو القائل، ولا يحدد متى تكون الساعة من ليل أو نهار؟

ج٣٥٠- إن هذا السؤال - كغيره - يسلط الضوء على إعجاز القرآن، كالذى يكره المسك، فيحرقه، فيفوح ريحه! إن العلم الحديث قد أثبت أن الأرض كروية، وأنها تدور حول الشمس مرة كل عام، وتدور حول محورها دورة كاملة كل ٢٤ ساعة، فيكون نصفها المواجه للشمس نهاراً، ونصفها الآخر ليلاً، فهل عندما تُدمَّر يوم القيامة يُدمَّر نصفها أم كلها؟ بالطبع كلها، سواء الجزء الذى يكون نهاراً، أو الجزء الذى يكون ليلاً، فلو أن الله سبحانه وتعالى قال (أتاها أمرنا نهاراً) لكان نصفها المواجه للشمس هو الذى يُدمَّر وحده، ولو قال (أتاها أمرنا ليلاً) لكان العكس، ولكن قوله تعالى: {لَيْلًا أَوْ نَهَارًا} يعنى تدميرها بالكامل. وهناك شيء آخر: أن يكون الإنسان على حذر دائم من بطش الله

عز وجل، فلا يسرف فى المعاصى نهاراً وهو آمن، ويؤجل التوبة إلى الليل، أو العكس، وهو مُستفاد من المعنى المجازى للآية (يأتيها أمرنا فى أى وقت).

وقد ورد فى الكتاب المقدس أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - تنبّأ بانتهاء العالم خلال القرن الأول الميلادى، بل وقبل موت تلاميذه الذين عاصروه، وها هى الأدلة:

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيّات وبُسطاء كالحمام... ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإنى الحق أقول لكم لا تكمّلون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان (متى١٠: ١٦-٢٣) يتضح من هذا أن عودة المسيح - عليه السلام - إلى الأرض ستكون قبل أن يكمل تلاميذه التبشير فى مدن إسرائيل.

فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يُجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته (متى١٦: ٢٧-٢٨) يتضح من هذا أنه سيأتى للعالم مرة أخرى قبل موت بعض تلاميذه.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لايعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير... الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله. (متى٢٤: ٢٩-٣٤) أى أن يوم القيامة سيأتى قبل انتهاء الجيل المعاصر له.. فهل جاء يوم القيامة؟، والله أعلم.

س٣٥١- إن القرآن عودنا دائماً على الغرابة، فعلى سبيل المثال ينتقل فجأة من ضمير المُخاطَب إلى ضمير الغائب، فيقول: {هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} [يونس:٢٢]

ج٣٥١- إن قوله تعالى: {وَجَرَيْنَ بِهِم} على طريقة الالتفات أى (وجرين بكم) من

بديع الأسلوب فى الآية، أنها عندما كانت بصدد ذكر النعمة، جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال لذكر الضراء، وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمائر الغيبة لتلوين الأسلوب، فقال: {وَجَرَيْنَ بِهِم} على طريقة الالتفات، وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين، والله أعلم.

س٣٥٢- يقول القرآن: {وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} [يونس:٤٣] بديهى أن العمى لا يبصرون، فما فائدة قوله: {وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ}؟

ج٣٥٢- إن الله سبحانه وتعالى لم يقل (ولو كانوا لا ينظرون) أو (ولو كانوا لا يَرَوْن) حتى تكون لكم الحجَّة، ولكنه قال: {وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} وقد ذكرنا فى أكثر من موضع أن العمى الذى يصف القرآن به الكفار ليس عمى الأعين، ولكنه عمى القلوب والبصيرة. أمَّا فى هذه الآية فقد شبههم الله سبحانه وتعالى بعُمْى الأعين والبصيرة، فاجتمع عليهم العمى بنوعيه، وهذا أسوأ شىء.. لأن عَمَى العين لا يمنع الإنسان من الهداية والتفقه فى الدين، أما عمى القلب فهو الذى يعميه عن قبول الحق، ولو كان صاحبه على أعلى الدرجات من الفهم والعلم والثقافة، فهؤلاء اليابانيون المتفوقون فى مجالات شتى من العلوم، يعبدون الأصنام التى يصنعونها بأيديهم، وكذلك الصينيون، وغيرهم من الأمم البوذية، وبهذا يتساوون مع الرجل المشرك البدوى الساذج، الذى لم يَحظَ بأى قدر من العلم، ولو أنهم فتحوا آذان قلوبهم لسماع كلام ربهم، لعلموا أن دين الله هو الحق، وأنهم على الباطل، وأن هذه الأصنام لا تضرهم ولا تنفعهم. فكذلك المشركون على عهد رسول الله ﷺ لو أنهم تدبروا أحواله ومَقَاله وفِعاله، وما يدعو إليه لعلموا أنه صادق، وأن ما يدعو إليه هو الحق، وخصوصاً أنه كان مشهوراً بينهم بالصدق والأمانة، ورجاحة العقل، والمروءة والشهامة، وغير ذلك من الصفات الحميدة، كما قال عنه عبد الله بن سلام ﷺ عندما رآه: أول ما نظرت إلى رسول الله قلت: (إن صاحب هذا الوجه ليس بكذاب) فإن الدجال يستحيل عليه التظاهر بالاستقامة فى جميع أحواله، بل لابد أن يفتضح أمره، ولو بين أهله، والرسول ﷺ لم يعرف عنه قط مخالفة حاله لمقاله، فمن لم يؤمن به فهو أعمى العين والقلب.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس ما نصّه: **يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب. فتتلمّس فى الظهر كما يتلمّس الأعمى فى الظلام** (تثنية٢٨: ٢٨-٢٩) فهل الأعمى يتلمّس فى الظلام فقط، أم أنه يتلمّس فى كل وقت؟ وهل تختلف عنده الرؤية فى الليل أو النهار؟، والله أعلم.

س٣٥٣- يقول القرآن: {أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس:٦٢] ويقول: {يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف:٦٨] مع أننا نرى من تقولون إنهم أولياء الله قد عُذّبوا وقتلوا، مثل عمّار، وبلال، وعمر، وعثمان، وعليّ، وغيرهم ممن عذب فى السجون والمعتقلات!

ج٣٥٣- إن ذلك يكون يوم القيامة، بدليل قول الله جل وعلا فى الآية نفسها: {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ} فكلمة {ٱلْيَوْمَ} تعنى يوم القيامة، وذلك مثل قوله تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ} [الأنبياء:١٠٣] وهو فزع يوم القيامة، لأن الله سبحانه وتعالى وصفه بأنه {ٱلْأَكْبَرُ} وبديهى أنه لا فزع أكبر من فزع يوم القيامة، أما الدنيا فهى دار بلاء، قال تعالى: {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ} [العنكبوت:٢-٣] وقال رسوله ﷺ: **"أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلَى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رِقّة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة"** [صحيح الجامع:٩٩٢]، والله أعلم.

س٣٥٤- يقول القرآن: {وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ} [يونس:٨٨] ثم يقول فى الآية التى بعدها: {قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} كيف يقول: {قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا} والداعى واحد وليس اثنين؟

ج٣٥٤- عندما كان سيدنا موسى يدعو كان سيدنا هارون - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - يُؤمّن على دعائه بقول: آمين. أى يا رب استجب، والمُؤمّن أحد الداعِيَيْن، فعندما يدعو الإمام فى الصلاة ويُؤمّن على دعائه المصلّون.. فماذا نقول؟ هل

نقول إن الإمام يدعو؟ أم أن المصلين يدعون؟ إن تأمينهم يجعلهم مشاركين له فى دعائه، والله أعلم.

س٣٥٥- يقول القرآن عن فرعون: {فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً} [يونس:٩٢] فلماذا نجى فرعون، ولم ينجِّ النمرود بن كنعان، وقدّار بن سالف، وأبا جهل، وغيرهم من الكفار، ليكونوا لمن خلفهم آية؟

ج٣٥٥- إن سؤالكم حجة عليكم، فأنتم تزعمون أن سيدنا محمداً ﷺ هو الذى ألف القرآن، فلماذا أقحم نفسه فى هذه القضية؟ وهل كان يضمن بقاء جثة فرعون إلى وقتنا هذا؟ إن بقاءها شاهد على صدق القرآن، وأنه أنزل من عند الله (وهى بالمتحف المصرى بميدان التحرير) لقد احتلت انجلترا وفرنسا مصر أعواماً عديدة، وهم معادون للإسلام، وحريصون على هدمه، فلو كان الأمر بيدهم لفطنوا لذلك، ولهشَّموا جثته، ثم قالوا: أين هو بدن فرعون يا مسلمون؟ ولكن الله عز وجل أعماهم عن ذلك، كما أعمى أبا لهب عن النطق بالشهادتين - ولو نفاقاً - لتكذيب القرآن. بل إن الأعجب من ذلك أنه حين تظهر على مومياء فرعون أى إصابة بالفطريات، أو غيرها، يبعثها القائمون على شئون الآثار للخارج لمعالجتها، وكأنهم مسخَّرون للحفاظ على هذا البدن.. سبحان الله! أما لماذا لم يُبقِ الله جثة قدّار بن سالف الذى عقر ناقة سيدنا صالح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أو أبى جهل ليكونا عبرة، فإنهما لم يدَّعيا الألوهية، ولكنهما كانا شقيَّين من الأشقياء، والنمرود قضيته واحدة، وهى أنه زعم أنه إله، ولكنه لم يَعِث فى الأرض فساداً كما عاث فرعون. أما فرعون فله قضيتان، كل واحدة أكبر من الأخرى، فبالإضافة إلى تسخير بنى إسرائيل واستعبادهم، وتذبيح الآلاف من أولادهم، بعد الحلم الذى رآه فى منامه بأن أحد أبناء هؤلاء الإسرائيليين سيقتله، فكان الطفل يذبح فى حجْر أمه، فى مذبحة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً {وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ} [الفجر:١٠-١٢] فإنه لم يكتفِ بذلك، بل ادعى الألوهية، ووافقه قومه على ذلك {فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ} [الزخرف:٥٤] ولذلك كان عقابه وأتباعه أشد العقاب {ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ} [غافر:٤٦] وكذلك فإنه لم يسمح لسيدنا موسى وسيدنا هارون

بالخروج من مصر، فى حين أن النمرود سمح لسيدنا إبراهيم - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - ولكن فرعون وجنوده طاردوا سيدنا موسى حين خرج بقومه من مصر {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا} [يونس: ٩٠] ولكن الله أخزاهم وأغرقهم {فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ} [القصص: ٤٠] ونجّى الله سيدنا موسى وقومه {وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ} [الشعراء: ٦٥] وبفرض أن الله أبقى جسد أحد الكفرة ليكون عبرة، لقالوا إن قومه حنّطوه، كما كان ذلك منتشراً بين قدماء المصريين، أما فرعون فقد هلك هو وقومه.. فمن الذى حنّطه؟ وكذلك فإن موته لم يكن عادياً، ولكنه كان بالإغراق، فالإعجاز فى إبقاء جثته أكبر من الإعجاز فى إبقاء أى جثة أخرى، لأن أى إنسان يموت - كأبى جهل أو غيره - فإن جثته تكون بأيدى الناس، أما فرعون فكان المفروض أن تغرق جثته فى البحر، ولا يستطيع أحد أن يحصل عليها. وشىء آخر هو أن بنى إسرائيل لم يصدقوا أن هذا الطاغية العاتى الجبار قد غرق، فأمر الله سبحانه وتعالى البحر فألقاه على الشاطئ ليتأكدوا من هلاكه، وليكون عبرة على مر الأجيال، لكل طاغية متكبر جبار، والله أعلم.

س٣٥٦- يقول القرآن: {فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ} [يونس: ٩٤] إن القرآن يأمر نبيكم أن يسأل اليهود والنصارى ليتعلم منهم، فهل كان نبيكم يشك فى القرآن؟ وإن كان قد شك فيه، فأنتم أولى بالشك منه.

ج٣٥٦- لقد قال العلماء: إن ما جاء فى الآية الكريمة خطاب للناس عن طريق سيدنا محمد ﷺ لأن الله عز وجل يعلم يقينه، وأنه لم ولن يشك. قال قتادة: بلغنا أن الرسول ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل. وقد ورد - فى أكثر من آية - توجيه الخطاب للناس عن طريق سيدنا محمد ﷺ مثل: {لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا} [الإسراء: ٢٢] وفى السورة نفسها: {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا} [٣٩] وغيرها فى معناها كثير، فهل كان مُتوقّعاً من الرسول ﷺ أن يشرك بالله؟ حاشا وكلا. وقد ضرب العلماء لهذا مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - إذا أصدر الرئيس أمراً لقائد القوات المسلحة، فإن هذا الأمر - بطريق الأولى - يشمل جنوده، أو حذره من عقابه إن خالف أمره.. ففى

هذه الحالة يكون التحذير لمن هو دونه أشد. والآية فيها حجة على أهل الكتاب، لأنه قد وردت البشرى بنبوءته وصفاته الخِلْقية والخُلُقية فى كتبهم. وتفسير آخر يقول إنه خطاب له، ولكن معلوم رده، ليكون حجة على الناس، مثل ما ورد من سؤال الله عز وجل لسيدنا عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] ومثل سؤال الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠] فالله سبحانه وتعالى يعلم أن سيدنا عيسى لم يأمر الناس بعبادته، ولكن السؤال حجة على من اتخذوه وأمه إلاهَين من دون الله، وكذلك الحال فى سؤال الملائكة.

ثم إن الشك فى الوحى ليس عندنا.. بل عندكم، يقول بولس الرسول:

بحسب رأيي. وأظن أنى أنا أيضاً عندى روح الله (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ٤٠) فهل الوحى والدِّين بالظن؟

ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حَسَن لهم إذا لبثوا كما أنا. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ٨) أى أنه يفضل ألا يتزوجوا مثله، ثم يقول: **وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رَجُلها. ولا يترك الرجل امرأته. وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل. وإلا فأولادكم نجسون. وأما الآن فهم مقدَّسون.** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ١٠-١٤) فنراه مرة يقول: (فأوصيهم لا أنا بل الرب) ومرة يقول: (فأقول لهم أنا لا الرب) أى أنه يسوِّى نفسه بالله سبحانه وتعالى، ونراه يبيح زواج المؤمن من غير المؤمنة، والمؤمنة من غير المؤمن، فى حين أنه يحرم ذلك فى مكان آخر، فيقول: **لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنه أيَّة خُلطة للبر والإثم. وأيَّة شركة للنور مع الظلمة. وأىّ اتفاق للمسيح مع بليعال. وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً. لذلك أخرجوا من**

وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء (رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس٦: ١٤-١٨) فى هذه الفقرة يأمر بالخروج من وسط الكافرين واعتزالهم، بينما يقول فى الفقرة التى قبلها: (لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل) فهل هذا التناقض يصدر عن الله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س٣٥٧- إن القرآن كثيراً ما يكسر قواعد اللغة العربية، فتراه ينصب المضاف إليه فى قوله: {وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ} [هود:١٠] بفتح الهمزة من كلمة {ضَرَّآء} وكان المفروض أن يكسرها.

ج٣٥٧- المضاف إليه فى الآية {ضَرَّآء} مجرور لا منصوب، وهو ممنوع من الصرف، والمانع من الصرف ألف التأنيث الممدودة، ومعلوم أن الممنوع من الصرف يُجَر بالفتحة نيابة عن الكسرة، ولذلك وُضِعَت الفتحة فوق الهمزة، فهذه الفتحة علامة جر لا علامة نصب. والممنوع من الصرف لا يُجَر بالكسرة إلا فى حالتين: أن يكون مضافاً، أو مُعَرَّفاً بالألف واللام، و{ضَرَّآء} فى الآية ليست مضافاً، ولا مُعَرَّفة بالألف واللام، والله أعلم.

س٣٥٨- من الأخطاء اللغوية فى القرآن قوله: {وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ} [هود:٦٧] وكان المفروض أن يقول (وأخذت الذين ظلموا الصيحة)

ج٣٥٨- لقد رد الشيخ الشعراوى - رحمه الله - على هذا بقوله: إن الذى يتكلم هنا هو رب العباد سبحانه، ولا يصح أن تُفهم الصيحة على أنها جاءت لتعبر عن صيحة واحدة، فتاء التأنيث تعبر عن صيحة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصياح، وهنا نلمح أن {ٱلصَّيْحَةَ} فيها ضعف الأنوثة، أما الصياح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق سبحانه أن يجمع الأمرين فقال: {أَخَذَ} ولم يقل (أخذت).

كما أن الفعل يجوز تذكيره بدلاً من التأنيث فى حالات منها هذه الحالة، وهى إذا جاء الفعل (مجازى التأنيث والتذكير) قبل فاعله المؤنث لفظاً، ولكن اعترض بينهما كلمة فصلت بين الفعل وفاعله، هنا يجوز تذكيره مثل: جاء الساعةَ بائعاتُ اللبن، والله أعلم.

س٣٥٩- يقول القرآن: {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ} [هود:١٠٦-١٠٧] كيف يكون الزفير قبل الشهيق؟ وهل هناك سموات وأرض يوم القيامة؟ ثم تأتى الآية التى تليها وتقول: {وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ} فهل معنى هذا أن أهل النار سيخرجون منها، وأهل الجنة سيخرجون منها؟

ج٣٥٩- الطبيعى أن الشهيق قبل الزفير، ولكن الله عز وجل قدَّم الزفير لأهميته ودلالته على التَوَجُّع، لأن الصراخ يأتى فى الزفير، فحينما يصرخ الإنسان ويقول: (آه) فإن هذا التأوُّه يحدث فى الزفير، فأهل النار غالب أحوالهم الصراخ (والعياذ بالله) أما الشهيق فلا يُسمَع له صوت. أما السؤال: هل توجد سموات وأرض فى الآخرة؟ فنقول وبالله التوفيق: إن من العلماء من فسر هذا بأنه ستكون هناك سموات وأرض، ولكنها مختلفة عن سموات وأرض الدنيا، بدليل قول الله عز وجل: {يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ} [إبراهيم:٤٨] ومنهم من قال إن الجنة والنار لهما سموات وأرض يليقان بهما، لأن أهلهما لابد أن يقفوا على شيء، ويُظِلُّهم شيء، أم أنهم سيقفون فى فراغ؟ فما تحتهم يسمى أرضاً، وما فوقهم يسمى سماءً، كما نقول: (أرض الغرفة وسماء الغرفة) ونقصد أرضيتها وسقفها، فما تحتك فهو أرضك، وما عَلاك فهو سَماؤك، وأهل الجنة يقول الله عز وجل عنهم: {وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ} [الزمر:٧٤] ومعلوم أن أهل النار من الكفار لن يخرجوا منها، أما الموحدون الذين عملوا الكبائر، وماتوا بغير توبة، ولم يغفر الله لهم، فإنهم سيدخلون النار على قدر أعمالهم، إلى ما شاء الله، ثم يخرجهم الله عز وجل منها، ويدخلهم الجنة، ولذلك قال: {إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ} فهى للموحدين دون غيرهم، أما أهل الجنة فلن يخرجوا منها أبداً، بدليل قول الله عز وجل فى الآية نفسها: {عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} أى غير مقطوع. فلماذا قال إذن: {إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ}؟ للعلماء فى هذا ثلاثة أقوال: أولها أن خلودهم فى الجنة ليس واجباً على الله عز وجل، ولكنه بمحض مشيئته وفضله سبحانه وتعالى، ولنضرب لذلك مثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن أحداً كان له عبيد، فقال لهم: لو أطعتمونى فيما أمرتكم به، فسوف أسكنكم فى قصر صفته كذا وكذا، ولن أخرجكم منه، وهذا تفضُّل منى عليكم، وليس حقاً لكم تجبروننى عليه، فأنتم ملكى، ومن حقى أن تطيعونى شكراً لنعمى عليكم،

فلو شئت لأخرجتكم منه، ولكنى لن أخرجكم. ففى هذه الحالة يدرك العبيد أن دخولهم هذا القصر، وعدم خروجهم منه، تفضُّل من سيدهم عليهم، ولا يتبجح أحد ويقول: أنا أستحق أن أدخله، أو يقول: إنه يجب عليه أن يدخلنى هذا القصر، ولا يخرجنى منه. وثانى هذه الأقوال أن الاستثناء فى الخلود لمن عُذِّبَ فى النار قبل دخولها، أى أن خلودهم نقص بقدر ما عذبوا به فى النار أولاً. وثالثها: أنه لَمّا كان الوعد على وجه التأبيد، فربما يتوهم أحد أن قدرة الله لا تسع غيره، وأن ذلك خارج عن إرادته سبحانه وتعالى، فجاء الاستثناء يبين أن التأبيد بمحض إرادته، ولا يعجزه خلافه، والله أعلم.

س ٣٦٠- يقول القرآن: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف:١٥] أين جواب (لَمّا) فى هذه الآية؟ أليس المفروض ألا يُذكَر حرف (الواو) قبل {أَوْحَيْنَآ} حتى يستقيم المعنى، وتكون كلمة {أَوْحَيْنَآ} هى جواب (لَمّا)؟

ج٣٦٠- قال الإمام عبد القادر الجرجانى - شيخ البلاغيين - فى وصف الحذف البلاغى، وروائع ثماره، وبديع آثاره: (هو بحث دقيق الْمَسْلَك، لطيف الْمَأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزْيَد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن) ومعنى كلامه أن الحذف فى بعض الأحيان يكون أبلغ من التوضيح - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - كَمَن يُسأل عن شىء فيكون جوابه الصمت، فيقال: إن صمته أبلغ من جوابه. إن حذف جواب (لَمّا) هنا الْمُراد منه تهويل وتفظيع ما حدث من إخوة يوسف ليوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بعد أن أذِنَ لهم أبوهم بالذهاب به إلى الصحراء، وقد رُوِىَ عنهم أنهم أخذوا يؤذونه بالقول والفعل وهم فى الطريق إلى المكان الذى قصدوه، حتى كادوا يقتلونه، لذلك حُذِفَ جواب (لَمّا) لتذهب النفس فى تصوّره كل مذهب، وحذف هذا الجواب فيه دلالة على طول ما حدث، وعلى غرابته وبشاعته، لذلك قدَّره الإمام الزمخشرى فقال: (فعلوا به ما فعلوا من الأذى، وأظهروا له العداوة، وأخذوا يهينونه ويضربونه، وإذا استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب) أمَّا اقتراح حذف (الواو) قبل {أَوْحَيْنَآ} فخطأ جسيم، لأن {أَوْحَيْنَآ} ليس جواب (لَمّا) وإنما هو معطوف

على الجواب المُقدَّر، لأن جواب (لَمّا) هو ما حدث لسيدنا يوسف من إخوته بمجرد خروجهم به من عند أبيهم وبُعْدهم عنه قليلاً، ودليل ذلك هو العطف بالفاء فى {فَلَمَّا} لأنه تفيد الفورية والترتيب، والله أعلم.

س٣٦١- يقر القرآن بأن يوسف كاد يزنى بامرأة العزيز، فيقول: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ} [يوسف:٢٤] ويوسف نفسه قد أقر بفعلته حين قال: {وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ} [يوسف:٥٣] فكيف تنكرون على الكتاب المقدس أنه أقر بعدم عصمة الأنبياء، وأنهم كسائر البشر يقعون فيما يقع فيه البشر من الذنوب؟

ج٣٦١- كيف تقولون عن سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إنه كاد يزنى، وقد كان أول ما رَدَّ به على امرأة العزيز حين دعته إليها ما جاء فى الآية التى قبلها {قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ} فقوله جل وعلا: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ} معناه أنها همت بالزنى، بدليل قوله تعالى فى الآية نفسها: {هَيْتَ لَكَ} أى (تهيأت لك) وتهيؤها لهذا الأمر كان بتزينها فى أحسن صورها لإغرائه، وتغليق جميع الأبواب عليهما حتى لا يراهما أحد. أمَّا قوله تعالى: {وَهَمَّ بِهَا} فقد همَّ أن يضربها، وهذا يفهم من سياق الآيات، فهمّها بالزنى مفهوم من قوله جل وعلا: {وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ} أمَّا همه بضربها فمفهوم من قوله تعالى: {قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ} فكيف يستعيذ بالله من الزنى ثم يَهِم به؟ وضربه لها كان رداً تلقائياً لشرفه ورِفعة قَدْره، فهو من بيت نبوة، وقد أعده الله ليكون نبياً، فكيف تتجرأ عليه وتطلب منه هذا الأمر الشنيع؟ ولكن الله سبحانه وتعالى صرف عنه رغبته فى ضربها، لأن هذا أيضاً لا يليق بالأنبياء، فلو أنه ضربها فصرخت وهو معها فى غرفة النوم المغلقة عليهما، أو لو ظهر عليها آثار الضرب، لقال من سمعها أو رآها إنه حاول الاعتداء عليها فأبَت فضربها، فأحياناً تصل حالات الاغتصاب لقتل المرأة وليس ضربها فقط. وقد استعمل القرآن لفظ (الهم) بمعنى إيقاع الضرر بالغير، وخاصة فى حق الرجال، كقوله تعالى: {وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ} [غافر:٥] فكل أمة همت بقتل رسولها أو ضربه. وهناك عدة أدلة تثبت براءته من هذه الفعلة الشنيعة، أولها استعاذته بالله - كما أسلفنا - وثانيها اعتراف امرأة

العزيز نفسها {وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ} [يوسف:٣٢] وثالثها شهادة أحد أقاربها {فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} [يوسف:٢٨] ورابعها أن الله عز وجل وَصَفَه بقوله: {إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ} وهؤلاء ليس للشيطان عليهم سبيل {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ} [ص:٨٢-٨٣] فبراءته - عليه السلام - كبراءة الذئب من دمه، قال رسول الله ﷺ: **"الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"** [صحيح الجامع:٤٦١٠] أما قوله تعالى: {وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ} فقد قال بعض العلماء إنه من تمام كلام امرأة العزيز، وقال بعضهم إنه من قول سيدنا يوسف، ولكنه من باب هضم النفس والتواضع لله عز وجل. وإرجاع الفضل لله، وهضم النفس، هو دأب الصالحين، كما قال رسول الله ﷺ: **"لن يُدخِل أحداً عملُه الجنة ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته"** [صحيح الجامع:٥٢٢٢] وكما قال سيدنا شعيب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لقومه: {وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف:٨٩] وذلك حين هددوه وتوعدوه بقولهم: {لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا} أى أنه لم ينسب الفضل إلى نفسه فى ثباته على الدين، ولكن نسبه لله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س٣٦٢- هناك خطأ لغوى فى الآية: {إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ} [يوسف:٢٩] والسياق يقتضى (إنك كنت من الخاطئات).

ج٣٦٢- إن هذه حادثة اغتصاب، ومن المعلوم أن الذى يقوم بالاغتصاب هم الرجال، فغاية ما تعمله المرأة المبتذلة أن تتمايع، أو تتكشف، لتلفت نظر الرجل، فما سمعنا بامرأة قط حاولت اغتصاب رجل رغماً عنه إلا امرأة العزيز، ولذلك كان فعلها فعل الرجال، فنُسبت إليهم، والله أعلم.

س٣٦٣- يقول القرآن: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ} [يوسف:٣٠] وكان المفروض أن يقول: (وقالت نسوة)

ج٣٦٣- الآية الكريمة جاءت بلفظ {قال} لأنه اسم مفرد لجمع المرأة وهو {نسوة} كما أن علم النحو وُضِعَ بعد نزول القرآن وليس قبله، فالذى وضع علم النحو إنما وضعه

باجتهاد على مُجمَل ما جاء به كلام العرب، والله أعلم.

س٣٦٤- يقول القرآن: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف:٣١] هل من المعقول أن تقطع النساء أيديهن من أجل رجل جميل؟

ج٣٦٤- إن جمال سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن جمالاً عادياً، ولكنه كان جمالاً مُبهراً، فقد قال عنه النبي ﷺ: **"أُعطِيَ يوسفُ شطر الحُسْن"** [صحيح الجامع:١٠٦٢] فسيدنا يوسف كان أجمل رجل فى زمنه على وجه الأرض، فضلاً عما كان يعلوه من بهاء الإيمان وسَمْت الصالحين، أضف إلى ذلك أن امرأة العزيز هيأته لهذا اللقاء بأجمل ما يُلبَس من ثياب الملوك والأمراء، وجعلت الوصيفات يُرَجِّلن شعره كأجمل ما يكون الرجال، فخرج عليهن فى أُبَّهة وعظمة، ونور نبوة، وجمال ربانى يفوق الوصف والخيال، فأذهل كل الحاضرات. ومن مكر زليخة أنها أحضرت بعض أنواع الفاكهة التى لابد أن تقطع بالسكين (كالتفاح والكمثرى) فلما خرج عليهن لم يستطعن أن يتحكمن فى مشاعرهن، ونسين أن السكين فى أيديهن، فقطعنها دون أن يشعرن، وقلن جميعاً: {حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} فانتصرت زليخة بهذه الحيلة على النسوة اللواتى كن يَلُمْنَ عليها حبها له، بل إنها عندما رأت ما حدث لهن تبجحت وقالت: {فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ} [يوسف:٣٢] ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن النساء أنفسهن - من فرط إعجابهن به - راوَدْنه عن نفسه مثلها، بدليل أن سيدنا يوسف دعا ربه بقوله: {رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ} [يوسف:٣٣]. ولا يخفى على السائل أن السكاكين التى كانت بأيدى النساء كانت من متاع بيت العزيز، أى أنها كانت سكاكين جيدة، حادَّة، سريعة القطع، مثل الشفرة، ولا يخفى عليه أيضاً أن بعض النساء - وربما الرجال - يجرحن أيديهن أثناء تقطيع الخضروات وغيرها، رغم أنهن يعتنين بعدم مساسها بسوء، فما بالكم لو أنهن تشاغلن بشيء آخر أثناء التقطيع؟، والله أعلم.

س٣٦٥- هل أرض مصر تُروَى بالأمطار كما قال القرآن: {ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف:٤٩] والمعروف أن الغوث هو المطر، أو كما هو معلوم للعالم أجمع أن مصر تروى بمياه نهر النيل؟

ج٣٦٥- على السائل أن يرجع إلى كتاب الجغرافيا الخاص بالمرحلة الابتدائية، ليعلم أن أصل مياه نهر النيل تأتى من الغيث - الذى هو ماء المطر - النازل على هضبة الحبشة، والبحيرات الاستوائية، فأصل كل الأنهار هي الأمطار. كما أن (غاث) معناه أيضاً: نَصَرَ، وأعان، وكشف الكرب، وهذا ما حدث.. فقد كشف الله شدتهم، وفرَّج كُربتهم، بعد هذه السنين العجاف، والله أعلم.

س٣٦٦- كيف تحدث يوسف مع عزيز مصر وامرأته والملك، وهو لا يتكلم اللغة المصرية القديمة (القبطية)؟ وإذا كان قد تعلمها وتكلم بها لأنه عاش بينهم زمناً طويلاً، فكيف تكلم مع إخوته باللغة العبرية؟ وكيف تكلم موسى مع شعيب وابنتيه باللغة العبرية، وهى لغة أهل مدين حينها؟

ج٣٦٦- عزيز مصر وملكها لم يكونا قبطيَّيْن (كلمة قبطى معناها مصرى، وليس كما يعتقد البعض أن معناها نصرانى) فلو كانا قبطيين لقيل (وقال فرعون ائتونى به) بدلاً من {وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ} [يوسف:٥٤] لأن حكام القبط كانوا يُلقَّبون ويُدْعَون (فراعنة) أما حاكم مصر أيام سيدنا يوسف - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فقد كان يُلقَّب ملكاً، وذلك أيام حكم الهكسوس لمصر، وهم رُعاة الشمال من سوريا فى بلاد الشام (وقد أثبت التاريخ ذلك) وكانوا يتكلمون اللغة العبرية، ولغة سيدنا يوسف كانت أيضاً عبرية. أما سيدنا موسى فقد كان يتقن لغتين: لغة قومه من بنى إسرائيل، وهى اللغة العبرية (لغة دينية أو تعبدية) ولغة أهل مصر، وهى اللغة القبطية، مثل ما يتكلم النوبيّون عندنا بلغتين: العربية، والروطان. وقصة سيدنا موسى مع بنت شعيب نحب دائماً أن نذكّر بها شبابنا، فحين جاءته وقالت له: {إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص:٢٥] مشت أمامه فلفح الهواء ثوبها فبدا بعض من ساقها، فأمرها سيدنا موسى أن تمشى خلفه حتى لا يراها، وإذا أرادت أن يتجه يميناً أو شمالاً قذفت له بحجر ناحية اليمين أو الشمال حتى لا يسمع صوتها! ولذلك فقد صدقت حين قالت لأبيها: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ} [القصص:٢٦] {ٱلْقَوِىُّ} لأنه رفع الصخرة التى لا يستطيع رفعها إلا عدة رجال، و{ٱلْأَمِينُ} لتصرُّفه الذى ذكرناه معها، رغم أنه لم يكن نبياً بعد، ولكن كانت عنده نخوة أهل الإيمان. وشعيب هذا لم يكن شعيب النبى - على نبينا وعليه الصلاة

والسلام - ولكنه كان رجلاً صالحاً، بدليل قول الله جل وعلا: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ} [القصص:٤٣] أى أن رسالة سيدنا موسى جاءت بعد هلاك الأمم التى لم تؤمن بأنبيائها، ومنهم قوم سيدنا شعيب، والله أعلم.

س٣٦٧- كثيراً ما نجد الأخطاء اللغوية فى القرآن، مثل قوله: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا} [يوسف:٨٣] لقد قال: {بِهِمْ جَمِيعًا} مع أن الموجود حينها فى مصر رجلان فقط، هما يوسف وبنيامين، فكان المفروض أن يقول (يأتينى هما) بضمير المثنى، وليس الجمع.

ج٣٦٧- ارجع إلى السورة، ودقق النظر، وحاول أن تفهم، إن الموجودين منهم فى مصر حينها كانوا ثلاثة، وهم يوسف، وبنيامين، وكبيرهم الذى قال: {فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى} [يوسف:٨٠] واسمه (روبين) فهم ثلاثة، وليسوا اثنين كما فهمت، والله أعلم.

س٣٦٨- يزعم القرآن أن قميص يوسف شفى يعقوب من العمى، فيقول: {ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا} [يوسف:٩٣] ثم تأتى آية أخرى لتؤكد المعنى نفسه، فتقول: {فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا} [يوسف:٩٦] ما هذا القميص السحرى الذى يشفى من العمى؟

ج٣٦٨- إن هذا من المعجزات التى أيَّد الله بها أنبياءه ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولماذا تتعجب أيها السائل وعندك مثله فى كتابك المقدس، فقد جاء فيه ما معناه أن سيدنا يعقوب قد أصابه العمى، وأن سيدنا يوسف سيضع يده عليه فيبرأ، وها هو الدليل: **وأما عينا إسرائيل فكانتا قد ثقلتا من الشيخوخة لا يقدر أن يبصر.** (تكوين٤٨: ١٠) **فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر. لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أُصْعِدَك أيضاً. ويضع يوسف يده على عينيك** (تكوين٤٦: ٣-٤) وقد جاء فى الكتاب المقدس ما هو أبعد من ذلك، إذ جاء فيه أن عظام النبى (اليشع) أحيت الميت بعد وضعه فى قبره، وقد ذكرنا الدليل على ذلك فى الرد على الشبهة رقم (١٦) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س٣٦٩- يقول القرآن: {قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ} [يوسف:١٠٨] وكان المفروض أن يقول (هذا سبيلى) لأن السبيل مذكَّر.

ج٣٦٩- ما هو سبيل رسول الله ﷺ؟ إنه الدعوة إلى الله، بدليل قول الله جل وعلا فى الآية نفسها: {أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى} ولذلك جاءت بضمير المؤنث، أى هذه دعوتى، هذه طريقتى، والسبيل والطريق يذكَّران ويؤنَّثان مثل كلمات أخرى كثيرة، كسوق، وبلد، وبئر، وساق، وقدم، وعاقر، وعقيم... إلخ، والله أعلم.

س٣٧٠- يقول القرآن: {وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ} [الرعد:٤٣] وتقول كتب التفسير إنه عبد الله بن سلام، والعجيب أنه أسلم فى المدينة والسورة مكية.

ج٣٧٠- من المعلوم لدى علماء التفسير أن هناك سُوَر أنزلت بمكة، ولكن بعض آياتها أنزلت بالمدينة، فكذلك هذه السورة الكريمة، نزلت بمكة، ولكن الآية الخاصة بعبد الله بن سلام ﷺ أنزلت بالمدينة، كما قال بذلك عطاء، وقد ورد قوله فى تفسير (النسفى) وغيره من التفاسير، والله أعلم.

س٣٧١- يقول القرآن: {إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ} [هود:٣٤] ويقول: {رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى} [الحجر:٣٩] فهل الله يغوى؟

ج٣٧١- لقد أجبنا عن مثل هذا السؤال فى أكثر من موضع (وبالله التوفيق) وقلنا: إن هذا ليس ظلماً من الله سبحانه وتعالى - وحاشاه - ولكن هذا بسبب أفعال العباد، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن هناك طالب فاشل لا يستجيب لنصائح والده بالكَفّ عن مصاحبة أهل السوء، ولا يمتثل لأمره بالاهتمام بمذاكرته ودروسه ومستقبله مرات ومرات، فماذا يقول له والده؟ يقول له: أنا أريد منك أن ترسب فى الامتحان، وأريد أن تفشل فى حياتك، وأحياناً يقسم عليه - من شدة غضبه - ألا يذاكر، بل وربما قطَّع له كتبه حتى لا يمكّنه من مطالعتها، فهل قول أبيه جعله يرسب.. أم أنه كان فاشلاً أصلاً؟ وهل قوله محمول على حقيقته، أم أنه على وجه التهديد والوعيد؟ فلولا معصية ولده لَمَا قال له هذا القول، ولَمَا فعل هذا الفعل. فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لا يغوى أحداً ظلماً، ولكن الإنسان هو السبب فى إغواء نفسه لبُعْده عن طريق ربه {وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران:١١٧]

ولقد جاء فى الكتاب المقدس أدلة كثيرة على إغواء الله (بزعمهم) لعبيده، نذكر منها على سبيل المثال:

وقال فاسمع إذاً كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب من يُغوى آخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد. فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه. وقال له الرب بماذا. فقال أخرج وأكون روح كذب فى أفواه جميع أنبيائه. فقال إنك تغويه وتقتدر. فاخرج وافعل هكذا. والآن هُوَذا قد جعل الرب روح كذب فى أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر. (الملوك الأول٢٢: ١٩-٢٣)

ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون. فإنى أغلظتُ قلبه وقلوب عبيده لكى أصنع آياتى بينهم (خروج١٠: ١)

بل اختار الله جُهّال العالم ليُخزى الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليُخزى الأقوياء. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس١: ٢٧)

لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك. قسَّيْتَ قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك. (إشعياء٦٣: ١٧)

فقلتُ آه يا سيد الرب حقاً إنك خِداعاً خادَعتَ هذا الشعب (إرمياء٤: ١٠)

فإذا ضل النبى وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللتُ ذلك النبى وسأمُدُّ يدى عليه وأبيده من وسط شعبى إسرائيل. (حزقيال١٤: ٩)

قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. (يوحنا١٢: ٤٠)

ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكى يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سُرُّوا بالإثم (رسالة بولس الثانية إلى تسالونيكى٢: ١١)، والله أعلم.

س٣٧٢- لقد جاء الحديث عن يوم القيامة فى أول سورة (النحل) بصيغة الماضى، فقال: {أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ} كيف يقول: {أَتَىٰ} وهو لم يأتِ بعد؟ وكيف يقول: {فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ} بعدما قال: {أَتَىٰٓ}؟

ج٣٧٢- معلوم أن الأزمنة ثلاثة: ماضٍ ومضارع ومستقبل، وهذا كله بالنسبة للبشر، أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فكلها كأنها ماضية، لأنها كانت فى علمه قبل خلق السموات والأرض، فسبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. فكلمة {أَتَى} تعنى أنها واقعة لا محالة، فلا داعى لاستعجالها، كما كان يستعجل وقوعها المشركون كفراً وعناداً وتحدياً للرسول ﷺ {وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال:٣٢] ونحن أحياناً نتحدث عن المستقبل بصيغة الماضى.. كيف؟ فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو ذهبت لإنسان وطلبت منه أن يتوسط لك فى قضاء حاجتك، كأن تريد أن تدخل ولدك مدرسة معينة، ولكن مديرها يرفض لعدم توفر الشروط، فإنك تذهب لصديق له، أو لمن له سُلطة عليه، وتطلب منه أن يتوسَّط لك عنده، فيقول لك: ابنك دخل المدرسة.. فهل ابنك دخلها فعلاً؟ أم أنه قالها لأنه متأكد من قبول وساطته؟ هذا وهو بشر، قد تَعْرِض له حاجة، من مرض، أو موت، أو غيره.. فما بالكم بالله سبحانه وتعالى؟، والله أعلم.

س٣٧٣- يقول القرآن: {وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ} [النحل:٥١] لماذا قال: {ٱثْنَيْنِ}؟ ألا كان يكفى أن يقول: {إِلَٰهَيْنِ} وهى تعنى أنهما اثنان؟ وكذلك لماذا يقول: {إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ}؟ ألا كان يكفى أن يقول: {إِلَٰهٌ} وهى تعنى أنه واحد؟

ج٣٧٣- معلوم فى اللغة العربية أن هناك ما يُسَمَّى (تأكيد التأكيد) وذلك بأن تضيف للموصوف صفة أخرى تناسب الصفة الأولى، فتقول مثلاً: فلان جميل وسيم، فلان جن معفرت، فلان عاقل ورزين. أو تضيف للفعل ما يؤكده، فتقول مثلاً: لأضربنك ضرباً، لأذبحنك ذبحاً، لأقطعنك تقطيعاً.. إلخ. والأمر العقائدى لابد فيه من الوضوح التام، حتى لا يظن إنسان أن مع الله إلهاً آخر مهما كان، أباً، أو زوجة، أو ولداً، والناس فى معتقداتهم أنواع: فئة تقول: لا إله والكون خلق مُصادفة، وهم (الدهريون) وبلغتنا الحديثة (الملحدون) وطائفة تقول: الكون مليء بالآلهة، مثل الإغريق.. عندهم إله الحرب، إله الخير، إله الشر، إله الريح، إله المطر، إله الزرع... إلخ، وكان المشركون قبل الإسلام

يعبدون ٣٦٠ صنماً بعدد أيام السنة، ونوع آخر قالوا: إن الآلهة ثلاثة فى واحد: الآب والإبن والروح القدس، فالطائفة الأولى (الملحدون) دحضهم قول الله جل وعلا: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور:٣٥] وطائفة التعدد دحضتهم أكثر من آية، مثل: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:٢٢] وطائفة التثليث قال الله عز وجل فيهم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة:٧٣] فلم يبقَ غير احتمال وجود طائفة تدَّعى وجود إلهين (وهو أدنى التعدد) فأغلق الله سبحانه وتعالى هذا الباب، وجميع أبواب الشرك بقوله: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ} فلو قال (لا تتخذوا إلهين إنما هو إله) لقالوا: ممكن أن يكون معه ابن.. وهو وابنه واحد، أو يكون معه زوجة.. وهو وزوجته واحد، والله أعلم.

س٣٧٤- يقول القرآن: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ} [النحل:٦٨-٦٩] أليس المفروض أن يأتى الكلام بصيغة المذكر فيقول (اتخذ من الجبال بيوتاً) و(كُلْ من كل الثمرات) و(يخرج من بطونه) وذلك لأن الخطاب للنحل كله؟

ج٣٧٤- لقد ثبت علمياً أن الذكور تتنافس على تلقيح الملكة، فتطير خارج الخلية، ويطيرون وراءها، وفى هذا الطيران يموتون من التعب، إلا واحداً منهم - وهو أقواهم - فيلقحها ثم يموت بعد تلقيحها مباشرة، فبذلك تخلو الخلية من الذكور، ولا يقوم على خدمة الملكة، وتنظيف الخلية، وإفراز العسل إلا الإناث. كما أن الخطاب فى الآية الكريمة لأُمَّة النحل فناسب أن يقال: {اتَّخِذِي} لأن النحل وغيره من المخلوقات الحية أمم أمثالنا {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} [الأنعام:٣٨]، والله أعلم.

س٣٧٥- يقول القرآن: {فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ} [النحل:٦٩] إن هذا يخالف الواقع، فكثير من الحالات المرضية لا ينفع معها العسل، ولو كان هذا الكلام من عند الله لشفى العسل جميع الأمراض، ولَمَا احتجنا لأى أدوية أو عمليات.

ج٣٧٥- إن الآية الكريمة لم تقل (فيه الشفاء للناس) ولو كانت هكذا لكان معناها أن العسل فيه الشفاء لجميع الأمراض، ولكنها قالت: {فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ} بصيغة النكرة، أى

أن العسل فيه نوع من الشفاء، وليس كل الشفاء. وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن به شفاء لأمراض كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها، وأثبتت أنه يقوى الجهاز المناعى للإنسان، مما يجعله أقل عُرضة للإصابة بالأمراض، وأكثر مقاومة لها عند وقوعها.

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن معبودكم قال لكم: **من آمن واعتمد خلصَ. ومن لم يؤمن يُدَن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين... ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون** (مرقس١٦: ١٦-١٨) فهل منكم من يضع يديه على المرضى فيبرأون؟ فلو كان هذا صحيحاً لَمَا احتجنا إلى أى أدوية أو عمليات كما تقولون، والله أعلم.

س٣٧٦- يقول القرآن: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧] أين هى هذه الحياة الطيبة التى يعيشها المؤمنون، وأغلبهم فقراء مستضعفون؟

ج٣٧٦- لقد ظن السائل بفهمه السطحى للآية الكريمة أن الحياة الطيبة هى فى المال والجمال، ورغد العيش، والتمتع بملذات الحياة. إن الحياة الطيبة هى حياة الإيمان، فإن للإيمان حلاوة لا يدركها إلا من تحقق فيه قول رسول الله ﷺ: **"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأن يكرَهَ أن يعودَ فى الكفر بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكرهُ أن يُلقَى فى النار"** [صحيح البخارى] وهى حياة الأُنس بالله، ومحبته، وطاعته، والتلذذ بمناجاته، والحرص على رضوانه، فالمؤمن الذى شغل قلبه وحياته كلها بالله، لا يجد راحته إلا فى ذكر ربه، ومناجاته، والتضرع إليه، والتذلل بين يديه **{ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}** [الرعد:٢٨] فتجده صوّاماً قوّاماً، يناجى ربه، مستغفراً بالأسحار **{أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ}** [الزمر:٩] **{ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ}** [آل عمران:١٧] وتجده راضياً بقضاء الله وقدره، وما السعادة إلا فى الرضا، فكم ممن عنده المليارات من الدولارات، ولا ينام إلا بالمهدئات، قلبه مهموم، فكره مشغول، تلاحقه المسئوليات بأعبائها ليل نهار، يحق عليه قول ربه القهار: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا}** [طه:١٢٤] نعم.. ضنكاً لأن قلبه بعيد عن ربه، أقل شىء يغضبه، إن أصابه

مرض، أو أى مكروه، فى نفسه، أو ماله، أو ولده، سخط على قدر الله، ولم يصبر على بلواه، حتى إن منهم من ينتحر، وهو فى أوْج شهرته ومجده وغناه ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥] أما المؤمن (وأقول المؤمن وليس المسلم) فحاله كما قال فيه رسول الله ﷺ: **"عجباً لأمر المؤمن إن أمرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له"** [صحيح الجامع:٣٩٨٠] فتجده دائم الرضا عن ربه جل وعلا، إن أصابته سراء شكر نعمة الله عليه، يُصرِّفها فى مرضاته، لا يخرجه سروره عن طاعة ربه، وإن أصابه مكروه حمد الله، لعلمه أن الله سبحانه وتعالى لا يُقدِّر إلا الخير، فتجده صابراً محتسباً، لا يسخط على قدر مولاه جل فى علاه، فلينظر العاقل أيّتهما الحياة الطيبة، والله أعلم.

س٣٧٧- إن القرآن يبيح الكفر أحياناً، ويبيح الشرك أحياناً، ويجيز النطق بكلمة الكفر حسب القاعدة عندكم (الضرورات تبيح المحظورات) فهل من الأمانة أن يُزوِّر الإنسان فى عقيدته؟ واقرءوا إن شئتم: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦]

ج٣٧٧- إن التزوير أو التزييف فى العقيدة لمجرد اللعب، أو جلب مصلحة دنيوية، جريمة كبرى، قال ﷺ: **"من بدَّل دينه فاقتلوه"** [صحيح البخارى] أما الذى أُكْرِهَ على الكفر- كما فى الآية الكريمة - وتعرض للتعذيب الوحشى الذى لا طاقة له به، فله أن ينطق بكلمة الكفر لينقذ نفسه من الهلاك، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أى أنه لا يكفر حقيقة، ولكنه كفر ظاهرى باللسان لا بالْجَنان، فالإيمان محله القلب وليس محله اللسان. وهذه الآية نزلت فى شأن عمار بن ياسر - رضى الله عنهما - فقد عُذِّبَ عذاباً شديداً لا يتحمله أحد، لدرجة أنهم كانوا يغطسون رأسه فى الماء حتى يكاد تزهق روحه، فاضطر ﷺ أن ينطق بكلمة الكفر لينجو منهم، فسمعه بعض الصحابة ﷺ فقالوا: يا رسول الله.. إن عمار قد فُتِن، فقال ﷺ: **"عمار ملئ إيماناً إلى مُشاشه"** [صحيح ابن حبان، صحيح الجامع:٤١٠٣] (الْمُشاش) هى رءوس العظام والمفاصل. أى أن الإيمان ملأ جوفه،

واختلط بلحمه ودمه، إلى أن وصل إلى النخاع والعظام الظاهرة، وبعد قليل جاء عمار يعتذر للرسول ﷺ مما قال فى حقه، وهو يبكى وعليه آثار التعذيب، فسأله الرسول: "**كيف تجد قلبك؟**" قال: يا رسول الله قلبى مطمئن بالإيمان، فقال: "**إن عادوا فعُدْ**" وهذا من رحمته ﷺ، أى لا عليك أن تتحمل هذا العذاب، بل إن عادوا إليه فعُدْ إلى شتمى ومدح أصنامهم، طالما أن قلبك مطمئن بالإيمان، ثم نزلت الآية الكريمة المشار إليها فى السؤال، وهى رخصة من الله جل وعلا لمن تعرض للتعذيب الشديد، وليس للعبث واللعب كما يظن السائل.

وقد جاء فى الكتاب المقدس (زوراً وبهتاناً) أن سيدنا داود - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - هرب من الملك شاول، وتظاهر بالجنون أمام أخيش لخوفه منه. وجاء فيه أيضاً أن (بطرس) وهو أكبر تلاميذ المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حلف كاذباً، وأنكر معرفته بالمسيح، ولَعَنَهُ لمجرد خوفه من اليهود، وليس تعذيبه كما حدث لسيدنا عمار:

وقام داود وهرب فى ذلك اليوم من أمام شاول وجاء إلى أخيش مَلِك جَتَّ. فقال عبيد أخيش له أليس هذا داود ملك الأرض. أليس لهذا كُنَّ يُغَنِّين فى الرقص قائلات ضرب شاول أُلُوفَهُ وداودُ رِبْواتِه. فوضع داود هذا الكلام فى قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جَت. فغيَّر عقله فى أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويُسيل ريقه على لحيته. فقال أخيش لعبيده هُوَذا تَرَوْن الرجل مجنوناً فلماذا تأتون به إلىَّ. أَلعَلّى محتاج إلى مجانين حتى أتيتم بهذا ليتجنن علىَّ. أهذا يدخل بيتى (صموئيل الأول٢١: ١٠-١٥)

قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلىٌّ أيضاً ولُغتك تشبه لُغتهم. فابتدأ يلعن ويحلف إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه. (مرقس١٤: ٧٠-٧١) أتراه من كان يلعن؟ هل كان يلعن مخاطبيه وهو يخشاهم؟ حتماً إنه لعن المسيح، وقد فعل هذا بالرغم من إعطائه العهد للمسيح بألا ينكره: **فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات. فقال بأكثر تشديد ولو اضطررتُ أن أموت معك لا أنكرك.** (مرقس١٤: ٣٠-٣١)، والله أعلم.

س٣٧٨- يقول القرآن: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا} [النحل:١١١] كيف يكون هذا؟ هل تنقسم النفس إلى نفسين بحيث تدافع واحدة عن الأخرى؟

ج٣٧٨- النفس فى الدنيا مخيَّرة.. إمّا طائعة وإمّا عاصية {إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان:٣] أما يوم القيامة فليس هناك اختيار، فكل النفوس خاضعة ذليلة لله جل وعلا، فالنفس المطيعة يوم القيامة تجادل عن نفسها يوم أن كانت عاصية فى الدنيا، كما يدافع الإنسان عن نفسه عندما يُوَاجَه بشيء فعله يُؤَاخَذ عليه، فيقال عنه: إن فلاناً يدافع عن نفسه، فهل انفصم الإنسان عن نفسه فى هذه الحالة؟ إن النفوس يعتريها التغير كما يعترى الأجساد، ولكن ليس معنى هذا أنها تتبدل بأخرى، ولكنها تتغير بتغير الحالة الدينية والنفسية والاجتماعية... إلخ، فترى الكثير من الناس يقولون: إننا فى الماضى كنا نفعل كذا وكذا من المعاصى، أما الآن فإن الله سبحانه وتعالى قد تاب علينا وهدانا، فنستغفر الله ونتوب إليه، أو تتغير شخصياتهم وأفكارهم وتصوراتهم للأحداث ومُجرَيات الأمور، وهذا يشعر به كل فرد منا مع تقدُّم سنّه، والله أعلم.

س٣٧٩- يقول القرآن: {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل:١١٢] فهل الجوع والخوف لباس؟ وهل الخوف يُذاق؟

ج٣٧٩- الخوف يلف جسد الإنسان كما يلفه الثوب، فتظهر على ملامحه وكل جسده علامات تدل على خوفه، فتجد وجهه مصفراً، وجسده يرتعش، وتزيغ عيناه، ويتلجلج، وتصطك أسنانه، كما قالوا: (يكاد المريب أن يقول خذونى) وكما قال الله عز وجل: {فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ} [الأحزاب:١٩] وكما أنك تحكم على الإنسان بلبسه، فتقول مثلاً: هذا ضابط شرطة، أو بحرية، أو طيران.. إلخ، فكذلك الخائف تحكم عليه عند رؤيته، وكأن الخوف قد غطى جسده كما يغطيه اللباس، وكذلك الجوع.. فإن آثاره تظهر على الإنسان كالثوب.. بضمور وجهه، وشحوبه، وغَوْر عينيه، وهزال بدنه. أما ذَوْق الخوف.. فكما أن بعض الأطعمة تعمل ليونة فى الطبيعة (إسهالاً) فكذلك الخوف، حتى إنهم باللهجة العامِّية يقولون: (ده خايف بيترجف، دى بطنه ماشية) وكأنه أكل طعاماً دخل أمعاءه ففعل فيها

ما يفعله الطعام. وقد قالوا إن ثلاثة لا ينامون: البردان والجوعان والخائف، فكما أرَّقه البرد والجوع، أرَّقه الخوف، والله أعلم.

س ٣٨٠- يقول القرآن: {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء:١٦] كيف يأمرهم بالفسق ثم يدمرهم تدميرا؟

ج ٣٨٠- هل الله يأمر بالفسق؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً {قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٢٨] إن من بلاغة القرآن ألا يذكر ما هو مفهوم بداهة، أو ما هو مفهوم من السياق، وهذه الطريقة فيها تشويق للسامع، لأنها تترك له ما يفهمه بذكائه الفطرى، ولا تلقنه كل شيء وكأنه لا يفهم، وذلك مثل قوله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ} [آل عمران:١٣] فلم تذكر الآية أن الفئة التى تقاتل فى سبيل الله هى الفئة المؤمنة، لأن هذا مفهوم من السياق، وكذلك لم تذكر أن الفئة الكافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت، لأنه مفهوم أيضاً من السياق. ربما يتعجب أحد ويقول: ما الذى أدراك أن الفئة المؤمنة تقاتل فى سبيل الله، وأن الفئة الكافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت؟ وأقول لكم: إن الرد على هذا السؤال فى قول الله جل وعلا: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ} [النساء:٧٦] فكذلك الآية التى نحن بصددها، بديهى أن الله حين يأمر فلا يأمر إلا بخير، ولذلك يُفهَم منها أنه أمر المترفين بتوحيده وطاعته فلم يمتثلوا لأمره، بل فسقوا وأفسدوا، فدمرهم تدميراً. وهناك قراءة أخرى لهذه الآية تقول: {أمَّرْنا مترفيها} بتشديد الميم، أى جعلنا مترفيها أُمراء عليها فأفسدوا فيها، ولو كانوا مصلحين لَمَا دمرها {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ} [القصص:٥٩]

والآن نذكر لكم بعض ما جاء به الكتاب المقدس: **ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أُرسلُ ومن يذهب من أجلنا. فقلت هَأنذا أرسلنى. فقال اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقِّل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيُشفَى. فقلت إلى متى أيها السيد. فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر ويُبعِدُ الربُّ الإنسان ويكثر الخراب فى وسط الأرض.** (إشعياء٦: ٨-١٢)

وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها ونجستهم بعطاياهم إذا أجازوا فى النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أنى أنا الرب (حزقيال ٢٠: ٢٥-٢٦) أى أن الله (بزعمهم) أمرهم بفرائض وأحكام غير صالحة حتى يبيدهم، والله أعلم.

س٣٨١- يقول القرآن: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء:٢٥] ما صلة هذه الآية بما قبلها، وما دخلها ببر الوالدين؟

ج٣٨١- الآيتان السابقتان لهذه الآية يقول الله تبارك وتعالى فيهما: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} هذه الآيات تتكلم عن وجوب بر الوالدين، والنهى عن إيذائهما ولو بكلمة {أُفٍّ} وقد قال العلماء: لو كان هناك أقل من كلمة {أُفٍّ} لذكرها الله عز وجل، ولكن أقل كلمة لها معنى لابد أن تكون مكونة من حرفين على الأقل، أما أقل من اثنين فيكون حرفاً ليس له معنى مستقل بذاته. ونلاحظ فى هاتين الآيتين أن الله عز وجل قال: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ} أى عندك.. ترعاهما ولا تتركهما وحدهما ليس معهما من يرعاهما، ولا تدعهما فى دار مسنين مثلاً. وهنا قد يتلاعب بعض الأبناء بهذا الأمر ويجعلهما عنده، ولكن ليس لوجه الله، ولكن لمصلحته الشخصية، كما نرى فى عصرنا من يتحايل على أمه لتبيع ذهبها لينفقه على نفسه وأولاده مقابل خدمتها، أو يتحايل على أبيه ليأخذ منه أملاكه، ويجعله يوقّع له على عقود بيع وشراء حتى يضيّع حق إخوته فى الميراث. فالله سبحانه وتعالى يعلم ما تخفيه النفوس من خير أو شر، وسيجازى كل واحد بعمله، ولذلك قال: {رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ} والدليل على ذلك أنه قال بعد هذه الآية: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} وهذا تأكيد على وجوب إعطاء كل ذى حق حقه، والله أعلم.

س٣٨٢- يقول القرآن: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا} [الإسراء:٤٥] كيف يقول القرآن: {حِجَابًا مَّسْتُورًا} والحجاب فى الأصل ساتر، فكيف يكون مستوراً؟

ج٣٨٢- إن الحجاب المذكور فى الآية الكريمة حجاب معنوى، وليس حجاباً حسِّياً

كما فهم السائل، وهذا كما ورد فى قول الله جل وعلا: {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا} [الكهف:٥٧] وقوله تعالى حكاية عن المشركين: {وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ} [فصلت:٥] {وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ} [البقرة:٨٨] أى أنها مغلّفة بغلاف لا يُرَى، وهذا الغلاف يمنع وصول الحق إليها. فكذلك الآية التى نحن بصددها، فهى تتحدث عن حجاب يمنع وصول الهداية إلى قلوب المشركين، ولكن هذا الحجاب مستور لا يُرَى. ولتقريب المعنى نضرب مثلاً بالمغناطيس الذى يجذب بُرادة الحديد إليه، فهل يرى هذه المغناطيسية أحد؟ وهل لو تنافر قطبه مع قطب مشابه له (أى سالب مع سالب، أو موجب مع موجب) هل يرى أحد ما الذى يجعلهما يتنافران، فى حين أنهما يتقاربان إذا كان القطبان مختلفين؟ فقلوب المشركين والكافرين والمنافقين تنفر من سماع آيات الله، أما المؤمنون الموحدون فتنشرح صدورهم لكلام ربهم، ويزدادون إيماناً مع إيمانهم {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ} [التوبة:١٢٤-١٢٥]، والله أعلم.

س٣٨٣- يقول القرآن: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:٥٢] هذا الكلام موجَّه إلى الكفار، فكيف يحمدونه وهم سيُعذبون؟

ج٣٨٣- لأن الله عز وجل قد أعذر لكل معتذر، فلا حجة لأحد على الله، فقد أرسل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأنزل معهم الكتب، وأيدهم بالمعجزات، وبيَّن الحق من الباطل {رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ} [النساء:١٦٥] وهذا كما يقولون: (قد أعذر من أنذر) فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أن أباً قال لابنه: أنا سأعطيك كل ما تطلبه من كتب، أو دروس خصوصية، أو ملابس، أو هاتف محمول .. إلخ، بشرط أن تنجح آخر العام، وإن لم تنجح فخُذ ملابسك واترك البيت، وفى آخر العام رسب الولد، فقال له أبوه: ألم أفعل معك كذا وكذا؟ قال له: نعم يا أبى.. فقال له: اخرج من البيت إذن.. فماذا يكون رد الولد؟ سيقول له: شكراً لك يا أبى، إنك قد فعلت ما عليك، وأنا أستحق العقوبة، لأنى لم أفعل ما أمرتنى به. فالله سبحانه وتعالى قد أقام العدل فى ملكه، فجازى أهل الجنة بما يستحقون وأهل النار بما

يستحقون.. فهو المحمود أولاً، وهو المحمود آخراً، وهو المحمود على كل حال، والله أعلم.

س٣٨٤- يقول القرآن عن حادثة الإسراء والمعراج إنها مجرد رؤيا منامية {وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ} [الإسراء:٦٠] فكل الضجة التى عملها محمد حول الإسراء والمعراج هى ضجة حول رؤيا من الممكن أن يراها أى إنسان.

ج٣٨٤- إن الإسراء والمعراج لم يكونا مجرد رؤيا منامية كما تدَّعون، والدليل على ذلك هو عدم تصديق الكفار لهذا الحدث، لدرجة أن بعض المسلمين ارتدوا عند سماع هذه القصة، ولذلك قال الله عنها إنها {فتنة} أى اختبار للإيمان، فلو لم تكن بالروح والجسد لَمَا كانت فتنة، فهل وجدتم أحداً رأى فى منامه ما رأى، ثم قصَّه على الناس، فلم يصدقوه؟ إن الإنسان يرى فى منامه أشياء عجيبة يستحيل وجودها فى الواقع، ولا يكذبه أحد، فلو قلتُ لكم مثلاً: إنى رأيت فى المنام أنى سافرت إلى الهند، وصعدت على الشجر، وركبت الفِيَلَة، فهل يكذبنى أحد؟ والكفار أنفسهم - وهم أعلم باللغة العربية - لم يوجهوا هذا الاتهام للرسول ﷺ بعد سماع هذه الآية. أما لماذا قال الله عنها إنها رؤيا؟ فربما يكون الرسول ﷺ رآها فى منامه قبل وقوعها، فقد كان كل ما يراه فى منامه يتحقق كما رآه تماماً، وقد ظل ستة أشهر قبل البعثة لا يرى مناماً إلا وقع كما رآه مثل فلق الصبح، وقد رأى مَصَارِع الكفار قبل موقعة بدر، وأشار إلى الأماكن التى سيقتل فيها فلان وفلان. وربما لتشابه أحداثها بالرؤيا، وخاصة فى عنصر الزمن، فمعلوم أن الرؤيا المنامية لا تخضع للزمن، بدليل أن الإنسان يرى فى منامه أحداثاً كثيرة فى فترة وجيزة جداً، يحتاج فى سردها لمدة طويلة، فضلاً عن أن يقوم بفعلها كما رأى فى منامه، فالذى يرى مثلاً أنه ذهب للحج، وطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، كم يحتاج من الزمن لفعل هذه الأشياء؟ كذلك فإن الإسراء والمعراج لم يخضعا للزمن، لأنهما كانا بقدرة الله جل وعلا، فلم يقل الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ إنه سار بنفسه إلى بيت المقدس، ولكن قال: {سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ} [الإسراء:١] أى أن الله هو الذى أسرى به، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج لزمن {إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [يس:٨٢] وكلمة {عبده} لا تعنى الروح وحدها، ولكن تعنى الروح والجسد معاً، ونحن أحياناً نصف شيئاً

بشيء آخر لشدة التشابه بينهما، فمثلاً: لو رأينا منطقة جميلة جداً، غنية بالخضرة، والجبال والأنهار، وغير ذلك من خلق الله، فإننا نصفها بأنها منطقة ساحرة، لدرجة أننا نقول لمن رآها: أرأيت السحر؟ فهل هو سحر حقاً أم أنه تشبيه؟، والله أعلم.

س٣٨٥- يقول القرآن: {وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء:٦٤] كيف يأمر الله إبليس بهذه الأوامر المضللة، ثم يتوعده ومن اتبعه بالعذاب؟ فهل هذا عدل الإله عندكم؟

ج٣٨٥- إن هذه الأوامر ليست على حقيقتها، ولكنها للتهديد، وقد جاءت فى سياق الرد على إبليس فى قوله: {قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:٦٢] فهى توضح عزة الله واستغناءه عن خلقه، وفيها إمهال لإبليس وتحدٍّ له أن يفعل كل ما فى وسعه، فإن هذا لن يضر الله شيئاً، كما تقول لمن يهدد بفعل أمر خطير: اركب أعلى ما فى خيلك، أو: اعمل ما تقدر عليه، فهل أنت تأمره بالشر، أم هو شرير أصلاً؟ فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} -لا يضره كفر الكافر، ولا ينفعه إيمان المؤمن {إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ} [إبراهيم:٨] {إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر:٧]، ومع أن المفسرين قالوا إن كلمة {بِصَوْتِكَ} تعنى الغناء واللهو، وكل دعوة إلى ضلالة، إلا أن للشيطان صوتاً يُسمَع، كما حدث يوم أن ذهب إلى أبى هريرة ﷺ وحثا من مال الصدقة، وأراد أبو هريرة أن يرفعه إلى الرسول ﷺ (أى يذهب به إليه ليعاقبه) فاشتكى إليه من قِلَّة المال وكثرة العيال... إلى آخر القصة. أما {بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} أى بكل أعوانه وجنوده، الراكبين منهم والماشين. ربما يقول قائل: لماذا سمح الله لإبليس بإغواء بنى آدم؟ فنقول له: إن هذا مناط الاختبار، ليظهر المطيع من العاصى، ومن رحمة الله عز وجل أن حذرنا من إغوائه، فلم يتركنا سبحانه وتعالى فريسة له، بل وهبنا العقل الذى نميز به بين الخير والشر، وأرسل إلينا الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فمن أطاعهم دخل الجنة، ومن عصاهم دخل النار، والله أعلم.

س٣٨٦- يقول القرآن: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ} [الإسراء:٧٠]

فلو كان القرآن معجزاً لكل العصور – كما تزعمون – لقال (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر والجو)

ج٣٨٦- نعم.. إن القرآن معجز لكل العصور، وليس هذا ادِّعاءً باطلاً كما تقولون، وقد مر بنا توضيح ذلك بفضل الله عز وجل، فى الرد على الشبهة رقم (٢٨) ولكنه أيضاً صالح لكل العقول والأفهام، فلو قال (فى الجو) لصدم العقول حين نزوله، ولَمَا صَدَّقه أحد، إذ كيف يقول لهم (فى الجو) والجزيرة العربية لا تعرف حينها إلا الوسائل البدائية للسفر البرى والبحرى؟ ثم إن التعبير القرآنى {فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ} يشمل (الجَوّ) أيضاً، لأن هناك طيارات تُقلِع من البر وتهبط فى البحر، وأخرى تُقلِع من البحر وتهبط فى البر، أما الطيارات العادية التى تُقلع من البر وتهبط فى البر، ففى أثناء طيرانها يكون أسفل منها إما بر أو بحر، ولا ثالث لهما، والله أعلم.

س٣٨٧- يقول القرآن: {وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الإسراء:٧٢] أليس هذا الظلم واقعاً عليكم يا مسلمون؟ فما ذنب الأعمى أن يدخل النار؟ إن معنى هذا أن عبد الله بن أم مكتوم وغيره كثير من علمائكم (مثل الشيخ كشك) سيدخلون النار، أليس كذلك؟

ج٣٨٧- إن سائل هذا السؤال ليست عنده مَلَكة اللغة العربية، ولكنه اتخذها صنعة. فهناك أبصار وبصائر، أما الأبصار فهى بالعين، وأما البصائر فهى بالقلب، قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ} [الحج:٤٦] فالمؤمن ولو كان أعمى العين (كعبد الله بن أم مكتوم ﷺ أو الشيخ كشك رحمه الله) فإنه مُستنير البصيرة، يرى بنور الله جل وعلا، كما قال رسول الله ﷺ: **"اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله"** ثم قرأ: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} [سنن الترمذى] فكم من المكفوفين قد حفظ القرآن الكريم وغيره من العلوم الشرعية، وتفوق فيها وأصبح داعياً إلى الله سبحانه وتعالى، واهتدى على يديه الكثير والكثير، وكم من مبصر قد ضل عن صراط الله المستقيم – وربما أضل غيره – فلم ينفعه بصره، بل كان ضرراً عليه، لأنه استعمله فى معصية الله جل وعلا، قال تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ} [الأعراف:١٧٩] فإن الكافرين لهم قلوب، ولكنهم {لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا} أى لا يتدبرون بها الآيات، ولا الأحاديث، ولا المواعظ، ولا ما فيه صلاحهم وسعادتهم، ولهم أعين، ولكنهم {لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا} أى لا يبصرون بصراً ينفعهم، ولهم آذان، ولكنهم {لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ} أى لا يسمعون سماعاً ينفعهم. أما المؤمن فإن قلبه وبصره وسمعه وكل جوارحه مسخرة لله جل وعلا، كما جاء فى الحديث القدسى: "**إن الله تعالى قال: من عادى لى ولياً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضتُه عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، وإن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددتُ عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مُساءته**" [صحيح الجامع:١٧٨٢] فالمؤمن كلما رأى شيئاً دلَّه على الله سبحانه وتعالى، فلو رأى - مثلاً - مناظر جميلة من خلق الله.. تفكر فيها بنور بصيرته، وعلم أنها بعض مظاهر قدرة الله جل وعلا، فقال: سبحان الله! {إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [آل عمران:١٩٠-١٩١] وأما الكافر، أو المنافق، أو الفاسق، فإنه يرى فى هذه المناظر الجميلة متعة تُشَد إليها الرحال لمعصية الله، فتجد الكثيرين يسافرون إلى الأماكن السياحية الغنية بمثل هذه اللوحات الربانية، ليعصوا الله فيها، ويسبح النساء والرجال - شِبْه عُراة - أمام بعضهم البعض، فهل هذا البصر ينفعهم؟ إنهم قد أبصروا الجمال بعيونهم، ولكنهم لم يدركوا دلالته على عظمة الله وقدرته بقلوبهم. فالآية الكريمة التى وردت فى السؤال تتحدث عن عمى البصائر، وليس عمى الأبصار، كما قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ} [طه:١٢٤-١٢٦]، والله أعلم.

س٣٨٨- يقول القرآن: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ} [الإسراء:٩٧] كيف يحشرون على وجوههم؟

ج٣٨٨- إن هذا السؤال قديم، وقد سُئِلَ عنه الرسول ﷺ فرَدَّ بقوله: **"إن الذى أمشاهم على أرجلهم فى الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة"** [صحيح الجامع:١٦٨٧]، والله أعلم.

س٣٨٩- كيف يقول القرآن: {وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا} [الكهف:٢٥] ويقول: {لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارٗا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبٗا} [الكهف:١٨] ثم يقول فى الآية التى تليها: {قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖ} كيف يقولون: {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖ} ألم يروا التغيير الذى حدث فى هيئتهم، وأرعب الناس منهم، بعد مكثهم فى الكهف كل هذه السنين؟

ج٣٨٩- السائل ساذج، لأنه ظن أن شعر رءوسهم ولحاهم وأظافرهم قد طالت، وأنه قد أصابهم الشيب والشيخوخة، وانحنت ظهورهم، ووهنت عظامهم. إن شيئاً من هذا لم يحدث، ولكنهم عندما استيقظوا من نومهم على حالتهم التى كانوا عليها لم يشعروا بأى تغيير، لا فى هيئتهم، ولا قوتهم، ولا ملابسهم، بقدرة الله سبحانه وتعالى، ولذلك قالوا: {لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖ}. أما لماذا قال الله سبحانه وتعالى: {لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارٗا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبٗا}؟ لأن عيونهم كانت مفتوحة، بدليل قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظٗا وَهُمْ رُقُودٞ} [الكهف:١٨] وهذا مما يبعث الرعب فى قلب من رآهم، ولذلك فإن من إكرام الميت إغماض عينيه، لأنها لو تُرِكَت مفتوحة لكان منظرها مرعباً. وليس معنى قوله تعالى: {وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبٗا} أن شعورهم وأظافرهم طالت فأصبح منظرهم مرعباً، فنحن نشاهد أناساً فى الشوارع ملابسهم متسخة، وأظافرهم وشعورهم طويلة ولا نخاف منهم. ربما قال قائل: لو أن عيونهم كانت مفتوحة لدخل فيها التراب، ولأصابها العمى. ونقول له: ألا يثير تعجبك أنهم مكثوا لا يأكلون ولا يشربون طيلة هذه السنوات؟ فإن الذى جعلهم يمكثون هذه المدة أحياء بلا طعام ولا شراب، قادر على أن يحفظ أعينهم من العمى. وهناك شئ آخر.. فربما جعل الله عز وجل منظرهم يرعب من يراهم فيفر منهم هارباً، حتى لا يدخل إليهم أحد فى كهفهم ويحاول أن يوقظهم. والاطلاع عليهم مجرد افتراض {لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ} لأنهم بالتأكيد كانوا مختبئين عن أعين الناس. وقوله تعالى: {وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ} [١٨] فيه إعجاز علمى، لأن الإنسان إذا نام فترة طويلة على

مكان واحد، فإن هذا المكان يصاب بقُرَح الفراش التى يصعب علاجها، وكذلك قوله تعالى: {وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا} [٢٥] به أيضاً إعجاز علمى، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تعادل أربعاً وثلاثين سنة قمرية، فتكون المدة التى قضوها فى الكهف ٣٠٩ بالسنة القمرية، و٣٠٠ بالسنة الشمسية، فالآية جمعت بين الحسابين، رغم عدم معرفة العرب للحساب الشمسى حينها، فهم أمّيون، ولا دراية لهم بعلم الفلك الحسابى حين نزول هذه الآية، والله أعلم.

س٣٩٠– يقول القرآن: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ} [الكهف:٥٠] إن الأمر بالسجود لآدم كان للملائكة، وإبليس لم يكن منهم – بنص الآية – بل كان من الجن، فما الذى جعله يُطرَد من الجنة، ويصبح ملعوناً إلى يوم القيامة، ويخلَّد فى النار؟

ج٣٩٠– إن هذا استثناء منقطع، أى أن المستثنَى ليس من جنس المستثنَى منه، وإذا صدر الأمر للأعلى فمن باب أولى أن يدخل فيه الأدنى، ولنضرب مثلاً – {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} – إذا زار وزير الدفاع مقراً عسكرياً به مجموعة من اللواءات وكبار الضباط، وكان فى القاعة جنود يقومون بخدمتهم، فعند دخوله أُصْدِرَ الأمرُ لهؤلاء اللواءات والضباط بالوقوف له.. فهل يقف له اللواءات والضباط ولا يقف له الجنود؟ هل يقولون: إن الأمر لم يصدر لنا، إنما صدر للواءات والضباط، ونحن لسنا منهم؟ أو لو صدر أمر من وكيل الوزارة للمديرين بالحضور إلى عملهم فى الساعة السابعة مثلاً، فمن باب أولى أن يأتى العاملون من الساعة السادسة، وحين قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ} [الأحزاب:١] فهل النبى ﷺ يتقى الله، ونحن لا نتقيه؟ وإبليس نفسه كان يعلم أن الأمر يشمله، بدليل أنه لم يقل حين سُئِل عن عدم السجود (لم أسجد لأنى من الجن، والأمر ليس لى) ولكنه اعترض على أمر الله جل وعلا، ولم يطعه استكباراً وعناداً، فأصبح من الكافرين، بدليل أنه قال: {أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ} [الأعراف:١٢] ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أنه لم يطرده من الجنة بمجرد عصيان أمره، ولكنه سأله (وهو سبحانه أعلم) {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف:١٢] فكان رده ما ذكرناه فى الآية نفسها، والله أعلم.

س٣٩١- يقول القرآن: {فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ} [الكهف:٧٧] ثم نسى محمد وهو يؤلف القرآن، فقال: {وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ} [الكهف:٨٢] فمرة يقول: {قَرْيَةٍ} ومرة يقول: {ٱلْمَدِينَةِ} والمعروف أن القرية غير المدينة.

ج٣٩١- (النجع) عبارة عن بيت أو اثنين أو ثلاثة، وإذا كثرت البيوت إلى عشرة تقريباً سُمِّيت (كَفْراً) وإذا كثرت البيوت واتسعت الرقعة الأرضية التى تحتويها، ووجد أهلها احتياجاتهم سميت (قرية) وقرية مأخوذة من (القِرَى) أى الكرم، أو أنها تقر عينك، لأن ما تريده تجده، ومأخوذة أيضاً من الاستقرار، وإذا تعددت القرى أصبحت (مدينة) كبيت يحتوى على عدة شقق، فلو قال الإنسان إنه يسكن فى شقة كذا، لكان صادقاً، ولو قال إنه يسكن فى بيت كذا، لكان صادقاً، فليس هناك أى تناقض، لأن القرية جزء من المدينة. وربما كان الغلامان يسكنان بعيداً عن مكان الجدار، أى أنهما كانا يسكنان فى المدينة، والجدار فى القرية، كما يكون لأحدنا بيت فى المدينة وآخر فى القرية. وعموماً فقد ورد ذكر القرية والقرى كثيراً فى القرآن الكريم، وهى المكان المستقر فيه أهله، المتوافرة فيه حاجاتهم وطلباتهم، وأدوات حضارتهم، وإنها تشمل القرية والمدينة الصغيرة والكبيرة، أو المِصْر كله، والله أعلم.

س٣٩٢- يقول القرآن: {حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف:٨٦] كيف تدَّعون أن القرآن نزل من عند الله، وهو يقول إن الشمس تغرب فى بركة من الطين؟ هل هذا يتناسب مع العلم الحديث كما تدَّعون أيها المسلمون؟

ج٣٩٢- إن ما جاء بالآية الكريمة ليس وصفاً حقيقياً لغروب الشمس، ولكنه وصف من رآها، أى أن ذا القرنين رآها كأنها تغرب {فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ} كما يراها أحدنا عند الغروب وكأنها تسقط فى البحر، فيقول: لقد رأيت الشمس وهى تسقط فى البحر، ولا ينكر عليه أحد قوله هذا، ولا يتهمه بالجهل، لعلمه أنه وصف مجازى وليس وصفاً حقيقياً. وكما يقول أحدنا حين يرى رجلاً فى أشد الغضب: لقد رأيته والشياطين تلعب فى وجهه، فهل الشياطين تلعب فى وجهه حقاً، أم أنه تعبير مجازى؟ وهل قال الله سبحانه

وتعالى فى أى موضع من القرآن إن الشمس {تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ} غير هذا الموضع؟ إن هذا مما يدل على أن هذا الوصف قاصر على رؤية ذى القرنين لها، بدليل قوله تعالى: {وَجَدَهَا} وهذا مثل من يرى السراب فى الصحراء وكأنه ماء. وهناك تفسير يقول إن ذا القرنين عند الغروب وجد قوماً مزارعين فى أرض زراعية، فيها التربة الطينية (الحمأ) فرأى الشمس وهى تغرب، وكأنما تسقط فى هذا الحمأ.

وكيف تتعجبون من هذا ولا تتعجبون مما جاء فى كتابكم المقدس حيث يقول: **وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكباً** (رؤيا يوحنا١٢: ١)؟، والله أعلم.

س٣٩٣- كيف يُسمَّى (يحيى) بهذا الاسم وهو يدل على طول عمره، ثم يموت شاباً صغيراً؟

ج٣٩٣- إن الله سبحانه وتعالى هو الذى سماه (يحيى) {يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم:٧] أى لم يُسَمَّ أحد بهذا الاسم قبله، واسمه فى الكتاب المقدس (يوحنا المعمدان) وقد سماه الله (يحيى) ليحيا بين الأحياء فى الدنيا لنهاية عمره، ثم يحيا بين الشهداء فى الجنة، فقد رزقه الله الشهادة على يد الإمبراطور (هيرودس) الذى أراد أن يتزوج ببنت أخته، وقد كان ذلك محرماً فى شريعتهم، فذهبوا لأحبارهم ليستفتوهم، فأشاروا عليهم أن يذهبوا لسيدنا يحيى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأنه كان معروفاً بالعلم، والتقوى، والورع الشديد، فأفتى لهم بحرمة هذا الزواج، فغضبت بنت اخت الملك، وطلبت أن تُقطَع رأسه، وتقدم لها على صحفة من الذهب، لتكون مهرها، لرغبتها فى الزواج من خالها، فلبوا لها طلبها، وذبحوه وهو فى سن الخامسة والثلاثين، وقدموا رأسه هدية لها، ولذلك سُمِّىَ (يحيى) لأنه نال الشهادة، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١١٩] وقال رسوله ﷺ: **"إن أرواح الشهداء فى جوف طير خضر، لها قناديل مُعلَّقة تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل"** [صحيح الجامع:١٥٥٨]، والله أعلم.

س٣٩٤- يقول القرآن عن مريم: {وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦] فلماذا ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾؟ هل كانت فى مشاجرة مع أهلها، وهم المشهورون بالتقوى والورع؟

ج٣٩٤- إن السيدة مريم - رضى الله عنها - مُحرَرَة أصلاً لخدمة بيت المقدس، كما قالت أمها: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥] فهى معتكفة فى محراب المسجد، وليس لها أن تعود لبيتها، لأنها محررة من كل خدمة إلا خدمته. أما مسألة (الانتباذ) أى الابتعاد عن بيت المقدس، فلأنها كانت - كأى أنثى - تأتيها الدورة الشهرية، فلا يجوز لها أن تمكث فيه أثناء حيضها، فكان لها خيمة شرق بيت المقدس لتقضى فيها أيام حيضتها، فإذا طهرت عادت إليه. أما كلمة ﴿أَهْلِهَا﴾ أى أهل دينها، كما قال الله تعالى عن ابن سيدنا نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦] فإنها لم تكن فى مشاجرة مع أهلها، ولكنها كانت منقطعة لخدمة ربها، فكلمة (مريم) باللغة الآرامية تعنى (خادمة الرب) والمتأمل للآية يجدها ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ (بفتح التاء والباء) وليست (انتُبِذت) (بضم التاء وكسر الباء) أى أنها هى التى ابتعدت عنهم، ولم يبعدها أحد، كما بعدت عنهم لتضع ولدها الذى بشرها به سيدنا جبريل عليه السلام ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم:٢٢]

وقد جاء فى الكتاب المقدس عن سيدنا موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: **وفى ذلك الوقت وُلِدَ موسى وكان جميلاً جداً. فَرُبِّيَ هذا ثلاثة أشهر فى بيت أبيه. ولما نُبِذَ اتخذته ابنة فرعون وربَّته لنفسها ابناً.** (أعمال الرسل٧: ٢٠-٢١) **فهل وضعته أمه فى التابوت عن كُرْه له، أو مشاجرة معه، حتى يقال عنه إنه نُبِذَ؟، والله أعلم.**

س٣٩٥- يقول القرآن عن مريم إنها قالت للرجل الذى أتاها فى خلوتها: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨] فهل تستعيذ بالله منه إن كان تقياً فقط، أم أن المفروض أنها تستعيذ بالله منه على كل حال؟

ج٣٩٥- مسكين هذا الذى فهم الآية بهذه الطريقة! ألم يسمع فى يوم من الأيام من يقول للمتهجم عليه ليضربه: لو كنت تخاف الله اتركنى ولا تضربنى؟ إن قول السيدة مريم - رضى الله عنها - لا يعنى أنها تستعيذ بالله منه إن كان تقياً فقط، كما فهم هذا المسكين، فالتَّقِيّ من نفسه لن يدخل عليها فى خلوتها، ولن يؤذيها بأى أذى، ولكنها

قالت له هذا لتذكِّره بالله سبحانه وتعالى، وتخوِّفه من عقابه. ونحن نعلم أن الرجل الذى دخل عليها كان سيدنا جبريل ﷺ، و لم يكن بهيئته الملائكية، ولكنه جاءها فى سورة رجل ليبشرها بولادة المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، والله أعلم.

س٣٩٦- لقد خلط القرآن بين هاجر ومريم، فقال: {فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم:٢٤] و(السَّرِىُّ) هو النهر الجارى، وهذا كان لهاجر ولم يكن لمريم.

ج٣٩٦- إن من المعانى المتعددة للسَّرِىّ أنه (السَّيد) وعلى هذا المعنى يكون المقصود بالسَّرِىّ هو المسيح نفسه - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وسُمِّىَ (سَرِيّاً) لِتُسَرَّ به أمه، ويسمى (السيد) بالسَّرِىّ لأنه يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم الخير ويُسَرِّى عنهم، {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} أى أنه سيكون سيداً، وتقر به عينها، ويدخل عليها االسرور، والمسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لا زال اسمه عندهم (السيد المعلم). وعلى المعنى الآخر للسَّرِىّ أنه جدول ماء، فما المانع أن يكون تحت السيدة مريم كما كان للسيدة هاجر؟

وبمناسبة الخلط غير الحقيقى بين السيدة هاجر والسيدة مريم - رضى الله عنهما - فقد جاء فى الكتاب المقدس اختلافات كثيرة فى أنساب بنى إسرائيل يطول شرحها، ونذكر منها على سبيل المثال:

وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد وياكين وصوحر وشاول (تكوين٤٦: ١٠).

بنو شمعون حسب عشائرهم. لنوميل عشيرة النموئيليين. ليامين عشيرة اليامينيين. لياكين عشيرة الياكينيين. لزارح عشيرة الزارحيين. لشاول عشيرة الشاوليين. هذه عشائر الشمعونيين (عدد٢٦: ١٢-١٤)، والله أعلم.

س٣٩٧- يقول القرآن: {وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} [مريم:٢٥] فيا مسلمون.. هل تستطيع امرأة نُفَساء أن تهز جذع نخلة لا يستطيع أن يهزها أقوى رجل، ولو كان بطل العالم فى رفع الأثقال؟

ج٣٩٧- إن هذه الدنيا قامت بقَدَر الله على الأسباب، ونحن مطالبون بالسعى فى طلب الرزق الحلال لنتعفف به عن السؤال، والله سبحانه وتعالى لا يُكلِّف نفساً إلا

وُسْعها، وحين يأمر بشيء فإنه لا يأمر به عبثاً - حاشا وكلا - ولكنه يأمر به لعلمه بمقدرة عبده على تنفيذه، ولعلمه بحكمة هذا الأمر وأهميته، والعبد ما عليه إلا أن يمتثل لأمر مولاه، وليس عليه بلوغ مُناه، فحين أمر الله سبحانه وتعالى السيدة مريم - رضى الله عنها - بهز جذع النخلة، فإنه لم يأمرها إلا بما تطيقه من هذا العمل، وعليه سبحانه وتعالى بلوغ الأمل، فما دام هو الذى أمرها، فهو القادر أن يجعل النخلة تهتز بفعلها، وتُساقط الرطب الجنى لتغذيتها. فحين رمى رسول الله ﷺ التراب على الكفار فى موقعة (حُنَين) وقال: "شاهت الوجوه" [صحيح مسلم] فما من كافر حينها إلا وقد مُلِئت عينيه بالتراب، أكان هذا من قوة سيدنا محمد ﷺ فى الرَّمْى؟ وهل يستطيع ذلك إنسان؟ إن الذى أوحى إليه ووفقه هو الله سبحانه وتعالى، أما هو فما كان عليه إلا اتخاذ الأسباب {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال:١٧] فنحن ما علينا إلا اتخاذ الأسباب التى أُمِرنا بها، والله الموفق لنجاحها، ولا نجلس مكتوفى الأيدى ونقول: إن الله سيرزقنا، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

والذين يتعجبون من أن السيدة مريم - رضى الله عنها - أُمِرَت بهز جذع النخلة، جاء فى كتابهم المقدس أن شمشون أمسك بعمودَىْ مَبْنى، فوقع البيت على من فيه فقتلهم:

وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما واستند عليهما الواحد بيمينه وآخر بيساره. وقال شمشون لِتَمُتْ نفسى مع الفلسطينيين. وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذى فيه فكان الموتى الذين أماتهم فى موتِهِ أكثر من الذين أماتهم فى حياته. (قضاة١٦: ٢٩-٣٠) مع أنه قال عن هذا البيت الذى هدمه شمشون بزعمهم: **وكان البيت مملوءاً رجالاً ونساءً وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون.** (قضاة١٦: ٢٧)، والله أعلم.

س٣٩٨- يقول القرآن عن مريم: {فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا} [مريم:٢٦] أين هو الصوم وقد كانت آكلة وشاربة بنص الآية نفسها؟

ج٣٩٨- أكمل الآية حتى تعلم الإجابة {فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا} لقد نذرت لله صوماً عن الكلام وليس عن الطعام، فالصيام في اللغة هو (الانقطاع) يقولون: (صام الجمل) أى انقطع عن المشى، ولذلك أخبرنا القرآن أنها لم تتكلم مع قومها، بل أشارت إلى ولدها عندما سألوها عنه {فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ} وكان انقطاعها عن الكلام لحكمة عظيمة، فلو أنها تكلمت وقالت لهم إنها بريئة فلن يصدقوها، فمن أين لها بهذا الغلام؟ أمَا وإنه هو الذى تكلم فقد ألجمهم الحجة، إذ كيف يتكلم فى المهد؟ إن هذه المعجزة تجعلهم يتقبلون معجزة ولادته بغير أب، والله أعلم.

س٣٩٩- يقول القرآن: {يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا} [مريم:٢٨] كيف تكون مريم أخت هارون يا مسلمون، وبينهما مئات السنين؟

ج٣٩٩- إن السيدة مريم - رضى الله عنها - لم تكن أخت سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأن بينهما أكثر من ثمانمائة سنة، ولكن هذا كلام تهكمى ساخر، لأنها كانت منقطعة للعبادة فى بيت المقدس (كلمة مريم تعنى أمَة الرب باللغة الآرامية) ثم جاءتهم حاملة على يديها ابنها الرضيع، وهى لم تتزوج بعد، فاستهزأوا بها وقالوا: {يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ} أى أخته وشبيهته فى العبادة، لأنه كان كثير العبادة، وكان محبباً إلى قومه، وكان يُضرَب به المثل فى الحلم والتقوى والورع، والناس إذا رأوا متديناً قد عمل عملاً مُشيناً فى ظنهم قالوا له: يا مولانا المعظم، يا فضيلة الإمام الأعظم، يا فضيلة المفتى.. فهل هو حقاً فضيلة الإمام الأعظم أو المفتى؟ أم أنهم يقولون هذا تهكماً؟ أو كما يقولون للبخيل: يا أبا الكرم، وللجبان: يا أبا الشجعان، وللقصير: يا نخلة... إلخ.

ثم إنه قد جاء فى الكتاب المقدس أن سيدنا هارون كانت له أخت اسمها مريم، وهى عندهم نبيَّة: **فأخذت مريم النبيَّة أخت هارون الدُّف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم. رنّموا للرب فإنه قد تعظَّم. الفرس وراكبه طرحهما فى البحر** (خروج١٥: ٢٠-٢١) وهذا يخالف الواقع، فالله سبحانه وتعالى لم يتخذ من النساء أنبياء، قال تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ} [النحل:٤٣] ولكننا سنسلم أنه كانت له اخت صالحة اسمها مريم (مع أن هذا يتنافى مع رقصها وغنائها) فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: {يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ} أى يا من كنتِ مثل مريم أخت هارون، والله أعلم.

س٤٠٠- يقول القرآن عن عيسى: {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم:٣١] وأنتم تقولون إنه لم يمت، وإنه رُفِعَ عند ربه، فكيف يصلى ويزكى إذن؟

ج٤٠٠- أولاً: نجيب على هذا السؤال بسؤال: هل هناك نبى حى لا يصلى؟ ثانياً: لقد اتفق المسلمون والنصارى على أن المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - حى عند الله، فهل يعلم أحد ماهيَّة هذه الحياة؟ وما هى مقوِّمات حياته؟ إنه من الغيوب المطلقة التى لا يعلمها إلا الله، فما المانع أن تكون صلاته عند ربه كصلاة الملائكة الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف:٢٠٦] .

وأخبرنا عنهم رسوله ﷺ بقوله: "أطَّت السماء ويحق لها أن تئط، والذى نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة مَلَك ساجد يسبح الله بحمده" [صحيح الجامع:١٠٢٠] أمَّا الزكاة فهى لا تجب إلا على من يملك نصابها، ويجد من يتصدق عليهم بها، فأين هو النِّصاب الذى يمتلكه؟ وأين الذين سيتصدق عليهم، بفرض أنه يملك النصاب؟ ففى هذه الحالة يرتفع عنه التكليف بالزكاة، كما ترتفع بعض التكاليف عن بعض الناس فى بعض الحالات. ستقولون: إن هذا يناقض الآية لأنها تأمره بالزكاة ما دام حياً. ونقول لكم: هل كل ما يؤمر به الإنسان يستطيع القيام به فى جميع أحواله؟ فمن المعلوم أن بعض الفروض لا يستطيع الإنسان القيام بها فى جميع أحواله، والزكاة مثال على ذلك، فربما افتقر الغنى الذى كان يؤديها وهو فى غناه، ثم يعجز عن أدائها فى حال فقره، ونحن مأمورون بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة فى أكثر من آية، مثل: {فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [الحج: ٧٨] ولكن لو فرضنا أن أحداً دخل فى غيبوبة، فهل يستطيع الصلاة؟ وكذلك فإننا مأمورون بالصيام، ولكن أحياناً لا نستطيع القيام به فيسقط عنا، المهم أن الإنسان يفعل ما يقدر عليه من التكاليف، أما ما لا يقدر عليه فيسقط عنه {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦] فكوْن سيدنا عيسى قد أُمِرَ بالزكاة، فمن البديهى أنه أُمِرَ بها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن من بلاغة القرآن أنه لا يذكر كل شىء بالتفصيل، ولكنه يترك ما يُفهَم بداهة. ثم إنه سيترل فى آخر الزمان بإذن ربه جل وعلا، ويتبع هدى

نبينا ﷺ ويصلى، ويزكى، ويصوم رمضان، ويحج بيت الله الحرام، ويجاهد فى سبيل الله، والله أعلم.

س٤٠١- لماذا يقول القرآن عن موسى وإسماعيل: {وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا} [مريم:٥١] و[مريم:٥٤] ولم يكتفِ بقوله: {رَسُولاً} إذ أن كل رسول نبى؟

ج٤٠١- إن هذا تأكيد وبيان أن كُلاً منهما - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - لم يبلِّغ رسالة ربه فقط، بل إنه كان ملتزماً بها فى نفسه، أى أنه كان مستسلماً لربه جل وعلا، مؤتمراً بأمره، ومنتهياً عن نواهيه، فلم يكن ليأمر قومه بمعروف ثم لا يفعله، أو ينهاهم عن منكر ثم يأتيه. وبمعنى آخر.. أن كلاً منهما بلَّغ رسالة ربه، وكان قدوة لقومه فى تطبيقها على نفسه، وهذا الكلام ينطبق على جميع المرسلين، صلوات الله وسلامه عليكم أجمعين، والله أعلم.

س٤٠٢- يقر القرآن بأن فى سيناء وادياً اسمه {طُوًى} فيقول: {إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه:١٢] والمعروف أن هذا الاسم لا وجود له فى سيناء، فمن أين جاء به القرآن؟

ج٤٠٢- معروف على مر الزمان أن أسماء البلاد والأماكن تتغير، فما بالكم بمكان مضى عليه أكثر من ثلاثة آلاف سنة؟ فعلى سبيل المثال: أسبانيا كانت تسمى الأندلس، والسعودية كانت بلاد العرب وأرض الحجاز، والصومال وإرتريا كانتا القرن الأفريقى، وألمانيا كانت بروسيا، وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا كانوا إفريقية والمغرب العربى، وأمريكا كانت القارة الجديدة، والمملكة المتحدة كانت بريطانيا، ومن هنا نعلم أن تغيير اسم أى مكان فى العالم وارد ومحتمل. وسيناء نفسها لها أربعة أسماء هى: سيناء، وطور سينين، وأرض الفيروز، وشبه جزيرة سيناء. ثم إن من أسماء الجبل الذى فى سفحه (زرع) فى اللغة المصرية القديمة لفظة تُرسَم فى الكتابة الهيروغليفية (ضُو) وتنطق فى القبطية (تُووَ) وهما قريبتان من طوى.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن مدينة (القدس) التى نعرفها اسمها (أورشليم) كما ورد فى (سِفْر حزقيال، الإصحاح ١٦) وغيره من الأسفار، فهل بقى اسمها هكذا إلى الآن؟ وقد جاء فى الكتاب المقدس - أيضاً - اختلاف فى موقع (شور) فيقول:

وسكنوا من حويله إلى شور التى أمام مصر حينما تجئ نحو أشور. (تكوين٢٥: ١٨) **وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التى مقابل مصر.** (صموئيل الأول١٥: ٧) فى هذين النصَّين يجعل مكانها أمام مصر، ثم يجئ النَّص التالى فيجعلها من مصر:

ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور. (خروج١٥: ٢٢) ومن أراد التأكد من أن معنى هذا الكلام أنها من مصر فليقرأ الكلام الذى قبله والذى بعده من الإصحاح نفسه، والله أعلم.

س٤٠٣- يقول ربكم لموسى وهارون {ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} [طه:٤٣-٤٤] كيف يقول لهما: {لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ} وكلمة {لَّعَلَّهُۥ} تفيد الترَجِّي، ألا كان الله يعلم بما سيكون عليه فرعون من الكفر أو الإيمان؟

ج٤٠٣- إن الترَجِّى ليس فى حق الله جل وعلا، فهو سبحانه يعلم بما سيكون من أمر فرعون، وأنه لن يهتدى، وسيكون مصيره النار، ولكن هذا إشعار لسيدنا موسى وسيدنا هارون - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - بالأمل فى هدايته، حتى يبذلا أقصى ما فى وسعهما فى دعوته، ولا ييأسا من قبوله إياها، لأنهما لو عَلِما مُسبقاً أنه لن يهتدى فما فائدة دعوتهما إذن؟ ولو لم يدعواه فكيف تقوم عليه الحجَّة يوم القيامة؟ كما أن فى هذا تعليم لكل الدُّعاة أن يدعوا إلى الله بالرفق واللين، وألا ييأسوا من هداية أحد، مهما بلغت معاصيه، فلن يكون أحد من الدُّعاة أفضل من سيدنا موسى وأخيه هارون، ولن يكون أحد أعتى من فرعون الذى ادَّعى الربوبية، فقال: {أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ} [النازعات:٢٤] وادَّعى الألوهية، فقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى} [القصص:٣٨]، والله أعلم.

س٤٠٤- يقول القرآن: {قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى} [طه:٥١-٥٢] طالما أن الله لا ينسى فما فائدة الكتاب؟ كما أن هذه الآية تتناقض مع الآيات التالية: {فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ} [الأعراف:٥١] {إِنَّا نَسِينَٰكُمْ} [السجدة:١٤] {ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ} [الجاثية:٣٤]

ج٤٠٤- كل شىء موجود فى كتاب عند الله جل وعلا قبل خلق السموات والأرض، قال رسول الله ﷺ: "**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: ما**

أكتب؟ قال: **اكتب القَدَر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"** [صحيح الجامع:٢٠١٧] وهذا الكتاب لم يخلقه الله جل وعلا لئلا ينسى - كلا - فهو سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أن يتذكر، بدليل قوله فى الآية نفسها: {لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى} وقوله: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم:٦٤] ولكن ذلك من كمال قدرته سبحانه وتعالى وعلمه القديم، فهو ليس بحاجة لانتظار أعمال عباده ليكتبها، فكل ما حدث ويحدث فى الكون إلى قيام الساعة فهو فى علم الله كأنه حدث وانتهى، فسبحانه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، أما ما تكتبه الملائكة من أعمالنا فهو ليكون حجة لنا أو علينا.

أما آيات (الأعراف) و(السجدة) و(الجاثية) فليس معناها أن الله سبحانه وتعالى ينسى الكفار بالمعنى المقصود فى السؤال، ولكن معناها أنه يعاملهم معاملة النَّاسِى، أى أنه يهملهم ويتركهم فى جهنم (والعياذ بالله) ولا يستجيب لدعائهم، وتضرعهم، واستغاثتهم، وكأنه نَسِيَهُم، كما نسوا توحيده وأوامره ونواهيه فى الدنيا، بدليل أن كل آية بها ما يدل على هذا المعنى، فالآية الأولى تقول: {فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ} والثانية تقول: {فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} والثالثة تقول: {وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ}ولكن هل الكفار نسوا توحيد الله وأوامره ونواهيه بالمعنى الظاهرى، أم أنهم نسوها بمعنى أنهم لم يمتثلوا لها؟ فهى إذن معاملة بالمثل، وقد قلنا فى أكثر من سؤال إن هذا يسمى فى اللغة بالْمُشاكَلَة اللفظية. كما أن الذى ينسى نسياناً حقيقياً يخبر عن الشىء الذى نسِيَه بعدما يتذكره، ولكن الله سبحانه وتعالى يخبرهم أنه نسيهم، ولو كان المقصود من قوله جل وعلا هو الفهم الظاهرى للنسيان لَمَا قال لهم هذا، إذ كيف يقول إنه نسِيَهم وهو يخاطبهم؟ ولكنه - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - كمن يقول لمن يضعه فى السجن: (سأرميك فى السجن وأنساك) أى أنه لن يفرج عنه أبداً، والله أعلم.

س٤٠٥- يقول القرآن: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ} [طه:٧١] فهل الصلب يكون فى جذوع النخل أم عليها؟

ج٤٠٥- إن الصلب الذى أراده فرعون لم يكن صلباً عادياً كالذى تخيله السائل،

ولكن فرعون أراد أن يعذبهم عذاباً شديداً، بحيث يدقّهم فى النخل، فتتداخل فيه أجسادهم من شدة الصلب، ولو صلبهم على جذوعه لكان بإمكان أى أحد أن يفكهم، فهى إذن صيغة أبلغ فى التعبير عن شدة العذاب من الصيغة التى أردتموها، والله أعلم.

س٤٠٦- إن القرآن ينسب العجل الذهبى إلى السامرى، بينما البلدة التى نُسب إليها السامرى - وهى مدينة السامرة فى فلسطين- لم تكن موجودة بعد.

ج٤٠٦- لا يوجد فى فلسطين مدينة تسمى (السامرة) وإنما كان للسامريين مملكة فى فلسطين عاصمتها (نابلس) المسماة قديماً (شكيم) وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط، وكان للسبطين مملكة فى فلسطين عاصمتها (القدس) المسماة قديماً (أورشليم) ولما صعد سيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إلى جبل الطور، وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون {عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ} [طه:٨٨] فلما سألهم عنه دلُّوه على من أغراهم بعبادته، فأمسك به وسأله قائلاً: {فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ} [طه:٩٥] أى ما هذا الذى فعلته أيها المُضِل؟ لأن كلمة (سامرى) تطلق على المضل الذى يرتاد أماكن اللهو والسَّمَر، ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء، وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامرى، وإلا- لكان السامرى من أسماء المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن اليهود قالوا له: **إنك سامِرِيّ وبِكَ شيطان** (يوحنا٨: ٤٨)، والله أعلم.

س٤٠٧- يقول القرآن: {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا} [طه:١١٥] كيف يرفع ربكم عنكم الخطأ والنسيان وقد آخذ به آدم؟ أأنتم أفضل منه عند ربكم؟

ج٤٠٧- نحن لسنا بأفضل منه، ولكن سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ما كان ينبغى له أن ينسى، لأنه لم يتلقَّ من الله إلا أمراً واحداً، فلو أنه تلقى أوامر كثيرة، ثم نسى بعضها، لكان له العذر، ولكنه أمر واحد، وهو ألا يأكل من شجرة معينة، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو أنك أمرت ولدك بأوامر كثيرة ثم نسى بعضها.. لَعَذَرْته، ولكن لو أمرته بأمر واحد فنسيه، لغضبت منه، وقلت له: كيف تنسى، مع أنى لم أكلفك إلا بشىء واحد؟ فكيف بمن تلقى الأمر من الله؟ ولكن رغم ذلك فإن الله سبحانه وتعالى تاب عليه {فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}

[البقرة:٣٧]، والله أعلم.

س٤٠٨- نحن نتعجب من القرآن الذى يأتى بفاعلَين لفعلٍ واحد، فيقول: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} [الأنبياء:٣] والشاهد فى هذه الآية هو الجمع بين {وَأَسَرُّوا} و{ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} لأن (الواو) فى الأولى فاعل، و{ٱلَّذِينَ} فى الثانية فاعل كذلك.

ج٤٠٨- قال شيخ المفسرين البيانيين الإمام الزمخشرى: أبدل {ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} من (واو) {وَأَسَرُّوا} إشعاراً بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسَرُّوا به. أو جاء على لغة من قال: أكلونى البراغيث. أو هو منصوب المحل على الذّم. أو هو مبتدأ، خبره {وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى} قُدِّم عليه، والمعنى: هؤلاء أسروا النجوى.

وقد ذكر فى توجيه هذا التركيب أربعة آراء، كلها صحيح فصيح:

الأول: إن {ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} بدل كُلّ من كُلّ من معنى (الواو) فى {أَسَرُّوا} لأنه (واو) جماعة، معناه الجمع.

الثانى: إنه جاء على لغة بعض القبائل العربية التى تجمع بين الضمير إذا وقع فاعلاً وبين ما يفسره. وعليه جاء الحديث الشريف: **"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار"** [متفق عليه]

الثالث: أن يكون فى محل نصب على الذّم، على تقدير فعل محذوف هو: أذُم أو أخُص {ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} بالذّم.

الرابع: أن يكون هو المبتدأ، وما قبله خبر عنه، أى والذين ظلموا أسروا النجوى.

أما الذى اقتضى تقديم خبره عليه {أَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى} فهو التسجيل عليهم بقبح ظلمهم وفُحشه، وهذا كلام طيب فى غاية النفاسة.

ويردد الإمام الشوكانى ما قاله الزمخشرى، ويضيف إليه: إن {ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} فاعل لفعل محذوف، تقديره: يقول الذين ظلموا. ثم يورد على لغة (أكلونى البراغيث) آية أخرى من كتاب الله، هى قوله عز وجل: {ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ} [المائدة:٧١] فقد جمع فى الآية بين الضمير، وهو (الواو) فى {عَمُوا} و{صَمُّوا} وبين الاسم الظاهر {كَثِيرٌ} كما ذكر قول الشاعر:

ولكن دياقى أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

والشاهد فى البيت حيث جمع الشاعر - وهو عربى فصيح يُحتَجّ بكلامه - بين نون النسوة فى (يعصرن) وهو فاعل ل(يعصر) وبين الاسم الظاهر (أقاربه) وليس فى الكلام إلا فعل واحد، يكفى فيه فاعل واحد.

وفى المسألة مذاهب أخرى، منها: إن {ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} هى الفاعل، أما (الواو) فهى علامة جمع الفاعل لا غير. وأن العرب كانت تفعل ذلك حتى فى المثنّى، فيقولون: (فأمّا أخواك كما استشهد مَن ذهب هذا المذهب بقول الشاعر:

يلوموننى فى اشتراء النخيل قومى، فكلهم يعزل

حيث جمع بين (الواو) فى (يلومونى) وبين الاسم الظاهر فى (قومى)

ويضيف الدكتور (عبد العظيم المطعنى) فى كتاب (حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين) إضافتين:

إحداهما: إن من أساليب علم المعانى وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة (المعانى - البيان - البديع) أسلوباً لا يعرف عنه مثيرو هذه الشبهات شيئاً، هو ما يسميه البلاغيون ب(الاستئناف البيانى) وضابط هذا الأسلوب أن تتقدم جملة من الكلام تثير فى ذهن السامع تساؤلاً لطيفاً يَدُبُّ فى نفسه، أو يسرى سريان الماء فى العود الأخضر، فتأتى جملة أخرى تجيب على ذلك التساؤل، الذى ليس له صورة فى الكلام، بل هو يبرق كالشعاع فى ذهن السامع، ومن أمثلته فى القرآن: {وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} [الحجر:٦٦] فجملة {أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ} جواب على سؤال تقديره: ما هو ذلك الأمر الذى قضاه الله؟ ومثل قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ} [طه:١٢٠] فجملة {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ} أثارت فى النفس تساؤلاً لطيفاً: ماذا قال الشيطان لآدم؟ فكان الجواب: {قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ} هذا هو الاستئناف البيانى عند البلاغيين، وهو (مره أخرى): تنزيل جملة مَنْزِلَة جوابٍ على سؤال تضمنته الجملة التى قبلها. والآية التى معنا: {وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا} جرت على نَسَق الاستئناف البيانى الذى عرفته، لأن جملة {وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى} تثير فى النفس التساؤل نفسه: من هم الذين {أَسَرُّوا

ٱلنَّجْوَى}؟ فكان الجواب: {ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ}

لا يقال: إن هذا السؤال لا يقتضى المقام إثارته، لأن مرجع الضمير وهو (الواو) فى {أَسَرُّواْ} مذكور قبله فى قوله تعالى: {ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} لأنا نقول عن الوقائع المذكورة فى مطلع السورة وقائع عامة، هى أحوال الناس جميعاً، إلا من عَصَمَه الله. أما إسرار النجوى فهى واقعة خاصة وقعت من مشركى العرب، فليس (الناس) قبلها هم فاعليها، بل فاعلوها هم الذين قالوا: {هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} وعلى هذا فإن {ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ} ليس فاعلاً ل{أَسَرُّواْ} وإنما فاعل {أَسَرُّواْ} الواو. أما {ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ} فواقعة فى كلام جديد، هو خبر عن جملة السؤال: من هم الذين أسروا النجوى؟

أما الإضافة الثانية: فهى أسلوب آخر من أساليب البلاغة العربية، مفتاح الإعجاز المفْحِم. ذلك الأسلوب تحدث عنه شيخ البلاغيين بلا منازع، الإمام عبد القاهر الجرجانى، وأسماه: (الإضمار على شريطة التفسير) وضابط هذا الأسلوب هو أن تأتى بالضمير أولاً، ثم تفسره بعد ذلك بذكر مرجعه، ومن أمثلته قول الشاعر:

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم منى ابتســـام فقولى مضحك والفعل مُبْكِ

وتخريج الآية {وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ} على هذا الأسلوب سائغ رائع. فقد أتى بالضمير أولاً {وَأَسَرُّواْ} ثم فسره ثانياً هكذا {ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ} وبلاغة هذا الأسلوب هى تحريك الشعور، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المعنى المسوق من أجله الكلام فى النفوس كل التمكُّن، لأن النفس إذا ظفرت بالشىء بعد انتظاره استقر ذلك الشىء فيها، والله أعلم.

س٤٠٩- إن القرآن يتناقض مع العلم فيقول: {وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢] كيف يُعبِّر عن الفضاء اللانهائى بالسقف المحفوظ؟

ج٤٠٩- المعروف فى اللغة العربية أن كل ما علاك فهو سَماك، كما يقال: (سماء الغرفة) أى سقفها، قال تعالى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ

بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ} [الحج:١٥] و{ٱلسَّمَآء}فى هذه الآية الكريمة معناها سقف الغرفة. وقد عبَّر الله سبحانه وتعالى عن الغلاف الجوى للأرض تعبيراً علمياً مبهراً، إذ ثبت علمياً أن سماء الأرض (الغلاف الجوى) سقف محفوظ، أى أنه ليس فراغاً كما يظن البعض، ولكنه ممتلئ بأجسام دقيقة لا نراها، وهذا الغلاف - الذى يُسمَّى بطبقة الأوزون - لا يُخترق من قِبَل الإشعاعات القاتلة والحارقة التى تأتى من الشمس، ويحفظ مقوِّمات الحياة على الأرض، فلولا هذا السقف المحفوظ لتفلَّتت أبخرة الماء الصاعدة من البحار والمحيطات والأنهار إلى غير رجعة، ولعُدمَت المياه على سطح الكوكب تماماً، ولتفلَّت الهواء بما فيه من الأكسجين، ولدُمِّرت مظاهر الحياة على الأرض. وقد ذكرنا فى الرد على الشبهة رقم (٢٨) فوائد أخرى لهذا الغلاف.

وقد جاء فى الكتاب المقدس قول المسيح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: **لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسيّ الله. ولا بالأرض لأنها مَوطئ قدميه.** (متى٥: ٣٤-٣٥) فهل السماء كرسيّه والأرض موطئ قدميه؟، والله أعلم.

س٤١٠- يقول القرآن: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [الأنبياء:٩٨-٩٩] معنى هذا أن عُزيراً وعيسى والملائكة فى النار، لأن اليهود عبدوا العُزَير، والنصارى عبدوا المسيح، والمشركين عبدوا الملائكة، كما ورد ذلك فى قرآنكم.

ج٤١٠- إن هذه الشبهة قديمة من أيام الرسول ﷺ فقد كان النضر بن الحارث بن كِلدَة قصّاصاً (أى ماهراً فى نسج القصص، والتعبير، وسرد الأحداث التاريخية) وكان يحقد على سيدنا محمد ﷺ لأن الناس كانوا لا يستمعون لحديثه مثل استماعهم لحديث النبى، وذات مرة قعد معه الرسول ﷺ هو وبعض المشركين وتلا عليهم الرسول هذه الآية التى وردت فى السؤال، فلم يستطع أحد منهم أن يرد عليه بشىء، فلما قام الرسول ﷺ جاء عبد الله بن الزبعرى المشرك وكان من أهل الجدل.. فقالوا له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم.. فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، سَلُوا محمداً: أكُلّ ما يُعبَد من دون الله فى جهنم مع مَن عَبَده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيراً، والنصارى

تعبد عيسى بن مريم، فعجبوا من قوله ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصَم، فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **"كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، فإنهم إنما يعبدون الشيطان مَن أمرهم بعبادته"** [ذكره ابن هشام فى السيرة] فأنزل الله عز وجل فى السورة نفسها: {إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [١٠١] أى إن هؤلاء الصالحين ليسوا داخلين فى الوعيد، فإنهم لا ذنب لهم، ولم يأمروا أحداً بعبادتهم. وكلمة {مَا} فى الآية الكريمة لغير العاقل، فلا تشمل الملائكة، ولا عُزَيراً، ولا سيدنا عيسى، وهذا بديهى، وتعرفه العرب، ويعرفه المشركون جيداً، ولكنه العناد والجدال بالباطل، فإذا طرق علينا الباب طارق.. هل نقول له: ما بالباب؟ أم نقول له: من بالباب؟ وهناك آية توضح أنهم ما قالوا ذلك للرسول ﷺ إلا جدلاً بالباطل، وهى قول الله عز وجل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ} [الزخرف:٥٧-٥٩]، والله أعلم.

س٤١١- يقول القرآن: {حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء:٩٦] أنتم تقولون إن هناك نوعاً من البشر يُسمَّوْن (يأجوج ومأجوج) من ولد يافث بن نوح، يخرجون فى آخر الزمن على الناس بأعداد رهيبة، وأنهم موجودون الآن، ولكن بينهم وبين الناس جداراً، أين هؤلاء الناس، وأين هذا الجدار، وقد أصبح العالم كله مُصَوَّرا بالأقمار الصناعية تصويراً دقيقاً بحيث لا يخفى منه شىء؟

ج٤١١- لقد اغتر قائل هذا القول بالعلوم الحديثة، وظن أنها لا تخفى عليها خافية، ونسى قول الله جل وعلا فى آية الكرسى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ} فإن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يُخرِج العلوم لعباده حينما يشاء، فى حين أنها موجودة أصلاً. فمثلاً: هل كانت المضادات الحيوية، والكهرباء، والذرَّة، والإلكترونات.. إلخ، غير موجودة قبل اكتشافها؟ إنما كانت موجودة، ولكن الإنسان لم يكتشفها إلا حينما أراد الله سبحانه وتعالى، حتى إنهم يقولون إن معظم الاكتشافات كانت بالمصادفة، أى أن الإنسان لم يبذل جهداً فى معرفتها، ولكن انتباهه لها جاء بمحض المصادفة، ثم بدأ

يفكر فى كيفية استخدامها، وأخضعها للتجربة والخطأ، إلى أن وصل لاستخدامها على الوجه الصحيح (هم يقولون: اكتشفها بالمصادفة، أما نحن فنقول: اكتشفها بقَدَر الله) وأخبرونى يا من تقولون إن الكرة الأرضية لا تخفى منها خافية.. ماذا تعرفون عن مثلث بارامودا؟ إن العلم الحديث بكل تقنيّاته وأجهزته الدقيقة لم يستطع إلى الآن حل لُغزه، وهناك تحذير دولى من المرور به بحراً أو جواً، وهو عبارة عن منطقة مجهولة تقع فى المحيط الهادى على شكل مثلث، لا تستطيع أى طائرة مهما بلغت قوتها أو سرعتها أن تحلّق فوق سمائه، ولا أى سفينة أو بارجة حربية أن تُبحر فى مياهه، الطائرات تدَمَّر بمن فيها، والسفن تغرق بمن عليها، وتنقطع أخبارهم نهائياً، ولا أحد يعرف ماذا حدث لهم، رغم أنهم مزوَّدون بأحدث وسائل الإتصال التى أُعِدَّت لإرسال إشارات الاستغاثة عند الضرورة، ولا يعرف أحد إلى الآن سر هذا المكان، حتى إنهم قالوا إن أمريكا وانجلترا أرسلتا سفناً علمية مزودة بأحدث الأجهزة لدراسة هذا المكان، فى حراسة بوارج حربية، فلم يرجع منها واحدة، و لم تصدر منها أى إشارة، فلجأت أمريكا إلى إرسال الإيواكس المزود بمعدات التصوير ذات التقنية العالية، وأجهزة التنّصت والرصد، فدُمِّرَت و لم ترسل إشارة واحدة، ثم أرسلوا طائرات إف ١٦ بحيث تمر عليه بسرعة مذهلة تضاعف سرعة الصوت، فاختفت هى أيضاً، فأصابت العالَم المتقدم الحيرة والدهشة من سِرّ هذا المكان، هل به براكين؟ أم عواصف؟ أم مغناطيسية جبارة؟ أم ماذا؟ لا أحد يعرف، فقدوا الكثير من أمهر الطيارين والبحَّارة بغير فائدة، فقالوا إن أسلم طريقة أن يصوروه عن طريق الأقمار الصناعية، فكانت المفاجأة الكبرى أن الأقمار الصناعية تكذب - ولأول مرة - وتصور هذه المنطقة على أنها منطقة يابسة! فعلموا أنهم غيرُ مُعجزى الله. فكذلك (يأجوج ومأجوج) موجودون، ولكن الله لم يأذن بعد برؤيتهم، أو الاتصال بهم، إلى أن يأتى اليوم المحدد لخروجهم بإذنه سبحانه وتعالى. وقد أُذيع بنشرة الأخبار التلفزيونية على القناة الأولى المصرية خلال شهر فبراير لعام ٢٠٠٦ ميلادية أنه قد تم اكتشاف جزيرة بالقرب من الجزر الإندونيسية ليس بها وجود لأى إنسان، و لم يكتشفها أحد من قبل، وليس بها إلا أنواع غريبة من الطيور والفَراش والحشرات وغير ذلك، فأين هو العلم الذى تدَّعون أنه لا تخفى عليه خافية؟ ولِمَ لم يكتشفها حتى هذا الوقت؟ ولا أقول إن هذه الجزيرة بها

قوم يأجوج ومأجوج، ولكنى ذكرت هذا الخبر لأثبت لكم أنه ما زالت هناك أماكن لم تُكتشَف إلى وقتنا هذا، رغم كل ما وصل إليه العلم والعلماء، والله أعلم.

س٤١٢- يقول القرآن فى سُوَر كثيرة إن الإنسان خلق من التراب، مثل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ} [الحج:٥] ففى هذه الآية يزعم أن النطفة أصلها من التراب، مع أن الواقع يكذِّب ذلك، فإنها لم تأتِ من التراب، ولكنها جاءت من أصلاب الآباء، كما أن العالم (داروين) يقول إن الإنسان أصله قرد، فى نظريته المعروفة بالنشوء والارتقاء، وليس أصله من التراب كما تزعمون.

ج٤١٢- نحن نعلم جيداً أن النطفة أصلها أصلاب الآباء، وقد أقر القرآن بذلك فى أكثر من آية، ولكن الآيات الكريمات التى ذكرت أن الإنسان خلق من تراب أو طين، فإن هذا باعتبار بداية خَلْقه، أى خلق سيدنا آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وقد أثبتت البحوث العلمية أن الستَّة عشر عنصراً التى فى بنى آدم هى مثل التى فى الأرض تماماً، وهى الحديد، والصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والماغنسيوم... إلخ. كما أن الإنسان (مثله كمثل أى كائن حى) له مُدخلات ومُخرجات، فالْمُدخلات هى غذاؤه، والْمُخرجات هى ما نتج عن هذا الغذاء، وهذه المدخلات تختلف من كائن إلى آخر، ولكنها فى مُجملها تخرج من الأرض (أى من التراب) فالطعام الذى نأكله ثم يتحول جزء منه بعد ذلك إلى مَنِىّ (نطفة) من أين جاء؟ إنه جاء من التراب، فالخضروات والحبوب والفاكهة وكل شىء أصله من التراب، حتى الأسماك والطيور والحيوانات والماء فمنشؤها من التراب، يتغذى الإنسان من الطعام الذى خرج من التراب، ثم يخرج هذا الطعام على هيئة مُخرجات، كالبول والغائط والعرق.. إلخ، ومن هذه المخرجات المنىّ والبويضة. ثم إن (داروين) هذا الذى تتحدثون عنه، لم يَبْنِ نظريته على حقيقة علمية، ولكنها افتراض بناه على الوهم والخيال، و لم يستطع أن يبرهن عليها، فقد قال (ما معناه) إن الحياة بدأت بخلية واحدة، ثم تطورت هذه الخلية إلى خلية نباتية، ثم إلى خلية حيوانية، ثم ترقَّت هذه الخلية فى المملكة الحيوانية من حيوانات صغيرة لأخرى أكبر وأذكى منها.. وهكذا حتى تحولت إلى قرد، ثم ترقَّى القرد فى الذكاء، والتركيب التشريحى، والوظائف الحيوية، إلى أن

وصل إلى الإنسان. وهذه النظرية لا يخفى سُخفها على أحد ممن أُوتىَ - ولو قدراً قليلاً - من العلم، فإن العلم يقر بأن الشريط الجينى للقرد مختلف تماماً عن الشريط الجينى للإنسان، كما أن الواقع يكذّب ذلك أيضاً، فلم يحدثنا أحد على مر التاريخ أنه رأى قرداً تحول إلى إنسان، أو أن ملامحه وصفاته الخِلْقية بدأت تتغير - ولو تغيراً بسيطاً - لتكون قريبة من الإنسان، فالغابات وحدائق الحيوان فى العالم كله تعجّ بالقرود على مر الأزمان، ولم يتحول واحد من تلك القرود إلى إنسان، ولو كان كلامه صحيحاً لانقرضت القرود ولم يصبح لها أى وجود، إذ كيف تتطور إلى إنسان وهى ما زالت على شكلها كقرود؟ ونظريته خاطئة من وجه آخر.. فإن جميع مظاهر الحياة موجودة إلى الآن، ولم ينقرض منها شيء يقول عنه (داروين) إنه تحول لشيء آخر، فالخلية البدائية موجودة، والخلية النباتية موجودة، والخلية الحيوانية موجودة، والكائنات الصغيرة موجودة، وكل من هذه الخلايا والكائنات الحية لها صفاتها ومقومات حياتها التى تختلف عن غيرها من المخلوقات، فسبحان الذى قال: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا} [الكهف:٥١] فوجود هؤلاء المضلّين دليل على صدق القرآن العظيم، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن هناك من يتشدق (بغير علم) عن خلق السموات والأرض، وعن خلق الإنسان، وسماهم {ٱلْمُضِلِّينَ} وأخبرنا سبحانه وتعالى أنه لم يُشهدهم خلق السموات والأرض، ولا خلق أنفسهم، وأنه لم يتخذ منهم {عَضُدًا} أى مساعداً.

ونقول للسائل: إن إيمانك بنظرية (داروين) يناقض إيمانك بما جاء فى كتابك المقدس حيث يقول: **بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أُخِذتَ منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود** (تكوين٣: ١٩)

لأن آدم جُبِلَ أوّلاً ثم حوّاء. (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس٢: ١١) فهل جُبِلَ آدم من القرد، ثم جُبِلَتْ بعده حواء؟ سبحان الله!، والله أعلم.

س٤١٣- يقول القرآن: {هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ} [الحج:١٩] وكان صحيح اللغة أن يقال (هذان خصمان اختصما) وليس {ٱخْتَصَمُوا۟} لأنهما مُثنًى، أليس كذلك يا دُعاة البلاغة والبيان؟

ج٤١٣- لقد قال العلماء إنها نزلت فى قتلى بدر من المؤمنين والكافرين، فاسم

الإشارة فى ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يعود على الفريقين المتقاتلين، المؤمنين والكافرين، وكل فريق مكون من عدد كبير من المقاتلين، فناسب أن يكون الضمير بالجمع بعد المثنى، والله أعلم.

س٤١٤- يقول القرآن: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠] فهذا إقرار من القرآن بأن بِيَعَ النصارى وكنائسهم أفضل من المساجد، لأنها ذُكِرَت قبلها، وكذلك يقر بأن الصوامع والبيع والصلوات يذكر الله فيها كثيراً.

ج٤١٤- ليس معنى ذكر الصوامع والبيع والصلوات قبل المساجد أنها أفضل منها، بدليل قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧] ففى هذه الآية جاء ذكر سيدنا نوح قبل سيدنا إبراهيم، ومعلوم أن سيدنا إبراهيم أفضل من سيدنا نوح - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وغالباً ما يأتى الترتيب تصاعدياً فى تفاضل الأمور، فيقال مثلاً: إن البلد الفلانى ينتج كل شىء من الإبرة إلى القنبلة الذرية، ولا يقال العكس. ويقال مثلاً: أنا مستعد أن أعطيك من جنيه لألف.. وهكذا. وحماية الصوامع والبيع والصلوات (وهى معابد اليهود) كانت قبل مجىء الإسلام ومساجده، فلذلك جاء ذكرها حسب أقدميتها أولاً. أما ذكر اسم الله كثيراً فهو خاص بالمساجد، لأن الصفة تعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو المساجد، وربما تأخر ذكرها لاختصاصها بكثرة الذكر فيها دون غيرها. ثم إن هذه الأماكن معطوف بعضها على بعض بحرف الواو، والواو لا تدل على الترتيب الزمنى، ولا الترتيب حسب الأفضلية، ولكنها تربط المعطوفات التى بينها عوامل مشتركة، كأماكن العبادة، والله أعلم.

س٤١٥- يعترف القرآن بأن الشيطان يوحى لنبيكم، بل ويزعم أنه يوحى لجميع الأنبياء والمرسلين، فيقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج:٥٢-٥٣]

ج٤١٥- التمنى معناه القراءة، كما قال الشاعر عن عثمان بن عفان ﷺ:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخرها لاقى حِمَامَ المقادرِ

ومن معناه (الرغبة). {إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ} أى (إلا إذا قرأ) فحين تلا رسول الله ﷺ سورة (النجم) فى بيت الله الحرام على مسمع من المسلمين والمشركين، سجد المؤمنون حين قرأ {فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟} [النجم: ٦٢] و لم يملك المشركون أنفسهم من حسن تلاوته وخشوعه فسجدوا مع المسلمين. أما قوله تعالى: {أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ} فقد ألقى الشيطان فى مسامع المشركين (تلك الغرانيق العُلَى التى شفاعتهن تُرْتَجَى) بعد قوله تعالى: {أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ} [النجم:١٩-٢٠] كما يحدث أحياناً من سماع كلمة بطريقة خطأ، فتجد اثنين يستمعان لحديث واحد، ثم يقول أحدهما: لقد قال فلان كذا، فيرد عليه صاحبه بقوله: إنه لم يقل كذا، ولكنه قال كذا. والقارئ المنصف يدرك بفهمه الفِطْرى استحالة مدح الرسول ﷺ لتلك الأصنام، إذ كيف يمدحها ويثبت لها الشفاعة، وهو يذمها فى السورة نفسها {أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ} [النجم:٢١-٢٣]؟ ثم إنه ﷺ لم يعترف بها و لم يحترمها قبل بعثته.. فكيف يوقرها بعدها؟ أما قوله تعالى: {فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ} فعندما يسمع المؤمنون تلك الافتراءات يدافعون عن الرسول ﷺ ويشهدون أنهم لم يسمعوا ذلك منه، فتزول عنه الشبهة، وكأنها نُسِخَت. أما ما ورد فى بعض التفاسير من قوله (تلك الغرانيق العُلَى التى شفاعتهن تُرْتَجَى) فهو مكذوب على الرسول ﷺ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء:٢٢١-٢٢٢] وقوله: {وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ} [الأنعام:١٢١] فالشياطين توحى إلى أوليائها بنص القرآن، فكيف توحى لأولياء الرحمن؟، والله أعلم.

س٤١٦- يتعارض القرآن مع العلم فيقول: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ} [الحج:٦٥] ومعلوم أن السماء لا تقع على الأرض، لأنها محكومة بنظرية الطرد المركزى.

ج٤١٦- إن أى جسم متحرك لابد له من الثبوت ولو بعد حين، وحركة الكرة

الأرضية منضبطة، فلو زادت لتطاير كل ما عليها، ولو نقصت لاحترق نصفها المواجه للشمس، ولتجمد نصفها الآخر {إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر:٤١] وأى جسم ملتهب لابد أن ينطفئ طبقاً لنظرية التسرب الحرارى، ولكن لماذا لم تبرد الشمس و لم تنطفئ؟ مَن نظّم درجة حرارتها بحيث لا تزيد فتحرق الأرض، أو تقل فتجمدها؟ ولماذا لم يصغر حجمها، مع أن ألسنة اللهب تخرج منها بكميات هائلة؟ وكذلك فإن حجم الأجسام يتناقص مع دورانها، فلماذا لم ينقص حجمها على مر العصور؟ ومن الذى ضبط المسافة بينها وبين الأرض، فلو اقتربت لاحترقنا، ولو بعدت لتجمدنا؟ فمن السهل أن تضبط المسافة بين شيئين ثابتين، ولكن من الصعب أن تضبط المسافة بين شيئين متحركين. ونظرية الطرد المركزى التى تتحدثون عنها تثبت أنه بمرور الوقت لابد من توقُّف المتحرك عن الحركة، فلو وقفت هذه الأجرام السماوية عن الحركة لاصطدمت بالأرض ولدمرتها، فمن الذى جعل هذه الأجرام مستمرة فى حركتها دون توقّف {وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس:٤٠]؟

وقد جاء فى الكتاب المقدس بعض المخالفات العلمية التى ذكرنا بعضاً منها فى إجابات عن أسئلة أخرى، ونذكر منها هاهنا: **وأعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دماً وناراً وبخار دخان. تتحول الشمس إلى ظُلمة والقمر إلى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم الشهير.** (أعمال الرسل٢: ١٩-٢٠) **فهل سيتحول القمر إلى دم قبل يوم القيامة؟، والله أعلم.**

س٤١٧- يقول القرآن: {فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ} [المؤمنون:١٤] فهل هناك خالقون غير الله؟

ج٤١٧- ما هو الخَلق؟ هو الإيجاد من عدم، وهذا فى حق الله سبحانه وتعالى، أما الإنسان فيطلق عليه مجازاً بمعنى الصُّنع، وقد ورد فى القرآن الكريم مرتين منسوباً إلى الإنسان {أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ} [آل عمران:٤٩] و{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} [العنكبوت:١٧] فالإنسان يخلق.. أى يحول الشىء إلى شىء آخر، كأن يصب الذهب على هيئة حُلِىّ، أو يصنع الزجاج من رمال السليكون، أو غير ذلك من الاختراعات، ولكن ما يخلقه الله عز وجل يختلف تماماً عمَّا يخلقه الإنسان، فكما

قلنا إن خَلْق الله ينشأ من العدم، أما خَلْق الإنسان فلابد له من مواد موجودة أصلاً، خَلْق الله يتكاثر وينمو، أما خَلْق الإنسان فلا يتكاثر ولا ينمو، فلو وضعنا - مثلاً - قدحين كبيرين من الزجاج بجوار بعضهما.. هل ينجبان أكواباً صغيرة؟ ولو أتينا بسيارة (سيات) ووضعناها فى أى ظروف بيئية.. هل تكبر وتصبح بعد ذلك (هونداى)؟ إن أعلى الاختراعات ذكاءً كالحاسب الآلى (الكمبيوتر) أو ما هو أحدث منه ويسمى (السوبر كمبيوتر) أو الرجل الآلى (الريبوت) لا يستطيع أن ينمو أو يتكاثر، هذا بالإضافة إلى ما فى خلق الله من مميزات أخرى لا تخفى على أحد، مثل الروح، والعقل، والإحساس، والعاطفة.. إلخ، والله أعلم.

س٤١٨- يقول القرآن: {وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور:٣٣] إن هذا معناه أن الأمَة إذا رغبت فى الزنى فلا حرج عليها، أليس هذا تحريض على الدعارة؟

ج٤١٨- إن هذا سؤال ساذج، ولولا ظنكم أننا حِرْنا فيه جواباً لَمَا أجبنا عليه. إن الأمر - بمنتهى البساطة - أن الله سبحانه وتعالى نهى مَن كان عنده أمَة أن يقهرها على البغاء لتدر عليه الأموال الوفيرة، أو ليجامل بها ضيوفه، كما كان يصنع أهل الجاهلية، ولكنه فى الوقت نفسه أزال الخوف عن الإماء من العقوبة فى الآخرة، طالما أنهن مقهورات غير راضيات، وليس معنى الآية أنه يغفر لمن قهرهن، أو أن يُفرِّطن فى أعراضهن معتمدات على أن الله غفور رحيم. أما قوله تعالى: {إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} فليس معناه أنها لو لم تُرِد التحصُّن فلا جناح عليها، وإلا- لَمَا فرض على الزانيات منهن حد الزنى. وقد قال العلماء: إنما قيَّد الله الإكراه بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن، فآمِر الْمُريدة للبغاء لا يُسَمَّى مُكْرِهاً، ولا يسمى أمره إكراهاً، ولأنها نزلت بسبب إكراه عبد الله بن أُبيّ بن سلول المنافق لإمائه على البغاء، فوقع النهى على تلك الصفة.

وعلى أيّة حال، فالْمُكْرَه على شيء لا يؤاخذه الله سبحانه وتعالى - ذكراً كان أم أنثى - كما جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ.

وقد ورد فى كتابكم المقدس عفو الله عن الزانيات والفاسقات، وعفو معبودكم عن

الزانية: لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كنّاتكم لأنهن يفسُقن. (هوشع٤: ١٤) وقد ذكرنا من قبل أن (الكنَّة) معناها زوجة الابن.

وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ. وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبُل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتُقبِّل قدميه وتدهنهما بالطِّيب. فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلاً لو كان هذا نبيّاً لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وما هى. إنها خاطئة... ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة. إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تُعطِ. وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها. قُبْلة لم تُقبِّلنى. وأما هى فمنذ دخلت لم تَكُفّ عن تقبيل رجلى. بزيت لم تدهن رأسى. وأما هى فقد دهنت بالطِّيب رجلى. من أجل ذلك أقول لك قد غفرتُ خطاياها الكثيرة... ثم قال لها مغفورة لكِ خطاياك... إيمانك قد خلَّصك. اذهبى بسلام (لوقا٧: ٣٦-٥٠)

وقدَّم إليه الكتبة والفريسييون امرأة أُمسكَت فى زنا. ولما أقاموها فى الوسط قالوا له يا مُعلِّم هذه المرأة أُمسِكَت وهى تزنى فى ذَات الفعل. وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجَم. فماذا تقول أنت... ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خَطِيَّة فليرمها أوَّلاً بحجر... وبقىَ يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط... فقال لها يسوع ولا أنا أُدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً (يوحنا٨: ٣-١١) أليس هذا تحريض على الزنى؟ فما أسهل هذه العقوبة.. أن تأتيه الزانية فيقول لها: (اذهبى ولا تخطئى أيضاً) وفى النَّص الذى قبله يغفر لها لأنها قبَّلت رجليه، ومسحتهما بشعرها، وطيَّبتهما بالطِّيب، والله أعلم.

س٤١٩- يقول القرآن: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الشعراء:١٦] كان السياق يقتضى أن يقول {إِنَّا رَسُولَا} لأنهما اثنان، كما جاء فى قوله: {فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ} [طه:٤٧]

ج٤١٩- فى الآية الأولى جاء الخطاب بقول: {رَسُولُ} لأن رسالتهما واحدة.. وهى

التوراة التى أنزلت على سيدنا موسى، أما سيدنا هارون فلم تنزل عليه رسالة خاصة به، ولكنه كان عوناً لأخيه (على نبينا وعليهما الصلاة والسلام) أما الآية الثانية فقالت: {رَسُولا} لأنها خاصة بطلب إرسال بنى إسرائيل معهما، وهنا سيكون دورهما مختلفاً بالنسبة لبنى إسرائيل، وليس بالنسبة لفرعون، فهما اثنان فى الوظيفة، وليس فى الرسالة، لأن سيدنا موسى كان فى طبعه حدَّة، فكان كالأب الحازم، أما سيدنا هارون فكان ليِّن الجانب، حتى إنهم كانوا يحبونه أكثر من سيدنا موسى، فكان بالنسبة لهم كالأم الحنون، والاثنان مطلوبان ويكملان بعضهما، كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما. وهناك شىء آخر: أنهما بعد أن يخرجا ببنى إسرائيل من مصر سيتركهم سيدنا موسى مع أخيه، ويذهب للقاء ربه {وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [الأعراف:١٤٢] فحين يتركهم مع أخيه يكون قد تركهم مع نبى له عليهم حق الطاعة، فلا يعصون أمره، ويقولون لم يأمرنا نبينا بذلك، ولكنهم رغم هذا عصوا أمره فى عبادة العجل، لأن من صفاتهم الغدر والخيانة ونقض العهود {وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ} [طه:٩٠-٩١]، والله أعلم.

س٤٢٠-يقول القرآن: {كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ} [الشعراء:٥٩] فهل ورث بنو إسرائيل مصر كما يقول القرآن؟

ج٤٢٠- من هم بنو إسرائيل؟ المعروف أنهم اليهود والنصارى، ولقد جاء فى أقوال بعض المؤرخين أن سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وأمه ويوسف النجار جاءوا إلى مصر، ومكثوا فيها فترة ليست بالقصيرة، حتى إن بعض كتب التاريخ تسميها (رحلة العائلة المقدسة) وقد اعتنق الكثير من أهل مصر الديانة النصرانية، وفى هذا الوقت كانت مصر واقعة تحت الاحتلال الرومانى، الذى اعتنق الديانة نفسها، مع اختلاف المذهب الملكانى والأرذوزوكسى، فعاشت مصر زهاء ستمائة عام تحت راية النصارى الذين هم بنو إسرائيل، واختلطوا وتزاوجوا مع القِبط (أى المصريين) ثم دخل كثير منهم الإسلام بعد فتح مصر، والله أعلم.

س٤٢١- يقول القرآن: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٠٥] رغم أنهم لم يُرسَل إليهم إلا نوح، وفى السورة نفسها: {كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٢٣] {كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٤١] وكذلك الحال فى قوم لوط وقوم شعيب، رغم أن كل قوم من هؤلاء لم يُرسَل إليهم إلا نبى واحد.

ج٤٢١- جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - على ملة واحدة، وهى التوحيد، والإيمان بالبعث والنشور، والجنة والنار... إلخ، فمن كذب واحداً منهم فكأنما كذب الكُلّ، قال رسول الله ﷺ: **"خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير"** [صحيح الجامع:٣٢٧٤] وقال: **"أنا أوْلى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة، ليس بينى وبينه نبى، والأنبياء أولاد عِلات أمهاتهم شتَّى، ودينهم واحد"** [صحيح الجامع:١٤٥٢] "أمهاتهم شتَّى" قيل إن معناها أن شرائعهم مختلفة، ولكنهم ينتمون جميعاً إلى دين واحد وهو الإسلام {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ} [آل عمران:١٩] لأن الإسلام معناه الاستسلام والخضوع لله رب العالمين، وهو ليس خاصاً برسالة سيدنا محمد ﷺ ولكنه دين جميع الرسالات، فعلى سبيل المثال {وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس:٨٤] {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} [البقرة:١٣٣] {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} [البقرة:١٢٧-١٢٨] {قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ} [النمل:٢٩-٣١] {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة:١١١] ومن شروط الإيمان بالله الإيمان بجميع أنبيائه ورسله، فلا يُقبل من أحد إيمان برسول وكفر برسول آخر {قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ

مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ} [آل عمران:٨٤] فمن كفر برسول واحد فهو كافر بجميع الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والله أعلم.

س٤٢٢- يقول القرآن فى سورة (الشعراء): {إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ} [١٠٦] {إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ} [١٢٤] {إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ} [١٤٢] {إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ} [١٦١] فقال محمد عن كل نبى: {أَخُوهُمۡ} ما عدا شعيباً نسى أن يقول عنه: {أخوهم} فقال: {كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ} [١٧٧]

ج٤٢٢- كل نبى من الذين ذُكِروا - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - نُسِبُوا إلى قومهم عامة.. مؤمنهم وكافرهم، فقيل عنهم: {أَخُوهُمۡ} لأنهم إخوان وطن واحد، كما يُنسَب أحد إلى قبيلته أو قريته، فيقال مثلاً: فلان البحيرى، فلان المنفلوطى، فلان المنشاوى.. إلخ، مع أن ديانات أهل قريته ربما تكون مختلفة، أمّا سيدنا شعيب فلم يُذكَر قومه عامة.. ولكن ذُكِرتَ طائفة منهم، وهم عُبّاد الشجرة {أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ} فلو قيل: {أَخُوهُمۡ} فى هذه الحالة لكان معناها أنه أخوهم فى عبادتها، أمّا حين ذُكِرَ قومه عامّة (وهم أهل مدين) فقد قيل عنه إنه {أَخَاهُمۡ}وذلك فى قوله تعالى: {وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبًا} [الأعراف:٨٥] لأن (مدين) أهل بلدته كلهم، والله أعلم.

س٤٢٣- يقول القرآن: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ} [النمل:٤٥] كيف يقال يختصمون وهم فريقان؟ المفروض أن يقال (فريقان يختصمان) أليس كذلك؟

ج٤٢٣- لو قيل (يختصمان) لكان خطأ.. لماذا؟ لأنهما فريقان، وكل فريق مكون من عدة أفراد، فهى خصومة جماعية، كل فرد من كلا الفريقين يعادى كل أفراد الفريق الآخر، وأى واحد من كلا الفريقين من الممكن أن يقتل أى أحد من الفريق الآخر، مثل أن يكون فريق من المؤمنين وفريق من الكافرين.. و ليسوا فردين أحدهما مؤمن والآخر كافر، والله أعلم.

س٤٢٤- يقول القرآن: {وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٍ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ} [النمل:٤٨] ألا كان يكفى قول: {يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ} وهل المفسد يُتَوَقَّع منه أن يصلح؟

ج٤٢٤- نعم.. أحياناً يعمل المفسد أعمالاً صالحة، كأن يبنى مسجداً، أو داراً للأيتام، أو يطعم الفقراء والمساكين، أو يعمل أى خير، ليوازن بين أعماله السيئة والصالحة، قال الله عز وجل: {وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٠٢] أما الذين ذكروا فى الآية الكريمة فلم يُصلحوا قط، ولكن كانت كل أعمالهم فساداً وإفساداً، والله أعلم.

س٤٢٥- يقول القرآن: {قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ} [النمل:٤٩] كيف يكونون صادقين، مع أنهم دبروا لقتله مع سبق الإصرار والترصد؟ وهل لا يرى القاتل قتيله؟

ج٤٢٥- لقد دبروا لقتله بطريقة هدم جدار البيت عليه هو وأهله (مع أن هذا لم يحدث) فقالوا: نختبئ له خلف الجدار، حتى إذا أطبق عليه الليل، ونام هو وأهله، أوقعنا عليهم الجدار، وفى هذه الحالة لا نراهم وهم يموتون، ونقول لوليه (شيخ قبيلته): {مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ} وبالفعل لو وقع حائط على إنسان فإن الذى أوقعه عليه لا يراه، والله أعلم.

س٤٢٦- يقول القرآن: {وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل:٥٠] ويقول: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ} [آل عمران:٥٤] فهل الله ماكر أو مكّار يا مسلمون؟

ج٤٢٦- كلمة (المكر) فى اللغة معناها التبييت بالليل، وهى مأخوذة من مكر الشجر، فهناك شجر قصير تتداخل فروعه، بحيث لا يُعرَف أولها من آخرها. ثم إن المكر ليس كله سيئاً، قال تعالى: {وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ} [فاطر:٤٣] إذن فهناك مكر حسن. فمثلاً: لو أن أخاً وجد إخوته يشاهدون فى التلفاز أشياءً قبيحة، فلو أغلقه لغضبوا عليه، ولتشاجروا معه، فماذا يفعل؟ يحتال عليهم فيقطع التيار الكهربائى عنه، وكأنه قد انقطع بنفسه، ففى هذه الحالة يكون قد مكر، ولكنه مكر حسن. ومثالاً آخر: لو أن طالباً كان راجعاً إلى بيته فلمح أصدقاءه من بعيد، فخاف أن يقفوا معه ويعطلوه عن المذاكرة، فمشى من طريق آخر حتى وصل إلى بيته، فى هذه الحالة يكون الطالب قد مكر، ولكن هل ضر أصدقاءه فى شيء؟ إذن: المكر لا يُعرَف إلا بعواقبه، فالله سبحانه وتعالى - {وَلِلَّهِ

ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لا يمكر إلا بالخير، ولكن هذا المكر ليس عن ضعف ولا خوف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: {وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ} ولكن هذا وأمثاله يسمى فى اللغة (مشاكلة لفظية) وهى ذكر رد الفعل بصفة الفعل، كيف هذا؟ يقول الله عز وجل: {فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [البقرة:١٩٤] فهل رد الاعتداء يكون اعتداءً؟ لا- بل إن هذا (كما قلنا) من قبيل المشاكلة اللفظية، ومثل قوله تعالى: {ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة:١٥] وذلك عقوبة قولهم فى الآية التى قبلها {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} ومثل قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ} [النساء:١٤٢] ولا ينبغى لأحد أن يعتقد أن من أسماء الله سبحانه وتعالى (الماكر)، والله أعلم.

س٤٢٧- يقول القرآن: {وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [النمل:٨٨] كيف تمر الجبال مر السحاب وهى ثابتة على الأرض؟

ج٤٢٧- قال علماء السلف رحمهم الله: إن ذلك يوم القيامة، لأن الآية جاءت بعد قول الله جل وعلا: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ} فهى كقوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ} [الكهف:٤٧] فالجبال يوم القيامة تزول عن أماكنها، حتى تصبح لا وجود لها، كما جاء فى قوله تعالى: {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا} [طه:١٠٥-١٠٧] وهذا القول صحيح. وهناك معنى آخر قاله العلماء المحدثون: إن هذا يحدث فى الدنيا، لأن الأرض تدور حول الشمس وتدور حول محورها بكل ما عليها، ولكن هذا السير مع شدة سرعته لا يُرَى، لأننا واقفون منجذبون إلى الأرض مثل الجبال، فلو صعدنا فى الفضاء لرأيناها تجرى بما عليها بسرعة رهيبة، وهذا الأمر يحدث فى حياتنا: فحين نركب قطاراً - مثلاً - ويجرى بنا، نظن أن الناس الواقفين على جانبى الطريق هم الذين يجرون، وكذلك الأشجار وأعمدة الكهرباء، أما لو نزلنا منه ووقفنا بعيداً عنه فسندرك أننا ثابتون، وهو الذى يتحرك. ولكن لماذا شُبِّهَت الجبال بالسحاب؟ قيل لأن السحاب لا يتحرك بذاته، ولكن الرياح هى التى تحركه، وكذلك الجبال لا تتحرك بذاتها، ولكن دورة الأرض هى التى تحركها وغيرها بقدرة الله جل وعلا.

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن من كان له إيمان مثل حَبَّة خردل يستطيع أن ينقل

الجبل من مكانه.. فهل وُجِدَ منكم من استطاع ذلك؟ وها هو النَّص:

فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبَّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم. (متى١٧: ٢٠) هذه المعجزة لمن كان عنده أدنى قَدْر من الإيمان (حَبَّة خردل) فكيف بمن هم أكثر منه إيماناً؟، والله أعلم.

س٤٢٨- لقد جاء ذكر (هامان) فى سورة (القصص) وسورة (غافر) وتقطع التفاسير بأن هامان كان وزيراً لفرعون، وهذا خطأ تاريخى، لأن هامان كان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس فى مدينة بابل، وبين فرعون وأحشويرش أكثر من ألف سنة.

ج٤٢٨- إن هامان ليس اسماً لشخص، ولكنه لقب يعنى بلغتنا (الوزير) كما أن كل من كان يحكم الفرس يلقَّب بكسرى، وكل من يحكم الروم يلقَّب بقيصر، وكل من يحكم مصر يلقَّب بفرعون، وكل من يحكم الحبشة يلقَّب بالنجاشى. وفى عصرنا الحاضر يسمون الذى يقوم بشنق الناس (عشماوى) بغض النظر عن اسمه، والتى تقوم على سجن النساء (قرشانة) بغض النظر أيضاً عن اسمها. ففرعون اسمه (رمسيس) أو (امنمحتب) والنجاشى اسمه (أصحمه) وقيصر اسمه (هرقل) وكسرى اسمه (أنوشروان)، والله أعلم.

س٤٢٩- لا توجد فى القرآن البلاغة التى يطنطن بها المسلمون، فنجده يقول مثلاً: {مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} [العنكبوت:٥] معروف أن وسائل الإحاطة بالعلم تشمل السمع والبصر والإدراك، وبهذه الوسائل يصبح الإنسان عليماً، فما فائدة ذكر {ٱلسَّمِيعُ} فإن كلمة {ٱلْعَلِيمُ} تعنى السمع والبصر والإدراك كما قلنا؟

ج٤٢٩- إن الإنسان قد يقول كلاماً لا يوافق ما فى قلبه، كالمنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون، فهم يظهرون الإسلام، وينطقون بالشهادتين، مع إنكار ذلك بقلوبهم، كما قال الله عنهم: {إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ} [المنافقون:١] والإنسان الضعيف لا يعلم من الأمر إلا ظاهره، فحين يسمع هؤلاء المنافقين يصدقهم، بل ويعجبه كلامهم {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} [المنافقون:٤] أما الله

سبحانه وتعالى فهو عليم بما تبطنه قلوبهم وضمائرهم، فلذلك ناسب أن يقول: {ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ} أى {ٱلسَّمِيعُ} للصوت {ٱلْعَلِيمُ} بما فى القلب، والله أعلم.

س٤٣٠- يقول القرآن: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} [العنكبوت:٤١] كيف يقول محمد عن العنكبوت المذكر {ٱتَّخَذَتْ} وهى للتانيث؟

ج٤٣٠- علماء السلف - رحمهم الله - قالوا: لعل الله أراد السلالة، أى أن سلالة العنكبوت اتخذت بيتاً، ويأتى العلم الحديث ويؤكد أن بيت العنكبوت تبنيه الأنثى وليس الذكر. ويأتى إعجاز آخر: وهو أن الوَهَن الذى ذكر فى الآية الكريمة ليس وَهَناً ظاهرياً فقط - كما هو مشاهد من وَهَن بيت العنكبوت - ولكن هناك وَهَناً آخر.. وهو وهن معنوى، وذلك أن أنثى العنكبوت (الأرملة السوداء) تقتل زوجها بعد تلقيحها، ولذلك نرى الزوج يفر هارباً بعد التلقيح مباشرة، وعندما يفقس البيض يفر صغار الذكور خارج العش لكيلا تقتلهم أمهم، وهذا الوَهَن والتفكك الأُسَرِى لا يوجد إلا فى بيت العنكبوت، والله أعلم.

س٤٣١- يقول القرآن: {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ} [العنكبوت:٤٥] ونحن نرى كثيراً من المصلّين يأتون الفواحش والمنكرات.

ج٤٣١- ما قولكم فى المنافقين الذين كانوا يصلون مع الرسول ﷺ وربما كانوا يصلون فى الصف الأول؟ هل كانت صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر؟ وهل كان الله راضياً عنهم؟ وما رأيكم لو أن أحداً من أعداء الإسلام دخل فيه نفاقاً ليمكر بالمسلمين، وصلى معهم فى مساجدهم، هل صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر؟ إن الصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هى الصلاة المقبولة، التى يرتضيها الله سبحانه وتعالى، وليست صلاة المنافقين أو الفاسقين. إن الله سبحانه وتعالى حين أمرنا بالصلاة لم يَقُلْ لنا ولو فى آية واحدة (صَلُّوا) ولكنه أمرنا بها بقوله: {أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} أى إنها صلاة لها صفات معينة، وليست أى صلاة، حتى إن الآية التى استشهد بها السائل قالت: {ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ} وكذلك فإنه سبحانه وتعالى لم يمدح المصلّين فى أى آية، إلا وقد قَرَنَ صلاتهم بصفة أخرى، مثل: {قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ

خَـٰشِعُونَ} [المؤمنون:١-٢] و{إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ} [المعارج:٢٢-٢٣] و{وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ} [الحج:٣٥] ولو كانت أى صلاة ترضى الله سبحانه وتعالى لَمَا قال: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون:٤-٥] ولَمَا قال الرسول الله ﷺ ثلاث مرات للمُسِيء صلاتَه: "ارجع فَصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ" [متفق عليه] ولَمَا قال: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً" [المعجم الكبير للطبرانى]، والله أعلم.

س٤٣٢- يزعم القرآن أن الحياة الدنيا كلها لعب، ولهو كما جاء فى أكثر من آية، مثل: {وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [العنكبوت:٦٦] كيف تكون الدنيا {لَهْوٌ وَلَعِبٌ} وفيها أشياء معتبرة محترمة، مثل دور العبادة، والجامعات، والمستشفيات، والملاجئ، وغيرها، بل وفيها الأنبياء والمرسلون، فهل كانوا يلعبون؟

ج٤٣٢- ماهو اللعب واللهو؟ إن اللعب قد يأتى بخير، أمَّا اللهو فلا يأتى بخير. فمثلاً: لو لعبت رياضة من الرياضات، ككرة القدم، أو السلَّة، أو الكاراتيه، أو الجودو، أو رفع الحديد.. إلخ، فإن هذا يعود عليك بالمنفعة، كتقوية العضلات، وإذابة الدهون الزائدة، وزيادة القدرة على طول التنفس، وغير ذلك. والإسلام لا يمنع الإنسان من ممارسة الرياضة المفيدة التى لا تضره، طالما أنها لا تصده عن عبادة ربه، ولا تصبح شغله الشاغل، فيضيع فيها معظم وقته الذى هو رأس ماله، فقوى البنيان أصلح وأقوى فى الدفاع عن نفسه، وفى مجاهدة أعداء الله. وأحياناً يكون اللعب ضرورياً، مثل بعض الرياضات التى يأمر بها الأطباء للمساهمة فى علاج بعض الأمراض، كالانزلاق الغضروفى، أو السِّمنة، أو ضعف العضلات.. إلخ، ويكون اللعب أحياناً مهماً جداً، وخصوصاً للأطفال، لأنه دليل على الصحة الجسدية والنفسية عند الطفل. أما اللهو فهو ما لا طائل من ورائه، مثل الكوتشينة، والطاولة، والشطرنج، والدومينو، ومشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات.. إلخ، فهى لا تعود على الإنسان بأى منفعة مهما أنفق فيها من الساعات، فضلاً عما فيها وما يعقبها من المحرمات، وأحياناً يُقال عن اللعب إنه لهو إذا كان فى وقت حَرِج مثل أيام الامتحانات، أو أيام العبادات، مثل الحج والعمرة، أو فى آخر العمر حين يقرب أجل الإنسان، كالرجل الشيخ الكبير الذى يضيع وقته فى اللعب بالنادى، وكان

الأوْلى به أن يستثمر ما تبقى من عمره فى طاعة ربه. وإذا انشغل الإنسان بالمهم عن الأهم فهو يلعب، حتى لو كان ما يفعله ليس من اللعب فى شيء، فمثلاً: لو قلت لابنك: ذاكر دروسك لأن الامتحان قد قرب وقته، فانشغل بتجليد الكراريس وتسطيرها، فماذا تقول له؟ حتماً ستقول له: ما هذا اللعب؟ ولو أن رَجُلاً بطنه مفتوح وأصبعه مجروح، فالبديهى أن نعالج بطنه أولاً ثم نعالج أصبعه، أمَّا لو فعلنا العكس لكان هذا لعباً. فإذا انشغل الناس بالدنيا عن الآخرة فهو عين اللعب، حتى لو كان فى المباحات، فلو تركت الدين للسعى على الرزق - مثلاً - فإن هذا يكون لعباً، وكان المفروض أن تجمع بينهما، أما لو تركته لشىء تافه لا يأتى بمنفعة فهو لهو، فمهما كانت الدنيا بما فيها من جامعات، ومستشفيات، وملاجئ، وغير ذلك، فإنه لا ينبغى أن تشغل الإنسان عن آخرته، وعن المهمة التى خلقه الله من أجلها {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] ولا يعنى هذا أننا نترك هذه الأشياء وننقطع للعبادة، ولكن المهم أن يكون تعاملنا معها لله، وألا تصدنا عن عبادة أخرى أمرنا الله بها، كالصلاة مثلاً، فينبغى لنا أن تكون كل علاقاتنا بما حولنا من مظاهر الحياة مبنية على ابتغاء وجه الله.والدار الآخرة {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:١٦٢-١٦٣] ثم إن الذى يقرأ كلام الله ليتدبره، غير الذى يقرؤه ليطعن فيه بغير حق، فالمقصود باللعب واللهو لا يدخل فيه أى أمر من أمور الدين أو أعمال الخير، فليس كما يظن السائل أن اللعب واللهو يتضمن ما فى الدنيا من دور عبادة، وأنبياء ومرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أو أعمال الخير من ملاجئ، ومستشفيات، وغير ذلك، إذ أن الآية فى نهايتها تثنى على الدار الآخرة وتصفها بأنها {ٱلْحَيَوَانُ} أى الحياة الحقيقية الباقية، وليست الحياة الدنيا الفانية {وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ} فكما عظَّم الله سبحانه وتعالى شأنها، فإن كل ما يُقرِّب إليها مُعظَّم أيضاً، وبناءً على ذلك.. فإن الأنبياء والمرسلين معظَّمون، أولاً: لأنهم استقاموا على أمر الله، ولم تشغلهم الدنيا عن الآخرة. وثانياً: لأنهم أرشدونا إلى كل ما يقربنا من الله جل وعلا، وكذلك أعمال الخير لأن الله يحبها، ويثيب عليها من ابتغى بها وجهه سبحانه وتعالى، فالذى يفهمه الإنسان السَّوِىّ المحايد بفطرته السليمة أن الانشغال بالدنيا وزخارفها عمَّا

يقرب من الدار الآخرة ونعيمها فهو {لَهْوٌ وَلَعِبٌ} أما ما يقرب إليها فليس بلعب ولا لهو، قال رسول الله ﷺ: **"الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالماً، أو متعلّماً"** [صحيح الجامع:٣٤١٤]

وقد جاء فى كتابكم المقدس النهى عن حب الدنيا والانشغال بها، فقال:

لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحبَّ أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعَظُّم المشيئة ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمشى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (رسالة يوحنا الأولى١٢: ١٥-١٧) وهناك نصوص أخرى ذكرناها فى الرد على الشبهة رقم (٤٦١)، والله أعلم.

س٤٣٣- يقول القرآن: {إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [لقمان:١٩] لماذا الحمار بالذات، رغم أن هناك أصواتاً مرعبة مثل زئير الأسد والنمر، وعواء الذئب، وفحيح الحية، وغير ذلك؟

ج٤٣٣- إن الله عز وجل لم يشبِّه صوت الإنسان بالأصوات المرعبة، فإنه لا يوجد وجه شَبَه بينهما، لأن صوت الإنسان مهما ارتفع فلن يكون مثلها، فلم يقل سبحانه وتعالى (إن أرعب الأصوات لصوت الحمير) ولكنه قال: {إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ} وبالفعل فإن صوته تنكره جميع النفوس وتكرهه، أما بقية الأصوات فهى مخيفة، وكذلك الإنسان إذا رفع صوته (كما نسمع فى المشاجرات) فإن صوتهم يكون مزعجاً منكراً، ولكنه ليس مخيفاً. وشىء آخر فى الحمار بالذات غير بقية المملكة الحيوانية.. وهو أنه إذا ضربته يظل صامتاً، ثم يُنهِّق بغير سبب، والله أعلم.

س٤٣٤- يقول القرآن: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ} [السجدة:٢٣] كيف يَلْقَى محمد موسى وقد مات قبله بمئات السنين؟

ج٤٣٤- نسى من سأل هذا السؤال أن الرسول ﷺ قابل سيدنا موسى وجميع الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، حين جمعهم الله تبارك وتعالى فى بيت المقدس، وصلى بهم الرسول، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: **"رأيتُ ليلة أُسْرِىَ بى موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيتُ عيسى رجلاً مربوع الخلْق إلى**

الْحُمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال" إلى آخر الحديث [صحيح الجامع:٣٤٧٧] ربما يقول قائل: أنتم تقولون إن نبيكم قد قابل جميع الأنبياء والمرسلين، فلماذا خص القرآن موسى بالذكر؟ فنقول وبالله التوفيق: نعم إن الرسول قابلهم جميعاً - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ولكن سيدنا موسى كانت له القصة المعلومة مع الرسول ﷺ عند فرض الصلاة، والتى ذكرناها فى الرد على الشبهة رقم (١٧٣) وبذلك يكون الرسول ﷺ قابله مرتين: مرة فى بيت المقدس، ومرة فى المعراج فى السموات العلى.

وقد جاء فى الكتاب المقدس اختلاف فى زمن وفاة سيدنا هارون - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بالنسبة لرحلات بنى إسرائيل:

ثم ارتحلوا من بنى يعقان ونزلوا فى حور الجدجاد. ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا فى يطبات. ثم ارتحلوا من يطبات ونزلوا فى عبرونة. ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا فى عصيون جابر. ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا فى برية صين وهى قادش. ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا فى جبل هور فى طرف أرض أدوم فصعد هَرون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك (عدد٣٣: ٣٢-٣٨) إن معنى هذا الكلام أن سيدنا هارون مات بعد رحيلهم إلى (اليطبات) بل بعد رحيلهم إلى أماكن كثيرة غيرها، ثم يأتى النَّص التالى فيقرر أن موته كان قبل رحيلهم إلى هذه الأماكن:

وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعقان إلى موسير. هناك مات هَرون وهناك دُفِن. فكهن العازار ابنه عوضاً عنه. من هناك ارتحلوا إلى الجدجود ومن الجدجود إلى يطبات أرض أنهار ماء (تثنية١٠: ٦-٧)، والله أعلم.

س٤٣٥- يقول القرآن: {مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ} [الأحزاب:٤] مع أن هناك من الأطفال من يولد بقلبين.

ج٤٣٥- إن معنى الآية الكريمة ليس المعنى التشريحى الذى تتحدثون عنه، ولكنه معنى معنوى، ومَثَل ضربه الله تعالى لما تَلاهُ من الظِّهار والتبنِّى، فكما لا يجتمع فى قلب امرئ عقيدتان، أو فِكْرَتان، لشىء واحد، مثل الإيمان والكفر، أو اليقين والشَّك، أو التصديق والتكذيب، أو العلم والجهل، أو الحب والبغض... إلخ، فكذلك يستحيل أن تكون

الزوجة مثل الأم {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ} ويستحيل أن يكون الدَّعِيّ (الابن بالتبنّى) مثل الابن من الصُّلب {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ} لأن البنوّة أصالة فى النسب، والدُّعُوَّة إلصاق عارض بالتسمية، ولا يجتمع فى الشىء الواحد أن يكون أصيلاً وغير أصيل.

وعلى أيّة حال فإن الآية لم تَقُل (ما جعل الله لطفل، أو لولد، أو لإنسان، من قلبين فى جوفه) ولكنها قالت: {لِرَجُلٍ} والثابت علمياً أنه لا يجتمع قلبان فى صدر رجل بالغ، وأن من يولد بقلبين يموت فى صغره، ولا يبلغ سن الرجولة.

وقد جاءت فى الكتاب المقدس مخالفات عديدة للعلم، ذكرنا بعضاً منها فى الإجابة على شبهات أخرى، ونذكر منها ها هنا:

وكان إلىّ كلام الرب قائلاً وأنت يا ابن آدم فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل. نهاية. قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع. (حزقيال٧: ٢) فهل الأرض لها زوايا أربع، أم أنها - كما نعلم - كُرَوِيَّة؟، والله أعلم.

س٤٣٦- يقول القرآن: {يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الاحزاب:٣١] وفى الآية التى تليها: {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ} ففى هاتين الآيتين ذكّر المؤنث بقوله: {مَن يَأْتِ} و{مَن يَقْنُتْ} وكان المفروض أن يقول (من تأتِ) و(من تقنت)

ج٤٣٦- (نساء) جمع تكسير، وجمع التكسير يجوز فى الفعل المُسْنَد له التذكير والتأنيث، فيصح أن يقال: {مَن يَأْتِ} كما هو فى الآية الكريمة، ويصح أيضاً (من تأتِ)، وكذلك الحال فى: {وَمَن يَقْنُتْ} يصح أن يقال (ومن تقنت)، والله أعلم.

س٤٣٧- يقول القرآن: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} [الاحزاب:٤٠] إن معنى هذا أن محمداً خاتم النبيين فقط، أما أنتم فتزعمون أنه خاتم المرسلين أيضاً.

ج٤٣٧- إن الرد على هذا السؤال الساذج يتلخص فى كلمتين، أن كل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً، فطالما أن الرسول ﷺ هو {خَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ} فمعنى ذلك أنه خاتم المرسلين أيضاً، أما لو قال الله (وخاتم المرسلين) لم يمنع هذا مجىء نبى بعده، والله أعلم.

س٤٣٨- يقول القرآن: {يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ} [يس:٣٠] فهل الله يتحسر على أحد؟

ج٤٣٨- هل قال الله (يا حسرتاه) أو (يا حسرتى على العباد)؟ أم قال: **{يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ}**؟ فالله سبحانه وتعالى لا يتحسر على أحد، ولكن جاءت الحسرة على العباد من أنفسهم، ندماً على ما فعلوه فى الدنيا من تكذيب الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ومن التقصير فى حق ربهم جل وعلا، وكأن المعنى: يا لها من حسرة ستصيب العباد، كما جاء فى الآية الكريمة: **{أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ}** [الزمر:٥٦] ففى هذه الآية المتكلم هو الذى يتحسر، ولهذا جاءت بلفظ **{يَٰحَسۡرَتَىٰ}** وبذلك يتضح الفرق بينها وبين الآية التى فى سورة (يس) ويوم القيامة الكل يتحسر، إن كان محسناً تحسر على ألا يكون قد ازداد إحساناً، وإن كان مسيئاً تحسر على أنه لم يرجع إلى ربه ويَتُبْ إليه، قال رسول الله ﷺ: **"ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة"** [صحيح الجامع:٥٧٢٠] ولكن حسرة أهل الجنة تكون قبل دخولها، لأن الجنة ليس بها أى كدر، ولكنهم عند علمهم بثواب أعمالهم يندمون على أنهم لم يزدادوا. أما الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى فهى على الكفار، كما جاء فى نهاية الآية الكريمة: **{يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}**

ربما يقول قائل: لماذا قال الله: **{مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}** فى حين أن الذين آمنوا كثير جداً لا يحصيهم العد؟ فنقول وبالله التوفيق: هذا الحكم على الغالبية العظمى من العباد، فالذين آمنوا فى ظاهرهم كثير جداً، ولكنهم بالنسبة للذين لم يؤمنوا قليل جداً **{وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}** [الأنعام:١١٦] قال رسول الله ﷺ: **"يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير فى يديك، فيقول: أخرج بَعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعندها يشيب الصغير {يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ}** [الحج:٢] قالوا: يا رسول الله.. وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: **أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألفاً، والذى نفسى بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أرجو**

أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، ما أنتم فى الناس إلا كالشعرة السوداء فى جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء فى جلد ثور أسود، أو كالرقمة فى ذراع الحمار" [صحيح الجامع:٨١٤٢]، والله أعلم.

س٤٣٩- يقول القرآن: {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ} [يس:٤١-٤٤] أنتم تقولون إن القرآن يصلح لكل زمان ومكان، وهذا الكلام لا يصلح الآن، لأن هناك صفارات استغاثة تطلقها السفن المنكوبة، وهى صفارات مسموعة، وتنقل عبر الأقمار الصناعية، وأيضاً المشرفين على الغرق يُسمَع صوتهم، وتأتيهم فرق الإنقاذ القريبة منهم، أو المحمولة على الطائرات المروحية، أو السفن... إلخ.

ج٤٣٩- يبدو أن سائل هذا السؤال لا علم له بالأحوال الجوية التى تطرأ على بعض البُلدان، لأن كلامه محصور فى حالات الإنقاذ المعلومة، والله سبحانه وتعالى لم ينفِ عنهم الصريخ والإنقاذ مطلقاً، بدليل أنه قال: {إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ} فهذا الاستثناء يشمل ما ذكر من حالات الإنقاذ التى وردت فى السؤال. ولكن هل الإنقاذ يحدث دائماً؟ لو كان هذا صحيحاً لَمَا وُجدَ غرقى على الإطلاق. إن من أعظم السفن التى اخترعوها هى السفينة المشهورة (تيتانِك) وبعدما انتهوا من صنعها تعاظموا فى أنفسهم وقالوا: إنها السفينة التى لن تغرق أبداً، وسبحان الله.. غرقت من أول رحلة لها! فأين كانت صفارات الإنذار وفرق الإنقاذ حينها؟ قال الله عز وجل: {وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ} [الرعد:١١] وأحياناً تصيب السيول والأعاصير المدمرة بعض البلدان، ومن هذه الأعاصير إعصار (كاترينا) الذى أصاب بعض الولايات الأمريكية مؤخَّراً، وخاصة ولاية (نيوأورليانز) وقد قدروا عدد الذين هلكوا فى هذا الإعصار بحوالى عشرة آلاف على الأقل، معظمهم من الغرقى، وليس هذا فى أمريكا فحسب، بل إن السيول والأعاصير منتشرة فى كثير من دول العالم، وهذه السيول والأعاصير المهلكة تدمر شبكات الكهرباء، وتقطع جميع الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتَحُول دون سماع صفارات الإنذار التى يتحدثون عنها، حتى إنها تحجب الرؤية تماماً، فلا تستطيع المروحيات

ولا فِرَقُ الإنقاذ أن تصل إلى هذه القرى المنكوبة، ونسمع فى النشرة الجوية: لقد حالت الظروف الجوية السيئة، والضباب الكثيف، والأمواج العالية، دون وصول فرق الإنقاذ، وانقطع الإتصال بهم... إلخ. وبالإضافة إلى هذا فقد قال بعض المفسرين المحدثين، مثل الشيخ الشعراوى (رحمه الله): إن المقصود بهذه الآية هى سفن الفضاء، لأن الله عز وجل قال: {وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ} ولم يقل (وخلقنا لهم مثله) بل قال: {مِّن مِّثْلِهِۦ} حتى إننا نلاحظ أنهم سموها سفناً لوجود التشابه بينهما، والغرق عبارة عن ماذا؟ عبارة عن منع الأكسُجين عن الإنسان، وهذا ما يحدث من الاختناق فى السفن الفضائية عندما ينفذ الأكسُجين الذى يحملونه، فكأنه غرق ولكن من نوع آخر، فلا يستطيع أحد أن ينقذهم، ورجل الفضاء لا يسمع من بجواره إلا عن طريق الأجهزة، لأنه لا يوجد هواء خارج نطاق الغلاف الجوى للأرض، والهواء هو وسيلة السماع، لأن الذبذبات الصوتية تنتقل إلى الأذن عن طريقه، والله أعلم.

س٤٤٠- يقول القرآن: {قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ} [يس:٥٢] أنتم تزعمون أن هناك عذاباً فى القبر، ولو كان هذا صحيحاً لَمَا قالوا: {مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} لأنها تعنى أنهم كانوا راقدين، ثم فوجئوا بالبعث.

ج٤٤٠- إن عذاب القبر لا يساوى شيئاً بالنسبة لعذاب جهنم، قال الله تعالى: {ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ} [غافر:٤٦] فالكفار يعلمون وهم معذبون فى قبورهم أن عذاب يوم القيامة أشد بكثير مما هم فيه، ولذلك حين يبعثهم الله عز وجل يقولون قولتهم هذه، وكأنهم تمنوا بقاء عذاب القبر، والله أعلم.

س٤٤١- يقول القرآن: {ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ} [الصافات:٢٢-٢٣] معنى هذا أن نوحاً، ولوطاً، وامرأة فرعون فى النار، لأن أزواجهم فى النار.

ج٤٤١- إن كلمة {أَزْوَٰجَهُمْ} فى هذه الآية تعنى أشباههم، أى أن المشركين مع المشركين، والكافرين مع الكافرين، والملحدين مع الملحدين، والزناة مع الزناة، وشاربى

الخمر مع شاربي الخمر... إلخ، وليس بمعنى زوجاتهم. قال الله عز وجل: {فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ} [طه:٥٣] أى أخرجنا أنواعاً: حلواً، وحامضاً، ومُرّاً .. إلخ، وقال رسول الله ﷺ: **"من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة: يا عبد الله هذا خير"** إلى آخر الحديث [متفق عليه] قال العلماء: "أنفق زوجين" أى نوعين مختلفين، كأن ينفق ذهباً وفضة - مثلاً - أو أىّ نوعين آخرين، والله أعلم.

س٤٤٢- يقول القرآن: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ} [الصافات:٦٤-٦٥] معلوم أنه من البلاغة أن يُشبَّه المجهول بالمعلوم ليُعرَف، ولكن أين البلاغة حين يُشبَّه المجهول بمجهول؟

ج٤٤٢- إن هذه الصيغة متناهية فى البلاغة، لماذا؟ نقول وبالله التوفيق: لو أنه أقيمت مسابقة لرسم صورة للشيطان، لحاول كل رسام أن يرسم أبشع صورة يتخيلها، ولجاءت الصور مختلفة عن بعضها، ولكن يجمع بينها كلها أنها مخيفة.. أليس كذلك؟ فحين شبه الله سبحانه وتعالى شجرة الزقوم برءوس الشياطين، فإن خيال العباد يذهب كل مذهب فى أبشع صورة يتصورونها، فيكون هذا أبلغ فى التخويف منها، ولكن لو شُبِّهت بشكل معين، فربما أخاف البعض دون البعض، وحتى الذين يخافون منها، فإنهم بعد فترة سيألفونها. فمثلاً: لو أن أحداً رأى ثعباناً لخاف وارتجف، ولكنه لو رآه كل يوم، لأصبح منظره مألوفاً، أما لو ظل مجهولاً، لظل خائفاً مرعوباً، وهذا هو المطلوب.. أن يكون العبد خائفاً باستمرار من النار، ورءوس الشياطين كانت - وما زالت - أخوف شيء للإنسان، ولذلك شُبِّهَت شجرة الزقوم بها، والله أعلم.

س٤٤٣- من الأخطاء اللغوية للقرآن أنه جمع اسم العَلم، وهو الذى لا يُجمَع أبداً، فقال: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ} [الصافات:١٢٣-١٣٠] فقد جمع اسم العَلم وهو {إِلْيَاس} فجعله {إِلْ يَاسِينَ}

ج٤٤٣- إن {إِلْ يَاسِينَ} ليست جمعاً، ولكن قيل إنها لغة أخرى لإلياس، كما نقول (موسى) وتقول اليهود (موشى) وكما نقول (مريم) ويقول الأجانب (مارى) وكما نقول

(محمد) وتقول الأجانب (مُهمَّد). وقيل إن معناها (آل ياسين) أى أتباعه، كما ورد فى قراءة نافع وابن عامر {آل ياسين} وذلك نسبة إليه، كما نقول عن أتباع المسيح - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - إنهم (المسيحيون) ومثل (البهائيين) أتباع (البهاء)، والله أعلم.

س٤٤٤- يقول القرآن: {وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات:١٤٧] كيف يكون قائل هذا الكلام إلهاً وهو لا يعلم العدد بالتحديد، بل قاله بالتقريب؟

ج٤٤٤- لا يمكن قول عدد محدد فى أى إحصائية تعداد سكانى فى العالم، ولكن يقال بالتقريب، لأن الناس فى زيادة مطردة، فهناك وفيات ومواليد، ولكن عدد المواليد يفوق عدد الوفيات، ولذلك قال الله عز وجل: {أَوْ يَزِيدُونَ} ولم يقل (أو ينقصون) وبديهى أن أتباع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يتناسلون فيكثر عددهم، والدعوة تشملهم وذرياتهم، فيتزايد أتباعهم يوماً بعد يوم، فلو ذكر عدداً محدداً لكانت الدعوة قاصرة عليهم، وليست لذرياتهم، وهذا ما لا يقوله عاقل.

والآن نسألكم: كم كان عدد المغنّين والمغنيّات الذين صعدوا من تل ملح وتل حرشا، بحسب ما جاء فى كتابكم المقدس؟

وهؤلاء هم الذين صعدوا من تل ملح وتل حرشا كروب أدان إمير... ولهم من المغنّين والمغنيّات مئتان. (عزرا٢: ٥٩-٦٥) **وهؤلاء هم الذين صعدوا من تل ملح وتل حرشا كروب وأدون وإمير... ولهم من المغنّين والمغنيات مئتان وخمسة وأربعون.** (نحميا٧: ٦١-٦٧)

وهناك تناقضات فى أعداد العائدين من السَّبْى كثيرة جداً وردت فى سِفْر (عزرا: الإصحاح٢) وسِفْر (نحميا: الإصحاح٧) يضيق المقام عن ذكرها، ونكتفى بذكر مواطنها من هذين السفرين:

التناقض بين عدد بنى آرح ما بين (٧٧٥) فى (عزرا٢: ٥) و(٦٥٢) فى (نحميا٧: ١٠)

التناقض بين عدد بنى فحث موآب من بنى يشوع ويوآب ما بين (٢٨١٢) فى (عزرا٢: ٦) و(٢٨١٨) فى (نحميا٧: ١١)

التناقض بين عدد بنى زتو ما بين (٩٤٥) فى (عزرا٢: ٨) و(٨٤٥) و(نحميا٧: ١٣)

التناقض بين عدد بنى بانى ما بين (٦٤٢) فى (عزرا٢: ١٠) و(٦٤٨) فى (نحميا٧: ١٥)

التناقض بين عدد بنى باباى ما بين (٦٢٣) فى (عزرا٢: ١١) و(٦٢٨) فى (نحميا٧: ١٦)

التناقض بين عدد بنى عزجد ما بين (١٢٢٢) فى (عزرا٢: ١٢) و(٢٣٢٢) فى (نحميا٧: ١٧)

التناقض بين عدد أدونيقام ما بين (٦٦٦) فى (عزرا٢: ١٣) و(٦٦٧) فى (نحميا٧: ١٨)

التناقض بين عدد بنى بغواى ما بين (٢٠٥٦) فى (عزرا٢: ١٤) و(٢٠٦٧) فى (نحميا٧: ١٩)

التناقض بين عدد بنى عادين ما بين (٤٥٤) فى (عزرا٢: ١٥) و(٦٥٥) فى (نحميا٧: ٢٠)

التناقض بين عدد بنى بيصاى ما بين (٣٢٣) فى (عزرا٢: ١٧) و(٣٢٤) فى (نحميا٧: ٢٣)

التناقض بين عدد بنى حشوم ما بين (٢٢٣) فى (عزرا٢: ١٩) و(٣٢٨) فى (نحميا٧: ٢٢)

التناقض بين عدد رجال بيت إيل وعاى ما بين (٢٢٣) فى (عزرا٢: ٢٨) و(١٢٣) فى (نحميا٧: ٣٢)

التناقض بين عدد بنى لود بنو حاديد وأونو ما بين (٧٢٥) فى (عزرا٢: ٣٣) و(٧٢١) فى (نحميا٧: ٣٧)

التناقض بين عدد بنى سناءة ما بين (٣٦٣٠) فى (عزرا٢: ٣٥) و(٣٩٣٠) فى (نحميا٧: ٣٨)

التناقض بين عدد الْمُغنّين من بنى آساف ما بين (١٢٨) فى (عزرا٢: ٤١) و(١٤٨) فى (نحميا٧: ٤٤)

التناقض بين عدد بنى البوابين ما بين (١٣٩) فى (عزرا٢: ٤٢) و(١٣٨) فى (نحميا٧: ٤٥)

التناقض بين عدد بنى دلايا بنى طوبيا بنى نقودا ما بين (٦٥٢) فى (عزرا٢: ٦٠) و(٦٤٢) فى (نحميا٧: ٦٢)

فهل كل هذه التناقضات وحى من عند الله يا عباد الله؟، والله أعلم.

س٤٤٥- يقول القرآن: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ

أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣١-٣٣] **إن القرآن نسب الظلم إلى سليمان، لأنه قتل الخيل بغير حق، علماً بأن سليمان عندكم نبي معصوم.**

ج٤٤٥- لقد ذهب بالفعل بعض المفسرين إلى أن المقصود بالآية الكريمة أن سيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - قتل الخيل عقاباً لنفسه، لأنها شغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ وهذا القول ليس بصحيح، لأن القتل لا يُعَبَّر عنه بالمسح. وذهب آخرون إلى أنه أمر بإرجاعها إليه فمسح بسوقها وأعناقها، وهذا الفعل تحبه الخيول، وهو مألوف عند من يقومون بتربيتها، ولكن هذا القول مرجوح أيضاً، لأن الخيل عطلته عن الصلاة، وهو نادم على ذلك، فهل يأمر بردِّها إليه ليمسحها، فتؤخره أكثر؟ وهناك تفسير آخر تطمئن إليه النفس.. وهو أن الآية بها تأخير ما حقُّه التقديم، بمعنى أن الذى عطله عن الصلاة هو قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ ومسحه على سوقها وأعناقها، وهذه الخيل كانت موقوفة لله، وليست خيلاً للتباهى، وكلمة ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ ليتفقد أحوالها أكثر من مرة، ذهاباً وإياباً، كما يفعل أصحاب الخيول. و﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ هى الخيل التى تقف على ثلاثة أرجل، وترفع الرجل الأمامية الرابعة. وسيدنا سليمان لا يُتصَوَّر منه أنه قتلها بغير ذنب، لأن جميع الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كاملو الخَلْق والخُلُق، فلا يصح أن يُنسَب إليهم أى عيب، كما هو مُشاع عن سيدنا أيوب أن جسده كان به دود، وحاشا الله أن يصيب أحداً من أنبيائه بمرض مُعْدٍ، أو مرض يجعل الناس تنفر منه، إن الذى أصاب سيدنا أيوب هو مرض ألزمه الفراشَ، بغير دود ولا غيره، كما أن زوجته - رضى الله عنها - لم يكن اسمها (نَعسَة) ولم تَبِع شعرها كما يظن البعض، ولكن كان اسمها (رحمة) وهى بنت سيدنا يونس، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وسيدنا موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يكن ألثغ، كما هو موجود فى بعض التفاسير، وذلك من الإسرائيليات، ولكن الأرجح أنه كان يتلعثم فى الكلام لأنه عاش بعيداً عن أهله، ولم يتكلم بلغتهم عشر سنوات، هى مدة مكثه فى مدين، ولنتخيل أن أحدنا سافر إلى بلد أجنبى، وانقطع تماماً عن الكلام بلغته الأصلية، فلا جاليات معه من بلده، ولا يتحدث مع أى أحد، ولو بالتليفون،

ثم رجع إلى موطنه الأصلى، فكيف تكون طريقة كلامه؟ لابد أنه سيتلعثم، ولا يكون بالفصاحة نفسها كغيره من أهل بلدته، وسيدنا موسى قال: {وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا} [القصص:٣٤] ولم يقل (هو أسلم منى لساناً) فلو قال (أسلم) لقلنا إن بلسانه عجزاً. وهنا يتجلى سؤال: من الذى علم سيدنا موسى اللغة العبرية التى كان يتكلم بها أهل مدين؟ فنقول وبالله التوفيق: إن اللغة العبرية كانت لغة قومه الموحدين من بنى إسرائيل، قبل أن يأتوا إلى مصر زمن سيدنا يوسف - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وحين جاءوا إلى مصر تعلموا منهم اللغة القبطية، فأصبح عندهم لغتان: واحدة يتحدثون بها مع بعضهم (وهى لغة دينهم) وواحدة يتحدثون بها مع أهل مصر، كما نجد فى بلدنا أن أهل النوبة يتحدثون فيما بينهم بلغة لا نعرفها، وهى (الروطان) ويتحدثون معنا بلغتنا.

ولقد جاء فى الكتاب المقدس نسبة الكفر لسيدنا سليمان - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وها هو الدليل:

وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة... وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروث إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه... فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك.

(الملوك الأول١١: ١-١١) وقد برّأه الله سبحانه وتعالى مما نسبوه إليه بقوله: {وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ} [البقرة:١٠٢]، والله أعلم.

س٤٤٦- يقول القرآن: {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ} [الزمر:٢٤] إن هذا مخالف للفطرة، لأن الإنسان يدافع عن وجهه بيديه، فكيف يتقى بوجهه العذاب؟

ج٤٤٦- إنهم لا يستطيعون تقديم أيديهم أمام وجوههم كما يفعل من يؤتى من قِبَل وجهه، لأن أيديهم مغلولة لا يستطيعون استخدامها، فهم يسحبون على وجوههم فى النار، والعياذ بالله {يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ} [القمر:٤٨] {وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ} [إبراهيم:٤٩]، والله أعلم.

س٤٤٧- يقول القرآن: {وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ} [فصلت:٦-٧] كيف يؤتى المشركون الزكاة، وهم غير مؤمنين أصلاً؟

ج٤٤٧- إن الزكاة هنا ليست زكاة الأموال المفروضة على المسلمين، فإن لفظ الزكاة معناه (التطهير) فالمسلم يطهر ماله بإخراج ما فرضه الله عليه من هذا المال، أما هؤلاء فلم يؤتوا زكاة نفوسهم، أى أنهم لم يطهروها بالإيمان. ولقد جاء فى تفسير (ابن كثير) لهذه الآية: قال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس: يعنى لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وكذا قال عكرمة، وهذا كقوله تعالى: {قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا} [الشمس:٩-١٠] وكقوله جلّت عظمته: {قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ} [الأعلى:١٤-١٥] وقوله عز وجل: {فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ} [النازعات:١٨] والمراد بالزكاة هاهنا طهارة النفس من المعتقدات الباطلة، والأخلاق الرذيلة، ومن أهمها طهارة النفس من الشرك، وزكاة المال إنما سُمِّيت زكاة لأنها تطهره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته، وبركته، وكثرة نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله فى الطاعات... إلخ، والله أعلم.

س٤٤٨- يقول القرآن عن السفن: {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ۝ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ} [الشورى:٣٢-٣٣] وقد كان ذلك فى الماضى، أما الآن فإنها تسير بالطاقة، ولا دخل للريح بسيرها أو وقوفها، ومع ذلك تصرون على أن القرآن يصلح لكل زمان ومكان.

ج٤٤٨- قال الشيخ الشعراوى (رحمه الله): إن الريح تأتى فى القرآن مرة بمعنى الرياح، ومرة بمعنى القوة، كما جاء فى الآية الكريمة: {وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ}

[الأنفال:٤٦] أى تذهب قوتكم، فعلى هذا يكون معنى {يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ} أى يُسكن القوة التى تحركها، سواء مواتير، أو ذرَّة، أو غيرها. وهناك تفسير آخر وضحته الآية التى بعدها {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟} فإن لم يكن الهلاك بإسكان الريح، فيكون بالريح الشديدة العاتية التى تعصف بها، فلا تثبت أمامها قوة مواتير أو غيرها، فتغرق ولا منقذ لها، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم {بِمَا كَسَبُوا۟}

وقد جاء فى كتابكم المقدس قول معبودكم:

وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً إن عطش أحد فليُقبل إلىَّ ويشرب. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى. (يوحنا٧: ٣٧-٣٨) فأين هذه الأنهار التى تجرى من بطونكم؟، والله أعلم.

س٤٤٩- يقول القرآن: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف:٣٢] إن هذا يشجع ويقر بالفوارق الطبقية بين الأغنياء والفقراء، ويقر بالتفرقة العنصرية.

ج٤٤٩- نريد أن نسألكم: من المرفوع؟ ومن المرفوع عليه؟ هل قال القرآن: ورفعنا الأغنياء فوق الفقراء؟ أم قال: {بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ}؟ إن الكل محتاج للكل، فأنت يوماً مرفوع، ويوماً مرفوع عليك، ولقد ضرب الشيخ الشعراوى - رحمه الله - مثلاً لتوضيح هذا الأمر بالرجل الغنى ذى المنصب والجاه، الذى يحتاج للفقير ذى المهنة المحتَقَرة، كأن تنسد عنده البالوعة، ويكاد بيته أو قصره يغرق فى القاذورات، فيهرع إلى الرجل المسكين الذى يصلح البالوعات ليأتيه وينقذه مما هو فيه، أو يحتاج لولد صغير يصلح له سيارته الفارهة إذا تعطلت، ومعه زوجته وأولاده، وهم مسافرون لا يدرون ماذا يفعلون، فكلهم فى هذه الحالة ينتظرون هذا الصبى الصغير، ويتمنون أن يصلح سيارتهم ليواصلوا رحلتهم، كما أن الطبيب يحتاج للنجار، وهو أيضاً يحتاج له، والمهندس يحتاج للسباك، والصيدلى يحتاج للسمكرى، وكلهم يحتاجون للعالِم، والعالِم يحتاج لهم.. وهكذا، فالكل محتاج للكل، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات:١٣] وقال رسوله ﷺ: " **يا أيها الناس! ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا**

لأسود على أحمر إلا بالتقوى" [مسند أحمد] وقد كرم الإسلام الإنسان، ولو كان عبداً حبشياً، كما ذكرنا الأدلة على ذلك فى الرد على الشبهة رقم (٦٨).

أمّا الكتاب المقدس فقد جاء فيه: **فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يَرِث مع ابنى إسحق.** (تكوين٢١: ١٠) وجاء فيه أيضاً: **لكن ماذا يقول الكتاب. اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرَّة. إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرَّة** (الرسالة إلى غلاطية٤: ٣٠-٣١)، والله أعلم.

س٤٥٠- يقول القرآن لمحمد: {وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف:٤٥] كيف يسألهم وقد ماتوا؟

ج٤٥٠- كما قلنا فى الرد على الشبهة رقم (٣٥٦) إن هذا خطاب للناس فى شخصه ﷺ وكأن الله عز وجل يلقّنه الْحُجَّة على المشركين، وهى أن جميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد جاءوا بالتوحيد الخالص، فكيف أتى هؤلاء المشركون بآلهتهم المزعومة؟ وهؤلاء المشركون كانوا يثقون بأهل الكتاب، وكثيراً ما كانوا يسألونهم عن أشياء ليختبروا بها صدق الرسول ﷺ، فليسألوهم: هل فى كتبهم أن الله جعل من دونه آلهة يُعبَدون؟ وسواء كان الخطاب له، أو للناس عن طريقه، فما زال السؤال مطروحاً، وهو: كيف يسألون الرسل قبله؟ رد العلماء على هذا بأنهم يسألون علماءهم، والعلماء ورثة الأنبياء. وعلى أيّة حال فقد قابل الرسول جميع الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - ليلة الإسراء والمعراج، ولكنه لم يسألهم، لأنه على يقين بأن الله لم يجعل معه إلهاً آخر يُعبَد من دونه سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س٤٥١- يقول القرآن: {وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف:٦١] أى أن المسيح سينزل فى آخر الزمان، ويكون كما قال نبيكم حكما عدلاً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فلماذا المسيح بالذات؟ ولِمَ لا يكون أى نبى آخر كنوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو نبيكم؟

ج٤٥١- لم تأخذ أى شخصية فى التاريخ على الإطلاق من الاختلاف والجدل ما أخذته شخصية سيدنا عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وذلك لغرابة مولده، وغرابة رفعه عن سائر البشر، فجميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -

سواء الذين ذكروا فى السؤال، أو غيرهم، ليس عليهم خلاف إلى يومنا هذا، إلا اثنين.. وهما: سيدنا محمد، وسيدنا عيسى، ولكن الخلاف فى سيدنا عيسى أكبر من الخلاف فى سيدنا محمد، فسيدنا عيسى اختلف عليه اليهود والنصارى والمسلمون، اليهود لم يؤمنوا به واعتبروه وُلِدَ من سفاح، وهم ينتظرون مسيحاً آخر يترل فى آخر الزمان، ليناصرهم، ويشد أزرهم، والنصارى غالَوْا فيه وعبدوه وأمَّه من دون الله، فمنهم من قال إنه ابن الله، ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة، ومنهم من قال إنه الله {**سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**} [الإسراء:٤٣] والمسلمون آمنوا به أنه بشر رسول كسائر الرسل. أما سيدنا محمد ﷺ فقد آمن به المسلمون، وكفر به اليهود والنصارى، فكان لابد أن يتضح أمرُ سيدنا عيسى، وليكون حجة على اليهود، وأنه ليس بناصرهم، بل إنه سيقاتلهم، وليكون حجة على الذين عبدوه من دون الله، فيكسر الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية، ويناصر دين سيدنا محمد ﷺ، بل ويصلى خلف أحد المسلمين، وهو المهدى المنتظر الذى يأتى فى آخر الزمان، فتعلم جميع الأمم أن الإسلام هو الحق، وما سواه هو الباطل، قال رسول الله ﷺ: "**ليس بينى وبين عيسى نبى، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، يترل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية، ويُهلِك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهلِك المسيحُ الدجال، فيمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون**" [صحيح الجامع:٥٣٨٩] وقال "**والذى نفسى بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخترير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**" [صحيح الجامع:٧٠٧٧] وهناك شيء آخر لا يقل أهمية.. وهو أن جميع الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد ماتوا، فكيف يحيون مرة أخرى قبل يوم القيامة؟ أما سيدنا عيسى فلم يمت {**بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ**} [النساء:١٥٨] فلابد أن يموت كسائر البشر، وإلا- لكانت الفتنة به أعظم {**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ**} [الأنبياء:٣٤] ولابد أن يعلم الناس بموته، فيترله الله سبحانه وتعالى قبل القيامة ليكون - كما قلنا - حجة على المختلفين فيه، نُصْرَة للمؤمنين به، ويتزوج وينجب، ثم يموت

كسائر البشر، والله أعلم.

س٤٥٢- يقول القرآن: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [الجاثية:٢٥] فلِمَ لم يُحْيِ الله لهم الموتى حتى يؤمنوا، كما أحياهم لعيسى، وكما أخرج الناقة لصالح؟

ج٤٥٢- صحيح أن الله سبحانه وتعالى أحيا الموتى لسيدنا عيسى، وأخرج الناقة لسيدنا صالح - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - ولكن هل آمن قومهما؟ فبرغم هذه المعجزات لم يؤمن منهم إلا القليل، فقوم سيدنا عيسى هَمُّوا بصلبه، لولا أن نجّاه الله منهم، وألقى شَبَهَهُ على غيره، وقوم صالح عقروا ناقته، والذين كفروا بالرسول ﷺ لم يختلفوا عنهم، فإنهم لم يطلبوا إحياء الموتى ليؤمنوا، ولكنهم طلبوه جحوداً وعناداً وتعجيزاً، فلو أحيا الله لهم الموتى لظلوا على كفرهم كأسلافهم، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: {وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء:٥٩] وقوله: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} [الحجر:١٤-١٥] إن سُنَّة الله في كَونه أنه إذا أرسل آية طلبها الناس لكي يؤمنوا، ثم لم يؤمنوا، أن يدمرهم، كما قال عز وجل عندما طلب قوم سيدنا عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء: {قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ} [المائدة:١١٥] فلو أنزل الله للمشركين ما طلبوه ثم لم يؤمنوا لدمرهم، ولم يُبْقِ منهم أحداً، ولكن من رحمته سبحانه وتعالى أنه أمهلهم، وقد آمن منهم الكثير، وخرج من أصلابهم مَن عَبَدَ الله وحده ولم يشرك به شيئاً، فلله الحمد والمنَّة، وله الحمد أولاً وآخراً. ثم إن الرسول ﷺ قد جاءهم بما يعجزهم وهو القرآن الكريم، وغيره من الآيات الدالة على صدقه، والتي كانت سبباً في إسلام الكثير من قومه، فلماذا لم يؤمن به هؤلاء الجاحدون كما آمن غيرهم؟ {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ} [البقرة:١٣] إن كل نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد آتاه الله من البينات ما يثبت صدقه، فلا حاجة لما طلبه هؤلاء المتعنتون، قال رسول الله ﷺ: **"ما من الأنبياء من نبي إلا وقد**

أُعطِيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيتُه وحياً أوحاه الله إلىَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة" [صحيح الجامع:٥٦٨١]، والله أعلم.

س٤٥٣- يقول القرآن: {فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف:٢٠] فهل هناك استكبار بحق؟

ج٤٥٣- إن الكِبْر من المهلكات (أعاذنا الله والمسلمين منه) قال الله عز وجل فى الحديث القدسى: **"الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحداً منهما قذفته فى النار"** [سنن أبى داود، صحيح الجامع:٤٣١١] وقال رسول الله ﷺ: **"لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كِبْر"** قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: **"إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغَمْط الناس"** [صحيح مسلم] ولكن هناك كبراً بحق، وهو فى الحرب على أعداء الله، ففى غزوة أحد لبس سيدنا سَمّاك بن خَرَشَه ﷺ (وكنيته أبو دُجانة) عصابته الحمراء، وحمل سيفه (وكان يُعرف بأنه إذا لبسها فسيقاتل قتالاً مريراً لا يقف أمامه أحد) ثم ركب فرسه، ومشى به أمام المسلمين والمشركين مشية فيها زهو وخيلاء، فامتعض بعض الصحابة ﷺ من مشيته هذه التى لا تناسب المؤمنين الذين قال الله فيهم: {وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا} [الفرقان:٦٣] ولكن الرسول ﷺ حين رآه قال ما معناه: **"إن هذه المِشية يبغضُها الله ورسولُه إلا فى هذا الموْطِن"** لأن فيها إرهاباً للأعداء، وهو ما نسميه بالحرب النفسية، قال تعالى واصفاً أحبّاءَهُ: {أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ} [المائدة:٥٤] وقال: {أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩]، والله أعلم.

س٤٥٤- لقد نسى محمد حين ألّف القرآن ذكر عيسى والإنجيل، فزعم أن القرآن أنزل بعد التوراة، فقال: {قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأحقاف:٣٠]

ج٤٥٤- إن من المعلومات البدائية التى لا يغفل عنها الصغير، فضلاً عن الكبير، أن سيدنا عيسى جاء بعد سيدنا موسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - وأن الإنجيل كان بين التوراة والقرآن، فلو فرضنا جدلاً أن القرآنَ ألفه سيدنا محمد كما تزعمون، فمن

الصعب أن ينسى هذا الأمر، ولكن الجن الذين استمعوا للرسول ﷺ كانوا من اليهود، واليهود لا يعترفون بسيدنا عيسى، كما هو حالهم إلى الآن. كما أن التوراة كتاب دين وشريعة مثل القرآن، أما الإنجيل فهو كتاب عبادات وأخلاقيات، وليس كتاب تشريع، ولكنه يعتمد على التوراة فى التشريع، ولذلك نجد كتاب النصارى - وهو ما يسمى بالكتاب المقدس - يشمل التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) ولا نجد كتاباً للإنجيل وحده، أما التوراة فهى مستقلة بذاتها، إذن فليس بين التوراة والقرآن كتاب سماوى يشابههما، والله أعلم.

س٤٥٥- توجد آيات فى القرآن مضطربة المعنى وغير مفهومة، مثل قوله: {إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح:٨-٩] فلو كانت كلمتا {تُعَزِّرُوه} و{تُوَقِّرُوه} عائدتين على الله لكان كفراً، لأن الله لا يحتاج لمن يعزره (أى يقويه) أو يوقره (أى يحترمه) ولو كانتا عائدتين على محمد فتكون كلمة {تُسَبِّحُوه} عائدة على محمد، وبذلك تكون أيضاً كفراً، لأن التسبيح لا يكون إلا لله، والغالب أن كل هذه الكلمات عائدة على محمد، لأن قواعد اللغة عندكم تقتضى رجوع الكلام إلى أقرب ضمير، وهو محمد.

ج٤٥٥- إن هذه الكلمات الثلاث عائدة على الله سبحانه وتعالى، ولكنها ليست بهذا المعنى السطحى الساذج الذى فهمه السائل، ولكنها تعبيرات مجازية من قبيل قول الله جل وعلا: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:٧] وقوله: {إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن:١٧] فهل الله سبحانه وتعالى يطلب منا النصر والقرض على المعنى الحقيقى؟ إن هذا يُعرف فى اللغة العربية بالتعبير المجازى، ففى الآية الأولى يأمرنا الله سبحانه وتعالى بنصره.. أى بنصر دينه، والذوْد عن حياضه، وحماية بيضته، وفى الآية الثانية يحثنا على الإنفاق فى سبيله، ويسمى هذا قرضاً، وينسبه إليه سبحانه وتعالى، ليكون ذلك أقوى لعزيمتنا فى البذل والعطاء، وأرغبَ فى الأجر والثواب، فكذلك الأمر فى الآية التى نحن بصددها، أى قوله تعالى: {وَتُعَزِّرُوه وَتُوَقِّرُوهُ} أى نعزّر دينه ونوقره، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتحكيم شرعه فى كل كبيرة وصغيرة، وبذل الغالى والرخيص فى سبيل إعلاء كلمته.. إلخ، وهذه الآية

مشابهة لقوله جل وعلا على لسان سيدنا نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام: {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح:١٣] ففى هذه الآية ينكر سيدنا نوح على قومه عدم توقير الله جل وعلا، أى توقير ما أنزله الله إليه من إفراده بالعبودية، وتعظيم أوامره ونواهيه، وخوفه ورجائه.. إلخ، ومشابهة أيضاً (من حيث التعبير المجازى) لما ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة سبحانه وتعالى: "**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعُدْنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدى فلاناً مرض فلم تعُدْه؟ أما علمتَ أنك لو عُدْته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمتكُ فلم تُطعِمنى، فقال: يا رب وكيف أطعمكَ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنه استطعمَكَ عبدى فلان فلم تُطعِمْه، أما علمتَ أنك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتُكَ فلم تسقِنى، قال: يا رب كيف أسقيكَ وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أمَا إنك لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندى**" [صحيح الجامع:١٩١٦] ففى هذا الحديث الشريف ينسب ربنا تبارك وتعالى مرض الإنسان وإطعامه وسقايته لنفسه، على سبيل المجاز، وليس الحقيقة، وإلا.. فهو سبحانه وتعالى الغنى عمَّن سواه، والكل ذليل ومفتقر إليه. ثم إن المتأمل لهذه الآية الكريمة يجد أن أقرب ضمير عائد على الله سبحانه وتعالى، كيف ذلك؟ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فأقرب ضمير هو حرف (الهاء) فى قوله: {رَسُولِهِ} وهو عائد على الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

س٤٥٦- يقول القرآن: {وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح:١٠] كيف يقول: {عَلَيْهُ} بضم الهاء، المفروض أن يقول (عليه) بكسر الهاء، وكذلك يقول: {لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء:١٦٢] والمفروض أن يقول (الراسخين) و(المؤتين الزكاة) و(المؤمنين)

ج٤٥٦- ذكر فى كتاب التبيان فى إعراب القرآن ص٣٢٤ {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} قراءة الجمهور بالياء وفيه عدة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المدح، وأعنى {وَالْمُقِيمِينَ} وهو مذهب البصريين، وإنما يأتى ذلك بعد تمام الكلام، والثانى أنه معطوف على (ما) أى

يؤمنون (بما) أنزل إليك وبالمقيمين، والمراد هم الملائكة. وقيل التقدير: وبدين المقيمين، فيكون المراد هم المسلمين. والثالث أنه معطوف على (قبل) تقديره: ومن قبل المقيمين، فحذف (قبل) وأقيم المضاف إليه مقامه. والرابع: أنه معطوف على الكاف فى {قَبْلِكَ} والخامس: أنه معطوف على الكاف فى {إِلَيْكَ} والسادس: أنه معطوف على الهاء والميم فى {مِنْهُم} وهذه الأوجه الثلاثة الأخيرة لأن فيها عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجارّ. قال القرطبي: وقرأ الحسن ومالك بن دينار وجماعة {والمقيمون} على العطف، وكذا هو فى مصحف عبد الله بن مسعود (من القراءات الشاذة) ومن كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ص٢٨٠ سورة الفتح لمكى بن أبى طالب: قوله تعالى {عَلَيْهُ ٱللَّهَ} قرأه حفص بضم الهاء أتى به على الأصل لصلة الهاء بواو، ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها، فبقيت الضمة، وقرأ الباقون بالكسر، لأنهم أبدلوا من الهاء كسرة للياء التى قبلها، لأن الكسرة بالياء أشبه وهى أخف بعد الياء، فانقلبت الواو ياء، وحذفت لسكونها وسكون اللام بعدها، والله أعلم.

س٤٥٧- يزعم القرآن أن الله قد رضى عن أصحاب محمد الذين بايعوه تحت الشجرة {لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ} [الفتح:١٨] ولكن هؤلاء الصحابة أنفسهم عصوا نبيهم فى مسألة الحلق والنحر، فحزن وقال لأم سلمة: "لقد هلك الناس" وهو يقصد هؤلاء الْمَرْضِىَّ عنهم.

ج٤٥٧- إن الصحابة ﷺ هم الذين اصطفاهم الله لنُصرة دينه، وهم وزراء نبيه ﷺ وهم أفضل خلق الله بعد أنبيائه، ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولكن هذا كان من شدة غمهم وهمهم، ولم يكن عصياناً لأمر نبيهم، وقد حدث ذلك بعد أن وَقَّع الرسول ﷺ صلح الحديبية مع المشركين، وكانت شروط هذا الصلح - فى ظاهر الأمر - مجحفة بالمؤمنين، ولكن الرسول ﷺ وَقَّع عليها لثقته بنصر الله سبحانه وتعالى، وقد كان وَقْعُها سيئاً على أصحابه ﷺ، وما زاد الأمرَ سوءاً أنهم مُنعوا من دخول الحرم، فقد جاءوا مُحْرِمين من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة - أى حوالى خمسمائة كيلو متراً - على أمل الطواف وأداء العمرة التى حُرِموا منها لسنوات عديدة، وقد جاءوا بناءً على رؤيا رآها الرسول ﷺ، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يُصَدُّون عن الحرم وهم على مرمى

حجر منه؟ وهذا البيت لا يُصَد عنه من قصده لابساً الإحرام، ولو كان مشركاً، فكيف يُصَدُّ عنه أهل الإيمان؟ فنزل بالصحابة ﷺ من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله، فلما وقع الصلح أمرهم الرسول ﷺ بحلق رءوسهم ونحر هَدْيهم، فلم يقم أحد منهم من شدة حزنهم، لا عِصياناً منهم، إذ كيف يرجعون كل هذه المسافة دون أن يؤدوا العمرة التى جاءوا من أجلها؟ فهم بشر يحزنون كما يحزن البشر، فتباطأوا فى تنفيذ الأمر، فلما دخل الرسول ﷺ على أم سلمة - رضى الله عنها - وقال لها مقالته، أشارت عليه قائلة: يا رسول الله.. إن القوم نزل بهم من الغم ما نزل، فاخرج عليهم ولا تكلم أحداً منهم، ثم انحر هديك، واحلق رأسك، وسيفعلون إن شاء الله بما أمرتهم به، فلما فعل الرسول ﷺ ما أشارت عليه به قام القوم على الفور - مع ما بهم من الغم - فنحروا هديهم، وحلقوا رءوسهم، وقد بشرهم ربهم بأنه سيحقق لهم رؤيا نبيهم، فقال جل وعلا: {لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح:٢٧] وقد صدقهم الله وعده، فحجوا واعتمروا، آمنين غير خائفين.. والحمد لله رب العالمين.

وقد جاء فى كتابكم المقدس أن معبودكم وعد تلاميذه الاثنى عشر بالجلوس على الكراسى فى الآخرة، يُدِينون أسباط إسرائيل، رغم أن واحداً منهم سلّمه لليهود (على حَدِّ زعمكم) ليقتلوه، فلو كان المسيح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - إله أو ابن إله (كما تدّعون) فكيف يجعل يهوذا الإسخريوطى من المبَشَّرين بهذه المنزلة الرفيعة، وقد خانه، وباعه بثلاثين من الفضة على حَدِّ قولكم؟ وكيف يعتبره - أصلاً - من جملة الاثنى عشر الذين اختارهم ليكونوا أنبياء يحملون رسالته للناس؟

حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يُدْعَى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلّمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلّمه (متى٢٦: ١٥-١٦)

فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يُدْعَىَ الإسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر. فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقوّاد الجند كيف يُسلّمُهُ إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. (لوقا٢٢: ٣-٤)

فأجاب بطرس حينئذ وقال له ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا. فقال له يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كُرْسِيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. (متى١٩: ٢٧-٢٨) ثم كيف يُدينون أسباط إسرائيل يوم القيامة؟ أليس المفروض أن الأنبياء عليهم البلاغ، أما الحساب فعلى الله جل وعلا، كما قال سبحانه لسيدنا محمد ﷺ: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ} [الرعد:٤٠]؟، والله أعلم.

س٤٥٨- يقول القرآن: {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا} [الحجرات:٩] وكان المفروض أن يقول (اقتتلا) وفي الآية نفسها: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} وكان المفروض أن يقول (فأصلحوا بينهم) لأنهما طائفتان وكل طائفة مكونة من أفراد كثيرة، وليسوا فردين.

ج٤٥٨- قال الشيخ الشعراوي (رحمه الله): عندما تتقاتل طائفتان يحدث اشتباك وتلاحم، وتقاتل كل طائفة الأخرى، فهي مجموعة تقاتل مجموعة، وليسوا فردين يقتتلان، فناسب أن يقال: {ٱقْتَتَلُوا} أما عند المصالحة فليس كل فرد من هذه الطائفة يصالح كل فرد من الطائفة الأخرى، ولكن يكفي أن نأتي برئيس أو زعيم كل طائفة فنصلحه مع الزعيم الآخر، وكل زعيم يتكلم بلسان طائفته ويعبر عن رأيهم، ولذلك ناسب أن يقال: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}، والله أعلم.

س٤٥٩- يقول القرآن: {قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا} [الحجرات:١٤] وكان المفروض أن يقول: (قال الأعراب)

ج٤٥٩- {ٱلْأَعْرَابُ} جمع تكسير يعامل معاملة المفرد المؤنث جوازاً، أو المفرد المذكّر، والله أعلم.

س٤٦٠- يقول القرآن: {مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ} [ق:٢٩] إن هذه الآية لا تنفي الظلم عن الله، ولكنها تنفي كثرة الظلم، لأنها قالت: {وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ} ولم تقل (وما ربك بظالم) و(الظلام) صيغة مبالغة تعني كثرة الظلم.

ج٤٦٠- صيغة المبالغة تأتي إمّا للمبالغة في الحدث، أو لتكرار وقوعه، فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - لو قلنا عن إنسان إنه أكول، أو بلهجتنا العاميّة (أكّيل) فإن ذلك يعني

أحد أمرين: إمّا أنه يأكل وجبات بعدد الوجبات الطبيعية نفسه، ولكنه فى كل مرة يأكل كميات كبيرة من الطعام، فذلك هو المبالغة فى الحدث، أو أنه يأكل كميات عادية من الطعام، ولكنه يأكل سبع مرات فى اليوم مثلاً، وذلك هو تكرار الحدث. فالله سبحانه وتعالى لم يقل (وما ربك بظلام للعبد) حتى يكون لهم حينها حجة، ولكنه قال: {بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} فمَعَ كثرة العبيد لو أنه - فرضاً - ظلم كل عبد ظلماً قليلاً جداً (وحاشاه أن يفعل ذلك) لكان مجموع الظلم القليل يعطى معنى الظلم الكثير، والله أعلم.

س٤٦١- يقول القرآن: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] معنى هذا أن الإنسان ينقطع للعبادة فى المساجد، ويترك الانشغال بالحياة وأعمالها، أليست هذه هى الرهبانية التى تنكروها؟ فنحن نرى أن القرآن هو سبب تخلف المسلمين، لأنه حصر حياتهم فى العبادة فقط.

ج٤٦١- ما هو مفهوم العبادة؟ إن العبادة هى الانقياد والطاعة والاستسلام، مع كمال الحب والتعظيم لله رب العالمين، فمعنى كلمة {لِيَعْبُدُونِ} أى ليطيعون، وعمارة الكون طاعة لله جل وعلا، فهو سبحانه الذى قال: {إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة:٣٠] ومن ضمن أوامر الله عز وجل: {فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك:١٥] {فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة:١٠] حتى الحج، الذى هو من أركان الإسلام، لم يحرِّم الله فيه البيع والشراء، طالما أن النية فى الحج خالصة له سبحانه وتعالى، وجاءت التجارة كأمر عارض، فقال جل وعلا: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ} [البقرة:١٩٨] فلو أنه أمرنا بالعبادة بمفهوم الانقطاع فى المساجد كما تقولون، فلِمَ فرض علينا الزكاة، وصِلَة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين.. إلخ؟ وكيف نزكى أو نتصدق ونحن منقطعون للعبادة فى المساجد؟ فلابد من العمل لكى نتكسب ونعطى العباد حقهم، ولكن بشرط أن يكون السعى حلالاً، والرزق من الحلال، وإنفاقه فى الحلال، طاعة لله سبحانه وتعالى. ومن حرص الإسلام على العمل لنفع الناس قول رسول الله ﷺ: "**إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**" [صحيح الجامع:١٤٢٤] "الفسيلة" هى النخلة الصغيرة، وقيل معنى "إذا قامت الساعة" أى

ظهرت أماراتها فلم يبقَ من عمرها إلا القليل، أو هو مبالغة فى الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار، لعمارة هذه الدار.

ثم إنكم تتهموننا بالانقطاع للعبادة وترك العمل، وهو ما جاء به كتابكم المقدس، وها نحن نسوق إليكم بعضاً منه:

وإذ كان يسوع ماشياً عند البحر الجليل أبصر أخوَين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يُلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيّادَين. فقال لهما هَلُمَّ ورائى فأجعلكما صيّادى الناس. فللوقت تركا الشِّباك وتبِعاه. ثم اجتاز من هناك فرأى أخوَين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدى أبيهما يُصلحان شِباكهما فدعاهما. فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبِعاه (متى٤: ١٨-٢٢)

فقال بطرس ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك. فقال لهم الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيتاً أو الوالدين أو إخوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله إلا ويأخذ فى هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية (لوقا١٨: ٢٨-٣٠)

فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوى يعلم أنكم محتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرَّه وهذه كلها تُزاد لكم. فلا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفى اليوم شرّه (متى٦: ٣١-٣٤)

وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى. وقال لهم لا تحملوا شيئاً للطريق لا عَصاً ولا مِزوَداً ولا خُبزاً ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان. (لوقا٩: ٢-٣) مع أن هذا يتناقض مع: **وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط.** [مرقس٦: ٨] ففى النَّص الأول لم يسمح لهم بأخذ أى شىء حتى العصا، وفى النَّص الثانى سمح لهم بأخذها.

وقال له آخر من تلاميذه يا سيِّد ائذن لى أن أمضى أولاً وأدفن أبى. فقال له يسوع اتبعنى ودَعْ الموتى يدفنون موتاهم (متى٨: ٢١-٢٢) لقد نهاه حتى عن دفن أبيه حتى لا ينشغل عن العبادة.

ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا. (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ٨) (كما أنا: أى غير متزوجين) **غير المتزوج يهتم فى ما للرب**

كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقاً. غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً. وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رَجُلها (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس٧: ٣٢-٣٤) أين هذا من قول الله عز وجل: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور:٣٢] وقول رسوله ﷺ: "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء" [صحيح مسلم]؟

بِعْ كل مالك ووزِّع على الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعالَ اتبعنى. (لوقا١٨: ٢٢) أين هذا من قول رسولنا ﷺ لسعد بن أبى وقاص ؓ حين أراد أن يوصى بثلثى ماله أو بنصفه: "الثلُث والثلُث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجِرْتَ بها، حتى ما تجعل فى فِىِّ امرأتك" [صحيح الجامع:٣٠٨٢] وقوله: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس" [صحيح الجامع:٥٠٤٠]؟، والله أعلم.

س٤٦٢- هناك تكرار لبعض الآيات فى سورة (القمر) مثل: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} ومثل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} فلمَ كل هذا التكرار؟

ج٤٦٢- لقد جاء تكرار الآية الكريمة: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} أربع مرات، والقرآن عربى، والأمم التى كانت تتكلم اللغة العربية هى أربع أمم، فقوم سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانوا فى اليمن، وهم أصل العرب (العرب العاربة) وعاد كانوا بالأحقاف فى جنوب اليمن أيضاً، وثمود كانوا فى شمال الجزيرة العربية، وقوم سيدنا محمد ﷺ. وقد تكلمنا من قبل على موضوع تيسير القرآن للذكر فى الرد على الشبهة رقم (٢٦٣) وأنه الكتاب الوحيد فى العالم الذى يحفظه المتعلم والأمى، والكبير والصغير، والعربى والأعجمى، وأنه لا يوجد حَبْر، ولا كاهن، ولا قسيس، ولا أى رجل دين كائناً من كان، يحفظ التوراة أو الإنجيل عن ظهر قلب، أما قوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} فقد جاء ذكرها فى السورة ست مرات، مثل عدد من ذُكِرُوا

من الأمم المكذّبة برسلهم، وهم قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى، ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ولقد جاء التكرار فى الكتاب المقدس كثيراً جداً، وقد أشرنا لبعضه فى الرد على الشبهة رقم (٥٧) وبالله التوفيق، والله أعلم.

س٤٦٣- يقول القرآن فى أول سورة (الرحمن): {ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ} ففى هذه الآيات يقول إنه علّم القرآن ثم خلق الإنسان، فلمن علّمه إذن؟ ألا كان المفروض أن يذكر خلق الإنسان أولاً، ثم يذكر تعليمه القرآن؟

ج٤٦٣- لقد عدد الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة الكريمة نِعَمَه على عباده، وأعظم النعم هى نعمة الدين، وأعظم شىء فى الدين هو تعليم القرآن، كما قال تعالى: {وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ} [القمر:١٧] فقدَّم نعمة تعليم القرآن على نعمة خلق الإنسان، لأنها أعظم نعم الله عليه، فبغير القرآن ماذا يستفيد الإنسان؟ {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] والعبادة لا تكون إلا باتباع القرآن، ومعلوم فى اللغة العربية أن الأهم يذكر قبل المهم. قد يقول قائل: كيف لا يكون للإنسان قيمة بغير القرآن، وهو لم يترل إلا فى آخر الزمان؟ فنقول وبالله التوفيق: إن أتباع الرسل قبل سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - كانت أعظم نعمة بالنسبة لهم هى هدايتهم لدينهم الذى أنزل عليهم، أما هذه الآية فإن الخطاب فيها مُوَجَّه لنا نحن أتباع سيدنا محمد ﷺ فأعظم نعم الله علينا هى تعليمنا القرآن، وهى أيضاً أعظم من نعمة تعليم الكتب السابقة لأتباعها، لأن القرآن أعظم كتب الله جل وعلا، والله سبحانه وتعالى لم يعلّم القرآن لنا وحدنا، بل علّمه للملائكة قبلنا، فقبل أن يَعْلَمَه الإنسان عَلِمَتْهُ ملائكة الرحمن، والله أعلم.

س٤٦٤- يقول القرآن: {يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ۝٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ} [الرحمن:٣٣-٣٥] أنتم تقولون إن الآلاء هى النعم، فأى نعم فى النار والنحاس؟ وكذلك أى آلاء فيما ذكر بعدها من آيات انشقاق السماء والعذاب؟

ج٤٦٤- إن هذا تحذير وتعجيز من الله جل وعلا للثَّقَلَيْن (الإنس والجن) أن يحاولوا أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض، لأنهم لو حاولوا لأرسل عليهم شواظاً من نار ونحاس (والعياذ بالله) فمثلاً - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - إذا حذرك إنسان من المشى فى طريق به مخاطر، وقال لك: إنك لن تستطيع أن تمشى فى هذا الطريق، ولو حاولت المشى فيه لانقلبت سيارتك، لأن به حُفَراً أو كذا أو كذا، أو أن فى هذا الطريق مشاجرة كبيرة فيها إطلاق رصاص، ولو ذهبت إلى هناك لقتلوك، هل يكون فى هذه الحالة أساء إليك أم أنعم عليك؟ أما ما تلاها من آيات العذاب فذِكْرُها هى أيضاً من نعم الله علينا، كيف ذاك؟ لأنها تحذرنا من أن نسلك مسالك الغواية والضلال، حتى لا يكون مصيرنا الهلاك والدمار، ثم أتبعها الله جل وعلا بمصير عباد الرحمن، فقال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ} [الرحمن:٤٦] فمن أول هذه الآية إلى آخر السورة وصف الجنان دار عباد الرحمن، اللهم اجعلنا منهم يا حنّان يا منّان يا ذا الجلال والإكرام.. اللهم آمين، والله أعلم.

س٤٦٥- يقول القرآن: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ} [الحشر:٢١] كيف تخشع الجبال وتتصدع من خشية الله عند وضع القرآن أو قراءته عليها، ونحن نرى سكان الجبال من المسلمين يضعون المصحف عليها، ويقرأونه، ولا يحدث لها أى شيء؟

ج٤٦٥- إن هذا السؤال فيه من الجهل ما فيه، فهل قال الله سبحانه وتعالى (لو وضعنا هذا القرآن على جبل) أم قال: {لَوْ أَنزَلْنَا}؟ وهل وُضِعَ القرآن على رأس رسول الله ﷺ؟ وبمعنى آخر: هل لو وضعنا المصحف على رأس أحد من المسلمين، يرتجف قلبه، ويقشعر جلده، ويبكى من خشية الله؟ إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ: {وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ} [الشعراء:١٩٢-١٩٤] فنزول القرآن على القلب، وليس على البدن كما ظن السائل. والقرآن عبارة عن أوامر ونواهٍ، ومواعظ وأخبار، وترغيب وترهيب، فلو نزل القرآن على جبل، وكُلِّف بالأوامر والنواهى، ووُعِظَ بالموت، وبالجنة والنار، لخشع وتصدع من خشية الله، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب:٧٢] فحين عرض الله عليها الأمانة (وهى التكليف) أبَتْ واختارت العبودية

الجبرية، أما الإنسان فقد اختار العبودية الاختيارية، بمعنى أن السموات والأرض والجبال أَبَيْنَ أن يكونوا مُخيَّرين بين الطاعة والمعصية، لخوفهم ألا يقوموا بحق العبودية لربهم، فيستحقوا بذلك عقابه، واختاروا أن يكونوا عبيداً لله، كالملائكة المجبولة على الطاعة، وليس لها اختيار بين الطاعة والمعصية، أما الإنسان فقد اغتر بعقله، ورضى أن يكون مُخيَّراً بين الطاعة والمعصية، فوقع فيما وقع فيه، ولم يؤدِّ حق الله عليه، إلا ما رحم ربى، وبذلك ظلم نفسه، وهو جاهل بهذه المسئولية الشائكة.

والذين ثارت دهشتهم من تصدُّع الجبل لو أُنزِل القرآن عليه، جاء فى كتابهم المقدس أنهم يستطيعون أن ينقلوا الجبل من مكانه، ويطرحوه فى البحر، وأن الحجارة تصرخ بالتسبيح:

لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له. (مرقس١١: ٢٣)

ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوّات التى نظروا. قائلين مبارك الملك الآتى باسم الرب. سلام فى السماء ومجد فى الأعالى. وأما بعض الفريسيين من الجمع فقالوا له يا معلّم انتهر تلاميذك. فأجاب وقال لهم أقول لكم إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ (لوقا١٩: ٣٧-٤٠)، والله أعلم.

س٤٦٦- يقول القرآن: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [الجمعة:٥] فهل اليهود كذبوا بالتوراة؟

ج٤٦٦- إن اليهود لم يكذبوا بالتوراة بألسنتهم، ولكن كذبوها بعملهم، لأنهم لم يقيموا التوراة كما أمرهم الله، أى أنهم لم يأتمروا بأمرها وينتهوا بنهيها {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [البقرة:٩٣] ليس هذا فحسب، بل إنهم حرَّفوها، مع أن الله عز وجل قد وكَّل إليهم حفظها {بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ} [المائدة:٤٤] والله سبحانه وتعالى خاطبهم بقوله: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة:٨٥] وقد قال

لهم هذا القول لأنهم امتثلوا لبعض أوامره، ولم يمتثلوا للبعض الآخر، فكأنما آمنوا بما فعلوه، وكفروا بما تركوه، والله أعلم.

س٤٦٧- إن القرآن يكسر القاعدة فى العطف، ويجزم الفعل المعطوف على المنصوب فى قوله: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون:١٠] وكان يجب أن يكون السياق كالآتى (فأصدق وأكون) وليس كما جاء فى الآية: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن}

ج٤٦٧- إن هذه الشبهة جاءت فى قوله تعالى: {وَأَكُن} لأنه محذوف الواو وساكن النون، وهو فعل معتل الوسط بالواو أجْوَف، ولا يحذف الواو منه إلا إذا سُكِّن آخره، ولا يسكَّن آخره إلا إذا كان مجزوماً، ويجزم المضارع إذا دخل عليه جازم، أو عطف على مجزوم، ولما لم يدخل على الفعل هنا جازم، ولم يتقدم عليه مجزوم يصح جَزْمُه بالعطف عليه. ولقد وجَّه الإمام الزمخشرى الفعل {وَأَكُن} مجزوماً مردوفاً على الفعل المنصوب {فَأَصَّدَّقَ} بأن قوله تعالى: {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي} فى محل جزم لتضَمُّنه معنى الشرط، فكأنه قيل (إن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين) وكذلك قال ابن عطية وأبو على الفارسى، لم تكن هذه القراءة الوحيدة فى جزم الفعل {أَكُن} فقد قرأه أبو عمرو {وأكون} بالنصب عطفاً على {فَأَصَّدَّقَ} ونرى أن التوجيه بهذا الفعل مجزوم على تضمن عبارة التمنى {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ} أو على الشرط المقدر ب(إن أخرتنى) وقد سبق إلى القول به عَلَمان من أئمة النحو هما الخليل وسيبويه، والذى سوَّغ إيثار عبارة التمنى {لَوْلَا أَخَّرْتَنِي} على الشرط الصريح (إن أخرتنى) أن قائل هذه العبارة يقولها فى ساعة يملكه فيها اليأس من التأخير، وهى ساعة حضور الموت، والتمنى كما نعلم يستعمل فى طلب المحال أو المتعذر، أما الشرط فيستعمل فى الأمور التى لا استحالة فيها ولا تعذُّر، وقرينة جواب الشرط من عبارة التمنى هو جزم الفعل {أَكُن} وسره البلاغى أن من حضرته الوفاة وهو مقصر فى طاعة الله تدفعه شدة الحاجة التى نزلت به إلى طمعٍ من نوعٍ ما مما هو مستحيل أو متعذر الوقوع، ومما تقدم يظهر لنا استقامة العبارة القرآنية وبُعْدُها عن كل خلل، ووفاؤها بالمعنى المراد نحواً وبياناً، والله أعلم.

س٤٦٨- يزعم القرآن أن الأزواج والأولاد أعداء، فى حين أنهم أحب الناس،

فكيف يكونون أعداء؟ واقرأوا إن شئتم: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ} [التغابن:١٤] {وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ} [الأنفال:٢٨]

ج٤٦٨- هل قال الله سبحانه وتعالى (إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم) أم قال: {إِنَّ مِنْ}؟ أى أن بعضهم أعداء، وليسوا كلهم أعداء. وهذه الآية نزلت فى قوم آمنوا بمكة، ولكنهم لم يهاجروا إلى المدينة المنورة كما هاجر غيرهم إلا بعد وقت طويل، وكان السبب فى تعطيلهم عن الهجرة هم أزواجهم وأولادهم، فلمَّا هاجروا وجدوا أن إخوانهم قد سبقوهم، وتفوقوا عليهم فى العلم والجهاد وغير ذلك، فهمُّوا بمعاقبة أهليهم الذين كانوا السبب فى تخلُّفهم عن إخوانهم، فأنزل الله الرحيم على رسوله الكريم {وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} فعفوا عنهم. أما الآية الأخرى فمعناها أن الأموال والأولاد فتنة، والفتنة هى الاختبار أو الامتحان، وتكون بالشر والخير، كما ورد فى قوله جل وعلا: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥] والاختبار لا يُحكَم عليه بذم أو مدح إلا بنتيجته، فمن اختُبِرَ بفتنة المال، فعرف حق الله فيه، وصَرَّفه فيما يرضيه، ولم يستعن به على معصيته، كان له أجر، وإن أخرجه غناه عن طاعة مولاه، وصرَّف النعمة فيما يُغضِب الله، كان عليه وِزْر، وكذلك الفقر والصحة والمرض والتوفيق والنجاح والأولاد (وُجوداً أو عَدَماً) وغير ذلك مما يُبتلى به المرء من خير أو شر، إن اتقى الله فيه كان له أجر، وإن لم يتقه كان عليه وزر، قال رسول الله ﷺ: **"عجباً لأمر المؤمن إن أمرَه كلّه له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له"** [صحيح الجامع:٣٩٨٠] والمال والأولاد من أعظم الفتن، فكم ممن ابتلاه الله بالغنى، فأشِر وبطِر، وطغى وتكبر، ولم يراعِ حق الله فيه، وكم ممن ابتلاه الله بالفقر فسخط وتضجر، واشتكى لغير الله، ولم يصبر على بلواه {فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ} [الفجر:١٥-١٦] وهل ضيَّع الناس - بعد الكفر - إلا الحرص على المال والأولاد والشهوات؟ قال رسول الله ﷺ: **"أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قَدِمَ بشيء من البحرين فأبشرو وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى**

عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلِككم كما أهلكتهم" [صحيح الجامع:١٠٣٦] وقال: **"إن الولد مَبْخلة، مَجْبنة، مَجْهلة، مَحْزنة"** [صحيح الجامع:١٩٩٠] "مبخلة" أى يجعلون آباءهم يبخلون بأموالهم، فإذا دُعوا إلى الإنفاق فى سبيل الله، كالتبرع للمساجد، أو كفالة الأيتام، أو مساعدة الفقراء والمساكين، تذكروا احتياجات أولادهم من الأطعمة، والملابس والأحذية، والكتب والكراريس وغير ذلك.. فبخلوا بأموالهم. "مجبنة" أى يجعلونهم جبناء يتقاعسون عن الجهاد فى سبيل الله، أو لا يقولون كلمة الحق لخوفهم على رزقهم، فمثلاً: لو دُعِىَ أحدهم للشهادة فى مشاجرة بين مديره وأحد السُّعاة، وكان الحق مع الساعى، فيخشى أن يقول الحق خوفاً من مديره أن يطرده من عمله، أو ينقله إلى مكان أقل فى الحوافز أو العمل الإضافى.. إلخ. "مجهلة" أى لا يُمَكِّن الإنسان من الاجتهاد فى طلب العلم وتحصيله، لانشغاله بالسعى على أرزاقهم أيضاً. "محزنة" لكثرة مشاكلهم من مرض، أو رسوب، أو انحراف، أو كثرة احتياجات، أو غير ذلك، والمُوَفَّق من وفقه الله جل وعلا {قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ} [التوبة:٢٤] {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقين:٩-١١]

ثم إنكم تنكرون علينا اعتبار بعض الأزواج والأولاد أعداء، فى حين أن كتابكم المقدس يأمركم بعداوتهم، إذ يقول:

وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يُبغض أباه وأمّه وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً.

(لوقا١٤: ٢٥-٢٦)

فإنى جئتُ لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمّها والكنَّة ضد حماتها. وأعداءُ

الإنسان أهلُ بيته (متى١٠: ٣٥-٣٦)

لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين. واثنان على ثلاثة. ينقسم الأب على الابن والابن على الأب. والأم على البنت والبنت على الأم. والحماة على كنّتها والكنّة على حماتها. (لوقا١٢: ٥٢-٥٣)، والله أعلم.

س٤٦٩- يقول القرآن: {وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ} [الطلاق:٤] هل يبيح الإسلام للرجل أن يتزوج طفلة لم تحض بعد؟

ج٤٦٩- من قال لكم إن التى لم تحِض هى الطفلة فقط؟ إن أطباء النساء، على مستوى العالم أجمع، يُقرُّون بأن هناك حالات كثيرة جداً من النساء اللائى لا يحضن، إمّا لضمور أو تليُّف فى المبيضين، أو اختلال فى هرمونات التبويض، أو اختلال فى وظائف الرحم، أو إصابتهن بأمراض تمنع عنهن الحيض، أو تعرضهن للإشعاع كعلاج للأورام.. إلخ، مع أنهن كاملات الأنوثة كغيرهن، إلا أنهن لا ينجبن. وأحياناً يتأخر مجيء الحيض إلى سن السادسة عشرة، والسابعة عشرة، رغم أن البنت تكون فى كامل أنوثتها كمثيلاتها من البنات اللاتى يحضن، ففى هذه الحالات الاستثنائية تكون عدتهن مثل اللاتى انقطع الطمث عنهن، أى ثلاثة أشهر. أما العقد على الطفلة (وليس البناء بها) فقد أحله بعض الفقهاء فى بعض الحالات، مثل الخوف على البنات والأولاد من الانحراف، فى الأُسَر أو الجاليات المسلمة التى تعيش فى البلاد الكافرة، لضمان جعلها فى عصمة رجل، بدلاً من أن تقع فى حبائل الغواية والرذيلة فى تلك البلاد الكافرة، والله أعلم.

س٤٧٠- يجمع القرآن المثنى مرة أخرى، فيقول: {إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ} [التحريم:٤] وكان المفروض أن يقول (قلباكما)

ج٤٧٠- لقد جُمِعَ (القلب) لأنه ما سُمِّىَ (القلب) قلباً إلا لأنه يتقلّب، قال رسول الله ﷺ: **"إنما سُمِّىَ القلب من تقلّبه، إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلقت فى أصل شجرة، يقلبها الريح ظهراً لبطن"** [صحيح الجامع:٢٣٦٥] فتجده يوماً فرحاً ويوماً حزيناً، يحب يوماً ويبغض يوماً، ينشرح يوماً وينقبض آخر.. وهكذا، ولذلك كان الرسول ﷺ يكثر من قول: **"يا مُقلّب القلوب ثبِّت قلبى على دينِك"** فلما سُئِلَ عن ذلك قال: **"إنه**

ليس آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ" [سنن الترمذى، صحيح الجامع: ٤٨٠١] وتقلب قلب المرأة أكثر من الرجل، لأنها عاطفية أكثر منه، فكأن لها أكثر من قلب، وقد قال الرسول ﷺ للسيدة عائشة رضى الله عنها: **"إنى لأعلم إذا كنتِ عنى راضية وإذا كنت علىَّ غضبَى"** فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ فقال: **"أمّا إذا كنتِ عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنتِ علىَّ غضبى قلتِ: لا ورب إبراهيم"** فقالت: أجل يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك [متفق عليه] ولذلك قال تعالى: {قُلُوبُكُمَا} و لم يقل (قلباكما)، والله أعلم.

س٤٧١- يقول القرآن عن امرأة نوح وامرأة لوط: {وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} [التحريم: ١٠] هنا خطأ لغوى، لأن المفروض أن يقال (ادخلا النار مع الداخلات)

ج٤٧١- إمرأة سيدنا نوح - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - كانت تسخر منه كما يسخر الرجال من قومه {وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ} [هود: ٣٨] فهى التى أشاعت عنه أنه مجنون، رغم ما كانت تراه من ورعه وتقواه، فناسب أنها تدخل النار معهم. وكذلك امرأة سيدنا لوط - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - عندما جاءت الملائكة إليه على هيئة رجال حِسان، صعدت فوق سطح بيتها ولوَّحت لقومها بدِرْعِها أن هَلُمَّ إلى حاجتكم، وهذا فعل الذكور.. فما شأنها به؟ ولكنه مجرد حب وولاء لقومها، ولو على حساب زوجها ودعوته، فناسب أن تدخل النار معهم. كما أن فى لغة العرب يُعامَل الجمع المختلط من الرجال والنساء معاملة جمع المذكّر السالم، فيُلْقَى السلام عليهم جميعاً بصيغة المذكر، وليس المؤنث، ولذلك ناسب أن يقال: {وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ} طالما أن فيهم رجال. وجدير بالذكر أن ننبه على أن خيانة امرأتى نوح ولوط لم تكن خيانة زوجية - كما يظن البعض - ولكنها كانت خيانة عقائدية، والله أعلم.

س٤٧٢- يقول القرآن عن مريم: {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ} [التحريم: ١٢] أليس المفروض أن يقال (وكانت من القانتات)؟

ج٤٧٢- لقد قيل فى هذا تفسيران، وكلاهما صحيح إن شاء الله: الأول إن كثرة

عبادتها لربها وتضرعها وقنوتها لم يكن له مثيل فى النساء إلا القليل، فنُسبَت للقانتين لأنهم كثير جداً لا يحصيهم العد.. مثل الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأتباعهم من عباد الله الصالحين، قال رسول الله ﷺ: **"كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران"** [صحيح البخارى] والقول الثانى هو أنها كانت تتعبد فى بيت المقدس الذى لم يكن فيه نساء غيرها، والباقى كلهم رجال، ولذلك نُسبَت إليهم، كأن يكون هناك مسجد ليس فيه امرأة إلا خادمته، ولها غرفة منفصلة عن الرجال، ولكنها تتعبد معهم، فحين يُذكَر أهله بالصلاح يُقال: (إن فى هذا المسجد صالحين) بما فيهم هذه المرأة، والله أعلم.

س٤٧٣- يقول القرآن: {ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك:٢] فهل الموت خلق أولاً أم الحياة؟

ج٤٧٣- إن الموت خلق أولاً، بدليل قول الله جل وعلا: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة:٢٨] وقوله تعالى عن الكافرين: {قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} [غافر:١١] فنحن كنا مُقدَّرين فى علم الله قبل أن نُخلَق، وكنا فى أصلاب آبائنا كالأموات. ثم إنَّ ذكْرَ الموت قبل الحياة فى الآية الكريمة التى وردت فى السؤال يناسب ما ذُكِرَ بعدها، فإن الله سبحانه وتعالى قال: {ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ} ولكن لماذا خلقهما؟ الإجابة فى بقية الآية {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} فنحن مخلوقون للابتلاء (أى الاختبار أو الامتحان) فذِكْر الموت أولاً يعيننا على ما خُلِقْنا له، لأن الإنسان حين يُذكَّر بالموت فإن ذلك يعينه على الاستعداد له، لأنه سيلقى نتيجة اختباره وامتحانه، إمّا إلى جنة أو إلى نار، ولذلك حثنا رسول الله ﷺ على كثرة ذكر الموت، فقال: **"أكثروا ذكر هادم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره أحد فى ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره فى سَعَة إلا ضيقها عليه"** [صحيح الجامع:١٢١١] أى إن الإنسان إذا ذكر الموت وهو فى "ضيق" فإن هذا يُهوِّن عليه ضيقه، لعلمه أن هذا البلاء سينتهى، وأن الدنيا كلها ستنتهى، فلِمَ كل هذا الحزن؟ كما أن الموت يذكّره بثواب صبره بعد موته على ما هو فيه من الضيق. وكذلك إن ذكره فى "سعة" فإنه يضيقها عليه، حتى لا يخرجه فرحه عن طاعة

ربه، ويعلم أن كل شيء سينتهى، فلِمَ كل هذا الفرح؟، والله أعلم.

س٤٧٤- يقول القرآن: {لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} [القلم:٤٩] كان المفروض أن يقال (لولا أن تداركته نعمة من ربه) لأن النعمة مؤنثة، وكيف يكون النبى مذموماً؟

ج٤٧٤- إن قواعد اللغة العربية تجوِّز تذكير الفعل إذا فُصِلَ بينه وبين فاعله المؤنث بفاصل، ففى الآية المذكورة فى السؤال فصل بين الفعل (تدارك) وفاعله المؤنث بفاصل وهو (الهاء) ومثال ذلك قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ} [الممتحنة:١٠] وفى السورة نفسها: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ} [١٢] فالفعل (جاء) فى الآيتين ورد مذكراً، والفاعل مؤنث.. وهو {ٱلْمُؤْمِنَٰتُ} وذلك لأنه فصل بالضمير (الكاف) المتصلة بميم الجمع فى الآية رقم ١٠ و(الكاف) المفردة فى الآية رقم ١٢، ومِن ثَمَّ جاز تذكير الفعل. كما أن كلمة (نعمة) تطلق على النعم سواء المؤنث منها أو المذكر، فيقال مثلاً: الهداية نعمة، والصحة نعمة، والزوجة نعمة... إلخ، وهذه كلها أشياء مؤنثة. أما المذكر فيقال مثلاً: العقل نعمة، والذكاء نعمة، والتفوق نعمة، والمال نعمة، والولد نعمة.. إلخ، فما الذى أدرك سيدنا يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ لقد أدركه ذكر الله، فكان سبباً فى نجاته، قال الله عز وجل: {فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات:١٤٣-١٤٤] .

وفى موضع آخر: {وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء:٨٧-٨٨] فلولا ذِكْر الله ما نجا، ولذلك جاء فى الآية: {لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ} فالذى تداركه هو الذِّكْر الذى كان سبباً فى نجاته كما قلنا، والذكر نعمة. أما كونه لولا نعمة ربه لكان مذموماً.. أى مُعاتَباً، فإن ذلك بسبب زلّته التى وقع فيها حين خرج من بين قومه غاضباً بغير إذن ربه، فالله سبحانه وتعالى يأمر نبينا ألا يتعجل على قومه كما تعجل أخوه يونس. ولكن لا ينبغى لأى مسلم أن ينتقص من قدر سيدنا يونس، أو يتكلم عليه بسوء، فإن الله سبحانه وتعالى قد غفر له، وقد قال رسول الله ﷺ: **"ما ينبغى لنبى أن يقول: إنى خير من يونس بن متى"** [سنن أبى داود، مسند

أحمد، صحيح الجامع:٥٨٢١]، والله أعلم.

س٤٧٥- يزعم القرآن أن نوحاً يدعو للضلال، فيقول: {وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا} [نوح:٢٤] فكيف يدعو نبى على قومه بالضلال؟

ج٤٧٥- واضح من الآية الكريمة أن سيدنا نوحاً - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدعُ على قومه، ولكنه دعا على الظالمين منهم، و{ٱلظَّٰلِمِينَ} معناها المشركون، بدليل قول الله تعالى: {إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣] ثم إن سيدنا نوحاً لم يدعُ عليهم إلا بعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً، فلم يستجب منهم إلا القليل {وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ} [هود:٤٠] لدرجة أن الآباء كانوا يوصون أبناءهم بعدم الإيمان به، وكل جيل يوصى الذى بعده، فاشتكى إلى ربه {قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا} [نوح:٥-٦] فهذه الدعوة كانت بسبب تمردهم، وعُتُوّهم، وتجبّرهم، كل هذه السنين الطوال، فاستنفدوا صبره فدعا عليهم، لعلمه باستحالة هدايتهم، بعد أن أخبره الله بذلك {وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ} [هود:٣٦]، والله أعلم.

س٤٧٦- هل كان نوح من القسوة بحيث يدعو على قومه، ليس هذا فقط، بل يدعو على الذرية أيضاً، كما حكى عنه القرآن فى قوله: {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا} [نوح:٢٦]؟ وهل من عدل الإله أن يستجيب له؟

ج٤٧٦- إن مثل هذا السائل كمن يقرأ: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} [الماعون:٤] ولا يقرأ الآية التى تليها: {ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} ويقول إن القرآن قد توعد المصلين بالويل، ومثل من يقرأ: {لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ} [النساء:٤٣] ولا يكمل الآية. إن سيدنا نوحاً - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لم يدعُ على قومه إلا بعد علمه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن {وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ} [هود:٣٦] ولم يدعُ عليهم إلا بعد أن أتعبوه أشد التعب، فقد لبث فيهم {أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} [العنكبوت:١٤] يدعوهم {لَيْلًا وَنَهَارًا} [نوح:٥] فلم يزدهم دعاؤه {إِلَّا فِرَارًا} [نوح:٦] وكان كل جيل يوصى الجيل الذى بعده بعدم الإيمان به، فكان الرجل يأخذ ولده ويذهب به ليريه سيدنا نوحاً، ويقول له: لا تؤمن بهذا الرجل.. إنه كذاب، وعندما يكبر هذا الولد

وينجب، يقول لابنه الكلام نفسه، فدعا عليهم لعلمه أنه لن يؤمن منهم أحد، ولن يؤمن من ذرياتهم أحد، فكل من سيأتى من أصلابهم فسيكون كافراً {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح:٢٧] فهل موت الأطفال وهم صغار قبل أن يكتب عليهم القلم أفضل؟ أم بعد أن يبلغوا الحُلُمَ فيكفروا فيدخلوا النار؟

وقد جاء فى الكتاب المقدس أن النبى (اليَشَع) دعا على الأطفال: **ثم صعد من هناك إلى بيت إيل. وفيما هو صاعد فى الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له اصعد يا أقرع. اصعد يا أقرع. فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجت دُبَّتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولداً.** (الملوك الثانى٢: ٢٣-٢٤)، والله أعلم.

س٤٧٧- يقول القرآن عن كفرة الجن: {وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن:١٥] وهم مخلوقون من النار بنص القرآن، فكيف يُعَذبون بما خلقوا منه؟

ج٤٧٧- ذُكِرَ لنا أن الإمام أبا حنيفة (رحمه الله تعالى) سُئِلَ هذا السؤال، فأجاب إجابة عملية بأن ضرب الذى سأله بحجر فأوجعه، ليثبت له أن الإنسان الذى خُلِقَ من الأرض، فإنه يعذب بشىء من جنس ما خُلِقَ منه، كأن يضرب بحجر، أو تقع عليه صخرة، أو... إلخ، فكذلك الجن يعذبون بجنس ما خُلِقُوا منه، والله أعلم.

س٤٧٨- إن القرآن يُصرِّف الممنوع من الصرف فى قوله: {إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَاْ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا} [الإنسان:٤] وقوله: {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ} [الإنسان:١٥] ففى الآية الأولى جاءت كلمة {سَلَـٰسِلَاْ} بالتنوين، مع أنها لا تنوَّن لمنعها من الصرف، وكذلك جاءت كلمة {قَوَارِيرَا} منوَّنة، وهى ممنوعة من الصرف أيضاً.

ج٤٧٨- قولهم إن الكلمتين {سَلَـٰسِلَاْ} و{قَوَارِيرَا} تقرآن بالتنوين فيه مغالطة، لأن التنوين نون ساكنة فى آخر الكلمة تُنطق فى الوصل دون الوقف، ولا تُكتب، يعنى لا صورة لها فى الكتابة والخط. وفى هذا افتراء لأن الكلمتين فى قراءة حفص عن عاصم وغيرهما لا تنوَّنان، وإنما يوقف عليهما بالفتح لا غير، ولا يُلتفت إلى حرف (الألف) الذى فى آخر كل منهما. وللقراء فى هاتين الكلمتين مذاهب، وبها نزل القرآن، فقد قرأ نافع

وابن كثير والكسائى وأبو جعفر {قَوَارِيرًا} بالتنوين مصروفة منوَّنة فى الموضعين، وقرأ الباقون ومنهم (حفص عن عاصم) {سَلَٰسِلَا۟} و{قَوَارِيرَا۟} بدون تنوين على المنع من الصرف، وعلة المنع من الصرف هى صيغة منتهى الجموع. والذين قرأوهما مصروفتين لهم سند فى ذلك. ووجه صرف الكلمتين أن بعض العرب كانت تصرف كل الكلام، وليس فى لهجتهم كلام مصروف وكلام غير مصروف، بل كله مصروف، والقرآن نزل أصلاً بلغة قريش، ثم بلهجات القبائل العربية الأخرى، والله أعلم.

س٤٧٩- جاءت الآية: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} عدة مرات فى سورة (المرسلات) أليس هذا تكراراً مُملاً؟

ج٤٧٩- إن تكذيب الأمم لأنبيائهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - لم يكن قليلاً، بل إن معظمهم كذبهم، فناسب ذلك تكرار الوعيد لهم، فإن التكرير يفيد التقرير، وهو أيضاً تخويف لجميع الأمم التى خوطبت بالقرآن إلى يوم القيامة أن تحذو حذوهم، فيكون مصيرها مصيرهم، فما قلناه عن تكرار قصص الأنبياء فى الرد على الشبهة رقم (٥٧) نقوله عن تكرار هذه الآية، وذلك لخطورة عاقبة التكذيب، ولبيان غضب الله عز وجل على المكذبين، فلو ذُكِرَ الويل لهم مرة أو مرتين لم يكن فى ذلك بيان لخطورة أمرهم، وما إليه مآلهم، والله أعلم.

س٤٨٠- يقول القرآن: {عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ:١-٣] ولم يكن المشركون مختلفين فى أمر القيامة، فقد كانوا جميعاً كافرين به.

ج٤٨٠- إن أمر القيامة مُختَلف فيه بين أهل الشرك والكفر، فطائفة تنكره تماماً، وتقول عن الدنيا إنما أرحام تدفع وقبور تبلع، وهؤلاء هم الدهريون، ويُسَمّون بلغتنا (الملحدين) وطائفة أخرى تقر بالبعث، ولكنها لا تقر بالجنة والنار، حتى إنهم يضعون بجانب الميت طعامه وشرابه وملابسه وزينته، حتى إذا قام من موته وجد هذه الأشياء بجواره فيتنعم بها، وهؤلاء مثل قدماء المصريين، والله أعلم.

س٤٨١- يقول القرآن: {ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ} [النازعات:٢٧-٣٠]

هذه الآيات تذكر خلق الأرض بعد السماء، عكس جميع الآيات التى تتحدث عن خلق الأرض قبل السماء.

ج٤٨١- هل قالت الآية (والأرض بعد ذلك خلقها) حتى تكون لكم الحجة؟ لقد قالت: {وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ} أى إن الأرض كانت مخلوقة قبل السموات، ولكن دَحْوَها كان بعد خلق السموات، والدَّحْو جاء تفسيره فى الآية التى بعدها: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا} وهذا ما أثبته العلم الحديث، والله أعلم.

س٤٨٢- لماذا عاتب ربُّكم نبيَّكم على أنه عبس فى وجه عبد الله بن أم مكتوم، مع أنه كان هو المخطئ لقطع الكلام عليه؟ أليس من حقه أن يؤدب أصحابه؟ والغريب فى السورة أن القرآن أعز عبد الله بن أم مكتوم حين عاتب فيه محمداً، ثم أهانه حينما قال عنه: {ٱلْأَعْمَىٰ}

ج٤٨٢- لقد عاتب ربنا نبينا ﷺ لأن العبوس كان أمام المشركين، مما يوحى للمشاهد أن هؤلاء المشركين أفضل من عبد الله بن أم مكتوم ﷺ فهو مأذون له فى تأديب أصحابه، ولكن ليس أمام المشركين، حتى لا يشمتوا ويظنوا أنهم أفضل منه. والقرآن لم يُهِن عبد الله حين سماه {ٱلْأَعْمَىٰ} ولكن هذا تشريف له، وكأن الله يقول للرسول ﷺ هذا الرجل أفضل عندى من المشركين، برغم أنه أعمى. وهذا العتاب يدل على أن القرآن منزّل من عند الله جل وعلا، فلو كان من قول سيدنا محمد ﷺ لَمَا ذكر هذه الآيات التى تعاتبه، والله أعلم.

س٤٨٣- يقول القرآن: {قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ} [عبس:١٧] ويقول: {قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} [التوبة:٣٠] فهل الله يدعو على أحد بالقتل؟

ج٤٨٣- {قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ} ليست دعاء، ولكنها صيغة تعجب من الإنسان الذى مَنَّ الله عليه بوجوده من العدم، وأنعم عليه بكل النعم، وبعد ذلك يجحد وجوده، ويُضيِّع حقوقه، ويعصى أوامره، فموته أوْلى به، كمن - {وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ} - يربى أولاده، وينفق عليهم، ولا يقصِّر فى حقهم، ثم يجحدون فضله، ولا يؤدون له حقه، فيقول: أنا الذى ربيتهم، وفعلت كذا وكذا، ثم لم يحفظوا جميلى عليهم، وإحسانى إليهم، فموهم عندى أفضل من حياهم. أمّا {قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} أى أنهم كذبوا على الله جل

وعلا، وادَّعَوْا أن له ابناً، لأن الإفك معناه الكذب، والآية تقول: {وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ} فكلمة {قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ} إذا جاءت من العبد فهى دعاء، وربما يستجيب الله أو لا يستجيب، أمَا وقائلها هو الله عز وجل فإن ذلك يعنى أن هلاكهم حتمى، لأنها من القادر على كل شيء، فهى ليست دعاء من الله عليهم، ولكنها إيذان منه بهلاكهم، بسبب اجترائهم عليه بنسبة الولد إليه، والله أعلم.

س٤٨٤- إن القرآن يُقحم نفسه فى أمور علمية لا دخل له بها، فيقول فى سورة (الطارق) عن خلق الإنسان إنه: {يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ} مع أن هذا مخالف لما أثبته العلم الحديث.

ج٤٨٤- الله أكبر.. نحن نشكركم لأن أسئلتكم تلقى الضوء على الإعجاز العلمى للقرآن الذى ربما يغفل عنه كثير من المسلمين، إن قوله تعالى: {مَّآءٍ دَافِقٍ} يشير إلى منى الرجل، لأنه هو الذى يخرج بتدفق، وقد أثبت علم الأجنَّة أن بداية تكوين الخصية (التى هى مصنع الحيوانات المنوية عند الرجل) يبدأ فى مكان فى أعلى البطن (من الخلف) فى الزاوية الحادة التى بين العمود الفقرى (الصلب) وآخر ضلع من القفص الصدرى (الترائب) وتسمى (الزاوية البولية أو الكُلَويَّة) نسبة لتكوين الكُلْيَة في هذا المكان، ثم تنزل الخصية بعد ذلك فى الكيس الخاص بها، لأن الحيوانات المنوية لا تتحمل درجة حرارة الجسم الداخلية.

وقد جاءت فى الكتاب المقدس مخالفة علمية صريحة فى قوله: **وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان. وكان فى ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قِرمِزاً قائلة هذا خرج أولاً. ولكن حين ردَّ يده إذا أخوه قد خرج. فقالت لماذا اقتحمت. عليك اقتحام. فدُعِىَ اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذى على يده القِرمِز. فدُعِىَ اسمه زارح** (تكوين٣٨: ٢٧-٣٠) إن نزول يد طفل من رَحِم أمه، ثم رفعها، ثم نزول الطفل الآخر، لأمْر مستحيل، لأن الطفل الذى ينزل ذراعه يكون هو المتصدِّر فى مقدمة الرَّحِم، ويستحيل صعوده، ثم نزول أخيه لضيق المكان، واسألوا أساتذة علم الولادة إن كنتم لا تعلمون، والله أعلم.

س٤٨٥- يقول القرآن: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق:١٥-١٦] فهل الله كائد أو كياد؟

ج٤٨٥- حاشا لله سبحانه وتعالى أن يوصف بهذا الوصف، ولكن ما قلناه فى الرد على الشبهة رقم (٤٢٦) من أن قول الله جل وعلا: {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل:٥٠] يعتبر من باب المشاكلة اللفظية، نقوله أيضاً عن هذه الآية التى نحن بصددها، فالكفار يكيدون للإسلام والمسلمين، والله سبحانه وتعالى يعاقبهم على هذا الكيد، ولكنه ذكر العقاب بلفظ (الكيد) ليكون الجزاء من جنس العمل. ولنضرب مثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لرد الكيد بكيد أكبر منه بحشرة صغيرة سارت على كتابك وأنت تقرؤه، فحركتها بقلمك، فسكنت مكانها لِتُوهِمَك أنها ماتت، ولكنك تعرف مكرها، ولا يخفى عليك فعلها فقتلتها، أو استدرجتها لمكان آخر حتى تهلك دون أن تلوِّث كتابك. إن الله سبحانه وتعالى يعلم كيد الكائدين، ولا يخفى عليه شىء من أمرهم، ولكنه يمهلهم حتى يتمادوا فى طغيانهم، ثم يأخذهم {أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر:٤٢] قال تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم:٤٤-٤٥] وقال رسوله ﷺ: "**إن الله لَيُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**، ثم قرأ: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}" [صحيح البخارى] فمثلاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - لو أنك أردت أن تكسر أحداً.. فهل تلقى به من فوق السجادة، أم أنك ترفعه إلى أعلى، ثم تلقى به من شاهق؟ فهل رفعك إياه كان لمصلحته، أم أنك أردت أن تكون إصابته أشد؟ ومثال ذلك أيضاً - {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ} - كالجزار الذى يريد أن يصعد بثور ضخم إلى سطح منزل عالٍ ليذبحه، فيجوِّعه ثم يستدرجه بحزمة من البرسيم ليصعد به ثم يذبحه، ومثل انسحاب جيش أمام الآخر ليوهمه أنه مغلوب، فى حين أنه يعد له كميناً. ومن أمثلة مكر الله بالكافرين أن يجعل كيدهم فى نحورهم، ويَكُف شرهم عن المسلمين، ويجعل ما فعلوه من الكيد والمكر فى مصلحة الإسلام والمسلمين، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل من الضر نفعاً، ومن النفع ضراً، والله أعلم.

س٤٨٦- كيف يعيب القرآن على الإنسان اعترافه بنعمة ربه {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}؟ وكيف يسمى (الإكرام) بلاء؟ ثم يقول:

{وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ} [الفجر:١٦] وهذه حقيقة أن الفقر بلاء، وأنه يهين الإنسان، قال على بن أبي طالب: لو كان الفقر رجلاً لقتلته، ثم يساوى القرآن بعد ذلك فى الذم بين الإكرام والتضييق.

ج٤٨٦- إنّ بَسْطَ الرزق وتضييقه ابتلاء للعبد، فإذا بسط الله له رزقه فقد اختبره أيشكر أم يكفر، وإذا ضيق عليه فقد اختبره أيصبر أم يجزع، فساوى بينهما لأنهما بلاء، كما قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥] ولكن بسط الرزق أو تضييقه ليس مقياساً لتكريم الله الحقيقى لعبده أوْ إهانته، وإن كان تكريماً له فى الدنيا {فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ} فكم ممن بسط الله لهم الأرزاق، وهم لا يساوون عند الله جناح بعوضة، وكم ممن ضُيّق عليه رزقه، وهو كريم على الله سبحانه وتعالى، ذلك بأن تفاضُل الناس عند الله بالتقوى، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات:١٣] وقال رسوله ﷺ: **"إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا}"**[متفق عليه] وقال: **"كم من أشعث أغبر ذى طِمْرين لا يؤبَه له، لو أقسم على الله لأبرَّه"** [سنن الترمذى، صحيح الجامع:٤٥٧٣]"طِمْرين" تثنية (طمر) وهو الثوب الخَلق.. أى القديم. وقال: **"إن الله تعالى لا ينظر إلى صُوَركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"** [صحيح الجامع:١٨٦٢] ولكن رغم هذه الآيات والأحاديث وغيرها فإن كثيراً من المسلمين – وللأسف – يعتبرون الذى وسَّع الله عليه فى المال والأولاد، والمسكن والمَرْكب، وغير ذلك من مظاهر النعيم، أنه راضٍ عنه، والذى ابتلاه بالفقر والمرض، وقلة الأولاد أو عدمهم، وضيق المسكن، أنه ساخط عليه، ولذلك ختم الله سبحانه وتعالى الآيتين بقوله: {كَلَّا} أى ليس الأمر كما تظنون بالنسبة للإكرام والإهانة، والله أعلم.

س٤٨٧- يقول القرآن: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد:٣] والمقصود هما إسماعيل ومحمد حسب بعض التفاسير عندكم، ولأن المولود عاقل فكان الصحيح أن يقول (ومن ولد) لأن (من) تدخل على العاقل.

ج٤٨٧- إن المولود وإن كان من البشر العقلاء إلا أنه لا يعقل وهو رضيع، فليس عند أى رضيع عقل بالمرة، فلذلك جاء بما يناسبه وهو حرف (ما)، والله أعلم.

س٤٨٨- يقول القرآن: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا} [الشمس٧-٨] كيف يلهمها فجورها ثم يعذبها؟

ج٤٨٨- ولماذا لم تسألوا أيضاً وتقولوا: كيف يلهمها تقواها ثم ينعِّمها؟ إن إلهام الله سبحانه وتعالى للنفس بالفجور أو التقوى ليس قهراً لها، ولكنه إيحاء وشعور داخلى يميز به الإنسان بين الحق والباطل، وبين الخير والشر. وكما قلنا فى الرد على الشبهة رقم (٥٣) إن النفس البشرية السَّويَّة تستطيع بفطرتها التى فطرها الله عليها أن تفرق بين الخير والشر، بدليل أن أعتَى العُصاة لو سألته عن أفعاله القبيحة أهى حلال أم حرام، لقال لك إنها حرام، دون أن يعلم الدليل على حُرْمَتها، وإذا سألته هل يعتبر أفعاله صالحة أم قبيحة، لقال إنها قبيحة، وبدليل أن الدول الكافرة والمشركة تتفق فى كثير من الأحيان فى تحريم ما حرمه الإسلام وجميع المِلَل، كالقتل، والسرقة، والزنى، وغير ذلك من المحرَّمات. فالنفس البشرية مهيَّأة لأن تكون صالحة أو فاسدة، والإنسان هو الذى يقوِّى أحد الأمرين فى نفسه، ولذلك قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا} [الشمس:٩-١٠]

وإلهام الله تعالى للنفس بالتمييز بين الفجور والتقوى من رحمة الله سبحانه وتعالى. أما الكتاب المقدس فقد زعم أن الله لا يريد لبنى آدم أن يميزوا بين الخير والشر، فقال:

وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. (تكوين٢: ١٥-١٧) فهل الله لا يريد للبشر أن يعرفوا الخير من الشر؟ فكيف يُوَفَّقون فى دنياهم وآخرتهم إذن؟ وكيف يُحاسَبون على أفعالهم يوم القيامة، وهم لا يدرون أهى خير أم شر؟، والله أعلم.

س٤٨٩- يقول القرآن: {وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا} [الشمس:٥-٧] أليس من المفروض أن يقال (ومن بناها) (ومن طحاها).. إلخ، لأن (ما) لغير العاقل، و(من) للعاقل؟

ج٤٨٩- إن {ما} فى الآيات الكريمة مصدرية، أى أنها تُؤَوَّل مع فعلها إلى مصدر صريح (وبنائها، وطحوها) وليست لضمير المتكلم، فلا تعنى عاقلاً أو غير عاقل، كما جاء فى قوله تعالى: {بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ} [يس:٢٧] ومثل: {وَلَا تَنكِحُواْ مَا

نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ} [النساء:٢٢]، والله أعلم.

س٤٩٠- إن القرآن ينص على أن نبيكم كان ضالاً، فيقول: {وَوَجَدَكَ ضَآلاً فَهَدَىٰ} [الضحى:٧]

ج٤٩٠- ما معنى كلمة (ضال)؟ إن معناها (تائه) أو (حائر) بأدلةٍ كثيرة، منها قول الرسول ﷺ: **"يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، والله لله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلىَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، ومن تقرب إلىَّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً، وإن أقبل إلىَّ يمشى أقبلتُ إليه أهرول"** [صحيح الجامع:٨١٣٨] والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: "ضالته" والرسول ﷺ كان قبل بعثته حائراً لا يعرف الحقيقة، فهو يرى قومه يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويشربون الخمر، ويقطعون الرحم، ويسيئون الجوار، وغير ذلك من الشمائل والخصال التى لا يرضاها عاقل، وكان أثقل شيء عليه هو عبادتهم لهذه الأصنام التى لا تنفع ولا تضر، يصنعونها بأيديهم، ثم يسجدون لها، ويقدمون لها القرابين، فكان يدرك بفطرته السليمة أنه لابد لهذا الكون من خالق عظيم، خلق كل شيء، ولم يخلقه شيء، ولكنه كان لا يعرف الطريق إلى هذا الخالق العظيم جل جلاله، ولا صفاته، ولا أوامره ونواهيه، ولا ثوابه وعقابه، فكان يذهب إلى غار حراء، وينقطع فيه الليالى ذوات العدد، ليتفكر فى هذا الكون الهائل المحيط به، ويُقلِّب وجهه فى السماء، يتفكر فى خالقها الذى أبدعها بهذا الجمال والكمال، إلى أن منَّ الله عليه وهداه، وجعله هداية ورحمة للعالمين، ففتح به أعيناً عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً، فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله. فلا قياس إذن بين حيرته ﷺ قبل هدايته، وبين ضلال الكافرين الذى رماه به المبطلون، والله أعلم.

س٤٩١- إن القرآن قد خالف ترتيب الرسل فقال: {وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ} [التين:١-٣] لقد بدأ بعيسى ثم موسى ثم محمد.

ج٤٩١- إن ترتيب الرسل تعرفه الأطفال، ولا يحتاج لنبوغ هؤلاء الأعداء. إن الله عز وجل لم يُقسِم بالتوراة التى أنزلها على سيدنا موسى، ثم بالإنجيل الذى أنزله على سيدنا عيسى، ثم بالقرآن الذى أنزله على سيدنا محمد، حتى يكون الترتيب حسب إرسالهم،

ولكن ﴿ٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ إشارة لمكان رسالة سيدنا عيسى فى فلسطين، فهى إشارة للمكان وليست للرسول، و﴿طُورِ سِينِينَ﴾ هو المكان الذى كلم الله عنده سيدنا موسى، وهو فى سيناء بمصر، و﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ إشارة لمكان رسالة سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهو أفضل الأماكن على الإطلاق، لأنه مهبط آخر وحى السماء لأهل الأرض، وبه الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. ولقد قال العلماء: إن هذا قَسَم، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا على أمر خطير، فهذا الترتيب يشير إلى خطورة فلسطين، لأنها البوابة الشمالية للحجاز، وهى البوابة الشرقية لمصر، وهذه هى المواقع الرئيسية التى من الممكن أن يقصدها أعداء الإسلام ليقتلعوا الدين ويهدموا الكعبة، ولكن هيهات هيهات، فلن يمكنهم الله عز وجل من ذلك إن شاء الله تعالى. فالترتيب فى الآيات الكريمة كأنه ترتيب استراتيجى أو عسكرى، لِلَفْت الانتباه إلى ما يؤدى لبلد الله الحرام، فإذا ضاعت فلسطين ضاعت سيناء، وهذا ما حدث، فقد احتلتها إسرائيل عام ٥٦ ثم خرجت منها بقرار من الأمم المتحدة، ثم احتلتها مرة أخرى عام ٦٧، ثم أُخرِجَت منها فى رمضان عام ٧٣. فمصر هى قلب العرب، وذراعهم اليمنى، ولو قُطِعَت الذراع اليمنى لوقع العرب.

ونريد أن نسألكم بمناسبة ذكر التين: هل لعن معبودكم شجرة التين ثم طهَّر الهيكل، أم طهر الهيكل ثم لعن الشجرة؟ وها هو التناقض نطرحه بين أيديكم:

ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقَلَب موائد الصيارِفة وكراسى باعَة الحمام وقال لهم. مكتوب بيتى بيت الصلاة يُدعَى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص... ثم تركهم وخرج خارج المدينة الى بيت عِنيا وبات هناك وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منكِ ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة فى الحال. فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال. فأجاب يسوع وقال لهم. الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشُكُّون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون. (متى٢١: ١٢-٢١)

وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً. لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منكِ ثمراً بعد إلى الأبد. وكان تلاميذه يسمعون وجاءوا إلى أورشليم. ولما دخل يسوع الهيكل ابتدا يُخرِج الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقَلَب موائد الصيارِفة وكراسى باعَة الحمام. ولم يَدَعْ أحداً يجتاز الهيكل بمتاع... ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول. فتذكر بطرس وقال له يا سيدى انظر. التينة التى لعنتَها قد يبست. فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله. لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يَشُكّ فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلُّون فآمنوا إن تنالوه فيكون لكم. (مرقس١١: ١٢-٢٤)

إن النَّص الأول يوضح أن الدعاء على شجرة التين كان بعد تطهير الهيكل، بعكس ما جاء فى النَّص الثانى من أن الدعاء عليها كان قبل تطهيره، كما أن النَّص الأول ذكر أن التينة يبست فى الحال بعد الدعاء عليها، أمَّا النص الثانى فيقول إنها يبست فى اليوم التالى.

ونحن نسألكم: ما ذنب شجرة التين إذ لم تثمر؟ ولو كان إلهاً - كما تدَّعون - ألم يكن يعلم أنه ليس وقت ثمرها؟ وهل كان فى حاجة إلى أن يصل إليها - بعدما رآها من بعيد - حتى يعلم أن بها تيناً أم لا؟ وهل جاء أحد بعده - أو فى زمنه - ممن آمنوا به أمر أى جبل أن ينطرح فى البحر فانطرح، أو نال كل ما يطلبه فى صلاته، وكأنه يقول للشىء كن فيكون؟، والله أعلم.

س٤٩٢- جاء فى سورة (التين) جمع (سيناء) فقال عنها محمد: {سِينِينَ} مع أنها لا تُجمَع، وقد فعل محمد ذلك تكلفاً للسجع فى هذه السورة {وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ}

ج٤٩٢- إن {سِينِينَ} ليست جمعاً لسيناء، ولكنها اسم آخر من أسمائها الأربعة، فهى {سَيْنَآءَ} [النمل:٢٠] بفتح السين، و(سِيناء) بكسرها، و(سَيْنا) و{سِينِينَ} [التين:٢] كما أن مكة لها أكثر من اسم، فهى {مَكَّةَ} [الفتح:٢٤] و(بَكَّه) {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى

بِبَكَّةَ} [آل عمران:٩٦] و{ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ} [التين:٣] و{أُمَّ ٱلْقُرَىٰ} [الشورى:٧] و{ٱلْبَلَدِ} [البلد:١] و{ٱلْبَلْدَةِ} [النمل:٩١]، والله أعلم.

س٤٩٣- كيف يقول القرآن لنبيكم: {ٱقْرَأْ} [العلق:١] وهو لا يعرف القراءة؟

ج٤٩٣- من الذى قال له: {ٱقْرَأْ}؟ إنه الله سبحانه وتعالى عن طريق سيدنا جبريل عليه السلام، أليس كذلك؟ فإذا قال الله الخالق القادر لأى شىء {ٱقْرَأْ} لقرأ ولو كان جماداً {إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [يس:٨٢] وقد قال الرسول ﷺ مرتين: "ما أنا بقارئ" فقال له سيدنا جبريل فى الثالثة: {ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥] والرسول ﷺ لم يقرأ فى كتاب، فقد عاش أمياً ومات أمياً، ولكن قراءته كانت تلقيناً من سيدنا جبريل عليه السلام. وهنا قد يتساءل أحد ويقول: ما دامت قراءة الرسول كانت تلقيناً وليست من كتاب، فما وجه الإعجاز إذن؟ ونقول له: لو أن الرسول ﷺ علم القراءة لَمَا كان فى حفظه للقرآن إعجاز، لأنه سيراجعه مراراً وتكراراً حتى يثبت، كما يفعل أحدنا إذا أراد أن يحفظ شيئاً فلابد أن يراجعه عدة مرات، ولو كان متعلماً تعليماً عالياً، أما الرسول ﷺ النبى الأمى فكان يحفظه بمجرد السماع مرة واحدة، والدليل على ذلك أنه حين أراد أن يردد خلف سيدنا جبريل عليه السلام قال الله له: {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [القيامة:١٦-١٩] ليس هذا فحسب، بل كان من شدة حفظه ﷺ أنه إذا نزلت عليه الآية يقول: ضعوها فى سورة كذا بعد آية كذا، ثم حين يصلى بأصحابه رضي الله عنهم يقرأ السورة بالإضافة الجديدة التى أمرهم بكتابتها، دون أن يختلط عليه الأمر، فمن منا يستطيع ذلك؟ لقد كان ﷺ يردده على مر السنين كما هو، فى حين أن أحدنا - ولو كان أمهر خطيب - لو قلت له بعد خطبته مباشرة: أعِدْ ما قلته تماماً، بحيث لا تُنقص منه ولا تزيد عليه لَمَا استطاع. وشىء آخر: من علَّم الرسولَ ﷺ الفرق بين نطق {الٓمٓ} التى فى أول سورة (البقرة) وغيرها، و{أَلَمْ} التى فى سورة (الشرح) وغيرها؟ إن الأمى يمكنه أن يحفظ الآية، ولكن لا يعرف حروفها، فإذا قلت له: (تهجَّى) كلمة كذا لَمَا استطاع، أما الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى علمه فكان ينطق {الٓمٓ} فى أول سورة (البقرة) وغيرها:

ألِف لام ميم، أما الأخرى فينطقها {أَلَم}. وأميَّة الرسول ﷺ يلتبس أمرها على بعض الناس، وربما تفاخر الأمى بأميته وقال: أنا مثل الرسول. ونقول له: إن أمية أى أحد منا تعتبر عيباً، أما فى حقه ﷺ فهى شرف.. لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى علمه، أما نحن فعلمنا البشر، وهذا كرم من الله جل وعلا، أما تعليم الرسول فكان من الله، ولذلك فهى من {ٱلْأَكْرَمُ} [العلق:٣]، والله أعلم.

س٤٩٤- يقول القرآن: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة:٧-٨] طالما أن كل إنسان يرى ما عمله من خير أو شر، فما فائدة التوبة؟ وإذا كان الحساب يوم القيامة على الشر بمثقال الذرة، فأين كرم الكريم، ورحمة الرحيم؟

ج٤٩٤- إن للتوبة فوائد عظيمة لا ينكرها إلا جاحد، وهناك من الآيات والأحاديث التي تثبت فضلها ما لا يخفى على الكبير ولا الصغير، أما رؤية الإنسان لذنوبه يوم القيامة فلا تنفى مغفرة هذه الذنوب، فإن الله سبحانه وتعالى يقرر العبد المؤمن بذنبه ثم يغفره له، كما جاء فى الحديث الشريف: **"إن الله تعالى يُدنِى المؤمن فيضع عليه كَنَفه وستره من الناس، ويُقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أى ربِّ، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى فى نفسه أنه قد هلك، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعطَى كتابَ حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد {هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ}"** [صحيح الجامع:١٨٩٤] أما الحساب بمثقال الذرة فهو عين الكرم، لأنه بعد إحقاق الحق كاملاً يُدخِلُ الله المؤمنين الجنة برحمته، وليس بعدله، ولو أدخلهم الجنة قبل أن يريهم سيئاتهم، لظنوا أنهم دخلوها بعملهم، قال رسول الله ﷺ: **"لن يُدخِل أحداً عملُه الجنةَ، ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنى أحدكم الموت، إمَّا محسن فلعله يزداد خيراً، وإمَّا مُسيء فلعله أن يستعتب"** [صحيح الجامع:٥٢٢٢] فالله يعطى المؤمن على الحسنة عشرة أمثالها، وقد يزيد، أما السيئات فلا تُضاعف، وقد يغفرها الله جل وعلا. والحساب بمثقال الذرة يجعل المؤمن يراقب الله جل وعلا فى كل صغيرة وكبيرة، فلا يستهين بالصغائر معتمداً على أن الله سيغفرها له، كما أن الذنب وإن كان

صغيراً فقد يدل على الاستهانة بجلال الله وعظمته، والإصرار على الصغائر قد يحوِّلها إلى كبائر، وقد قال العلماء: (لا تنظر إلا صِغَر المعصية ولكن انظر إلى مَن عَصَيْتَ) والحسنات والسيئات قد تبدو - أحياناً - فى أعين الناس صغيرة، ولكنها عند الله كبيرة، قال تعالى: {وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ} [النور:١٥] وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه دخل الجنة رجل فى ذُباب، ودخل النار رجل فى ذباب، قالوا: وكيف كان ذلك يارسول الله؟ قال: **"مَرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يُقرِّب له شيئاً، قالوا لأحدهما قرِّب، قال ليس عندى ما أقرِّب، قالوا قرِّب ولو ذباباً، فقرَّب ذباباً فخلُّوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر قرِّب، فقال ما كنتُ لأقرَّب لأحد دون الله عز وجل، فضربوا عنقه، فدخل الجنة"** [رواه الإمام أحمد] وقال ﷺ: **"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سَخَطه إلى يوم القيامة"** [صحيح الجامع:١٦١٩]، والله أعلم.

س٤٩٥- كيف يقول ربكم لنبيكم: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ} [الفيل:١] وكان عمره حينئذ خمسين يوماً؟

ج٤٩٥- إن حواس الإنسان قد لا تَصْدُقه، كأن ترى إنساناً يأتى من بعيد فتقول إنه فلان، وعندما يقترب منك تجده إنساناً آخر، أو تسمع صوتاً فتحسبه صوت أحد تعرفه، ثم يتبين لك خطؤك، وفى بعض حالات المرض يرى الإنسان أو يسمع أشياء لا وجود لها، وأحياناً يرى عدة أشخاص مشهداً واحداً، وكل منهم يصفه بطريقة مختلفة، أما رؤية الله عز وجل فهى أعظم وأكمل وأتم من أى رؤية، ولو للرسول ﷺ نفسه، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى مُحال عليه الكذب {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا} [النساء:٨٧] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا} [النساء:١٢٢] فلا أحد أصْدَق من الله تبارك وتعالى، فحين يقص علينا قصصاً نصدقه أكثر من أنفسنا، لأنه - كما ذكرنا - أن حواسنا ربما تخوننا، وكذلك فإن ذاكرتنا ربما تخوننا، أما هذا فمُحال أيضاً على الله سبحانه وتعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم:٦٤] ولهذا كان تصديق الرسول ﷺ لربه أعظم مما لو رأى الحدث بنفسه، فلذلك خاطبه ربه بقوله: {أَلَمْ تَرَ}، والله أعلم.

س٤٩٦- كيف تعربون {فَعَل} فى هذه الآية: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ} [الفيل:١]

ج٤٩٦- قال الزجاج: {كَيْفَ} فى موضع نصب ب{فَعَل} لا بقوله: {أَلَمْ تَرَ} لأن {كَيْفَ} من حروف الاستفهام، والله أعلم.

س٤٩٧- لماذا يقول القرآن: {أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ} [الفيل:٢] والكيد هو التبييت بليل.. أى فى الخفاء، وأبرهة أعلن عن عزمه على هدم البيت جهاراً نهاراً؟

ج٤٩٧- نعم.. لقد أعلن أبرهة عن عزمه على هدم البيت، ولكن الذى كان فى قلبه أكثر شرّاً مما أظهر، فقد كان يضمر الحسد والبغضاء لقريش على تعظيم العرب للكعبة، وما كان يجلبه عليهم هذا التعظيم من الخير والثراء، وخصوصاً فى أيام الحج من كل عام، فضلاً عما فيه من مخالفة دينه وعدم الاهتمام به، فأراد أن يجعل هذا الشرف العظيم لبلده وكنيسته (القُلَّيْس) التى بناها على أفخم طراز، وجمَّلها وزخرفها ليصرف وجوه الناس إليها، فما كان منهم إلا أنهم احتقروها، ولم يأبهوا لها، حتى إن فَتَيَيْن من فِتيان قريش تسرَّبا إليها ليلاً، وتبرَّزا فيها، ولطَّخا حيطانها المزخرفة بهذا البراز، مما زاد فى حَنَقِه على بيت الله الحرام، فصمم على هدمه، ولكن الله سبحانه وتعالى حال بينه وبين مراده. ثم إن أى إنسان يعلن عن عزمه على فعل جريمته فلابد أن ينوى ويخطط لها قبل أن يفعلها، أم إنه يعلن عن عزمه عليها بغير تخطيط؟ فهذا التخطيط فى حد ذاته يعتبر كيداً، والله أعلم.

س٤٩٨- إن الحجّاج ضرب الكعبة بالمنجنيق، فلماذا لم يحدث له كما حدث لأبرهة؟ وكذلك القرامطة الذين سرقوا الحجر الأسود لمدة سبع سنين ولم يحدث لهم شىء، إن هذا يدل على أن هذه القصة لم تكن لتعظيم الكعبة، ولكن لأمر غير ذلك.

ج٤٩٨- إن القضاء على جيش أبرهة قد وقع إرهاصاً لميلاد الرسول ﷺ والإرهاص إنما يُحتاج إليه قبل قدومه، أما بعد قدومه، والتأكد من نبوته بدلالة قاطعة فلا حاجة لشىء من ذلك، ولأن الكعبة قبل الإسلام لم يكن لها حامٍ إلا الله، ولم يكن للعرب قِبَلٌ بقوة أبرهه، وخصوصاً أنه استعمل الفِيَلَة التى لم تكن بأرض العرب، ولا دراية لهم بها، فقد كانوا يعتمدون فى حروبهم على الخيول والجِمال، ولذلك خافوا وهربوا إلى الجبال عندما رأوا هذه الفِيَلَة. أما بعد مجىء الرسول ﷺ فقد عَهِدَ الله تعالى حماية بيته الحرام وكل

مقدساته - كالمسجد الأقصى وغيره - إلى المسلمين، ولو أنه أهلك كل من يتعرض لها بسوء، فأين جهاد المسلمين إذن؟ وكيف يظهر إخلاصهم ومحبتهم لدينهم؟ وما هى فائدتهم إن لم يدافعوا عن مقدَّساتهم بأنفسهم؟، والله أعلم.

س٤٩٩- هل أهلك الله أصحاب الفيل لإيلاف قريش؟ أى لتبقى الرحلة، أم لأنهم كفروا؟ هذا إذا كانت السورتان سورة واحدة كما يعتقد الشيعة، وهى كذلك فى مصحف أُبَىّ بن كعب، وقرأها عمر بن الخطاب بغير بسملة بين السورتين.

ج٤٩٩- نحن لا نقول إن الله تعالى أهلك أصحاب الفيل بسبب كفرهم، ولكن بسبب اعتدائهم على بيت ربهم، فإن الجزاء على الكفر مؤخَّر إلى يوم القيامة، قال تعالى: {ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ} [غافر:١٧] ولو أنه فعل بهم ذلك لكفرهم، لفعل ذلك بجميع الكفار، فقد كان أهل الحجاز أنفسهم كفاراً، قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر:٤٥] ولكنه فعل ذلك بهم لاعتدائهم على بيته كما قلنا. وقد قال الشيخ الشعراوى (رحمه الله): إن قوله تعالى: {لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ} [قريش:١] أى لتعظيم منصبهم، وإظهار قَدْرِهم. ولنفرض أن زجرهم عن الكفر مقصود، فإن هذا لا ينافى كون شيء آخر مقصوداً، حتى يكون الحكم واقعاً بمجموع الأمرين معاً. ثم هَبْ أنهم أُهلِكوا لكفرهم فقط، إلا أن ذلك الإهلاك لما أدى إلى إيلاف قريش، جاز أن يُقال: أُهلِكوا {لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ} وذلك كقوله تعالى: {فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص:٨] وهم لم يلتقطوه ليكون {عَدُوًّا وَحَزَنًا} لكن لما آل الأمر إليه حَسُنَ أن يُمَهَّد إليه بالالتقاط، وكأنه قال (إن التقاطهم له عاد عليهم بأن كان لهم عدوّاً وحَزَناً) ولا شك أن مكة كانت خالية من الزرع والضرع، كما قال تعالى: {بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ} [إبراهيم:٣٧] فلا غنى بها عن رحلة الشتاء والصيف، وقد كان ملوك النواحى يعظمون أهلها، ويقولون: هؤلاء جيران بيت الله، وسكان حَرَمِه، ووُلاة الكعبة، فلو تم لأبرهة ما عزم عليه من هدم الكعبة، لزال عنهم هذا العزّ والاحترام، ولصار سكانها كسائر القبائل، يُتخطَّفون من كل جانب، ويُتعرَّض لهم فى نفوسهم وأموالهم، فلما أهلك الله أصحاب الفيل ازداد احترام أهل مكة فى القلوب، ولم يتعرض لتجارتها فى هاتين الرحلتين أحد.

والأهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى كان قد أعدَّها لأعظم رسالة، ولأعظم رسول ﷺ كما ذكرنا فى الرد على الشبهة السابقة، والله أعلم.

س٥٠٠- إن التكرار فى سورة الكافرون لا طائل من ورائه، فقد كان يكفى أن يقال: { قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ}

ج٥٠٠- إن سبب نزول هذه السورة الكريمة أن الكفار قالوا لسيدنا محمد ﷺ عندما رأوا ثباته وثبات أصحابه ﷺ: نعبد إلهك عاماً وتعبد آلهتنا عاماً، فإن كان العام الذى نعبد فيه إلهك عام رخاء وخِصْب، وكثرة المواليد الذكور، عبدناه بعد ذلك معك، وإن كان عام آلهتنا عام نماء وخير، وثمار وأمطار، فتعبدهم معنا وتترك إلهك، فأنزل الله عز وجل هذه السورة، فقوله تعالى: {قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ} [الكافرون:١-٣] أى فى الوقت الحاضر يستحيل أن أعبد آلهتكم، وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا تعبدون ما أعبد، لأن عبادة الله ليس فيها تفاوض، ولا أرض محايدة، ولا أنصاف حلول. وهذه الآيات فيها تخلِيَة وتحلِيَة كما فى شهادة أن لا إله إلا الله، نتبرأ من عبودية غير الله أولاً، ثم نثبت عبوديتنا له وحده سبحانه وتعالى. وبمعنى آخر: نتخلى عن الشرك، ونتحلَّى بالإيمان. وقوله سبحانه: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ} [الكافرون:٤-٥] أى فى المستقبل، فلا تحلموا، ولا تتصوروا، ولا يكن عندكم أدنى أمل أننى فى يوم من الأيام سأعبدها، وأنتم على استمراركم على كفركم فلن تعبدوا إلهى، فهذا حسم للقضية، حتى لا تكون هناك أى محاولة للتفاوض بعد ذلك، فلن نمسك العصا من الوسط، ولن نجلس على الموائد المستديرة، فالعقيدة ليس فيها تنازلات، ولا مفاوضات، ولا صُلْح كما يحدث بين المتخاصمين، كأمريكا التى ضربت اليابان بالقنبلة الذرية مرتين، ثم أقامت معها صلحاً، أو كصلح بعض العرب مع إسرائيل، والله أعلم.

* * *

خاتمة

لقد تبين لنا من هذه الرحلة الطويلة مع شبهات الملحدين والمستشرقين، حول ديننا العظيم، أنها ليست شبهات على الحقيقة، ولكنها افتراءات وأباطيل، أثارها الحاقدون ليشككوا المسلمين فى عقيدتهم، وقرآنهم، ورسولهم ﷺ، وقد استغلوا جهل أكثرهم بدينهم، وانصرافهم عنه، وانشغالهم بدنياهم عن آخرتهم، وانبهارهم بالغرب وأهله، رغم ما فيه من انحلال ورذيلة، وغطرسة ووحشية، يشهد عليها حاضرهم وماضيهم على السواء. وكان المفروض أن المسلمين هم الذين يدعون غيرهم للدخول فى دينهم، لشموخه، وعظمته، وعُلُوِّه على سائر الملل والنِّحَل، ولكن - للأسف - تخاذل الكثير من المسلمين عن نُصرة دينهم، والتمسك بتعاليمه، والدعوة إليه، وانشغلوا بتوافه الأمور، حتى أطمعوا فيهم عدوهم، ليس فقط فى أرضهم، وأموالهم، وأعراضهم، بل فى دينهم، الذى هو عِصمة أمرهم، فصار مثلهم مع عدوهم كمثل قول القائل: (استأسد الْحَمَل لَمّا استنوق الجمل، وبال الحمار فى أُذُن الأسد)

فيا مسلم.. يا عبد الله.. تمسك بدينك وقرآنك، واتَّبِع هَدْى نبيك ﷺ واحرص على التزوُّد من العلوم الشرعية، حتى تعبد الله على بصيرة، وتكون على بيِّنة من أمر دينك، وحتى لا يطمع فيك طامع، أو يصدَّك عن دينك مُخادع، فقد أنزل الله إليك أعظم كتاب، وأرسل إليك خير رسول (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهداك إلى أفضل منهج، لصلاح دينك، ودنياك، وآخرتك.

والله أسأل أن يردنا والمسلمين إليه ردًا جميلاً، وأن يحفظ علينا توحيدنا وعقيدتنا، وأن يفقِّهنا فى ديننا، وأن ينصر ديننا، ويَرُد عنا كيد أعدائنا، وأن يُبَصِّرنا بعيوبنا، ويصلحها لنا، وأن يتقبل حسناتنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، وأن يحسن ختامنا، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله، اللهم آمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

أهم المراجع

مرتبة على حروف المعجم دون مراعاة (أل) و(كتاب)

• القرآن الكريم.

• الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث.

• الأجوبة الفاخرة للإمام أحمد بن إدريس، المعروف بالقرافى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٦هجرية، ١٩٨٦م.

• الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسرى، توزيع مكتبة دار الأرقم، الكويت.

• الأدلة المادِّية على وجود الله للشيخ الشعراوى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، وزارة التربية والتعليم، ١٤١١هجرية، ١٩٩٠م.

• إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندى، تأليف الشيخ العلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوى العثمانى الهندى، مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، ١٣٠٨-١٣٩١هجرية، تحقيق وتعليق د. محمد أحمد عبد القادر خليل، جامعة الملك سعود، الرياض.

• الإعجاز العلمى للقرآن للدكتور زغلول النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الأعمال الدينية، تقديم أحمد فراج.

• آيات مظلومة بين جهل المسلمين وحقد المستشرقين، للدكتور عمر عبد العزيز القريشى، مكتبة الأديب الذهبية للنشر والترجمة، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ١٤٢٤هجرية.

• البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث.

• تاريخ القرآن للدكتور عبد الصابور شاهين، معهد الدراسات الإسلامية، ١٤١٠هجرية، ١٩٩٠م.

• تفسير الشعراوى، إدارة الكتب والمكتبات، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
• تفسير الكشاف للزمخشرى عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تأليف الإمام أبى القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى، ٤٦٧-٥٣٨هجرية، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
• تفسير النَّسَفى، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِى، اعتنى به عبد المجيد طعم، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
• الجامع لأحكام القرآن للإمام أبو عبد الله بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار الفكر، عمان.
• حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين الصادر عن وزارة الأوقاف.
• دراسات قرآنية للدكتور محمد بكر إسماعيل، دار المنار.
• دفع الشبهات عن السنة والرسول ﷺ للدكتور عبد المهدى عبد القادر، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، مكتبة الإيمان.
• الرحيق المختوم لصفى الدين الباركفورى، الجامعة السلفية بالهند، بحث فى السيرة النبوية، مكتبة زهران.
• السيرة النبوية لابن هشام أبى عبد الملك بن هشام المعافرى، المتوفى بمصر سنة ٢١٣هجرية، تقديم وتعليق عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
• شبهات حول الإسلام للشيخ محمد قطب، دار الشروق، القاهرة.
• عصمة النبى ﷺ فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور عماد السيد الشربينى، قدَّم له أ. د. عبد المهدى عبد القادر أستاذ الحديث وعلومه بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر بالقاهرة، مطابع دار الصحيفة.
• فقه السنة للشيخ سيد سابق، دار الريان للتراث، القاهرة.
• فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب، دار الشروق.
• قذائف الحق للشيخ الغزالى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
• ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد للشيخ أحمد ديدات، تقديم ومراجعة فايزة محمد بكرى، دار المنار، ١٤٠٩هجرية، ١٩٨٨م.

• محاضرات فى مقارنة الأديان لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار.

• مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت، مختصر لتفسير الإمام الجليل أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى، المتوفى سنة ٧٧٤هجرية.

• مطويات إسلامية من (مركز التنوير) للأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله.

• معجزات الرسول ﷺ ودلائل صدق نبوته للشيخ إبراهيم جلهوم والشيخ عبد السلام حمّاد.

• معجزة القرآن للشيخ الشعراوى، كتاب اليوم، ثقافة اليوم وكل يوم.

• مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى، أو التفسير الكبير، ٥٤٤-٦٠٤هجرية، الناشر دار الغد العربى.

• مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مناقشة بين رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، دار الوطن للنشر، دار النُّهَى بالرياض ٢٢-١١-١٤١٢هجرية.

• الناسخ والمنسوخ للشيخ هبة الله سلامة، تخريج وتعليق د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه، كلية الشريعة، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر.

* * *

الكتاب المرافق واللاحق إن شاء الله

يرافق إصدار هذا الكتاب كتاب آخر بعنوان: (تصحيح أخطاء المسلمين) ثم يليه - بمشيئة الله - كتاب (المواجهة).

أما كتاب (تصحيح الأخطاء) فيحتوى على خمسة أبواب رئيسية، أولها عبارة عن تصحيح لكثير من أخطاء المسلمين العقائدية، والقولية، والفعلية، بأسلوب سهل، راعيتُ فيه نقل كلام العامَّة كما هو، حتى يتيسَّر على القارئ البسيط فهمه، وتعليمه لغيره، ثم يليه (شروط لا إله إلا الله، وشروط الإسلام ونواقضه) ثم (صِفَة صلاة الرسول ﷺ) للشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ثم (القواعد الذهبية فى تدبُّر القرآن وحفظه، والفتح على الإمام) للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، ثم (رحلة إلى دار القرار) وهى تَذْكِرَة بالآخرة.

أما كتاب المواجهة فإن موضوعه مُوَجَّه إلى الشخصيات المحايدة من علماء النفس والاجتماع والسلوك الإنسانى شرقاً وغرباً:

هل هذا الرجل العظيم (محمد ﷺ) دَجَّال؟

ومن أمثلة هذه الأسئلة الموَجَّهة:

س- هل سمعتم عن قائد منتصر، فاتح لعاصمة قوية مثل مكة، يأكل خبزاً جافاً مع خل؟ وهو القادر على أن يأكل قلوب أعدائه؟

س- هل رأيتم حاكماً قديماً أو حديثاً يسكن فى حجرات من البوص المغطى بالطين، والأسقف من الجريد، وأكبر حجرة عنده أصغر من مطبخ أحدكم؟

س- هل رأيتم دجالاً ألَّف كتاباً فذكر بالثناء الحسن منافسين له (مثل إبراهيم وموسى وعيسى) أكثر مما ذكر نفسه؟

س- هل رأيتم دجالاً يؤلِّف كتاباً يشيد فيه بامرأة هى أم منافس له (السيدة مريم رضى الله عنها) ولا يذكر أمَّه ولا بناته ولا نساءه؟

س- هل رأيتم دجالاً حدثت فى زمنه ظاهرة طبيعية تثبِّت دعائم حكمه فلم يغتنمها، بل ويتجاهلها ويثبت عكسها؟ (انكساف الشمس عند موت ابنه إبراهيم).

س- هل رأيتم دجالاً يؤلف كتاباً ويُوَجِّه فيه اللوم إلى نفسه، ويُصَوِّب أخطاءً وقع فيها؟

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً لا يترك أى ميراث لورثته، بل ويموت مديوناً؟

س- هل رأيتم دجالاً مَزَّق الله له حُجُب الغيب (النفس، والماضى، والحاضر، والمستقبل) فصدق فى كل ما قال على مر السنين والأيام، و لم يكّذبه الواقع، ولا حتى بعد موته؟

س- هل سمعتم أن حاكماً كبيراً يقول لأقاربه إنه لا يملك لهم ولا لنفسه نفعاً ولا ضراً؟

س- هل رأيتم حاكم دولة تطلب منه ابنته خادماً ليعينها على شؤون بيتها فلا يعطيها؟

س- هل رأيتم دجالاً ألف كتاباً يأمر كل أتباعه، وكل من قرأ كتابه، أن يُمْعِن فيه النظر، ويُمَحِّصَه تمحيصاً جيداً، ولا يمر عليه مَرّاً سزيعاً؟ {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢] فإن صاحب البضاعة الرديئة لا يقبل التقليب فيها، ولكن هذا الرجل يتحدى أن يظهر أى عيب فى الكتاب الذى أنزل عليه على مر القرون.

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً يتقدم جيوشه كرأس حربة، فيصاب ويُجْرَح، ويتعرض للقتل المحقق، وكان فى إمكانه أن يُجَيِّش الجيوش - كسائر ملوك الأرض - وهو فى قصره، ينعم بالأمن والترف، ويعطى الأوامر، وينتظر الأخبار؟

س- هل رأيتم حاكماً كبيراً يتمكن من رقاب أعدائه الذين آذوه وطردوه، وقتلوا أصحابه، ثم يعفو عنهم، ولا يقتل منهم أحداً؟

* * *

الفهرس

* * *

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس: ٣٥٤٠٢٥٩٨ محمول: ٠١٢٢٣٤٩٠١١

في هذا الكتاب

هذا الكتاب يحتوى على الرد على ٥٠٠ شبهة مما يثيرها أعداء الإسلام ضده ، وهي ليست شبهات على الحقيقة ، ولكنها افتراءات وأباطيل ، أثارها الحاقدون على القرآن والسنة ، وعلى شخص الرسول ﷺ ، وهم لا يعلمون أنهم بفعلهم هذا قد ساهموا في بيان بعض وجوه الإعجاز في القرآن والسنة ، فمثلهم كمثل الذي يكره المسك ، فأحرقه لينتقم منه ، ففاح ريحه وعطره ، فالإسلام كالشمس المضيئة ، ومحاولة التشكيك فيه كمحاولة القزم الأعمى الذي ينفخ بفمه تجاهها ليطفئ نورها.

وقد احتوى الكتاب في كثير من مواضعه على مقارنة بين ما جاء به الإسلام وبين ما ورد في الكتاب المقدس ، حتى يتبين للمسلم وغير المسلم أن الإسلام خير دين ، وأن القرآن خير كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى ، وأن رسول الله ﷺ خير الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الناشر

مكتبة الإيمان

للطباعة والنشر والتوزيع

٤ شارع أحمد سكارنو العجوزة ت ٣٣٤٥١٢٣٠٢ فاكس ٣٣٠٤٤٨٤